

مِكَائِيلُ التَّوْحِيدِ
فَقْدَاسِمْاءِ اللَّهِ الْحَسَنِ
فِي صَوْغِ الْقِرَاءَةِ السَّنَنِ

للقدير الحق مولاه
محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله التوحيدي

الطبعة الأولى سنة
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

دار النشر
المكتبة العربية للتوزيع
القاهرة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

كتاب التوحيد

أسماء الله الحسنى بين توحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها

في ضوء القرآن والسنة

كتاب التوحيد

في ضوء القرآن والسنة

أسماء الله الحسنى بين توحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها

• محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة .

٧٣٥ صفحة

٢٤×١٧ سم

ردمك : ٧-٥٦٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- الأسماء والصفات أ.العنوان

١٤٣٢/٧٣٠٢

ديوي ٢٤١

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٧٣٠٢

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

جوال المؤلف : ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢٢ -

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران / ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

الَّذِي نَسَأَ لُونِ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء / ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١].

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن الفقه في الدين أفضل الأعمال وأحسنها ، وأزكاها وأشرفها ، وأعظمها وأجلها ، وأنفعها وأكبرها ، وأعلها وأنفسها .

فهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة ثوابه وعقابه ، ومعرفة أنبيائه ورسله ، والعمل بموجب ذلك ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً .

ومن اكتملت له هذه المعارف العالية ، فقد بلغ النصاب ، واجتمعت له الحكمة ، وفصل الخطاب ، ونطق بالتوحيد قلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤].

إن الإنسان جسد وروح ، فإذا خرجت الروح فسد الجسد .

والدنيا كالجسد ، وروحها الدين ، فإذا خرج منها الدين ، فسدت حياة الخلق ، وصار الناس كالبهائم والسباع ، كل يرتع فيما يشتهي بلا حد ولا قيد ، ولا أمر ولا نهي .

وهذا ما يحصل في العالم الآن ، فشواهد الانحلال الخلقي ، والهزال الروحي ، والضعف الإيماني ، والخواء الفكري ، والفساد الاجتماعي ، والإضطراب الأمني ، ظاهر ساطع في معرض البشرية لا يحتاج إلى دليل .

وقد ظهر في زماننا أقوام استخلفهم الشيطان على نقض عرى الإسلام ، وهَدَمَ بنيانه ، وإبطال شرائعه .

فظهرت أقوال وأفعال جمعت إلى الكفر والكذب ، إفراط الجهل والحسد ، والجرأة على الرب ورسله ودينه وأوليائه .

وهذا أمر عظيم يعرق له الجبين ، وتتفطر له الأكباد ، وينذر بعقوبة عاجلة ، لما فيه من الكفر والسفاهة والوقاحة ، وعدم الحياء والخوف من الجبار .

وهذا الوباء العظيم يزداد يوماً بعد يوم ، ويفتح له الأبواب كثير من شياطين الإنس والجن ، في مشارق الأرض ومغاربها .

فقد زج أعداء الإسلام بأمهات الدواهي في بلاد المسلمين ، وغرسوا في عقولهم ما يفسد حياتهم ، ليزدادوا بعداً عن دينهم ، ويتناحروا فيما بينهم ، ويهلك بعضهم بعضاً بالحديد والنار بعد التراشق بالكلام ، وهذا ما حصل ويحصل كل يوم .

فلا بد من صد هذا الوباء الخطير ، وكشف هذه الأفتنة الخرقاء التي رفرفت على عقول المسلمين بالباطل الممواه .

ولا بد من هتك غاشية البلاء والفساد الذي عم وطم ، وإزالة الغطاء عن مسارب الهلاك الخفي الذي غرسه العدو الماكر بيننا ، فأنبت كل مُرٍ وشر وفتنة .

فقد زاد الأمر سوءاً ، وضرب سهم الباطل قلب الأمة المسلمة ، حتى صار أكثر العالم الإسلامي منبع الضلالة ، ومنجم الجهالة ، ومعرض الرذيلة ، ومسرح الظلم وميدان القتل ، وسجن الرعب والخوف ، ومركز الفقر ، ومصدر الفتن .

وتم ذلك بعد أن سوَّق لنا العدو أخبث ما في سوقه ، وأنجس ما في بلاده ، فاجتمعت الخبائث والنجاسات في أعز إنسان ، وأعز مكان .

فما أشد صولة الباطل على بلاد المسلمين ، فقد استباح أنفسهم وأموالهم وديارهم بغير حق ، ونزفت جراحات الألم في كل مكان ، وانتشرت الفتن بين الخاص والعام .
وصار هذا الوباء العظيم قبلة يتوجه إليه الرجال والنساء والأطفال في أنحاء الأرض .
ولا ينكر ما حصل إلا جاهل أعماه حُمقه وشهوته ، أو مكابر أعماه منصبه وشهرته ، أو حاسد أعماه كفره وحقده ، أو منتفع أعماه حرصه وطمعه .
إن وزر الضلال والإضلال لا يمحوه إلا صدق الصلاح والإصلاح ، بكمال التوحيد والإيمان والتقوى .

نعوذ بالله من كل سوء وظلم ، ومن دعوى السفلة والجهلة ، ومن مسخ القلب والعقل ، والسمع والبصر ، والفكر والذوق .
إن السبيل للنجاة من تلك الدواهي لا يمكن إلا بتفريغ الإناء من الهوى ليدخل الهدى ، وغسل درن الشرك والمعاصي ، ليدخل نور التوحيد والطاعات ، وتنقية السنة من البدعة والشوائب ، ليظهر الحق صافياً .

إن الدنيا لا تصلح إلا بالدين ، والإنسان لا يصلح إلا بالإيمان ، والدين لا يكمل إلا بالتوحيد والإيمان والتقوى .

والناس صنفان : إما صالح ومصلح ، وإما فاسد ومفسد ، ولكل راية وغاية .
ولا ريب أنه إذا صلح الإنسان صلح العالم ، وإذا فسد الإنسان فسد العالم .
وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هو الدرس الأول ، والدرس الحق الذي يجب أن يتعلمه كل إنسان ، وكل مسلم قبل كل شيء ، ليعبد الله بمقتضاه ، ويسعد في دنياه وأخراه .
ومن أجل توحيد الله ﷻ خلق الله السموات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الجنة والنار ، وخلق جميع الخلائق في العالم العلوي ، والعالم السفلي : ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فالتوحيد أساس كل عمل ، ومفتاح كل خير ، ومن صدق الله في طلبه أعطاه الله إياه ، واستعمله بمقتضاه ، ورضي عنه وأرضاه .

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وعرف أفعاله الجميلة ، وخزائنه العظيمة ، وعرف دينه وشرعه ، وعرف وعده ووعيده ، وعرف أنبياءه ورسله ، وعرف كلماته المنزلة ، وعرف أقداره الحكيمة ، فقد نال متين العلم وصفوته ، وذاق طعمه وحلاوته .

وإذا عرف ذلك كله ، وحَّد الله بأسمائه كالسميع والبصير ، والعليم والقدير ، والكريم والرحيم وغيرها من الأسماء الحسنى .

ووحَّده بصفاته كالسمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والعزة والرحمة ، والحكم والحكمة وغيرها من الصفات العلى .

ووحَّده بأفعاله كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير وغيرها .

ووحَّد الله بأفعال العباد ، فلا يدعو إلا الله ، ولا يكبر إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يحب إلا هو ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يعبد إلا هو ، ولا يستعين إلا به .

ووحَّد رسوله ﷺ بالاتباع ، فيطيعه فيما أمر ، ويصِّدقه فيما أخبر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع .

ويقدر تلك المعارف الربانية ، والأعمال المرضية ، يمتلئ القلب بالتوحيد الخالص ، والإيمان الكامل ، وينشرح الصدر بالأنوار الإلهية ، وتنقاد الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وإذا غلب نور التوحيد والإيمان شهوات النفس ورغباتها ، سار الإنسان إلى ربه على الصراط المستقيم ، على مطية الجسد الصالح ، إلى السكن الصالح .

وبهذا تكمل للعبد جميع أنواع التوحيد ، فيذوق طعم الإيمان ، ويجد حلاوة التوحيد ، ولذة العبادة ، وحسن الطاعة لمولاه الحق .

وأبواب المعارف كلها ، وأبواب التوحيد كلها ، وأركان الإيمان كلها ، لا يمكن للعبد تحصيلها إلا من طريقين لا ثالث لهما :

أحدهما : النظر في الآيات الكونية ، والثاني : التدبر في الآيات القرآنية .

فمن وفقه الله لحسن النظر والتدبر في هذا وهذا ، فقد أدرك من العلم أحسنه وأنفعه وأكمله ، وأخذ من أوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، وغيبه وشهادته .

وإذا اكتمل هذا النصاب ، واجتمع للعبد معرفة كتاب الرب ، ومعرفة سنة سيد الخلق ، صار ربانياً يُعَلِّمُ ويتعلم ، ويسمع ويطيع ، ويركع ويسجد لربه الواحد الأحد لا شريك له . إن من عرف أن ربه هو الحق ، عرف أن دينه حق ، وأن رسوله حق ، وأن كتبه حق ، وأن وعده حق ، وعمل بالحق ، ونال الثواب الحق من الملك الحق : ﴿ ذَلِكِ بَيِّنَاتٌ لِّأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان / ٣٠] .

والله ﷻ هو الملك الحق المبين ، الذي جميع ما في الكون ملكه ، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته .

هو الواحد الأحد الذي جعل جميع النفوس تأكل من فضله ، وجعل جميع القلوب مخاطبات بوحيه، وجعل جميع المخلوقات دالة على عظمته، مسبحة بحمده، شاهدة بتوحيده : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

إن نهاية العلم كمال التوحيد ، ونهاية العمل كمال التقوى .

والمقصود من العلم والتفكر ، والعبادات والأوامر ، أن يأتي اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا جاء ذلك في قلب العبد جاء اليقين على كلام الله وأحكامه وأوامره ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاء كمال الحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، والتعظيم لأمره ، والعمل بشرعه ، وهذا هو التوحيد الذي يريده الله من جميع خلقه .

ومن اكتملت له أركان اليقين الثلاثة وحّد ربه بأسمائه وصفاته ، ووحدّه بأفعاله ودعائه ، ولم يلتفت لأحد سواه ، وأقبلت نفسه على الطاعات ، وسارعت إلى الخيرات ، ونفرت من المعاصي والمنكرات ، وصار عبداً لربه لا لهواه ، فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسعده في دنياه وأخراه .

والتوحيد هو مقصود الرب من خلقه ، ولهذا فطر عليه جميع المخلوقات ؛ لأنه أحب شيء إليه ، وهو حق الله على جميع عباده كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨ ﴿

[الذاريات / ٥٦ - ٥٨] .

وهذا التوحيد له صورة ولفظ ، وطعم وحلاوة ، وحقيقة ، وثمره ، وثواب .
وبين التوحيد الصوري والتوحيد الحقيقي كما بين المشرق والمغرب ، والمطلوب من
التوحيد أعلاه لا أدناه ، وحقيقته لا صورته .

فالتوحيد الحقيقي هو رؤية الواحد الأحد ﷻ ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه .
توحيد ينطق به اللسان .. ويطمئن به القلب .. وتعمل به الجوارح .. وتدمع به العين ..
ويشعر منه الجلد .. ويوجل به القلب .. وتذوق به الروح حلاوة الذكر والعبادة .. ويذوق به
الإنسان طعم السمع والطاعة للملك الحق ﷻ .

وهذا التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وشرع من أجله الدين : ﴿ وَمَا
أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١)
[التوبة / ٣١] .

وبهذا التوحيد الخالص للرب الواحد الأحد يجيب الله دعاء السائلين ، ويفرج كرب
المكروبين ، ويعز المؤمنين ، وينصر الموحدين ، ويرد كيد المعتدين ، ويفتح أبواب
البركات ، وينزل الهدايات ، ويكرم
المؤمنين بالجنة ورضاه ، ويقيهم من النار ، وسخط الجبار .

وفي هذا المجموع القيم الذي بين يديك ، بينت بفضل الله التوحيد ، وأقسامه ، ودلائله ، وثماره ،
وآثاره في الدنيا والآخرة وبينت أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وكيفية توحيد الله بها ،
والاعتبار بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .

وذلك كله في ضوء القرآن والسنة الصحيحة .
وقد جمعت فيه من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وغذاء القلوب ، ما تقر به العيون ،
وتسعد به النفوس ، وتطمئن به القلوب .

وعرضت فيه المسائل العلمية الغيبية بما شهدت به أنوار الأدلة الشرعية ، من القرآن والسنة
الصحيحة ، سالمة من الأهواء الشخصية ، بريئة من العصبية المذهبية .

وهذا جهد مقل ، قليل الألفاظ ، عزيز المعاني ، حلو الطعم ، سهل الفهم ، دون إيجاز
مخل ، أو إطناب ممل .

وقد عرضته بفضل الله وعونه بتحقيق واف ، يثمر كمال التوحيد والإيمان والتقوى ، ويقلب ليل المسائل المشتبهة نهائياً ، ويكشف النقاب عن جمالها ، ليستبين سبيلها ، ويشرب الناس من عذب مائها .

وهذا الكتاب تحرير موجز ، مؤكد بنقل يقطع العذر ، ويزيل الشك والريب ، ويحقق التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح بإذن الله ﷻ .

جاء بفضل الله وحده حسن الجسم والرسم ، سهل اللفظ والفهم ، زكي الرائحة والطعم ، متين الفقه والعلم .

فهو قريب ملتئم ، سهل منسجم ، مشرق بالنور ، قرّة للعيون ، ممتع للأسماع والأبصار والبصائر ، والعقول والقلوب .

جمعت فيه بين القول والنقل ، والمعقول والمحسوس ، يسّبح في فلك التوحيد والشريعة ، ويحطم الشرك والبدع والرذيلة ، ويقيم بنيان الحق والسنة والفضيلة بإذن الله .

وبعد جمع هذا الكتاب من بساتين العلم والمعرفة جاء مكتمل المباني ، غزير المعاني ، له خمسة أبواب ، وكلها مفتوحة بين يديك وهي :

الأول : كتاب التوحيد .

الثاني : توحيد الله بأسمائه وصفاته .

الثالث : فقه التبعّد بأسماء الله الحسنى .

الرابع : أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتبعّد لله بها .

الخامس : جزاء أهل التوحيد .

وهذا الكتاب المقصود منه بيان التوحيد والإيمان بالله ﷻ ، وترغيب الخلق في لزوم الصراط المستقيم ، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وبشارة المؤمنين بما أعد الله لهم من الجنات ، وإنذار كل من خالف هدي الله ورسوله بالنار .

أسأل الله ﷻ أن يجعله غذاءً نافعاً للعقول ، وقوتاً للقلوب ، ومحرراً للقلوب والجوارح إلى أجلّ مطلوب ، ومثيراً لساكن العزمات إلى روضات الجنات .

كما أسأله ﷺ أن يجعله نوراً للسائرين ، ومناراً للتائهين ، ومصباحاً للمتعبدين ، وقرّة عين للموحدين ، وروضة للمتعلمين .

وقد ذكرت في هذا المصنف من الآيات البيّنات ، والبراهين الساطعات ، والدلائل الواضحات ، ما يملأ بإذن الله القلوب بالتوحيد والإيمان واليقين ، ويشرح الصدور للعبادات والطاعات ، ويحرك الألسنة بالذكر والحمد والشكر ، ويوجه الناس إلى رب الناس ، ويصرف القلوب عن التعلق بالعبيد .

فدونك مورداً عذباً صافياً ، لم تكدره العصبية ، ولم تشبه الحميّة ، مبني على قواعد الشريعة المحكمة ، متوج بنصوص الوحي المنزلة .

إذ لا بد للمسلم الذي يرجو الفلاح والنجاة من علم متين بحقائق الدين ، يميز به بين الحق والباطل ، وبين العالي والسافل ، وبين الغالي والرخيص ، وبين الحسن والقيح .

وهذا الدين لا ريب لمن آمن به ، وعمل به ، وذبح عنه ، وصبر على كل أذى في سبيله ، وبذل وترك كل شيء من أجل تحصيله ونشره .

أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم والمؤمنين والمؤمنات من هؤلاء ، لا ضد هؤلاء .

ويولد هذا المولود بفضل الله بين ملايين السباع التي تنهش البشر ، وألوف الأفاعي التي تلسع المسلمين ، ومئات السهام التي ترشق أهل الإيمان ، لتهدم بنيان الدين ، وتقوض أركانه ، ولن يفلحوا ولن يستطيعوا ذلك أبداً ، فإن الله لا غالب له : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة / ٣٢] .

ويدخل هذا المصنف سوق الدنيا عزيزاً معلماً ، ومرشداً وهادياً ، ومبشراً ومنذراً .

ممتع للقارئ والسامع ، مشتمل على بدائع الفوائد ، وأمّهات المسائل وثمانين الجواهر .

فليطلبه من أراد التوحيد النقي الخالص ، ومن رغب في زيادة الإيمان والعمل الصالح في ضوء القرآن والسنة .

وهذا فضل الله بين يديك مبسوطاً ، لك غنمه ، وعلى كاتبه غرمه .

أبوابه لك مفتوحة ، وكنوزه مطلوبة ، وثماره لك مجلوبة ، فاقتطف من ثماره ما شئت .

هو أعلى ما أملك ، وأحسن ما جمعت ، وأحلى ما رأيت ، وأنفس ما أهديت .

وهو هدية المسلم لأخيه المسلم ، فاقبله قبلك الله في مجموعة الفائزين ، وغفر الله لنا ولك وللمسلمين ، وجمعنا جميعاً في جنات النعيم .

واعلم غفر الله لنا ولك أن الكلام عن الرب العظيم عظيم لانهاية له ، والحديث عن الكبير كبير لا حد له ، والأمر أكبر من أن يُحاط به ، وأوسع من أن يوقف على خفاياه، لكن أول العلم قطرة ، ومن استهدى فسيهدى ويُعطى .

وإذا كانت الألفاظ قوالب المعاني ، والإشارة تغني عن العبارة ، فقد حرصنا على جمع الثمار الطيبة ، من أحسن بسايتين العلم والمعرفة ، وقطفنا منها ما يغني اللبيب عن الإسهاب والتطويل ، وما يملأ قلبه بالتحديد والإيمان .

وقد يمتد بنا طلق الكلام أحياناً حرصاً منا على إفادة البيان .

فنسأل الله في هذا وهذا إصابة الصواب ، إلى سواء الحكمة ، وفصل الخطاب ، وأن نكون قد وفقنا لجمع ما لذ وطاب من غذاء العقول ، وقوت القلوب .

أما وقد حلَّ بك هذا الضيف ، بعد أن ساقه الله من محرره إلى قارئه ، ليتم أمره ، وتحق كلمته ، ويتحقق مراده من خلقه .

فاستعن بالله ، وقرأ وتدبر ، واشكر وتزود ، واستغفر واصبر : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤] .

أسأل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، وشمساً ينور الله بها قلوب العالمين .

واعلم أن أكثر الناس سفيه في صورة حكيم ، وجاهل في صورة عالم ، وفقير في صورة غني ، فاصبر واصطربر على ما تراه وتسمعه ، واعتصم بحبل الله وحده ، واقطع ما سواه من الحبال ، وكن بالناس رؤوفاً رحيماً ، ناصحاً شكوراً .

وإياك ومن تفرقت بهم سبل الجهالات ، وتنوعت بهم طرق الضلالات ، من كل شيطان ضارٍ في صورة إنسان بار ، ومن كل لئيم في صورة كريم ، ومن كل خائن في صورة أمين ، وغيرهم ممن شغله الشيطان بالضلال والإضلال .

وحق هؤلاء عليك الدعاء لهم بالهداية ، ودعوتهم إلى من أمرك بالصبر على أذاهم .

نعوذ بالله من كل سيء وما أساء به، ومن دعوى السفلة والجهلة، ومن مسخ العقل والقلب،
وطمس السمع والبصر .

وإياك وفرطات القول بلا علم، فما خرج منك لا يمكن رده، وما نثرت لا يمكن جمعه، وما
كسرت لا يمكن جبره.

وإياك وقرصنة الكلام، وقرض الأعراض بالمقراض، فإن الله سميع بصير .

وقدّم ما يحبه الله على ما تحبه النفس، وتزود ليوم المعاد بأحسن زاد، من التوحيد والإيمان،
والعلم والعمل، ترافق النبيين في جنات النعيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩] .

ولتكن همتك عالية في الفقه في الدين، والافتداء بجمع سنن سيد المرسلين .

وإن قعدت بك الهمة عن ركوب المعالي، ولم تطق الجوع والسهر من أجل تحصيل الجواهر،
فدونك كتابنا الجامع، والمختصر الشامل: (مختصر الفقه الإسلامي) .

وإن كنت فارساً يطوف في الديار، ويركب البحار، ويتحمل الأسفار، فزادك الذي يغنيك
عن السؤال، خذه من بستان المعارف، من كتابنا المفتوح: (موسوعة فقه القلوب) أربعة
مجلدات .

وإن أردت الإمامة في الدين، ولبس ثياب المتقين، وحمل رسالة سيد المرسلين، فخذ
ذلك من جنة المعرفة، الموصلة إلى جنة الزخرفة، وانظر في كتابنا المرسل (موسوعة
الفقه الإسلامي) خمسة مجلدات .

وإن غرتك الدنيا بزينتها، وألهبتك الصحاري بحرها وسمومها، وأزعجتك العواصف
بشدتها وغبارها، وأظلم عليك الليل بسواده، وأجلب عليك الشيطان بخيله ورجله،
فدونك بستان التوحيد والإيمان، فيه من كل زوج بهيج، وتوحيد وتكبير وتحميد للرب
المجيد .

تطمئن به القلوب، وتزكو به العقول، ويصفو به التوحيد، ويزيد به الإيمان، وتحسن به
الأخلاق، وتقوى به الأعمال بإذن الله عز وجل، وهو كتابنا هذا: (كتاب التوحيد) .

أسأل المولى القدير أن يجعل هذا المجموع الثمين من الكتاب والسنة خالصاً لوجهه الكريم ، وسفيراً للرب بين الخلق أجمعين .

تطمئن به قلوبهم ، وتنشرح به صدورهم ، ويزيد به إيمانهم ، وتستقيم به جوارحهم ، وتصلح به أعمالهم ، وتحسن به أخلاقهم .

كما أسأله ﷺ أن يجعله نوراً يهتدي به من ضل الطريق ، ويسقي به بستان التوحيد في القلوب ، ويجتث به جرثومة الشرك ، ويدفع به وباء الكفر والمعاصي ، وينبت به شجرة التوحيد الخالص ، وثمار الإيمان الصادق ، ويسقي به حدائق الطاعات ، والأخلاق الحسنة .

كما أسأله سبحانه أن يعفو عن خطيئي وجهلي ، وأن يغفر لي ولوالدي وأهل بيتي ، ولكل من قرأه ، أو سمعه ، أو كتبه ، أو علمه ، أو نشره ، أو انتفع به ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

كما أسأله سبحانه بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، أن يرزقنا جميعاً التوحيد الخالص ، واليقين الكامل ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، والاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً حتى نلقاه ، إنه سميع قريب مجيب .

وصلی الله وسلم على إمام الموحدين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وقدوة الناس أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه الفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

المملكة العربية السعودية / بريدة

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢ - ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

كتاب التوحيد

● فقه التوحيد :

التوحيد: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به ، وما يجب له .

فما يختص بالله: أن يعتقد المسلم أن الله واحد لا شريك له ولا مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وما يجب له: التوحيد والإيمان ، وطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل / ٣٦] .

● أقسام التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب قسمان:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات .

وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة .

فتثبت لله ﷻ ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله من الأسماء والصفات والأفعال على ما يليق بجلاله ، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، ونفياً عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، على حد قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى / ١١] .

ويسمى هذا التوحيد توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

الثاني: توحيد القصد والطلب .

وهو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة التي شرعها كالدعاء ، والصلاة ، والتوكل ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة وذلك أعظم ما أمر الله به: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة / ٥] .

فالله وحده هو الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره فهو مشرك كافر: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝١٧ ﴾ [المؤمنون / ١٧] .

ويسمى هذا التوحيد ، توحيد الألوهية والعبادة ، أو توحيد الرب بأفعال العباد من صلاة ودعاء وغيرهما ، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة . فمن أقر بأن الله وحده هو الرب الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له .

فلا يدعو إلا الله وحده ، ولا يستغيث إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يعبد إلا هو ، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

وتوحيد الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية .

فكل من عبد الله وحده دون سواه ، لا بد أن يكون قد اعتقد وعلم أن الله وحده ربه وخالقه ورازقه ومالكة ورب كل شيء : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات هو الأصل ، إذ لا بد لكل عبد أن يعرف معبوده بأسمائه وصفاته وأفعاله قبل العبادة ، ثم يعبده إذا عرف كماله وجلاله وجماله وقدرته وغناه ورحمته وإحسانه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣] .

ولا يغلط أو يقصر في توحيد الألوهية والعبادة إلا من لم يعطه حقه من المعرفة واليقين . بل توحيد العبادة إنما هو ثمرة ، بل أعظم ثمار توحيد الربوبية ، وما وقع فيه الشرك إلا بسبب الجهل بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .

ولا ريب أن دوام الذكر والدعاء ، وحسن العبادة ، والصبر والتوكل ، والخوف والرجاء ، والمحبة والاستعانة والإنابة ، والرضا والتسليم ، كلها من نتائج وثمار توحيد الربوبية : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكُمْ وَاللَّمُومِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

وتوحيد الربوبية مركز في الفطر ، ولهذا أقرَّ به أكثر الخلق ، لشدة ظهوره ، ولم ينكره إلا شواذ الخلق في الظاهر لا في الباطن كما قال فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿ (٢٥) [النازعات / ٢٤ - ٢٥] .

ولهذا أنكرت الرسل على من أنكر وجحد وجود الرب ﷻ ؛ لأن وجوده أبين وأظهر وأوضح من ملايين الشمس التي لا تخفى إلا على الأعمى: ﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَأْنٌ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم / ١٠] .

وتوحيد الألوهية والعبادة كفر به وجحد أكثر الخلق ؛ لأن الشياطين صرفت الناس واجتالتهم عن دين رب العالمين إلى عبادة غير الله ، فحصل الكفر والشرك.

ومن أجل هذا أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، لرد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، ببيان أسماء الله وصفاته وأفعاله ، ليعبده وحده لا شريك له: ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [النحل / ٣٦] .

واعلم أن توحيد الربوبية أساس توحيد الألوهية ، ولكنه لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يقترن به توحيد العبادة ، فهما متلازمان في حياة كل مسلم ، هذا مبني على هذا ، ولا يقبل هذا إلا بهذا ، ولا يصلح عملٌ إلا بهذا وهذا .

والإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله . فمن استسلم لله وحده فهو مسلم ، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك ، ومن لم يستسلم لله فهو كافر مستكبر: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ١١٠] .

ومن استسلم لله ظاهراً وباطناً فهو مؤمن ، ومن كفر بالله ظاهراً وباطناً فهو كافر ، ومن أسلم ظاهراً وكفر باطناً فهو منافق أخطر من الكافر وأشد عذاباً: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء / ١٤٥] .

والكفر أعظم من الشرك ؛ لأنه جحد للرب ، والشرك أخف منه ؛ لأنه تنقُّص للرب ، وكل منهما يطلق على الآخر ، وكل منهما نجس وقبيح ، وكل منهما ظلم كبير وعظيم ، وكل منهما في النار ، وأهلها مخلدون فيها .

١- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خٰلِدِينَ فِيهَا اَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥﴾ [الأحزاب / ٦٤ - ٦٥] .

2- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ اَنْصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة / ٧٢] .

• دلائل التوحيد :

دلائل التوحيد أكثر من أن تحصر ، وأشهر من كل بَيِّن .

فكل سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن ، بل كل ذرة في الكون ، دالة على وحدانية الله ﷻ ، شاهدة بعظمته وجلاله ، مبينة كمال أسمائه وصفاته ، ناطقة بعظيم كرمه وإحسانه ، مقررة كمال رحمته بعباده ، شاهدة بعظمة ملكه وسلطانه ، وحسن أحكامه وأوامره .

العرش والكرسي ، والسماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات الكثيرة ، والآيات العظيمة ، والخلق والأمر ، والتدبير والتصريف ، كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

ودال على عظمة الله وكبريائه ، وجلاله وجبروته ، وكمال علمه وعزته وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه .

ودال على كمال رحمة الله ، وسعة حلمه ، وعظيم كرمه ، وكمال غناه ، وجزيل إحسانه ، وعظيم عفوه .

وكل شيء في الكون شاهد لربه بالوحدانية ، وشاهد على نفسه بالضعف والعجز والفقير والحاجة إلى ربه .

ودلائل التوحيد ظاهرة في كل شيء ، بل هي أبين من كل شيء ، فكل ذرة في الكون ، وكل آية في القرآن ، وكل تدبير وتصريف ، كل ذلك شاهد لله العلي الكبير بالوحدانية ،

والأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ودلائل التوحيد تراها الأبصار والبصائر والعقول مبسوطه في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية . ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها ، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها ، فحسبنا هنا أن نجمع أصولها ، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، من الوحي المنزل ، الذي فيه تبيان كل شيء .

وهذا بيان أصول دلائل التوحيد من كتاب الواحد الأحد ﷻ :

دلائل الخلق .. دلائل التدبير .. دلائل الجلال .. دلائل الجمال .. دلائل الإنعام .. دلائل النظر والتفكير .. دلائل القرآن والشرع .

الأول : دلائل الخلق والإيجاد :

١- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمُرُنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٤].

٤- وقال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

٥- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

[يونس/ ٣].

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون :

١ - قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢٦] ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٢٧] ﴿ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [١٥] ﴿ فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [١٦] ﴿ [الأنعام/ ٩٥-٩٦].

٤ - وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١١] ﴿ [الأنعام/ ٩٩].

٥ - وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٤٠] ﴿ [الروم/ ٤٠].

الثالث: دلائل صفات جلال الرب :

١ - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [٢٥٥] ﴿ [البقرة/ ٢٥٥].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢٧] ﴿ [الزمر/ ٦٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/٥٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ آيِلُ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد/٢-٣].

٥- وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْخِجُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/١٢-١٣].

الرابع: دلائل صفات جمال الرب :

١- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/٣٢-٣٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/٦٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان/٤٨-٥٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل/١٠-١٣].

٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

الخامس: دلائل الإِنعام والإِحسان:

١- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

٥- وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ دِينُكُمْ وَآمَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣].

السادس: دلائل النظر والتفكير:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ ١٩١-١٩٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ أَيَّامٌ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [البقرة/ ٦].

وَأَلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/ ٦-٨].

٥- وقال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا نُرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح / ١٣-١٨].

السابع: دلائل القرآن والشرع :

١- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الإسراء / ٨٨-٨٩].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء / ٨٢].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْمُنُهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر / ٢٣].

٤- وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَكْبُدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس / ٣٤-٣٥].

٥- وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْتَابِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران / ٧].

● حقيقة التوحيد :

حقيقة التوحيد ولبابه أن يرى الإنسان ربه ملك الملوك يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع ، ويأمر وينهى، ويفعل ما يشاء وحده لا شريك له : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف / ٥٤].

ويرى الأمور كلها من الله ، رؤية تقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقات ، ويعبد الله وحده بما شرع، مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن / ١٣].

والتوحيد ألد شيء وأجمله ، وأحسنه وأطيبه ، والشرك أنجس شيء وأقبحه ، وأقذره وأخبثه ، والتوحيد أطيب الطيبات ، والشرك أخبث الخبائث .

والتوحيد حق الله وحده لا شريك له ، فلا يجوز صرفه لغيره .

والتوحيد أحق الحق ، وأعدل العدل ، والشرك أبطل الباطل ، وأظلم الظلم : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان / ١٣] .

ولهذا فإن الله يغفر من الذنوب ما شاء إلا الشرك لمن مات عليه ، لشدة خبثه ونجاسته كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء / ٤٨] .

• فضائل التوحيد :

١ - قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام / ٨٢] .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحديد / ٢١] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥] .

٤ - وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » متفق عليه^(١) .

٥ - وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجُلٌ فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْمُوجِبَاتَانِ ؟ فَقَالَ : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » أخرجه مسلم^(٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣) .

٦ - وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .
أخرجه مسلم ^(١) .

• شروط كلمة التوحيد :

لابد للعبد أن يعلم أن هذه الكلمة حق، وأن ما دلت عليه هو الحق ، ويصدق باطنه بظاهره ، وسره بعلانيته ، وأقواله بأفعاله .

ويشترط لتحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثمانية شروط :

الأول: العلم المنافي للجهل كما قال سبحانه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [١١] ﴿ [محمد / ١٩] .

الثاني: اليقين المنافي للشك كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [١٥] ﴿ [الحجرات / ١٥] .

الثالث: القبول المنافي للرد كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥] ﴿ [النساء / ٦٥] .

الرابع: الانقياد المنافي للترك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٧] ﴿ [الحشر / ٧] .

الخامس: الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [١١٩] ﴿ [التوبة / ١١٩] .

السادس: الإخلاص المنافي للشرك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [٥] ﴿ [البينة / ٥] .

السابع: الاستقامة المنافية للانحراف كما قال سبحانه: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١١٢] ﴿ [هود / ١١٢] .

الثامن: المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة / ١٦٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦) .

• أركان التوحيد :

الله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في أفعاله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في الملك : ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [الملك / ١].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في الحكم : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف / ٤٠].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في العبادة : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف / ١١٠].

• كمال التوحيد :

التوحيد لا يتم ولا يكمل إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل / ٣٦].

وشهادة التوحيد للرب ﷻ شهد بها كل مخلوق، وكل أحد، وكل ذرة في الكون : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وشهادة التوحيد لله بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، أعظم الشهادات وأكبرها وأجلها ، ولهذا شهد بها الله ﷻ ، وملائكته ، وأولو العلم كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران / ١٨].

• لوازم التوحيد :

التوحيد يقوم على أصلين عظيمين هما :

شهادة أن لا إله إلا الله .. وشهادة أن محمداً رسول الله.

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي من العبد ما يلي :

أن يحب الله ، ويحب ما يحبه الله ، ويبغض ما أبغض الله ، ولا يحب إلا في الله ، ولا يبغض إلا في الله ، ولا يعطي إلا الله ، ولا يمنع إلا الله ، ولا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعبد إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ويفعل الطاعات ، ويجتنب جميع المعاصي ، ويأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه : ﴿ يَتَّيِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧] .

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي من العبد ما يلي:

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وحبه وتوقيره ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع : ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْأَمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ءَاتَّعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٨] .

● مكان التوحيد :

اعلم أن محل السمع في الأذن ، ومحل البصر في العين ، ومحل الكلام في اللسان ، ومحل العقل في القلب ، وكلها تصب في القلب العلوم ، وتملؤه بالتوحيد والإيمان ، فتقوم القلوب والجوارح بالطاعة والعبادة حسب تلك المعارف .

والبصر في العين كالبصيرة في العقل ، هذا يبصر المرئيات ، وذاك يبصر المعقولات ، والبصر وسيلة للبصيرة في تقوية التوحيد : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ فَيَأْتِيهِمْ فَيَئُودُونَ بِعَدُوِّهِمْ يَوْمَئِذٍ أَلْفًا عَدِيدًا ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

ومحل التوحيد في القلب اعتقاداً ، وفي اللسان قولاً ، وفي الجوارح عملاً ، وجزاؤه في الدنيا أمناً ، وفي الجنة ثواباً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ﴾ [٣١] ﴿ تَزُلْ مِنْ عَفْوَهِ رَحِيمٌ ﴾ [٣٢] . [فصلت / ٣٠-٣٢] .

وكمال التوحيد وتمامه أن يعلم العبد أن الخلق والأمر في الكون كله بيد الله لا بيد غيره . فلا يرى نفعاً ولا ضرراً ، ولا بسطاً ولا قبضاً ، ولا حركة ولا سكوناً ، ولا هداية ولا ضلالاً ، ولا ظلمة ولا نوراً ، ولا حياة ولا موتاً إلا ويعلم أن ذلك كله الله خالقه ، وهو على مقتضى

العدل والإحسان، والحكمة والرحمة: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦].

• قيمة التوحيد :

التوحيد أعظم نعمة أنعم الله بها على من يشاء من عباده.

والتوحيد جوهرة ثمينة نفيسة ، وهو أعظم شيء في خزائن الله ، فيجب على من أكرمه الله به ، أن يحفظه من الدنس والسرقة ، من النفس والهوى والشيطان : ﴿ أَيُّومَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة / ٣] .

والتوحيد كرامة خاصة من الرب الكريم، يؤتیه الله من يعلم أنه يصلح له، ويزكو به، ويمنعه من يعلم أنه لا يصلح له ، ولا يزكو به .

والتوحيد به صلاح القلوب والأبدان ، والدنيا والآخرة.

فالقلب إذا صلح بالمعرفة والتوحيد والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والتسليم لرب العالمين، ثم صلحت حال العبد، فرضي عنه ربه، وأسعده في دنياه وأخراه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس / ٦٢-٦٤] .

وإذا فسد القلب بالجهل والكفر والشرك ، فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان والفجور: ﴿ إِن فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَافِيَةً مِّنْهُمْ يُدِخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الفصص / ٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه^(١).

فالتوحيد أعظم شيء عند الله ، وأعظم شيء يجب على العبد لله .

وقبول الأقوال ، والأعمال ، وجزيل الثواب ، كل ذلك مبني عليه .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له .

ولعظمة التوحيد ، ومحبة الله له ، ومحبه لأهله ، وحَدَّ اللهُ نَفْسَهُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ، فلا شريك له في ذلك ، ووَحَّدَ نَفْسَهُ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ ، فأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وقَبِلَ ما كان خالصاً له وحده ، وأبطل كل عمل أشرك الإنسان معه فيه غيره : ﴿ وَكَفَدَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر / ٦٥] .
 ووَحَّدَ نَفْسَهُ فِي الشَّرِيعَةِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فلا شرع إلا ما شرعه الله وحده لا شريك له ، وما سواه مردود غير مقبول .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .
 متفق عليه^(١) .

ووَحَّدَ نَفْسَهُ فِي الْمَلِكِ وَالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ، فهو مالك الملك كله ، وله الخلق والأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الاعراف / ٥٤] .

ومن أجل ذلك خلق الله الكون كله لِيُعْرَفَ عِبَادَهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ؛ لِيُوَحِّدُوهُ وَيُعْبُدُوهُ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

• أصل التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بذلك ، وإفراجه بالعبادة التي شرعها .
 فالله خالق كل شيء ، وبيده أمر كل شيء ، وله ملك كل شيء .

خلق الكائنات وحركاتها .. وخلق العباد وأفعالهم .. وخلق الثواب والعقاب .

فهو الذي وفق العبد للإيمان والعمل ، ثم أثابه عليه ، ووفقه للتوبة ، ثم قبِلها منه ، ووفقه للدعاء ، ثم أجابه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات / ١٧] .

وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، ولا يكون شيء إلا بإذنه ومشيئته وعلمه .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) .

والله وحده تفرّد بالخلق والأمر، والهداية والإضلال، والأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

وجميع أفعال الله وأحكامه وقعت منه سبحانه على وجه الحكمة والعدل، والرحمة والإحسان، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُنَ عَمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل / ٩٣].

والله ﷻ رؤوف بالعباد، لم يطرّد عن بابه، ولم يُبعد عن جنبه، من يليق به التقريب والهدى والإكرام: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت / ٦٩].

وإنما طرد من لا يليق به إلا الطرد والإبعاد والإهانة، بعد قيام الحجة عليه، ببيان الحق له، وترغيبه فيه، وتحذيره من الباطل، وترك بعد ذلك الاختيار له: ﴿قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٣٦﴾﴾ [طه / ١٢٣-١٢٦].

• أهل التوحيد :

أهل التوحيد هم كل من وحّد الله بأسمائه وصفاته .. ووحدّ الرب بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير.. ووحدّ الله بعبادته وحده لا شريك له.

وهم صفوة الله من خلقه، وأهل الصفات التي يحبها الله، والتي دعاهم إلى التعبد له بها.

وأهل هذه الصفات الجمالية هم جلساء الخالق يوم القيامة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة / ١٠-١٤].

فأهل الصفات الإيمانية الكاملة، لهم في الجنة نعيم كامل، ورضوان من الله كامل: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢].

• إيمان أهل التوحيد :

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وأن يحسن عبادة ربه .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » قَالَ صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » متفق عليه^(١).

فيؤمن المسلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويثبت له من الأسماء والصفات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ، وينفي عنه ما نفاه الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم .

ويؤمن بخلقه سبحانه لكل شيء ، المتضمن كمال علمه وقدرته ، ومشيئته وحكمته ، ويؤمن بنفوذ أمره في كل شيء ، وعموم ملكه لكل شيء .

ويؤمن بشرعه المتضمن عبادته وحده بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال التي بينها في كتابه ، وشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته .

ويؤمن بملائكته الذين يسبحون بحمده ، ويعملون بأمره ، ويستغفرون لخلقه .

ويؤمن بكتبه التي أنزلها على رسله لبيان الحق ، والعمل به ، ودعوة الناس إليه .

ويؤمن برسله الذين أرسلهم إلى عباده بالحق والدعوة إليه .

ويؤمن باليوم الآخر الذي يجازي فيه الله عباده المؤمنين بالجنة ، ويُعاقب الكفار بالنار .

ويؤمن بقضائه وقدره ، المتضمن كل خير ورحمة ، وحكمة وإحسان ، مع كمال ودوام السمع والطاعة : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ ءِ وَرُسُلِهِ ءِ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءِ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

[البقرة / ٢٨٥] .

• ثواب أهل التوحيد :

الله عز وجل واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولهذا استحق أن يُعبد وحده لا شريك له ؛ لِمَا له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

وذلك يستلزم أن يكون هو المعبود الحق الذي تأله القلوب ، وتخضع له ، وتجبه غاية الحب ، وتعظمه وتكبره ، وتسبحه وتقده ، وتحمده وتشكره : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ

الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٤] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ، ومسلم برقم (٨) واللفظ له .

وإذا عرفت القلوب ذلك أثمر لها في الدنيا ما يلي :

التوكل على الله وحده .. والإنابة إليه .. والسكون إليه .. والطمأنينة بذكره .. وتعظيمه وإجلاله ..
وخوفه ورجاءه .. وخشيته وتقواه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣] .

ويثمر لها كذلك محبة الله ومحبة ما يحب .. والصبر على ما يحب .. والأنس بالله .. والتلذذ
بطاعته .. ورحمة خلقه .. والتسليم لحكم الله .. والتوجه إليه في كل حال .. وعدم الالتفات إلى ما
سواه .. ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

أما ثواب أهل التوحيد في الآخرة فهو أن الله يكرمهم يوم القيامة بشمان كرامات وهي :
دخول الجنة .. ورؤية الرب ﷻ .. والقرب منه .. وسماع كلامه .. والفوز برضوانه .. والنجاة من
النار .. والتلذذ بنعيم الجنة .. والخلود في دار النعيم في ملك كبير .

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْتَّقِيْنَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

٤ - وقال الله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس / ٥٨] .

٥ - وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا
أساور من فضة وسقنهم زههم شرابا طهورا] ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُنْزًا جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإنسان / ٢٠-٢٢] .

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• نواقض التوحيد :

التوحيد ضد الشرك ، كما أن الحق ضد الباطل .

وإذا انتقض التوحيد بطل العمل ؛ لأن التوحيد هو الأصل ، والعمل فرع له ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

ونواقض التوحيد كثيرة ، فيجب على المسلم تجريد التوحيد لربه ، واجتناب ما يبطله أو يكدر صفاه .

ونواقض التوحيد كثيرة ، ويمكن حصر أصولها فيما يلي :

١ - الكفر بالله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة/ ٦] .

٢ - الشرك بالله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء/ ٤٨] .

٣ - النفاق ، بأن يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٥-١٤٦] .

٤ - الردة ، بأن یرتد الإنسان عن الإسلام طوعاً .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّوكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٧] .

٥ - البدعة ، بأن یتبدع في الدين ما ليس منه من البدع المكفرة .

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

٦ - من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم الشفاعة فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُشْرِكُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس/ ١٨].

٧ - من لم يكفر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة/ ٤].

٨ - من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

٩ - من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به ، أو استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآءِآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦].

١٠ - من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/ ١١٥].

١١ - من أعرض عن دين الله تعالى ، لا يتعلمه ولا يعمل به .

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة/ ٢٢].

١٢ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران/ ٢٨].

١٣ - السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفُرًا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ١٠٢].

الباب الثاني

توحيد الله بأسمائه وصفاته

ويشتمل على ما يلي :

- ١- أسماء الله وصفاته كلها حسنى
- ٢- عدد أسماء الله الحسنى
- ٣- إثبات أسماء الله الحسنى
- ٤- أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته
- ٥- دلالة أسماء الله الحسنى
- ٦- أقسام أسماء الله الحسنى
- ٧- حكم التسمي بأسماء الله الحسنى
- ٨- حكم العلم بأسماء الله الحسنى

توحيد الله بأسمائه وصفاته

• أسماء الله وصفاته كلها حسنى :

أسماء الله وصفاته كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، ولها الحسن الكامل التام المطلق، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب.

وأسماء الله كلها حسنى؛ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ.

فهي أسماء مدح وحمد وثناء، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء/ ١١٠].

والله ﷻ لجلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، وإحسانه وإنعامه، لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يُحمد إلا بأحسن المحامد، ولا يُعبد إلا بأحسن العبادات :

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

• عدد أسماء الله الحسنى :

أسماء الله الحسنى وصفاته العلى كثيرة ليس لها حصر، ولا تحد بعدد معين، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها واتصف بها ﷻ، وتقدست أسماؤه.

وأسماء الله كلها حسنى، ولهذا أمرنا الله بالتعبد بها، ودعائه بها.

وأسماء الله ﷻ ثلاثة أقسام :

منها ما استأثر الله بعلمه، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه.

ومنها ما علمه الله بعض خلقه، ولم ينزله في كتابه.

ومنها ما بينه الله في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ .

ولله جَلَّالٌ من الأسماء الحسنى تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها ، وحفظها ، وعمل بمقتضاها ، ودعا الله بها ، أدخله الجنة .

وقد أحصينا بفضل الله منها في هذا المجموع المبارك مائة وستة أسماء ، ذكرناها مقرونة بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة .

نسأل الله سُبْحَانَكَ أن يرزقنا وإياكم معرفتها، وحفظها ، وفهمها ، والتصديق بها، ودعاء الله بها ، وحسن التعلد لله بها .

١- قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » متفق عليه^(١) .

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَ قَلْبِي ، وَتُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي** » أخرجه أحمد^(٢) .

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه -في حديث الشفاعة- أن النبي ﷺ قال: « **ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الشَّأْنِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي** » متفق عليه^(٣) .

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائض فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول: « **اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ** » أخرجه مسلم^(٤) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨) ، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦) .

• إثبات أسماء الله الحسنی :

أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية، فنثبت لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو أثبتته له رسوله ﷺ في سنته.

وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ في سنته.

فلا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نقول على الله بلا علم ، ولا نعمل إلا بما أنزل الله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴾ [النحل / ١١٦ - ١١٧] .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة نؤمن بها كلها. وصفات ربنا أوسع من أسمائه، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله كلها دالة على ذاته .

فكل اسم من أسماء الله الحسنی نشق منه صفة له، وليس كل صفة يؤخذ منها اسم لله ﷻ. فالله وصف نفسه أنه (يرسل وينزل ويكشف ويقلب ويشاء ويريد) ولا يُسمى (بالمرسل والمنزل والكاشف والمقلب والشائي والمريد) لأنه لم يسم به نفسه وإنما وصف به نفسه، فنصفه بذلك، ولا نسميه به.

وليس كل فعل يؤخذ منه صفة لله ، فالله أخبر أنه (يمكر ويكيد ويخدع وينسى ويفتن) ونحو ذلك، فلا يوصف الله بذلك إلا مقروناً بسببه، ولا يسمى به كذلك فلا يقال (الماكر والفاتن) ، بل يُقال يمكر الله بمن مكر بأوليائه، ويكيد من كاد أوليائه، ويخدع من يخادعه ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء / ١٤٢] ، وينسى مَنْ نسيه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة / ٦٧] ، ويُزيغ من زاغ عن الحق ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف / ٥] .

وهكذا في باقي الأفعال المماثلة لا يوصف الله بها إلا مقروناً بسببه.

• أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته :

الإيمان بأسماء الله وصفاته له ثلاثة أركان:

الأول: تنزيه خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، من الأسماء والصفات.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله.

فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه ، لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

• دلالة أسماء الله الحسنى :

أسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات، متباينة في الدلالة على الصفات، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه كالخالق والرزاق والكريم وغيرها من الأسماء الحسنى.

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله، وتدل على صفات متعددة للرب هي الخلق والرزق والكرم وهكذا: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء / ١١٠].

فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف.

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني وصفات الجلال والجمال .

فالحي القيوم، والسميع البصير، والعزيز العليم وغيرها من الأسماء الحسنى ، كلها أسماء لمسمى واحد هو الله ﷻ .

لكن للحي معنى خاص ، وللقيوم معنى خاص ، وللسميع معنى خاص .

فالحي يدل على صفة الحياة، والسميع يدل على صفة السمع، والعليم يدل على العلم وهكذا.

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة ، فهي كذلك متفاضلة في المعاني، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه الله ﷻ في أسمائه الحسنى؛ ليتعبد الخلق بجميع أسمائه الحسنى ،

ويدعونه بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » أخرجه الترمذي وابن ماجه ^(١).

• أقسام أسماء الله الحسنى :

أسماء الله الحسنى من حيث معانيها أربعة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب سبحانه.

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة.

ومن هذه الأسماء: الحي القيوم.. السميع البصير.. العليم الخبير.. القوي العزيز.. العلي الكبير.. وأمثالها.

الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب سبحانه.

والصفة الفعلية: هي كل صفة تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

ومن هذه الأسماء: الخالق، الرزاق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم .. وأمثالها.

فالخالق يخلق إذا شاء، ويرزق من يشاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء: ﴿وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح / ١٤].

[الفتح / ١٤].

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته.

ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح .. وأمثالها.

فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص

والعيوب، وعن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله، المنزه عن الضد والند،

والكفو والمثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى.

ومن هذه الأسماء: العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد .. وأمثالها.

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه.

والمجيد يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وتفرده بالجلال والجمال والكمال .. وهكذا .

وأسماء الله الحسنى من حيث دلالتها قسمان:

الأول: الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة.

وهي كل اسم لا يتعدى أثره فاعله، ولا يجاوزه إلى المفعول به.

ومن هذه الأسماء:

الواحد، الأحد، العلي، العظيم، الكبير، الوتر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن وأمثالها.

فما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن أمرين:

ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ .. وثبوت الصفة التي تضمنها.

فالواحد مثلاً يتضمن إثبات الواحد اسماً لله ، وإثبات الوجدانية صفة له، والعظيم يتضمن إثبات

العظيم اسماً لله، وإثبات العظمة صفة له .. وهكذا في بقية الأسماء.

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية متعددة من الخالق إلى المخلوق، ومن الفاعل إلى المفعول.

ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، المصور، العفو، الغفور، الكريم، الرحيم ، التواب،

الرزاق، السميع، البصير، الرب، الفتاح، اللطيف .. وأمثالها.

وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور:

ثبوت ذلك الاسم لله .. ثبوت الصفة التي تضمنها .. ثبوت حكمها ومقتضاها.

فالرحيم مثلاً يتضمن إثبات الرحيم اسماً لله ﷻ ، وإثبات الرحمة صفة له، وإثبات مقتضاه وهو

أن الله يرحم من يشاء .. وهكذا في بقية الأسماء من هذا النوع.

● حكم التسمي بأسماء الله الحسنى :

أسماء الله الحسنى مختصة به، فله سبحانه الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له، ولا سمي له، ولا مثل له : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[طه / ٨] .

أما تسمية البشر بأسماء الله فعلى وجهين :

الأول: ما كان من أسماء الله عَلماً مختصاً به مثل اسم الله، الخالق، البارئ، المصور، القيوم، الرحمن .. وأمثالها.

فهذه لا يجوز تسمية غيره به؛ لأن مسماها خاص بالله، لا يقبل الشركة، فلا يجوز إطلاقه إلا على الله وحده.

الثاني: ما كان من الأسماء الحسنى له معنى كلي يتفاوت الحكم فيه بين أفراده كالملك، والعزيز، والعلي، والكبير، والرحيم، والكريم، والحكيم، والسميع، والبصير .. وأمثالها. فهذه الأسماء وأمثالها تُطلق على الخالق وعلى المخلوق، ولكل حُكمه ومعناه، فيجوز التسمي به، ولا يلزم من ذلك التماثل.

فما يضاف إلى الخالق منها يليق بعظمته وجلاله، وما يضاف إلى المخلوق منها يليق بالمخلوق وضعفه ونقصه.

● أسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته مثل :

الله ، الإله ، الواحد ، الأحد ، الحق ، الحي ، القيوم ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، وأمثالها .

الثاني : الأسماء الدالة على الملك والقدرة مثل :

الملك ، العزيز ، الجبار ، المهيمن ، القهار ، القادر ، القوي ، الحكيم ، المقدم والمؤخر ، وأمثالها .

الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد مثل :

الخالق ، البارئ ، المصور ، الرزاق ، الوهاب ، الكريم ، البر ، المقيت ، الوهاب ، وأمثالها .

الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة مثل :

السميع ، البصير ، العليم ، الخير ، الرقيب ، الشهيد ، الحفيظ ، المحيط ، وأمثالها .

الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة مثل :

الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرؤوف ، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ،
القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب ، وأمثالها .

السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان مثل :

الهادي ، المبين ، الوكيل ، وأمثالها .

وجميع أسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات ، متعددة المعاني والصفات : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ هُوَ الْأَوَّلُ ۖ هُوَ الْآخِرُ ۖ هُوَ الظَّاهِرُ ۖ هُوَ الْبَاطِنُ ۖ هُوَ الظَّالِمُ ۖ هُوَ الْمَقْتُولُ ۖ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۖ لَا يَأْتِيهِ سِنٌ وَلَا نَوْمٌ ۖ لَئِنْ سَأَلْتَهُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ سَأَلَ عِلْمَهُ مَا فِي رُكُوعِهِ ۖ وَسِعَتْ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّلْغَالِبِينَ ۗ﴾ [طه / ٨].

• أسماء الله وصفاته من حيث وصف الله بها أربعة أقسام :

الأول : ما هو كمال على الإطلاق .

فهذا يسمى الله به ويوصف ، وهو جميع أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن والسنة
مثل :

الله ، الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير ، الغني ، الغفور ، الكريم ، الحكيم ، الحليم ،
العليم ، القدير ، وأمثالها .

الثاني : ما هو صفة كمال ، لكن قد ينتج عنه نقص .

فهذا يوصف الله به ولا يسمى به مثل : (المرید، المتكلم، الشائي) فيوصف الله بأنه يتكلم ،
ويريد ، ويشاء على سبيل الإطلاق ، ولا يسمى بذلك ؛ لأن الكلام والإرادة والمشية قد
تكون بخير أو بشر ، بصدق أو كذب ، بعدل أو بظلم ، بحق أو بباطل .

الثالث : ما لا يكون كمالاً عند الإطلاق ، ولكن هو كمال عند التقييد .

فهذا لا يسمى الله به ، لكن يوصف الله به مقيداً مثل :

الخداع ، والاستهزاء ، والمكر ، والكيد ، والانتقام ، فلا نسمي الله به ، فنقول : الله ماكر
مخادع على سبيل الإطلاق ، لكن نصفه به مقيداً كما ورد فنقول :

الله يمكر بمن يمكر به وبرسوله ، ويخادع من يخادعه ، ويستهزئ بمن يستهزئ به وبرسوله وأوليائه
وهكذا .

الرابع : ما يتضمن النقص على سبيل الإطلاق .

وهذا لا يسمى الله به أبداً ، ولا يوصف به ، مثل :

الخائن ، العاجز ، الضعيف ، الأعور ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فلا يجوز أن يوصف الله بصفة عيب مطلقاً : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

• حكم العلم بأسماء الله الحسنى :

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق ، وأعظم أبواب التوحيد ، وأزكى العلوم وأعلاها ، وأحسنها وأعظمها وأفضلها ؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ .

وهذا العلم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس .. وخير ما سعى في تحصيله الأكياس .. وهو عماد السير إلى الله .. والباب الأعظم لنيل محابه ورضاه .. وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتبه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنیان الدين ، ومتى كان الأساس راسخاً حمل البنيان .

والأقوال والأعمال بنیان الدين ، وسقفه الأخلاق الحسنة .

وأساس كل ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، ومتى كان الأساس قوياً حمل البنيان ، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه .

وإن كان الأساس غير وثيق لم يحمل البنيان ، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله . وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان ، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان .

وأوثق أساس يبني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين :

معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى .. وتجريد الانقياد لله ورسوله .

والقرآن كله بيان لهذا الأساس ، وترسيخ له ، ودعوة إلى إتقانه ، والعمل به .

فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [٥٨]

[الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ أن نتعلم هذا العلم الشريف، ونعتني به ، ونعمل بمقتضاه ؛ لعظم شأنه ، وعلو مقامه ، وكثرة بركاته وخيراته فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِۦً وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٣١﴾ [البقرة / ٢٣١].

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن كثيراً من أسمائه وصفاته وأفعاله ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ ليُعرِّف عباده بها ، ليعبدوه بها ، ويدعوه بها .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إلى الله ، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ؛ لأنها صفات الخالق ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فيجب علينا تعلم هذا العلم الشريف ؛ لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية ، وصفاته الحسنة الجميلة . ولن تستقيم حال البشرية أبداً إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس / ٦٢-٦٤].

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين ، وثبتنا على الصراط المستقيم حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

الباب الثالث

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

ويشتمل على ما يلي :

١ - حكمة خلق الإنسان

٢ - فقه أعمال القلوب

٣ - التعبد لله بأسمائه الحسنى .. ويشمل :

١ - أركان التعبد بأسماء الله وصفاته

٢ - طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته

٣ - مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته

٤ - آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

١ - حكمة خلق الإنسان

الله ﷻ خلق المخلوقات كلها ليظهر قدرته لعباده، ويعرفهم بأسمائه وصفاته، عن طريق آياته ومخلوقاته، وأرسل رسله بكتبه لبيان الحق الذي يعبدونه به، ويتقربون به إليه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، ثم جعله خليفة في الأرض.

وركب الله خلق هذا الإنسان من ثلاثة أشياء:

جسد مادي .. ونفس حيواني .. وروح ملكي.

فجسد الإنسان يخلقه الله في بطن الأم، وفي نفس الإنسان بحار الشهوات، وفي روح

الإنسان بحار الطاعات، والجسد علبة لهما، ومطية للغالب منهما.

والشهوآت ليس لها حد .. والطاعات ليس لها حد.

وأوامر الدين كلها في مقابل شهوات النفس.

فالإنسان أما أن يترك الشهوات بسبب الطاعات، أو يترك الطاعات بسبب الشهوات، ولا

يمكن الجمع بينهما كما لا يمكن الجمع بين الماء والنار.

والله سبحانه خلق الدنيا لقضاء حاجات الإنسان، وتكميل محبوبات الرحمن، وخلق

الجنة لتكميل شهوات الإنسان، ورؤية الرحمن.

والله يريد تكميل محبوباته في الدنيا، والنفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات في

الدنيا، وهذا محل الابتلاء في الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان / ٢-٣] .

فالطاعات من الرب، والشهوآت من النفس، والإنسان إما أن يكون عبداً للرب، أو يكون عبداً

للنفس، ولهذا احتاج إلى مُذَكِّرٍ، فأرسل الله إليه الرسل، وأنزل الكتب؛ ليعرف ربه وما يريد منه.

والله سبحانه يريد من الإنسان في الدنيا تكميل الإيمان والطاعات، وقضاء حاجاته الضرورية من

الأكل والشرب ونحوهما، ثم الله يكمل للإنسان محبوباته وشهوآته في الجنة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

وقد خلق الله هذا الكون العظيم ليعرف عباده بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی .

وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليعرفهم بمحوباته من التوحيد والإيمان والطاعات ، وجزاء ذلك من
النعيم المقيم في الجنة ، ولكن الشيطان أسر أكثر نفوس الخلق ، وزين لهم الشهوات ، وثقل عليهم
الطاعات: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبا / ٢٠].

فجعل الشيطان الشهوات ضرورات ، وشغلهم بها عن الطاعات: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم / ٥٩ - ٦٠].

فالشيطان يريد من كل إنسان أن يكون معه في النار ، والله يريد الإنسان لنفسه ، ليسعد
برضوانه والجنة ، ولهذا يتوب عليه إذا تاب إليه: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء / ٢٧ - ٢٨].

واعلم أن الجسد علة الإنسان وظهره ، والروح حقيقة الإنسان ولبه ، والجسد إذا كانت فيه
الروح كان حياً له قيمة ، ولذلك يكون ملكاً ووزيراً ، وتاجراً وصانعاً ، وعالماً وعابداً ،
وداعياً ومعلماً .

فإذا خرج صاحب الجسد ، وفرغ الجسد من الروح ، صار الجسد لا قيمة له ولا عمل له ،
ولذلك يتعفن في الحال ، ويدفن في التراب الذي خلقه الله منه ، أما الروح فلا تموت ، بل
تبقى الروح الطيبة منعمة ، وتبقى الروح الخبيثة معذبة .

وقد جعل الله الدنيا إناءً للدين ، فلا قيمة للدنيا إلا بالدين ، ولا قيمة للإنسان إلا بالدين ،
فإذا ترك الإنسان الدين ، صار لا قيمة له في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ
أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء / ٧٢].

وقد وهب الله كل إنسان عقلاً يميز به بين ما ينفعه وما يضره ، ويتعرف به على خالقه ، وما
يجب له من العبودية: ﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

وإذا لم يستعمل الإنسان هذا العقل مع الوحي فإنه يضل ويشقى في الدنيا والآخرة ، وتكون حياته أشر وأضل من البهائم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩] .

وقد جعل الله لكل إنسان حياتين:

حياة في الدنيا تنتهي في أي لحظة.. وحياة في الآخرة تبدأ في أي لحظة.. وأرشده إلى ما ينفعه ويسعده فيهما.

فالأولى كالقطرة ، والثانية كالبحر، والأولى فانية ، والثانية باقية.

ومن وفقه الله أثر الباقية على الفانية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت / ٦٤] .

وكل إنسان يسعى إلى تحصيل السعادة بما يملك حسب علمه وفهمه ، ولكنه لا يمكن أن يحصل على السعادة أبداً إلا من طريق الذي خلقه ، ويُنَّ له أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، وذلك بكمال الإيمان والتقوى ، وإشاعة ذلك في العالم كله ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/١٣٨].

وقد أعطى الله عز وجل الأنبياء وهذه الأمة تلك الأسباب ، وأمرهم بها ، وبإبلاغ الناس بها ، والعمل بها ، وحذَّهم من مخالفتها فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل / ٣٦] .

ولتحصيل تلك السعادة في الدنيا والآخرة لا بد للإنسان أن يؤمن بربه.. ويعبده بما شرع .. ويخترق حاجز الكفر والشرك إلى جنة التوحيد والإيمان .. ويخترق حاجز المخلوقات إلى رؤية الخالق وحده .. ويخترق حاجز الدنيا إلى الآخرة .. ويخترق حاجز تكميل الشهوات إلى تكميل أوامر الله .. ويخترق حاجز العادات والتقاليد إلى سنن وآداب الإسلام .. ويخترق جهد جَمْع الأموال والأشياء إلى جهد الإيمان والأعمال الصالحة، وجمَع الناس على الإيمان والحق، بإشاعة الحق في العالم كله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣] .

وبهذا فقط لا بغيره تحصل للإنسان السعادة والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾
 [العصر / ١-٣].

وإذا فهمت هذا فاعلم أن صلاح القلب يتم بثلاثة أمور:
 التخلية .. ثم التزكية .. ثم التحلية.

فنجتهد لتُخَلِّي ونفرض قلوبنا من حب الدنيا، والتعلق بغير الله ؛ لتكون صافية قابلة للتزكية
 بالتوحيد والإيمان ومكارم الأخلاق.

ثم تأتي التزكية بأن نعيش في بيئة الإيمان والصدق والأعمال الصالحة ، حيث لا نرى ولا نسمع ولا
 نقول ولا نعمل إلا ما يحبه الله ورسوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾
 [التوبة/ ١١٩].

ونجافي بيئة الشرك والمعاصي التي تفسد تلك البيئة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ
 عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾
 [الأنعام/ ٦٨].

ثم تأتي التخلية بالفضائل ، بعد التخلي من الرذائل ، وذلك بالعلم والإيمان ، ليدخل التوحيد
 ويخرج الشرك ، ويحل العلم بدل الجهل، وتأتي فينا الطاعات بدل المعاصي، وتظهر فينا
 الأخلاق الحسنة بدل الأخلاق السيئة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].
 وإذا دخل نور الإيمان في القلب ، ظهرت آثاره على الجوارح بالقول الحسن، والعمل
 الحسن ، والخلق الحسن.

وبهذا يكون كمال الإيمان والتقوى الذي أمرنا الله به، ويهتم العبد بأعماله لا بشهواته ،
 فيعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه كما وعده: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
 يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ؕ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾
 [الطلاق / ٢-٣].

وقد خلق الله في العالم نورين لمعرفة الأشياء ورؤيتها، والتمييز بين أنواع الجماد والنبات والحيوان
 والناس.

وهذان النوران هما:

نور خارجي: وهو نور الشمس والقمر والنجوم والمصابيح.

ونور داخلي: وهو نور العين في الإنسان والحيوان.

ولا يمكن أن تحصل الرؤية إلا باجتماع هذين النورين معاً، ومتى فقد أحدهما عُدت الرؤية للأشياء.

ولكن بهذين النورين لا نستطيع أن نميز بين الإيمان والكفر، ولا بين الحق والباطل ، ولا بين الخير والشر، فالإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة لا تظهر بهذين النورين.

فجعل الله الرحيم بعباده لمعرفة ذلك نورين آخرين هما:

نور أنزله الله من السماء وهو القرآن فيه هدى ونور .. ونور آخر أمرنا الله أن نجتهد بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ليأتي في قلوبنا ، وهو نور التوحيد، والإيمان بالله، وأسمائه، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده.

ولا يمكن أن تحصل الهداية للعبد إلا بهذين النورين معا.

نور الإيمان .. ونور القرآن .

ومن أراد الله هدايته هداه إليه بهذين النورين: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٣٥].

وإذا تزين القلب بنور الإيمان والقرآن ، تزين الجسد بصالح الأعمال والأخلاق ، وأبصر الحق من الباطل ، وعرف الخير من الشر ، وأحب الطاعات ، وأبغض المعاصي، وأقبل على عبادة ربه ،

وأعرض عما سواه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومن ليس عنده نور الإيمان ، لا يستفيد من نور القرآن ، ومن قرأ القرآن بدون نور الإيمان ، لم يستفد منه ، وكان عليه حجة: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

٢ - فقه أعمال القلوب

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتعبد له بموجب تلك المعرفة ، أعظم أعمال القلوب؛ لأنها تثمر للعبد تحقيق التوحيد ، وتخلص قلبه من كل شائبة شركية أو بدعية، وتطهر نفسه من كل دنس ومعصية، وتحرك قلبه وجوارحه بعبادة ربه بما يحبه الله ويرضاه.

وأعمال القلوب أشد وجوباً من أعمال الجوارح، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم؛ لأنها واجبة في كل وقت ، لا تنفك عن العبد ما دام حياً .

فلا يدخل أحد في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه بالتوحيد والإيمان .

ولا يتميز المؤمن من المنافق إلا بما في القلب من الإيمان أو الكفر .

وبين عمل القلب وعمل الجوارح تلازم، فلا ينفع أحدهما بدون الآخر، والأصل هو القلب، والبدن فرع له ، مطيع لأمره ، والتكليف عليهما معاً .

فلو تمزق القلب بحب الله والخوف منه ، ولم يتعبد الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة لم ينفعه ذلك .

ولو قام الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة وليس في قلبه حقيقة الإيمان لم ينفعه ذلك: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿الكهف/ ١١٠﴾ .

وزيادة الأعمال الصالحة وحسنها سببه زيادة الإيمان في القلب ، ونقص الأعمال الظاهرة وثقلها سببه النقص في أعمال القلب الباطنة.

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، تقرن بين عمل القلب وعمل الجوارح ، وتثمر التعبد للملك الحق بأحسن ما شرع ، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ .

فالتعبد باسم الله العليم يبعث على التقوى ، وحفظ القلب والجوارح من المعاصي، والمسارعة إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

واعلم أن سير كل أحد على الشواهد، فمن لا شاهد له يقصده فلن يصل إلى مبتغاه أبداً، والله مقصود ، والجنة موعود : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وأعظم الشواهد الدالة على الملك الحق سبحانه أسماء الله وصفاته ، المشهودة في أفعاله ومخلوقاته ، وهي كُوى تنظر منها البصائر إلى عالم الملك والملكوت .

فتشاهد القلوب ذات الله وأسماءه وصفاته ، من خلال آياته ومخلوقاته ، ثم تعامله بما يليق بجلاله وجماله من التعظيم والحب له ، والخوف والخشية منه ، والذل والانكسار بين يديه .

ثم تأمر الجوارح أن تعامله بما يليق بجلاله من أنواع العبادات والأذكار والطاعات .

وهذه المعارف من أجل المعارف ؛ لأنها تثمر التوحيد الخالص الصافي من كل شائبة ، والإيمان الذي يملأ القلب بحب الله وتعظيمه ، والتوكل عليه ، والتسليم لأمره وحده ، فلا إرادة فيه لما حرم الله ، ولا كراهية عنده لما أمر الله ، وتلك حقيقة لا إله إلا الله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

٣- التعبد بأسماء الله الحسنى

• أركان التعبد بأسماء الله وصفاته:

للتعبد بأسماء الله وصفاته ثلاثة أركان:

الأول: الإيمان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

فمن سار إلى الله باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه بكمال الحب والتعظيم والذل له .

فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع، وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره ، و الثناء عليه ، والدعوة إليه .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأفضل السبل لزيادة الإيمان ، وذوق حلاوته ، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد والعبودية .

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه أهل هذه المعرفة ؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جلاله وجماله ناظرون ، وبأوامره يعملون .

إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه .. وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه .. وإن نظروا إلى شدة نعمته خافوه .. وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

الثاني: عبادة الله بما تقتضيه أسماءه الحسنى، وصفاته العلى .

فمن أيقن أن الله هو الأول فوَّض الأمور كلها إليه، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت إلى غيره .

ومن أيقن أن الله هو الآخر أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه وترجع إليه ، فلم يلتفت لأحد سواه .

وهذان الاسمان يوجبان للعبد الاضطرار إليه ، ودوام الافتقار إليه ، فهو الأول المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وهو الآخر الذي ينتهي إليه كل شيء .

ومن أيقن أن الله هو الظاهر قصده وصمد إليه في جميع حوائجه .

ومن أيقن أن الله هو الباطن، عَلم قربه منه ، فاستحيا منه ؛ لكثرة نعم الله عليه ، وكثرة معصيته له ، وأحبه وخاف منه ورجاه ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣] .

وهكذا في بقية الأسماء الحسنى .

الثالث: الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات .

فالله سبحانه يحب أسمائه وصفاته، ويحب أن يتصف الإنسان بموجبها .

فالله شكور يحب الشاكرين .. عفو يحب العافين .. رحمان يحب الرحماء .. مؤمن يحب أهل الإيمان .. وهكذا في بقية الأسماء .

وما كان من أسماء الله وصفاته كمالاً في حقه، نقصاً في حق المخلوق لأنه لا يليق بالعبد ، فلا يجوز الاتصاف بموجبه ؛ لأنه مختص بالله كاسم الله الجبار والمتكبر وأمثالهما .

• طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته :

للتعبد بأسماء الله وصفاته طرق كثيرة أصلها أربعة:

الأول: إحصاء أسماء الله الحسنى بعدّها، وحفظها ، وفهم معانيها ، والتعبد لله بموجبها ، ودعاء الله بها .

فالعلم بها وسيلة إلى التعبد بها ، وفهم معانيها وسيلة إلى معاملة الرب بمقتضاها وثمراتها من الحب لله ، والخوف منه ، والرجاء له ، والتوكل عليه ، والاستعانة به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفق عليه^(١) .

الثاني: النظر والتفكر في آيات الله الكونية .

فجميع المخلوقات في السموات والأرض دالة على عظمة الله ، ناطقة بتوحيده، شاهدة بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، عالمة أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، مستجيبة لمشيئته ،

ومسرعة إلى إرادته: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

الثالث: التفكر في نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

وهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبة الله ، فإن نعم الله على عباده كثيرة مشهورة ليس لها حد ، وكلما عرف العبد نعمه ازداد حباً لله وشكراً له: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] ﴿إبراهيم / ٣٤﴾ .

الرابع: التدبر والتفكير في الآيات الشرعية ، وما فيها من الأخبار الصادقة، والعلوم العظيمة ، والأحكام العادلة، والشرائع الحسنة: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٨٢] ﴿النساء/ ٨٢﴾ .

وهذا باب عظيم يُطلع العبد على كمال عظمة الله ، وكمال رحمته بعباده ، وكمال أوامره وعلمه وأحكامه، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ووعيده.

• مراتب المؤمنين في التبعيد بأسماء الله وصفاته :

الناس يتفاوتون في التبعيد لله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، بحسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، وبحسب تفاوتهم في الذكر والغفلة ، والإيمان والتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٨] ﴿الحديد / ٢٨﴾ .

فهم متفاوتون في التبعيد ، بحسب ما يفتح لهم من مشاهد الإيمان والمعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأوامره وأحكامه.

فمنهم من يأخذ من ذلك بنور ضعيف .. ومنهم من يأخذ كالشمعة .. ومنهم من يأخذ كالقنديل .. ومنهم من يأخذ كالكوكب .. ومنهم من يأخذ كالقمر .. ومنهم من يأخذ كالشمس ، نوره يشع بين الخافتين: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ يَمَا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٣] ﴿آل عمران / ١١٣﴾ .

ومن شرح الله صدره بنور الإيمان ، أراه في ضوء ذلك النور حقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله، وأراه حقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٢] ﴿الأنعام / ١٢٢﴾ .

فيرى المؤمن في ضوء ذلك النور المبين ربه العلي العظيم ، مستوياً على عرشه العظيم ، أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله . ويرى السموات السبع في كف ربه كالخردلة في كف العبد .

ويرى السموات والأرض وما فيها وما عليها وما بينهما من الخلائق تسبح بحمد ربها ، وتشهد بتوحيده ، وتدل على كمال أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه .

ويرى عرش ربه الرحمن محيط بجميع ملكه ، ويرى رحمته وسعت كل شيء ، ويرى علمه محيط بكل شيء ، والله محيط بكل شيء .

فلو أن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السموات والأرض ، قاموا صفاً واحداً ما أحاطوا بالجبار العلي الكبير ﷻ .

ويرى ربه في جماله فوق كل جميل في العالم العلوي والسفلي .

فلو اجتمع جمال الخلائق كلهم في شخص واحد منهم ، ثم أُعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال ، لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ، فلا نسبة بين الخالق والمخلوق أبداً .

ويرى قوة ربه أعظم من كل قوة في الكون .

فلو اجتمعت قوى الخلائق كلها في شخص واحد ، ثم أُعطي كل منهم مثل تلك القوة ، لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى قوة حملة العرش العظيم .

ويرى علم ربه وسع كل شيء ، فلو اجتمع علم الخلائق كلهم في شخص واحد ، ثم أُعطي الخلائق كلهم مثل ذلك ، لكانت نسبته إلى علم الله أدنى من نقرة عصفور من البحر .. وهكذا في سائر أسمائه وصفاته .

فهذا أول مشاهد المعرفة المغذية للقلب ، ثم يرتقي منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به ، وهو مشهد الإلهية .

فيشهد ربه إلهاً عظيماً ، يأمر وينهى ، ويحكم ويقضي ، متجلياً بأمره ونهيه ، صادقاً في وعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى .

ثم يعبد به هذه المعارف بما يحبه ويرضاه حتى يلقاه ، ثم ينكشف له في ضوء هذا النور أحوال اليوم الآخر ، وما فيه من الحشر والحساب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار .

فإذا رأى ذلك علم عظمة ربه ، وكفايته له ، ورحمته به ، وبره به ، وإحسانه إليه ، وحلمه عليه ، فأوجب له ذلك كمال العبودية له بالحب والتعظيم والذل له والتقرب إليه بما شرعه وأمر به .

ثم لا يزال يتقرب إليه بكل محبوب إليه ، بحسب رُقيته في هذه المعارف ، والله يؤتي فضله وعلمه من يشاء : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ

وَمُتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩] .

• آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته :

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ثمرة لجميع الخيرات والبركات العاجلة والآجلة ، ومن أهمها وأعظمها :

١ - عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له :

والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف ربه بالملك والجبروت ، والعظمة والكبرياء، وعرفه بالغنى والإحسان ، والرحمة والطف، وعرفه بالعلم والإحاطة ، والقوة والقدرة ، وعرف أنه السميع البصير ، تضرع إليه بالذكر والدعاء ، والحمد والثناء: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

٢ - محبة الله ﷻ :

ومحبة الله قوت القلوب، وشفاء الصدور، وقرّة العيون، ومن أحب الله أحبه الله ورضي عنه وأرضاه .

فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام ، إلى داعي جلال ربه وجماله، لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها .

وكمال العبودية ثمرة المحبة، والمحبة لله ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه وإحسانه .

ومحبة الله تجذب العبد لطاعة ربه ، وفعل ما يرضيه ، وإطلاق القلب واللسان والجوارح في عبادته والإعراض عما سواه : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران / ٣١] .

٣ - التعظيم والذل لله ﷻ :

فإذا شهد العبد عظمة ربه أفاض على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار ، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لربه .

وأكثرهم سجوداً لربه ، أكملهم معرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن سجد هذه السجدة ، سجدت معه جميع الجوارح ، واكتملت عبوديته، ومن أراد السعادة الأبديّة فليلزم عتبة العبودية لربه العزيز الجبار .

وجميع أبواب الطاعات عليها زحام إلا باب الذل والافتقار إلى الله، فهو أقرب الأبواب وأوسعها، ولا مزاحم فيه؛ لقلّة الداخلين منه .

فادخل منه إلى ربك الملك الحق، يأخذ بيدك إليه، وتكن عبده بين يديه.

٤- الخوف والخشية :

فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وكان له أشد خشية : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [٢٨] ﴿ فاطر / ٢٨ .

٥- اليقين والطمأنينة بالله ﷻ :

فإذا عرف العبد ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، امتلأ قلبه يقيناً ونوراً وإشراقاً، ومحبة لله، وتعظيماً له، وانتفى عنه كل ريب وشك.

وإذا تيقن القلب نزلت فيه السكينة، وحلت فيه الطمأنينة، فزاد إيمانه، وحسنت عبادته: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَّهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [٤] ﴿ الفتح / ٤ .

٦- الرضا عن الله ﷻ :

فمن عرف ربه بعدله، وإحسانه، وحلمه، ورحمته وحكمته، وعرف أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره، والتسليم لأمره ونهيه، لعلمه بأن تدبير الله أحسن من تدبيره، وأحكام الله خير من هوى نفسه، وثواب الله أعظم من عمله، ورحمة الله أرجى من أعماله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۗ ﴾ [البينة/ ٧-٨] .

٧- التوكل على الله وحده :

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله سكن إليه، وتوكل عليه وحده في جميع أموره؛ لعلمه بكمال كفايته، وقيامه بشأن خلقه كلهم، إيجاداً وإمداداً وتديراً.

وكلما كان العبد بالله أعرف كان توكله عليه أقوى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

٨- إخلاص العمل لله ﷻ :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل؛ لعلمه بكماله وغناه عن كل ما سواه، وشدة حاجة الخلق إليه.

ولا يشرك أحد مع الله غيره في عمل إلا لجهله بأسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَدِيقًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ » أخرجه مسلم ^(١).

٩- التوبة والإنابة إلى ربه :

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، سارع إلى طاعته ، وتاب إليه من معصيته ؛ لعلمه بكمال حبه لعبده ، ورحمته به ، وفرحه بتوبته: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء/ ٢٧- ٢٨].

١٠- حلاوة العبادة :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته كانت قرة عينه في مناجاة ربه والأنس به ، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة .

وكلما ازداد العبد معرفة بربه ، ازداد إيماناً وحباً وتعظيماً وحمداً لربه، ووجد حلاوة ولذة في كل ما يحبه ربه ويرضاه ، واستأنس بربه ، واستوحش من كل ما يشغله عنه .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(٢).

١١- الفوز بالجنة ، والنجاة من النار :

فمن عرف ربه عبده بما يحبه ويرضاه ، ثم الله يثبته على دينه في الدنيا، ويكرمه في الآخرة بدخول الجنة ، ورؤيته سبحانه، والقرب منه، وسماع كلامه، والفوز برضوانه، والتلذذ بنعيم الجنة، والخلود في دار المتقين: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

وغير ذلك من الثمرات والحسنات ، والخيرات والبركات .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له .

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنی

العلم بالله ، وأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، أشرف العلوم على الإطلاق .
فمعرفة ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين ، وأزكاها وأحسنها وأعظمها ،
وعبادته بها أحسن الأعمال ، وحمده وتمجيده وتكبيره وتعظيمه والثناء عليه بها أشرف
الأقوال .

وعبادته ، والدعوة إليه ، أحسن الأقوال والأعمال التي يتقرب بها العبد إليه ، وينال ثوابها
بعد القدوم عليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وعلى هذه الأصول العظيمة قامت دعوة الرسل .

فالله ﷻ أرسل رسله إلى خلقه بثلاثة أمور :

تعريف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ليعبدوه وحده لا شريك له ، ويتركوا عبادة ما
سواه ، وتعريفهم بالطريق الموصل إليه ، وهو عبادته وحده بالدين الذي شرعه ، وتعريفهم
بما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته ، من النعيم الذي أجله رؤيته ، ورضاه عنهم :
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [النحل / ٣٦] .

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم ، كانت محبته وخشيته وعبادته له أتم وأكمل ؛ لأن
معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وتقوي محبة الله وتعظيمه في
القلب ، وتثمر أنواع العبادة ، وعظيم الأجر : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ أَعْمَى فَاتِّبِعْهُ إِنَّ الْآيَاتِ لَآفَافًا لِّمَنْ يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

وكلما كان العبد بالله أجهل كان من الله أبعد ، وإليه أكره ، ومن بين خلقه أخسر .

وحياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ، ومحبته ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ فَاطِرَهُ ، وَمَحَبَّتَهُ ، وَتَوْحِيدَهُ ، أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُجَاجِرُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

ومن لم يدخل جنة المعرفة في الدنيا لم يدخل جنة الزخرفة في الآخرة : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۗ ﴾ [الإسراء / ٧٢] .
فألد شيء وأحلاه في الدنيا والآخرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وذكره وحمده وعبادته بما شرع ، بموجب أسمائه وصفاته .

فهل يليق بالعاقل أن يخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس ، وغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها، وقدم على ربه بما يسخطه عليه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۗ ﴾ [الذین ضلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۗ] ﴿ ١٠٤ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۗ ﴾ [ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۗ] ﴿ ١٠٦ ﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٦] .
ومعرفة الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، أجل المعارف على الإطلاق، وأفضل العطايا من الله لعبده؛ لأنها أصل روح التوحيد، ولب الإيمان، وزبدة اليقين: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ ﴾ [محمد / ١٩] .

ومن فتح الله له هذا الباب ، انفتحت له أبواب الدين كلها:
باب التوحيد الخالص .. وباب الإيمان الكامل .. وباب الإحسان .. وبواب العمل الصالح ..
وأبواب الخلق الحسن .. وبواب الأجر العظيم: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۗ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وأحسن السبل إلى هذه المعرفة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، واستحضار معانيها ، وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ، وتتصف بصفاتها .

وإذا امتلأ القلب بهذه المعارف ، جاء فيه حب الله وتعظيمه والذل له ، وحسن عبادته ، ثم انقادت الجوارح معه في فعل كل طاعة لله ، وترك كل معصية لله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبِكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .
 فمعرفة أسماء العظمة والمجد والكبرياء والجبروت والجلال تملأ القلب تعظيماً لله ، وإجلالاً له ، وتكبيراً له .

ومعرفة أسماء الجمال والبر والجود والإحسان واللفظ والرحمة تملأ القلب حباً لله ، وشوقاً له ، وحمداً له .

ومعرفة أسماء العزة والقهر والقوة والقدرة والحكمة تملأ القلب خضوعاً لله ، وخشوعاً له ، وانكساراً بين يديه .

ومعرفة أسماء الغنى والكرم والإحسان تملأ القلب افتقاراً إلى الله ، واضطراباً إليه ، والتوكل عليه في كل حال .

ومعرفة أسماء العلم والخبرة والمراقبة والإحاطة تملأ القلب مراقبة الله في كل حال ، وإحسان العبادة لله ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة ، والإرادات الفاسدة .

وجميع هذه المعارف تزيد الإيمان في القلب ، وتثمر للعبد كمال التعظيم لله ، والذل له ، والحب له ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، والشوق إليه ، والرجاء له ، والخوف منه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والأنس به ، والفرار من الخلق إليه ، وتوحيده وإخلاص العمل له ، وحسن عبادته ، ودخول جنته : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

وكلما قويت هذه المعرفة استنار القلب بنور العلم والإيمان ، ورأى بهذا النور عظمة ربه وجلاله ، وإنعامه وإحسانه ، ولطفه ورحمته ، فعظم إقباله على ربه ، واستسلامه لشريعته ، ولزومه لأمره ، وبعده عن نهيه ، وتجريده لتوحيده .

والله ﷻ يحب أسماء الحسنى ، وصفاته العلى ، ويحب ظهور آثارها في خلقه .

فهو واحد يحب التوحيد وأهله .. عليم يحب العلم وأهله .. جميل يحب الجمال وأهله .. مؤمن يحب المؤمنين .. شكور يحب الشاكرين .. كريم يحب أهل الكرم .. برُّ يحب أهل

البر .. عفو يحب أهل العفو .. رحيم يحب أهل الرحمة .. تواب يحب التوابين : ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

فإنه ﷺ يريد منا تحصيل الصفات التي يحبها ، ومن رحمته أرسل الرسل لدعوة الخلق لتحصيل هذه الصفات التي هي مراد الله من خلقه ، وتوحيده وعبادته بموجب ذلك .

وهو سبحانه الكريم الذي يهب لعباده هذه الصفات، ويجازيهم بالثواب العظيم بحسب ما فيهم من هذه الصفات التي يحبها، ويرغبهم في التبعيد بها بقوله سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣٤] [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤] .

والله ﷻ حكيم عليم لا يفعل ولا يشرع من الأحكام إلا ما هو مقتضى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى .

فأفعاله سبحانه كلها دائرة بين العدل والإحسان، والحكمة والرحمة .

وأخباره كلها حق وصدق .. وأوامره ونواهيها كلها عدل وحكمة .. ورحمة وإحسان .. حكيم رحيم يأمر بكل خير .. وينهى عن كل شر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ٩٠] .

ومعرفة ذلك تورث العبد قوة في الإيمان ، وزيادة في اليقين ، وحمداً للرب ، وصدقا في التوكل على الله ، ورغبة في عبادته وطاعته: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

والله ﷻ يحب أسماء وصفاته، ولهذا أظهر آثارها في جميع مخلوقاته في السموات والأرض ، وفي الدنيا والآخرة .

ويحب كذلك ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه وهو آدم ﷺ وذريته .

وقد خلق الله ﷻ آدم ﷻ على صورته أسماء وصفات .

موصوفاً بأسماء العبودية من ذل وخضوع، وضعف وعجز، وفقير ومسكنة .

وموصوفاً بصفات الربوبية من كبر وعجب ، وفخر وقوة ، ومشية وإرادة .
 فمن علم الله أنه يصلح للهداية والجنة تولاه ، فكفاه شر نفسه ، وهده لاستعمال أسماء
 الربوبية ، وصفات الألوهية ، وفق ما يحبه الله ويرضاه ، مع ربه ، ومع أولياء الله وأعدائه .
 فينسخ عن عبده أسماء وصفات الربوبية مع ربه ، ويوجهها منه إلى أعدائه ، ثم يوجهه
 بصفات الألوهية والعبودية إليه ، ويستعمله بها بين يديه ، من الحب والتعظيم والذل لله ،
 والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من سمات العبودية .
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُونَ
 ذِرَاعاً » متفق عليه^(١) .

فسبحان الملك الحق الرحيم بعباده ، الذي تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات ، ودلّهم
 عليه بأنواع الدلالات ، وفتح لهم إليه جميع الطرقات ، ثم عرّفهم بالصرط المستقيم الذي
 يسرون عليه ، وأمرهم بسلوكه إليه : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
 وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤٤] ﴿ [الأنفال / ٤٢] .

ولله الحمد كثيراً على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة ، ونعمه العظيمة ،
 ودينه الحق : ﴿ فَلَلهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣٧] ﴿ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

وله الحمد كثيراً أن نهج لنا سبيل معرفته ، بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كنهه ، فأكمل
 خلقه معرفة به أعلمهم بأنه لا نهاية لمعرفته ، ولا إحاطة لأحد بأسمائه وصفاته ، ولا إدراك لأحد
 لكنّه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
 ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١٠٣] ﴿ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً أن رفع لنا أعلام الهداية إلى توحيده ، وعليّ وجوده ،
 وعظمة جبروته ، وسعة رحمته ، وكثرة نعمه ، وعظيم فضله ، وعموم إحسانه ، وعظيم بره ،
 وكمال قدرته ، وسعة علمه ، ولطيف حلمه .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٦) ، ومسلم برقم (٢٨٤١) ، واللفظ له .

وذلك بما نصبه سبحانه من آثار صنعه ، وبما أشهدنا من عظمة مخلوقاته، وبما نراه كل يوم من بدائع مخلوقاته، وعظيم آياته في مخلوقاته : ﴿ سَتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت / ٥٣] .

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء كل شيء ، أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأنار لنا الدليل على الإلهية والعبودية ، بما فطر القلوب على الوله له، والحب له، والصبابة بذكره ، والأنس به ، والتلذذ بعبادته: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠] .

وهو سبحانه الملك الحق المبين ، الذي خلق كل شيء بالحق، وأنزل كتبه بالحق، وأرسل رسله بالحق ، وأكرم عباده بالدين الحق: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج / ٦٢] .

وهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء ، الآخر الذي ليس بعده شيء ، الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد / ٣] .

وهو سبحانه القوي الذي له القوة التي لا ترام .. العزيز الذي له العزة التي لا تضام .. الجبار الذي له الجبروت الذي لا يسامى .. الحاكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب .. الملك الذي لا نهاية لمملكه .. الكريم الذي لا نهاية لكرمه .. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر / ٢٣] .

وهو سبحانه الخالق القادر الذي أبدع جميع المخلوقات، البارئ الذي برأ جميع البريات، المصور الذي صور جميع المصوّرات، الجميل الذي أحسن كل شيء خلقه ، الحكيم الذي أحكم الخلق والأمر .

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، القاهر الذي قهر كل شيء ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وهو سبحانه العليم بكل شيء ، الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكايل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد المخلوقات ، وعدد الكلمات ، والأقوال ، والأفعال ، والأنفاس ، والأرواح : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الَّذِينَ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [السجدة / ٦-٧] .

وهو سبحانه علام الغيوب ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، السميع البصير العليم بكل ذرة في ملكه العظيم ، لا توارى منه سماء سماء ، ولا أرض أرضاً ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، ولا ليل ما في ظلمته : ﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١] .

فسبحان الملك الحق ، العليم بخفيات الأمور ، الخبير بما تكنه الصدور ، البصير بمحجوبات الغيوب : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يُعَلِّمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩] .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الذي كل شيء قائم بأمره ، خاضع لسلطانه ، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، العلي الذي كل شيء دونه ، الحكيم الذي أحكم الأمور ، الخبير الذي أثنى كل شيء صنعه ، الفتاح الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من خزائن رزقه ، القريب الذي يسمع ويرى ديبب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان عالم الغيب والشهادة ، العليم الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من رجاءه ، ولا يرد من دعاه ، ولا يعذب من والاه .

هو سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم، وخلق الإحسان في كل محسن: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢] .

وهو سبحانه الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة والجبروت والملكوت والكبرياء ، والجلال والعظمة ، له الحمد كله في الدنيا والآخرة ، على أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ونعمه السابعة ، وإحسانه العظيم ، ودينه القيم : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] [الباقية / ٣٦-٣٧] .

هو سبحانه القوي القادر ، الديان فلا يُدان ، الملك الحق فلا تضرب له الأمثال . له الخلق والأمر كله ، وله الحمد والشكر كله ، ويده الخير كله .

له جل جلاله الأمر النافذ فلا يُبدل القول لديه .. وله الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه .. وله الربوبية المطلقة .. فكل الخلائق مفتقرون إليه .. وله خزائن كل شيء فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِذْنِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] .

هو الملك الحق الذي خضعت المخلوقات لعظمته، وذل الأقوياء لجبروته، وخشعت الأصوات لهيبته ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

فسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته، ودلهم بصفاته على أسمائه، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على كمال ذاته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] . إن معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وظهور آثارها في حياة المسلم ، تجارة رابحة، بل هي أعظم التجارات التي لا تخطر أرباحها العظيمة بالبال .

ومن أرباحها الكبرى في الدنيا:

امتلاء القلب بالتوحيد .. وانسراح الصدر بالإيمان .. وطمأنينة القلب بذكر الله .. والأنس بالله .. ودوام ذكره وشكره .. وحسن عبادته .. وطاعة الله ورسوله .. ومحبة الله ورسوله ودينه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد / ٢٨] .

أما أرباحها في الآخرة فهي:

دخول جنة الفردوس .. والنظر إلى وجه ربنا الكريم .. والقرب من الرب .. وسماع كلامه .. والفوز برضاه .. والنجاة من سخطه وعذابه .. والخلود في نعيم الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].
فما أعظم بركات وأرباح العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فهو الجالب لتعظيم الرب ومحبته.. الفاتح لباب الطاعات والقرب.. الواقي من المعاصي والذنوب .. الدافع للشك والريب .. المعين على الصبر.. السلوان في المصائب .. الحرز الحامي من الشيطان .. المحرك للبدل والعطاء والإحسان: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩] .
فلا إله إلا الله ، لا يحصي ثمار هذه المعارف إلا هو، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها ، واتصف بها، وعبد الله بمقتضاها ، ودعا الخلق إلى معرفتها ، والتعبد لله بموجبها .

وكل اسم من أسماء الله الحسنی يقتضي آثاره من الخلق والأمر .
فاسمه الملك يقتضي ملكاً وتصرفاً، واسمه الخالق يقتضي خلقاً ومخلوقاً، واسمه الرزاق يقتضي رزقاً ومرزوقاً .
واسمه التواب يقتضي توبة تُقبل، واسمه الغفار يقتضي جناية تُغفر .
واسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدىً مهملاً ، لا يؤمر ، ولا يُنهى ، ولا يحاسب .
واسمه السميع يقتضي مسموعاً من مخلوقاته ، واسمه البصير يقتضي مبصرات يبصرها .
وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنی .

وكل اسم من أسماء الله الحسنی له تعبد خاص به ، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر والتفكير في كل اسم وما يقتضيه: ﴿أَفَأَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذُكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦-٨] .

وأكمل الناس عبودية لله من تعبد بجميع أسماء الله وصفاته ، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر .

فلا يحجبه مثلاً التعبد باسم الله القوي القادر ، عن التعبد باسمه الرحيم الحليم، ولا التعبد باسمه البرّ اللطيف ، عن التعبد باسمه العظيم الجبار .. وهكذا.

ولا يحجبه التعبد بصفة العطاء ، عن التعبد بصفة المنع، ولا التعبد بصفة القبض عن التعبد بصفة البسط .. وهكذا.

وهذه طريقة الكَمَل من السائرين إلى الله ﷻ .

وقد أمرنا الله ﷻ بذلك بقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

والدعاء بها يتناول ثلاثة أمور:

دعاء السُّؤال والطلب .. ودعاء الحمد والثناء .. ودعاء التعبد بالاتصاف بها.

وقد فتح الله ﷻ لعباده أبواب معرفته، والتبصر في أسمائه وصفاته.

فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقتين ، وكل منهما باب واسع في معرفة الرب العظيم، والإله الحميد ، وهما:

الأول: النظر والتفكير في مخلوقاته المشهودة في ملكه العظيم ، فهي أدل شيء على أسمائه وصفاته : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/١٠١].

الثاني: النظر والتفكير والتدبر في آياته المتلوة في القرآن العظيم : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَأَمْرًا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد / ٢٤] .

وكل اسم من أسماء الله ﷻ ، وكل صفة من صفاته ، له عبودية خاصة، هي من مقتضياتها ، ومن موجبات العلم بها.

فالمسلم إذا علم تفرد الرب ﷻ بالخلق والأمر ، والنفع والضرر ، والعطاء والمنع ، والإحياء والإماتة ، أثمر له ذلك عبودية التوكل على الله باطناً، ولوازم التوكل ظاهراً : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/١٣].

وإذا علم العبد بجلال الله وعظمته وكبريائه وعلوه على خلقه ، أثمر له ذلك عبودية الخضوع لربه ، والاستكانة إليه ، والمحبة له ، والإقبال على طاعته ، والبعد عن معصيته.

وإذا علم أن الله سميع بصير ، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة، ويعلم السر وأخفى، وعلم رقابته لكل شيء، وشهوده له ، أثمر له ذلك عبودية الإقبال على ما يحبه الله ويرضاه، وخشية الله ومراقبته في كل حال، وحفظ قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله ﷻ. وإذا علم العبد أن ربه غني كريم ، برّ رحيم ، واسع المغفرة ، عظيم الإحسان ، أثمر له ذلك عبودية الرجاء والطمع فيما عند الله، وإظهار افتقاره إليه، وإنزال جميع حوائجه به ، وعدم الركون إلى غيره .

وإذا علم العبد بعدل الله ، وشدة انتقامه وعقوبته ، وغضبه وسخطه على من عصاه، أثمر له ذلك عبودية خشية الله ، والخوف منه، والبعد عن كل ما يغضبه ويسخطه : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٩٨] .

وإذا علم بجلال الله وجماله وكماله ، أوجب له ذلك عبودية خاصة ، هي كمال الحب له، وكمال التعظيم له، وشدة الشوق إلى لقائه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة / ١٥] .

فالعبودية التي يحبها الله ، راجعة بجميع أنواعها إلى مقتضيات أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلى، معرفة وتعبدًا ، ودعاءً وسؤالًا ، وحمدًا وشكرًا .

فيجب علينا لذوق طعم الإيمان، وحلاوة اليقين ، ولذة العبادة أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله لنستفيد من آثارها وثمارها، وذلك باستفراغ الوسع في معرفتها، وحسن التعبد لله بها، وتوفير كل همة في طلب رضاه ، والتقرب إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض، ونشر الحق بين الخلق، والصبر على كل أذى في سبيله وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر / ١ - ٣] .

ولمحببة الله ﷻ لأسمائه وصفاته أمر عباده بعبادته بموجبها ، واجتناب ضدها. فأمرهم بالتوحيد والإيمان ، والعتق والإحسان، والرحمة والمغفرة، والكرم والحلم .. وأمثال ذلك من الصفات المحمودة.

ونهاهم عن ضدها من الشرك والكفر، والشدة والإساءة، والقسوة والظلم، والبخل والسفه وأمثال ذلك من الصفات المذمومة.

وأحب عباد الله إليه من اتصف بالصفات التي يحبها كالإسلام والإيمان والتقوى .

وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها كالكفر والشرك والفجور .
ويستثنى من ذلك ما لا يليق بالعبد أن يتصف به كصفات الكبر والعظمة والجبروت؛
لأنها مختصة بالملك الجبار، فلا تليق بالعبد ، ولا تحسن منه أمام ربه وأوليائه ؛ لمنافاتها
رتبة العبودية والذل للملك الجبار ﷻ .

ولما كان العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أبواب التوحيد ، وأول العلوم ،
وأشرف المعارف، لأنه أساس العبودية ، والعلم به يدعو العبد إلى محبة الله وتعظيمه
وتوحيده وخشيته وتقواه ، وإخلاص العمل له ، ولوجوب معرفة الرب العظيم ، والإله
الكريم الرحيم .

ولتحصل للعبد معرفة المعبود قبل العبادة .. ومعرفة المطاع قبل الطاعة .. ومعرفة
المسؤول قبل السؤال .. ومعرفة الأمر قبل الأوامر .

فتستقر في القلوب عظمة الرب وجلاله، وتمتلئ بمحبته وإجلاله، وتطمئن بذكره
وعبادته، وتنشرح الصدور لامثال أوامره، وتخشع القلوب لهيبته، وتلهج الألسن بذكره
وحمده ، وتنقاد الجوارح لطاعته وعبادته .

ويجتمع باطن الإنسان وظاهره على طاعة مولاه، ويتفق سر الإنسان وعلانيته على حسن
الثناء على ربه ، وحمده وشكره ، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعاً، وأحسنها ثمرة ، وأحلاها طعماً،
وأزكاها تربية، وأفضلها علماً، وأنفسها قيمة، وأرفعها درجة ، وأولها مرتبة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وبهذا العلم تقوم الحجة على الناس، ويسجد الناس لرب الناس : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسَوْنَ ﴾ [الحديد / ١٦] .

وحظ كل مسلم من هذا العلم العظيم بعد توفيق الله وعونه بقدر همته، وطول مثابرته، وصدق
توكله، وقوة رغبته ، وشدة افتقاره لربه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ويهب علمه وحكمته وهدايته: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِيّ إِبْرَاهِيمَ
مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [٧٥ / الأنعام / ٧٥] .

ولأهمية معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، ستقوم بعون الله بإحصاء ما تيسر منها حسب
الإمكان، والتعرف على آثارها ومسالكها في العالم العلوي والسفلي ، مع بيان كيفية التبعيد لله
بها، وذكره ودعائه بألفاظها ، لحمل النفوس على موافقة ربه فيما يحبه ويرضاه، ليعبد المسلم
ربه على بصيرة من أمره، بعد أن كان على بينة من ربه، دون خروج عن حكم الشريعة بغلو أو
تقصير أو ابتداء ، وإن أردت ذلك ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١١٢ / هود / ١١٢] .

وتلك درجات المقربين ، يصلها من زكى نفسه بمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفرغ
قلبه من الشُّبه والآثام، وفرغ نفسه للعلم بها، والتفكر في معانيها، والتعبد لله بها: ﴿ وَمَنْ
تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [١٨ / فاطر / ١٨] .

وأعظم التزكي يتم بكمال الإيمان والتقوى ، بمعرفة أسماء الله وصفاته ، وفعل ما يجب له من
أنواع العبادة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [١٥] ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴾ [١٦] ﴿ وَالْآخِرَةُ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [١٧] ﴿ إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ [١٨] ﴿ صُحُفِ إِبْرٰهِيْمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [١٩] [الأعلى / ١٤ - ١٩] .
واعلم رحمك الله أن كل ما تقدم إنما هو صورة التوحيد ، وألفاظه ، وأقسامه ، وثمراته
وصفات أهله ، ومفاتيح أبوابه .

وكل ذلك لا بد من معرفته، وكل ذلك يشير إلى بستان الإيمان، وينير لك طريق الهداية ،
 ويفتح لك أبواب العلم بالتوحيد.

أما حقيقة التوحيد ، وحقيقة الإيمان ، وحقيقة اليقين، وحقيقة الإحسان، وحلاوة العبادة، ولذة المناجاة،
فلن تذوق شيئاً من طعم ذلك حتى تدخل مع تلك الأبواب إلى بستان التوحيد الأعظم ، وتجنبي بعون
الله من ثماره ما شئت ، وذلك بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وتدبر آيات القرآن
العظيم.

وبهذا وهذا فقط ترى الملك الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ذو العظمة والجبروت
والملكوت والكبرياء ، والجلال والإكرام .

يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويتنقم ممن يشاء .. ويعز من يشاء .. ويدل من يشاء .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .. ولا إله غيره .. ولا رب سواه .

وبهذا يزيد إيمانك، ويصفو توحيدك، فتقول بلسانك وقلبك: ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِرُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك / ١-٢] .

وقد فتح الله لك هذه الأبواب ، فاستعن بالله ، وادخل جنة المعرفة بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، يفتح لك الفتح العليم يوم القيامة أبواب جنات الزخرفة، مع أهل التوحيد والإيمان: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْعَلَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ ﴿٥٠﴾ [ص / ٥٠] .

وفوق ذلك يرضى الله عنك ، ويرضيك ، ويسترضيك: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢] .

وكلما دخلت باباً من أبواب أسماء الله الحسنى ، رأيت نوراً جديداً ، وامتلاً قلبك توحيداً وإيماناً و يقيناً ، وزدت لربك حباً وتعظيماً ، وتسبيحاً وتحميداً .

فواصل المسير لتصل إلى ربك العظيم، وتناجيه وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وتعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وهاهي أبواب التوحيد مفتوحة بين يديك، متوجة باسم الله الأعظم، فادخل تعلم ، وتغنم ، وتؤجر ، وقل: اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا .

« بسم الله الرحمن الرحيم » .. بسم الله خير الأسماء .. بسم الله رب الأرض والسماء .. بسم الله الأول قبل الأشياء .. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء .

بسم الله افتتحت أسماء ربي الحسنى ، وعليه توكلت ، الله ربي ولا أشرك به أحداً ، وأحمده وأستعينه وأستغفره ﴿ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿٨٨﴾ [هود / ٨٨] .

الباب الرابع

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد
لله بها ، ودعاء الله بها

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ١٨- القوي | ١- الله .. الإله |
| ١٩- المتين | ٢- الرب |
| ٢٠- القاهر .. القهار | ٣- الرحمن .. الرحيم |
| ٢١- العليم .. العالم .. العلام | ٤- الملك .. المليك .. المالك |
| ٢٢- القدوس | ٥- الواحد .. الأحد |
| ٢٣- السلام | ٦- الصمد |
| ٢٤- المؤمن | ٧- الأول .. والآخر |
| ٢٥- المهيمن | ٨- الظاهر .. والباطن |
| ٢٦- العزيز | ٩- الحق |
| ٢٧- الجبار | ١٠- المبين |
| ٢٨- الخالق .. الخلاق | ١١- الحي |
| ٢٩- الباري | ١٢- القيوم |
| ٣٠- المصور | ١٣- السميع |
| ٣١- الغني | ١٤- البصير |
| ٣٢- الرزاق .. الرازق | ١٥- العلي .. الأعلى .. المتعال |
| ٣٣- الكريم .. الأكرم | ١٦- الكبير .. المتكبر |
| ٣٤- الحميد | ١٧- العظيم |

بقية أسماء الله الحسنى

٣٥- المجيد	٥٧- الحسيب .. الحاسب
٣٦- الولي .. المولى	٥٨- المقيت
٣٧- الناصر .. النصير	٥٩- الحفيظ .. الحافظ
٣٨- القادر .. القدير .. المقتدر	٦٠- الكافي
٣٩- اللطيف	٦١- الكفيل
٤٠- الخبير	٦٢- الوكيل
٤١- الحكيم .. الحاكم .. الحكم	٦٣- الفتاح .. الفاتح
٤٢- الشكور .. الشاكر	٦٤- الوهاب
٤٣- الحليم	٦٥- الهادي
٤٤- العفو	٦٦- الصادق
٤٥- الغفور .. الغفار .. الغافر	٦٧- الوارث
٤٦- الودود	٦٨- الوتر
٤٧- البر	٦٩- السبوح
٤٨- الرؤوف	٧٠- الطيب
٤٩- القريب	٧١- الجميل
٥٠- المجيب	٧٢- النور
٥١- المستعان	٧٣- الرفيق
٥٢- التواب	٧٤- الشافي
٥٣- الرقيب	٧٥- الحيي
٥٤- الشهيد	٧٦- الستير
٥٥- الواسع	٧٧- المقدم .. والمؤخر
٥٦- المحيط	

أسماء الله الحسنى

الله .. الإله

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف / ٨٤] .

أصول أسماء الله الحسنى ثلاثة وهي :

الله، والرب، والرحمن ، وبقية أسماء الله الحسنى تدور عليها ، وترجع إليها .
فاسم الله متضمن لصفات الألوهية ، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات البر والإحسان .

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة فقال ﷻ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣] [الفاتحة / ٢-٣] .

واسم الله أصل لجميع أسماء الله الحسنى ، وسائر الأسماء مضافة إليه كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وهو مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى .

ولهذا كان أكثر الأسماء وروداً في القرآن، وأضيفت الأسماء إليه ، واقتترنت به عامة الأدعية والأذكار كسبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر وغيرها .

فالله هو الاسم الأعظم للرب ، وجميع الأسماء تعود إليه ، وجميع القلوب مفطورة على التوجه إليه، والإقرار بعظمته، والخوف منه، والرجاء له ، والأنس به ، والحب له ، والفرح إليه ، والذل له ، والافتقار إليه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

والله ﷻ هو الإله المحبوب المودود ، المطاع المعبود ، الحي القيوم ، الذي تأله القلوب

وتحبه وتفرح إليه ؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الله العظيم، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، الذي له من الأسماء الحسنى ،
والصفات العلى ، ما يستحق به أن يوله ويعبد لأجلها، الذي يألهه أهل السماء وأهل الأرض:

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف / ٨٤] .

وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه بحسب معرفتهم به: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ

لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم وفقك الله أن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي الدين كله.

فمن أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وخلق الجنة
والنار، ونصب الصراط والميزان.

ولا إله إلا الله أحسن ما نطق به اللسان ، وأعظم ما قر في القلب .

ولا إله إلا الله أقوى من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، وأثقل من كل شيء .

فلو أن السموات السبع ، والأرضين السبع ، وما فيهن وما عليهن وما بينهن ، وضعت كلها في كفة ،
ووضعت لا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهن لا إله إلا الله .

ولو أن السموات السبع ، والأرضين السبع ، كن حلقة مبهمه ، لفصمتهن لا إله إلا الله .

ولو جاء العبد يوم القيامة بقراب الأرض خطايا ومعه لا إله إلا الله ، وبلغت سيئاته تسعة وتسعين
سجلاً ، كل سجل على مد البصر ، ثم وضعت في الميزان ، لمالت بهن لا إله إلا الله ، وطاشت
السجلات .

ومن كان في قلبه مثقال ذرة من لا إله إلا الله ، أنجاه الله من النار ، وأعطاه جنة مثل الدنيا
عشر مرات .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةِ وَآخِرَ
أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبِوًّا ، يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، يَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ
مَلَأَى ، يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةَ مَلَأَى ، يَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ
الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ » متفق عليه^(١) .

واعلم أنه ما قال (لا إله إلا الله) على الحقيقة التامة سوى الله صلى الله عليه وسلم؛ لعلمه بنفسه، وكبر
شهادته ، ثم الملائكة ؛ لأنهم أقرب خلقه إليه ، ثم الأنبياء والرسل ؛ لأنهم أعرف الخلق بالله،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٦) .

ثم العلماء ؛ لأنهم ورثة الرسل ، ثم عامة المؤمنين: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

فلا إله إلا الله العلي العظيم، وسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

ما ذُكِرَ اسمه على قليل إلا كَثُرَ، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند همٍّ إلا فرَّجه ، ولا عند ضيقٍ إلا وسَّعه .

وما تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة ، ولا ذليل إلا أناله العزة ، ولا مغلوب إلا أيده ونصره ، ولا مضطر إلا كشف ضره .

هو الإله الحق الذي خضعت الرقاب لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وفطر القلوب على تعظيمه ومحبته والذل له: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

هو الله الذي خلق جميع المخلوقات ، ودبر جميع الكائنات ، وقدر جميع المقادير ، وأنعم بجميع الأرزاق: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

وكل من تولاه الله إيجاباً وولاية فهو المؤمن المرضي، ومن لم يتوله الله فهو منسوب إلى الله إيجاباً ، ثم هو منسوب إلى الشيطان الذي تولاه .

فالله ﷻ ولي المؤمنين ، يواليهم بالنصر والعز والثواب؛ لأنهم يوالونه بالإيمان والطاعة والعبادة .

والشيطان ولي الكافرين ، يواليهم ويغريهم بالشهوات، ويزين لهم الكفر والمعاصي؛ لأنهم يوالونه بالطاعة ومعصية الله: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥٧] .

• التبعيد لله ﷻ بهذا الاسم الكريم :

اعلم وفقك الله لطاعته أن المنعم بجميع النعم هو الله وحده لا شريك له، ودافع جميع النقم هو الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَاثِمُ تَجْعُرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣] .

وتذكر أيها العبد أنك كنت معدوماً فأوجدك الله ﷻ ، وكنت جائعاً فأطعمك الله ، وكنت فقيراً فأغناك الله ، وكنت صغيراً فكبرك الله ، وكنت عرياناً فكساك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت جاهلاً فعلمك الله .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » أخرجه مسلم^(١) .

وتذكر رحمك الله أن الله حين أوجدك كرمك ، وفضلك على كثير من مخلوقاته كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء / ٧٠] .

فأعطاك الله السمع الذي تميز به بين الحسن والقيح من الكلام ، لتسمع به ما يحبه ورسوله من القرآن والذكر والعلم .

وأعطاك البصر الذي تبصر به المخلوقات والآيات الدالة على أسمائه وصفاته .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وأعطاك العقل الذي تميز به بين الخير والشر، وتعرف به الحق من الباطل ، لتعبد من يستحق العبادة ، بما شرعه من الحق .

وأعطاك اللسان الذي يترجم عما في القلب ، لتستعمله في ذكره وشكره والدعوة إليه .
وأعطاك الجوارح لتطيع بها ربك ، وتشكر الذي خلقك وعلمك وهداك ، وتخدم نفسك :
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٨] ﴿ [النحل / ٧٨] .

وتذكر رحمتك الله أن الإله الحق ناداك من قبضة اليمين ، وأقطعك في الغيب وسام المسلمين والمؤمنين ، والصالحين والمحسنين ، وشرح صدرك لعبادته دون غيره : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١٧] ﴿ [الحجرات / ١٧] .

فقل الحمد لله الذي عصمك عن عبادة العبيد ، وأعتق قلبك عن الذل لرق العبيد ، ووجه وجهك إلى الله العلي الكبير : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣٧] ﴿ [الجنات / ٣٦-٣٧] .

واضرع إلى الإله الحق الذي عصمك من السجود للصنم، وقضى لك بقدم الصدق في القدم، وأحاطك بأجزاء المنة في دنياك، وسله أن يتم عليك النعمة في أحرارك وقل : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٥] ﴿ [الأحقاف / ١٥] .

ثم اسم بسرّك إلى الأفق المبين ، حبا لمن سمّاك من المسلمين ، وجعلك من المؤمنين ، وجدّ بالرضى من قلبك لما قضاه ربك لك في السراء والضراء ، وفي الشدة والرخاء ، وفي النعمة والبلاء .

فهو الرب الرحمن الرحيم ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الخير بمصالح عباده ، الكريم في عطاءه ، اللطيف في تديبه .

وتوكل على الله وحده تغنم وتسلم وتوَجّر، ولا تتعلق بغيره فتوكل إليه وتخسر .
واعلم رحمتك الله أن من علامات الرضى سرور العبد بالمقدور في جميع الأمور .

فلا تدم شيئا قدره الله، ولا تضجر من مرارة المقادير، وتوالي المكاره، ولا تسأم من التكاليف، ولا تكره البلاء والمصائب : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾
 [البقرة / ٢١٦] .

فاستسلم لقضاء ربك العليم الحكيم ، فإنه أرحم بك من نفسك .
 واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، لا راد لأمره ، ولا
 معقب لحكمه ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً .
 وبهذا يرضى القلب ويسلم ، ويسكن العقل ويستسلم ، وتغتبط النفس بحلاوة التدبير ، وحسن
 التصريف ، والرضى بما يحبه الله ويرضاه .

وأكثر من الاستغفار على فقدان الأدب عند فعل الطاعات ، وسوء الأدب عند فعل
 السيئات ، الذي سببه الجهل بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى .
 واعلم رحمك الله أن الله خلقك على معاني الأسماء والصفات ، وهياك لمعرفة لمحبتة
 لك ، وفرحه بقربك ، ورحمته بك ، لأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحيم
 الذي لا أرحم منه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾
 [الحشر / ٢٢] .

فإذا استعملك الله ﷻ في طاعته ، وبغض إليك معصيته ، فقد اجتباك لنفسه ، وخصك
 بمزيد عنايته ، واستنقذك من شر نفسك : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
 يُنِيبُ ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى / ١٣] .

فإن رقى بك الكريم إلى أن كتب الإيمان في قلبك باليقين التام ، والعلم النافع فقد
 أفلحت ، فارغب إليه في تحقيق العبودية له وحده ، يصطفيك ويربيك تربية خاصة .

فيجعلك من بين خلقه عالماً خاشعاً ، رحيماً لطيفاً ، شاهداً للحق ، شاهداً للرب ، مراقباً
 للحق ، مبيناً للحق ، عاملاً بالحق ، قائماً على العهد ، حافظاً للغيب ، عاملاً بما يرضيه .

ويجعلك عفواً غفوراً ، بَرّاً شكوراً ، صادقاً صبوراً ، حليماً حكيماً ، محسناً كريماً ، طيباً
 طاهراً ، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي يحبها ، يستعملك الإله الحق فيها على

شاکلة العبودية ، فيحبك الله ، ويحبك الناس ، وتربح الدنيا والآخرة : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
 يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٧٣﴾ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[آل عمران / ٧٣ - ٧٤] .

وبهذا يكون الله معك ، يحفظك ويرعاك، يذكرك إذا ذكرته، ويجيبك إذا دعوته، ويعطيك إذا سألته، ويحبك إذا أطعته ، ويزيدك إذا شكرته.

واعلم أن أحب الخلق إلى الله أحسنهم تعبداً بمعاني أسمائه وصفاته ، على سنن التعبد له بالإيمان والإحسان، والعلم والعدل، والعفو والصفح، والرفق واللطف، والكرم والبر، والصدق والصبر، والحلم والستر، والرحمة والمغفرة.

ثم أتركهم منازعة لله في معاني صفات الربوبية كالكبرياء ، والعظمة ، والجبروت ، والعلو ، والقهر ونحو ذلك من نعوت التعالي والجلال والكبرياء.

فإنّ انتحال ذلك يُخرج العبد عن شاكلة العبودية، وبمفارقة العبد شاكلة العبودية يفسد ويهلك ، ويضل ويخسر.

ثم أشدهم حباً لرسول الله ﷺ ، وتحققاً في الاقتداء به ، والعمل بما جاء به : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[المجادلة/ ٢٢].

ومن كمال حب الله دوام ذكره في القلب بالفرح به ، والشوق إليه ، والأنس بمناجاته ، والسكون إليه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

[الرعد / ٢٨] .

وعلامه الأناجى بالله ، إثارة الخلوة به، وبث الشكوى إليه، وحسن الثناء عليه، والانكسار بين يديه ، وشدة الحياء منه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك / ١٢] .

فاجعل أيها الحبيب رأس مالك اليقين، وزادك الفقر، وقوتك التفكير ، ولباسك التقوى ، ومطيتك الصدق، ومصباحك الإحسان، ودولتك حسن الخلق.

واترك التكلف والدعوى في جميع أحوالك ، فذلك أبلغ لك فيما تريد ، وأقرب لعون الله لك ، واقصد الإله الحق ، واتخذة وحده إلهاً ، يغنيك عن كل ما سواه : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب / ٤٨] .

واعلم أنه ليس الشأن أن تحب الله فقط ، بل الشأن كل الشأن أن تحب الله ، ويحبك الله ، ثم ينشر الله محبتك بين أهل السماء والأرض.

ولا يحبك الله إلا إذا آمنت به ، واتبعت رسوله فيما جاء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

واعلم أن (لا إله إلا الله) أول علم يحتاجه الإنسان : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

وبكلمة (لا إله إلا الله) أمسك الله السموات والأرض أن تزولا ، وأمسك السماء أن تقع على الأرض ، وحصل للعباد الإسلام والإيمان ، وبها عُمرت الدنيا والآخرة ، ومن أجلها خلق الله الخلق ، وخلق الجنة والنار .

ومن أجلها أنزلت الكتب ، وأرسلت الرسل ، وشرعت الأحكام .

وهي الموجبة للجنة ، وضدها موجب للنار ، فأكثر من قولها فلا شيء يوازئها ، كلما مرت بسيئة محتها ، وكلما مرت بشبهة أحرقتها ، وكلما مرت بنار أطفأتها .

وإذا ابتليت بالخروج عنها ، أو عن معنى من معانيها ، فقد ظلمت نفسك ، فبادر بالتوبة والرجوع إليها ﴿ وَمَنْ لَمْ يَبْ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات / ١١] .

واعلم أنه بـ (لا إله إلا الله) تُفتح للعباد أبواب الطاعة ، المفضية به إلى جنة الآخرة ، وتُطلق له جوارحه التي يستعملها لطلب مرضاة ربه ، وتُغلق عنه أبواب النار التي جوارحه هي الشوارع إليها .

فلا قول أنفع من قائلها ، ولا عمل أزكى من عمل أهلها ، ولا ثواب أكثر من ثوابها ، وبها تستفتح أبواب الجنة .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، إِلَّا فَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » أخرجه مسلم ^(١) .

ولا إله إلا الله رأس الدين ، وملاكه ، وقوامه ، وسراجه ، وموضع مداره .

وهي أفضل العلم وأزكاه ، وأعظمه وأكبره ، وأحسنه وأكمله ، وأطيبه وأصفاه .

وهي الكلمة الطيبة ، والشجرة الطيبة ، وجميع الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة كلها فروع لها .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤) .

فمتى زَكَتْ زَكَتْ القلوب والأعمال ، ومتى وَهَتْ وَهَتْ القلوب والأعمال : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم / ٢٤ - ٢٥] .

ومدار صلاح القلوب والأبدان وفسادها على وجودها أو عدمها .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه^(١) .

ولا إله إلا الله أفضل الشهادات ، وأعلاها ، وأعدلها ، وأحسنها ، شهد الله بها على نفسه ، وملائكته ، وأولو العلم : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

وهي لمن قالها عالماً وموقناً بها ، مصفية للروح من الكدر ، مروحة للقلب من وهج الشكوك ، منبته لأطيب الأعمال ، وأحسن الأخلاق ، مورثة لأعظم الأجر .

فأكثر من قول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشُّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم^(٢) .

وب (لا إله الا الله) تنال أعظم الحسنات ، وتفوز بأعلى الدرجات .

فاعبد ربك الإله الحق وحده لا شريك له ، وأخلص له الدين والقول والعمل .

واعلم أن كل ما سواه من العرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، وما فيهما وما

بينهما ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار ، وكل نبات وحيوان ، وكل صغير وكبير ، كل

أولئك عبيد ممالك للإله الحق ، شاهدون لربهم بالوحدانية ، قائمون له بالعبودية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحج / ١٨] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

فسبح بحمد ربك العظيم مع كافة المخلوقات ، فهو أهل أن يُعبد ويُحمد : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم^(١) .
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، بسم الله
خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء ، أستدفع كل مكروه أوله سخطك، وأستجلب كل
محبوب أوله رضاك: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .
« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ،
وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا » أخرجه مسلم^(٢) .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ
الْثَنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »
أخرجه مسلم^(٣) .

اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً ، وأشهد جميع خلقك ، وأشهد جميع سكان سماواتك
وأرضك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك
ورسولك .

اللهم اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٨٦) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الرب

قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة / ٢] .

الله ﷻ هو رب العالمين ، ورب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، ومقدر كل شيء ، ومدبر كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الرب الذي له السؤدد ، والعزة والعظمة ، والعلو والكبرياء ، والجبروت والملكوت : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة / ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه الرب الذي أصلح خلقه ، ورباهم بنعمه ، الكافل لهم ، القائم بمصالحهم ، المواليهم بنعمه ، الكثير الخير والإحسان .

وهو سبحانه الرب الحافظ لكل شيء ، القريب من كل شيء ، الرقيب على كل شيء ، البصير بكل شيء ، السميع لكل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي له جميع الأسماء الحسنى ، وله جميع الصفات العلى ، وله المثل الأعلى ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ إِيَّاكَ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، الذي له الخلق والأمر ، والذي استوى على عرشه العظيم ، وتفرد بتدبير ملكه الكبير ، وتولى تربية خلقه في كل حال : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

فهو الرب الحي القيوم ، القائم على كل نفس ، الذي قام به كل شيء ، وإليه المرجع والمآب في كل شيء .

فالخلق كله له ، والرزق كله منه ، والتدبير كله بيده ، ومصير الأمور كلها إليه ، ومراسيم التدبير كلها نازلة من عنده ، تنفذها وتقسمها ملائكته بأمره .

بالعطاء والمنع ، والبسط والقبض ، والرفع والخفض ، والتحريك والتسكين ، والإحياء والإماتة:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمَلِكُ تَوَتَّى أَمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦-٢٧] .

وهو سبحانه الرب القوي العزيز الكريم ، الذي يكشف الكروب ، ويرفع البلاء ، ويجيب المضطر ، ويغيث الملهوف ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/٢٩] .

وهو الرب القادر الذي يخلق ويرزق ، ويبسط ويقبض ، ويعز ويذل ، ويكرم ويهين ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء .

وهو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، ولا مبدل لكلماته: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس / ٣] .

وهو سبحانه الرب الملك الحق ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، خالق كل شيء ، لا يعزب عن علمه شيء ، ولا يخرج عن تقديره شيء ، ولا يفلت من ملكه مثقال ذرة في السموات والأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون / ١١٦] .

وهو سبحانه الرب الذي لا إله إلا هو ، مالك الملك والملكوت ، وملك الملوك ، قيوم الدنيا والآخرة ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

كل شيء خلقه ، وكل شيء سواه عبده ، وهو رب كل شيء: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى / ١٠] .

وهو سبحانه الرب الرحمن الرحيم ، رحمان الدنيا والآخرة ، الذي رحمته وسعت كل شيء ، وعلمه وسع كل شيء ، واسع الفضل ، واسع المغفرة ، واسع الرحمة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر / ٧] .

يرحم من يشاء من خلقه بما يشاء من فضله وإنعامه وإحسانه وإكرامه .

ثم خص أوليائه بإتمام نعمته وإحسانه وخاصة رحمته ، فأنشأ الإيمان والمعرفة في قلوبهم ، وغذاهم بتذكيرهم بعظمته وجلاله وجماله ، وأسمائه وصفاته ، وتعريفهم بدينه وشرعه ، وثوابه وعقابه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٦] .

واعلم أن تربية الرب جل جلاله لعباده نوعان :

الأولى : تربية عامة، وهي تربية الرب ﷻ لكل مخلوق مؤمناً كان أو كافراً، برّاً كان أو فاجراً، إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، بالخلق والتدبير ، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والبسط والقبض كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثانية: تربية خاصة لأوليائه المؤمنين ، حيث رباهم فوفقهم للإيمان به ، وغذاهم بمعرفته ، وأعانهم على عبادته وحب إليهم طاعته ، وكره إليهم معصيته : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ [الحجرات / ٧] .

والله ﷻ هو الرب الحق ، والإله الحق ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، وأحسن كل شيء حكماً ، وأحسن كل شيء تقديراً وتديراً : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين] ﴾ [السجدة / ٦-٧] .

هو الرب المحسن إلى جميع خلقه ، بما أسغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة ، في الدنيا والآخرة : ﴿ رءَاتِكُمْ مِّنْ كُلِّ مَسَآئِمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِلِلْإِنْسَانِ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

كل المخلوقات له .. وكل النعم منه .. وكل خير من لدنه .. وكل الخزائن عنده .

هو الرب حقاً ، الإله حقاً ، المحسن حقاً ، الكريم حقاً ، الملك حقاً .

قوله الحق ، وفعله الحكمة ، وتدبيره العدل ، وعطاؤه الفضل ، وجزاؤه القسط .

فسبحان الرب المحسن إلى جميع خلقه ، الذي لا تبلغ الأوهام تعداد نعمه ، ولا تطمع العقول في إحصاء خلقه وفضله وإحسانه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِلِلْإِنْسَانِ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [النحل / ١٧-١٨] .

فهل يليق بمن لديه مسكة من عقل ، أن يتخذ رباً سواه، أو يعبد إلهاً غيره : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُتَيْنَا قُلْ إِنَّكَ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنعام / ٧١].

والله سبحانه هو الرب الكريم ، الذي غمر الخلق جميعاً بإحسانه وإنعامه ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣] .

وهو سبحانه الرب الملك الحق ، الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، وللبشر بنعمة الدين، وللمؤمن مع ذلك بنعمة الهداية، ودخول الجنة: ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات / ١٧] .

وهو سبحانه الرب المحسن إلى الخلق كلهم بصنوف النعم، ولو غفل عن ذلك الغافلون، ووجد فضله الجاحدون، وأعرض عن شكره الكافرون: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلتَّسْكُنُوا فِيهِ وَالْتِهَارُ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ خَلْقٌ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُوْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ [غافر / ٦١-٦٢].

ومن إحسان الرب الكريم وفضله على الإنسان أن أخرجه من عدم، وصوره في أحسن صورة ، وهي صورة آدم ، أحسن صور العالم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ [غافر / ٦٤] .

ومن إحسانه إلى الإنسان أن خلقه ربه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته، وطرد ولعن من استكبر عن السجود له: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ [الأعراف / ١١] .

ثم أخرج الله الشيطان من الجنة إلى الأرض ، وأمهله بعد لعنته إلى يوم القيامة: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَٰجِعٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر / ٣٤-٣٥].

ومن إحسان الرب ﷻ إلى الإنسان ، أن خلقه في أحسن صورة، وأنعم عليه بفصاحة اللسان، وحسن السمع والبصر، وتمام العقل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨].
 ومن أعظم إحسان الرب إلى الإنسان أن أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه للإسلام، وعلمه كتابه، ويسر له الدين، وأعانته على عبادته، والعمل بما علم، ووفقه لنشر ما علم بين عباده، وزين له كل عمل صالح ، وبغض إليه كل عمل سيء: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

ونعم الله على الإنسان لا يمكن عدها ولا إحصاؤها في النفس والمال ، والرزق ، والولد، والعافية ، والأمن ، والعناية ، والتكريم: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الله كيف يعصي الإنسان ربه بنعمه، ويعرض عنه بقلبه وبدنه، مع عظيم إحسان ربه إليه ، وإنعامه عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْبَرِ ﴾ [الذي خلقك فسودك فعدلك] ﴿ ٦ ﴾ في أي صورة ما شاء ركبك ﴿ ٨ ﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

وكيف يتعلق الإنسان بالفقير العاجز، ويعرض عن الغني القادر: ﴿ فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج / ٤٦].
 واعلم وفقنا الله وإياك لحسن معرفته بأسمائه وصفاته ، أن شأن ربنا عظيم، ومملكه عظيم ، وإحسانه عظيم، لا تحيط بذلك جميع عقول العالمين.

فلو صور ربنا العالم العلوي والسفلي على أحسن صورة رجل واحد، ثم جمع له جميع عقول العالمين من الملائكة والإنس والجن ، وجميع ما خلقه الله ﷻ ، ثم ضاعف ذلك العقل والتميز أضعاف ما خلقه من أعداد الخلائق، ثم ضاعف ذلك أضعافاً مضاعفة، ثم كشف له عن حقائق الأمور، وأظهر له خفي المستور، وأعلمه عواقب المآل، وأطلعه على حكمته وخفي بره في مسالك تدبيره في العالم، لم يزد بذلك إلا إيماناً و يقيناً ، ولم يعلم من حسن ربه وإحسانه ، وعظمة أسمائه وصفاته إلا ما أطلعه عليه عالم الغيب والشهادة:

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩] .

فسبحان الله ، لا يعصيه إلا من جهل أسماءه وصفاته ، ولم يقدر الله حق قدره: ﴿ وَقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وسبحان ربنا الحق الذي خلق الحُسْنَ في العالم كله ، وعم بإحسانه جميع مخلوقاته ، وأوصل بره وإحسانه إلى جميع عباده ، الذي أبدع الحسن والزينة في العالم كله تبصرة وذكرى لعباده: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَابْتَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق / ٦-٨] .

بل النفوس عاجزة عن معرفة ما أعد الله لأوليائه من النعيم في الجنة، فكيف تحيط بأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه: ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان ربنا العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمة.

يرفع ويخفض .. ويعطي ويمنع .. ويسط ويقبض .. ويعز ويذل .. ويحيي ويميت.

يرفع من يشاء بجوده وفضله، ويخفض من يشاء بحكمته وعدله، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم / ٣٢] .

واعلم أنه لا بد للعبد من البلوى التي تميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والطيب من الخبيث: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت / ٢-٣] .

والمرفوع المكرم من رَفَعَهُ ربه بتوفيقه، وهده به بتصديقه، وهده إلى سواء طريقه ، مَنْ كَانَ ، وحيث كان: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [١١]

[المجادلة / ١١] .

والمخفوض حقاً، والخاسر حقاً، من انقطع عن ربه، وأسره عدوه، فتحكّم في قلبه وجوارحه وحياته، فحرم التوفيق، وأدركه الخذلان، وصار من حزب الشيطان: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۝١٠٥ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٠٦﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٦].

وقد أقسم الله بربوبيته على أنه الحق، وأن دينه الحق فقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات / ٢٣].

وسبحان الله كيف ينصرف المشركون عن عبادته وحده، وهم يشهدون أنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، فكما أنه لا رب غيره، فلا إله سواه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤَفَّكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف / ٨٧].

فسبحان ربي العظيم الذي ربي جميع العالمين بنعمه، وخلقهم بقدرته، وأوجدهم بمشيئته، وصوّرهم بإرادته، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما خلق له، وأعدق على عباده نعمه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وتبارك الله رب العالمين، ذو الجلال والإكرام، المتفرد بالعظمة والجلال والإنعام والإحسان، والتصريف والتدبير، على مدى الدهور والأزمان: ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن / ٧٨].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرب :

اعلم وفقك الله أن أول التبعّد باسم الرب ﷻ طلب علمه، ومعرفة مسالكه في العالم العلوي والسفلي، واستعلام سبل مجاريه في المخلوقات كلها خلقاً وتديراً، وتصويراً وتقديراً، وإعداداً وإمداداً: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس / ٣].

فانظر ترى الرب يفعل ما يشاء، والخالق يخلق ما يشاء، والرازق يرزق من يشاء، والهادي يهدي من يشاء، والرحمن يرحم من يشاء، والقهار يقهر من يشاء، والقادر

ينفذ ما يشاء، والحكيم يحكم ما يشاء، والناصر ينصر من يشاء ، والغفار يغفر لمن يشاء: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

فتعلم ذلك كله ، وتعبّد بذلك لربك التعبّد كله، وأفرده بما هو أهله، والزم قدرك، واعرف نفسك ، فهو الرب وأنّ العبد، وهو الخالق وأنّ المخلوق ، وهو الغني وأنّ الفقير ، وهو القوي وأنّ الضعيف: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٤] .

أفرد ربك العظيم بما تفرد به من الكمال، وما اختص به من نعوت التعالي والكبرياء، وما توحد به من العظمة والملكوت، والجلال والجبروت: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر / ٢٣] .

والزم نفسك شاكلة العبودية لربك العظيم ، وذل الافتقار إليه في جميع الأوقات، ووال ربك بالتوحيد والإيمان، وحسن العبادة ، وأكثر من ذكره وحمده وشكره ، واستغفره من كل تقصير ، فذلك شرفك ، وسبيل فلاحك في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٥١] .

واعلم أن معرفة العبد بربه ، وشهوده انفراده بالربوبية من الخلق والأمر ، والملك والرزق والتدبير ، وأن ما شاء كان، ومالم يشأ لا يكون، وأن مقاليد الأمور كلها بيده، كل ذلك يوجب تعلق القلب بالرب وحده، والتوجه إليه، والاستعانة به، وتفويض الأمور كلها إليه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود / ٥٦] .

فقف بين يديه عبداً حامداً خاشعاً ، وكن مع خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً ، تكن من المفلحين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧] .

ربّ نفسك على حب ما يحبه الله، وبغض ما يكرهه الله، وخذ بها إلى سبيل الرشاد، وربّ سواك بالنصح والتوجيه، وحسن التربية والتعليم ، تصلح وتصلح وتؤجر: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴾ [١]

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِأَلْحَقٍ وَتَوَّصُوا
بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه الحسنی ، وصفاته العلی ، ويحب ظهورها في خلقه، ولهذا
أخبرنا الله بها، ودعانا للاتصاف بها.

فهو الرب الكريم الذي يحب الكرم وأهل الكرم، الشكور الذي يحب الشكر وأهل
الشكر، العفو الذي يحب العفو وأهل العفو.

ومقصود خلق الإنسان في هذه الحياة تحصيل الصفات التي يحبها الله ، والاتصاف بها
وعبادة الله بموجبها ، ودعاء الله بها ، ودعوة الناس إليها كما قال سبحانه: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا
رَبِّدِينَ نَبِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فكن ربانياً متصفاً بالصفات الحسنی التي يحبها الله ، يحبك الله والخلق ، من الإسلام والإيمان ،
والإحسان والكرم ، والعفو واللطف ، والرفق والحلم ، والرحمة والحمد وغير ذلك من الأسماء
والصفات: ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعلم رحمك الله أن الله مع المحسنين ، ويحب الإحسان والمحسنين .

فأحسن بما أعطاك ربك من الخير إلى عباده ، وأنفق عليهم مما وهبك من العلم والمال وحسن
الخلق ، ولا تخالف أمر ربك تكن ربانياً: ﴿ وَأَبْتِغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٧٧].

وأحسن عملك كله لربك ، يحبك الله ، ويشيك بأحسن منه: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا
بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

أحسن في علمك ونظرك وتفكيرك ، واصرفه في معرفة ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله ،
ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأحسن صلاتك لربك إذا صليت .. وأحسن صيامك إذا صمت .. وأحسن شهادتك إذا
شهدت .. وأحسن خلقك مع الله وعباده .. وأحسن في أمورك كلها، فإن ربك يحب

الإحسان والمحسنين، ويجزل لهم الأجر والثواب: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء / ١٢٥] .

واعلم أن أعظم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ولتكن من المحسنين مع الرب والخلق .

أحسن عبادتك لربك ، وأحسن إلى الجاهل بالتعليم له ، وأحسن إلى الفقير بالصدقة عليه ، وأحسن إلى غيرك بالهدية له ، وأحسن إلى السفية بالحلم عليه ، وأحسن إلى أئمة المسلمين وعامتهم بالنصيحة ، والموعظة الحسنة ، وأحسن إلى الكفار بالدعوة إلى الله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

ومن أحسن بالخير والعمل الصالح ، أحسن الله إليه بأحسن منه: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس / ٢٦] .

واعلم أن عطاء الرب ﷻ دائر بين العدل والإحسان .

فالعدل هو ما يفعله الرب بحكم الملك والربوبية .

والفضل والإحسان ما يفعله ﷻ بحكم الإحسان والرحمة والامتنان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج / ٦٥] .

والإحسان أحب إلى الله من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والثواب أحب إليه من العقاب .. والعفو أحب إليه من الانتقام .

فكن محسناً كما أحسن الله إليك ، وخذ من الأسماء أحسنها ، ومن الصفات أجملها ، وخذ من الأقوال والأعمال أفضلها وأحسنها، وخذ من العلوم أزكاها وأشرفها، تكن من المحسنين المقربين الفائزين: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة / ١٠-١٢] .

واعلم أن كل إحسان من العبد قبله ومعه وبعده إحسان من الرب الكريم: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن / ٦٠] .

فأحسن التوحيد والإيمان والإخلاص والعمل، وتوكل على ربك الذي بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

واعلم أن من رفع نفسه إلى كل خير بالتوحيد والإيمان ، وصعد بها في مراقبي الطاعات ، ورفعها عن كل دنس وسفل ، رفعه الله في الدنيا والآخرة: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥].

واعلم أن العزة والذلة كلاهما بيد الله ، فهو مالكما في الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء بطاعته ، ويذل من يشاء بمعصيته: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس/ ٦٥].

وعز الدنيا وذلتها معرضان إلى التحول في الآخرة إلى ضدهما: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٢].

وأعز العز وأرفعه يناله العبد بالإيمان واليقين والتقوى والزهد ، والانقطاع إلى ذي العزة والجبروت ، والغناء به عن كل ما سواه: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْعِزَّةُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨].

فسبحان الملك الحق ، الذي يفعل ما يشاء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، وهو على كل شيء قدير .

يعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة .. وينفع بأسباب المضرة ، ويدمر بأسباب المنفعة .. وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويحيي بأسباب الموت ، ويميت بأسباب الحياة: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسبحان الرب الحكيم العليم ، الذي يقدم من شاء إلى الأعمال الصالحة والدرجات العالية ، ويؤخر من شاء إلى ضد ذلك .

واعلم رحمك الله أن إيمانك بالله ربا ، يستلزم إخلاص العبودية له ، وكمال الذل بين يديه ، مع كمال الحب والتعظيم له: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم بأن من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فقد ذاق طعم الإيمان ، ورضي بما يأمره به ربه ، وبما ينهاه عنه ، وبما يقسمه له ، وبما يقدره عليه ، وبما يعطيه إياه ، وبما

يمنعه عنه، وبما يختاره له: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٥١) [آل عمران / ٥١] .

وَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم (١) .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣٣) [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤) [الفرقان / ٧٤] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران / ٨] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٨١) [البقرة / ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَا ءَايَاتِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣٠١) [البقرة / ٢٠١] .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .

أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه (٢) .

اللهم رب السموات السبع ، ورب الأرضين السبع ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، ارحم ذل مقامنا بين يديك ، واغفر ذنوبنا ، ويسر أمورنا ، وخذ بأيدينا إلى ما يرضيك عنا ، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما ذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جارا من شر خلقك أجمعين . عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

الرحمن .. الرحيم

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم بجميع مخلوقاته، الرحمن الرحيم الذي لا أرحم منه. العظيم الرحمة، الذي رحمته وسعت كل شيء، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧]. والله ﷻ هو الرب الرحمن الرحيم، بطن بذاته، وظهر بصفاته، واستعلن بأسمائه، وتجلي بأفعاله، وله الحمد كله على ربوبيته وألوهيته ورحمته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢-٣].

هو الرحمن الرحيم الذي استوى على أعظم المخلوقات وهو العرش، بأعظم الصفات وهي الرحمة، ليعلم عباده أنه الرحمن الرحيم، الذي يحب أن يرحم جميع خلقه، كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه / ٥]. واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه، أن الله أظهر من أسمائه الحسنی ما أظهره لآدم ﷺ يوم علّمه الأسماء كلها.

فإذا كان يوم القيامة أظهر منها قدراً زائداً على مقدار ما أظهره من قبل، على مقدار عظمة ذلك اليوم بالإضافة إلى يوم الدنيا. ثم يُظهر لمحمد ﷺ في دار القرار منها قدراً زائداً على ما أظهره من قبل، على مقدار زيادة تلك الدار على ما قبلها.

ثم يُظهر الرحمن الرحيم لعباده وأوليائه في الجنة، من أسمائه المحجوبة والمكنونة، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

فسبحان الرب الرحمن الرحيم، الذي كتب بمقتضى هذا الاسم على نفسه الرحمة، في كتاب وضعه عنده فوق العرش (أن رحمتي سبقت غضبي): ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام / ٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » متفق عليه^(١).

فكان هذا الكتاب العظيم المبارك عقداً لجميع العالم علوه وسفله، ليمتلئ الكون كله بالرحمة، والعمو، والمغفرة، والحلم، والصفح، والأناة، والتوبة، والإحسان، وحسن المعاملة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر / ٧] .

فسبح بحمد ربك العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الذي حجب ذاته وجلاله وجماله عن خلقه بحُجب النور، التي لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فيهلك كبرياؤه كل كبر، وعظمته كل عظمة، وعزته كل عزة، وكرمه كل كرم، وقدرته كل قدرة، وقهره كل قهر، فكان لا يقوم له شيء، لولا رحمته السابقة باحتجابه عن خلقه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم^(٢).

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه الله ويرضاه أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي، من حصول المنافع والخيرات والبركات، والمحاب والمساو والنعم، فمن آثار رحمة أرحم الراحمين.

كما أن جميع ما صُرف عن العباد من المصائب والمكاره والمضار والمخاوف، والنقم والآلام، فمن آثار رحمة الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج / ٦٥] .

فسبحان الله وبحمده، لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢] .
ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أن أوجد العالم كله متواشج الأرحام، ومتقارب الأصول.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٢)، ومسلم برقم (٢٧٥) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

فجعل برحمته الأعلى يعطف على الأسفل، وجعل الأسفل يتعلق بالأعلى.

وأفقر الخلائق كلها بعضها إلى بعض، فأفقر الأعلى إلى الأسفل، ليؤدي إليه ماله عنده، وأفقر الأسفل إلى الأعلى، ليقبل منه ما به وجوده، ثم أفقر الكل إليه: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

وقد خلق الرحمن الرحيم مائة رحمة، وأنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض، لتكون سبيلاً للتعاطف والرأفة والرحمة، والمودة والحنان، والسكن والتربية والنسل بين المخلوقات كلها، من الإنس والجن والحيوان وغيرهم.

فعاش في تلك الرحمة أهل الأرض كلهم، وتناسلوا وتعاطفوا، وتم عليهم أمر ربهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ فِيهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تَسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرَحِمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه (١).

ورفع الرحمن الرحيم سبحانه أهل الإيمان درجة في ذلك، فتعاطفوا وتراحموا، وتحابوا وتوادوا من أجل الرحمن، فتم لهم أمرهم أوله وآخره، وعاجله وآجله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح / ٢٩].

وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» متفق عليه (٢).

فإذا أراد الله فناء هذه الدنيا وأهلها، قبض عنهم معنى اسمه الرحمن، حتى لا يبقى في الأرض مسلم، وأذن بإقامة القيامة على شرار الخلق، فمقتهم، وقبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض، فيومئذ: ﴿تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج / ٢].

ثم يضيف الرحمن الرحيم هذه الرحمة إلى ما أمسك عنده، لتكون مائة رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٠)، ومسلم برقم (٢٧٥٢)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

فسبحان الرب الرحيم ، الذي يربي جميع مخلوقاته باسم الربوبية، ويوصل إلى جميعهم برحمته من إحسانه ورزقه ولطفه ، بما سبق لهم مقدراً عنده ، ثم يقطع ذلك عنهم بموتهم واحداً واحداً.

فإذا كان يوم القيامة خص برحمته أهل طاعته، وصر فيها عن أعدائه.

واعلم أن الرحمن الرحيم خلق الرحم، والرحم مشتقة من الرحمة، والرحمة صفة الرحمن.

ولما خلق الله الرحم أنزلها إلى الأرض ، فتعلقت بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة.

فما أعظم ثواب صلة الرحم، وما أشد عقاب من قطعها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكَ » متفق عليه ^(١).

وصلة الرحم تزيد في طول العمر، وبسط الرزق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه ^(٢).

فما أعظم رحمة الرب لعباده، فقد ملأ الرحمن العالم كله برحمته ، كما ملأ الكون بنعمه ، وملأ الجو بهوائه، وهو أرحم بالعباد من أنفسهم ، وأرحم من الأم الشفيقة بولدها.

فعلينا أن نملاً الزمان والمكان بذكره وحمده وشكره ؛ ليزكروا في نفسه، ويزيدنا من فضله:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاصلة / ٢ - ٣].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » أخرجه مسلم ^(٣).

واعلم رحمتنا الله وإياك أن رحمة الله نوعان:

رحمة عامة لعموم الخلق بما يسر لهم من سبل العيش والإحسان .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧٨) .

ورحمة خاصة بالمؤمنين بما يسر لهم من الهداية والإكرام كما قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

فكل رحمة في السماء والأرض من إنعام عام وإحسان وإكرام، وإدراك أرزاق، وما هذا سبيله، فذلك عن رحمة الرحمن العامة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر / ٧].

وما كان من الرحمة في معاني الديانة ، ومعاني العناية من أجلها ، فذلك من رحمة الولاية الخاصة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس / ٥٨].

وهذه الرحمة وتلك الرحمة كلاهما بيد الله ، يعطيها من يشاء ، ويمنعها من يشاء ، وهو الفتح العليم: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر / ٢].

ومتى عريت رحمة الولاية من رحمة الرحمانية ، غلب على ذلك اسم الابتلاء والامتحان كما قال سبحانه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء / ٣٥].

ومتى عريت رحمة الرحمانية من رحمة الولاية، غلب على ذلك معنى المكر والاستدراج، نعوذ بالله من عقوباته كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٨٥﴾ [التوبة / ٨٥].

فسبحان الملك الحق ، الذي حكم كل شيء عافية وبلاء ، ورحمة وانتقاماً ، وبسطاً وقبضاً ، وغنى وفقراً: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾ [المائدة / ١٢٠].

وسبحان الكريم الرحمن الرحيم ، الذي كلماته لا نفاذ لها، وخزائنه لا نهاية لها، ويده بالليل والنهار سحَاء بالعتاء: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان / ٢٧].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنوَا عَلَيَّ أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنوَا عَلَيَّ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم^(١).

واعلم وفقك الله لكل خير أن الله كما خلق الخلق خلق صفاتهم ، فأوصافنا وصفاتنا بيده
ومن عنده، يوفق إليها من يشاء، ويسرها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء، وهو العليم الخبير.
وجميع الصفات من قبيل الأعطيات والهبات من الكريم الوهاب، وهي من آثار أسمائه
الحسنى ، وصفاته العلى.

فالإسلام من اسمه السلام، والإيمان من اسمه المؤمن، والهداية من اسمه الهادي،
والرحمة من اسمه الرحمن، والمغفرة من اسمه الغفار، والحلم من اسمه الحليم، والهبية
من اسمه الوهاب، والجمال من اسمه الجميل، والكرم من اسمه الكريم، والشكر من
اسمه الشاكر، والتوبة من اسمه التواب ، وهكذا في بقية الأسماء والصفات.

يَحِلِّي بِهَا مِنْ يَحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَزِينُهُمْ بِهَا ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الصَادِقُونَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الأنعام / ١٦٥].

أما الكفار والمشركون فلهم أسماء بضد ذلك ، مما يكرهه الله ويسخطه ، وينزه نفسه عنه
كالظلم والفساد والمكر والبغي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل / ٩٠].
فهذه هبات وعطايا من الرب الرحمن الرحيم ، منزلة من عند الله ، يهبها لمن يشاء من عباده
حسب علمه وحكمته ، وحسب طلب العبد وسؤاله.

فسل ربك أن يهبها لك، ويدلك على عباده الذين اختارهم لتقفوا آثارهم، وتسلك سبيلهم :
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ
يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ [الفرقان / ٦٣ - ٦٥].

(1) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وبهذه الصفات يُخرج الرحمن الرحيم نسل المؤمنين ، والمتقين ، والمحسنين ، والمهتدين ،
والصالحين، والصادقين ، والذاكرين ، والعابدين: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت / ٣٩] .

وأنواع رحمته ﷻ لا يحصيها إلا هو، وأعظم وأجل أنواع رحمته هي هداية خلقه بواسطة
كتبه ورسوله ، إلى ما يحبه ويرضاه من الدين القيم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس / ٥٨] .

وجميع النعم المخزونة في السموات والأرض ، وجميع النعم الظاهرة والباطنة، وجميع
النعم في الدنيا والآخرة، كل ذلك من آثار رحمة الله .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يعطي عباده النعم، ويعفو عن التقصير في شكرها ،
ويعفو عنهم لضعفهم: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل / ١٨] .

ومن هداه الله إلى الصراط المستقيم فقد رحمه بفضلته وإحسانه.

ومن آثار رحمة الله في الدنيا ، ما يسر للمؤمنين من الهداية إلى الحق ، والأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه للناس، والنصح للخلق ، والإحسان
إليهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فسبحان الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء، فحيثما كان خلقه كانت
رحمته، الرحمن الذي رحمته سبقت غضبه.

وظهرت آثار رحمته في ملكه ومخلوقاته ظهوراً لا يُنكر، حتى امتلأت برحمته أقطار
السموات والأرض ، وامتلأت بها قلوب المخلوقات ، حتى حنّت بها المخلوقات بعضها
إلى بعض، وحنّت بها البهائم على أولادها ، وحنّت بها الطيور إلى أوكارها ، فجميع
الخلق قاعدون على موائد نعمه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

وظهرت آثار رحمته على بني آدم خاصة ، حيث خلق أباهم آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، وجعل ذريته خلفاء الأرض ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب، وكرمهم على غيرهم، وزودهم بالعقول والأسماع والأبصار: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن / ١-٤].

ومن رحمته أن أكرم بني آدم بجميع أنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠]. فسبحان الرحمن الرحيم ، الذي ظهرت آثار رحمته في أمره وشرعه ظهوراً تشهدده الأبصار والبصائر ، ويعترف به أولو الألباب والعقول .

فدينه الحق كله نور ورحمة ، وهدى وشفاء ، موصل إلى أجل رحمة وكرامة في الجنة، ومقرب إلى أعظم مقصود ومطلوب وهو الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ۝٥٥﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرحمن :

اعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن آثار رحمة الرحمن الرحيم مبسوطة في الكون كله، لا تخلو منها ذرة في العالم العلوي والسفلي ، وفي الدنيا والآخرة.

فسل الخير الحق أن يرشدك إلى معرفة أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وآلائه: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان / ٥٩].

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان ، فأحسن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، وكفها عن معصية الله ، وتجميلها بما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف / ٥٦].

وأحسن إلى غيرك ببذل الخير والمعروف له، وارحمه بما أقدرك الله عليه ، من ضال تهديده، أو جاهل تعلمه، أو فقير تطعمه، أو عار تكسوه، أو سفيه تحلم عليه، أو شديد تصبر عليه، أو ضعيف تواسيه: ﴿فَلَا اقْنَحُ الْعُقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ۝١٢ فَكُ رَقَبَةً ۝١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ بَيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد / ١١-١٨].

واعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء ، فارحم أنت كل مخلوق من إنسان وحيوان، ومؤمن وكافر، وبرّ وفاجر، فما أرسل الله نبيك ﷺ إلا رحمة للعالمين، وأنت من أتباعه في الإيمان والأعمال والأخلاق: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] ﴿ [الأنبياء / ١٠٧] .

واعلم أن الله عرّفك باسمه الرحمن الرحيم لتتصف بالرحمة ، وترحم خلقه.

فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » متفق عليه (١) .

واعلم أن الرحمن الرحيم سبحانه شرع لنا من الفرائض والنوافل والواجبات والسنن ما يقربنا إليه، فتقرّب بذلك إلى ربك ؛ لتنال رحمته، فكلما زاد قرب العبد من ربه ، وعظمت طاعته لمولاه ، زاد نصيبه من رحمة ربه: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٣٢] ﴿ [آل عمران / ١٣٢] .

وحَرَّمَ علينا الله سبحانه الكفر، والشرك ، والكبائر ، والقتل بغير حق ، والمعاصي والفواحش، والآثام، وكل ما يبعدنا عنه، ويؤذي ويضر خلقه رحمة بنا.

فابتعد عن كل ما نهى الله ورسوله عنه ؛ لتسلم من شره ، وتنجو من عقوبته ، وتنال أجر تركه : ﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَحُذِرُوهُ وَمَاتَهُكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٧] ﴿ [الحشر / ٧] .

واعلم رحمتك الله أن دين الله كله رحمة وعدل وإحسان ؛ لأنه من الرحمن الرحيم: ﴿ حَرَّ ١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ ﴾ [فصلت / ١-٢] .

وإذا أدخلك الرحمن الرحيم في رحمته ، فجعلك مسلماً فارحماً الناس أجمعين ، وعرفهم بأرحم الراحمين ، وادعهم إلى سلوك الصراط المستقيم.

ارحم الخلق اجمعين ، وأكرم المتقين ، واخفض جناحك للمؤمنين، وأعرض عن الجاهلين : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] ﴿ [الأعراف / ١٩٩] .

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣١٨).

وارحم المساكين ، وعَلِّمِ الجاهلين ، ودُلِّ العباد على ربهم الرحمن الرحيم ، واذكر ما أنعم الله به عليك : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۗ ﴾ [۸] فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴿الضحى / ٦-١١﴾ .

واعلم أن الله خصك برحمته لترحم نفسك وترحم عباده، وتعبده بموجب أسمائه وصفاته. فسله أن يتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، فإنه غني كريم ، يجيب السائلين ، ويعطي الطالبين ، ويهدي الضالين ، ويتوب على التائبين .

وارحم خلقه الذين انقطعوا عنه، أو لم يعرفوه، حَبِّبْ إليهم بيان أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وعرفهم بجزيل نعمه ، وسعة رحمته ، ليحبوه ويطيعوه ، ويؤمنوا به ويعبدوه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وحببهم إلى ربهم ، بدعوتهم إليه ، ليدخلوا في دينه، ويعملوا بشرعه، ويدخلوا في رحمته باتباع رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف / ١٠] .

﴿ رَبَّنَا أَمَّا نَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون / ١٠٩] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١) .

اللهم ياسريع الإجابة والرضى ، يا واسع الرحمة والعطاء ، اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، وارحم مَنْ رَأْسَ مَالِهِ الرَّجَاءُ ، فَإِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تَشَاءُ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

الملك .. المليك .. المالك

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) [الجمعة/ ١].
 وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ (٥٤) ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ (٥٥) [القمر/ ٥٤- ٥٥].
 وقال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) [الفاتحة/ ٢- ٤].
 الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ (١١٦) [المؤمنون / ١١٦].

وهو سبحانه الملك الغني، المالك لكل شيء في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، وما بينهن ، وما فوقهن من العرش العظيم، والكرسي الكبير، والملائكة والروح.

وهو الملك العظيم الذي يملك السموات السبع، والأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن من شمس وقمر.. وكواكب ونجوم.. وليل ونهار.. وسحب ورياح .. وملائكة وأرواح.. وإنس وجن.. وحيوان وطير.. وجماد ونبات.. وتراب وماء.. وبحار وأنهار.. وسهول وجبال، وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه ، أو الوقوف على أحاده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠) [المائدة / ١٢٠].

وهو سبحانه الملك العزيز الجبار، ملك الملوك، ومالك الملك، ومالك الممالك، الذي يملك الملوك والمالكين وما يملكون كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٦) [آل عمران / ٢٦].
 وهو ﷻ الملك الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، ويده كل شيء، ينفق كيف يشاء ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٦١) [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الملك العظيم ، القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، القاهر لكل شيء ، النافذ أمره في ملكه، الذي لا يغلبه شيء ، المتصرف وحده في جميع المخلوقات بلا ممانعة ولا مدافعة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤٤) [الحشر/ ٢٣- ٢٤].

هو الملك القادر الذي يدبر الأمر .. ويصرف الأقدار .. ويقلب الليل والنهار .. ويفعل ما يشاء .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .

يعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويأمر وينهى .. ويعفو ويتنقم .. ويثيب ويعاقب .. ويحيي ويميت .

ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويحكم عباده بأمره وشرعه، ويعمهم بفضله ورحمته:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [١٤]

[الفتح / ١٤] .

وهو سبحانه الملك القدوس السلام ، الرحمن الرحيم، اللطيف بعباده، المتوود إليهم بنعمه وإحسانه، المشفق عليهم مما يضرهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءٌ وَرَحِيمٌ ﴾ [الحج / ٦٥]

[الحج / ٦٥] .

وهو سبحانه الملك الحق المبين، الذي يحكم وحده بين الخلق يوم القيامة، ومن رحمته بالخلق ، أنه مالك يوم الدين وحده ؛ لأنه الملك الذي يحكم بالعدل والإحسان، ويعفو ويصفح، ويغفر ويستر: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان / ٢٦]

[الفرقان / ٢٦] .

وإذا حكم الله بين العباد فلا ظلم ولا جور ولا خوف، بل عدل وإحسان: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر / ١٧]

ومن أطاع ربه الملك القدوس في الدنيا، وعاش في الدنيا عبداً له، فاز بقرب الملك الحق يوم القيامة، وملكه ربه من النعيم ما لا يخطر بباله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

الله أكبر .. ما أعظم ملكه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع حلمه على من عصاه .
فله الحمد على ملكه العظيم، وله الحمد على فضله الكبير، وله الحمد على رحمته الواسعة، وله الحمد على نعمه السابغة ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه، ويكافي مزيده: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ / ١]

[سبأ / ١] .

فسبحان الملك القدوس ، ذي العزة والجبروت والملكوت ، كثير الخلاق والممالك والمماليك، واسع الرزق والمغفرة ، جميل الإكرام والإحسان ، عظيم الملك والقدرة والسلطان: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (٢٣) ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٣].

والله وحده ﷻ هو الملك الذي ملك الملك والملكوت، وله ملك السموات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك عالم الغيب والشهادة : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) ﴿ [طه / ١١٤].
 « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .متفق عليه^(١).
 واعلم وفقك الله لمعرفة أن الله هو الملك الحق الممين.

وملك الله ﷻ لمخلوقاته من ثلاث جهات :
 الأولى : مُلْكُ الخلق والإمساك والإبقاء :

فالله وحده خالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، وممسك كل شيء ، والمبقي لكل شيء : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ (٦٣) ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].
 الثانية : مُلْكُ التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين :

فالله وحده هو الملك القوي القادر ، الذي يتصرف في ملكه كيف شاء بإرادته ومشيئته ، لا راد لأمره ، ولا مالك غيره ، ولا مالك فوقه ، وكل ملك دونه مملوك له ، خاضع لأمره : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَتُخْرِجُ الْمَمَاتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (٢٧) ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].
 الثالثة : مُلْكُ النفع والضر :

فالله وحده هو خالق المخلوقات ، المالك لها ، المتصرف فيها كيف شاء ، فيجعل بقدرته النافع ضاراً ، والضار نافعاً ، وينجي بأسباب الهلاك ، ويهلك بأسباب النجاة ، ويعز بأسباب الذلة ، ويذل بأسباب العزة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ﴿ [الملك / ١] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ، ومسلم برقم (٥٩٣) .

فسبحان الملك الحق، الذي يدبر ملكه العظيم في العالم العلوي والسفلي، ويتصرف فيه بما شاء، على مقتضى حكمته ورحمته، وكل يوم هو في شأن:

يُمَلِّكُ مُلْكًا .. ويعز ذليلاً .. ويذل عزيزاً .. ويذهب بدولة .. ويأتي بأخرى .. ويداول الأيام بين الناس .. ويفعل ما يشاء .. ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسَبِّحْنَا الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس / ٨٢-٨٣].

يرفع أقواماً .. ويضع آخرين .. وينصر مظلوماً .. ويأخذ ظالماً .. ويجيب داعياً .. ويعطي سائلاً .. ويفرج كرباً .. ويكشف غمماً .. ويعفر ذنباً .. ويجبر كسيراً .. ويشفي مريضاً .. ويغني فقيراً .. ويفقر غنياً .. ويؤمّن خائفاً .. ويخيف آمناً .. ويقيل العثرات .. ويستر العورات .. ويقضي الحاجات: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) [الرحمن / ٢٩].

وملكوت الله ﷻ حُسن ملكته لما يملك بحسن التدبير، وجميل الإحسان، وحُسن الخلق، وبديع الإتقان، وعجيب الحفظ، وإتقان الصنع: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ (٢) [الفرقان / ١-٢].

وبمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد علم اليقين.

وبمعرفة حقيقة الملك تحصل له المشاهدة، وهي عين اليقين التي تثمر للعبد كمال التعظيم، وكمال الحب، وكمال الذل للرب ﷻ: ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَاهُ إِذَا نُنَادِيهِمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (٥٨) [مريم / ٥٨].

والخلق في معرفة الملك والملكوت متفاضلون؛ لأنهم في النظر متفاوتون، وفيما قسم الله لهم من أنوار الهداية مختلفون: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) [الرعد / ١٩].

والعقل كالبصر يدرك ما أقدره الله عليه، ويقف عاجزاً عما طوى الله عنه، ولولا إمداد الله له ما قام لشيء، فالعالم أوسع منه، والمُلك أكبر منه، والملكوت أعظم منه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء / ٨٥].

وإنما عَظُمَ قدر العقل بالإيمان الذي به صار الإنسان حياً، فانضافت إليه صفات لم توجد فيه من قبل، فعقل الغيب، وقويت فيه القوة الباصرة والسامعة والعاقلة، واهتدى بإيمانه إلى ربه، وحق له النصر ممن آمن به وصدقه، واستنار له طريق العلم والعمل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة / ٢].

فهو ينظر في الملك والملوك بالنور، ويسمع بالنور، ويتكلم بالنور، ويمشي بالنور: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام / ١٢٢].

وعلى قدر كمال العقل، وقوة نور الإيمان، تكون رفعة العبد، وعلو منزلته عند ربه، والله يختص برحمته من يشاء: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].

واعلم رحمك الله أن كل داخل في الملك والملوك بنظره وفكره وإيمانه لا يرى منه إلا ما أذن الله له في رؤيته، ولا يصف منه إلا ما أذن الله له في وصفه، ولا يعلم منه إلا ما أذن الله له في علمه: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير / ٢٧-٢٩].

والناس درجات في العلم والعمل، والصفات، والكل مُدبر، ولا يستطيع أحد تقدماً ولا تأخراً إلا بإذن الملك المقدم والمؤخر، العليم بكل شيء: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ [الأنعام / ٣٩].

فسبحان الملك العظيم، القادر الحكيم، الذي يسوق المقادير التي قَدَّرَها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ويحبسها في مواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم ^(١).

أحصى الملك الحق كل ذرة في ملكه، وكل كلمة، وكل حركة، وكل نفس. أحصى كل شيء في كتابه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

الله ﷻ هو الملك الحق ، وكل ما سواه عبد .

والمملك الحق هو الله وحده لا شريك له لأمر :

الأول: أن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وصفات الجلال والجمال ، من كمال القوة والقدرة ، وكمال العزة والعظمة، وكمال الكبرياء ، وكمال العلم المحيط ، وكمال الحكمة في الأمور ، ونفوذ المشيئة والإرادة ، وكمال الرحمة والإحسان ، والحكم العام في الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الثاني: أن جميع الخلق في العالم العلوي والسفلي مماليكه وعبيده ، وكلهم فقراء إليه ، مضطرون إليه في جميع أمورهم وأحوالهم : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ ﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥].

الثالث: أن الله وحده هو الملك الحق ، الذي له الخلق والأمر ، يقضي في ملكه بما يشاء ، ويحكم فيه بما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه . وله الحكم في ملكه العظيم تقديراً ، وشرعاً ، وجزاءً .

فجميع الأحكام القدريّة تجري على مقتضى قضائه وقدره ، من خلق وأمر ، وإعداد وإمداد ، وإحياء وإماتة ، وتصريف وتديب : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وله ﷻ جميع الأحكام الشرعية على خلقه، حيث أنزل كتبه، وأرسل رسله، وشرع شرائعه، وأمر خلقه بلزوم دينه وشرعه، وحذرهم من تركه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ [النحل/ ٣٦].

وله ﷻ جميع الأحكام الجزائية على أعمال العباد ، خيرا وشرها ، في الدنيا والآخرة ، فيثب المطيعين له ، ويعاقب العاصين له : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ [الزلزلة/ ٧-٨].

وبعد الحساب يكون الجزاء: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته ورحمته، وكلها من معاني ملكه، وأثار رحمته: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعِ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

واعلم أن هذا الملك العظيم ، والرب الكريم ، والإله الرحيم ، هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

وكل المخلوقات كبيرها وصغيرها ممالك له ، لا تملك مثقال ذرة من الخلق والأمر، وهي لم تكن شيئاً حتى تفعل شيئاً ، فلا يجوز لأحد أن يصرف لها من العبادة مثقال ذرة: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل/ ١٧-٢١].

فما أجهل من يتعلق بالعبيد المخلوقين العاجزين ، ويدعوهم من دون الله، وهم لا يملكون شيئاً ، ولا يسمعون شيئاً: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكْفَرُونَ بِشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبُؤُكُمْ بِمِثْلِ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

واعلم هداك الله لما يرضيه ، أن ربك هو الملك المالك لكل شيء، وعظمته وكبرياؤه لا يقوم لها شيء، وملكه وملكوته ومملكته أعظم من كل شيء.

خلق جَلَّالاً الأرض ، وجعلها محيطة بمن فيها، فلا يستطيع أحد الخروج منها ، وخلق سبحانه السموات السبع ، وجعلها محيطة بالأرضين السبع ، وخلق فيهما وبينهما وفوقهما من الخلائق التي تسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده ، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتِ كُلُّ قَدِّعِلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَيِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ [النور/ ٤١].

وخلق سبحانه الكرسي ، وجعله محيطاً بالسماوات والأرض ، والسماوات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .
 وخلق الله ﷻ العرش العظيم ، وجعله محيطاً بالكرسي ، والكرسي وما أحاط به ، بالنسبة للعرش الكريم كحلقة ملقاة في أرض فلاة .

خلق الله العرش العظيم بقدرته ، وأمسكه بقوته ، واستوى عليه برحمته ، وجعله محيطاً بجميع مخلوقاته ، والله العلي العظيم الكبير مستو عليه ، محيط به ، وهو الغني عنه ، لا يحتاج إليه سبحانه ليحملة ، بل العرش وما دونه محتاج إلى ربه الذي خلقه وأمسكه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فسبحان الملك العزيز الجبار ، الذي خلق السماوات السبع ، والأرضين السبع ، وأمسكها بقدرته وقوته ، فليس لها علائق من فوقها ، ولا دعائم من تحتها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر/ ٤١] .
 وسبحان الرب العلي الكبير ، الذي خلق العرش العظيم ، ورفع فوق مخلوقاته ، فهو سقف العالم كله ، وأمسكه بقدرته ، واستوى عليه برحمته : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [٦] وَإِنْ بَجَّهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه/ ٥-٨] .

والله ﷻ مستو على عرشه العظيم ، يرى كل ذرة في ملكه العظيم ، ويسمع كل شيء في كونه الكبير ، ويعلم كل شيء في العالم العلوي والسفلي : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس/ ٦١] .

ربنا ملك عظيم ، قوي عزيز ، خلاق عليم ، غني كريم ، غفور رحيم .
 يدبر الأمر .. ويخلق ويرزق .. ويعز ويذل .. ويحكم ما يريد .. ويفعل ما يشاء .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويعذب من يشاء .. ويحكم بالعدل .. ويحسن

إلى خلقه.. ويتودد إليهم بنعمه.. ويجيب من دعاه.. ويعطي من سأله.. ويعفر لمن استغفره : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ [الرحمن / ٢٩] .

فسبحان الملك الحكيم ، القدوس السلام ، الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، وأظهر لنا من السموات واحدة وأخفى ستاً ، وأظهر من الأرضين واحدة وأخفى ستاً ، حتى يترك القرآن موضع بيان للرسول ﷺ ، ويترك القرآن والسنة موضعاً للنظر والتفكر من البشر ، الذي يصلون منه إلى العلم بالرب ، ثم العبادة للواحد الأحد : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّهُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

وأُنزل سبحانه من الوحي المحكم والمتشابه ، وأخبر بالغيب والشهادة ؛ ليدل به على كمال علمه ، ويظهر به مقدار جهل الخلق ، وقصور علم البشر ، ويتليهم بما تجهله نفوسهم ، ولا تدركه عقولهم ، ولا تراه أبصارهم ، وليدل به على أنه سبحانه وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

واعلم أن ما لا يدركه الإنسان بنور البصر ، ولا يحصّله بنظر العقل ، يدركه بنور الوحي والإيمان .

ولهذا أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، ليضيف للعباد علوماً تسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١١٤﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

ثم اعلم رحمك الله أن الآخرة لما كانت أكبر من الدنيا ، والدنيا قطعة من الآخرة ، غير أنها صغيرة من كبير ، وقليل من كثير ، وفانية من باقية ، نقل منها إلى هذه ما يذكر بتلك : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ [الحديد/ ٢٠] .

ولعظمة جنة النعيم وسعتها وحسنها وأبديتها مدحها الله ، ورغب فيها عباده ، وجعل أسباب الوصول إليها أسهل ، وطرق تحصيلها أيسر ، رحمة من ربك الملك العزيز الوهاب ، الكريم

الرحمن : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧١-٧٢] .

ولشدة عذاب جهنم ، وضيقها ، وظلمتها ، وأبديتها ذمها الله ، وحذر منها ، وحرم علينا الأعمال التي تكون سبباً في دخولها رحمة بنا ، وتوعد من عصاه بدخولها : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة / ٦٨] .

فسبحان الملك الحق ، الذي يملك كل مخلوق ، الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء ، العزيز الذي قهر بعزته الجبابرة ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، القوي الذي له القوة كلها ، الخالق الذي خلق كل شيء .

وسبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة ، والمجد والجلال .
 ما أكبر ملكه .. وما أكثر ممالিকে .. وما أعظم سلطانه .. وما أوسع رحمته .. وما أحسن أسمائه وصفاته .. وما أجمل كرمه وإحسانه .. وما أشد بطشه وانتقامه .. وما أجدره من عبيده بأحسن التحيات ، وأزكى الصلوات والطيبات : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس / ٣] .

واعلم نور الله بصرك وبصيرتك أن الخالق سبحانه قد جمع في ظاهر المخلوقات وباطنها معاني عالم الغيب والشهادة ، ليستدل العاقل بالمخلوق على الخالق ، وبالصغير على الكبير ، وبالعاجز على القادر ، وبالغني على الفقير ، وبالفاني على الباقي ، وبالعييد على الملك : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رُفُوفًا وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ قُرُوبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٣٣﴾ [الذاريات / ٢٠-٢٣] .

ومتى تعذر عليك هذا العلم ، وأقفل دونك باب النظر ، وحُجب عنك باب الفكر ، فاعلم أنك تعيش مع الصور دون المصور ، وترى النعم دون المنعم ، وتتعلق بالمخلوق دون الخالق ، وهذا أعظم الحرمان ، وأكبر الخسران ؛ لأنك عرفت العبيد ، ولم تصل إلى الملك الذي يملك العبيد .

فأعد النظر والتدبر ، وأكثر من التوبة والاستغفار لعلك تُهدى فترقى ثم تُعطى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/٦-٨] .

واعلم رحمتنا الله وإياك ، أن ربنا هو الملك الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . هو سبحانه الرب الذي لا أول له ولا آخر ، هو أول الأولين ، وآخر الآخرين .

هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ : يَسُبُّ ابْنَ آدَمَ الدَّهْرُ وَأَنَا الدَّهْرُ » متفق عليه ^(١) .

فسبحان الملك الحق ، الذي لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، الذي يدبر ملكه ، ويحسن إلى عباده على مدى الدهور والأزمان .

أرسل الأنبياء والرسل إلى كل أمة ، وبعثهم إلى عباده برسالاته ، وأنزل كتبه بشرائعه : ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا اللَّهَ بِعِبَادِهِمُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِرَبِّهِمْ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النحل/٣٦] .

واعلم أن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ عرّف جميع مخلوفاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وكل ذرة في ملكه في الأزل ، بعظمته وكبريائه ، فأقرت بتوحيده ، وأذعنت لعظمته ، وسبحت بحمده ، ورهبت من خشيته : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/٤٤] .

فسبحان من استجابت جميع المخلوقات لعبادته ، وأذعنت لطاعته : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد/١٥] .

ولما كان من كمال حكمة الملك العلام خلق الأضداد ، خلق المجبور والمختار وهو الإنسان ؛ ليعلم من يأتي إليه ، ويؤمن به ، وهو قادر ألا يؤمن ، ممن يكفر به ، ويفر منه . ولهذا رمى سبحانه الروح بالنفس .. ورمى العقل بالهوى .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦) ، واللفظ له .

وقابل العلم بالجهل .. والإيمان بالكفر .. والصدق بالكذب .. والحق بالباطل .. والذكر بالنسيان .. والإجابة بالإباء .. والهداية بالضلالة .

فقابل ابتلاءً وامتحناً كل صفة محمودة بضدها مذمومة، فَضَلَّ عن الحق من شاء الله أن يضل ، واهتدى إليه من شاء الله أن يهتدي ، وأعرض عن ذكره من شاء الله أن يعرض : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٦] .
فكل أحد يختار ويعمل على شاكلته ، حسب فطرته الأولى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

ولكن الرب البر الرؤوف الرحيم عطف على الإنسان بعظيم فضله ، وعذره بكريم رحمته ، فأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب بالحق من عنده، وسنَّ له السنن، وشرع له الشرائع ، وبيَّن له الحق من الباطل، وبصَّره بآياته الكونية وآياته الشرعية .

فوجد المؤمن مرتقى سهلاً فارتقى ، وتاب إلى ربه وأناب ، وعاد إلى فطرته الأولى ، وهداه ربه الكريم إلى صراطه المستقيم : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١١١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ. وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١١٣] ﴿ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فإن عثر بزلة تبعده عن ربه أقال الكريم عثرته بالتوبة، وقَبِلَ معذرتَه، وغفر له زلته : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٩] ﴿ [المائدة/ ٣٩] .

أما الكافر فَضَلَّ وأعرض عن هدى ربه، وكذَّبَ رسله، ولم يتفجع ببصره ولا بصيرته، واتبع هواه، وشهوات نفسه، فخرس. وضل وأضل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [١٠٤] أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا [١٠٥] ﴿ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥] .

فما أعظم رحمة الله بعباده ، حيث قرن شهادة التوحيد التي أخذها عليهم في بدء الخلق، بشهادة الرسالة المتجددة على مدى القرون ، حتى ختمها ببعثة سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

وختتم الرسالات برسالة سيد الخلق ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة / ٣٣].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق كما يرسل الرياح بمشرات بالماء والغيث، ومنذرات بالصواعق والعذاب، كذلك يرسل الرسل إلى عباده مبشرين بالثواب لمن أطاعه، ومنذرين بالعقاب لمن عصاه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة / ٢١٣].

والرسول الذي يحمل الرسالة بما فيها من العلم والهدى بمنزلة السحب التي تحمل الماء والغيث للخلق: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

والماء الذي ينزله الله من السماء يغسل الأرض ويطهرها، وينبت فيها من كل زوج بهيج، وكذلك الوحي الذي ينزله الله إلى عباده يغسل الذنوب ويطهرها من السيئات، وينبت في النفوس التوحيد والإيمان، والأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة.

والملك الحق يمتن على عباده بهذا وهذا؛ لكمال رحمته، وإحسانه إلى عباده: ﴿وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج / ٥].

وقال في الوحي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة / ٢].

ومثل بقاع الأرض مثل المكلفين من الإنس والجن، ومثل أوديتها مثل القلوب تحمل على قدرها، وتسيل بما فيها على قدر سعتها، وتحمل مع الماء الغناء والزبد، كما تحمل القلوب مع العلم الشبهات والوساوس: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد / ١٧].

ومثل نبات الأرض من الماء من ثمر وشوك، وحلو ومر، مثل أعمال القلوب من العلم الوارد عليها، فالطيب يخرج الأعمال الطيبة، والخبيث يخرج الأعمال الخبيثة: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [نوح / ٢٤] ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٢٥] ﴿وَمَثَلُ

كَلِمَةٍ حَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ حَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٣١﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٦].
فسبحان من جعل آية إنزال الماء إلى الأرض آية على إرسال الرسل إلى أهل الأرض،
وجعل اختلاف البقاع بالنبات بعد نزول الماء دليلاً على اختلاف أعمال المكلفين بعد
نزول الوحي.

فإذا عاش من عاش في الدنيا، واهتدى من اهتدى، وضل من ضل، ثم مات الجميع، أعاد
الله الكون بكامله مرة أخرى؛ إظهاراً لكمال قدرته: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ
لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٤].

ثم يميز الملك الحق الخبيث من الطيب، فيجعل الطيب كله في الجنة، ويجعل الخبيث كله
في النار: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٩-٢٠].

هذا هو الحق المبين: ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجنائية/ ٦].
فله الحمد لرنا الملك الكريم، الذي خلق الخلق، وقسم الأرزاق، وأرسل الرسل، وأنزل
الكتب، رحمة وهداية لعباده على مدى القرون، ثم ختم الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ، وختم
الأمم بأمته ﷺ: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

ولله الحمد على عظيم إحسانه لآدم وذريته، فقد هيا السكن قبل أن ينزل فيه الساكن؛ إكراماً له،
وعناية بمن خلقه بيده: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وقد خلق الله جميع المخلوقات بأمره النافذ، وخلق آدم ﷺ بيده، وكفله في أول أمره،
وأسكنه الجنة، وكفاه السعي على نفسه فيها بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ الْأَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾﴾
وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾ [طه/ ١١٨-١١٩].

وعلم سبحانه آدم ﷺ الأسماء كلها؛ لأنه بمنزلة الطفل المكفول الذي ينبغي أن يُعلم
الأسماء أول شيء، ثم يُدرج بعد في التربية والمعرفة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾﴾ [البقرة/ ٣١].

ولكي يتدرب على طاعة مَنْ خَلَقَهُ، ويحذر معصيته، أباح الله له الأكل من جميع أشجار الجنة

إلا شجرة واحدة ؛ ليدوق مرارة المعصية، وحذره من عدوه إبليس ، وعلمه كيف يتوب إذا عصى —: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة / ٣٥].

ثم أكل من الشجرة ، ثم تاب من معصيته ، ثم تاب الله عليه : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾ [طه / ١٢١-١٢٢].

وقد ربي الله آدم ﷺ في الجنة ؛ لأنه سيجعله خليفة في الأرض هو وذريته : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٣٠].

ثم أخرج الملك الحق آدم ﷺ من الجنة ، كما يخرج الولد من كفالة أبيه، ويوكل إلى سعيه ، بعد بلوغ رشده ، ومعرفة ما ينفعه وما يضره.

وسهل له أسباب التعلم، ويسر له مسالك المعيشة في الأرض، ولطف به كما يُلطف بالمكفول الذي درج ليقوم على نفسه : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف / ١٠].

ثم لم يزل التكليف يشتد على سنن التدرج على أمة بعد أمة ، حتى انتهى إلى بني إسرائيل . ثم جاء الله بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ، فصرفه عن تلك الشدة إلى الحنيفة السمحة التي في زمان إبراهيم ﷺ ، فكان ذلك بمنزلة المكلف حال الشيخوخة ، رقه الله عنه ، وخفف عليه بعد الشدة والتثقل لضعفه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل / ١٢٣].

فالمفلحون من أهل الكتاب هم : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٧].

فاستقرت الرسالات كلها، واجتمعت المحاسن كلها، وصارت ديناً كاملاً جاء به خاتم الأنبياء ﷺ من ربه، لجميع البشرية إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].
 فهذا ورب السماء والأرض هو الدين الحق ، الذي لا يقبل الله بعد نزوله سواه : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ
 غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران / ٨٥].

• التبع لله ﷻ باسمه الملك :

اعلم أسعدك الله في الدارين أنك عبد الملك العزيز الجبار، ومملوك ملك الملوك، مالك العالم العلوي كله، ومالك العالم السفلي كله، ومالك الدنيا والآخرة، لا إله لك غيره، ولا رب لك سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وربك هو الملك الحق ، القوي الذي لا يعجزه شيء ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي يعطي كل شيء ، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، الحفيظ الرقيب الذي لا يفوته شيء ، السميع البصير العليم الذي لا يخفى عليه شيء .

وأنت أكرم الخلق عليه، خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك الأسماء، وأعطاك من صفاته، وفضلك على كثير من خلقه، ودعاك إلى عبادته وحده، لتفوز برضوانه وجنته : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وأنت عبده، وليس لك عمل إلا امتثال أوامره، وتكميل محبوباته، إن أطعمك فاشكره، وإن ابتلاك فاصبر لحكمه، وإن أذنبت فاستغفروه.

فالزم طاعته، وتقرب إليه بما شرع، واعبده بما يحبه ويرضاه تفوز برضاه : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أن ربك هو الملك الغني عن كل ما سواه، وأنت الفقير إليه، الذي يربح عليه: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦﴾ [العنكبوت / ٦].

هو الملك الحق الذي بيده الملك، القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

فجد رحمك الله في طلب مرضاة ربك الملك العزيز الوهاب، وتعرّف على أسمائه وصفاته، وعظمته وجلاله، وإحسانه.

وتفرغ لعبادته، والخلوة به، والوقوف بين يديه خاشعاً ذليلاً مسبحاً بحمده، خاصة في الثلث الأخير من الليل، حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، ليقرب من عباده المؤمنين، إكراماً لهم، ومحبةً لهم، ورحمةً بهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخْرَى يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه ^(١).

وواظب على عبادة ربك، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، وأحسن إلى الناس، وازهد فيما في أيديهم يحبك الله والناس: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف/ ٢٨].

ولا يصرفك عن وجهتك أقوال الغافلين وإشارات المستهزئين، وكلام السفهاء، فإن الأعمى لا يدرك فضل الضوء، والأصم لا يعرف قدر الصوت: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَنْتَاءٌ أَنَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن النفس تستثقل هذه المعالي، وتستصعب الأعمال الصالحة؛ لأنها مؤلعة بحب الشهوات، تريدك عبداً لها، لا عبداً لربك، وهي مجبولة على ذلك؛ لأنها حيوانية تشتهي. فإذا لَزَّها العقل.. وأحاط بها الإيمان.. وساقها الخوف.. وقادها الرجاء.. وأسرها الحزم.. سارعت إلى ربها.. وانقادت لطاعته.. واطمأنت بأوامره.. وصدقت بوعدته ووعيده: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا قَالَتْ لِمَ حُجِرْتُ وَأَنَا تَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وكلما وجدت الباب مغلقاً دونك في أي عمل صالح، ورأيت السبيل إليه حزناً، فاعلم أن ذلك من آثار ذنوب لم تحسن التوبة منها، وذكرٍ لم يصحب بفكر، وأسْرٍ من عدوك لم تحس به: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء/ ٣٨].

فاسأل ربك، وتضرع إليه، وتب إليه من جميع الذنوب التي حبستك عنه، ودع كل فعل لا يرضاه عنك: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

وتبرأ إلى ربك من حولك وقوتك وعلمك، وقل بلسانك وقلبك: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢].

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الذي أغلق الباب دونك عنده مفاتحه ، فألق دلوك في الدلاء، ومد يديك إليه بالدعاء، تنال حظك من العطاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وإياك والعجز والكسل، والركون إلى الدعة والراحة، والعجب والكبر والرياء، فذلك سبب كل خيبة، يثمر كل حرمان وشقاء وخسران: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/ ٦٠].

وأقبل رحمك الله على طاعة مولاك بقلبك ولسانك وجوارحك، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق تكن من الربانيين: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٢] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١٣٥] أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِلْعَمَلِ الْغَيْرِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِيُخَذَ عَلَيْهِمْ الْقِسْمُ مِمَّا يُضَاهَوْنَ فَسَادُهُمْ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِيُخَذَ عَلَيْهِمْ الْقِسْمُ مِمَّا يُضَاهَوْنَ فَسَادُهُمْ [١٣٦-١٣٣].

واحمد الله الذي هداك للإسلام ، وحبب إليك عبادته ، وخصك بمزيد إحسانه وفضله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس/ ٥٨].

واحذر أيها العبد معصية ربك، فهو الملك العزيز الجبار، وأنت عبده الذليل الضعيف، وإياك أن تستعمل ما أنعم به عليك في معصيته، واعلم بأنه يراك ويسمعك في خلوتك وجلوتك، فاعبده كأنك تراه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [٢١٧] الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَحْتِ الْقُرُونِ [٢١٨] وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ [٢١٩] إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٢٢٠]. [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

والزم باب الملك الكريم، وتعرض لتخفه وعطاياه، وتيقن أنه أقرب إليك من نفسك، وما دعاك لسؤاله إلا ليعطيك من نواله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٥] أَخْذِينَ مَا أَرْتَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّهُمْ لَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُّشْرِكِينَ [١٦] كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ [١٧] وَإِلَّا لَأَشْرَارُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١٨] وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ [١٩]. [الذاريات/ ١٥-١٩].

وتيقن أيها العبد أنه من المحال أن تتوكل على ربك، وتعمل بطاعته، ثم يُسلمك ويخذلك، بل سيفضي بك من ذلك إلى معرفته، والقرب منه، وحسن عبادته.

ثم يفضي بك من ذلك إلى حياض واسعة، ثم إلى أنهار جارية، ثم إلى بحار عذبة صافية، من معرفته، ومعرفة أسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثَلَكُمُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿[محمد/١٩].

واعلم رحمك الله أنك كلما شربت من هذه البحور العذبة الصافية ازدادت إيماناً و يقيناً، وكلما ازدادت شرباً طهر عقلك وقلبك ولسانك وجوارحك من كل دنس، وامتلاء قلبك بالإيمان، وتجملت جوارحك بالطاعات، وتزينت روحك بأحسن الأخلاق: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِذَا أَكْبَبَ﴾ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّسِيئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴿[الرد/١٩-٢٢].

وإذا علمت ذلك أعانك الله على العمل به، والدعوة إليه، وحققت أمر الله فيك بطاعته في جميع الأوقات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ ﴿[الأنعام/١٦٢-١٦٣].

وبهذا تنال محبة الله ورضوانه، فيأخذك منك إليه، ويشغلك بأحسن الأعمال لديه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿[فصلت/٣٣].

واعلم رحمك الله أنك إن كنت تعلم أنك عبد مملوك، لملك عظيم قادر، سميع بصير، رحيم كريم، ثم تبارزه بالمعاصي، فاعلم أنك عبد سوء، يأكل من نعم سيده، ويسكن في قصره، ويعصي أمره، ويطيع عدوه، ومن عميت بصائرهم لم تنفعهم أبصارهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿[الحج/٤٦].

فسلم الأمر كله لله، ولا تعترض على شيء من أقداره وأحكامه، فهو الحكيم العليم بكل شيء.

واعلم بأن الإيمان الكامل، والتسليم الكامل، يولد اليقين الكامل، وتلك حقيقة التوحيد الكامل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيهِ

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَّيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء / ٦٥].

فالزم رحمك الله ذلك إن استطعت، واطلبه بدوام الاتصال بمن يملكه ويهبه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

واعلم أن كمال الإيمان واليقين، يحصل للعبد بدوام الذكر والتذكر، وموالة الفكر والتفكير، ولزوم النظر والاعتبار في الملك والملكوت، وذلك طريق الإيمان، وقوام التوحيد: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١].
واعلم رحمك الله أن من تفكر ولم يتطهر فهو مبعد ممقوت، ومن تطهر ثم فكر أدرك ما يحب بعون الله بقدر ما بذل من جهده: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى / ١٤-١٥].

واعلم أيها الإنسان أن الله خلقك في هذه الدنيا مختاراً، فإما أن تعيش عبداً لمولائك، وإما أن تعيش عبداً لهواك، وأنت مملوك لربك من جميع الجهات.

فإن عشت في الدنيا عبداً للملك القدوس، جعلك يوم القيامة في ملك عظيم، بقرب ربك الملك الرحمن: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].
وإن عشت عبداً لهواك خسرت دنياك وأخراك: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات / ٣٧-٣٩].

فزم نفسك أيها العبد على سهر الليل مع مولائك الكريم في حنادس الظلمات، تجد الأنوار الغائبات، ولذة الأنس بمناجاة مولائك، واصدق ترى العجب .

واعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك دأب الأنبياء والصالحين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَعَارَهُمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ وَنَهُم مُّسْتَعْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات / ١٧ - ١٨].

واعلم أنك لن تجد طعم مناجاة مولائك إلا بعد معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة إنعامه وإحسانه، ولن يشغلك عن خدمة جسدك إلا علمك بسرعة فناءه، ولن يمنعك عن التشمير للدنيا إلا بعد معرفتك بقرب زوالها، ولن تستحلي الصبر في ذات الله إلا بعد معرفتك بربك وما يجب له:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لَنفَتَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ [طه/ ١٣٠-١٣٢].

واعلم وفقك الله لحسن العمل أن الملك ﷻ ملَّك جوارحك لتستعملها في طاعته، فأد الأمانة، ولا تستعملها في معصيته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة/ ٣٥].

ورزقك الرزاق من رزقه لتستعين به على طاعته وعبادته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

واعمل رحمك الله لمملك دائم لا يفنى، في جوار ملك كريم رحيم.

واعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ يتصرف في ملكه بالعدل والإحسان في كل عطاء وحرمان، ونصر وخذلان، وفي كل رفع وخفض.

وإذا ولَّك المملك الحق ولاية فارفع من يستحق الرفع، واخفض من يستحق الخفض، وأكرم من يستحق الإكرام، وأهن من يستحق الإهانة، واقهر من يستحق القهر، واجبر من يحتاج إلى الجبر، وقم بإغاثة المكروب، ونصر المظلوم، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، وإعانة المحتاج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء/ ٥٨].

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وكان من أهل البر والإحسان، ونال من ربه المغفرة والجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن كل آت قريب، وكل حي سيموت، وأن من جمع الجواهر الثمينة، ملك بها السلع النفيسة، وأن من وقف بباب العبودية في الدنيا، فتحت له أبواب القصور الملكية في الآخرة: ﴿وَإِذْ رَأَيْتُم مِّم رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرَ لِحُمْرِهِمْ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان/ ٢٠-٢٢].

﴿رَبِّئِنَّآ ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم^(١).

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .

أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ
حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه^(٢).

اللهم يا مالك الملك ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها
معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل
الموت راحة لنا من كل شر ، يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من له الملك كله ، ويده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، نسألك رضاك والجنة ،
ونعوذ بك من سخطك والنار ، لا إله إلا أنت .

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) ، ومسلم برقم (٧٦٩) ، واللفظ له .

الواحد .. الأحد

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَجِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٦٣].
وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ② ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ③ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ④ [الإخلاص / ١ - ٤].

الله ﷻ هو الواحد الأحد في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .
هو الواحد الأحد الذي لا قسيم له ، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته ،
وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ﴾ ④ [الزمر/ ٤].

هو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له ، ولا مثل له ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، جل جلاله ،
وتقدست أسماؤه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ① [الشورى / ١١].
ودلائل وحدانية الرب ﷻ ، شائعة في مخلوقاته في السموات والأرض ، وشواهدا ظاهرة ،
ورسومها بيينة ناطقة : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ
⑥ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ
مُنِيبٍ ⑧﴾ [ق/ ٦-٨].

ومن رحمة الواحد الأحد ، أن بسط لعباده دلائل التوحيد ، وكشفها لهم ، وبينها لهم في كل
مخلوق صغير وكبير ، وبثها في جميع عوالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ؛ لعظم حاجة
العباد إلى توحيد ربهم ، وتوقف فلاحهم ونجاتهم عليه ، فإذا عرفوه عبدوه وحده ، ولم يشركوا
به غيره من الأرباب: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ③٩ [يوسف / ٣٩].
فسبحان من كشف دلائل وحدانيته للمعتبرين ، وأبانها للناظرين ، وأظهرها للمتأملين ،
ليصلوا بذلك إلى تحقيق التوحيد ، ويشهدوا أن الله هو الحق المبين وحده لا شريك له:
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ⑩﴾ [الأنعام / ١٠١].

فالتوحيد يصحب الخلق في أنفسهم ، وفيما هو محيط بهم من المخلوقات العجيبة ،
والآيات العظيمة ، في السموات والأرض .

وشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) أعظم شهادة شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم من خلقه كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].
 والتوحيد والوحدانية ، من الحق العظيم الذي خلق الله به السموات والأرض وما فيهن وما بينهن: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴾ [الدخان/ ٣٨-٣٩].

واعلم علم اليقين أن جميع مجاري حكمة الله في الدنيا والآخرة ، جارية على سنن الواحد القهار في دوائر محكمة ، وعلى ذلك أحكم الله خلقه وأمره ، في السماء والأرض ، وما عليهما ، وما فيهما ، وما بينهما .

فسيرَ بذلك الشمس والقمر والنجوم، وأرسل الرياح، وأنزل الغيث ، وأرسى الجبال، وفجرَ العيون وأنبت النبات، وسخر الليل والنهار، وأعقب الحر بالبرد ، والنور بالظلام ، كل ذلك فعل الواحد القهار: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص / ٦٥-٦٦].

فكل مخلوق ، وكل أمر ، وكل تدبير ، إنما صدر عن أمر الواحد الأحد ، وحده لا شريك له، من كبير وصغير ، وعال وسافل ، وظاهر وباطن ، ومتحرك وساكن ، إليه وحده يرجع الأمر كله ، وإليه تصير الأمور كلها: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه ، أن كل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن ، داعية إلى توحيد الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله ، شاهدة بذلك ، داعية إلى عبادته وحده لا شريك له: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَوَحْدَهُ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري.
 وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده وعبادته في الدنيا والآخرة ، فهذا جزاء أهل توحيده.

وإما خبر عن عذاب أهل الشرك في الدنيا والآخرة ، فهذا خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فسبحان من نزل القرآن تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى بكل خير : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل / ٨٩] .

فلي نظر الإنسان إلى ملكوت السموات والأرض ، فسرى ببصره ، ويعرف ببصيرته ، أن خالقها واحد لا شريك له ، فليعبده وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

ولينظر الإنسان إلى نفسه مم خلق؟ ثم كيف صار؟ ليعرف عجائب صنع ربه الواحد الأحد في قطرة ماء مهين : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) ﴾ [الطارق / ٥-٨] .

فسبحان من بسط دلائل توحيده وعظمته في ملكوت السموات والأرض ، ودعانا للاعتبار بها : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

فتفكر رحمك الله في مخلوقات ربك الواحد الأحد، وانظر إلى عالم النبات والشجر تجده أمماً وقبائل مختلفة الأشكال ، والألوان ، والأحجام ، والطعوم ، والثمار والأعمار . وكلها تشهد بأن خالقها ومبدعها واحد لا شريك له : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخْلِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ١٠-١١] .

ثم انظر رحمك الله كيف يعود كل نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد.

فال بشرية كلها تعود إلى أصل واحد هو آدم ﷺ ، وكل نوع من الحيوان يعود إلى أصل واحد ، وكل نوع من النبات يعود إلى أصل واحد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١] .

وكل هذه المخلوقات تشهد بأن خالقها ربك الواحد الأحد لا شريك له : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعِزِّ عَمَدٍ تَرْوَاهُنَّ وَالْقَنَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان من خلق هذه العوالم والأمم والقبائل التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو، وجعل نسلها وتكاثرها مستمراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

ثم تدبر كيف يعود كل حي من نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد، إذا قُطِعَ مات، فالإنسان والحيوان يعود إلى أصل واحد هو الرأس، إذا قطع مات؛ لأن جميع أجزاء البدن مربوطة بالرأس. وجميع أجزاء النبات ترجع إلى أصل واحد هو الجذر، فإذا قُطِعَ مات النبات. هذا مربوط بأسفله، والإنسان والحيوان مربوط بأعلاه. فالإنسان من جهة قوامه وبقائه يرجع إلى واحد وهو الرأس. ومن جهة التدبير يرجع إلى واحد وهو القلب، ولهذا لم يقصد الله بخطابه من ابن آدم إلا قلبه، وعليه مدار صلاحه وفساده.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه ^(١).

فالقلب إذا فقد التوحيد فسد، كما أن الجسد إذا فقد الرأس فسد، والنبات إذا فقد الجذر فسد، ولا يُصلح البشر إلا أن يكونوا: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج/ ٣١]. واعلم أن سنة الله في الوجدانية سارية في المخلوقات كلها.

فكل نبات وحيوان وإنسان يرجع إلى أصله، وأهل البيت الواحد لا بد لهم من واحد يرجع أمرهم إليه، بمنزلة الرابط لهم.

والبيوت الكثيرة تجمعها بلدة واحدة، والقرى والمدن تجمعها دولة واحدة، والدول المختلفة، والعوالم المختلفة، تجمعها أرض واحدة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام/ ٣٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

وهكذا السموات السبع وما فيها من العوالم التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا من خلقها: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢].

ثم يرجع الجميع إلى الخلاق العليم ، الرب الواحد الأحد الخالق لها ، الجامع لها ، الحاكم عليها ، الممسك لها ، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له ، وإليه المصير والمنتهى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية / ٣- ٤].

فسبحان الواحد الأحد الصمد، الذي خلق كل واحد ، وخلق كل أحد ، ولم يكن له كفواً أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١- ٤].

سبحانه هو الواحد الأحد الذي أحاط بكل واحد وأحد .

والعرش العظيم وما دونه كحبة خردلة في قبضته، الأول قبل كل أحد، الآخر بعد كل أحد، الظاهر فوق كل أحد، الباطن دون كل أحد، ذو الجلال والعظمة ، والجبروت والكبرياء، العلي الأعلى، القريب الرقيب على كل أحد: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٣].

هو الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

رفيع الدرجات ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد، رب كل أحد، وقاهر كل أحد، لا نهاية لعلوه، ولا فوق لسموه، ولا نفاذ لكلماته وأوامره ، ولا نهاية لكرمه وإحسانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف / ١٠٩].

فسبحان الواحد الأحد الذي بكلماته التامات يفعل ما يشاء.

يخلق ويرزق ، ويعز ويذل ، ويعطي ويمنع ، ويرحم ويتنقم ، ويكرم ويهين: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

هو الواحد الأحد ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١] .

له الحمد كله ، ومنه الفضل كله ، خلق عباده حنفاء على التوحيد ديناً واحداً قيماً لا عوج
 فيه، ثم تفرقوا واختلّفوا ، فرحمهم بإنزال الكتب ، وإرسال الرسل الذين يدعونهم إلى
 الرجوع إلى أصلهم الذي فطرهم الله عليه وهو التوحيد: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ
 النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا
 اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا
 اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٣﴾ [البقرة / ٢١٣] .

فالله ﷻ يريد منا أن نكون أمة واحدة ، ندين بدين واحد هو الإسلام، ونعبد رباً واحداً لا شريك
 له، ونتبع رسولاً واحداً هو محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾
 [المؤمنون / ٥٢] .

فسبحان من أحكم هذا الكون العظيم بالتوحيد، وأنزل أوامره الكونية والشرعية شاهدة
 بالتوحيد ، داعية إلى التوحيد الذي لا فلاح ولا نجاة لأحد إلا به .
 فأمرنا الواحد الأحد أن نجتمع في الصلاة على إمام واحد، ويجتمع أهل البلد في صلاة
 الجمعة على إمام واحد، ونجتمع في السفر على إمام واحد .

وأمرنا أن نجتمع في أمور ديننا ودينانا على إمام واحد ، يكون أفضلنا وأشرنا وأتقانا .
 وذلك كله تنبيهاً على فضل الواحد وشره، وليلد عبادته على وحدانيته ، ولينبههم على أن
 ذلك هو المراد الأكبر منهم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
 بُدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ ۗ الَّذِينَ أَلْقِيَتْهُمُ الْقِيَمَةُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم / ٣٠] .
 واعلم رحمك الله أن جزاء أهل التوحيد الجنة .

فالتوحيد مفتاح الجنة ، والموحدون سكانها ، أعدت لهم قصورها ، وفتحت لهم أبوابها ،
 وتساووا في الخلود بها ، ألا تراهم على طول رجل واحد ، وشكل واحد ، وعمر واحد ،
 وعلى قلب رجل واحد ، وعلى خلق رجل واحد .

لا غل في صدورهم ، ولا غش في قلوبهم ، ولا عيب في أبدانهم، ولا تباغض ، ولا تحاسد
 بينهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج / ٤٧] .

قد تباعدت عنهم كل معاني الفرقة ، وانفردوا جميعاً بمعاني الوجدانية ، وجوار الواحد الأحد : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .
ثم قصورهم وجمالهم وحسنهم بعد على قدر ارتقائهم في درجات التوحيد ، والإيمان ، والعمل الصالح : ﴿ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة / ١٠-١٤] .

فأسلم واستسلم لربك الواحد الأحد، وقف بين يديه محبتاً منكسراً ، تنال بشراه بالجنة:
﴿ فَالذُّهُكُمُ إِلَهُ وَحْدُفَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحِبِّتَيْنِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج / ٣٤] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الواحد :

اعلم أن توحيد الرب جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بربوبيته، وتوحيده بألوهيته ، وتوحيده بعبادته ، أول العلوم وأعظمها وأشرفها ، وأعظم واجب يجب على العباد معرفته والشهادة لله به .

وأعظم من شهد به لنفسه الرب ﷻ ، ثم ملائكته ، ثم العلماء كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

سبحانه هو الواحد الأحد لا شريك له، المملك كله في قبضته، والخزائن كلها بيده، والكون كله باق بمشيئته، وجميع المخلوقات أوجدتها بأمره: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس / ٨٢] .

هو الجبار في ملكه العظيم، عالم الغيب والشهادة ، الذي يدرك المخلوقات والذرات كلها على اختلافها بصفة من صفاته: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد / ٩] .
حجب سبحانه ذاته بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة، وأظهر الإرادة بالحركة والتدبير والاختلاف .

وأخفى سبحانه قدرته في سنته ، وأظهر قدرته في أفعاله .

هو الواحد الأحد ، العليم بكل شيء ، الذي لا يشغله شأن عن شأن، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، الذي خلق كل أحد ، الذي لا تراه العيون في الدنيا ، ولا تدركه العقول ، ولا تكيّفه الأوهام : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥].

فات العقول إدراكه، وفات الألسن وصفه ، وفات الأبصار الإحاطة به.

هو الواحد الأحد ، ليس لذاته كيف ، ولا لأسمائه كيف ، ولا لصفاته كيف ، ولا لأفعاله كيف ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، هو الرب وحده لا شريك له: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / ١١].

هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

خلق وحده جميع المخلوقات، وقارب بين المتباعدات، وباعد بين المتقاربات، وحبب بين المتباغضات، وألف بين المتفاوتات ، وطاوع بين المتعاصيات ، وحرّك الساكنات، وسكّن المتحركات، وجمّد السائلات ، وأسأل الجامدات.

جعل لكل شيء بداية ونهاية، وجعل لكل مخلوق حداً وعملاً لا يخرج عنه أبداً، فكلُّ يعمل بخاصته ، من موضع حده المحدود له: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس / ٤٠].

والكل يشهد لله بالوحدانية، ويسبح بحمد ربه العظيم: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤].

واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن معرفة حقيقة التوحيد تُطلب بالمداومة على الاستدلال بالآيات الكونية ، والآيات القرآنية على الوحدانية.

فما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما أرسل رسله وأنزل كتبه إلا بالحق ، وأحق الحق أن يُعرف ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويُدان له بالتوحيد وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢].

وقال سبحانه في توحيد العمل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

وإذا علمت أن ربك العظيم واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله ، فحقق التبعيد لله بالتوحيد عملياً في أقوالك وأفعالك .

فإن كنت توقن أن الله خلقك وحده، ورزقك وحده، وقام بأمرك وحده، لم يشرك في ذلك أحداً، فاعبده وحده، ولا تشرك في عبادته أحداً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ [الكهف / ١١٠] .

وكما وحّدك ربك بصفاتك، وتكفل برزقك، ورباك بنعمه، وخصك بالإكرام والإحسان، وأخلص لك ذلك كله وحده، فأخلص له العبادة والشكر وحده لا شريك له ، تكن من الفائزين: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة / ٥] .

واحذر أن تتعبد لسواه بأعضاء وحواس وقوى ، ونعم أنعم الله بها عليك وحده ، لتستعملها في طاعته، فتُحرم من الجنة ، وتدخل النار: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة / ٧٢] .

واعلم أن مرجعك إلى الله وحده، وسيجازيك يوم القيامة بما عملت في الدنيا من خير أو شر ، فاختر لنفسك ما يسرك في القيامة أن تراه: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُسْرُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [٦] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨] [الزلزلة / ٦ - ٨] .

فاعبد الله مخلصاً له الدين، واعلم أن الله عنك غني، لا يقبل إلا عملاً خالصاً له وحده لا شريك له، وعلى ما يرضاه هو، لا على ما تحبه أنت دونه.

فلا قيمة للأعمال مهما عظمت إذا ذهب توحيدها: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر / ٦٥] .

واستعن بالله في جميع أمورك؛ لأن جميع الحاجات بيد الرب الواحد الأحد، وهي مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته فوراً: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِيعٍ بَالْبَصَرِ﴾ [القمر / ٥٠] .

واحذر من الاعتراض والدعوى فذلك شرك ؛ بل كفر ، والتبرؤ من الحول والقوة إسقاط للدعوى ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم أن من أسقط الدعوى مع ربه ﷻ ، وجعل مكانها التفويض والتسليم والتوكل ، عصمه ربه مما يكره ، واختار له ما يسره .

ومن تبرأ من حوله وقوته ، أيده ربه بالمعونة ، ويسر له أمره: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

وهذا هو الموحد الذي استبدل الظلم بالعدل، والجهل بالعلم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢] .

وإذا منَّ الله عليك بالتوحيد ، وكنت من الموحدين ، فاعلم أن أحسن ما تقوم به دعوة الخلق إلى التوحيد، فإن الله ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وكلف أمته بما جاء به ، وأنت بفضل الله منهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ ﴿٤﴾ ﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴿٥﴾ ﴾ [المتحنة / ٤-٥] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۖ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » أخرجه الترمذي وابن ماجه (١) .

اللهم يا واحد يا أحد ، يا من يكفي من كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، أنت الواحد القهار لا شريك لك .

يا أحد من لا أحد له ، ويا سند من لا سند له ، انقطع الرجاء إلا منك ، فاغفر لنا وارحمنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، يا أرحم الراحمين .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧) .

الصمد

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

الله ﷻ هو الصمد الذي صمدت إليه جميع المخلوقات ، وقصدته كل الكائنات، المقصود عند الحوائج ، المقصود إليه عند الرغائب .

هو الواحد الأحد الصمد ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الكامل في السؤدد والشرف والغنى والكرم، مالك الحاجات، ومفرج الكربات .

هو الصمد الذي تقصده جميع الخلائق عند النوائب والكريهات، وتستغيث به إذا مسها الضر والمشقات، وتضرع إليه عند الشدائد والكربات: ﴿وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل / ٥٣] .

هو سبحانه الأحد الصمد ، الحي الذي لا يموت، الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، الغني عن كل أحد ، القادر على كل أحد .

لم يتقدمه والد كان عنه، ولم يتأخر عنه ولد يكون عنه ، وليس كمثلته شيء .

له وحده الأسماء الحسنی، و الصفات العلی : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وهو سبحانه الملك الأحد الصمد، السيد الذي كمل في سؤدده، العظيم الذي كمل في عظمته، الغني الذي كمل في غناه، القوي الذي كمل في قوته، الرحمن الذي كمل في رحمته، الجبار الذي كمل في جبروته، العليم الذي كمل في علمه، الحكيم الذي كمل في حكمته، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام / ١٠١] .

فسبحان الأحد الصمد ، الذي تصمد جميع المخلوقات إليه، وتتوجه إليه ، وتخضع لعظمته وهيبته، وتسرع إلى إرادته، وتقف ذليلة بين يديه: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود / ٥٦] .

نسأل الله الهداية لما يرضيه، والتسديد إلى محابه، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فاصمد إلى ربك العظيم، واقصد بنفسك إليه، وتوجه إليه، وفرغ قلبك من ذكر كل شيء إلى ما قصدت إليه وهو ربك .

ثم اطلب حوائجك من الأحد الصمد ، وأعظمها قدراً طلب معرفته بأسمائه وصفاته، والعلم بمخلوقاته ، ومعرفة حكمتها ، والحق الذي خلقها به ، ينشرح صدرك بالإيمان ، ويمتلئ قلبك بالتوحيد : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام / ٧٩] .

ثم أطلق بصرك في ملكوت السماوات والأرض، وانظر إلى الشمس والقمر والنجوم ، وانظر إلى الجماد والنبات والحيوان ، وانظر إلى الجبال والبحار والذرات ، لتعلم أن ما تعلمه من مخلوقات الله ، بالنسبة لما لا تعلمه ، كالذرة بالنسبة للجبل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

ثم اجمع العالم كله في عقلك ، تراه كسفينة مشحونة في بحر عظيم واسع ، والواسع العظيم محيط به : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

ثم أعد النظر متفكراً في ملكوت العالم العلوي والسفلي، تراه قائماً بأمر ربه، يمسكه الله بقدرته، ويحركه بقوته، يطيع من خلقه ، ويصمد لمن هداه ، ويشهد بتوحيده ، ويسبح بحمده : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة / ١] .

وتبصر الملكوت ببصيرتك قائماً لمن توجه إليه ، صامداً لمن أقبل عليه ، خاشعاً لربه ، مستسلماً لأمره ، لا يتحرك من ذاته ، ولا يعمل من تلقاء نفسه ، بل بإذن ربه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد / ٢] .

ثم أعد النظر مرة أخرى ، ترى الكون بأجمعه ، متحدداً بين يدي الواحد الأحد الصمد، وكل ما فيه سامع مطيع لربه ، خاشع لعظمته ، مستجيب لأمره .

كُلُّ يَسْبِحُ رَبَّهُ بِلُغَتِهِ فِي جِهَتِهِ ، وَيُحَمِّدُهُ فِي مَقَامِهِ ، وَيُؤَدِّعُهُ فِي عِبَادَتِهِ ، كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَعَمَلَهُ .

كُلُّ يَسْبِحُ رَبَّهُ وَيُحَمِّدُهُ وَيُؤَدِّعُهُ وَيُكْبِرُهُ بِأَلْسِنَةِ شَتَّى ، عَلَى عَدَدِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ : مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَعَالٍ وَسَافِلٍ ، وَرَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَنَاطِقٍ وَصَامِتٍ .

كُلُّ عَابِدٍ لِلَّهِ فِي إِسْلَامِهِ إِلَيْهِ ، مُصَلِّياً فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ لَدَيْهِ ، وَمَسْجُوداً فِي مَوْضِعِ قِيَامِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَبْلَتَهُ الْعَرْشَ الْكَرِيمِ ، وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، وَالْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَمَعْبُودَهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَكَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

فَابِكِ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَلَى جَهْلِكَ وَتَقْصِيرِكَ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه / ١١٤] .
وَسَلَّ اللَّهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَسَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَابِكِ عَلَى الْغَفْلَةِ الَّتِي قَطَعْتَكَ عَنْ رَبِّكَ ، وَالْجَهْلِ الَّذِي حَجَبَكَ عَنْ تَسْبِيحِ مَوْلَاكَ ، وَتَقَدَّمَ بِنَفْسِكَ إِلَى صُفُوفِ الْعَابِدِينَ الْمَسْبُوحِينَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ : ﴿ تَسْبِغُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

● التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الصَّمَدِ :

أَعْلَمُ أَنَّ رَبِّكَ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي تَصَمَّدُ نَحْوَهُ الْقُلُوبُ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ؛ لِكَثْرَةِ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيهِ ، وَكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ لَهُ .

هُوَ الْغَنِيُّ الْقَادِرُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِهِ : ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

فِدَاوِمٌ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاكَ الصَّمَدِ ، وَاصْمَدٌ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، وَلَا تَلْجَأُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَصْرَفُ عِبَادَتَكَ إِلَّا لَهُ ، وَلَا تَطْلُبُ حَاجَتَكَ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا تَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَكُونُ تَوَكُّلُكَ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

وَاصْمَدٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِكَ وَقَلْبِكَ وَبَدَنِكَ ، وَاسْأَلْهُ مَا شِئْتَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ .

وإن اعترض دون ذلك معترض من هوى أو غيره فكابده ، واصطبر على ما به أمرت ، تنال ما به
وعدت : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [٦٥] ﴿ مريم / ٦٥ ﴾ .

وإياك أن تتوجه بشيء من أمرك إلى سواه ، وخذ بالأسباب المشروعة ، وقلبك معلق بالله وحده لا
شريك له .

وتوكل على الله وحده ، وإلا حرمك بركة هذا الاسم الكريم ، وخيب آمالك ، وأبطل
رجاءك : ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٠٥] ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١٠٦] ﴿ يونس / ١٠٥-١٠٦ ﴾ .

واعلم رحمك الله أنه لا يصحبك في أحوالك إلا عملك في دنياك .

فأحسن العمل ، وأحسن إلى نفسك ، وأحسن إلى الناس ، وانتظر الارتحال إلى دار مقرك ،
والقدوم على مولاك العليم الخبير : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
لِعَدِّهِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٨] ﴿ الحشر / ١٨ ﴾ .

وإذا أقامك الله مقاماً تكون فيه ملجأً للملهور ، وغياًثاً للمكروب ، في جاه أو رئاسة أو ذات
يد ، فصدقت وبررت وأحسنت ، فقد أخذت من مقتضى هذا الاسم العظيم بحظ وافر ، وكنت
من ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٣] ﴿ البقرة / ٣ ﴾ .

وتوجه في جميع أمورك إلى ربك الصمد وحده ، ولا تسأل الفقير المحتاج ، وقف بباب
الصمد ، قاضي الحاجات كلها ، للخلائق كلها ، يعطيك مرغوبك ، ويغفر ذنوبك .

وتقرب إليه بما يحب ، يكرمك يوم تلقاه بما تحب : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [١٧] ﴿ الفتح / ١٧ ﴾ .

وتوسل إلى ربك عند سؤاله ، بما تعرفه من أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، واقصده

في بيوته ، واعتكف في مواطن محابه ، يكرمك بالاعتكاف في قصور جنته : ﴿ وَأَبْتَغِ
فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧] ﴿ القصص / ٧٧ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [٤] ﴿ الممتحنة / ٤ ﴾ .

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاعْزُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه (١).

«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد (٢).

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وطهر أعمالنا من الرياء ، وطهر ألسنتنا من الكذب ، وطهر أعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
اللهم أغننا بحلاك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا أرحم الراحمين .

(1) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨) ، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

الأول .. والآخر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد/ ٣].

الله ﷻ هو الأول فليس قبله شيء، لم يزل كذلك أولاً، ولا يزال كذلك أبداً.

له سبحانه أولية الشرف والسؤدد، والجلال والجمال، وله الأولوية في المراتب كلها؛ لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنی بحقائقها، والصفات العلی بكمالها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الخالق الأول، الرزاق الأول، المحبوب الأول، المطلوب الأكبر، المبتغى الأعلى، وإليه المنتهى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الأول قبل الأشياء، الباقي بعد فناء الأشياء، الذي كتب كل أول وآخر، وخلق كل أول وآخر، ومَلَكَ كل أول وآخر.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ فَاتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ بَشَّرْنَا فَأَعْطَانَا مَرَّتَيْنِ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» أخرجه البخاري (١).

وهو سبحانه أول الأولين فلا شيء قبله، وهو آخر الآخرين فلا شيء بعده.

وهو سبحانه الذي ابتداء خلق كل شيء، الذي أول الأول من المخلوقات، وآخر الآخر من المخلوقات، وهو إله الأولين والآخرين، ورب الخلق أجمعين.

هو الأول بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية، ليس كمثل شيء في جميع ما يوصف به من كل شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٩١).

• التبعّد لله ﷻ باسمه الأول والآخِر :

اعلم وفقنا الله وإياك لمعرفة ، أن الأول الذي ليس قبله شيء ، هو الله الذي لا إله إلا هو ، هو الأول الذي ابتداء الخلق بالنعْم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب . وهو الأول قبل كل شيء ، الأول الذي أول الأول من كل مخلوق ، الآخر بعد كل شيء ، الآخر الذي آخر الآخر من كل مخلوق . وهو المقدم والمؤخر في خلقه وأمره في ملكه وملكوته .

فتوجه في جميع أمورك إليه وحده وقل : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

وأهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ « أخرجه مسلم ^(١) .

فسبحان الأول والآخِر ، الذي أحاطت أوليته وآخريته بكل الزمان ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٣] . فأحاطت أوليته وآخريته ﷻ بالأوائل والأواخر ، والأعوام والقرون .

وإذا عرفت أن ربك هو الأول قبل كل شيء ، وعرفت سبقه بالخلق والفضل والإحسان كل شيء ، وجب عليك إفراده وحده بالتوحيد ، والتعظيم له ، والذل له ، والمحبة له ، والتوكل عليه وحده ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف/ ٦٤] .

وإذا علمت أن ربك هو الأول والآخِر ، وإليه ترجع الأمور ، وإليه المنتهى ، فاجعله غاية مرادك ، وأرضه بأقوالك وأفعالك ، وتقرب إليه بإحسانك ، وافعل ما أمرك به ، واجتنب ما

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

نهاك عنه، والله ورسوله أحق من ترضيه: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة / ٦٢] .

وافعل الأسباب ، ولا تركز إليها ، وتجرد من التعلق بالأسباب ، إلى التعلق بالأول الذي منه الإعداد والإمداد ، وفضله وإحسانه سابق على الوسائل والأسباب: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وأنت في دار الأسباب، ومأمور بفعل الأسباب المشروعة، فافعلها تؤجر عليها، لكن لا تركز إليها، وتعلق بالأول قبلها ، والآخر بعدها ، فالتعلق بالعزيز عزة ، والتعلق بالغني غنى ، والتعلق بالأول والآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٣] .

وكن أول الناس في فعل الخيرات، وسابقهم فيما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد / ٢١] .

وابتعد عن كل ما يؤخرك ويحبسك ويحرمك من فضل الله ، مما نهى الله عنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف / ٣٣] .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨] .
﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة / ٢٠١] .
«اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» أخرجه مسلم^(١) .

اللهم أنت الأول قبل كل شيء ، وأنت الآخر بعد كل شيء ، اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، وأوله وآخره ، وأعوذ بك من الشر كله ، عاجله وآجله ، وأوله وآخره .

أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣) .

الظاهر .. والباطن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣] .

الله ﷻ هو الظاهر فليس فوقه شيء، العلي فوق مخلوقاته، الغالب لما سواه، الظاهر في مخلوقاته بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی.

فلا أعلى منه ﷻ، ولا أقوى منه، ولا أبين منه، هو الظاهر المحيط بكل شيء، الظاهر فوق كل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، القريب من كل شيء.

أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس / ٣] .

والله ﷻ هو الظاهر بآياته الشاهدة بوجوده، الباطن عن عقول لم تعرفه.

وهو سبحانه الظاهر للقلوب بحكم البرهان، الباطن عن العيان فلا تدركه الأبصار: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْمَسْنِينَ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم / ٢٢] .

وهو سبحانه الظاهر فيما أظهره من المخلوقات والآيات، الباطن فيما أبطنه من مخلوقاته.

وهو سبحانه الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء.

وهذه الأسماء الحسنی الأربعة جمعت أركان التوحيد بأجمعه، أوله وآخره، وظاهره وباطنه.

فأحاطت أوليته وآخريته بجميع الزمان، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بجميع المكان: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣] .

فسبحان الظاهر الذي ظهر في كل مخلوق خلقه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی.

وسبحان الباطن الذي احتجب عن العيون والأبصار، ورفع ذاته عن العقول والأفكار، فلم يتخيله عقل، ولم يتصوره وهم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

وسبحان الظاهر الباطن ، الذي أحاط بكل ظاهر وباطن ، والعليم بالظواهر والبواطن ، فما من ظاهر إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه محيط به ، وهو أقرب إليه من نفسه .

فسبحانه فمع علوه سبحانه على عرشه ، هو قريب من خلقه ، محيط بهم ، عليم بهم ، الباطن عنده ظاهر ، والغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية: ﴿ وَأَسِرُّوْا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ ۗ ﴾ (١٣) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۗ ﴾ (١٤) [الملك / ١٣ - ١٤] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الظاهر والباطن :

اعلم وفقك الله أن الله الظاهر فوق خلقه أظهرك من العدم إلى الوجود ، وأظهر لك المخلوقات ، ووهبك السمع والبصر والعقل ، وساق إليك الرزق ، وأظهر لك الدين .

فأظهر لربك الكريم كل عمل كريم ، من الإيمان والعمل الصالح ، والخلق الحسن ، تسعد في دنياك وآخرتك ، ويحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِئىُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۢ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (٩٧) [النحل / ٩٧] .

وإذا عرفت أن ربك هو الظاهر القاهر فوق عباده ، يدبر أمورهم ، ويرى ذواتهم ، ويسمع أقوالهم ، وينظر إلى أعمالهم ، فتوجه بقلبك إليه ، وقف بالذل بين يديه ، وأخلص العبادة له وحده دون سواه ،

فإنه يسمعك ويراك ، وأحسن العمل لربك: ﴿ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَقْوَمٍ ۗ ﴾ (٢١٨) ﴿ وَقَلْبِكَ فِي السَّجِدِينَ ۗ ﴾ (٢١٩)

[الشعراء / ٢١٨ - ٢١٩] .

واعلم أن من حجب عنك علم ماهو أولك وآخرك ، وما ظاهر أمرك وباطنه ، فقد جعل لك سبيلاً إلى معرفة من الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهذا خير لك وأبقى :

﴿ فَأَعْلَمُوْا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ ﴾ (١٩)

[محمد / ١٩] .

واعلم أن كل شيء منك له أول وآخر ، وظاهر وباطن ، من الأنفاس والخطرات والأقوال والأفعال والحركات ، والله محيط بذلك منك ، ومحصيه عليك : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ

﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴾ (٥٣) [القمر / ٥٢ - ٥٣] .

فبادر رحمتك الله بالتوبة مما سلف من الذنوب ، وبادر إلى طاعة مولاك ، وصل أول عملك بآخره ، وآخره بأوله ، وظاهره بباطنه ، وباطنه بظاهره ، وخصّ به العليم بسرائر باطنك : ﴿ وَهُوَ

الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۗ ﴾ (٢٥) [الشورى / ٢٥] .

وزَيْنُ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ لِلَّذِي زَيْنُكَ بِالْإِيمَانِ، وَجَمَلُكَ بِالْأَخْلَاقِ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفردان / ٥٨].

وأظهر ما أمرك الله بإظهاره من العبادات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والصبر في سبيل الله ، وحسن الأخلاق ، يباهي بك ربك ملائكته ، ويقتدي بك الغافل عنه . وأبطن ما أمرك الله بإسراره ، من الأعمال الصالحة، ونوافل العبادات، والأدعية والأذكار ، والزكوات والصدقات .

واقصد بذلك كله بمن أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب / ٢١].

واعلم بأن الله عليم بأمورك في الحالين؛ لأنه ﷻ يستوي عنده السر والعلانية، والبادية والخافية: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة/٦].

وزك نفسك بالإيمان والتقوى، وطهر قلبك من الوسوس المهلكة، والشكوك المردية، وزينه بالإيمان واليقين: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر / ١٨].

وإن ضاق صدرك بأحد يقول فيك ما لا يرضيك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

وإن شغلك الشيطان بالوسوس والشكوك فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٢٨٦].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفردان / ٧٤].
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً وَجِلَّةً وَأَوْلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ» أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، أسألك عافية أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحقق بها جزييل مثوبتك .

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٣) .

الحق

قال الله تعالى : ﴿ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون / ١١٦] .

الله ﷻ هو الرب الحق الذي تفرد بالبقاء الدائم، الجامع للخير والمحامد كلها، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو سبحانه الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، هو الحق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس / ٣٢] .

وهو سبحانه الحق ، المعبود بحق ، ولا معبود بحق سواه ، وكل معبود سواه باطل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج / ٦٢] .

وهو سبحانه الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأرسل الرسل بالحق ، وحكم خلقه بالحق ، وحكم بينهم بالحق ، وهو سبحانه الحق المبين لا إله إلا هو .

والحق أعظم أسماء الله الحسنى وأعلاها وأحسنها ، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم كلها قاطبة : ﴿ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤] .

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه ، ولا تستطيع الأبدان الخروج عن ملكه وأمره ، ومتى رامت ذلك سلبها التوفيق ، وعزلها عن مرادها ، وقهرها بأمره ، فأسرعت إلى مراده : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] . وهو سبحانه الحق الذي أظهر بصفاته أنه الحق، وأودع الحق والتوحيد في قلوب العارفين، وجعله سفيراً بينه وبين عباده، مؤدياً عنه شهادة الحق بأنه الحق ﷻ .

وأنا رب سبحانه قلوب المؤمنين بالحق ، فرأت الحق وأحبتة ، وعظمتة وأطاعته ، وخرت ساجدة بالحق للحق ﷻ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عِندَآءِ النَّبْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

فسبحان الكريم الحق ، الذي أرسل رسله بالحق ، ليعم جميع المكلفين بالحق، وينير الطريق
للسالكين إليه، ويقطع جدل المخاصمين فيه، ويدحض حجج المعاندين للحق: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية/ ٢٢].

ولما كان من كمال الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، أن يكون له
حب وبغض، ورضى وسخط، اقتضى ذلك أن يكون له أمر ونهي، ومأمور ومنهي ؛ لأنه
ملك يأمر وينهى كما يشاء ، بما شاء ، متى شاء.

ولما كان لا بد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه ، أرسل برحمته الرسل بالحق، وأنزل الكتب بالحق ،
فمن قبل الحق ، أحبه الحق ، واستعمله فيما يحبه ويرضاه.

ومن رد الحق ، أبغضه الحق سبحانه وخذله، فاستعمله الشيطان فيما يبغضه الحق ويكرهه، فأحبط
الله عمله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد / ٢٨].

وكان من تمام الحكمة والحكم بالحق أن يثيب الله المحسن ، ويعاقب المسيء كما قال
سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم/ ٣١].

فكل ما أمر الله ورسوله به، وكل ما أحبه الله ورسوله فهو الحق ، وثوابه الجنة، ورضوان
الرب ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه، وكل ما أبغض الله ورسوله فهو الباطل ، وجزاؤه النار ،
وسخط الرب.

فكل طاعة يفعلها العبد من الرحمن ورضوانه، وكل معصية من النفس والشيطان الذي
حذرنا الله منه بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ [فاطر/ ٦].

ولا فلاح ولا نجاة للخلق إلا بطاعة الرحمن ، ومعصية الشيطان: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ﴾ [يونس/ ٣٥].

وكل طاعة ومعصية ، وكل خير وشر ، وكل حق وباطل ، كل ذلك لا يقع من العباد إلا بإذن الله
ومشيئته وعلمه لكن الله يحب الحق والخير والطاعات ، ويأمر بذلك ، ويرضى به ، ويكره الباطل

والشر والمعاصي، وينهى عنه ولا يرضاه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر/ ٧].

والرسل والكتب تبين للناس هذا وهذا: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير / ٢٨ - ٢٩].

فسبحان الملك الحق ، والإله الحق ، الذي ملأ أركان الوجود كلها بعظمته وجلاله، ورحمته وإحسانه، وشمل أقطار الكون كلها بحكمته وقدرته وعلمه، وقهر جميع المخلوقات لطاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الحق ، وكل معبود سواه باطل: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُمُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج / ٦٢].

وهو سبحانه الملك الحق ، الذي يحكم بين عباده يوم القيامة بالحق والعدل والإحسان، الديان الذي يحاسب الأولين والآخرين على أعمالهم ، ثم يجازيهم على ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦ - ٨].

وهو سبحانه الحق الكريم ، الذي يضاعف الحسنات، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠]. وهو سبحانه الديان ، مالك يوم الدين ، مالك يوم الحساب والجزاء على الأعمال، وله الحمد على العدل والرحمة والإحسان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحق الديان، الذي يجازي كلاً بعمله ، ويقتص للمظلوم من الظالم، ومن السيد لعبده ، ومن القوي للضعيف.

وإذا حكم الله يوم القيامة فلا ظلم ولا جور: ﴿الْيَوْمَ نُحْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر / ١٧].

فسبحان الملك الحق ، الذي أحصى جميع أعمال عباده، ثم يحكم الديان بينهم يوم القيامة بالعدل والإحسان ويوفيهم جميعاً أجورهم ، ويزيدهم من فضله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران / ٣٠].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرْلًا بَعْضُهُمْ» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بِهِمَا؟ قَالَ «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(١).

وهو سبحانه الملك الحق الذي يضع الموازين يوم القيامة؛ إظهاراً لعدله بين خلقه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

واعلم رحمك الله أن الديان الحق سوف يحاسبك على جميع أعمالك، فحاسب نفسك في الدنيا ما دمت تستطيع، فأنت في دار المهلة والعمل، قبل أن تموت وترى العمل، ولا تستطيع التوبة والندم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل عمران / ١٠٦-١٠٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم^(٢).

والله تعالى هو الملك الحق الذي يُحِقُّ الحق، وَيُبْطِلُ الباطل، ويحكم بين عباده بالعدل والإحسان، ويأمرهم بالعدل والإحسان والفضائل، وينهاهم عن الظلم والبغي والردائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل / ٩٠].

وهو سبحانه الحق الذي لا عدل منه، ولا أفسط منه، فهو الذي عدل في حكمه وأمره، وعدل وأحسن في ثوابه وعقابه، الذي يأمر بالقسط، ويحب أهله كما قال سبحانه: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩١﴾ [الحجرات / ٩].

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٢)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خَلَقَهُ إِلَّا وهو موزون بميزان العدل والقسط، وتعالى الله عن الإهمال والمجازفة ، وتنزه الله عن الحيف والجور: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكْ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٠].

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه موزون بقدر في نوعيته وكميته، ومكانه وزمانه، وصورته: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] . والله ﷻ هو الحق الذي عدل في جميع أفعاله، وعدل في جميع أحكامه.

فهو الحق ، وقوله الحق، وفعله الحق ، ودينه الحق.

يسط ويقبض .. ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويعز ويذل .. ويقدم ويؤخر.. ويكرم ويهين .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل .. ويعافي ويبتلي.

هو الحق الذي لو عذب أهل سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم العدل ، ولو نعم أهل سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم الفضل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس / ٤٤] .

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي كل ما نراه وما لا نراه من مخلوقاته فهو الحق، وكيفما كان فعله فهو الحكمة، وكيفما صرّف حكمه وتدييره فهو العدل والرحمة فافهم، فإن لم تفهم فابك على الجهل حتى يفهمك من منعك أن تفهم ، فافهم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه / ١١٤] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الحق :

اعلم وفقك الله لمعرفة وطاعته أن معرفة الحق ﷻ من أعظم العلوم وأشرفها وأنفسها. وبإصابة الحق في الاعتقاد والقول والعمل تنال شرف الدنيا والآخرة، وتسعد بدخول الجنة، والنجاة من النار ، ورضوان الرحمن.

وباتباع مَنْ أمر بالحق تنال معرفته، وتشرف بحسن عبادته، وبمعرفة ﷻ بأسمائه وصفاته تحبه، وتعظمه، وتسكن إليه، وتذوق حلاوة الإيمان به، ولذة مناجاته.

فاجتهد رحمك الله في طلب معرفته ، والاعتذار عن التقصير في حقه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

واعرف الحق العظيم الذي خلق الله به كل شيء، وأقام به كل شيء، ونفذ به حكمه وتدييره، وعدله وإحسانه، وفضله ورحمته.

وبه أضل وهدى، وبه أمر ونهى، وبه أبعد واصطفى، وبه ابتلى وعافى، وبه أمات وأحيا، وبه خذل ونصر، وبه حمد نفسه، وبه أظهر كمال قدرته وعلمه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفت الملك الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله، فاعلم أنك عبده، وللملك على عبيده حقوق كثيرة تقابل إنعامه عليهم، وإحسانه إليهم، وتليق بجلاله وعظمته. فحقه سبحانه لازم لك أيها العبد في ظاهره وباطنه، وفي أولك وآخره، فهو الذي خلقك وصورك، وأنشأك ورباك، وهداك وحفظك من الآفات. نعمه عليك سابعة ظاهرة، وفي جميع أمورك وأحوالك شائعة.

وحقه عليك في كل نعمة جاد بها عليك واجب، فأطعه وعبده، ولا تشغلك نعمه عليك عن عبادته وطاعته: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

واعلم أن له الحمد وحده أن هداك للإسلام، وأذن لك بذكره، وسمح لك بعبادته، وأقامك في طاعته، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته؛ لتنال بذلك المزيد من فضله، وتسعد برضوانه والقرب منه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٧].

واعلم أن الذي يثقل في الميزان يوم القيامة هو الحق، والذي يخف فيه هو الباطل، فثقل ميزانك بالإيمان والطاعات، وإلا خف بضد ذلك: ﴿يَوْمَ يَدُّ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

وأقم اليوم ميزانك، وأعط القسط من نفسك لربك، ووفّ قسطه وحقه حسب طاقتك: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ﴾

هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعِصُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج / ٧٨].

واستغفر الحق سبحانه لما عجزت عنه، واعتذر له من ضعفك عن القيام بحقه، واطلب منه العفو عن جرأتك على معصيته وهو يراك: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

وكن قائماً بالحق والقسط والعدل في حق نفسك، وفي حق غيرك، وعليك بالعدل والإحسان في جميع أمورك، وفي أقوالك وأفعالك، واستفرغ كل أوقاتك في ذلك.

واعلم أنه ليس لك هناك إلا ما قدمته هنا، وبميزانك اليوم يوزن لك غداً: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

وسبح بحمد ربك القائم بالقسط والعدل في خلقه وأمره، واصبر على ما أصابك، وإن ظلمك الخلق فاعدل وأحسن؛ لتنال عبودية الصبر والإحسان: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [يوسف / ٩٠].

وسبح بحمد الحق الذي خلقك في أحسن تقويم، وزودك بالسمع والبصر، وخصك بالعقل والفكر، ويسر لك العلم والعمل: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى / ٦-١١].

وإياك أن تشغل قلبك وجوارحك في غير طاعة ربك، فأنت عبده، وليس لك إلا امتثال أمره: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿١٥﴾ [مريم / ٦٥]. فمن حق الحق عليك سبحانه أن تطيعه ولا تعصيه، وأن تذكره ولا تنساه، وأن ترجوه ولا ترجو أحداً سواه، وأن تخافه ولا تخاف أحداً سواه: ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ كَمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ وَإِنَّكُمْ بِهِ لَدَائِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المائدة / ٧].

ومن حقه عليك أن تعرفه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی؛ لتدعوه بها، وتعبده بالاتصاف بها كما أمر: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ [آل عمران / ٧٩].

ومن حقه سبحانه عليك أن تُجِلَّ مقامه وجلاله ، وعظمته وكبريائه ، وأن تشفق من غضبه وسخطه ومقته، وأن تفر من عدوه إليه، ومن معصيته إلى طاعته: ﴿ فَعَرِّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

ومن حقه عليك أن تعرف إحسانه إليك ، وفضله عليك ، وتودده إليك ؛ لتشكر الحق على جزيل عطائه وإحسانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم / ٧].

ومن حق الحق عليك أن تنظر في ملكوته العظيم ، وإبداعه العجيب ، و تتصفح حكمته في خلقه، وقدرته في صنعه ؛ لتعظمه وتشهد له بوحدانيته: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْأَيْتِ وَالنُّذُرِ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١].

ومن حقه سبحانه عليك أن تنظر في كلامه العظيم ، وتتلو كتابه الكريم ؛ لتعرف الخالق الحق بأسمائه وصفاته ، وتفهم مراده منك ، ومرادك منه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد / ٢٤].

ومن حقه سبحانه عليك أن تُظْهِرَ حقه عليك في جميع أحوالك ظاهراً وباطناً ، في إسلامك وإيمانك، وفي صدقك وإخلاصك، وفي جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام / ١٦٢-١٦٣].

واعلم وفقك الله لطاعته أن حق الله عليك في باطنك أربعة أقسام:
الأول: حق الله على القلب : بأن يؤمن بالله ، ويصدق به ، ويقر بأن الله لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله ، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والمثل الأعلى، وله الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس / ٣].

الثاني : حق الله على العقل: بأن يعرف الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف ما أنزل في كتبه، وما أرسل به رسله ؛ من أمره ونهيه ، ووعدته وووعيده ، ويعرف ملائكته وكتبه ورسله، ليكمل إيمانه بمعرفة الحق ، وما أمر به الحق : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

[الحديد/١٦-١٧].

الثالث: حق الله على الروح ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ [الزمر/٢-٣].

الرابع: حق الله على النفس ، ويحصل بالخضوع والخشوع للعزیز الجبار ، والافتقار إليه ، والانكسار بين يديه ، والصبر على طاعته ، والصبر عن معصيته ، والصبر على أقداره ، والرغبة إليه ، والمحبة له ، والرجاء له ، والخوف منه ، وحسن عبادته ، والنصح لعبادته ، والرحمة لخلقه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ زَوْجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون /١-١١].

فهذه صفات أولياء الله فالحق بهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق يملك نفسك وروحك وجسدك ، ويملك سمعك وبصرك وعقلك ، ويملك وقتك ومكانك ولسانك .

فارغب إلى الحق سبحانه أن يستعمل لسانك بذكره ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، ويستعمل جميع جوارحك بطاعته ، وحسن عبادته ، ويستعمل عقلك في التفكير في آياته ومخلوقاته ، وأن يجعل لك الأرض مسجداً ، والحياة مربحاً : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ [الإسراء/٨٠-٨١].

واعلم أن أحق الحق أن تعلم أنك عبد للحق سبحانه ، فتؤمن به وتوحده ، وأن تعمل بالحق الذي أنزله ، وتدعو إلى الحق الذي أمرك بإبلاغه لخلقه ، وما سوى ذلك باطل وخسران :

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١ - ٣] .

وتفكر في ملك ربك العظيم ، وتدبر آياته وآلائه ، ترى بقلبك الخالق فوق المخلوق ، والمصور يُصور الصور .

وترى الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والعليم يُعلم ، والملك يدبر :
﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج / ٥ - ٧] .

وإذا عرفت ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعبده كما يليق بجلاله وعظمته ، واشكره على إحسانه وفضله ، فهو الحق الواحد الأحد الصمد وحده لا شريك له : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥] .

واعلم أن الحق سبحانه يسمع ويرى كل شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم الواسع ، فتب إلى ربك العظيم من التقصير في أداء حقوقه ، وحقوق عباده ، وتب إليه من انتهاك حرماته ، وتجاوز حدوده :

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور / ٣١] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣] .

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَآخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ «متفق عليه (١) .

اللهم أنت أحق من عبد ، وأحق من شُكر ، وأرأف من ملك ، وأجود من سُئل ، وأرحم من رحم ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) ، ومسلم برقم (٧٦٩) ، واللفظ له .

المبين

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور / ٢٥].

الله ﷻ هو الحق المبين نفسه بما أظهر من دلائل وجوده وقدرته ووحدانيته.

المبين للأبصار والبصائر شواهد الوحدانية، وآيات الربوبية، وعلوم الإلهية.

وهو سبحانه المبين، الذي يوضح الحق، ويظهره ويكشفه لعباده بإقامة البراهين عليه، ليفصل به

الحق من الباطل، ويرحم به من شاء من عباده: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

وهو سبحانه الحق المبين الذي بيّن لعباده أسمائه وصفاته، وأفعاله في مخلوقاته، ليعرفوه

ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

وهو سبحانه الحق المبين، الذي أعطى البيان للإنسان: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ﴾ [الرحمن / ١-٤].

وهو سبحانه الحق المبين، الذي بيّن بوحيه المنزل، ورسوله المرسل ﷺ، كل ما يصلح به

العبادة في الدنيا والآخرة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٨].

فسبحان الملك الحق المبين، والإله الحق المبين، اليّين أمره في الوحدانية والعظمة، والجلال

والكبرياء، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى في السموات والأرض:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢].

وسبحان الملك الحق المبين، الذي بيّن لخلقه سبيل الرشاد، وكشف لهم الصراط

المستقيم، ليسلكوه إليه، ووضّح لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها الثواب، وكشف

لهم الأعمال السيئة التي يستحقون بها العقاب؛ لأنه الكريم الرحيم الرؤوف بعباده: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء / ٢٦].

[النساء / ٢٦].

واعلم أن الخلق لما قُصرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم ، مع ما فرضه عليهم من وجوب معرفته، بيّن لهم سبحانه أسماء وصفاته ، بما أظهره من المخلوقات العظيمة ، والآيات الكريمة، الدالة على معرفة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان من بيّن أسماء الحسنی ، وصفاته العلی ، في جميع مخلوقاته وأوامره الكونية والشرعية ، التي تدل على كمال علمه وقدرته ، وتشهد بوحدانيته .

أبان سبحانه كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات، وأنزل كتابه المبين مبيناً لمراده من خلقه، وأرسل رسله لبيان ما في كتابه، حتى أظهر الحق من الباطل، وبين التوحيد من الشرك ، وبين الخالق من المخلوق ، والقادر من العاجز: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل/ ٤٤].

فانظر وتفكر في هذا الكون العظيم ، تجده كله أعلاه وأسفله ، مشيراً بأجزائه وجملته إلى أسماء الله الحسنی، وصفاته العلی .

والأسماء والصفات تشير إلى الملك الحق المبين ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦- ٨] .

وإذا عرفت هذا عرفت الملك الحق المبين، وماذا يجب له من التوحيد، والتعظيم، والعبادة. وإذا تبين لك الطريق ، واستبان لك السبيل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المبين :

اعلم هداك الله لمعرفة أن الله هو الحق المبين، بيّن نفسه بما أظهره من أسمائه وصفاته في مخلوقاته وآياته .

وبيّن ما يحب وما يكره، وما يرضيه وما يسخطه ، وما يقبله وما لا يقبله .

فعليك بمعرفة ربك بأسمائه وصفاته، وعبادته بموجبها، وإحسان العبادة لمن يسمعك ويراك:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

وعليك بمعرفة ما تقرب به إلى مولاك، وتنجو به من عذابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه ، ووعدته ووعيدته، ومواعظه وأحكامه وأخباره.

فقد بين ذلك كله في كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

ثم اعمل بما علمت، وبيّنه للناس ، وأحسن إليهم كما أحسن الله إليك ، وعلمهم كما علمك الله ، تكن من الربانيين: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

واعلم أن الله بيّن في كتابه مراده من عباده، وبيّن رسوله ﷺ أحسن ما يتقربون به إلى ربهم، فبيّن أنت لخلقه ذلك، وعلم عباده مما علمك الله ، وثواب ذلك عائد عليك، عسى أن تحشر في زمرة العلماء ، تلو الأنبياء، شاهداً على الناس مع الشهداء بالحق المبين:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة / ١١] .

وإذا وهبك الله نعمة العلم بأسمائه وصفاته ، والعلم بدينه وشرعه ، وحلاله وحرامه ، وثوابه وعقابه ، فبيّنه للناس ، واعبد ربك بمقتضاه ، تفوز برضاه : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وإياك وكتمان العلم إن وجدت له سائلاً ، أو ألفت له طالباً ، أو تبينت له موضعاً، فكاتم البيئات من العلم والهدى ملعون في كتاب الله ، ويلجم بلجام من نار يوم القيامة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠] .

اللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه، يا أرحم الراحمين .

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾

[طه / ٢٥ - ٢٨] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ .
اللَّهُمَّ آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا ، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا .
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ
لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به
جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

الحي

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الذي حياته كاملة، ليست مسبقة بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعترها نقص أو عيب.

فهو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال، من السمع والبصر، والعلم والقدرة، والكرم والرحمة، والإرادة والمشيئة، وغير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨] .

ومن هذا شأنه، وهذه صفاته، هو الذي يستحق أن يطاع ويُعبد، ويُركع له ويُسجد، ويُذكر ويُحمد: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥] .

أما الحي الذي يموت، أو الميت، أو الجماد، فكل هؤلاء، وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئاً من العبادة؛ لأنهم من العبيد الفقراء، الذين لم يكونوا شيئاً، ثم خلقهم الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل / ٢٠-٢١] .

بل المستحق للعبادة هو الحي الذي لا يموت، فأخلص له العبادة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان / ٥٨] . فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حياً.

أحيا الأرض بالنبات، وأحيا الأجساد بالأرواح، وأحيا القلوب بالإيمان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس / ١٢] .

واعلم وفقك الله لمعرفة وعبادته ، أن الحي القيوم من أعظم أسماء الله ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحسنی ، وجميع صفات الله راجعة إليهما ، ويرجى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب .

فالحی جامع لصفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها .
والقيوم جامع لصفات الأفعال كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والعمو والرحمة وغيرها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران / ٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم بنفسه ، المقيم لخلقه خلقاً ، ورزقاً ، وتدبيراً .
وسبحان الحي القيوم ، الذي خلق الحياة والأحياء ، الذي يحيي ويميت ، الذي خلق كل شيء ، وأحكم صنع كل شيء ، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

فسبحان الحي القيوم الذي يحيي كل ميت ، ويميت كل حي ، فليس يميت الحي قاتله ، ولا يحيي الحي تاركه ، بل الله وحده الذي يحيي ويميت ؛ لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [ق / ٤٣] .

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل ميت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة / ١١٦] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحي :

اعلم أن مقاليد الأمور كلها بيد الحي القيوم وحده لا شريك له .
فاسأله أن يرزقك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وأن يحيي قلبك بالإيمان ، ويحيي جسدك بالأعمال الصالحة ، ويلبسك لباس التقوى : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وإذا خصك الحي القيوم بهذه النعمة فأحيك ، ونور قلبك بالإيمان ، فهو يريد منك أن تكون عبداً حياً قائماً بين يديه بالعبادة ، وقائماً بين خلقه بالدعوة إلى الله ، والإحسان إليهم ، وإصلاح ذات بينهم ،

وهذا مقام الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣].

واشكر الحي القيوم على إحسانه، واحمده على هدايته، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام / ١٢٢].

والزم باب العبودية للحي القيوم ، فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ، فتُحرم مما تحب ، فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب ، هان عليه قدر ما يبذل فيه : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠].

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ، فحياة القلوب بالتوحيد ، والإيمان بالله والعمل الصالح من أعظم الهبات التي يخص الله بها من يعلم أنه يزكو بها : ﴿ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران / ٧٤].

وهذه الحياة أعظم نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة ؛ لأنها تكشف عن البصر غطاءه ، وتزيل عن السمع وقره ، وترفع عن القلب أكنته .

فيصير العقل حقائق المخلوقات ، وينظر إلى آيات ربه ، ويبصر شواهد وحدانيته ، ويسمع شهادة الشاهدين بالوحدانية ، فيستجيب لربه الحي القيوم : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال / ٢٤].

وبهذه الحياة الطيبة ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، والخلق الطيب ، تطيب النفوس ، وتشرح الصدور ، وتطمئن القلوب ، وتنجلي عنها ظلمات الشرك والشبهات ، وتنتفح لها طرق الخير ، وأبواب البر ، فتشرق بنور ربها ، فترى الحق حقاً ، والباطل باطلاً : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد / ٢٨].

واعلم أنه إذا خالط الإيمان بشاشة القلوب ، ومازج نوره لحم الإنسان ودمه ، صار حياً حياة أخرى .

فأبصر بعد العمى .. وسمع بعد الصمم .. ونطق بعد البكم .. ودَكَرَ بعد الغفلة .. وأطاع ربه بعد المعصية : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

واعلم أيها الحبيب أنك إن حييت هذه الحياة في الدنيا ، لم تمت أبداً إلا مودة النقلة من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم تصير إلى حياة النعيم أبد الآباد، في مُلك لا تستطيع أن تتوهمه ، فكيف تستطيع أن تصفه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٧] .

ومن طاب قلبه ، طاب عمله ، وطاب مقامه : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [النحل/ ٩٧] .
وإن حُرِّمت هذه الحياة في هذه الدار ، بقيت فيها قليلاً بحياة تضاهي حياة البهائم والأنعام ، ثم تموت بعدُ مودة الكفر التي كنت فيها، ثم يبعثك ربك لا لإكرامك، بل ليجازيك بسوء أفعالك : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِن لَّهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٦﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُمُتًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه/ ٧٤-٧٥].

واعلم أن خشية الله إنما تحصل للعبد بالعلم النافع، وقوة اليقين، وكمال الإيمان، ومنه تخرج ثمرة التوحيد، وتثمر كل عمل صالح، وثواب من الرب جزيل، ونعيم من الكريم دائم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزِّلًا مِّنْ عَفْوَ رِجِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن صلاح قلبك هو المراد منك ، وعليه مدار أمرك ، ففرِّغه لما أمرت به ، واطلب صلاحه، فجميع طرقك إلى ربك مفتقرة إليه، ولا يتم شيء بينك وبين ربك إلا به ، فاملأه بالإيمان ، تجني منه أحسن الثمار والأعمال والأخلاق .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

وتوجه بعبادتك للحي القيوم ، الذي يراك حين تقوم ، وأخلص جميع أعمالك له ، ولا تشرك معه فيها أحداً ، فإنك قادم عليه ، وراجع إليه: ﴿ وَعَنْتَ أَلْوَجْهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه/ ١١١].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ [نوح/ ٢٨].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(٢).

« يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » أخرجه النسائي في الكبرى^(٣).

اللهم يا حي يا قيوم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١٠٤٠٥)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٧).

القيوم

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢].

الله ﷻ هو الحي القيوم، القائم الدائم الذي لا يزول، القائم بنفسه، الذي لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد.

وهو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، الذي افتقرت إليه جميع المخلوقات، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها.

فهو الحي القيوم الذي خلقها، وأحياها، وأقامها، ورزقها، وحفظها وأبقاها: ﴿بَيَّأُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت رقابةً وخلقاً ورزقاً وعلماً وتدبيراً.

وهو سبحانه القائم على الصراط المستقيم، الذي هو الحكمة والعدل والإحسان، الباقي بعد فناء كل شيء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن / ٢٦ - ٢٧].

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء قائم به، مستسلم له، خاضع لعزته، متصاغر لكبريائه، متذلل لعظمته، مسبح بحمده، مطيع لأمره.

وهو سبحانه قيوم السموات والأرض، القائم للخلائق بجميع معاني وجودها، الحافظ لها، المصرف أحوالها، الحاكم لها، الرحيم بها، المالك لها وحده لا شريك له: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / ١٨].

قيوم لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، وكيف ينام وهو سبحانه القائم بجملة الخليفة، وتدبير أمورها جملة وتفصيلاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢].

وقيام كل شيء بأمره، وبقاء كل شيء بإذنه، من صغير وكبير، وعال وسافل، فلو رفع عنه أمر البقاء لزال وانعدم فوراً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر / ٤١].

خلق سبحانه جميع المخلوقات ، وأبدعها على غير مثال سابق، وجعلها مظهراً لأسمائه وصفاته، شاهدة بتوحيده ، مسبحة بحمده، ثم سوف يفترق الجمع ، وتزول الآثار، ويبقى الله وحده لا شريك له: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الفصص/ ٨٨) .

فسبحان القائم بنفسه، القائم بخلق الخلق، القائم بقسمة أرزاقهم ، وتصريف أحوالهم، وحشرهم وحسابهم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْتُمْ وَعَدْتُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥) ﴿مريم / ٩٣ - ٩٥﴾ .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره.

مالك الملك ، الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

العالم بكل شيء ، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

سبحانه ما أعظم قدرته ، وما أعظم تدبيره لملكوته: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥) ﴿الروم / ٢٥﴾ .

هو القادر على كل شيء ، الذي لكمال قدرته خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض وما بينهما، وخلق الدنيا والآخرة، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه.

وهو السميع لكل صوت، الذي لكمال سمعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو البصير بكل شيء ، الذي لكمال بصره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في

الأرض: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) ﴿البقرة/ ٢٩﴾ .

فسبحان الحي القيوم القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت، القائم على كل نفس بما كسبت: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا﴾ (٦٥) ﴿مريم/ ٦٥﴾ .

وَمَنْ هَذِهِ صِفَاتِهِ ، وَهَذَا خَلْقُهُ ، وَهَذِهِ قُدْرَتُهُ ، هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ

فِي الْأَرْضِ أَمْ يَضَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٢﴾ [الرعد / ٣٣] .

واعلم وفقك الله لمعرفة حكمته أن الله لم يوجد المخلوقات لمحض الفناء ، بل لتعرف عظمته وقدرته وعلمه ، وأسماءه وصفاته وأفعاله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

ولما أرى ﷻ الألباب والعقول عظيم قدرته على الإيجاد، ولطيف حكمته في إتقان الصنع، وجميل فضله وإحسانه في العطاء، استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء ؛ إظهاراً لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والجبروت .

ثم أفنى الحي الذي لا يموت تلك المخلوقات ، تفرقة بين عزته وذلتهم ، وبقائه وهلاكهم ؛ لأنه الملك الحي الذي لا يموت ، وهم المماليك والعيبد له، يفعل بهم ما يشاء: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ثم هو ﷻ أوجد خلقه إظهاراً لكمال قدرته وقوته وعظمته ، ثم يفنيهم ويعيدهم تكميلاً لحكمته في خلقه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٧﴾ [الروم/ ٢٧] .

فسبحان الحي القيوم الذي ما شاء أبقاه إلى أمد، فإذا قطع عنه أمر البقاء أفناه . وكل موجود سواه فان : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ فسبحن الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴿٨٣﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

وكل ما أريد به وجهه باق، وفاعله مكرم غير مهان، ومالم يُرد به وجهه فضائع، وفاعله باق في الهوان: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ [الزخرف / ٤٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه القيوم :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن مفتاح التبعيد بكل اسم من أسماء الله الحسنى طلب علمه ، وفهم معناه، ومعرفة مجاريه في العالم العلوي والسفلي، وتتبع آثاره في المخلوقات ، حتى تبلغ درجة اليقين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

واعلم أن من حق ربك عليك أن تعرف أسماءه الحسنی ، وصفاته العلی ، وتبصر القائم على كل نفس ، الذي قام كل شيء ، به وترى القيوم الذي لا ينام أبداً .

فإذا عرفت ذلك قمت بين يدي ربك خاشعاً ذليلاً بالمحبة والتعظيم ، وقضيت أوقاتك في طاعته ، واستعملت جوارحك في عبادته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قِنْتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

فسبحان من كل شيء له عابد ، ولعزته خاضع ، ولرحمته راج ، ولإحسانه محتاج : ﴿ وَلَهُ ۗ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران / ٨٣] .
فارغب إلى مولاك الكريم بالقيام بحسن الطاعة ، ودوام العباداة ، تنال الأجر الكبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك / ١٢] .

واعلم رحمك الله أنك للبقاء خلقت ، ولم تخلق للفناء ، وإنما تُنقل من دار إلى دار لتجزى بعملك ، ثم تستقر في دار القرار حسب ما عملت ، في الجنة أو النار .

فاعقل رحمك الله من أنت ؟ وعبد من أنت ؟ ولم خلقت ؟ وما الذي يريد ربك منك ؟ وإذا عرفت أن ربك هو الحي القيوم ، وإليه تنتهي الأمور ، وعنده خزائن الأجور ، فاعمل له بكل جهد ، ولا تستبق منك باقية في العمل له بطاعته ، فقد أعد الله لك بقاءً كريماً لا فناء بعده :

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

وقد أهلك مولاك الكريم لأمر عظيم ، ومقام كريم ، وملك لا يفنى إن أطعته وعملت بما يحب : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

فأرضه بدوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، فسيرضيك ويسترضيك : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٦] .

وإن رغبت عنه ، وجعلته وراء ظهرك ، فاعلم أنك لا بد باق في عذاب أليم ، لا يبىد ولا يفنى ، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيا : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود / ١١٢] .

وتيقن أيها المسلم أن البقاء في الجنة العالية ، خير من البقاء في النار الحامية .

والبقاء غداً في النعيم المقيم ، خير من الخلود في العذاب الأليم : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٠] .

والبقاء في جوار الرحمن ورضوانه ، خير من البقاء في النار وسخط الرب سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ يَمُوكُنْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [١٨] أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ [السجدة / ١٨ - ٢٠] .

واعلم أن الله ﷻ ركب الإنسان على أربع صفات هي :
العقل .. والهوى .. والعفة .. والشهوة .

فالعقل يغالب الهوى ، والهوى يغالب العقل ، والعفة تغالب الشهوة ، والشهوة تغالب العفة : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [٣] [الإنسان / ٢-٣] .

وقد جعل الله لك بواسطة العقل والعفة ، وصدق اللجوء إلى الله ، سلطاناً على نفسك .
فإن كنت من حزب الله ، وقمت بطاعته ، واشتغلت بعبادته ، زادك معونة ، وأجزل لك المثوبة ، ونصرك على عدوك : ﴿ وَالَّذِينَ ءَاهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد/ ١٧] .
وإن جنحت إلى شهواتك، وآثرت هواك، وأبيت إلا مضياً في مخالفة ربك ، وكنك إلى نفسك، وتخلي عن نصرته لك، ونسيك كما نسيته ، فتولاك الشيطان ، واستعملك فيما يسخط الرحمن .
فتنبه لنفسك ، وكن مع الصادقين ، واذكر ربك مع الذاكرين : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٨] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ [الحشر / ١٨-١٩] .

واعلم حفظك الله أن الحكمة في الأمور هي سلم المؤمن إلى نجاته ، ومعراجه إلى ربه ،
ومنال رضوانه ، فمن عديمها أو عديم العمل بها عديم القرب من ربه .

ومن لم يكن حكيماً ، محباً للحكمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق بها خلقه ، لم يزل ينزل سفلاً في أمره كلها : ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١٢٥] قَالَ

كَذَلِكَ أَنْتَ إِيَّا نَا فَتَسِينَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ۝ (١٣٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِيَا بَيْتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۝ (١٣٧) ﴿طه/ ١٢٣-١٢٧﴾ .

فسل ربك الكريم أن يرزقك الحكمة فإنه : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ [البقرة/ ٢٦٩].
وتوجه إلى ربك الكريم في جميع أمورك ، واضرع إليه أن يستعمل جوارحك في طاعته على ما يحبه ويرضاه، لا على ما تحبه وتهواه، واستقم له كما أمرك.

واسأل ربك أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبك ، ويستر عيوبك، ويقطع عنك ما يقطعك عن طاعته ، ويصدق عما يصدقك عن سبيله ، وقل : اللهم ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

واعلم أن الله يحب أسماءه وصفاته، ويحب أن يتحلى بها عباده على ما يحبه ويرضاه .
ويحب الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق ، فعليك بدوام طاعته ، ولزوم سبل محابه : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا ۝ (٢٤) وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ (٢٥) وَمِنَ الْآيِلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝﴾ [الإنسان / ٢٤-٢٦] .

واعلم أن الله كما داوم عليك بإحسانه، وتابع عليك إنعامه، فداوم أنت على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته، ليديم عليك ذلك، ويزيدك من نعمائه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝﴾ [إبراهيم / ٧] .
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝﴾ [النمل/ ١٩] .

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ . أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَأَعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

السميع

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة / ١٢٧] .

الله ﷻ هو السميع الحق ، الذي يسمع جميع أصوات أهل السموات والأرض من جميع الجهات في آن واحد.

وهو السميع العليم الذي يسمع الأصوات كلها ، باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، من المخلوقات كلها ، في آن واحد.

قد استوى في سمعه خفي القول وظاهره ، وسره وجهه: ﴿وَأَسْرُوقَوْلِكُمْ وَأَجْهَرُأَبْهَةٍ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك / ١٣] .

وهو السميع العليم الذي لا تشبهه عليه اللغات ، ولا يشغله سَمْعٌ عن سَمْعٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١] .

فسبحان السميع البصير ، الذي يسمع جميع الأصوات من كل جهة، ومن كل مخلوق ، وبكل لغة، وفي كل وقت ، يسمع ذلك كله في آن واحد.

فيحمد كل شاكر .. ويغفر لكل مستغفر .. ويجيب كل سائل .. ويفرج كل مكروب .. وينصر كل مظلوم .. ويثيب كل محسن .. ويعاقب كل مسيء: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وهو السميع الذي يسمع جميع الأصوات في كل مكان، وفي كل زمان، في آن واحد.

يسمع تسبيح الملائكة كلهم ، ويسمع تسبيح الذرات والجمادات كلها ، ويسمع تسبيح النباتات والأشجار، ويسمع تسبيح الطير والحيوان ، ويسمع تسبيح الإنس والجن ، ويسمع تسبيح كل مسبح في السموات والأرض: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِحَمْدِهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ كُلَّ حَمْدٍ إِذْ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَالْيَاكُوتَ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَن يُؤْتِ اللَّهُ حُجَّتَهُ لَيْسَ لَهُ بَدَلًا مِّمَّنْ يُؤْتِيهِ حُجَّتَهُ وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكْ اللَّهُ بَعْدَ الْعَهْدِ وَأُولَئِكَ أُولُو الْأَلْبَابِ أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْتُونَ﴾ [النور / ٤١] .

ويسمع ﷻ أصوات الرياح والعواصف ، ويسمع أصوات الرعد والصواعق ، ويسمع أصوات البحار والأنهار، ويسمع أصوات المياه والنيران، ويسمع جميع أصوات الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنس ، والجن ، والذرات.

يسمع الكل في آن واحد، ولا يشغله سمع عن سمع، لأنه السميع العليم بكل شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١] .
فسبحان السميع البصير الذي وسع سمعه الأصوات كلها.

فلو قام الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ، ثم سألوا ربهم حاجاتهم في لحظة واحدة، وكلُّ تحدّث بلغته ، لَسَمِعَهُمْ أَجْمَعِينَ ، دون أن يختلط عليه سائل بسائل، أو لغة بلغة، أو صوت بصوت ، أو حاجة بحاجة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١] .

بل يسمعهم ﷻ كلهم ، ويقضي حاجاتهم جميعاً في لحظة واحدة ، ولا ينقص ما أعطاهم من خزائنه شيئاً: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/٢٩] .
فسبحان الغني الكريم الذي يعطي كل سائل ، ولا تنقص خزائنه .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُذْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١) .

• التبعيد لله ﷻ باسمه السميع :

إذا علمت أن الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، يسمع جميع أصوات الخلق في السموات والأرض في آن واحد، فأسمعه ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأذكار ، والحمد والثناء ، والدعاء والدعوة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١] .

(1) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته ، أن الله خلق لك السمع لتسمع به كلامه، وتفهم مراده، وتشكر إحسانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك / ٢٣] .

والناس مختلفون في الاستجابة لاختلاف السامع والمسموع.

فرب سامع خير ، من مرید شر ، كان عنه نجاته ، ورب سامع شر ، من مرید خير، كان عنه هلاكه: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء / ٨٢] .

واعلم رحمك الله أن السميع البصير ، الذي يسمع ديبب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، سميع لأقوالك ، عليم بأحوالك .

فلا يسمع منك إلا ما يسرك يوم تلقاه من ذكر له ، وتسيح بحمده ، وشهادة بوحدانيته ، وتلاوة لكتابه آناء الليل وآناء النهار: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سبحه بكرةً وَأَصِيلًا] ﴿٤٢﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢] .

وأسمعه ما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وهذا وحده هو طريق النجاة والفلاح: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ١٠٤] .

وإذا عرفت أن ربك هو السميع العليم ، فاحفظ نفسك أن يسمع منك ما يغضبه ويسخطه ، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة، وشهادة الزور ، والسب والشتم، وصنه عن الاستهزاء والسخرية بالناس، وفاحش الكلام وغير ذلك من الكبائر .

فكل ذلك سوف تحاسب عليه ، وتعاقب عليه ، فبادر إلى التوبة منه: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران / ١٨١] .

وأكثر من الدعاء بهذا الاسم العظيم ، فحري أن يستجيب الله لك ، وتوسل إلى الله به كما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة / ١٢٧] .

وكما دعت به امرأة عمران: ﴿ إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران / ٣٥] .

وإذا نزغك الشيطان لتفعل سوءاً ، فاستعد بالله منه ؛ ليدفع السميع العليم عنك شره: ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت / ٣٦] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ ﴾ رَبَّنَا وَءَانِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران / ١١٣-١١٤] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٥] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصْرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمٌ لِي نُورًا » أخرجه مسلم (١) .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصْرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي » أخرجه الترمذي والنسائي (٢) .

اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أبقيتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا يا سميع الدعاء .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣) .

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢) وهذا لفظه ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥) .

البصير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات / ١٨].

الله ﷻ هو السميع البصير ، الذي أحاط سمعه وبصره وعلمه بكل أحد، ولا يحيط به أحد، ولا يدركه أحد: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٠٣].

هو البصير الحق ، الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، الذي يبصر ويعلم جميع المخلوقات والمبصرات ، والخفيات والنيات. وهو سبحانه البصير ، الذي يبصر جميع ما في السموات وما في الأرض ، وما عليهن وما بينهن ، من صغير وكبير ، وساكن ومتحرك ، وناطق وصامت.

ويبصر ﷻ ما تحت الأرضين السبع ، كما يبصر ما فوق السموات السبع: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه / ١١٤]. ويرى سبحانه ما في جوف البحار المظلمة من المخلوقات والذرات ، كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك / ١٩].

وهو البصير الذي يبصر ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ، كما يرى العرش العظيم: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا / ٣].

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي يسمع ويرى كل ذرة في ملكه العظيم، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وليس له شبيه ولا مثل ، في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

وإذا عرفت هذا فاعلم رحمك الله أنه لما عسر على أبصار الخلق أن تدرك قرص الشمس في رابعة النهار، لامتناعها بشعاع ضيائها عن إدراك قرصها ، وهي خلق من خلقه سبحانه، لا

يدركها البصر، فكيف يدرك البصير الصغير ، ببصره الضعيف ، البصير الكبير سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام / ١٠٣] .

وكما لا تدركه الأبصار ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ كذلك لا تدرك كنهه البصائر، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) [البقرة / ٢٥٥] .

واعلم بأن كلام الله مسموع بالأذان، مفهوم بالأفهام، يُسمعه من يشاء من عباده كما قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١٦٤) [النساء / ١٦٤] .

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ » متفق عليه (١).

لكن لا يدرك البشر كيفية كلام الرب سبحانه، وإنما يدركون أمره ونهيه، تعالى أن يتكلم بكلامه أحد، أو يعرف كيفية كلامه أحد، أو يدركه بصر، أو يحيط به شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى / ١١] .

ومن آمن بربه في الدنيا، وعبده كأنه يراه، وسمع كلامه بواسطة كتابه الذي أنزله، وعمل بما فيه، فإنه يراه سبحانه في الآخرة عياناً، ويسمع كلامه دون واسطة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

فسبحان الإله الحق المبين الذي خلق الأشياء كلها، ودبرها أحسن تدبير.

خلق سبحانه الخلق لا من شيء بحكمته، وابتدعهم من غير حاجة لهم بقدرته، وأحاط بكل شيء علمه، ورزقهم من كل شيء بكرمه، ليدل على وحدانيته، وكمال قدرته، ويرى خلقه آثار صنعه، وعجائب حكمته، ونفوذ تدبيره في ملكه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٣) [الطلاق / ١٣] .

وليعرف الخلق ما توحد به من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، وما اختص به من القدرة، وما انفرد به من الملك والجلال والكبرياء، والعظمة والعزة، والتصريف والتدبير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦) .

النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وإذا عرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته عبوده وأطاعوه: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه البصير :

اعلم هداك الله لمعرفة أن الله بصير بالعباد، يعلم أفعالهم، ويقسم أرزاقهم، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن تصلح حاله بالغنى، وبمن تفسد حاله بالغنى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء / ٣٠] .

وإذا علمت أن الله بصير بالعباد كلهم، يرى أعمالهم، ويسمع كلامهم، فعليك بالخضوع والذل له، وإحسان عبادته، ودوام المراقبة له، ولزوم طاعته، والبعد عن معصيته، فإنه يراك وإن لم تكن تراه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١١﴾ [يونس / ٦١] .

واعلم أن الله أعطاك البصر لتبصر به مُلك ربك الكبير ، ومخلوقاته العظيمة ، ونعمه السابغة ، وتقديراته النافذة ، وآياته المنزلة ؛ ليزيد نور الإيمان في قلبك ، ويعظم جلال الرب في نفسك: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١] .

واعلم يقيناً أن البصير الحق ﷻ يراك في جميع أحوالك ، فتزين له بالتقوى، وتقرب إليه بما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء / ٣٦] .

وأحسن عبادته، والزم ذكره، وسبح بحمده، واشكر نعمه، واصبر على بلائه، وقم بين يديه عابداً، وقم بين خلقه داعياً ومحسناً، واشكره أن جعلك في قبضة اليمين: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ [التغابن / ٢] .

وإياك أن يراك الله مصراً على معصيته ، فما كفر به أحد إلا من جهله بربه ، وجهله بأمره ، وجهله بنفسه ، وما قدر الله حق قدره من عصاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَأَطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس/٧-٨].

فأبصر رحمك الله مواضع النجاة، ومواطن الهلاك ، وتعرّف على ذلك من كتاب ربك العظيم، وسنة نبيك الكريم : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/١٠٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّكَ تَغْفِيرٌ لَنَا وَتَرْحَمَةٌ لَّنَا وَكَونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/٢٣].
« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم ^(١).

اللهم إنك تعلم سري وعلايتي ، فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي ، فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي ، فاغفر لي ذنوبي ، واستر عيوبي ، ورضني بما قسمت لي ، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

العلي .. الأعلى .. المتعال

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى / ١] .

وقال الله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد / ٩] .

الله ﷻ هو العلي الأعلى ، الذي علا فوق كل شيء بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي أحاط علمه بكل عال وسافل من مخلوقاته، ووسع ملكه كل شيء: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه / ٦] .

وهو سبحانه العلي الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

له علو الذات .. وعلو الصفات .. وعلو القدر .. وعلو القهر.

فهو العلي بذاته على جميع مخلوقاته، الذي استوى على أكبر وأعظم مخلوقاته ، وهو العرش العظيم ، بأعظم الصفات وهي الرحمة كما قال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه / ٥] .

وهو العلي علو قدر، فهو العلي العظيم بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

وهو العلي علو قهر، فهو العلي القاهر فوق عباده، الذي قهر كل شيء، الذي دانت له المخلوقات بأسرها، فلا يتحرك ولا يسكن شيء إلا بإذنه وعلمه وإرادته: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤] .

وهو سبحانه الكبير المتعال عن كل نقص وعيب وسوء، رفيع الدرجات، المستحق لأعظم درجات التعظيم والمدح والثناء الذي: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى / ٤] .

وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي جعل أوليائه هم الأعلون في الدنيا والآخرة ، وجعل لهم الجنة في السماء في أعلى عليين: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِّسَعْيِهِنَّ رَاضِيَةٌ﴾ [٨] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [١٠] .

[الغاشية / ٨ - ١٠] .

وأصحاب عليين هم جلساء الرحمن ، على منابر من نور ، في أرفع الدرجات علواً وسمواً في مقعد الصدق عند الملك الحق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وجعل سبحانه الكفار والمكذبين في سجين ، في أسفل سافلين ، وهي مقر سجنتهم تحت الأرض ، خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين/ ٧]. فسبحان العلي الأعلى ، الذي علا وملك وقهر كل شيء ، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له.

أكرم من أطاعه في أعلى عليين ، وأهان من عصاه في أسفل سافلين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

والله ﷻ هو العلي الأعلى ، ذو المعارج ، الذي تعرج الملائكة والروح إليه صعوداً: ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج/ ٣-٤].

وتنزل الملائكة بالروح من أمره: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل/ ٢].

فسبحان العلي الذي جعل لكل روح معراجاً، ولكل عمل معراجاً، ولكل أمر معراجاً.

وسبحان العلي القدير الذي يملك التصريف والتدبير، الذي خلق المعارج والمنازل، فأمره نازل أبداً، وصاعد أبداً، لا إله إلا هو العلي العظيم: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد/ ٤].

هو العلي العظيم الذي خلق الملائكة، وعمر بهم السموات السبع، وجبلهم على السمع والطاعة أبداً ، وسماهم الملائكة لفعالها ؛ لأنها تملك الملكوت ، وتجدد ملكه ، وتدبر الأمر بإذن ربها ، وتبلغ الوحي إلى الرسل .

كل مطيع ربه لا يعصيه ، وكل متوحد بعمله ، لا يتعداه إلى سواه : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

وهم مجبولون على الطاعة لربهم، ومنزلتهم في طاعتهم لربهم كالحواس الخمس في بني آدم ، لا معصية عندها لحاملها ، ولا تحاسد بينها في مراتبها.

كُلُّ متوحد بعمله ، مع التسييح والتقديس لربه .

فمنهم القائم أبداً ، ومنهم الراكع أبداً ، ومنهم الساجد أبداً ، ومنهم الذاكر أبداً ، ومنهم القائم بأمره أبداً: ﴿ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [١٩] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء / ١٩ - ٢٠] .

فسبحان العلي بذاته وأسمائه وصفاته، العليم الذي لا تخفى عليه ذرة من ملكه.

• التبعيد لله ﷻ باسمه العلي :

اعلم رحمك الله أن مفتاح التبعيد بأسماء الله الحسنى ، طلب علمها ، وفهم معانيها ، فتوجه إلى ربك الكريم ، واسأله أن يطلعك على أعلى درجات ذلك، فإنه جل جلاله العلي الأعلى، المتعالي بالمجد والمحامد، والثناء والبهاء، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٧] .

وإذا عرفت أن ربك هو العلي العظيم فعظمه بقلبك ولسانك وجوارحك، ووحد بأسمائه وصفاته وأفعاله، ونزهه عن كل ما لا يليق بجلاله، واعبده بما شرعه وحده لا شريك له: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وإذا عرفت ذلك وأبصرته بقلبك ، فارجع النظر إلى نفسك ، تنكشف لك حقيقتها، ويتبين لك ضعفها ، وسفال درجتها ، ومقدار جهلها: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف / ٥٣] .

فتقرب إلى ربك العلي الأعلى بكمال الخشوع والخضوع ، والإكثار من الركوع والسجود ، مستشعراً عجزك وضعفك، وصغر قدرك، وسفال منزلتك: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧] .

وإياك والعلو والتعالي، وحب ذهاب الصيت والذكر بين الناس.

والزم التواضع في جميع أمورك لتنال رحمة الله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴾ [القصص / ٨٣] .

ثم راجع العمل فيما بينك وبين الله ، بطلب معالي الأخلاق والأعمال ، والتحلي بمقتضى أسمائه وصفاته ، على ما يحب من ذلك ويرضاه.

وسارع إلى الخيرات ، وتفترغ للباقيات الصالحات ، ونافس في أعلى الدرجات من ذلك ، تنال أعلى الدرجات: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد/ ٢١].

وارض رحمك الله باليسير من عطاءه ، يرضى عنك باليسير من العمل. واعلِّ بهمتك صُعُداً إلى التقرب إلى الله ، والتَّعبُد له بمعاني أسمائه وصفاته ، ليكون ذلك وصفاً لك عنده ، فإنه سبحانه يحب معالي الأخلاق والأعمال ويكره سفاسفها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٩٠].

وارغب إلى ربك أن يرفع ذكرك عنده ، ويعلي درجاتك ، وأن يرزقك حسن عبادته ، ودوام ذكره ، لتكون مع الصفوة المختارة في الرفيق الأعلى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠].

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى ، فكل المخلوقات تسبح بحمده ، وتطيع أمره: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربي الأعلى العلي المتعال ، الذي يصعد إليه كل الكلم الطيب ، والعمل الطيب ، من الذكر ، والدعاء ، والعمل الصالح: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ [فاطر/ ١٠]. هو العلي العظيم ، القوي القادر ، الذي يدبر الأمر في السماء والأرض.

فيرحم هذا ، ويعيظ هذا ، ويعطي هذا ، ويمنع هذا ، وينصر هذا ، ويخذل هذا ، ويشفي هذا ، ويفرج كرب هذا ، ويعز هذا ، ويذل هذا ، ويأمر هذا ، وينهى هذا: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فاحرص رحمك الله ألا يصعد منك إلى ربك إلا ما يحبه ويرضاه. وانظر إلى ما تمليه على الملائكة الكرام الكاتبتين ، وما تجالس به رقيبك الحق المبين ، وما تُودعه في صحفك في ليلك ونهارك: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

[الانفطار/ ١٠-١٢].

واعبد ربك العظيم ، وأحسِن الاقتداء بالربانيين الطاهرين، وتأدب بآداب الملائكة المكرمين الذين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

واستح من حفظتك الملازمين لك، ثم من الكرام الكاتبين لأعمالك. واعلم أنه إذا كان يجب عليك الحياء من فعل قبيح أمام ملائكة رب العالمين، والاستباق إلى كل عمل صالح، فكيف لا تستحي من الملك العلي العظيم، والشاهد الكبير ﷺ، فتعصيه بنعمه عليك وهو يراك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧] . بل كم من الشاهدين غيرهم لك أو عليك ، وكم الناظرين إليك ، وكم السامعين لك من الجن والأرواح والمخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله، الذي أحصى كل شيء عددا .

وكفى بالله شهيداً لو كنت تخاف وتستحي ، وتعقل وتوقن : ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١﴾ [البروج / ٩] .
عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِي قَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَاكَ تَحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذْنَتْ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَىٰ صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ جَنًّا وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءًا إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . أخرجه البخاري (١) .

واعلم أن الله خلق الملائكة الكتبة والحفظة وغيرهم من جنود الله، وخلق الشياطين والعفراريت والمردة ، الذين يرونك من حيث لا تراهم . وهؤلاء وهؤلاء من عالم الغيب ، ولهم آثار وأعمال وأحوال .

فالملائكة يُسِرُّون بطاعتك، وتضايقهم بمعصيتك ، فيستغفرون الله لك : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر / ٧] .

والشياطين يفرحون بمعصيتك، وتحزنهم طاعتك، فيكيدون لك ليجروك معهم إلى جهنم فاحذرهم: ﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩) .

لِبَاسِهِمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْمَامًا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [الأعراف/ ٢٧].

فكل أحد معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، والكل ملازمون له.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ » ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَاسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن للجن سلماً دون السماء الدنيا ، لاستراق السمع ، وهو في مقابلة المعراج للروح والملائكة ، فإذا استرقوا السمع ، أرسل الله عليهم شهياً تحرقهم كما قال الله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن/ ٨-٩].

فلا إله إلا الله العلي العظيم ، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، وبسط ملكه على جميع ممالكه ، وأظهر لهم أسماءه وصفاته وآياته ومخلوقاته:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/ ٩].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤].

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمَعَا فَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم ^(٢).

اللهم يا علي يا عظيم ، يا غفور يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ملجأ كل خائف ، ومعطي كل سائل ، ومجيب كل مضطر ، ومفرج كل كرب ، وقاهر كل قاهر .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

الكبير .. المتكبر

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٠﴾ [لقمان / ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٣].

الله ﷻ هو الكبير المتعال، الذي كل شيء دونه، الكبير الذي لا أكبر منه، الأكبر الذي كل ما سواه أصغر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧].

وهو سبحانه العلي الكبير، ذو العظمة والجلال والكبرياء، الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الكبير الذي ليس كمثلها شيء: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٧].

فسبحان الرب الكبير الأكبر المتكبر، ذو العظمة والكبرياء، والجلال والجبروت، الذي لا تُعرف معاني أسمائه وصفاته إلا ببصائر القلوب، وأما أبصار الرؤوس فإنما تقع على الأماكن والمخلوقات: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٣].

هو الكبير وحده لا شريك له، الذي له الكبرياء والعظمة، وله صفات الجلال والجمال، وبيده ملكوت كل شيء، الذي له الخلق والأمر، الذي جميع مخلوقاته خاضعة لأمره، مستجابة لمشيئته: ﴿الْقُرْآنُ الَّذِي نَسُجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨].

والكبرياء لله أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها، ويزيد عليها في المعنى، فالكبرياء رداؤه ﷻ، والعظمة والعزة إزاره، والرداء أكبر من الإزار.

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يَنْزِعُنِي عَدْبَتَهُ » أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد والمجد والثناء من جميع الوجوه، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله.

فله الحمد والشكر، وله العز والمجد: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء / ١١١] .

فسبحان الرب الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه.

ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض ، ومن كبريائه أن نواصي جميع الخلق بيده: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] ، ﴿ اللَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

ومن كبريائه وعظمته أن العبادات الصادرة من أهل السموات والأرض ، المقصود منها تكبيره وتعظيمه ، وإجلاله وتقديسه، وتحميده وتسيححه، ولهذا كان شعار العبادات الكبار (الله أكبر) كالأذان والإقامة والصلاة والحج وغيرها.

● التبعّد لله ﷻ باسمه الكبير :

اعلم وفقك الله لمعرفة ، وحسن عبادته ، أن كبرياء الله وعظمته وجلاله ، لا تحيط بها العقول، ولا تتصورها الأفهام، ولا تدرکها الأبصار والأفكار، فالله أكبر وأعظم من ذلك كله: ﴿ مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج / ٧٤] .

واعلم أن حمد الله نفسه، وإجلاله نفسه، وإكباره نفسه، وإعزازه نفسه، وإعلاءه نفسه، وتقديسه نفسه ، كل ذلك منه ﷻ حق ، وصدق ، وعدل لا ريب فيه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴿ [الفاتحة/ ٢-٥] .

وصف نفسه عز وجل بما هو عليه، وبما هو أهله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام / ١١٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

مَلَكٌ فَرَحَمَ، وَحَكَمَ فَعْدَلَ، وَقَدَرَ فَقَهَرَ، وَسُئِلَ فَأَعْطَى، وَخَلَقَ فَسَوَّى وَرَزَقَ الْخَلَائِقَ، وَفَرَجَ الْكُرْبَ، وَأَغَاثَ مِنْ اسْتِغَاثَ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

قال ﷻ الحق وفعله ، وتفضل به على عباده وحده ، وصدق وعده .

وما استعبد به خلقه من ذلك ، فهو من إحسانه إليهم ، ومنه عليهم ، ونعمة أنعم بها عليهم ، فيجب عليهم شكرها ، والقيام بحقها : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فحقت عليهم بذلك حسن عبادته بالجوارح ، شكراً له على إحسانه : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وحق عليهم إشغال قلوبهم بحبه وتعظيمه وتكبيره ، وتفريغها من كل ما سواه وملئها بما يحبه ويرضاه ، وإشغال ألسنتهم بذكره وتكبيره ، وحمده وشكره : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وذلك أوجب لهم القرب منه ، لقربهم من صفاته ، و طلبهم في ذلك سبل مرضاته ، في الاتصاف بصفاته : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

وأما خدمة الجوارح ، واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحة فقد أوجب لهم بذلك الجنة ، والنجاة من النار ، لإجهاد أنفسهم فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢].

فالتعبد حقاً باسم الله الكبير ، يكون بالتصاغر لكبريائه، والانكسار بين يديه، والمسارعة إلى طاعته، وعدم الاستكبار عن أوامره، والحياء من معصيته، هذا في الباطن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢ / الملك] .

وأما التعبد به في الظاهر ، فيكون بتكبيره وتعظيمه، وتوحيده وحمده وتسيبته، وسجود الأعضاء له، وتمريغ الوجوه في التراب ذلاً بين يديه، وذرف الدموع حياءً وصغاراً وخشوعاً بين يديه، ومجانبة كل مكروه إليه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقَعُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧ / الحج] .

واعلم أن صفة الكبرياء لله من أعظم الصفات، ولهذا كان الكبرياء رداءه ﷻ ، فكان استشعار صغر قدر النفس ، وضعفها في التعبد أمام ربها، وافتقارها وذلتها بين يدي ربها الكبير ، أثر شيء في العبادة، وأكثره غناءً، وأعظم قربة إلى الكبير سبحانه.

ولهذا كان ثوابه يوم القيامة إكبار قدر العبد، وإكبار منزله ، وإكبار نعيمه ، وقربه من ربه الكبير الذي كبره وعظمه في الدنيا، في مُلْكٍ كَبِيرٍ ، من المَلِكِ الْكَبِيرِ ﷻ: ﴿وَإِذْ رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا [٢١] إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا [٢٢] [الإنسان / ٢٠ - ٢٢] .

وكان عقابه ﷻ لمن كفر به المقت ، والإعراض عنه، وإهانته ، وتصغير قدره : ﴿قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [١٠٨] [المؤمنون / ١٠٨] .

فصغر ﷻ أجسام المستكبرين عن عبادته ، يطوهم الناس بأقدامهم في المحشر إهانة لهم . وكبر أجسامهم في النار لينالوا من العذاب أكبره وأشدّه: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٤] [الأنعام / ١٢٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، يا أرحم الراحمين .

وإذا عرفت أن ربك هو الكبير المتكبر لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فعليك أن تطيعه وتعبده، وتعرض عن كل ما سواه، وتلزم نفسك التصاغر والتذلل للعزیز الجبار المتكبر: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥] [مریم / ٦٥] .

وإياك أن تخالف أمره، وتستكبر عن عبادته ، فتشقى في الدنيا والآخرة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ
 ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٦٠] ﴿
 . [غافر / ٦٠] .

وما قدر الله حق قدره من كفر به، أو أشرك معه غيره، أو صرف العبادة لغيره ممن لا يسمع
 ولا يبصر ولا يعقل ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ولا حياة ولا موتاً ولا
 نشوراً ، وترك الخضوع والذل للرب العلي الكبير ، الخلاق العليم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧] ﴿ . [الزمر/ ٦٧] .

فاخضع لربك الكبير المتعال ، بتذلل وصغار وانكسار ، تكن من المصطفين الأخيار : ﴿ إِنَّ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك/ ١٢] ﴿ . [الملك/ ١٢] .

وإياك والكبر، فإنه أصل أخلاق الشر كلها، فلا يظهر منك في قول ، ولا فعل، ولا في هيئة،
 ولا في خلق : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
 فَخُورٍ ﴾ [لقمان/ ١٨] ﴿ . [لقمان/ ١٨] .

واعلم رحمك الله أن الكبر منك منه محمود ومذموم:

فالمحمود منه : التكبر على أعداء الله المعاندين .

والمذموم منه: الاستكبار عن طاعة الله ورسوله، والاستكبار عن عبادة الله، والاستكبار
 عن طاعة من تجب طاعته، والتكبر على الناس .

واعلم أن تصاغرك بين يدي ربك شرفك عنده، وتصاغرك لمن تجب طاعته في الله طاعة
 لربك، وزين لك عند الله وعند الناس وعنده : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا
 خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة/ ١٥] ﴿ . [السجدة/ ١٥] .

وتصاغرك لذي دنيا لدنياه هدم لدينك، وتصغير لقدرك عند الكبير المتعال: ﴿ فَاسْتَقِمْ
 كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود/ ١١٢] ﴿ . [هود/ ١١٢] .

واعلم أن مَنْ غَمَطَ الناس ازدهام ، ومن ازدهام رد الحق على قائله، وهذا أصل العصيان
 كله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
 يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل/ ٨٨] ﴿ . [النحل/ ٨٨] .

فإياك أن ترد الحق على قائله الذي أوصله إليك ، فتكون فيك الصفات التي لعن الله إبليس من أجلها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم ^(١).

وإياك أن تنظر إلى أحد من خلق الله بعين الاستكبار والاستصغار والاحتقار : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات/ ١١].

واحذر الفخر والعجب والبطر، وجانب الكبر كله وما تولد منه ، تسلم وتغنم وتؤجر : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٢٢] ومن كفر فلا يحزنك كفره إنا مرجعهم فننبتهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ^(٢٣) تمنعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ^(٢٤) [لقمان/ ٢٢-٢٤].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨] .
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
 أخرجه مسلم ^(٢).

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلُ الشَّانِءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »
 أخرجه مسلم ^(٣).

اللهم يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا الجبروت والكبرياء ، يا ذا العزة التي لا ترام ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .
 (٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .
 (٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

العظيم

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى / ٣-٤] .

الله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له، العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو ﷻ العظيم الذي خلق الخلائق كلها، ودبر الأوامر كلها: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، العظيم في ملكه وسلطانه، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

وهو سبحانه العظيم الذي تفرد بالعظمة والجلال والكبرياء، وتوحد بالعزة والجبروت، والملك والملكوت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وهو سبحانه الإله العظيم الحق، الذي يعظمه خلقه ويحبونه، ويرجونه ويخافونه، الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة له، لكمال أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣] .

وهو سبحانه العلي العظيم، المستحق لنعوت الجلال والجمال والتعالي، الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، القاهر لكل شيء، القريب من كل شيء، الحافظ لكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

له وحده الكمال المطلق من كل وجه، وله الملك المطلق من كل وجه، وله الغنى المطلق من كل وجه، وله الإحسان المطلق من كل وجه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه العظيم الذي له الشرف والسؤدد، والمجد والكبرياء، والعزة والغنى، والعلو والقهر، والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٣ - ٢٤].

فالعظيم اسمه، والتعظيم حال المعظم له، يعظمه عبده حين يشاهد معاني علاه وكبرياءه وعظمته، فيجل قلبه ربه إكباراً له، وتعظيماً له، وهيبة له، ويتعلق به وحده دون سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى / ١٠].

هو العظيم الذي خلق عظام المخلوقات، وصورها كيف شاء، ودبرها بأمره، وأمسكها بقدرته، وحركها بمشيئته، وحكمها بقهره.

خلق العرش العظيم، والكرسي الكريم، والشمس والقمر، والسموات السبع، والأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن، من الملائكة الكرام، والإنس والجان، والجماد والنبات، والطير والحيوان، والنجوم والرياح، والجبال والبحار: ﴿إِنِّي رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

خلق العظيم سبحانه الكائنات بقدرته، ودحا الأرض بمشيئته، وأمسك السماء بقدرته، دون علائق من فوقها، ولا دعائم من تحتها، وإنما أمسكها بكمال قوته، وعظيم قدرته ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الرب العظيم ، الملك العزيز الجبار ، الكامل في الشرف والسؤدد ، مع سعة الملك ، وسعة العلم ، المتوحد بالجلال والجمال ، الذي يستحق التعظيم كله ، والتكبير كله ، والتحميد كله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن العظيم ﷻ أودع ما شاء من مخلوقاته ضروب التغير، ودلائل الحدث ، وسمات النقص، بما جعل فيها من انقيادها لخالقها، وإذعانها لفاطرها، وخضوعها لعظمتها، شاهدة على نفسها بالفقر والعجز والحدوث.

وشاهدة لربها بالتوحيد والغنى، والعظمة والكبرياء: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس/ ٨٣].

ثم تأمل وفقك الله كيف وسم ربك العظيم تلك المخلوقات العظيمة بالنقص، وافتقار بعضها لبعض ، من جماد ونبات ، وحيوان وإنسان .

فأحوج الأسفل منها إلى الأعلى ، كما أحوج الأعلى إلى الأسفل، وسخر بعضها لبعض ، والروح من أمره يتخللها، وبأمره تجري مصالحها، ثم أفقر الكل إليه سبحانه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ [الروم/ ٢٦].

كل يعبد ربه العظيم باسمه ووصفه، منقاد لأمره، مسرع لإرادته، مسبح بحمده ، شاهد بتوحيده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتِ كُلَّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور/ ٤١].

فسبحان الرب العظيم الذي أظهر عظمته لعباده في عظيم ملكه، وعظيم قدرته، وعظيم إرادته، وعظيم كلامه، وعظيم علمه، وعظيم سلطانه ، وعظيم جبروته ، وعظيم خلقه ، وكل ذلك موجود من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة / ٧٤].

فما أعظم ما ترى من عظمة ربك وسلطانه ومخلوقاته، وما أصغرهم في جنب ما لم تره ولا تعلمه: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٤].

فأبصر شرح الله صدرك ، ونور قلبي وقلبك ، عظمة ربك بالنظر في ملكوت السموات والأرض، فسترى العظيم الذي لا أعظم منه، وستعرف الكبير من الصغير، وتعلم الملك من

العبيد: ﴿ أَوْلَمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ
أَقْرَبَ أَجْزُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه العظيم :

اعلم وفقك الله لحسن معرفته أن أولى العبادات ، وأرفعها قدراً ، وأنفعها ثمرة ، هو الإيمان
الذي يحصل بالنظر والتفكير في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي عظمة ملكوت السموات
والأرض، وتدبر الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
تُغَيِّى الْأَيْتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

فإذا صح النظر أصاب القصد، فأدرك القلب عظمة الرب العزيز الجبار ، برؤية مخلوقاته
العجيبة، وآياته العظيمة، وكلماته الحكيمة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ
الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق / ١٢] .
فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أعظم قدرته، جعل قلب الإنسان وبصره يتسع لمعرفة
جملة المخلوقات العلوية والسفلية.

وهذا من أخص الشواهد على عظيم قدرته ، وعظيم كرمه وإحسانه، حيث هيا لعباده سبل
معرفته، ويسر لهم طرق الوصول إليه، ليروا عظمة ربهم في خلق العالم العلوي والسفلي، وخلق
الدنيا والآخرة، وخلق الصغير والكبير، وخلق الذرة والجبل، والقطرة والبحر: ﴿ اللَّهُ خَلِيقُ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢ - ٦٣].

وإذا عرف العبد ذلك عظم قدر ربه عنده ، فعظمه وكبره ، وحمده وسبّحه ، ووحدّه وآمن
به، وآمن برسله، وعمل بشره: ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ أَلْيَقِينَ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾
[الواقعة / ٩٥ - ٩٦].

فعظم ربك العظيم ﷻ ، وعظم قدره، وعظم أسمائه وصفاته، وعظم أمره، وعظم اطلاعه
عليك، فإنه ينظر إليك أبداً حتى كأنه ما خلق أحداً سواك.

فأرضه ولا تسخطه بقول أو فعل : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى
﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق/ ٩ - ١٤].

وَعَظَّمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَعَظَّمْ كِتَابَهُ ، وَعَظَّمْ رِسَالَهُ ، وَعَظَّمْ دِينَهُ ، وَعَظَّمْ مَنَاسِكَهٖ ، وَعَظَّمْ شَعَائِرَهُ ، وَعَظَّمْ أَوْلِيَآءَهُ ، وَعَظَّمْ حُدُودَهُ ، وَعَظَّمْ حَرَمَاتِهِ تَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج / ٣٢] .

والزم باب العبودية لربك العظيم، والزم الوقار والسكينة والحياء بين يديه، واضرع إليه بخضوع وخشوع ، واسأله أن يرحمك ويعافيك ، ويعصمك مما يكرهه ويبعدك عنه : ﴿ وَمِنَ الْآيَاتِ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء / ٧٩] .

وانكسر بين يدي ربي العظيم ، واسجد بين يديه متذلاً معتذراً مستغفراً، عساه أن ينظر لضعفك، ويرحم فاقتك ، ويجبر كسرَكَ ، ويغفر ذنبك ، ويصلح جميع أموركَ ، ويهديك لما يرضيه ويرضيك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴾ [النساء / ٦٦] وَإِذَا لَا تَتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ [النساء / ٦٦ - ٦٨] .

واعلم أن المخلوقات كلها ، والعبادات كلها ، والأوامر كلها ، سرها وروحها تعظيم الرب الملك العزيز الجبار بأسمائه وصفاته، وعبادته بموجب أسمائه وصفاته، وتوحيده بأسمائه وصفاته : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنۢتَوَكَّلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر / ٦٢] . فاعرف ربك العظيم بأسمائه وصفاته، والزم طاعته، واحذر معصيته، وأحل ما أحل الله، واجتنب ما حرم الله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانۢهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر / ٧] .

واعلم أن العظيم ﷻ شرع لك آداباً تتأدب بها عند مناجاته، فأمركَ بالوضوء للصلاة ، والغسل من الجنابة ، إجلالاً لمناجاته، والوقوف بين يديه، وإجلالاً لكلامه وكتابه أن تتلوه على غير طهارة : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة / ٦] .

وذلك عزمٌ منه عليك أن تطهر ظاهرك بالماء، وباطنك بالتوبة النصوح : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٢٢] .

ولا تقف بين يدي العظيم وأنت مشغول بسواه ، بل تجرد لعبادته وحده ، وفرغ قلبك
لذكره ، واقطع العلائق عما سواه ، ولا تلتفت إلى الشواغل التي تلهيك عنه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٢٢٠﴾
[الشعراء / ٢١٧ - ٢٢٠] .

وراقب ربك العظيم في السر والعلانية، واشتغل بما يحبه ويرضاه قبل أن تلقاه، واعلم أن
نظر الرقيب سبحانه إليك ، سابق إلى نظرك للمحرمات، بل سابق إلى همك بالطاعة أو
المعصية: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥﴾
[البقرة / ٢٣٥] .

واحرص أن يكون عملك كله خالصاً لوجه ربك العظيم ، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات
العلی، والمثل الأعلى ، ولما يستحقه من عبادة وتعظيم ، لا لثواب ترجیه ، ولا لعقاب تنقيه ،
فتكون حينئذ كالمتطوع بعبادتك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾
[الملك / ١٢] .

فربك كريم، وخزائن كل شيء بيده ، وهو المستحق للعبادة لذاته ، وثوابه من جميل إحسانه ،
وهذه درجة الأنبياء والصدّيقين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة / ٥] .

وإلى هذه الدرجة انتهت عبادة العابدين: ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٤٢﴾ [النجم / ٤٢] .
ولمّا لم يكن لكل المؤمنين تناول هذه الدرجة ، فصلّها لهم على درجات ، رأفة ورحمة بهم ،
فعبد قوم ربهم العظيم لأجل مخافته .. وعبده آخرون لأجل رجائه .. وعبده آخرون لأجل
جلاله .. وعبده آخرون لأجل جماله وإحسانه .. وعبده آخرون لذاته .. لأنه الإله الحق ، الذي
يستحق من خلقه جميع أنواع العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣] .

وأكمل هؤلاء من عبد ربه بجميع هذه العبوديات التي تملأ القلب نوراً .
وكل من هؤلاء يذوق من طعم الإيمان والعبادة مذاقاً لا تحسن أن تتوهمه ، فكيف لك أن
تصفه ، فسل ربك أن يذيقك حلاوته ، ويوصلك إلى حقيقته : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

ذَكَرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم ^(١) .
 وإياك أن تعظم نفسك ، أو تُجَلِّها ، أو تطلب لها ذلك عند الله ، وعند الناس .

فأنت العبد الفقير للملك الغني ، فلا تطلب العلو بقولك وفعلك وهيتك ، فتسقط من عين الله: ﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان / ١٨] .
 واعلم أن من تعظيم الله جل جلاله معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومحبته ، والذل له ، والتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿ فَأَعْلَمُو أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

ومن تعظيمه جل جلاله أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، ويحبب ويكبر .
 ومن تعظيمه جل جلاله أن يخضع العبد لأوامره وشرعه وحكمه ، ولا يعترض على شيء من خلقه وأمره ، وشرعه وقدره: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء / ٦٥] .

ومن تعظيمه جل جلاله ما عظمه العظيم من الأماكن ، والأزمان ، والأقوال والأعمال ، والأخلاق والأشخاص : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج / ٣٢] .
 فسبحان الرب العظيم الذي كتبه أعظم الكتب ، وكلامه أعظم الكلام ، الذي لا تنفى كلماته ولا تنفذ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان / ٢٧] .

وسبحان العظيم القادر على كل شيء من صغير وكبير ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان / ٢٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ﴿

[آل عمران/ ١٤٧].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠) ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٨١) ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٢) ﴿ [الصفات / ١٨٠ - ١٨٢].

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » متفق عليه^(١).

« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم^(٢).

« سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي^(٣).

اللهم يا عظيم الأسماء والصفات ، يا رفيع الدرجات ، يا عالم الخفيات ، يا عظيم الإحسان ، يا غافر الذنب ، يا قابل التوب ، يا واسع الرحمة ، لا إله إلا أنت ، نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
يا واسع المغفرة ، يا سريع الرضى ، يا عظيم الصفح ، اعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦) ، ومسلم برقم (٢٧٣٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٣) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣) ، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

القوي

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

الله ﷻ هو القوي العزيز، القوي الغالب لجميع من سواه، القوي الذي لا أقوى منه، هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه ضعيف.

هو سبحانه القوي الذي يملك القوة كلها، القوي الذي خلق القوة في كل قوي: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

هو سبحانه القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، الكامل القدرة فلا يعجزه شيء، التام القوة فلا يستولي عليه العجز أبداً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق/ ٣٨].

هو القوي العزيز الخلاق، الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الملائكة العظام، وخلق الجبال الراسيات، والبحار الزاخرات، والنجوم الزاهرات، وخلق الحيوان والنبات، وخلق الإنس والجان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [٦٣] [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو القوي وحده لا شريك له، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، الذي لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأجسام العظيمة، والذرات الخفية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان القوي العظيم، الذي قهر المخلوقات كلها بقوته، القوي الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لقوته الشدائد الصلاب: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يخلق ما يشاء ويختار ، ويبدل من حال إلى حال ، فليل بعد نهار ، وصيف بعد شتاء ، وحر بعد برد ، وأمن بعد خوف ، وغنى بعد فقر ، وحياء بعد موت : ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور / ٤٥] .

وبقوته ﷻ ينصر أوليائه المؤمنين: ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٤٠] .

وبقوته يهلك الظالمين، ويتنقم من المجرمين: ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال / ٥٢] .

وبقوته غلب كل أعدائه ، وقهر كل ما سواه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة / ٢١] .

وبقوته ﷻ أمسك السماء أن تقع على الأرض: ﴿وَمُمْسِكُ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج / ٦٥] .

وبقوته ﷻ أوصل أرزاقه إلى جميع مخلوقاته: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى / ١٩] .

ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود / ١٠٧] .

فسبحان القوي الذي كل قوة في المخلوقات من قوته ﷻ .

كل قوة في السموات والأرض ، وكل قوة في الجبال والبحار ، وكل قوة في الكواكب والرياح ، وكل قوة في الملائكة والروح ، وكل قوة في الإنس والجن والحيوان ، خلقها القوي العزيز ، وأودعها في هذه المخلوقات : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان / ٥٩] .
وجميع قوة هذه المخلوقات العظيمة ، لا تساوي ذرة بالنسبة لقوة الله ﷻ .

بل قوة جميع تلك المخلوقات ، لو اجتمعت لواحد منهم ، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد ، فإن قوة أولئك كلهم ، لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة الملك القوي العزيز الجبار ، بل شأن الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٧٤] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة ، الذي له الأسماء الحسنى ،
والصفات العلى ، وله القوة والعزة ، وله الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير: ﴿فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه القوي :

اعلم وفقك الله لطاعته أن القوي الحق هو الله وحده ، وأنه لا حول ولا قوة لأحد إلا بالله العلي
العظيم .

فكل مخلوق في قبضة الله ، والأمر كله لله وحده ، والعبد لا يملك من أمره شيئاً ، فلا حول
ولا قوة للعبد إلا بالله ﷻ .

فليس للعبد حيلة في جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله .

ولا تحوّل للعبد من الطاعة إلى المعصية ، ولا من المرض إلى الصحة ، ولا من الفقر إلى الغنى إلا
بإذن الله .

ولا قوة للعبد على القيام بأي أمر إلا بالله وحده لا شريك له ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿إِنْ
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾
[التكوير / ٢٧-٢٩] .

وعن أبي موسى ؓ أن رسول الله ﷺ قال له : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ
الْجَنَّةِ ؟ » فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » متفق عليه (١) .

واعلم أن القوي ﷻ قد أعطاك القوى الباطنة ، من العلم والحفظ ، والذكاء والفكر ، والبصيرة
والعقل .

وأعطاك القوى الظاهرة من اليدين والرجلين ، والسمع والبصر واللسان ، وكلهن قوى لما
جُعِلن له ، يسرن لإتمامه ، وإنفاذ مقدراته ﷻ .

وكما وهبك الكريم هذه القوى ، والنعم الظاهرة والباطنة ، وعافاك من كثير مما ابتلى به
كثيراً من خلقه ، فداوم أنت على استعمالها في ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وواظب
على طاعته ، ولا تصرف ما أنعم الله به عليك إلا فيما يحبه ويرضاه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

وَسُكِّي وَحَيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦٢ - ١٦٣].

وأحسن الظن بربك الكريم ، وتوجه إليه مخلصاً له الدين ، واستقم كما أمرت فإذا بك بإذن الله غالب ، وبما قصدت ظافر: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢ - ٣].

وبقدر ما تبذله من الجهد ، وصدق العزيمة ، والعمل الصالح ، والمسارة إلى كل عمل يحبه ربك ويرضاه، يُنزل عليك ربك القوي التوفيق ، والعون ، والهداية والطمأنينة ، والسكينة ، وتظفر بمحبته: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرٌ حَرِصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم رحمك الله أن من وهبه الله هذه القوى فلم يستعملها في طاعته ، حرمه الله نفعها، وجره الشيطان لاستعمالها في معصية الرحمن ، وعداوة الله ورسوله والمؤمنين كما قال الله عن قوم عاد: ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٢٦].

وإذا كانت القدرة على الفعل مخترنة في خزائن الغيب لوقت الفعل، فإن القوة ميسرة، والفعل ممكن، فلا تقل لا أفعل حتى ينزل العون، أو لا أشاء حتى يشاء الله ، دون أن يكون منك مباشرة الفعل المطلوب شرعا.

فإن الله وإن كان قد قيد الفعل بقوله: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [التكوير / ٢٩]، فقد أطلق القدرة على الفعل بقوله: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل/ ١٩].

وما هو إلا أن تريد العمل ، فإن كان الله قد شاءه ، جعل لك المشيئة فيه، وإلا كنت مأجوراً على إرادتك، مثاباً على نيتك، ومالم يُرده الله لا يكون أبداً ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو القوي الذي لا يغلبه غالب: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف/ ٢١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

فالإرادة منك مطلقة ، ومشية الله موثقة لها ، وما كان الله ليكلف عبده فعل ما أوثقه عنه ، ثم يعاقبه على تركه ، هذا من أعظم المحال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

واعلم رحمك الله أن الله قوي متين ، يمسك بقوته العرش والكرسي ، والسموات والأرض ، ومخلوقاته العظام ، وينصر بقوته أولياءه ، ويدفع بها أعداءه .

فاستعمل ما أعطاك الله من قوة في طاعته ، وانشر بها دينه ، وعلم بها شرعه ، وانصر بها أولياءه ، واقض بها حوائج الضعفاء ، وجاهد بها في سبيله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج/ ٧٨].

وإذا علمت أن ربك هو القوي ، الذي يملك خزائن القوة كلها ، فاخضع له ، وانكسر بين يديه ، واستجب لأوامره ، وفوض أمورك كلها إليه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المتحنة / ٤] .
 ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٨٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(١).

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
 اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا عزيز .
 اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ، اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

المتين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٨] .

الله ﷻ هو القوي المتين بذاته ، الكامل القوة ، الشديد القوة ، الغني عن كل ما سواه ، الذي ملأ خزائنه بكل شيء ، وله خزائن السموات والأرض: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا بِعِزِّهِ وَإِنَّمَا يَأْتِيهِ السَّحَابُ مَوَازِينًا مُّتَوَاتِلًا يُنَزِّلُ مِنْهُ مَاءً غَدِيقًا إِنَّا لَا يَدْرِي أَيَّ سَمَاءٍ لَّا يَأْتِيهَا الْقُرُونُ مِنْ دُونِ سَمَاءِ آخَرَةٍ هِيَ أَهْلَىٰ مِنْهَا وَأَوَّلَ حَبْلِ دَابَّةٍ لَّا يَطَّافِقُ فِيهَا جَمَلٌ خَلْقًا وَلَا يَمْلِكُ فِيهَا مَظْمُونًا مُّذْمَرًا وَلَا يَكْفُرُ فِيهَا رَبٌّ لِّمَلَائِكَةٍ لَّا يُكْفِرُونَ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْهَا إِسْرَافُهُمْ لَنَنزِلَنَّ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ طَبَقًا أَسْفَلًا مِنْ سُحُبٍ مَّخْضُومَاتٍ لَّا تَرْجِعُونَ فِيهَا الْحَبُّ وَالْحَبُّ إِذَا جَاءَهُمْ لَاقُوا رَبَّهُمْ فِي الْحَبِّ قَوْمًا كَافِرِينَ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه القوي المتين ، الذي له ملك كل شيء ، ولا يقف لقوته أحد ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

وهو المتين ﷻ ، الذي يتصرف في ملكوت السموات والأرض كيف شاء ، والذي يتصرف في الظواهر والبواطن ، والذي نفذت مشيئته في جميع البريات ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ [يس ٨٢-٨٣] .

وهو سبحانه القوي المتين ، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، وله جنود السموات والأرض ، من الملائكة والجن ، والإنس ، والحيوان ، والنبات ، والجماد وغير ذلك مما لا يعلمه إلا العليم الخبير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ ﴿٣١﴾ [المدثر / ٣١] .

فسبحان الرب العظيم ، الملك الحق ، الغني الحميد ، القوي المتين ، الذي كل شيء مُلكه ، وكل شيء في قبضته ، وكل شيء خاضع لعظمته: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المتين :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته وطاعته ، أن الله هو القوي المتين ، وله خزائن وجنود السموات والأرض .

أحاط بكل شيء علماً ، وكل مخلوق خاضع لأمره ، مأسور في ذل مملكته ، مصرّف في طاعته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده .

ما شاء الله من الخلق والأمر كان، ومالم يشأ لا يكون أبدا: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس / ٨٢] .

فالعرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والجنة وما دونها ، والنار وما فوقها، وجميع المخلوقات ، والعوالم ، والأوامر ، والآجال ، والأرزاق ، والمقادير ، والتصريف ، والتدبير ، وغير ذلك مما خطه القلم ، مما لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة ، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ، وكل ذلك بيد القوي المتين وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس / ١٢] .

وكل ذلك برهان ودليل على عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی من جهة ، ومنقسم إلى سبيل الترغيب والترهيب من جهة أخرى ؛ لتعرف الملك الحق ، ثم توحيده بأسمائه وصفاته ، ثم تعبه بمقتضاها .

فالزم رحمك الله توحيده ، وجرده لله وحده ، فلا تخاف أحداً إلا الله ، ولا ترجو سواه ، ولا تتوكل إلا عليه وحده: ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة / ٣١] .

وإن كان سبحانه قد خوّف من النار ، ورغب في الجنة ، وحذر من الشر ، ورغب في الخير ، رحمة بك ، وتسهيلاً لوصولك إليه ، فإن المقصود الأعظم من ذلك كله ، والمقصود من الخلق والأمر كله ، هو معرفته ﷻ وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وطاعته ، وفعل ما يحبه ويرضاه ، مما شرعه في كتابه ، وأرسل به رسوله محمداً ﷺ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨] .

ثم عند القوي المتين الكريم ثواب لمن أطاعه بالجنة ، وعقاب لمن عصاه بالنار: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ١١٠] .

فالثواب لأهل التوحيد والطاعات ، والعقاب لأهل الشرك والمعاصي : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [١٨] أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَبِهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

فجرّد رحمتك الله نفسك لتوحيدِهِ ، وطاعته ، وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الملك وأنت عبده، وهو الخالق وأنت المخلوق ، وهو الغني وأنت الفقير، وهو الرزاق الذي أنت تأكل من رزقه، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فأطعه تسلم ، وتنال كرمه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب / ٧١].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران / ٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه (١).

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا رب العالمين .

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الأعداء .

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

القاهر .. القهار

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام / ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنَ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٦٥] [ص / ٦٥] .

الله ﷻ هو القاهر فوق عباده، العالي فوق مخلوقاته، القاهر القوي ، الغالب لكل ما سواه ، القاهر لكل قاهر .

وهو سبحانه الواحد القهار ، الذي قهر جميع الكائنات ، وذلت لقهرة وسلطانة وحكمه جميع المخلوقات، فكل مخلوق مقهور مزوم بزمام الملك، خارج عن مراده إلى مراد الخالق له ، القاهر له ﷻ: ﴿قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [١٦] [الرعد/١٦] .

واعلم أن التوحيد والقهر متلازمان ، وهما متعينان لله وحده لا شريك له ، فالواحد لا يكون إلا قهاراً ، والقهار لا يكون إلا واحداً .

وقد خلق الله فوق كل مخلوق ، مخلوقاً آخر أعلى منه ؛ ليقهره ويتحكم به، حتى ينتهي القهر الكامل لله الواحد القهار الذي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤] [الزمر / ٤] .

فالذي يقهر جميع المخلوقات على ما أراد ، هو الله الواحد القهار لا شريك له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له ، كما كان قاهراً وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنَ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٦٥] [ص / ٦٥] .

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن كل فعل عن قُدرة، وكل قدرة عن قوة، وكل قوة عن قهر، وبقدر قوة القهر تكون سرعة استجابة المقهور .

والله ﷻ وحده هو القوي القادر ، القاهر القهار ، ذو الملكوت والجبروت ، وذو العلو والعظمة ، وذو العزة والكبرياء ، الذي قهر جميع المخلوقات ، وقهر كل شيء في ملكه العظيم ، لا راد لفضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا إله غيره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] [يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] [النحل / ٤٩-٥٠] .

خلق الجبال العظام ، وقهرها بالحديد الذي يُكسرها ، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفئها ، وقهر الماء بالرياح التي تحمله وتصرفه ، وقهر الرياح بالسماء التي تحبسها ، وقهر السماء والأرض بالعرش العظيم الذي أحاط بها ، فسبحان القاهر لكل قاهر ومقهور، الذي:

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤٤] ﴿الزمر / ٤﴾ .

والكل تحت قهره ، والكل عبيده ، والكل يسبح بحمده ، والكل يشهد بتوحيده: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤٤] ﴿الإسراء / ٤٤﴾ .

فسبحان قاهر كل قاهر ، وقاصم كل جبار ، الذي بيده مقاليد الأمور ، وتدير الأنفس والدهور:

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦] ﴿هود / ٥٦﴾ .

والله ﷻ هو الملك الواحد القهار ، الذي قهر جميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي على ما أراد ، الذي خضعت لعظمته الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وقهر كل مخلوق ، وعنت له الوجوه ، وتواضعت جميع الخلائق لعظمة جلاله وكبريائه ، وخضعت لقهره وحكمه وسلطانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [١٦] ﴿الرعد / ١٦﴾ .

فسبحان الإله الحق ، القاهر لكل ما سواه ، وكل ما سواه عبد مخلوق مملوك له ، مقهور بحكمه وإرادته: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٣٩] ﴿يوسف / ٣٩﴾ .

هو الواحد القهار ، الذي له الملك كله ، وله الدين كله ، ومنه الإحسان كله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ [٥١] ﴿وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [٥٢] ﴿وما يكفكم من نعمته فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجفرون﴾ [٥٣] ﴿النحل / ٥١-٥٣﴾ .

هو القهار الذي قهر بقوته كل ما سواه على ما أراد.

خلق المخلوقات ، وقدر الآجال ، وقسم الأرزاق ، وقدر الأحجام ، والأشكال ، والألوان ، والأوقات ، والأنفاس ، والأقوال ، والأعمال ، والزمان ، والمكان ، والثواب ، والعقاب ، وكل شيء:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ [٥٠] ﴿ولقد أهلكنا أشياءكم﴾

فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ ﴿٥٣﴾
[القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان من قهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الأعلى بالأسفل، وقهر الأسفل بالأعلى، وقهر المرض بالعافية، وقهر الصحة بالمرض، وقهر الحر بالبرد، وقهر البرد بالحر، وقهر الحي بالموت، وقهر أعداءه بأوليائه، وقهر كل مخلوق عن إرادته إلى إتمام مراده هو ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١١١].

ولا إله إلا الله الواحد القهار، القاهر فوق عباده، الذي قهر جميع من في ملكه وملكوته، الظاهر والباطن، والشاهد والغائب، والكبير والصغير، والأول والآخر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

● التبعيد لله ﷻ باسمه القهار :

إذا علمت رحمك الله أن ربك ﷻ هو الواحد القهار، وعرفت عظمة سلطانه، وعظمة قهره، وقوة جبروته، وعلمت عظمة غناه، وحسن إكرامه، وسعة رحمته .

فعليك بلزوم طاعته، وحسن عبادته، ودوام ذكره وشكره، والذل له، وطلب مرضاته، وابتغاء محابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء/ ١٢٥].

واحرص على ما ينفَعك من الطاعات، وإياك والتسويف فإنه حَجَرَ الشيطان الذي يقتل به الإنسان: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [١١٩] يَعْذِبُهُمْ وَيَمْنِنُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُجَادُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم أن الله عز وجل رحيم بعباده، لم يكلفهم إلا وسعهم، وما هو دون طاقتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق/ ٧].

وإن أردت العزة والقوة، فاستعمل قوتك في طاعة الله، وفيما يحبه ويرضاه.

وتبرأ من الحول والقوة إلى مالكها ، واطلب منه المعونة في كل عمل ، وسله الهداية إلى الحق ،
وفوض أمورك إليه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٦].
وكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود :

الأول: العزم الجزم عند إرادة تنفيذ الأمور به، متبركاً بأسماء ربك قائلاً: ماشاء الله، لا قوة إلا
بالله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

الثاني: طلب المعونة والتوفيق من ربك عند النهوض للعمل قائلاً بقلبك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة/ ٥].

الثالث: التبرؤ من الحول والقوة، وترك الدعوى ، ونسبة الفضل للرب سبحانه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وإذا أنعم الله عليك بالعلم ، والحكمة ، والقوة ، والقدرة ، والجاه ، والمال ، فاستعمل كل
ذلك في طاعته وعبادته.

وإياك أن تعصي الله بنعمه، أو تُذل غيرك بما وهبك الله من نعمه وفضله وقوته، فقد كنت قبل
بلا قوة ، ولا مال ، ولا علم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ
عَائِلًا فَاغْنَى ﴿٨﴾ فَآمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾
[الضحى/ ٦-١١].

واقهر نفسك عن الانهماك في الشهوات ، واقهر عدوك من شياطين الإنس والجن ، بلزوم
ذكر الله وعبادته ، ومدافعتة والاستعاذة بالله من شره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو
حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾
[فصلت/ ٣٣-٣٦].

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»
أخرجه مسلم^(١).

اللهم إني أسألك عافية أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك ، ورزقاً
حلالاً تغنيني به عن سواك ، يا أكرم الأكرمين .

اللهم أغنني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا قوي
يا عزيز .

اللهم لك الحمد أنت الواحد القهار ، ولك الحمد أنت العزيز الجبار ، ولك الحمد أنت
الغني الحميد ، لا إله إلا أنت .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

العليم .. العالم .. العلام

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ [فصلت/ ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٧٨﴾ [التوبة/ ٧٨].

الله ﷻ هو الرب العليم بكل شيء ، الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، العالم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وهو سبحانه العالم بكل شيء وحده لا شريك له ، الذي أحاط علمه بالعالم العلوي كله ، والعالم السفلي كله ، الذي يعلم الظواهر والبواطن ، والأوائل والأواخر ، ويعلم الجهر وما يخفى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد/ ٣] .

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة ، العليم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق ، العليم بكل شيء من المخلوقات ، والذرات ، والأحوال ، والحركات ، والسكنات ،

والأقوال ، والأفعال ، والأنفاس ، والآثار ، والحروف ، والكلمات ، والأصوات ، والأمكنة ، والأزمنة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ

وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩]. وهو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد

ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد الحبوب والثمار ، وما أظلم عليه الليل ، وما أشرق عليه النهار ، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض .

لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج/ ٧٠].

[الحج/ ٧٠].

وهو سبحانه العليم ، الذي يعلم كل شيء علماً مطلقاً شاملاً ، محيطاً كاملاً .

يعلم الظاهر والباطن ، ويعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب والشهادة ، ويعلم كل متحرك وساكن ، ويعلم كل ناطق وصامت، ويعلم كل رطب ويابس ، ويعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون : ﴿ ذَلِكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٦-٧] .

فسبحان العليم بكل شيء ، العالم بكل خلق وأمر، علام الغيوب ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

يعلم عدد أهل السماء والأرض .. ويعلم عدد الملائكة .. ويعلم عدد الجن والإنس .. ويعلم عدد الطير والحيوان .. ويعلم عدد ذرات التراب .. ويعلم عدد الأقوال والأفعال .. ويعلم عدد الأنفاس والآثار .. ويعلم عدد الأحياء والأموات .

أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ [الرعد/ ٩-١٠] .

هو سبحانه العليم ، الذي يعلم عدد المؤمنين .. ويعلم عدد الكافرين .. ويعلم من يطيعه .. ويعلم من يعصيه .

ويعلم المؤمن من المنافق .. ويعلم البر من الفاجر .. ويعلم الصادق من الكاذب: ﴿ وَأَسْرَأُ قَوْلِكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤] .

وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم المفسد من المصلح، ويعلم من يستحق الهداية فيهديه .. ويعلم من يستحق الضلالة فيضلّه .. ويعلم من يستحق الإكرام فيكرمه .. ويعلم من يستحق الإهانة فيهيئه .. ويعلم أهل الحق من أهل الباطل .. ويعلم أهل الجنة من أهل النار: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايِعُهُمْ وَلَا حِمْسَةٍ إِلَّا هُمْ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُمْ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧) [المجادلة/ ٧] .

فسبحان الملك الحق ، الذي له مع الخلق العظيم ، والأمر النافذ، والقهر العام، له العلم الشامل المحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ [الحديد / ٤] .

يا حسرة على العباد ، إن أنفسهم تقف عريانة أمام بارئها الذي يعلم سرها وجهرها، ويعلم ظاهرها وباطنها، ويعلم ما بين يديها وما خلفها، ويعلم أقوالها وأفعالها ، ويعلم فجورها وتقواها: ﴿إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ [الأحزاب / ٥٤] .

فسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، وزنة عرشه، ورضا نفسه ، ومداد كلماته .
ما أعظم ملكه، وما أوسع علمه ، ورحمته ، ومغفرته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر/ ٧] .

وأسفاه على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بأنبيائه ورسله، والجهل بثوابه وعقابه: ﴿يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [يس/ ٣٠] .

يا حسرة على جهل العباد بربهم ، وجهلهم بأوامره: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَإِنْ كُنَّا لَمَّا جَمِعَ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَوْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعِيُونِ ﴿٢٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣١-٤٠] .

متى تؤوب هذه الأنفس الشاردة إلى ربها؟ ومتى تفر إليه؟ ومتى تستحي منه؟ ومتى توفقه وتعظمه؟: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣-٢٠] .

ثم اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن كل ما خلق الله من العوالم خلقه الله ليدل به على عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ليوحده العباد بها ، ويعبدوه بمقتضاها : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

والمطلوب من الخلق ليسعدوا في الدنيا والآخرة ، العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والعلم بما يجب له ، وما يختص به ، وما يليق به ، وما يحبه وما يكرهه ، وعبادته بما شرع وحده لا شريك له : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم أن جميع المخلوقات تشهد لخالقها بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ، وتشهد له بالوحدانية ، وتشهد له بكمال الحياة والعلم ، والقدرة والعظمة ، والكبرياء والرحمة . فهو سبحانه الحي القيوم ، العليم الذي يطلب العباد منه العلم ، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم الكبير : ﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبا / ٣] .

واعلم أن الوحي الذي أنزله الله على رسله يكشف حُجُبَ عالم الغيب والشهادة . فالله خلق عالم الشهادة ، ليدل به على عالم الغيب ، وخلق الدنيا ، ليدل بها على الآخرة ، وخلق المخلوقات ، لتدل على خالقها سبحانه ، وخلق الصور ، لتدل على المصور سبحانه ، وخلق الأرزاق ، لتدل على الرزاق سبحانه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويختار ، لا إله غيره . خلق الخلق كلهم كيف شاء ، ومما شاء ، ومتى شاء ، وعلى أي وجه شاء ، وأبقى ما شاء ، وأفنى ما شاء ، من كبير وصغير ، وطويل وقصير ، وحي وميت ، ومؤمن وكافر : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص / ٦٨] . هو سبحانه العليم القدير ، الفَعَّال لما يشاء ، وكل فَعَّالٍ سواه فيأذنه وعلمه ، وكل فعالٍ سواه محتاج إلى معونته ومشيتته .

الكبير والصغير .. والقليل والكثير .. والقوي والضعيف: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الحكيم العليم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق الأقوال والأفعال، وخلق المحبوب والمكروه، وخلق الماء والنار، وخلق الجبال والبحار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس/ ٣-٤].

والكل يوحد ربه، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لخالقه، والكل شاهد بعظمته وتوحيده: ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان العليم الخبير الذي خلقهم وعلمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

واعلم رحمك الله أن عين العقل لا تبصر إلا بنور الوحي والنبوة، فإذا اجتمع هذا وهذا أشرق القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم جاءت أعمال التوحيد سهلة ميسرة محبوبة في القلب والجوارح: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

فله الحمد والشكر الذي أكرم عباده بالسمع والبصر والعقل، ثم أكرمهم بعلم الوحي والنبوة، النور المبين، والمعتصم المنيع: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

فاعلم رحمك الله علوم النبيين، ودعوة المرسلين، ومعارف الصديقين، وآيات الموقنين، ومشاهدات المتقين، تبصر بجميع حواسك الصراط المستقيم، وتسعد بنور العلم والإيمان واليقين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وتفكر وتدبر، واقرأ باسم ربك العليم، الذي علم الإنسان ما لم يعلم: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق / ١-٥] .

واعلم أن من أصغى بقلبه لعلم الوحي ، وأقبل بوجهه على ربه، وأنصت بسمعه لكلامه، أقبل الله عليه، وشرح صدره، وأنار قلبه بنور العلم والإيمان، ومكاشفات اليقين، وفتوحات الإلهام، وفجر له ينابيع الحكمة من أنهار المعرفة: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتَءَانَاءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر / ٩] .

فافتح رحمتك الله أبواب السمع والبصر والعقل لنور الوحي ، يضيء قلبك بنور التوحيد والتقوى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق / ٣٧] .
واعلم أن الفقه في أسماء الله وصفاته وأحكامه ، هو رأس كل علم ، وإمام كل هدى ، وجامع كل خير ، ومفتاح كل معرفة : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝١٩﴾ [محمد / ١٩] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه ^(١) .

وإن أردت الفقه الجامع اليقين ، فاعلم أن الله الحكيم العليم سبحانه خلق عالم الجماد ، وهو أكبر المخلوقات وأوسعها ، وهو من العالم بمنزلة العظم من الإنسان .
وبث سبحانه في عالم الجماد ، أكثر الصفات التي خلقها في الإنسان، فخلق من الجماد الكريم والليثيم .. والشريف والوضيع .. والعالي والسافل .. والطيب والخبيث .. والحسن والقبيح .. والسهل والحزن .. والحلو والمر .

وجعل له منافع ومضار ، وليناً وقسوة ، وحباً وبغضاً: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءً وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤﴾ [البقرة / ٧٤] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بدا له أحد: « هَذَا جَبَلٌ يُجَبَّنَا وَنُجِبُهُ » متفق عليه^(١).

وكل ذرة من الجماد ، في العالم العلوي والسفلي ، تسبح بحمد ربها ، وتشهد بتوحيده ، وتخضع لعظمته ، وتسرع إلى إرادته .

وخلق الله سبحانه عالم النبات ، وهو أقل من عالم الجماد ، ونسبته إليه كالذرة إلى الجبل ، فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه ، وما أكبر العوالم في ملكه .

وميز سبحانه النبات عن الجماد بالنمو والتكاثر ، وفي كليهما طيب وخبث ، وطويل وقصير ، وحار وبارد ، وصغير وكبير ، ومحمود ومذموم ، ونافع وضار .

والنبات من العالم بمنزلة اللحم من جسم الانسان .

وما في الجماد من العطيات ، والهبات ، والأخلاق ، والأنفس ، والأرواح ، هي في النبات أبسط وأشرح ، وأظهر وأبين من الجماد .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَثْرِجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحُنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا » متفق عليه^(٢).

وكل ذرة ، وكل شجرة ، وكل ورقة ، وكل ثمرة ، في عالم النبات ، تسبح بحمد ربها ،

وتشهد بوحدانيته ، وعظمة أسمائه وصفاته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالطَّيْرِ صَفَّيَتْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

ثم انشحت هذه الصفات ، واتسعت أكثر في عالم الحيوان ، الذي يتميز عن النبات بالحركة والحواس .

وبث فيه العليم الخبير مكارم الأخلاق وسيئها ، ويصعد الحيوان ، في التفاضل إلى أدنى النوع الإنساني .

والحيوان من العالم بمنزلة الأعضاء من جسم الانسان .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٩) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٦٥) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٩٧) .

ثم انشرت هذه الصفات في الحيوان ، واتسعت أكثر من الجماد والنبات .
 فظهرت في الحيوان أفعاله وحركاته من العداوة والبغضاء ، والخديعة والمكر ، والحب
 والبغض ، والرحمة والقسوة ، والحرص والطمع ، والحركة والسكون .

ففي الحيوانات الصالح والفاسد، والكريم واللئيم، والنافع والضار، والشديد والرحيم:
 ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ
 يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور/ ٤٥] .

وكل حيوان ، وكل طائر، وكل حشرة ، وكل ذرة ، من هذه المخلوقات ، تشهد لبارئها بالتوحيد،
 وتسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
 وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨] .

وخلق الله العليم الخبير آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء
 كلها ، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه وجعله خليفة في الأرض، وميزه عن الحيوان
 بالعقل، ثم جعل نسله وذريته من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠] .
 ثم العالم الإنساني أوسع وأشرح وأكثر صفات .

فقد جمع الله فيه جميع ما في العوالم قبله ، وهي الجماد والنبات والحيوان .
 والإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد، فالأعلى ينزل إليه ، ويعطف عليه كالملائكة
 والمطر ، وأما الأسفل فمسخر له ، وخادم له : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ
 مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠] .

ومن هذا النوع الإنساني مَنْ جَمَدَ على موضع اللب من صفة العقل، وعمي عن موضع
 نور الإيمان من العلم الإلهي .

فجهل نفسه ولم يعقل قدر منزلته، فكفر بربه ، وكابر بنيته، وجحد فطرته ، واتبع هواه ،
 فخان أمانته ، ونقض عهده ، وبطر نعمته ، واستكبر عن عبادة فاطره، فلم تنفعه صفاته ،
 وأربى بجهله على جهل البهائم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ فَأَنَّتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا

﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

[الفرقان/ ٤٣-٤٤].

فهذا الصنف الضال من البشر مأواه جهنم، بسبب خبثه وفساده ، وضلاله وكفره : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩] .
واعلم أن درجة الإنسان في الدنيا والآخرة بحسب إيمانه أو كفره .

فإما أن يصعد به الإيمان إلى ما علاه خلقاً ورتبة وهم الملائكة الكرام، وإما أن يسفل به الكفر إلى ما تحته من الحيوان فما دونه .

فالكافر ممسوخ الباطن إلى ما قارب طبعه من البهائم والنباتات والجمادات : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَاذُنًا مَّا تَأْكُلُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمد / ١٢] .

ومن كان من هؤلاء الكفار بعض أفعاله حسنة ، وأخلاقه كريمة، وسجاياه محمودة، فهو كشجر المرار أطلع زهراً ، وكالشوك أثمر ثمراً ينتفع به غيره، ولا ينتفع به هو، وفي هؤلاء يقول الحكيم العليم: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان/ ٢٣] .

ويوم القيامة يندم كل واحد منهم على كفره وظلمه ، ولكن لا ينفع الندم : ﴿ أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ يَوَالَتِي لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَنِ خَذُولًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان / ٢٦-٢٩] .

أما الصنف الثاني من النوع الإنساني فهو المسلم الذي أبصر الطريق بالعقل والوحي، وحققت له كلمة السعادة، وارتفع إلى عالم أرفع من عالمه، فزكى باطنه بالإيمان ، وحسن ظاهره بالأعمال الصالحة .

فأسلم لله وجهه، واستن بما جاء به نبيه ﷺ ، حتى ورد عليه حوضه ، فأسقاه منه ، وشفع له : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنَّ عَفْوَرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وهؤلاء هم عباد الله الموحدون المهتدون: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وهؤلاء درجات في الفهم والهمم، والعلم والعمل، وحسن السيرة والسريرة. فمنهم من جمع إلى إسلامه حسن المعرفة بمن أسلم وجهه إليه، فعرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وحسن الاقتداء بمن أرسله الله إليه ﷺ، فأضاء قلبه بنور الإيمان، وقام على ظاهره وباطنه شاهد الحق.

فصار يقينه صافياً قويا، وتعلق قلبه بربه وحده، وذاق طعم الإيمان وحلاوته، وعبد ربه كأنه يراه، فصدرت منه العبادات صافية من الكدر، حلوة الطعم، فارتفع ذكره، وعُرف في السماء اسمه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف/ ١٦].

ومنهم من سما بهمته صعوداً إلى المعالي ليصل إلى الحياة العظمى، والمقام الأكرم، فقطع العلائق القاطعة له عن بغيته، وصعد على المعارج الموصلة له إلى ربه، فتعبّد لربه على مقتضى الأسماء الحسنى، غير مفارق للاقتداء بالمصطفى، ولا متبع سبيل الهوى. له في كل بلد دار، وفي كل واد منار، مؤد لكل فريضة، سابق إلى كل فضيلة.

تراه مع الركع السجود عابداً، ومع الذاكرين ذاكراً، ومع الدعاة داعياً، ومع العلماء معلماً، ومع المجاهدين مجاهداً، ومع المحسنين محسناً، ومع الصابرين صابراً، فأحبه ربه واجتباها، وتولاه وأغناه، وأكرم مثواه، وذكره في نفسه، وأثنى عليه في الملاء الأعلى: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ بَجْرِىٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة/ ٨٨-٨٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤].

لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، من جهلي وخطئي وظلمي، يا غفور يا رحيم.

ثم اعلم رحمك الله أن العزيز العليم ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأفقره إليه في جميع أحواله ، ليقف بباب الغني وحده ، ولا يذل نفسه لغير ربه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥] .

فسبحان الخلاق العليم ، القادر على كل شيء .

يخلق بيده إذا شاء .. ويخلق بكلمته إذا شاء .. ويخلق بإرادته إذا شاء: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٣] ﴿يس / ٨١-٨٣﴾ .

هو العلي العظيم الذي يعلم كل شيء ، والأحكام والأقدار واقعة منه على خلقه في كل حين ، والحُجُب والأستار تحجبه عن خلقه وهو لا يحجبه شيء ، ولا يعجزه شيء : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمسة كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » أخرجه مسلم ^(١) .

والله ﷻ هو العليم بكل شيء وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ، وعلمه أشياء ، وحجب عنه أشياء ؛ ليعرف ربه بكمال العلم والقدرة والغنى ، وليعرف نفسه بالجهل والضعف والفقر : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء / ٨٥] .

فأذن العليم للإنسان بشيء من العلم كشفه له ، وزوى عنه أبواباً من العلم لا حاجة له بها في خلافة الأرض .

فزوى عنه علم سر الحياة والموت ، وسر العقل والروح ، وسر الخلق ، وسر الساعة والزمن المستقبل ، وكل ذلك غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا ذَاتَ كُفٍّ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان / ٣٤] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

وكل ما يعلمه الخلق من العلوم هبة من العليم القدير، ونسبة ما يعلمونه إلى ما لا يعلمونه كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، ونسبة ما يعلمونه وما لا يعلمونه إلى علم الله أقل من الذرة بالنسبة للجبل، بل لا نسبة بينهما البتة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام / ٥٩].

فسبحان الخلاق العليم، العالم بالكون كله، الناظر إلى ما علمه كله، لا حجاب بينه وبين معلومه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾﴾ [طه / ٩٨].
ثم أظهر سبحانه الخلق كله بحكمته عالماً بعد عالم، وقتاً بعد وقت.
فجاء الخلق كلهم على بصره وسمعه وعلمه وكلامه، كما كانوا أولاً في علمه وقدرته ومشيتته، بلا زيادة ذرة، ولا نقصان خردلة؛ لأنه العليم القادر على كل شيء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مَا نَازَلَتْ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران / ٥٣].
ربنا ارزقنا شهادة الموقنين، وإيمان المقربين، وعمل المتقين، يا عزيز يا عليم.

● التبعيد لله ﷻ باسمه العليم :

اعلم شرح الله صدرك لطاعته أن العليم ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها، ويعبدوه بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].
وإذا عرفت ذلك، فاعلم أن أول الواجبات عليك طلب العلم من العليم سبحانه؛ لأنه لا يمكن عبادة الله بما شرعه إلا بعد معرفته، ومعرفة دينه، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه.

وطلب العلم من أعظم العبادات، وكلما زاد علم المسلم بالله وأسمائه وصفاته ودينه، زاد نور الإيمان في القلب، وخلص التوحيد مما يكدر صفاءه، فتلذذت النفوس بالعبادة، وانقادت الجوارح للطاعة، ولهجت الألسن بالذكر والتسبيح والتكبير والتحميد، وارتفعت درجته عند ربه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة / ١١].

فسل ربك العليم بكل شيء أن يعلمك ما ينفعك، وأن ينفعك بما علمك، وأن يرزقك من فضله وعلمه ما يقربك إليه : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤].

وسل ربك كل خير ، وتعوذ بالله من كل شر قائلاً : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَاةِهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم ^(١).

وعليك بالتفرغ لطلب العلم ؛ لتسير إلى ربك بنور ودليل .

وعليك بصدق الإخلاص، ودوام النظر في آيات الله الكونية، وحسن التدبر والتفكير في آيات الله الشرعية، فذلك طريق الوصول إلى علم اليقين، وتوحيد رب العالمين: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم وفقك الله لمعرفة، أن علم أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، جماع علوم التوحيد، ومفتاح أبواب الإيمان .

فمن عرف أن له رباً كريماً يكرم المطيعين له، وأن طاعتهم له تكون بعد توفيق الله على قدر معرفتهم به، لجدير بهذا العبد ألا يزهد في القرب من ربه الكريم، حتى يصل إلى حقيقة التوكل عليه، وصدق التوجه إليه، ودوام الانقطاع إليه، ولزوم طاعته، والاستغناء به عما سواه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى / ١٠].

فمن علم ذلك فليحمد الله، ويشمر في طاعة مولاه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاقْبَلُوا تَوْفِيقَهُ ﴾ [فاطر / ٣].

وإن كان لا يعلمه فبكاؤه على نفسه أكد الأشياء عليه، فليبادر إلى التوبة، وسلوك الصراط المستقيم، والتوابع الرحيم يقول له: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

واعلم وفقك الله لمعرفته وحسن عبادته ، أن فضائل النفوس إنما تزكو وتعلو بالعلم والإيمان .

فالشروع عن العلم بالله يكون .. والإخلاص عن العلم بالله يكون ، والورع عن العلم بالله يكون .. والاستغفار عن العلم بالله يكون .. والخشية عن العلم بالله تكون: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر/ ٢٨] .

وبقدر تفرغ طالب العلم للنظر والتفكير والتدبر في آيات الله ومخلوقاته ، يصغي إليه قلبه بسمعه ، ويبصره بسبل هدايته ، فتتفجر ينابيع الحكمة والعلم من قلبه ولسانه وجوارحه .
وبقدر سعة معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة أقداره العظيمة ، وأوامره النافذة ، وأحكامه العادلة ، ونعمه السابغة ، يستبين للعاقل لعظمة الخطر ، وجلال الخطب ، ومقدار الجهل ، وحجم التقصير ، ونقض العهد ، وإضاعة الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣] .

واعلم أنه كلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته ، زاد نور الإيمان في القلب ، وزاد الانتفاع به ، وزاد رقة وخضوعاً لربه العظيم ، وزاد هيبة وخوفاً وإشفاقاً ، وكان الخشوع بقدر الخوف ، وكان النشاط بقدر الرغبة ، وكان الحذر بقدر الهيبة: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [٦٠] أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [٦١] [المؤمنون / ٦٠-٦١] .
فأقبل رحمك الله بقلبك إلى ربك ، وشمر بجوارحك في طلب مرضاته ، وأشغل لسانك بذكره وحمده ، يسررك عملك يوم تلقاه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٦١] [الأحزاب / ٢١] .

وإياك وطلب الأمور بغير أسبابها ، فمن ابتغها في غير سبلها ، فقد ضل سعيه ، وأخطأ بغيته ، وفاته ما يطلبه ، واستوجب عقوبته: ﴿ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [٤٣] [فاطر / ٤٣] .

واعلم أن الله قضى بسنته ألا ينال أحد شيئاً إلا من بابه الذي فتحه الله إليه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا نذهب نفسك عليهم حسرت إن الله عليم بما يصنعون ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٧-٨].

واعلم أن الله ﷻ فطر جميع المخلوقات على معرفة ربها وفاطرها، فهي قاتنة لعظمته، عابدة له، خاشعة لجلاله، خاضعة لكبريائه، شاهدة بتوحيده، مسبحة بحمده، منقادة لطاعته؛ لأن الله ﷻ ألزمها من معرفته، ما لا تستطيع إنكاره ولا جحده: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥].

فسبحان الرب العظيم، الحكيم العليم الذي عرّف خلقه بنفسه، وعرّفهم بأنفسهم، وألهمهم ربوبيته، وسخرهم لعبوديته، حين ابتداء خلقهم، وخص آدم وذريته بمزيد من المعرفة والإكرام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

فعرّف الخلق يومئذ ربهم معرفة لا ينبغي لهم أن ينكروها أبداً.

وذلّ الخلق له يومئذ ذلاً لا ينبغي لهم أن يعتزوا بعده أبداً.

وخافه الخلق يومئذ خوفاً لا يمكن أن يخرجوا منه أبداً.

وأقر الخلق له بالملك إقراراً لا يجوز أن يستنكفوا بعده عن عبادته أبداً.

واعلم أن نفيس العلم لا يُنال بالأمانى، وراحة الجسم، فشمري طلبه، واعلم أن أوسع أبوابه وأنفعها باب الإيمان والتقوى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وكل علم لا يورث التقوى لا خير فيه؛ لأنه يوئد الكبر والعجب بالنفس، ويورث الجدل، ويشغل المخلوق عن خالقه، ويرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم/ ٦-٨].

واعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وعزيز لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهو مع الإيمان أعلى درجات الفضائل، فاطلبه واعمل بموجبه، وزين به روحك وقلبك، ولسانك وجوارحك.

وإذا علمك الله ما لم تكن تعلم، فعلم المسلمين ما ينفعهم في دينهم وديانهم، يرضى عنك ربك، ويحمد فعلك: ﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُتَوَاتَىٰ اللَّهُ إِلَيْكَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

واعلم أن العليم ﷻ عنده خزائن العلم، وأنزل منها لعباده ما يسعدهم في دينهم وديانهم، ورغبهم فيما يقربهم إليه منه، فاختر النفيس على ما دونه، وتعلم، واعمل وعلم: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤].

فما أعظم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه، وما أقبح الجهل بالله ودينه، والاستكبار، والعناد، والظلم والفساد: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يهيجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد / ٢٠].

والناس في معرفة ربهم متفاوتون في العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى حسب كمال معرفتهم بربهم يكون كمال إيمانهم، وحسن عبادتهم.

ومثلهم في ذلك كمثل إنسان عرف النطفة ولم يعرف العلقة، وآخر عرف النطفة والعلقة ولم يعرف المضغة، وآخر عرف الثلاث ولم يعرف الروح والجسد، وآخر عرف ذلك ولم يعرف بقية العوالم.

فهؤلاء متفاوتون في العلم، وكل يتكلم ويعمل حسب معرفته، ومن ذاق عرف، ومن عرف عرف: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١].

وأول ما يجب على العبد معرفته من العلم معرفة الرب عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ليحصل العبد التوحيد والإيمان، ويحب ربه ويعظمه، ويسارع إلى طاعته وحسن عبادته:

﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

فاطلب رحمك الله هذا العلم، ثم اصعد في درجات العلم والمعرفة ؛ لتزداد إيماناً وبقيناً ،
وعلماً وعملاً، ودعاءً وذكرًا، وخوفًا وطمعًا: ﴿ **أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ** ﴾ [المائدة / ٩٨] .

فاعرف ربك العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لتكبره وتحبه
وتحمده: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [طه / ٨] .

اعرف ربك العليم العلي العظيم ، لتعظمه وتمجده : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا
تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا
يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

اعرف ربك الرزاق الذي ملأ الكون بالنعم ، لتشكره وتحمده وتستغفره: ﴿ **وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا
سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .
اعرف ربك الخلاق العليم الذي بيده الخلق والأمر لتطيعه وتعبده ، وتعرف عظمة ملكه
وسلطانه: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

اعرف ربك الكبير ، لتعرف أن كل ما سواه كله صغير: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر / ٦٧] .

اعرف ربك الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في ملكه ، لتشكره ، وتطيع أمره ، وترحم
خلقه: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الحشر / ٢٢] .
اعرف ربك الحق لتعرف أن كل ما سواه باطل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ [الحج / ٦٢] .

اعرف الملك الحق لتعلم أن كل ما سواه عبد: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [هو
الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] ﴿ [الحشر / ٢٣-٢٤] .

هذا والله هو الحق المبين: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجنائفة/ ٦].

وإياك والإلحاد في أسماء ربك وصفاته بالتشبيه أو التعطيل ، فرينا له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].
فصِف ربك بما يليق به ، ونزهه عما لا يليق به ، ولا تلحد في أسمائه وصفاته ، ووحدّه وتقرّب إليه بدعائه بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فإن لم تهزّ قلبك هذه المعارف ، ولم يرقّ لنفسك هذا الحديث ، فاعلم أنك مصاب ، أو مجروح ، أو مطرود ، أو ميت : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

فانتبه وبادر إلى سلوك الصراط المستقيم ؛ لتصل إلى ربك العظيم ، ولا تكن من الغافلين ، فتساق إلى جهنم مع الكافرين : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].
﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران/ ٨].
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا﴾ أخرجه مسلم (١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، إنك أنت السميع العليم.
اللهم املاً قلوبنا بالإيمان واليقين ، والعلم والهدى ، يا رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

القدوس

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس ، المنزه عن النقائص والعيوب والآفات كلها، البريء من كل عيب ونقص، القريب من كل خير، البعيد من كل شر.

وهو سبحانه الملك القدوس ، الطاهر من العيوب، المنزه عن الأولاد والأنداد، والمثيل والشبيه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الملك القدوس ، الموصوف بصفات الكمال، الممدوح بالفضائل والمحاسن، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم ، القدوس المنزه عن النقائص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع الآفات والعيوب، المنزه عن السنّة والنوم، المنزه عن الخطأ والنسيان، المنزه عن الظلم ، وجميع الصفات المذمومة : ﴿إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان ربنا الملك القدوس ، الممدوح بالفضائل والمحاسن ، المنزه عن العيوب والنقائص، الذي لجلاله وجماله وكماله ، تسبح بحمده جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].
 فاحمد مولاك على كمال أسمائه وصفاته : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

• التبعيد لله ﷻ باسمه القدوس :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه ، أنه يجب على العبد أن يقدر ربه، فيصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما لا يليق بجلاله ، على حد قوله ﷻ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

فقدس لله عبادتك أيها اللبيب ، وأخلصها لربك الواحد الأحد ، ونقها مما يفسدها .
وطهر أيها الحبيب قلبك من الشرك والنفاق والرياء، وطهر لسانك من الكذب وقول السوء،
وطهر بصرك من الخيانة، وطهر أعمالك مما يفسدها من البدع والرياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف / ١١٠].

وقدس نفسك بالتوحيد والإيمان، وطيبها بالذكر والحمد والشكر لربك، وزكها بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، تكن كالملائكة في التسيح والتقدیس : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٣٠].
وتعبّد لربك بصفة الطهارة علماً وعملاً ، فتطهر من المعاصي باجتنبها، فهو أفضل لك عند ربك، وأيسر مؤنة من ظهور التوبة.

وإذا ابتليت بمواقعة شيء من المعاصي فبادر إلى التوبة منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

ومتى عملت عملاً صالحاً فأخلصه الله ، وطهره من الشوائب؛ لتستوجب موعوده ، وتفوز بقبوله : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل / ٩٧].

وطهر رحمك الله قلبك من كل ما يدينسه بالتوبة النصوح، وطهر جسدك من الدرن والوسخ ومأستقذر، وطهر ثيابك من الرجس والقذر، وطيب بدنك بالطيب والمسك، وطهره بالوضوء والغسل: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ۙ ١ قُرْآنًا نَّذِيرٌ ۙ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ۙ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۙ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۙ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ۙ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۙ ٧﴾ [المدثر / ١-٧].

وطهّر بطنك من الحرام، وطمّهر لسانك عن الآثام ، وطمّهر قلبك عن الأصنام .
واعلم أن الطهارة تنقسم إلى ما انقسم إليه المتطهّر منه وهو الرجس .

والرجس ضربان :

الأول : رجس باطن في القلب كالشرك والنفاق ، والشح والبخل ، والحسد والجبن ،
والكذب والظلم وغير ذلك من مساوئ الأخلاق ، والذنوب الخفية .

فهذا جاهد نفسك على التخلص منه، واضرع إلى ربك ليخلصك منه، وبادر إلى التطهر منه بالتوبة
النصوح ، والله يتوب عليك : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ١٧] .

الثاني: رجس ظاهر : وهو ضربان :

أحدهما : عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب ، وإرادة الإنسان باختياره كالمعاصي
والمحرمات القاصرة والمتعدية .

فهذا طهوره من جهة القلب بالتوبة منه ، والعزم على تركه ، وإتباع السيئة بالحسنة التي
تمحها، وإشغال الجوارح بالطاعات بدل المعاصي، فذلك أبلغ في الطهارة: ﴿ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود/١١٤-١١٥] .

الثاني : ما يفعله العبد مكرهاً من المعاصي التي تتعلق به وحده ، ولا تتعدى إلى غيره ، فهذا
طهوره لزوم كراهته في القلب ، والتخلص منه متى زال الإكراه ، مع الاستغفار : ﴿ مَنْ
كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ
صَدْرًا فَلَعَلَّيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل / ١٠٦] .

واعلم أن كل طاعة لله ورسوله طهرة وزكاء وبركة، وكل معصية لله ورسوله نجاسة وخسارة
وحسرة .

واعلم أن الماء طاهر في نفسه، مطهر لغيره من الأحداث والأنجاس .

والماء في إزالة النجاسة كالنور في إزالة الظلام، وكالحق في إزالة الباطل، وكالتوبة في إزالة
درن الذنب .

هذا طهور التوبة، وهذا طهور الماء، والله يحب أهل هذا وهذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُطَهَّرِينَ﴾ ﴿٣٣٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فاحمد الله أن جعلك من المؤمنين ، واسأله أن يطهر قلبك وبدنك من كل دنس ، ويزيك
بالإيمان والتقوى ، وصل وسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة/ ٢].

﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا مَكَلٌ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤﴾ [المتحنة/ ٤].
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾
[نوح/ ٢٨].

«اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنَ الْخَطَايَا
كَمَا يُتَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ » متفق عليه^(١).
اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وجوارحنا من الفواحش
والآثام ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤)، ومسلم برقم (٢٥٧).

السلام

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام ، الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو سبحانه السلام الحق بكل اعتبار. فهو سلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، من جميع العيوب والنقائص والآفات : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

وجميع أسماء الله وصفاته سلام مما يضادها، واسمه السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

والسلام يتضمن سلامة ذاته ﷻ من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوق، وسلامة أفعاله من العبث والظلم ، وخلاف الحكمة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الحي القيوم الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغيير. وهو القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق/ ٣٨].

وهو العليم الذي سلم علمه من النقص ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهو الملك الذي سلم ملكه من الشريك والمنازع ، وهو الغني الذي سلم غناه من الحاجة إلى غيره : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا/ ٢٢].

وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة ، وكلماته سلام من الكذب والظلم ، وعذابه وانتقامه سلام من الظلم والتشفي ، بل هو محض الحكمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠ ﴾ [النساء / ٤٠] .

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وإحسانه وكرمه سلام من أن يكون عن حاجة ، أو عجز ، أو ذل ، أو مصانعة كما يكون من غيره : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤١ ﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥ ﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٦ ﴾ [العنكبوت / ٤-٦] .

بل ذلك كله محض جوده وإحسانه ، وهو الغني القادر على كل شيء : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

وقضاؤه وقدره سلام من الظلم والجور والعبث ، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والرحمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٣ ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

ودينه وشرعه سلام من الظلم والشدّة والتناقض والاختلاف ، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والمصلحة والرحمة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة / ٣] .

واستواؤه على عرشه سلام من الحاجة إلى العرش ، بل العرش وحملته ومن تحتهم من الخلائق ، كلهم فقراء محتاجون إليه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر / ١٥] .

وعطاؤه ﷺ سلام من المعاوضة ، أو الحاجة إلى المعطي ، ومنعه سلام من البخل والشح والحرص ، وإنما عطاؤه إحسان محض ، ومنعه حكمة وعدل محض : ﴿ قُلْ إِن رَّبِّي بِسُطُ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ ﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ [سبا / ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه السلام الذي سلّم الخلق من ظلمه ، فلا يظلم ربك أحداً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤ ﴾ [يونس / ٤٤] .

فسبحان الملك القدوس السلام ، الذي من محبته للسلام سمى من أطاعه واتبع هداه بالمسلمين : ﴿ هُوَ أَجْتَبَنكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰهِيْمَ هُوَ سَمَّاكُمُ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج / ٧٨].

والإسلام دين الله ، ودين ملائكته ، ودين أهل السماء والأرض ، ومن دخل فيه سلم من العذاب ، وفاز بالنعيم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران / ١٩].
واسم السلام من أعظم أسماء الله الحسنى ، فهو السلام وحده لا شريك له، وكل ما سواه مستسلم له، خاضع لجبروته ، منقاد لأمره .

وقد فطر الله الكبير المتعال جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، على الإسلام والاستسلام لربها السلام.

فكل مخلوق .. وكل جماد .. وكل نبات .. وكل حيوان .. وكل إنسان .. وكل ملك .. وكل جان .. وكل كبير .. وكل صغير .. وكل ساكن .. وكل متحرك .. الكل صغير أمام ربه الكبير.. الكل ضعيف أمام ربه القوي.. الكل ذليل أمام ربه العزيز .. والكل مستجيب لمشيئته .. ومسرع إلى إرادته : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران / ٨٣].

الكل عبيد لله ، والكل يسبح بحمد ربه ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل مطيع لربه ، والكل ينفق ويعطي مما آتاه الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة / ١٦٤].
والكل ينفق بوسعه بإذن ربه، لا يمنع ماعونه أبداً.. فالشمس تعطي النور، والسحب تعطي المياه ، والماء يعطي الحياة ، والأرض تعطي النبات ، والأشجار تعطي الثمار ، والحيوان يعطي الحليب والسمن.

والكل يعطي من ماعونه، ويشهد بتوحيد ربه، ويسبح بحمد ربه القدوس السلام : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجن والإنس لعبادته بما شرعه على السنة رسله، وأنزله في كتبه ، فتخرج منهم العبادات والطاعات التي يحبها الله من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وذكر ،

ودعاء ، وتسييح ، وإنفاق ، ودعوة ، وتعليم ، وأخلاق ، كما تخرج الثمار الحلوة من الأشجار الطيبة .

الكل منهم مطيع لربه .. ينفق بوسعه.. ويعمل بقدر طاقته .. لا يمنع ماعونه أبداً : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥] .

ومانع الماعون من البشر ملعون كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْنَا لَهُمْ أَوْلِيَّيَكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

واعلم أن مانع الماعون ملعون ، فاسق بلسان الشرع ، ومعهود العقل ؛ لتركه الفعل المكلف به ، وخروجه عن العمل المرضي ، إلى العمل المسخوط لربه السلام : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون/ ٤-٧] .

ومانع الماعون من البشر خارج عن طاعة ربه ، إلى طاعة إبليس ، الذي لعنه الله وطرده ، لَمَّا فسق عن أمر ربه : ﴿ قَالَ فَأَخْرَجْ مِنْهَا فإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِيَّاكَ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥] .

واعلم رحمك الله أن إسلام ما دون المؤمن كون وفطرة ، وإسلام المؤمن كون وفطرة وشرعة ، وكلاهما إسلام لربنا السلام .

فسبحان الملك القدوس السلام ، الذي شهدت له جميع مخلوقاته بالملك والعزة ، والجبروت والكبرياء ، وشهدت بوحدانيته ، وسبحت بحمده في كل وقت : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٢-٨٣] .

وسبحان الرب الرحمن السلام ، الذي سلّم على أنبيائه ورسله فقال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢] .

ويسلّم على عباده المؤمنين به في الدنيا : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل/ ٥٩] .

وَيَسَلِّمُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾
[الأحزاب / ٤٤].

ولمحببة السلام ﷺ للسلام جعل السلام شعار ختم الصلاة، وأمر المصلي بذكر السلام، وإفشاء السلام بعد السلام لحاجة العباد إلى السلام : «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أخرجه مسلم^(١).

وهو سبحانه السلام الذي يدعو إلى دار السلام : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ [يونس / ٢٥].

ووعده عباده المؤمنين بدخول دار السلام فقال : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام / ١٣٧].

وهو سبحانه السلام ، الذي جعل اسمه السلام بشارة يبشر بها المسلمون بعضهم بعضاً بالسلامة والرحمة والبركة منه ، لدخولهم في الإسلام ، وإيمانهم بربهم السلام. ولهذا أمرهم بإفشاء السلام بينهم، وجعله سبباً للمحبة والإيمان ودخول دار السلام. فأعظم المسلمين أجراً ، وأحسنهم بشراً ، أكثرهم تحية بالسلام، وأكمله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْكَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » أخرجه مسلم^(٢). فسبحان الملك القدوس السلام ، الذي سلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب، الذي آمنه عباده ، والذي أصلح خلقه بما فطرهم عليه من التوحيد، وبما شرع لهم من الدين، وسلم عباده المؤمنين من الشرور.

وإذا فهمت هذا فاعلم أن السلام يريد أن يسلم خلقه من الشرور في الدنيا والآخرة، ولهذا دعا جميع خلقه إلى الدخول في الإسلام ، ودخول دار السلام : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم / ٣٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

ولهذا فطر الله خلقه على التوحيد ، ويسر للناس معرفته بأسمائه وصفاته .

فتقل المؤمن من الشهادة إلى الغيب ، وأنار له بإيمانه موضع الغفلة منه ، وكشف له بالعلم ما غطت عليه الشهادة ، وبصره بالآيات الكونية ، والآيات القرآنية : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

فرأى فعل الله وتدييره في ملكه ومخلوقاته ، ووجد ما سواه من العوالم العلوية والسفلية عبداً ستكبر ربها وتعظمه ، وتسبح بحمده ، وتطيع أمره ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١٨ ﴾ [الحج / ١٨] .

واعلم بأن العلم عليه مدار الإيمان والإسلام ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه ، وحسن إسلامه ، وكَمَّلَ توحيدَه ، وقويت عبادته .

وإذا وقر العلم في القلب تنور بالإيمان ، ثم توجه إلى ربه بالعمل ، فالذي وقر منه في القلب هو الإيمان ، والخارج من الجوارح هو الإسلام ، وهذا أول مراتب العلم وأعلىها وأشرفها ؛ لأن ثمرته التوحيد والإيمان ، ولهذا أمر الله به ، وأكد عليه في كتابه فقال : ﴿ فَأَعْلَمَنَّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَابِكُمْ وَمَثَلَكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم وفقك الله للعلم النافع أن أعظم ثمرات هذا العلم ، وأقوى روافده أركان الإسلام الخمسة .

فالصلاة صلة بين العبد وربّه ، وهي أصل الخشوع لله ، وهي إعلام بترتيب الذكر ، والفكر ، والتوجه ، والطاعة لله ، وكيفية الوقوف بين يدي الجبار ، بأحسن مراتب الخضوع ، وثمرتها الانقياد لأوامر الله داخل الصلاة وخارجها .

والزكاة تدريب على إنفاق المال في وجوهه المشروعة ، من زكاة وصدقة وهدية ، هرباً من تبعات المال ، وتقرباً إلى الله ﷻ بإنفاق المحبوب لنيل ما هو أحب .

والصوم أصل في الإمساك كله ، بالكف عن المحبوب من أجل الله ، والزهد في المباح ، وتضييق مجاري الشيطان في الدم ، والتدرب على الكف عن كل ما حرم الله .

والحج أصل في القصد إلى الله ، وإعلان الطاعة له في بيته ومشاعره بين خلقه ، والسعي إليه بالنفس والمال ، ولزوم البذاذة في الهيئة أمام الملك الجبار ذلاً له .

وإذا أعلنت الجوارح هذه الأعمال ، بعد إقرار القلوب بالتوحيد والإيمان ، اتفق ظاهر الإنسان وباطنه ، على سلوك السبيل الموصل إلى ربه ، ففاز وسلم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأَنْعَامُ / ١٥٣].

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ تَعْبُدًا بِاسْمِهِ السَّلَامِ :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من أراد الله والدار الآخرة سلّم قلبه وجوارحه إلى ربه السلام ، وشغلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والعبادات الظاهرة والخفية ، وبذلك تحصل له السلامة في الدنيا والآخرة: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأَنْعَامُ / ١٦١-١٦٣].

واعلم علم اليقين أنه لا ينجيك ويسعدك إلا هذا الطريق وحده: ﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الرُّومُ / ٣٠].

واعلم أن البر بابُه تقوى الله ، فادخل منه ، واهجر ما سواه تسلم: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ / ٨٥].

فتقرّب رحمك الله إلى ربك بحسن عبادته، وطاعة أوامره: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مَرْيَمَ / ٦٥].

واحرص على إفشاء السلام في كل مكان وزمان وحال ؛ لتنال بركته، وتغنم أجره.

وتحجب إلى ربك بحب عباده المؤمنين ، وسلامة الصدر لهم ، والنصيحة لهم والتعاون معهم على البر والتقوى والدعاء لهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل ؛ لتفوز برحمة الله الواسعة :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ / ٧١].

واطلب العلم لتسلم من الجهل، وارغب إلى الله أن يفتح عليك منه ما يحبه ويرضاه. واعلم بأن العمر قصير، والعلم بحر لا ساحل له، فاطلب منه ما يسعدك في دنياك وأخراك، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بآياته وأحكامه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَءَانَاءَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/٩]. وهذا أفضل العلوم على الإطلاق، وهو العلم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق من أجله، وأهل هذا العلم هم ورثة الأنبياء.

وبهذا العلم تسلم من الجهل، وتسلم من الشك، وتسلم من النار، وتكون من العلماء الربانيين، فشمّر رحمك الله لتحصيله، وارغب إلى ربك في تحقيقه بالعمل به: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨٢﴾﴾ [البقرة/٢٨٢]. وطهر نفسك رحمك الله من الأنجاس ومساوئ الأخلاق، وزكها بالفضائل والمحاسن، واستقم كما أمرك الله؛ لتسلم من عذاب الله.

وتجنب الغضب، واترك الحسد، واصفح عن المسيء، وأعرض عن الجاهل، وارحم المسكين، وأقل العثرة، واستر العورة، وابذل النصيحة، وتجنب القطيعة، تكن من المسلمين المحسنين: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/٧٧]. ولا تبغ على أحد، ولا تؤذ أحداً، ولا تشتم أحداً، ولا تغتب أحداً، وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تدمه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/١٩٩-٢٠٠].

واعلم أن خير الناس أنفعهم للناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فكن كذلك تكن ربانياً: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/٧٩].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » متفق عليه (١).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣) ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٨٥) [الشعراء / ٨٣ - ٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبَّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه (٢).

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمُ لِي نُورًا » أخرجه مسلم (٣).

اللهم إني أسألك إيماناً أهتدي به ، ونوراً أقتدي به ، ورزقاً حلالاً أكتفي به ، اللهم احفظني بالإسلام قائماً وقاعداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

المؤمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/٢٣].

الله تبارك وتعالى هو المؤمن ، الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، المصدق لنفسه بما أخبر به وأمر به، الذي وحّد نفسه، وصدّق نفسه، وأثنى على نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/١٨].

وهو سبحانه المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم ، الذي آمنهم مما يضرهم، وأمن لهم ما يصلحهم ، الذي نشر الأمن في ملكه العظيم ، يطعم الجائع ، ويؤمن الخائف ، فأمن البلاد والعباد كله بيده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/٣-٤].

وهو سبحانه المؤمن الصادق ، الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد على وحدانيته وعظمته ، وكمال أسمائه وصفاته.

وهو سبحانه المؤمن الصادق ، الذي وهب الإيمان والصدق لعباده، الذي صدّق أنبياءه ورسله فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

وهو سبحانه المؤمن الصادق ، الذي صدّق الصادقين بما أقام لهم من شواهد الصدق ، الذي صدّق في أخباره من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء/٩].

وهو سبحانه المؤمن الصادق ، الذي يؤمن عباده المؤمنين من عذابه وعقابه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الصادق ، الذي ينجز لعباده المؤمنين ما وعدهم به من الثواب والجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/٧٤].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن ، وَمَنْ بِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، الذي وهب الأمن لعباده المؤمنين يوم الفزع الأكبر، وَأَمَّنَّهُمْ بِخَلْقِ الطَّمَأِينَةِ فِي قُلُوبِهِمْ فَقَالَ : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل / ٨٩].

فسبحان الرب المؤمن الصادق في كلماته وأخباره، الصادق في دينه وشرعه، الصادق في وعده ووعدته، الصادق في ثوابه وعقابه : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء / ١٢٢].

إذا علمت هذا فتيقن أن الملك القدوس السلام المؤمن لا يجاوره في دار السلام والأمان إلا من اتصف بالإسلام والإيمان والأمانة.

فالمؤمن الخالق سبحانه هو الذي خلق الإنسان بيده، وجعله خليفة في الأرض ، والمؤمن المخلوق هو المؤمن على الحق يؤمن به ، ويعمل به ، ويعلمه ، ويدعو إليه ، من عهد آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالمؤمن الذي أدخل نفسه في الأمن والإيمان ، هو الذي قَبِلَ الأمانة وحملها وعمل بها، فله الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

والكافر والمشرِك ضيع الأمانة ، فحسر الدنيا والآخرة، فله الشقاء في الدنيا، وفي الآخرة يُحْرَمُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويدخل النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة / ٧٢].

والناس في أداء الأمانة درجات ، وأعظمهم أداء لها الأنبياء والرسل ، ثم من آمن بهم : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب / ٧٢].

والملائكة والأنبياء والرسل كلهم أمين على طاعة ربه ، والقيام بأمره ، وكل رسول قال لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء/ ١٢٥-١٢٧].

فأد الأمانة ، واستقم كما أمرت ، واتبع الهدى ، واحذر الهوى : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٦٦) ﴿ [ص/ ٢٦].

• التبع لله ﷻ باسمه المؤمن :

اعلم أيها العبد المؤمن أن ربك المؤمن يريد أن يؤمنك من العذاب في الدنيا والآخرة ، فبادر إلى طاعته ، وامثال أوامره ؛ ليتحقق لك ما أراد الله لك : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧) [النحل/ ٩٧].

واعلم رحمك الله أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، فاجتهد على نفسك بالعمل والعمل ، ليزيد إيمانك، وتزكو عبادتك، وتحسن أخلاقك، وتصلح أحوالك.

واجتهد في الإحسان إلى غيرك بالنصيحة والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ومواساة المحتاج ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير، والإحسان إلى الخلق بما تقدر عليه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠) [آل عمران/ ١١٠].

وأظهر من برك وخيرك ما يأمن الناس به من شرِّك ، ويطمعون في خيرك ، يحبك الله والناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) [فصلت/ ٣٣].

واعلم أن جميع الخلق هالكون وخاسرون إلا صنف واحد، فإن لم تكن أسبقهم فكن على الأقل منهم : ﴿ وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٣) [العصر/ ١-٣].

والزم أيها المؤمن تقوى الله في جميع أحوالك، فبال تقوى تُؤدى الأمانات ، وتوفى العهود ، وتحفظ الحدود ، وتحصل البركات، وتُدفع العقوبات : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾
[الأعراف/٩٦].

واعلم وفقك الله أن إيمان كل مؤمن بقدر علمه، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/١٠٢].

فاتق الله رحمك الله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكثرة إحسانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/٧٠-٧١].

وأحسن عبادتك لربك، ولا تؤذ أحداً من خلقه، واستغفر من ذنوبك، وأد الحقوق التي أمر الله بها، تكن من الفائزين: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف/١٦].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/٥٣].
«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه^(١).

اللهم إني أسألك إيماناً يقويني على طاعتك ، و يقيناً يحجزني عن معصيتك ، حتى أعبدك بما أستحق به رضاك ، وأتوب إليك من ذنوبي خوفاً منك ، وحياءاً منك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

المهيمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/٢٣].

الله ﷻ هو الرب المؤمن المهيمن على كل شيء، المطلع على خفايا الأمور، العليم بما تكبته الصدور، الرقيب على جميع خلقه، الشهيد الذي يبصر كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَفَعَلَنَّا عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/٦٧].

وهو سبحانه الملك العلي الأعلى، المهيمن العالي على جميع المخلوقات: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/٢٥٥].

وهو سبحانه المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبا/٣].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن بذاته وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى على جميع مخلوقاته: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/٦٤].

فهو الملك المهيمن على كل ملك.. المؤمن المهيمن على كل مؤمن.. الكريم المهيمن على كل كريم.. الجبار المهيمن على كل جبار.. القوي المهيمن على كل قوي.. الكبير المهيمن على كل كبير.. العليم المهيمن على كل عالم.. وهكذا في بقية الأسماء والصفات.

وهو القوي القادر المهيمن على كل ما في السماء والأرض، من ملائكة ونجوم وكواكب، وسحب ورياح، وجبال وبحار، وإنس وجان، وطير وحيوان.

فسبحان الملك العظيم الجبار، الذي له جميع المحاسن والفضائل، والذي تفرد بالأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/٨].

وسبحان المؤمن المهيمن الذي خص هذه الأمة بأفضل الرسل، وأحسن الشرائع، وأعظم الكتب، الذي جعله مهيمناً على ما قبله من الكتب: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴿٤٨﴾ [المائدة/ ٤٨] .

وإذا علمت هذا فاعلم أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الروح كان مواتاً ، فلما نفخ فيه ربه الروح صار
حياً حياة جسمانية ، ثم أكرمه ربه ، ونفخ فيه روح الإيمان ، فشهد لربه بالوحدانية ، وأقر له
بالربوبية ، فأبصر قلبه بعد العمى ، وسمع بعد الصمم ، وتكلم بعد البكم ، واهتدى بعد الضلال :
﴿ قُلْ أَنْعَمُوا عَلَى اللَّهِ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾
[الحجرات/ ١٦-١٧] .

ثم لا يزال يترقى في درجات العلم والإيمان ، فيمتلئ قلبه بنور الإيمان الذي يفرق به بين الملك
والعبيد ، والخالق والمخالق ، والمصور والصور ، والحق والباطل ، والمحكم والمتشابه ،
ويمشي بنور إيمانه في الظلمات ، كما يمشي البصير في ضياء الشمس لا يتعثر : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

ثم يكمل تصديقه بما لم تره عيناه ، ويتحقق له إيمانه بما لم تسمعه أذناه ، ويصل علم
الظاهر بالباطن ، وعلم الشهادة بالغيب ، فيجتمع له نوران : نور البصر ، ونور البصيرة ،
ويصل إلى ربه من باب علمه ، وفكره ، وخلقته : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور/ ٣٥] .

وتلك درجة الصديقين ، وثمره المقربين ، التي قطفوها من بستان المجاهدين : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

واعلم بأن من أراد الله كماله لصلاحيته للجمال ناطقه روح القدس بالحق ، وتنزلت عليه الملائكة
بالروح من أمره بالصدق ، ثم أيدته ربه المهيم بروح القدرة ، فخرقت له العادات ، وظهرت على
يديه أنواع المعجزات والكرامات : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي
الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْعَمَّةِ
وَكَذَلِكَ نُنشِئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨] .

وهذا كمال ابن آدم في الدنيا، وهو خاص بالأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله واجتباهم ،
 وخصهم من بين الخلق بالوحي والرسالة ، وكمال الإيمان واليقين ، فصَدَّقُوا وبلغوا واتقوا
 وأحسنوا: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٣٩﴾
 [الأحزاب / ٣٩].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق عالم الإنسان ، وهيمن على ظاهرٍ وباطنٍ كل فرد فيه :
 ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾
 [الأنعام/١٠٢].

ثم يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، ويحشر المؤمنين إليه في أحسن صورة :
 «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ أَنَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ
 دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ»
 متفق عليه^(١).

ثم ينال المؤمن جزاء عمله ، فيكون ثواب أول درجات الإيمان أن يرى المؤمن ربه عياناً ،
 ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ويجمع له ربه الكريم بأول نظرة إلى وجهه الكريم
 كل نعيم أوجده للمؤمنين في تلك الدار ، ثم يزيدهم من النعيم بما لا يخطر على قلب
 بشر، ثم يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ
 تَقِيًّا﴾ ﴿٦٣﴾ [مريم/٦٣].

ومن رأى ربه في الدنيا بقلبه ، فأمن وعمل صالحاً ، رآه يوم القيامة ببصره : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ
 ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [القيامة/٢٢-٢٣].

ثم يكمل النعيم والسرور في الجنة برضوان الرب على كل من أرضاه في الدنيا وآمن به : ﴿وَعَدَّ
 اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
 وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة/٧٢].

ثم يصعد كل مؤمن بعمله في درجات الجنة ، وهي منازل الأنبياء والمرسلين والصدّيقين
 والشهداء والصالحين والعلماء والمجاهدين ، لكلٍ درجته حسب صعوده في درجات

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

الإيمان والأعمال في الدنيا: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَقْضِيًّا ٦١ ﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٦٢﴾ [الإسراء/ ٢١-٢٢].

فسبحان الملك الحق الذي ملّك فرحم ، وعز فقهر ، وحكّم فعدل ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المهيم على كل شيء في السماء والأرض ، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٦٥ ﴾ [مريم/ ٦٥].

وسبحان مالك الملك ، وخالق الخلق ، ومدبر الأمر ، ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ ﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ٢ ﴾ [الملك/ ١-٢].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المهيم :

اعلم هداك الله لنوره ، وأعانك على طاعته ، وحسن عبادته ، أن ربك هو الملك المهيم على جميع مخلوقاته ، العالي عليها ، المتصرف فيها: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو ﷻ العزيز فذل له .. وهو الجبار فاخضع لجبروته .. وهو الكريم فاحمده .. وهو المحسن فاشكره .. وهو الرحمن فعرض لرحمته .. وهو الغفار فاستغفره: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر/ ٥٣].
وعليك بطاعة الذي خلقك ورزقك ، ولا يصرفك ما أعطاك من النعم عنه فتخسر: ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٦ ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

قف بباب ربك الغني القادر ، فخرائن جميع ما تريد عنده ، واسأله سؤال الأنبياء من طلب الهداية ، ورضوانه ، والجنة ، وطلب العفو ، والمغفرة ، والنجاة من النار: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

والزم باب العبودية ، وأحسن الانقياد لمولاك ، ودوام الخضوع له ، والانكسار بين يديه وحسن التواضع له ؛ تعظيماً له ، وحياء منه ، ومحبة له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ١٥ ﴾ [السجدة/ ١٥].

واحذر الكبر والتجبر والعلو، فإن ذلك لا تستحقه، بل لا يليق بك ، فضلاً عن أن تطلبه، بل ذلك كله لربك الملك الجبار، المحمود على أسمائه الحسنی، وصفاته العلی : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٧٤].
 « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم بيدك الملك كله ، ولك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، وأنت الله الرؤوف الرحيم ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥)، واللفظ له.

العزیز

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف/ ١].

الله ﷻ هو العزيز الجبار ، الغالب لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، القادر على كل شيء ، الخالق لكل شيء ، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يُغلب ، العزيز الذي لا يُتفهر ، العزيز الذي لا يضام جاره ، ولا يذل أنصاره: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

وهو سبحانه العزيز المالك لكل شيء ، العزيز الذي أحاط بكل شيء ، العزيز الذي لا يعجزه شيء ، ولا يتعذر عليه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو ﷻ العزيز القهار ، الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه ، وعن العقول أن تحيط به ، وعن الأبصار أن تدركه ، خالق الخلق ، ومدبر الأمر ، ومالك الملك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يرام ولا ينال جنباه ، لعزته وعظمته ، وجبروته وكبريائه ، العزيز الذي لا مثل له ولا نظير ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو ﷻ العزيز الذي له العزة كلها ، الفعال لما يريد ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿وَلَا يَخْزُنَاكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس/ ٦٥].

فسبحان الملك العزيز الجبار ، الذي ذلت لقدرته الصعاب ، ولانت لقوته الصم الصلاب ، وخضعت لعظمته الرقاب .

هو العزيز الذي له العزة كلها وحده لا شريك له .

يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز القادر على كل شيء، كل غيب عنده شهيد، وكل بعيد عنده قريب، وكل كبير عنده صغير، وكل قوي عنده ضعيف، وكل غني عنده فقير.

وكل هارب في قبضته، وكل شارد إليه ذاهب، وكل مخلوق إليه راجع، فلا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة/ ٦].

هو العزيز وحده لا شريك له، عزّ الأبصار أن تدركه، وعز العقول أن تتصوره، وعز الأوهام أن تكيّفه، وعز المخلوقات كلها أن تحيط به، وعز الألسن أن تحصي ثناء عليه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو القوي العزيز الذي ألبس الجبابرة عزته فذلت، وصب على الوجوه مخافته فخضعت، وقهر الخلائق على ما أراد فأطاعت، وساق بعزته الخلائق للقدوم عليه للحساب فعنت: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه/ ١١١].

هو العزيز الأحد الصمد، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس لذاته كيف، ولا لأسمائه وصفاته كيف: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

هو العزيز العليم الذي لا تخفى عليه خافية، العزيز الذي لا يضل ولا ينسى، ولا يتعب ولا ينصب، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ليس لذاته شبيه، ولا لفعله تكليف: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٣]. [يس/ ٨٢-٨٣].

فسبحان العزيز الذي له جميع معاني العزة:

عزة القوة .. وعزة القهر .. وعزة الامتناع .. وعزة العلو .

فله ﷻ عزة القوة التي لا تنسب على الكمال لأحد سواه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

وله عزة القهر والغلبة، فجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي مقهورة للعزيز الجبار ، خاضعة لعظمته، منقادة لأمره، مستجيبة لإرادته: ﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/٤].

وله عزة الامتناع، فهو العلي على خلقه، وكل ما سواه دونه، وهو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، وهو القادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد: ﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۥ لَهُ ۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍۭ بِهٰذَا ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس/٦٨].

سبحانه هو العزيز الذي له العزة جميعاً، وله الخلق والأمر كله ، وييده مقاليد السموات والأرض : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍۭ ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ ۥ حَيْثُ ۙ وَٱلسَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرٰتٍۭ بِأَمْرِهِ ۗ ٱلَا لَهُ ٱلْحُلُقُومُ ۚ وَٱلْأَمْرُ لِلَّهِ ۗ رَبُّ ٱلْعٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

فمن أراد العزة في الدنيا والآخرة ، فليؤمن بالعزيز الرحيم، ويطلب العزة من رب العزة ، متوسلاً إليه بالعمل بما يحبه ويرضاه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْحَكْمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئٰتِ لَهُمْ عَذَابٌۭ شَدِيدٌۭ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰئِكَ هُوَ يُورَثُهُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر/١٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه العزيز :

اعلم وفقك الله لطاعته ، أن ربك هو العزيز القهار، ومظاهر عزته في الكون بادية لا تغيب، ظاهرة لا تخفى على أحد.

وجميع المخلوقات شاهدة بعظمة الله، شاهدة بقدرته، شاهدة برحمته، شاهدة بعزته، شاهدة بتوحيده ، شاهدة بإحسانه .

فما امتنع من جميع المخلوقات ممتنع، ولا انتصر منتصر، ولا غلب غالب، ولا شاد مشاد، إلا بمقتضى اسمه العزيز ﷻ .

واعلم أن العزيز الحق سبحانه وعد عباده المؤمنين الجنة ، وحرَّم على عباده العلو والكبر والتكبر في الأرض ، ومن عز بنفسه عن عبادة ربه ، حرمه الجنة ، وأدخله النار : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجَعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ۗ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التقصص/٨٣].

وهو سبحانه وحده ذو العزة والعظمة ، والجبروت والكبرياء: « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يَبْزُقْ عُنِي عَذْبَتُهُ » أخرجه مسلم^(١).

ومن رحمة العزيز سبحانه أن أحسن إلى عباده ، بأن أعلمهم مم خلقهم ، وفيما أنشأهم ؛ ليعرّفهم بقدرهم ، ويوقفهم عند حظهم: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾ [الأنفال/٤٢].

فبيّن سبحانه أنه خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿١٣﴾ [المؤمنون/١٢-١٣].

فثلاً يتكبر الإنسان أعلمه ربه أن أصله من تراب، الذي جعله الله مدياً للأقدام، وموطناً للنعال، ثم جعل نسله من ماء مهين ، لا حراك به ، تقذره نفس الإنسان، وتغسل منه الأبدان والثياب، ويستحي الإنسان من ذكره والتحدث به: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ [المعارج/٣٩].

فهذا ابن آدم ، خلقه ربه من تراب، ونسله يخرج من مخرج البول مرتين ، من أبيه وأمه ، فكيف يتكبر ويتجبر وهذه قصة خلقه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ [يس/٧٧].

ثم بعد هذا ألزمه العزيز ذل الفقر إليه، فلا يقوم ولا يقعد، ولا يتحرك ولا يسكن من ذات نفسه، بل بمعونة ربه العزيز: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر/١٥].

فكيف يُعرض عن ربه الكريم، ويستكبر عن عبادة ربه العزيز، وهو مزوم بزم القدر، مملوك للرب الذي خلقه وصوّره على غير اختياره: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ﴿٨﴾ [الانفطار/٦-٨].

وكيف يستكبر عن عبادة مَنْ خلقه وصوّره وقد ألزمه ذل الفقر إلى الطعام والشراب، وذل الانتفاع به، وذل إخراجه منه، فهو يتقذر إذا نظر إلى ما خرج منه ، ويشيح بوجهه عنه نراه منه، وكفى بذلك ذلاً.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

وجعل سبحانه المخاط على فم الإنسان في وسط وجهه ، الذي هو أعز الأعضاء عليه، وجعل القذى في عينيه، والوسخ في أذنيه، والقلح في أسنانه، والشعث في رأسه الذي هو أشرف أعضائه.

وجعل الوسخ في أظافره، والعرق على جلده، إلى غير ذلك من أقداره.

ثم أذله العزيز ﷻ بالخوف اللازم الذي لا يكاد يخلو منه.

وأذله سبحانه بالمرض والموت والفقر ، فهو خائف أبداً من مرض يقعه، أو منية تعاجله .. أو بلية تنزل به .. أو فتنه تضله .. أو محبوباً يفقده .. أو مكروهاً يعضه ، كل ذلك من العيوب والنقائص ومظاهر الذلة من فضلٍ ومنَّ الله عليه ؛ ليعرّفه قدره ، ويقر بعجزه ، ويذل لربه، ويؤوب إلى رشدته.

وفي كل ركن ومرصد من الدنيا له عدو من الشياطين ، والآفات ، والأهواء، وزهرة الحياة الدنيا التي لا ينجيه منها إلا الفرار منها إلى ربه العزيز الرحيم : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

ومن حكمة العزيز الرحيم أن جعل حياة بني آدم مبنية على التعذيب والنكد ، والكبد والتعب ؛ لئلا يركن إليها الإنسان ، وينسى الآخرة دار السلام ، والراحة في الدنيا خاطر طارئ: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

فسبحان من ألبس هذا الإنسان ثياب الذلة ؛ لئلا يستكبر عن طاعة العزيز الذي أذله، وليصرف كل ذله للملك العزيز الذي خلقه وصوّره ورزقه : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَعُدُّونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

إذا فهمت هذا فاعلم أن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والخير كله بحذايره في الجنة، والشر كله بحذايره في النار.

والسجين له أربع صفات : عنده اليقين على رزقه ، والقناعة بما يعطى ، والسمع والطاعة ، وانتظار الفرج ، والمؤمن كذلك .

وأجسام الخلق في الدنيا معدة للعمل والمجاهدة ، لا للراحة وتكميل الشهوات ، فالمؤمن لا يتقلب في كل شهواته ، ولا ينطلق في جميع محبوباته ، بل ذلك كله له في الآخرة ، والكافر بضد ذلك ،

يرتفع في الدنيا كالحيوان في شهواته ، ثم يدخل النار يوم القيامة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد/ ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» أخرجه مسلم ^(١).

فإن أردت أيها المؤمن العز الأكبر ، والخير الأكمل ، والمقام الأسنى ، ففر من نفسك إلى ربك ، ومن هواك إلى مولاك ، ومن عدوك إلى ربك العزيز الرحيم .

واطلب العزة من ربك العزيز الوهاب، وتقرّب إليه بالإيمان والعمل الصالح، يعزك ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون/ ٨].

وإياك أن تطلب العزة من سوى ربك العزيز في ذلك بها، فإن العزة كلها لله وحده، يعز بها من يشاء، ويذل بها من يشاء، ولا تكن من : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء/ ١٣٩].

وتذل لربك العزيز الذل كله، واخضع لربك العظيم الخضوع كله، تنال بذلك العزة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك/ ١٢].

وتضرع إلى العزيز الرحيم في خلواتك صادقاً، وهبّ خدك للتراب ذلاً بين يديه، وسله أن يرحمك ، ويرفع عنك ذل المقام يوم العرض عليه .

واطلب العفو منه، واستغفره من ذنوبك ؛ ليدخلك في أوليائه الصالحين، ويجعلك من حزبه المفلحين : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

فهذا الحال والمقال والذل بين يدي مولاك العزيز ، يفضي بك إلى عز لا ذل بعده ، وشرف لا ضعة بعده، وربح لا خسارة بعده: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

وتذلل رحمك الله لأولياء الله ، وأهل طاعته ، وأكرم كبيرهم ، وارحم صغيرهم ، وأحسن إلى فقيرهم ، واعف عن مسيئهم ، واستر زلاتهم ، ولا تلتفت إلى نعيم أهل الدنيا : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر/ ٨٨].

وتعزز على الكفار المعاندين والمنافقين بقدر بعدهم عن الحق ، وخروجهم عن سواء القصد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير ﴾ [التحریم/ ٩].

وتذلل رحمك الله لأولياء الله ، وتعزز على أعدائه ، تكن ممن يحبهم الله ويحبونه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة/ ٥٤].

وعليك بالتواضع والعفو ، فمن تواضع لله رفعه ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً .

واعلم أن التعلق بالقوي قوة ، والتعلق بالعزیز عزة ، فتعلق بالعزیز ، يعزك في الدنيا والآخرة : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الذی یرینک حین تقوم ٢١٧] ﴿ وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾ [إنه هو السميع العليم ٢٢٠] [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران/ ١٦].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (١).

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يعز من عاديت ، ولا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الجبار

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك العزيز الجبار، الذي قهر جميع الخلائق على ما أراد، وحكمها بقوته، وبسط سلطانه على جميع ملكه: ﴿الْمَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة/ ١٠٧].

وهو سبحانه الجبار القوي، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، القوي النافذ أمره في ملكه، الذي أذل جميع الأقوياء بجبروته، وقهر جميع الجبابرة بقوته: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

وهو سبحانه الجبار، العالي فوق جميع المخلوقات، الجبار الذي خضع كل مخلوق لعظمته وجلاله، وكبريائه وجبروته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهو ﷻ الجبار الذي أجبر الخلائق على ما أراد، وحكم بجبروته وسلطانه كل من في ملكه، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاءه ويريده، فما شاء الجبار كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿مَنْ دَابَّ إِلَّا هُوَ أَخِذْ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

وهو سبحانه الجبار الكريم الرحيم، الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويلطف بالمدننين، ويفرح بتوبة التائبين، الجابر للضعيف العاجز، ولمن لا ذبه ولجأ إليه من خلقه: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بغيره قد أضله بأرض فلاة» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

وهو الجبار الذي جبر مفاقر الخلق، وقسم أرزاقهم ، وكفاهم أسباب الرزق والمعاش في الدنيا والآخرة: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنْ نَحْنُ فَسْمَانًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف / ٣٢] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة والمجد والكبرياء، الجبار القوي الذي لا يجري عليه حكم حاكم ، ولا يتوجه إليه أمر أمر ؛ لأنه الملك الجبار الذي له الخلق والأمر: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

هو الجبار القهار الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ، ولا يكلفه شيء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢] .

هو الجبار الحق الذي أظهر جبروته على التمام والكمال بثلاث صفات:

الأولى: جبروت العزة والقهر، فهو الجبار القاهر لكل شيء ، الذي خضع له كل شيء ، ودان له كل شيء : ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤] .

الثانية: جبروت العلو ، فهو الجبار العلي على كل شيء ، الذي له جميع معاني العلو ، علو الذات ، وعلو القدر، وعلو القهر: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد / ٩] .

الثالثة: جبروت الرأفة والرحمة ، فهو الجبار الرؤوف الرحيم ، اللطيف بعباده ، الذي يجبر الكسير ، وييسر العسير ، ويغني الفقير ، ويطعم الجائع ، ويشفي المريض ، ويجبر المصاب بجزيل الثواب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥] .

فإنه هو الجبار وحده لا شريك له ، والجبروت لله العلي الكبير وحده لا شريك له : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣] .

ومن تجبر وتكبر من الخلق باء بالخيبة ، وسخط الجبار ، ودخول النار: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَتُسْقَىٰ مِنْ مَّآءٍ صٰكِدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

[إبراهيم / ١٥ - ١٧] .

نعوذ بالله من سخط الجبار، ومن عذاب النار، ومن خزي الذل والهوان.

واعلم هداك الله إلى صراطه المستقيم أن الخلق والأمر كله لله الواحد القهار، والتدبير والتصريف كله للقوي الجبار، وتقدير المقادير كلها جبراً وقهراً بمشيئة العزيز الجبار: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي خاضعة للملك العزيز الجبار، الذي قهرها بجبروته وقوته على ما أراد، في وجودها وعدمها، وفي حجمها وشكلها، وفي طولها وعرضها، وفي قوتها وضعفها، وفي حركتها وسكونها ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].
واعلم نور الله قلبك بالعلم النافع أن الله خص الإنس والجن من بين المخلوقات بوحيه المنزل، ودينه القيم، وشرعه المحكم، ومنحهما القدرة على الاختيار.

فمن خضع للجبار بقلبه وبدنه، وصبر على حكم الشرع، وقام بما أمره به ربه، أكرمه ربه برضوانه وجنته، لخضوعه وحسن اختياره: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء/ ١٣].

ومن عصى الجبار، واستكبر عن الحق، واتبع هواه وشهوته، أهانه الجبار، وسخط عليه، وأصلاه ناره؛ لاستكباره وسوء اختياره: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤].

فهؤلاء عبيده المسيئون، وأولئك عبيده المحسنون، وكلُّ تولى ما تولى، واختار ما اختار، بلا إجبار ولا إكراه: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].
وهذا محل الابتلاء، وهو طريق النجاة والفلاح: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير/ ٢٨-٢٩].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الجبار :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته ، أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، أعظم العلوم وأشرفها وأنفعها، ومن رزقه الله العلم واليقين، رأى ببصره عظمة الخلق، وحسن الإبداع ، وحكمة التدبير ، وأثار الرحمة ، وكمال القدرة .

ورأى بقلبه عظمة المَلِك الجبار يتصرف في المَلِك والملكوت بالقوة والجبروت ، فخشع قلبه لعظمة ربه العزيز الجبار، وتحركت جوارحه بطاعته ، ونطق لسانه بالتسبيح والتكبير والحمد له في جميع أوقاته ؛ لما يرى من عظمة ربه وجلاله ، وجميل إحسانه وإنعامه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد / ٢] .

فهذا الذي رأى ربه يخلق ويتصرف في ملكه ، فذكره كأنه يراه ، والله يحب مَنْ ذَكَرَهُ ، فذكره يذكرك فيمن عنده : ﴿ فَادْكُرُوهٓ فِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٢] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَيَّ اللَّهُ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا يُضْرَكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ » أخرجه مسلم^(١) .

وَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ ، صَارَ غِذَاءَ قَلْبِهِ بِوَسْطَةِ لِسَانِهِ ، ثُمَّ صَارَ غِذَاءَ الْجَمِيعِ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات / ١٨٠-١٨٢] .

« سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي^(٢) .

فتذلل لربك الملك الجبار، وسبح بحمد ربك العظيم: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم / ٦٥] .

واسأل ربك الجبار أن يستعمل بقية حياتك في ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يلين قلبك لعباده ، ويرغبك في النصيحة لهم ، فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله ، وتحبب عباده إليه بذكر أسمائه وصفاته ، وإنعامه وإحسانه ، وجزيل ثوابه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧) .

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣) ، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

أُولِيَاءَ بَعْضُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة / ٧١].

ومن أراد الله به خيراً هدها للدعوة إليه: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران / ١٠٤].

واسأل ربك الجبار الرحيم ، الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه ، وعفوه ومغفرته ورحمته ، أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط ، وكسور الكبر والعجب والفخر، وكسور الرياء والكذب والمعاصي، وأن يبذلك منها دوام ذكره وطاعته، والصدق، وإخلاص العمل له، والذل له، والتواضع لعظمته وكبريائه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣].

والله كريم قريب مجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر / ٦٠].

واعلم بأن أهل النظر في عالم الملك والملكوت هم أهل التوحيد والإيمان، واليقين والتوكل: ﴿أُولَئِكَ يَنْفَكِرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف / ١٨٤ - ١٨٥].
شاهد أولو الأبواب والعقول أن المملك كله بيد المملك العزيز الجبار وحده لا شريك له .. هو الخالق والأمر فيه .. وهو القابض والباسط له .. وهو المانع والمعطي منه .. وهو المالك والمتصرف فيه.

ولما علموا ذلك لم يطلبوا شيئاً من سواه ؛ لعلمهم الذي وقر في نفوسهم ، وأضاء نوره في قلوبهم: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾ [آل عمران / ٢٦].

ولما طلبوا سألو الله أعظم ما في خزائنه فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿[الفاحة / ٢-٧].

فله در أقوام سكنوا داراً مُلئت بالمخلوقات والفتن ، ومع ذلك لم يروا مع الله سواه ، ولم يشاهدوا في الكون سوى مولا هم ، فتوكلوا عليه ، وسألوه الهداية إليه ، وجاهدوا وصبروا على ما أصابهم من أجله ، فأعطاهم مبتغاهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

جعلنا الله وإياكم والمسلمين منهم: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنصَبِرَ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم/ ١٢] .
 ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .
 ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .
 « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي .
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه (١) .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرجته ، ولا مبتلى إلا عافيته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا ضالاً إلا هديته ، ولا فقيراً إلا أغنيته ، ولا حيران إلا دلتته ، ولا كسيراً إلا جبرته ، ولا عدواً إلا أهلكته ، ولا زلة إلا سترتها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الخالق .. الخلاق

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٤] .
 وقال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس / ٨١] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) ، واللفظ له .

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته، وصورها بإرادته ،
 وَحَكَمَهَا بِأَمْرِهِ : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو ﷻ الخالق الذي خلق كل شيء، ولا يزال يخلق ما شاء، متى شاء، كيف شاء:
 ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [الفصص / ٦٨] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق ويخلق ما لا يحصىه إله من المخلوقات ، والأشياء، والذرات ،
 والأنفس، والثمار، والأجرام، والأفلاك : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ [الحجر / ٨٦] .
 وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ [البقرة / ١٧] .
 وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء وأحسن صورته.

خلق العرش والكرسي .. وخلق السموات والأرض .. وخلق الدنيا والآخرة .. وخلق الشمس
 والقمر .. وخلق النجوم والكواكب .. وخلق الليل والنهار .. وخلق الأرواح والملائكة .. وخلق
 الهواء والرياح : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
 يُعْشَىٰ آيِلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق السحب والمياه، وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان،
 وخلق الجن والإنسان، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق العيون والآبار:
 ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان / ١١] .

وهو سبحانه الخالق العظيم الذي خلق ذرات الجماد، وقطرات الأمطار والبحار، وخلق أصناف
 النبات، والأشجار، والأوراق، والأزهار، والثمار، وخلق أنواع الحيوان، والبهائم، والسباع،
 والحشرات، والذرة : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الخلاق العليم ، الذي خلق جميع المخلوقات، وأتقن صنعها ، وأحسن خلقها: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة / ٦-٧] .

فسبحان الخالق العظيم، الخلاق العليم، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدراً في الحجم، ولوناً في الشكل، وحكمة في الخلق.

فمنها العالي والسافل .. ومنها الكبير والصغير .. ومنها الطويل والقصير .. ومنها الرطب واليابس .. ومنها السائل والجامد .. ومنها القوي والضعيف .. ومنها الناطق والصامت .. ومنها الحي والميت .. ومنها الذكر والأنثى .. ومنها المتحرك والساكن .. ومنها العذب والمالح .. ومنها الثابت والنامي : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

وسبحان الخالق العظيم ، الذي أحكم وأحسن خلق ما خلق ، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله، فضلاً عن أن يخلقوا أحسن منه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف/ ٨٢] .

بل الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذباباً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٣-٧٤] .

والله عَزَّ وَجَلَّ هو الرب الذي خلق المخلوقات كلها، وتفرد بالملك والخلق وحده، ودبر وحده أمر الممالك والخلائق في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، وحده لا شريك له: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الخلاق العليم ، الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء ، الذي خلق جميع الخلق ، وبيعتهم بعد موتهم في لمحة واحدة ، كخلقه نفساً واحدة : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان/ ٢٨] .

فسبحان الخلاق القوي القهار، العظيم الذي خلق كل عظيم، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [١٧] وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِبٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ [المؤمنون/ ١٧-١٩] .

وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

خلق سبحانه خلقاً في البر لا يعلم بهم أهل البحر، وخلق في البحر خلقاً لا يعلم بهم أهل البر . وخلق في السماء خلقاً لا يعلم بهم أهل الأرض ، وخلق في الأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء .

وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء والأرض ، وخلق في السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل الجو : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وخلق ﴿جَلَّة﴾ من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، أمماً وقبائل وشعوباً ، لا يعلمها ، ولا يحصيها ، ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علماً : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

والكل خلق الله .. والكل مُلك الله .. والكل عبد الله .. والكل جند الله .. والكل يشهد بوحداية الله .. والكل يسبح بحمد ربه : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح / ٧] .

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك ، وتعرف على أسماء وصفات من تعبد .

واعلم من تجالس؟..وماذا تقول؟..وماذا تعمل؟..وماذا تبني؟..وماذا تهدم؟..وماذا تبيع؟.. وماذا تخسر؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩].
واعلم رحمك الله أن الله ﷻ خلق كل شيء بأمره الكوني فكان ، وهو القادر على كل شيء ، الذي يفعل ما يشاء ، مقروناً بالحكمة والرحمة .

أحياناً يخلق ويرزق بالأسباب كما يخلق النبات بأسبابه ، والحيوان بأسبابه، والآدمي بأسبابه : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨].

وأحياناً يخلق ويرزق بلا أسباب كما رزق مريم ابناً بلا ذكر ، وطعاماً بلا شجر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢].

وأحياناً يظهر قدرته على الخلق بضد الأسباب، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

فأظهر قدرته في هذا ، وأخفى قدرته في ذلك ؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء ، فيعبده وحده لا شريك له ، ولا يتعلقوا بأحد سواه : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٧ - ١٨].

وخلق ﷻ الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ؛ تشريفاً له على غيره .

فخلقه من تراب ، ثم جعل نسله من ماء مهين ، ثم أخرجه من بطن أمه مختلف الألوان ، والأشكال ، والأحجام ، والألسن ، والصفات .

فذكر وأثى .. وطويل وقصير .. وأبيض وأسود .. وسمين ونحيف .. وذكي وغبي .. وعاقل ومجنون .. ورحيم وشديد .. وعربي وعجمي .. وبصير وأعمى .. وسميع وأصم .. وناطق وأبكم .. وكريم وبخيل ، وحسن وقبيح .

فبارك الله أحسن الخالقين، الذي أظهر قدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين: ﴿ءَايِسْهُ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْبَلُكَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

واعلم نَوَّرَ اللهُ قلبك بالإيمان أن البذر والغرس في أرحام الأرض كنطفة الذكور في أرحام الإناث ، فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم ، حسب التقدير السابق بكون كل شيء أَرَادَهُ اللهُ ، استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق ﷻ .

فقال سبحانه في خلق الإنسان : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئْشَاءُ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ بُزُوجَهُمْ ذَكَرْنَا وَإِنِئْشَاءُ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى / ٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه في خلق الحيوان : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور / ٤٥] .
وقال سبحانه في خلق النبات : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآئُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعام / ١٤١] .

وهو سبحانه الخالق القادر على كل شيء ، الذي بدأ الخلق كله ثم يعيده كله كما كان : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم / ٢٧] .

هذا ربي وربك الخلاق العليم : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥] .

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حَكَمَ على كل نفس بالموت ، وقضى على كل مصنع بالخراب ، وقهر كل متحرك بالسكون ، وحكم على كل موجود بالفناء : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن / ٢٦-٢٧] .

والله ﷻ خلقنا للبقاء لا للفناء ، لكن حَكَمَ علينا بالموت والفناء فرقاً بين الرب والمربوب ، وتمييزاً للحي الذي لا يموت ، من الحي الذي يموت ، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة ، والثواب والعقاب : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس / ٤] .

فسبحان من خلق الإنسان ، ثم حكم عليه بالموت ؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني ، ثم يعيده بعد الموت ، ليبقى في حياة لا يفنى بعدها أبداً .

وقد جعل الله لكل مخلوق بداية ونهاية ؛ ليدل بذلك على حدوثه ونقصه ، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية ، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد / ٣] .

فانظر رحمك الله إلى قدرة الخالق العليم في البدء والإعادة ، لتعلم أن بعد هذه الحياة موت ، ثم بعد الموت بعث ، ثم بعد البعث حساب ، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [١٩] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت / ١٩-٢٠] .

ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة ، ويساق الكفار إلى النار : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَدِ بِنَفْرَتِهِمْ ﴾ [١٤] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [١٥] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [١٦] [الروم / ١٤-١٦] .

فسبحان الخالق القادر على كل شيء ، الذي خلق فأبدع ، وصور فأحسن ، وصنع فأتقن ، وقدر فهدي ، وحكم فعدل ولفظ ، وأحسن الإحسان كله : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [٦] ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [٧] [السجدة / ٦-٧] .

والله سبحانه هو الخالق البديع الذي بدع كل شيء أولاً ، فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله ، الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [١٧] [البقرة / ١١٧] .

والله سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء ، الذي أبدع أول كل شيء ، وصور أول كل شيء ، وأحسن صورة أول كل شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣] [الحديد / ٣] .

وهو سبحانه البديع الحق الذي له الجمال كله ، زين السموات والأرض ، الذي أضاءه بنوره العظيم ، وأمسكهن بقدرته القاهرة : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور / ٣٥] .

فانظر رحمك الله إلى عجب إبداع الخالق العظيم ، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض وما بينهما ، وما فوقهما من العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، وما بين السماء

والأرض من الرياح والسحب ، والنجوم والأفلاك ، والشمس والقمر : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

كيف سخر الملك القادر كل ذلك بأمره ، وصرف تلك المخلوقات بمشيئته ، في طلوعها وغروبها ، وخنوسها وكنوسها ، واجتماعها وافتراقها : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس / ٤٠] .

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والروح ، وأنواع الجماد ، والنبات ، والحيوان : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠١ - ١٠٢] .

وإن أردت متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان ، فانظر رحمك الله إلى عجب خلق الله لهذا المعرض العظيم ، والمصنع البديع ، وكيف ملأه الخلاق العليم بعجائب المخلوقات : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

فسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

وإنما يُعجَب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت ، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية الذي خلقه وأبدعه وصوره .

عن أي علم كان هذا الملكوت؟ وعن أي قدرة أظهره؟ وعن أي قوة قهر ما قهره؟ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

فسبحان الخالق الحق ، الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأمور كلها ، وأخرج الكون من العدم بقدرته ، وأثار الكون بنوره ، وملأه بآثار رحمته ، وجزيل نعمه ، حتى ذلت العقول لعظمته ، وتصاغرت لكبريائه ، وخشعت لجبروته ، وقتت لعزته ، وسجدت لجلاله ، وسارعت إلى طاعته وعبادته : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

• التبعيد لله تعالى باسمه الخالق :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، أن الخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات ، ليظهر لعباده كمال قدرته ، وسعة علمه ، فإذا عرفوا العظيم حقاً ، الكريم حقاً ، عبوده حقاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا كان الله هو الخالق وحده لا شريك له ، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم/ ٤٠].

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق ، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١].

فحمد الله على نعمة التوحيد والإيمان ، ونعوذ به من كفر الكافرين ، وشرك المشركين : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٩١-١٩٢].

ومن نور الله بصيرته بالإيمان لم ير في الكون إلا اثنان : ملك وعبيد .. وخالق ومخالق .. وغني وفقراء .. وقوي وضعفاء .. وعزيز وأذلاء : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق فعليه أن يُمعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض ؛ لتلوح له دلائل قدرة الخلاق العليم ، وحكمته في صنعه ، في خلق السماء المرفوعة ، والأرض المفروشة ، وأصناف النبات ، وأنواع الحيوان ، وأقسام الجماد ، وعجائب خلق الإنسان .

وهذا النظر والتفكير من أعظم دلائل التوحيد والإيمان ، وأفضل أنواع العبادة : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [الأنعام/ ٦] ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [البقرة/ ٧] ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَبِّبٍ ﴾ [ق/ ٦-٨].

واعلم أن الملك الحي القيوم ، الذي يُنزل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضرر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده، إكراماً لهم ، وإحساناً إليهم ، وتشريفاً لهم ، وعناية بهم ؛ ليكونوا هم خلفاء الأرض بحسن عبادته ، وتنفيذ أوامره ، وليصلوا إليه بعد الموت، بأحسن صورة وعمل ، فيجزئهم يوم القيامة بالجنة والرضوان ، لحسنهم وإحسانهم : ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٢٦] .

ويجعلهم ربهم بالقرب منه ، كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فسبح بحمد ربك العظيم ، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ولا تدعي القدرة على أعمالك ، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك ، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير ، ولا ما صرفه عنك من الشر وقل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧] .

واعبد ربك بما ورد في شرعه ، وأحسن عبادته ، وإياك أن تبتدع شيئاً يقطعك عنه ، ويرد عليك إثمه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم^(١) .

وارتبط وفقك الله ورباط ، واصبر وصابر واصطرِبْ لعبادة ربك العظيم ، فعن قريب يرجعك إليه ، ويجزيك بأحسن ما عملت ، ويقدمك على أكرم ما قدمت : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران / ٢٠٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧) .

واقنت لربك الأعلى، واسجد له، وسبحه ليلاً طويلاً ، فهو أحق من عبد ، وأرحم من ملك ، وأعظم من خلق : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجة عليك ، يقطعك عن ربك ، ويشغلك عن عبادته ، بل استعن به على ما يحبه ويرضاه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

واعبد ربك الخلاق العليم، الذي خلق الخلائق ، وقدر المقادير ، وأحسن الخلق ، وأحكم الصنع ، فلا رب لك سواه ، ولا إله لك غيره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٢١-٢٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (١) .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك .

أنت الملك الحق ، القوي القدير ، الخلاق العليم ، الغفور الشكور ، لا إله إلا أنت ، ولا رب لنا سواك ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور .

اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، يا أرحم الراحمين .

البارئ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله ﷻ هو الخالق البارئ، الذي خلق كل شيء، وبرأ وأوجد كل شيء. وهو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات، وبرأ جميع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والنسمات، والهيئات، والحركات، وأظهرها كما قدرها وعلمها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ، الذي برأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال سابق، الذي أحسن كل شيء خلقه، فظهر في أجمل صورة، وأحسن شكل. وهو سبحانه الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والتناقض، سليماً من التباين والخلل، فظهر كما أراد خلقاً حسناً سوياً، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب، بريئاً من كل خلل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [٢] الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَإِنَّ أَعْيُنَ النَّاسِ لِنَظَرِهِ لِنَظَرٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٣] ثُمَّ أَتَّجِعُ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٤] [الملك/ ١-٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، وقدّر كل شيء قبل وقوعه، من الخير والشر، والعافية والبلاء، والنعم والمصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد/ ٢٢].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العالم بالظواهر والبواطن، الشافي من كل داء، المبرئ من كل سوء: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [٧٩] وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [٨٠] [الشعراء/ ٧٩-٨٠].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام، مخزونة في الأصلاب، خلقها جميعاً في صلب آدم ﷺ، سواها بقدرته، وخلقها مبرأة من العناء في العهد الأول، وبرأها على الإسلام له، وفطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها، مسلمة لخالقها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

هَذَا غَفِيلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهَلِكُنَّا بِمَا فَعَلْنَا
 الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي قَدَّرَ المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته ، البارئ
 الموجد لها بعد العدم ، المصور لها كيف شاء ، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ، على الصورة
 التي يريد ، وعلى الشكل الذي يريد ، في الوقت الذي يريد ، ويظهره في الوقت الذي يريد :
 ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾
 [القصص/ ٦٨].

• التبعيد لله ﷻ باسمه البارئ :

اعلم أيها العبد المسلم أنك خَلَقَ من الخلق الذي يوحد ربه ، ويسبح بحمده في كل حين ،
 فأقبل على ربك مع الموحدين ، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

وحقق ذلك بالتوبة من كل منهجي عنه ، وإرجاع النفس إلى بارئها بفعل كل مأمور به ، وإيثار كل
 محبوب عنده ، وتقديم مراد الرب على مراد النفس : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا
 عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ
 النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/ ٨].

وذكر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها ، وما أعطته من العهود في بدء أمرها ،
 وذكرها بنعماء بارئها عليها ، كيف سواها في أحسن تقويم ، وفطرها على الدين القيم ،
 لعلها تَتُوبُ إلى ربها ، وتسير إلى ما فيه رشدها : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ
 يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة/ ٣٩-٤٠].

واعلم رحمك الله ، أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها ، والأخذ بها إلى
 مراد بارئها ، وحملها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعاً وكرهاً ، حتى يصير ذلك
 عادة لها : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وحينئذ يستقيم لك أمرها ، فتحيا بمراد بارئها ، ويموت مرادها ، ومن فعل ذلك أعانه الله ،
وتاب عليه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعام/ ٥٤].

﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ،
وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم إني أسألك إيماناً كاملاً ، و يقيناً صادقاً ، و قلباً خاشعاً ، و لساناً ذاكراً ، و حلالاً طيباً ،
و أسألك الفوز بالجنة ، و النجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

المصور

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور الذي خلق الخلق ، وصوّرهم على صور مختلفة ، وهيئات متباينة ، من الحسن والجمال ، والشكل واللون ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾ [آل عمران/ ٦].

فكل مخلوق ميزه ربه بصورة خاصة ، تميزه عن غيره من المخلوقات ، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة ، وصورة مستقلة.

وهو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن ، فيكون على الصورة التي يختار ، والشكل الذي يريد ، والحجم الذي يشاء ، في أحسن صورة ، وأتقن صنْع: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي خلق السموات والأرض وما فيهما فأحسن خلقهما ، وخلق الإنسان في أحسن صورة ، وأكمل هيئة: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾ [التغابن/ ٣].

وسبحان المصور الذي خلق الأشياء ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير ، وتخطيط ، وحجم ، ولون ، وتركيب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤].
واعلم أن الله ﷻ أحسن الخالقين خلق كل شيء وأبدع خلقه ، وأحسن صورته.

ومن أعظم ما خلق الله الإنسان ، فقد خلقه من بين المخلوقات بيده ، وخلقه على صورته ، وأحسن صورته ، وأحسن تقويمه ، وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [التين/ ٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات الأرض والأرحام كيف يشاء : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ٦] .

فلا إله إلا الله ، خالق كل شيء ، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء ، ويحسن صورها كيف يشاء ، ويبدع صورها كيف يشاء ، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن ، عالم الغيب والشهادة ، البصير بالصغير والكبير ، السميع للسر والجهر ، المصور لكل صورة ، الكريم بكل نعمة ، العليم بكل ذرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد / ٤-٥] .

ومن هذه قدرته ، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه مخلوقاته ، أهل أن يعظم ويكبر ، وأن يُحَبَّ ويُعْبَد ، وأن يُحْمَدَ ويُشْكَرَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الذرى / ٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار / ٦-٨] .

وما أعظم الصور التي صورها المصور ، ولننظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت ، فانظر رحمك الله إلى ربك ، كيف خلقك في أحسن تقويم ، فقد خلق الله الإنسان من تراب ، ثم من نطفة ، ثم ركب أعضائه بعضها فوق بعض ، وقسم عظام تلك القطرة السائلة ، وصورها بقدرته كيف شاء .

فجعل المصور سبحانه بعضها لحماً .. وبعضها عظماً .. وبعضها شحمًا .. وبعضها مخاً .. وبعضها عصباً .. وبعضها شعراً .. وبعضها عروفاً .. وبعضها جلدًا .. وبعضها ظفراً .. وبعضها سمعاً .. وبعضها بصراً .. وبعضها أنفاً .. وبعضها فماً .. وبعضها سناً .

ثم خلق المصور داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو من مصانع الدم ، والهضم ، والتصفية ، والتحلية ، والتكرير والدفع ، والتهوية ، والحركة ، كالقلب ، والكبد ، والمعدة ، والعينين ، والأذنين ، والرتتين ، والكليتين وغيرها مما خلقه وصوره كاليدين والرجلين والرأس : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون / ١٢-١٤] .

وخصَّ الخالق المصور ﷻ كل عضو بوظيفة يؤديها ، ومكان يخالف مجاوره ، وجعل الكل يتعاون مع بعضه في خدمة الإنسان ، ويسبح بحمد ربه الرحمن .

ثم أمد المصور سبحانه تلك القطرة المصورة بمعاني صفات المخلوق وأسمائه وأخلاقه من عقل وعلم ، وقدرة وإرادة ، وكرم وحلم وغيرها من الصفات المحمودة وضدها : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَاهُدِينَهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كُفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان / ١-٣] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات / ٢٠-٢١] .

وخلق الله لهذا الإنسان المكرَّم ، والحيوان المسخر ، مائدة الطعام والشراب ، فهي مفتوحة الأبواب له في البر والبحر والجو ، يأكل منها حيث شاء إلا ما يضره ، فقد فطره الله على البعد عنه : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة / ١٦٨] .

وبعد أن أكمل الله خلق الإنسان ، وهياً له مائدة الطعام والشراب ، أنعم عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه ، وتسعده في دنياه وأخراه ، وهي الدين الحق الذي أنزله على رسله ، وأتممه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأتمته : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة / ٣] .

فلله الحمد والشكر على جزيل نعمه وإحسانه .. وله الحمد والشكر على دينه وشرعه .. وله الحمد والشكر على فضله ورحمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة / ٢-٤] .

واعلم رحمك الله أن صورة آدم ﷺ وذريته هي التي تحقّق فيها معاني التصوير ظاهراً وباطناً ، وظهر فيها الكمال والجمال ؛ لأنه اجتمع فيها التقدير ، والتصوير ، والحُسن ، والتكريم ، والخلود بعد الموت : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٧٠] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، أظهر الإسلام أحسن دين ، في أحسن صورة في آدم أحسن مخلوق ، خلقه الله بيده ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿البقرة/ ٣٠﴾ .

فمن آمن ازدادت صورته حسناً وجمالاً في الظاهر والباطن : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

ومن كفر ازدادت صورته قبحاً وسفلاً في الظاهر والباطن : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤ - ٦] .

وتصوّر صور الخلق يوم القيامة ، وتبيّض وتسدود ، وتثاب النفوس وتعاقب ، حسب إيمانهم وكفرهم وأعمالهم : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧] .

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحسن الخلق ، وحسن الصورة ، وحسن الرزق ، وحسن الدين ، وحسن الثواب .
وله الحمد على إكرام وجه المؤمن الذي خلقه على صورته، فنهى عن قتله أو ضربه مع الوجه، وحرّم على النار أن تأكل وجوه الموحدين ، إكراماً لمن خلقه بيده ، وسجد وجهه لعظمته .
اللهم حرم وجوهنا ووجوه والدينا وذرياتنا والمسلمين على النار ، يا أرحم الراحمين .

واعلم وفقك الله لحسن معرفته ، أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له ولا منتهى ، فالجبار عَزَّوَجَلَّ يخلق ويصور في كل آن ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من المخلوقات والصور في السماء والأرض ، وفي الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

والكل خلقه .. والكل عبيده .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان ربنا العلي الكبير ، الخلاق العليم ، القوي القادر على كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فاحرص أعانك الله على معرفة ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، والعمل بموجب ذلك ، قاصداً وجه ربك الكريم ، تكن من الفائزين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة / ٥] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المصور :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك الخالق البارئ المصور خلق المخلوقات كلها ، وصورها فأحسن صورها ، من العرش والكرسي ، والسماء والأرض ، والملائكة المقربين ، والجنة والناس أجمعين ، وأصناف الجماد ، وأشكال النبات ، وأنواع الحيوان والطيور ، والخلق أجمعين : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

هو الملك القادر ، لا تعجزه أعداد يصورها ، ولا صور يخترعها ، ولا أشكال يتدعها ، فاعبده واملاً وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات ، واملاً وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملاً لك الكون بنعمه : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [١٣٠] ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴿ [١٣١] ﴾ [طه / ١٣٠-١٣١] .

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور ، الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، لم يشترك اثنان قط في صورة واحدة ، فليكن هذا الخلق والتصوير واعظاً لك ، وموجباً لطاعة مولاك وتقواه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَوَلَقَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١] .

فهل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات .. والمصور والمصورات .. والملك والمملوكات .. والأمر والمأمورات .

فاعبده وتوكل عليه ، يسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

واعلم وفقك الله لطاعته أن ربك وحده لا شريك له ، هو المتفرد بالخلق والتصوير ، والتقدير والتدبير ، وإنما كلف عبده الإنسان في استصلاح صفات نفسه ، وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

فاضرع رحمك الله إلى الخالق البارئ المصور ، الهادي إلى ما يحبه ويرضاه ، وقف ببابه متذلاً بين يديه ، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم ، وسبل مرضاته ، متوسلاً إليه بتوحيده قائلاً : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٥-٧] .

والزم باب العبودية والطاعة له ، ولا يغرنك الشيطان فتعمل بمعصيته ، أو تعمل بما يرضيه تارة ، وما يسخطه تارة ، فتندم وتخسر : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وأكثر من الحمد والشكر لرب العالمين ، الذي خلق فسوى ، وصور فأحسن ، وأنعم فأكرم ، السابق إلى عبادته بالإحسان ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

واعمل بشرع ربك ، وادع إلى سبيل ربك ، واصبر على ما أصابك ، لعلك تفلح وتنجو من الخسار والعذاب : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .
﴿ أَنْتَ وَلِينَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٥-١٥٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .
اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل معرفتك ، وارزقنا صدق توحيدك ، وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الغني

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

الله جلَّ جلاله هو الغني الحق، الذي استغنى عن الخلق كلهم بعظمة ملكه، وجمال كبريائه، وعز سلطانه، وكمال قدرته: ﴿وَرُبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا

يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

وهو سبحانه الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الغني الكريم، الذي له خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، وعنده خزائن كل شيء، ويده كل شيء، وله كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الغني، وكل ما سواه فقير، الغني عن كل ما سواه، الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، بل الخلق كلهم فقراء إليه، وإلى فضله وإحسانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الغني الكريم، المغني جميع الخلائق غنى تاماً، الذي أغنى جميع الخلق من فضله، فكما أنه لا خالق غيره، فكذلك لا رازق غيره.

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا شريك له، فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٧-٩].

وهو الذي أنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ لَإِنْسَانٌ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلق غنىً مطلقاً ، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان ، ومعرفة جلاله وجماله ، ومعرفة آلائه وإحسانه : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١] .

فهو سبحانه الغني بذاته ، والعبد فقير إليه بذاته ، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله ، لاغنى له عن ربه الغني ولو طرفة عين ، وحاجة العبد إلى ربه لذاته ، لا لعله أوجبت تلك الحاجة : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغِنَى الْحَمِيدُ ﴾ [الحج / ٦٤] .

واعلم أن الفقير بذاته محتاج على الدوام إلى الغني بذاته ﷻ .

فالعالم العلوي ، والعالم السفلي ، كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار ، ذو العظمة والملكوت والجلال والكبرياء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه فقر ذاتي لا يُعلل .

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده .. وفي بقاءه وفي حياته .. وفي تدبيره وفي إمداده : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

وفقر المخلوقات إلى ربها نوعان :

الأول: فقر إلى ربوبيته ، وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها ، فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها ، وبقائها ، وحفظها ، ورزقها ، وتدبيرها : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني: فقر إلى ألوهيته وعبوديته ، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين به .

وهذا هو الفقر النافع ، ولبه دوام الافتقار إلى الله في كل حال .

ونفع هذا وما قبله عائد على العبد الفقير ، والله غني عن الخلق وما يعملون : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦] .

فسبحان الغني بذاته عن كل ما سواه ، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، الغني الكريم ، المحسن إلى عباده بكل خير ، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم ؛ لكمال غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه .

وهو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه ، وأرشدهم إلى سؤاله ، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة ، وأعطاهم وأغناهم ، وهو الغني عنهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/٥٦-٥٨].

واعلم أن الله هو الصمد الذي جميع الخلق تصمد إليه في جميع حوائجها ، ومن قصد إلى الله تعالى ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ، ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق ، ثم نزع الرحمة من قلوبهم عليه ، فتراه بينهم مذموماً مخذولاً : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (٢٢) [الإسراء/٢٢].

ومن صدق في افتقاره إلى الله ﷻ ، وشهد قدرته وغناه ، ورجع إليه بحسن العرفان ، أغناه الله عما سواه ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وأعطاه من حيث لا يرقب : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق/٢-٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الغني :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ هو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق ، وخزائنه مملوءة بكل شيء ، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها وبقائها ، وإمدادها وسائر أحوالها .

هو الغني الذي يخلق ما يشاء ، ويأمر بما يشاء ، ويعطي من يشاء ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة :

﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/٦٨].

وأعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه ، ومن أجل هذا بينها الله في كتابه ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ لندعو الله بها ، ونعبده بمقتضاها :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف / ١٨٠].

وإذا أغناك الغني ﷺ من فضله ، فاستغن به عما سواه ، ولا تلتفت لأحد سواه .
وقف ببابه مع الفقراء المتواضعين ، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر / ١٥].

وإذا سألت فاسأل الله وحده ، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده ، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج الخلق كلهم ، وأنت عبده ، فلا تذلل نفسك بسؤال غيره من العبيد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص / ١-٤].

وعن ابن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » رواه أحمد والترمذي (١) .
وإذا أغناك الغني من فضله ، وأعطاك من رزقه ، وجاد عليك بإحسانه ، فاشكره على ما أولاك ، واحمده على ما خصك به ، واستعمل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات / ١٥].

فإن أعطاك الغني سبحانه مالا ، فأنفقه فيما يحبه ويرضاه على نفسك وعلى غيرك ، وتقرب به إليه ، يضاعف لك أجره ، ويخلف عليك أحسن منه : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) [التغابن / ١٧].

وإن علّمك العليم ﷺ من علمه فاعمل به ، وتقرب به إليه ، وعلمه عباده ، تكن ربانياً : ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٨) [آل عمران / ٧٩].

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

وادع الناس إلى ربهم ، وعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعظموه ويكبروه ، وعرفهم بنعمه وإحسانه ؛ ليجبوه ويشكروه ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وأنفق مما آتاك الله من العلم ، وحرك لسانك بذكره وشكره ، وأشغله بالدعوة إليه ، وتعليم شرعه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

وإن جبلك الله على الخلق الحسن ، ووهبك من مكارم الأخلاق ، فاشكره وتعبّد له بذلك ، واتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۚ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

واصبر لحكم ربك ، وأحسن إلى العباد ، واصبر على الأذى ابتغاء مرضات الله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وصل من قطعك ، وأعط من حرملك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، افعل ذلك كله ابتغاء مرضات الله ، يقلب الله عدوك صديقاً ، وبغيضك محباً ، ويهتدي بسببك ضال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا لَأْذُو حَظِّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت / ٣٤-٣٦] .

وإن أعطاك الغني سبحانه بدنأ قوياً ، وقلباً شجاعاً ، وعلماً نافعاً ، ومالاً وافراً ، وخلقاً فاضلاً ، فاستعمل ذلك كله في طاعة من خلقتك وأغناك واجتباك وهداك ، بفعل كل محبوب إليه ، وترك كل مكروه لديه ، يرضى الله عنك ، ويرفع درجاتك ، ويغفر ذنوبك : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْكُمْ لِزُهَيْمٍ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨] .

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته يحبك الله ، ويرضى عنك ، ويخلف عليك خيراً منه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبأ / ٣٩] .

واعلم أن الذي أعطاك ، هو الذي أمرك أن تعطي عباده ، لتنال بذلك الأجر ، فأنفق من أحسن ما أعطاك الله ، تنال أحسن منه برأ وأجراً وثواباً : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٩٢] .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي طِبِّ إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف / ١٥] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بَالِ الصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء / ٨٣ - ٨٥] .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ [نوح / ٢٨] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »
أخرجه مسلم (١) .

اللهم اني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥) .

الرزاق .. الرزاق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة / ١١] .

الله ﷻ هو الرزاق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض ، وهو مالك جميع الأرزاق ومعطيها ، الرزاق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت ، حسب علمه وحكمته وإرادته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٨] .

وهو سبحانه الرزاق واسع الرزق ، كثير الأرزاق ، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الذي وسع جميع الخلق رزقه ، ورحمته ، وأنواع إحسانه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه الرزاق المتكفل بأرزاق الخلائق كلها، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق ، المكثر منه لعباده ، المتفرد بالرزق والإنعام وحده لا شريك له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر / ٣] .

وهو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ويوصل إليهم أنواع الأرزاق في كل مكان وزمان ، بلا كلفة ولا مشقة ، السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه ، وساقها إليهم بقدرته ورحمته ، فلا ترى أحداً الا يأكل من رزقه ، وينعم بفضله : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف / ٣٢] .

المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، الكل يعود على موائد نعمه التي لا تحصى: ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء / ٢٠] .

ورزق الله لخلقه نوعان :

الأول: رزق الأبدان ، وهو رزق عام يصل إلى كل مخلوق من الحيوان ، والإنسان ، والجان ، بأمر الرزاق الكريم سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

الثاني: رزق القلوب ، وهو التوحيد والإيمان الذي يرزقه الله من يشاء من عباده ، على يد أنبيائه ورسله والدعاة إليه ، يرزقه الله من يستحقه ويشكره ، ويؤتیه مَنْ أتى بأسبابه ، وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ يَدُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٧٣] يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران / ٧٣ - ٧٤] .

واعلم أن فضل الله عظيم ، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر ، وأنواعها وأعدادها لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق ، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان وزمان ، ولا تنقص مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان / ٢٦] .

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء ، ويقول للشيء كن فيكون ، ولو سأله جميع الخلائق ، بأوسع سؤال فأعطاهم لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص / ٥٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . »

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ «أخرجه مسلم (١)» .

فسبحان مالك الأرزاق ، الذي تكفل بأرزاق جميع الخلق ، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم ، ييسر الرزق على من يشاء ، ويقدره على من يشاء ، وله في ذلك حكمة بالغة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

واعلم أن من الناس من لا تصلح حاله إلا بالغنى ، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر ، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى / ٢٧] .

واعلم أن كثرة الرزق في الدنيا كفلته ، لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد ، ورضاه عنه ، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبا / ٣٧] .

والإيمان والتقوى من أعظم أسباب الحصول على الأرزاق النافعة ، والكفر والفجور سبب عظيم لنقص الأرزاق ، ومحق البركات : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .

والأرزاق تزيد بالشكر والطاعات ، وتنقص بالكفر والمعاصي : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .
والله ﷻ هو المنعم على عباده بجميع أنواع الأرزاق .

وأعظم رزق يرزقه الله عباده وأحسنه وأفضله وأكمله وأكرمه وأعلاه وأدومه هو التوحيد والإيمان ، والجنة ، ورضا الرب ﷻ : ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق / ١١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

واعلم أن المخلوقات كلها مخترنة في الأرزاق .. والأرزاق كلها مخترنة في خزائن السموات والأرض .. وخزائن السموات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان / ٢٦] .

والله ﷻ كما أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها ، حتى ظهرت من الأرحام إلى الأرض جيلاً بعد جيل ، كذلك أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدره : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٤٩ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٥١ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ٥٢ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ٥٣ [القمر / ٤٩-٥٣] .

فسبحان الملك الحق ، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الغني الذي لا أحد أغنى منه ، الكريم الذي لا أحد أكرم منه ، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه .

الرزاق الذي كل رزق في العالم من رزقه ، الرزاق الذي رزق كل مرزوق .
الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه ، الرزاق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر :

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل / ٤٠] .

هو الملك العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، الذي تفرد بالوحدانية ، وتفرد بالخلق والرزق ، وتوحد بالإحياء والإماتة ، واختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الذي ليس له شريك ولا مثل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم / ٤٠] .

هو الملك الغني القادر على كل شيء ، الذي يملك خزائن كل شيء :

خزائن المخلوقات .. خزائن الأرزاق .. خزائن النعم .. خزائن الأموال .. خزائن المياه .. خزائن الحبوب .. خزائن العلم .. خزائن القوة .. خزائن الرحمة .. خزائن العذاب .. خزائن النور .. خزائن الظلام .. خزائن الأخلاق .. خزائن التصريف والتدبير .. وخزائن كل شيء في قبضته :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] .

فسبحان من خلق الخلق كله .. وبيده الملك كله .. وإليه يرجع الأمر كله .. وعنده خزائن الرزق كله : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس / ٣١] .

وَمَنْ هَذِهِ عَظْمَتُهُ ، وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ ، وَهَذِهِ نِعْمَتُهُ ، أَفَلَا نَعْبُدُهُ وَنُكْبِرُهُ وَنُحْمَدُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴾ [يونس/ ٣٢] .
 وإذا كان الله هو رازق العباد وحده فهو المستحق للعبادة منهم وحده لا شريك له: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

واعلم زادك الله فقهاً وعلماً ونوراً أن الرزق هو الحلال لا غير ، والحرام اسمه المتاع .
 فالمؤمن يستعين بالرزق الحلال على طاعة مولاه ، ويشكر ربه عليه .

والكافر يتمتع بهذا المتاع كالبهائم في الدنيا ، ثم يصير إلى جهنم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِأَبْرَهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ يَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة/ ١٢٦] .

واعلم رحمك الله أن جميع الأرزاق خلقاً وتقسيماً ، تنزل من السماء ، من رب الأرض والسماء: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٢] .
 والرزاق سبحانه غني كريم ، وخزائنه مملوءة بأصناف الأرزاق ، وهو يصرفها بين عباده بحكمته كما يشاء .

فتارة يرزق بدون الأسباب ؛ ليظهر قدرته وجميل إحسانه: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس/ ٨٢] .

وتارة يرزق عباده بصد الأسباب ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته ، وقوة إرادته كما فجر الماء من الحجر لموسى وقومه: ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة/ ٦٠] .

وتارة يرزق بالأسباب - وهو الغالب - ، وهو سنته الظاهرة في مخلوقاته كما يرزق الولد بالنكاح ، ويرزق الثمر من الشجر ، والحليب من البقر .

فأظهر سبحانه سنته ، وأخفى قدرته في سنته امتحاناً لعباده ، وإظهاراً لقدرته وحسن تدييره: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/ ٥-٧].

فسبحان الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق ، ويملك مجاري الأرزاق على مدى الدهور والقرون ، ويقسمها على كل مخلوق كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرازق :

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله ﷻ خالق المخلوقات كلها ، وقاسم الأرزاق كلها ، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه ، لا يخطئه رزقه إلى غيره ، كما لا تخطيه منيته ، ولن يموت أحد حتى يأكل رزقه : ﴿ أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل/ ٦٤].

ولب التوحيد ، وذروة اليقين ، أن تعلم أن الله هو الرزاق وحده لا شريك له ، وأن جميع الأسباب من التكسب والعمل ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض ، من جماد ونبات وحيوان ، إنما هي ظروف وأوعية أودعها ربها العطايا والأرزاق ، تسلمها لمن شاء الله من خلقه بإذنه وعلمه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فاشكر الرزاق الذي ساق إليك رزقك ، ويسر لك الانتفاع به ، باستعماله في طاعته .

وعليك بالسعي في طلب الرزق ، ناظراً بقلبك إلى القسّام الذي يقسم الأرزاق ﷻ لا إلى القسّم ؛ لترضى بالقسّم ، وتقنع بالمقسوم ، مع السعي بالجسم في الكسب : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].

وبعد هذا يتقن أن ما أصابك من الرزق لم يكن ليخطئك ، وما زوي عنك فلن تقبضه ، ولو وقف معك جميع الخلق : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢] .

واعلم أن العاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى عباده : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنْفُسُوْا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجِزْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِقِينَ ﴾ [الجمعة / ١١] .

فاجعل ما رزقك الله سبباً معيناً على رضاه وتقواه ، تكن من المفلحين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ١٥ ۝ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ١٦ ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ ١٧ ﴾ [الأعلى / ١٤ - ١٧] .

وياك أن تخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر ، وسبيل التفاخر ، أو يدفعك الحرص إلى طلب الكسب من أبواب الحرام ، أو تسخط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد ، فإن طلب الرزق عبادة ، والأمر مفروغ منه ، فلا تخالف من أمرك بالكسب ، وقسم لك الرزق بالميزان : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ ٢ ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ٢ ﴾ [الطلاق / ٢ - ٣] .

ولتكن قلة الشيء عندك أثر من كثرته ، فقليل يغني ، أحسن من كثير يلهي ويطغي : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ۝ ٦ ۝ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَ ۝ ٧ ﴾ [العلق / ٦ - ٧] .

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فليس لك ، فأنفق ينفق الرزاق عليك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ١ ۝ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ١٠ ﴾ [المنافقون / ٩ - ١٠] .

واعلم أن العلم كله يخرج من العليم سبحانه ، والرزق كله يخرج من مخرج واحد من الرزاق وحده سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر / ٣] .

واعلم أن الخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل ، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وجعلهم آنية للحمد والشكر ، والإنفاق والإحسان .

وخص الفقراء بوجود الرزاق ، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء ، وأرزاق الأغنياء .

فهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه ، ولهذا أجره على بلائه وصبره ، والله رب هذا وهذا :

﴿بَسَّطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء / ٣٠] .

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

فاسأل ربك جميع أمورك ، وأنزل به فافتك ، واشك إليه مصيبتك ، فبيده كل شيء ، وليس بيد أحد سواه شيء ، بل الخلق والأمر كله لله وحده لا شريك له ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧) [العنكبوت / ١٧] .

واعلم أن الملك العظيم يعطي العظيم ، فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة ، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول صلى الله عليه وسلم ، لا على قدر حاجتك ، فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة .

وَأَجَلُ سُؤَالٍ فِي الدُّنْيَا سُؤَالِ الْهَدَايَةِ : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) [الفاتحة / ٦] .

وَأَجَلُ سُؤَالٍ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ رُؤْيَةِ الرَّبِّ وَرِضَاهِ سُؤَالِ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ ، قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » أخرجه البخاري ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠) .

وقد فتح الكريم ﷺ باب السؤال لعباده ، ووعدهم جميعاً بالإجابة ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً أبداً : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠] .

واعلم أن ربك هو الغني وحده لا شريك له ، وعنده خزائن كل شيء ، ويعطي ولا تنقص خزائنه أبداً ، فسل ربك من الدنيا ما يعينك على طاعة مولاك ، ولا يلهيك عن حسن عبادته ، وامثال أوامره ، وقل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة/ ٢٠١] .

واعلم أنه لا يُطلب العظيم إلا من العظيم ، فسل ربك العظيم ما شئت ، فعطأه ﷺ على قدر شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

واعلم أن طلب الحوائج من غير الله ذل ، وهو سبحانه أحق من تذلل له العبد ، ومن عرف الله لم يسأل غيره ، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير ، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر/ ٦٢] . فسبحان الرزاق الذي يملك الأرزاق كلها ، ويقسمها بين خلقه ، فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله ، ويرزق القلوب أنواع المعارف والعلوم ، وصفات الإيمان واليقين ، ويقبض ويبسط في هذا وهذا : ﴿ أَهْرَيْقِسْمُونَ رَحِمْتَ رَبِّيكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْخَذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّيكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

وعلى قدر قرب القلوب من ربها بالإيمان والمعرفة والطاعة ، يكون غناؤها عن الطعام والشراب : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

وهذا يكون للمؤمن ، ثم يصعد أكثر إلى الموقن ، ثم إلى الصديق ، ثم إلى النبي ، ثم إلى الملك الذي ليس به حاجة للطعام والشراب أبداً : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

واعلم أن الملك الكريم الرحيم خلق الكون ، وملاه بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر ، وسخر لهم الآيات والنعم التي تذكّرهم بربهم ، وتقربهم إليه ، وتسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ، ليجود عليهم بإحسانه ، ويعود عليهم بإنعامه أولاً ، ثم ليعرّفهم بذاته وأسمائه وصفاته ، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية ليؤدوا له حق العبودية ، ليتبين الملك حقاً من العبد حقاً : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

فلو انقطع الأمر هاهنا لما تحققت حكمة الحكيم في فعله ، وإنما تمت الحكمة في البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، فاتصل الآخر بالأول ، والأول بالآخر : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْثَوْا قُلُوبًا وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن / ٧].

ثم انقسم المآل حسب الأعمال إلى خزائن الثواب والعقاب ، في الجنة والنار.

فيُظهر الله للمؤمنين يوم القيامة في الجنة من الجود والإحسان والرحمة ما لا تدركه العقول ، ولا تتصوره الأوهام ، ولا يخطر على قلب بشر : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٧].

وأظهر لصد هؤلاء من الكفار والمنافقين والعصاة سخطه وعذابه ، لكفرهم به ، وجحدهم نعمة : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَنَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة / ٦٨].

واعلم أن الله يرزقك من فضله لتنتفع به ، وترزق منه كل محتاج إليه ، بما تقدر عليه من علم ، ومال ، وخلق ، وجاه.

فتذكر الغافل .. وتعلم الجاهل .. وتطعم الجائع .. وتواسي المحتاج .. وترحم الصغير .. وتوقر الكبير .. وتحلم على السفية : ﴿لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْنَا ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران / ٩٢].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »

أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك من

الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً واسعاً ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الكريم .. الأكرم

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِيكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق / ٣-٥].
الله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، الكريم الواسع الذي عم بعبائه وإحسانه جميع خلقه ، المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿كَلَّا نُمَدِّدْ هُنَّوَلَاءَ وَهَنُوَلَاءَ مِنْ عَطَائِكَ رِيكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء / ٢٠].

وهو سبحانه الكريم الكثير الخير ، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة ، الكريم الذي يسهل خيره ، ويقرب تناول ما عنده ، القريب لمن دعاه ، المحيب لمن سأله : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم ، الذي له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الكريم الذي عنده خزائن كل شيء ، وله خزائن السموات والأرض ، الكريم ، الذي يعطي ولا تنقضي خزائنه ، ولا تنقص أبداً : ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعادله نظير ، الكريم الذي كل ما في الكون من كرمه ، الكريم الذي وهب الكريم ما يتكرم به : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه الكريم لذاته ، وكرمه لا أول له ولا آخر ، الذي يعطي ويكرم من يشاء في كل مكان وزمان ، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی .
قدر فعفى ، وعاهد فوقى ، وسئل فأعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؛ لعظيم قدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وكمال كرمه ، وسعة خزائنه : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون / ٧].

وهو سبحانه الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه ، وأمهل بكرمه المكذب له ، ووالى عليه نعمه، ولم يقطع عنه فضله؛ لعله يتوب إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن كرمه أمهل إبليس وأظره ، وتركه وما اختار لنفسه ، ولم يعاجله بالعقوبة وهو قادر : ﴿مَا كَذَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

فسبحان الكريم الحق ، الجامع للمحاسن والمحامد ، الذي له قدر عظيم ، وسلطان كبير ، كثير الخير والعطاء ، المنعم بكل نعمة ، الذي لا يردّ من سأله ، ولا يخيب من رجاه ، الذي يعطي من خزائنه ما لا يحصى لما لا يحصى من الخلائق: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

والله عز وجل هو الكريم الذي لا أكرم منه ، حسن الأسماء ، عليّ الصفات ، محمود الفعال ، كريم السجايا ، جزيل العطايا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

كريم يعفو عن المذنبين .. ويتوب على المخطئين .. ويحسن إلى المحسنين .. ويكرم المطيعين .. ويغفر للمسيئين .. ويعفو عن الظالمين : ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات ، ويغفر السيئات ، ويدفع البليات .

ينفس كل كرب .. ويزيل كل هم .. ويشفي كل مريض .. ويجيب كل سائل .. ويهلك كل عدو .. ويرحم كل مخلوق .. ويوجود بكل خير .. ويدفع كل شر .

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده ، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة ، وعظيم الصفات ، وعلو النسب ، والمقام المحمود .

فهو ﷺ أكرم الرسل ، وأتقاهم ، وسيدهم ، وأقربهم ، وآثرهم عنده ، وأكرم هذه الأمة ببعثته : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وهو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيمان ، وحببه له ، وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والمعاصي ، فعمر قلبه بالإيمان ، فأسرع في طاعة ربه بقلبه وجوارحه : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴿الحجرات/ ٧-٨﴾ .

وهو سبحانه الكريم الذي منَّ على جميع المخلوقات بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية ، فكل أحد ينعم بفضله ، ويأخذ من خزائن كرمه ، ويستطعم من موائد نعمه : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣] .
واعلم رحمك الله أن من أعظم نيل أسباب كرمه تقواه ، فالأكرم عنده سبحانه الأتقى من عباده .

فاتق الله ﷻ في السر والعلن ، والقول والعمل ، تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١٣﴾ [الحجرات/ ١٣] .

واعلم أن الله ﷻ كريم حلیم ، حسن التجاوز عن خلقه ، مع كثرة أذى الخلق له ، وإسرافهم في معصيته ، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه ، وكذب رسله وكتبه ، وظلم عباده ؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه ، وأنعم عليه ، لعله يتوب ويرجع إليه : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَىٰ أذَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه ^(١) .

وأظهر من هذا كرمًا أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس ولعنه وطرده وتبرأ منه إلا من أجل آدم ﷺ وذريته ، حين أبى السجود لآدم ، واستكبر عليه واحترقه : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخْرَجْنَا مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ [ص / ٧٥-٧٨] .

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ؛ ليحذروه ويتخذوه عدواً بقوله : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿٦﴾ [فاطر / ٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) ، واللفظ له .

فسبحان الملك الكريم ، الرحيم اللطيف بعباده ، الذي يتحجب إليهم بالنعمة ، ويبالغ في تحذيرهم من عدوهم ؛ حفظاً لهم ، وهو عن ذلك كله غني ، لا افتقار به إلى أحد سوى فضل جوده ، وعظيم كرمه ، وجزيل إحسانه : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥] .

ثم آلى الجبار ﷻ على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب لِعِبَادَتِهِ ، وليدخله معه في دار لعنته وعذابه : ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْذِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ [ص/ ٨٢-٨٥] .

ومن عادى الشيطان منهم وتبرأ منه ، وآمن بربه واتقاه ، رضي عنه وأدخله دار كرامته : ﴿ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم/ ٢٣] .

واعلم رحمك الله أن سبل كرم الرب واسعة ، وطرق إحسانه لا حد لها ، وخزائن جوده لا نهاية لها : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/ ٦٨] .

يجزي على الحسنه بعشر أمثالها ، إلى سبعمائه ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة ، إلى ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو ؛ لكمال كرمه ورحمته وإحسانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٦١] .

وجعل سبحانه عقاب السيئة بمثلها ، أو يغفرها ويمحوها ، ويبدلها بحسنات ، ثم يضاعفها ، ويفرح بتوبة المذنبين ، وكثرة السائلين ؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

فسبحانه ما أعظم كرمه ، وما أوسع رحمته ، وما أحلمه على من عصاه .
واعلم أن كل شيء يأتي عليه العد والإحصاء إلا أسماء الله وصفاته ، وكلماته ومخلوقاته ، وأرزاقه ومقدراته ، فلا تعد ولا تحصى أبداً ، فله الحمد أبداً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

والكرم صفة عظيمة للرب ، يتقلب في مقتضاها المؤمن ، والكافر ، والمطيع والعاصي ، وينعم بها جميع الخلق .

والإكرام منه سبحانه خاص بعباده وأوليائه المؤمنين ، فهو لا يكرم بالكرامة الخاصة - وهي الإيمان والعمل الصالح ورضوانه والجنة - إلا من يحبه ويرضاه.

وما أظهر من ذلك في الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي فلأنه كريم لا خالق ولا رازق إلا هو ، ولعلمهم يتوبون إليه ، إذا رأوا كرمه وإحسانه : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴾ (٣٤) ﴿ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٥) [الزخرف / ٣٣-٣٥].

ومن أصر منهم على كفره ومعصيته فما يأخذه ليس بإكرام ، بل هو استدراج ومكر بهم ، جزاءً على أعمالهم الفاسدة ، ليأخذهم على أوفر ما جنوه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَّا نُمَلِّئُهُمْ حَيْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨) [آل عمران / ١٧٨].
ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٥) [التوبة / ٥٥].

فسبحان الكريم الذي خلق المخلوقات ، وخلق الأرزاق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، الذي خلق الناس وعافاهم ، وأطعمهم وكساهم ، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام / ١٠٢].

هو الكريم الذي أقام الحجة على الخلق ، وتفضل على المؤمنين ، فحُب إليهم الإيمان ، وتفضل على العلماء ، بأن علمهم من علمه ، وتفضل على الأغنياء برزقه ، وتفضل على الفقراء بأن منعهم ما يشغلهم عنه .

وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) [الجمعة / ٤].

فسبحان الكريم الحق ، الذي كل رسله إلى عباده كريم ، وكل كتبه كريم ، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة / ٧٧-٨٠].

فهو قرآن كريم فيه الهدى والبيان ، والعلم والحكمة ، والتوحيد والإيمان ، والفضائل والبشائر ، والسنن والآداب ، والثواب والعقاب ، وكل خير ونور ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم كما قال العن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۙ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۚ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۙ ﴾ [الجن / ١-٢] . والله ﷻ هو الملك الحق ، المتفرد بالعطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم ، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال خاص بالمؤمنين به : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف / ٣٢] . فسبحان الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع المخلوقات ، وملاً كونه العظيم بفضله وكرمه ، ونعمه المتنوعة ، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبداً .

هو أكرم الأكرمين .. وأجود الأجودين .. وأرحم الراحمين : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] . هو الكريم الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وأفاض على خلقه النعمة : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

سبقت رحمته غضبه ، وسبق حلمه عقوبته ، وسبق عفوه مؤاخذاته .
الفضل كله بيده .. والخير كله منه .. والملك كله بيده .. والخزائن كلها له .
أحب شيء إليه سبحانه البر والعطاء ، والرحمة والإحسان .
وأحب شيء إليه أن يرحم عباده ، ويجود عليهم بما عنده ، ويوسعهم فضلاً وأجراً ، وخيراً ورزقاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ويتحبب إليهم بنعمه وإحسانه ؛ ليعرفوه ويسألوه ويعبدوه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

وحبه ﷻ للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق ، والإحسان أحب إليه من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والرحمة أحب إليه من العقوبة : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِّن

كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ هو الملك الذي بيده الملك ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦].

وهو سبحانه الكريم الذي ييسط الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى ، الحكيم الذي يقبض الرزق ممن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٠].

فاليسط كله عن الكريم صادر ، والمنع كله إلى الحكيم راجع .

والعطاء كله بسط ، والمنع كله قبض ، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده.

يسط لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق والعلم ، والإيمان والعمل ، والخير والخلق ، ويقبض ممن شاء من عباده ذلك ، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك / ١٤].

فسبحان الكريم الذي ييسط ويقبض برحمته الواسعة ، وحكمته الشاملة .

فهو الحكيم الخبير الذي ييسط لمن شاء من عباده في ماله ، أو علمه ، أو عمره ، أو حياته ، أو خلقه ، أو عافيته ، ويقبض ممن شاء ذلك : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٤٥].

والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢].

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط ، والعطاء والمنع بأسباب من الناس ، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم .

فالأسباب في الدنيا محل حكمته ، وسنته الجارية .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » [متفق عليه (١)].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وتقوى الله ﷻ من أعظم أسباب بسط الرزق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .
واعلم أن العطاء كله بسط ، والمنع كله قبض .

وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه، ليسط له في الآخرة كل ما يحب،
وقد يبسط لمن أعرض عنه في الدنيا ما يحب، ليعذبه به في الدنيا، ويقبض عنه ما يحب في الآخرة :
﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة / ٥٥] .

واعلم رحمك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التداوير الربانية الملكية .
فالغنى بسط .. والفقير قبض .. والنعيم بسط .. والبؤس قبض .. والحياة بسط .. والموت قبض ..
والأمن بسط .. والخوف قبض .
والخصب بسط .. والجذب قبض .. والصحة بسط .. والمرض قبض .. والعزة بسط .. والذلة قبض .
والقوة بسط .. والضعف قبض .. والفرح بسط .. والحزن قبض .. والرضى بسط .. والغضب قبض .
والإيمان بسط .. والكفر قبض .. والتوحيد بسط .. والشرك قبض .. والطاعات بسط ..
والمعاصي قبض .. وهكذا .

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسط ، وأنواع الشر كلها قبض ؛ ليذكر
العبد ربه الذي يقرب الأحوال ، ويدبر الأمر ، ويده ملك الدنيا والآخرة ، ويستيقظ من
غفلته ، ويشكر ربه ، ويصبر على بلائه ، ويتوب إليه : ﴿ وَتَبَلَّوْا بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٥] .

واعلم يقيناً أن أعظم البسط في الحقيقة هو الهداية للدين الحق ، وأعظم القبض الضلالة
عنه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١١٥] .
[الأنعام / ١٢٥] .

والقبض حق الله منك ، والبسط حظك منه ، فتقرب إليه بحظك منه ، بأداء حقه عليك :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

فسبحان من بسط لعباده المؤمنين كل خير ، وقبض عنهم كل شر ، وجعل ما أصابهم من الشر نعيماً في صورة عذاب ، يصفى توحيدهم ، ويرفع درجاتهم ، ويمحو سيئاتهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وسبحان من جعل ما أنعم به على الكفار والعصاة في الدنيا مكرماً بهم ، واستدرجاً لهم ؛ لحرمان شاء لهم في الآخرة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ [آل عمران/ ١٧٨].

فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه ، ونسيانهم له ولدينه ، عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم ، جزاء على عملهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [الأنعام/ ٤٤].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، لا قابض لما بسط ، ولا باسط لما قبض ، وهو الحكيم الخبير.

إذا بسط الكريم بسط حتى لا فاقة أبداً ، وإذا قبض قبض حتى لا طاقة أبداً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسبحان ذي الطول والإنعام على جميع خلقه ، الذي يُنعم بالجزيل من الأرزاق ، ويعفو عن الكثير من السيئات: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾ [غافر/ ٣].

هو الغني الكريم ، الذي أيديه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة.. يُنعم بالجزيل النعم .. ويدفع شر النقم .. ويعطي من يطيعه ومن يعصيه.

بره لا ينسى أبداً ، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، المستحق لأن يهاب ، لعظمة سلطانه ، ويشنى عليه بما يليق بعلو شأنه ، وجميل إحسانه ، الذي له الإكرام كله من جميع خلقه ، ولا إكرام ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه سبحانه: ﴿ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .

فسبحان ذي الجلال والإكرام ، والعظمة والكبرياء ، الحي الذي لا يموت ، وكل ما سواه يموت : ﴿ كُلُّ مَن عَالِيهَا فَاَن ۖ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن / ٢٦-٢٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكريم :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، أن الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه ، الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه .

فاجتهد أن تعمل بمقتضى هذا الاسم الكريم بأن تكون كريماً في جميع أمورك وأحوالك مع ربك ومع الناس ، وبذلك تحصل على مرضاة ربك ، وتظفر بمحبته لك ، فالله كريم يحب معالي الأخلاق ، ومكارم الفعال ، ويحب العاملين بها ، والدعاة إليها .

وبذلك أنزل كتبه .. وأرسل رسله .. وشرع دينه .

والتعبّد لله بمعاني أسمائه وصفاته هو الدين القيم ، وهو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض .

فهو سبحانه كريم يحب كل كريم .. شكور يحب كل شاكِر .. عفو يحب كل عفو .. سلام يحب كل مسلم .. رزاق يحب كل رازق .. ثواب يحب كل تائب .

فعليك بالتحلي بمكارم الأخلاق ، فهي أثقل شيء على النفس ، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة .

ولهذا مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم / ٤] .

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » أخرجه أبو داود^(١) .

وعليك بطاعة الله ورسوله ، ولزوم السنة ، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه ، ولن يهينها بمثل معصيته .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) .

وعليك بأداء الفرائض ، واجتناب المناهي ، بوجه طَلَّقِ سَمَحَ ، وقلب متذلل بين يدي ربه الرحمن :
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك / ١٢] .

واعلم أن المسلم إذا علم أن ربه هو الكريم ، فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيمان والتقوى ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه ، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم ، وحسن الاقتداء بهم ، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها، وحسن أدائها ، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها ، وشكر الله المنعم بها : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / ١٣] .

وكن كريماً محسناً تؤدي إلى كل ذي حق حقه بطيب نفس ، وسعة صدر ، وإن قدرت أن تزيد فرد ، يزدك الله من فضله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة / ٢٧٤] .

وإن كان لك على غيرك حق ، وتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه ، وأبق للكرم موضعاً ، فما استقصى كريم قط ، ومن أكرم بخير أكرمه الله وغفر له : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢] .

وإياك والشح والبخل ، والحرص والطمع ، وجميع مساوئ الأخلاق : ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر / ٩] .

واجتنب البخل بما أعطاك الله من نعمه ، فلا داء أدوى من البخل ، ولا شر أشر منه ، وبئس الطوق للإنسان يوم القيامة : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران / ١٨٠] .

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله به ، حيث لم يكلفك إلا بعض وسعك ، ثم رد نفع ذلك عليك ، وعفى لك عن الكثير ، وضاعف لك الأجر ، فلا تظلم أحداً ، ولا تهن مسلماً ، وتعبّد لله مع خلقه بما يحب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠] .

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وعافاك في الدنيا من السجود للصنم ، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه ، حتى لا يشغلك به عنه : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يعسر على عباده ما يشغلهم عنه ، ويسر لهم ما يعينهم عن سواه ، ويفتح على جميع خلقه أبواب رحمته .

يستر عَجَلًا على العصاة وهم المجاهرون .. ويحسن إليهم وهم المسيئون .. ويعفو عنهم وهم الظالمون .. ويصبر على أذاهم وهم المعتدون .

يفعل الكريم هذا كله على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم، مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه ؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم : ﴿ قَلِيلٌ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجمعة/ ٣٦-٣٧] .

ونذب سبحانه إلى الإتمام به في حسن معاملة أكرم من خلقه فقال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [الجمعة/ ٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٦] .

فَصَلِّ رَحِمَكَ اللَّهُ مِنْ قَطْعِكَ .. وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ .. وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .. وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ .. وَكَفِّ لِسَانَكَ عَنِ الْأَذَى وَالخَنَا، وَالْمَكْرُوهِ وَالْفَحْشَاءِ .

وَعُودُ نَفْسِكَ السَّخَاءِ ، وَيَدُكَ الْعَطَاءِ ، وَلِسَانَكَ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ .

وَصُنْ نَفْسَكَ عَنِ شَيْنِ الْأُمُورِ ، وَتَنَزَّهُ عَنِ اللَّوْمِ وَالغُرُورِ ، وَتَرَفِعْ عَنِ الدَّقَّةِ وَالاسْتِقْصَاءِ فِي الْأُمُورِ، وَاصْفَحْ عَنِ الْمُعْتَذِرِ، وَاعْفُ عَنِ الْجَانِيِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

ثم عليك بحسن الأدب مع أهلك وأقاربك، تعاهدهم بالمال والنصيحة، وانشر فضائلهم، واستر معائبهم، واقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وتغافل عن زلاتهم، وأقل عثراتهم، ولا تطالبهم بكل حقد عندهم ، تكن ربانياً .

وبذلك ينسبون إليك، وتملك زمامهم بيدك، ويأسر حبك قلوبهم .

ما أعظم حلم الكريم على خلقه، وما أسوأ أدبهم مع ربهم، فهم يعصونه بنعمه مع عظيم

سلطانه، وجزيل إنعامه، ودوام مشاهدته لهم، وهم يشركون به وهو يقول لهم: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

وحلمه وكرمه مبسوط لهم، حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهاراً، وذلك لكمال حلمه، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه، وكثرة صفحه عن زلاتهم، ودوام ستره لمخازيهم، وعظيم صبره على أذاهم: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر/ ٤٥].

واعبد ربك كأنك تراه، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الذرى يربنك حين تقوم] ﴿ ٢١٧ ﴾ و﴿ تَقَلِّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾ [إنه هو السميع العليم] ﴿ ٢٣٠ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وقدم مراد ربك على مرادك، وأكمل محبوباته في الدنيا، يكمل لك محبوباتك في الآخرة، وكن من خواصه وأوليائه، تنال رحمته ورضوانه: ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

اللهم اجعلنا وإياكم والمؤمنين ممن خصه ربه بإكرامه، وتغمده برحمته ورضوانه.

واعلم أن الكريم سبحانه أجود من سئل، وأكرم من أعطى، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤمل، ويُسأل ويدعى.

خلق الخلق، وخلق لهم ما في السموات والأرض، وما في الدنيا والآخرة.

ثم أكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع لهم الدين، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا، ولا يمل حتى يملوا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ [فأصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أئماً أو كفوراً] ﴿ ٢٤ ﴾ وأذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ﴿ ٢٥ ﴾ ومن الليل فأسجد له، وسبحه ليلاً طويلاً ﴿ ٢٦ ﴾ [الإنسان/ ٢٣-٢٦].

وشرع الكريم لعباده التوبة ليتوب عليهم، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم، ورغبهم في

الرحمة ليرحمهم ، ورغبتهم في السؤال ليعطيهم : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ
مَنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ ابْتِهَآءٌ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

فسبحان الكريم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب ، ويرفع به الدرجات ، ويزيد
به الحسنات ، من الأدعية والأذكار ، والوضوء والصلاة ، والصدقة والزكاة ، والصيام والحج
وغيرها من القربات .

فبادر رحمتك الله إلى فعل ما يحبه ويرضاه ، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أُرْكُوعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧] .

واعلم نور الله قلبك بحسن معرفته ، واستعمل جوارحك في حسن عبادته ، أن الكريم الحق منه
التوفيق والعطاء أولاً وآخراً ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

وعباده وخلقه هم محل إحسانه ورحمته ، فالعبيد كلهم له ، والمال كله له ، والدين كله منه ،
والثواب كله منه ، وكل ما في الكون من نعمه وحده : ﴿ وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ
أَلْضُرُّ فَالِيهِ تَجَشَّرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣] .

ومن هذا شأنه ، وهذا إحسانه ، كيف لا يحبه العبد ، وكيف لا يستحي أن يصرف شيئاً من
أنواع العبادة إلى غيره : ﴿ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

وإذا كان الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد ، فاعبده مخلصاً له الدين ، واملأ جميع
أوقاتك بذكره وحمده ، كما ملأ الكون لك بفضلته ونعمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ
﴿ ٩٨ ﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩] .

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه : ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر / ٦٦] .

واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه ، وخصك بهدايته ، وحبب إليك عبادته .

فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم ، ويهتدوا إلى خالقهم ، وتفوز أنت بالهدى ،
وجزيل الأجر ، بالدعوة إلى الله ، وتعليم أحكام دينه ، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

وإياك أن تتعرض لسخط ربك بفعل ما يغضبه ، وارتكاب ما حرمه .

فمن فعل ذلك فقد استدعى من الكريم الجواد خلاف ما هو موصوف به ، من البر والجود والإحسان ، وعرض نفسه لسخط ربه وعقوبته ، وأن يصير سخطه موضع رضاه ، وانتقامه وعقوبته موضع كرمه وعطائه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ [المائدة/ ٧٨ - ٨٠].

فما أعظم شؤم من عصاه ، فقد استدعى العاصي بمعصيته من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه ، وهو الجود والإحسان والبر : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٦) ﴿ [الأعراف/ ٩٦].

وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك ، فأنتق مما آتاك الله من فضله ، وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧) ﴿ [الحديد/ ٧].

واشكر رحمك الله من بسط لك نعمه ، وقبض عنك نقمه ، بلزوم طاعته ، وحسن عبادته ، واجتناب نهيه ، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) ﴿ [آل عمران/ ١٣٢].

ومن ضيق الله عليه في ماله أو علمه أو خلقه أو جاهه فليلجأ إلى الكريم وحده ، وليطلب منه مده وعونه وفضله ، فلا باسط لما قبض ، ولا قابض لما بسط : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٦) ﴿ [الأنعام/ ١٠٦].

وعليك بالشكر لمولائك في حال البسط ، والرضى بالقضاء ، واجتناب الضجر حال القبض ، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط ، وهو الإدلال والمنة .

فالله غني عنك وعن غيرك ، وعن كل ما يكون منك من عمل : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ﴿ [العنكبوت/ ٦].

فاجتهد في طاعة ربك ، وارض بما قسم الله لك ، ولا تَمَنَّ وتنبسط في حال البسط، ولا تشكوه حال القبض ، لعلك تنجو : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١] .

وسارع إلى الخيرات ، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك ، وصر فك عنه برحمته : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [البقرة / ٢١٦] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَنَسِيتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران / ١٤٧] .
 ﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان / ٧٤] .
 « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١) .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم^(٢) .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

المقالة ١. الحميد

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

الله ﷻ هو الغني الحميد الذي حمد نفسه، وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يُحمد لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فأسماءه وصفاته دائرة بين الجلال والجمال، وأفعاله كلها دائرة بين العدل والإحسان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق، والذي يعفو ويصفح، والذي ينعم ويحسن، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وهو سبحانه الولي الحميد، الم محمود على جميع أقواله وأفعاله، وعلى دينه وشرعه، وعلى قضائه وقدره، وعلى ثوابه وعقابه، وعلى فضله وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

وهو سبحانه الحميد الذي استحق الحمد كله بجميل فعالة، الم محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، الم محمود بكل لسان، الم محمود على كل حال، من جميع مخلوقاته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله، وكبريائه وقوة سلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه.

وهو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبداً إلا ما يُحمد عليه، الحميد الذي يُحمد على السراء والضراء، ويُحمد في حال الشدة والرخاء، ويحمد في حال العافية والبلاء.

وهو الحكيم الحميد الذي جمع جميع المحامد، المستحق وحده الحمد على الإطلاق،

وله الحمد على كل حال في كل زمان ومكان.

فله الحمد كثيراً، كما ينعم كثيراً، ويعطي كثيراً، ويعفو كثيراً، حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٢ ﴾ [النصر/٣].

له الحمد بالإسلام.. وله الحمد بالقرآن.. وله الحمد على العطاء.. وله الحمد على دفع البلاء: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝١٨ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝١٩ ﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وهو سبحانه الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين إفضاله وإحسانه، وأنعم على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى-: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨ ﴾ [النحل/ ١٨].

فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد.

له الحمد على كماله.. وله الحمد على جلاله.. وله الحمد على جماله.. وله الحمد على آلائه وإحسانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحان الملك الحق، الذي له الحمد كله، فهو المحمود سبحانه على ما خلقه، وعلى ما أمر به، وعلى ما نهى عنه، وعلى ما أخبر به.

وهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم، وعلى إيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، والملائكة والشياطين، وهو المحمود على خلقه الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٨ ﴾ [الشورى/ ٢٨].

والله ﷻ أعظم مَنْ حَمِدَ نفسه، وهو المحمود لذاته ولو لم يحمده أحد من البشر؛ لأنه أهل أن يُحمد ويُعبد، وأن يُحب لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾

فلله الحمد على مجده وعظمته، وله الحمد على كبريائه وجبروته، وله الحمد على عزته وقدرته، وله الحمد على غناه وإحسانه، وله الحمد على رحمته وكرمه: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص / ٧٠].

واعلم رحمك الله أن الله هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسيح بحمد ربه، الحميد الذي أسر قلوب الخلق وذرات الكون بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه، فسبحوا بحمده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

فسبحان الغني الحميد، الكثير الحمد لعباده المطيعين له، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله وجميل إحسانه.

والحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح، وسبل معرفة موجباته كثيرة واسعة.

فجميع أسماء الله وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وآياته ومخلوقاته، كلها شاهدة بوحدانية الله، موجبة لحمده، دالة على جلاله وجماله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

واعلم أن أقرب طريق وأعظمه وأجله وأشمله لمعاني الحميد في حق الرب الحميد، يحصل للعبد عن طريق معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، لاجتماع ما تفرق في العالم في معانيها.

فمن أعظم النعم، وأجل الكرامات أن كان لنا إله حق حي قيوم، أسمائه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، إله عظيم، ورب كريم، تحيرت الأبواب في أدنى العلم بمعرفته، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعَلَىٰ عَمَا شَرِكُونَ﴾ [الزمر / ٦٧].

خلق عظيم وهو العرش العظيم الذي استوى عليه برحمته، وخلق أصغر شيء

وهي الذرة، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو، ولا يعلمها إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو، فله الحمد والشكر: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وله الحمد كثيراً أن كان لنا رب وإله واحد، لا شريك له ولا مثل له، ليس له شريك في ملكه في التدبير، وليس له من يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أن جعل الملك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء / ٢٢].

والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً لا حد له، ولا منتهى لمداه، أن جعلنا عبيداً لرب عظيم، وإله حي قيوم واحد، ولم يجعلنا عبيداً مملوكين لشركاء متشاكسين، لا ندرى من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر / ٢٩].

ومن ممن ربنا العظام ونعمه الجسام التي يستحق عليها الحمد والشكر أن كان ربنا عزيزاً لا يضام، منيعاً لا يرام، أحد صمد، لا يحتاج إلى أحد، ولم يكن له كفواً أحد.

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسبح بحمده، وكبره بكرة وأصيلاً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء / ١١١].

ولله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة، من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

فله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين.. وكشف كُرب المكرويين.. وقبول توبة التائبين.. وإجابة السائلين، وإطعام الخلق أجمعين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل / ٦٢].

وله الحمد كثيراً على ما يوجد به من النعم قبل سؤالها، ويدفع المحن قبل حلولها، ويحمي عباده عن مراتع الآثام: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل / ٥٩].

وله الحمد كثيراً على ما يربي به عباده بأحسن الألفاظ، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا يبلغه الآمال، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، ومع ذلك يدعوهم إليه، ويناديهم بأحب الأسماء إليه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونُ ۚ وَلَا ءَاتِمُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران / ١٠٢].

وسبحانه الكريم الرحيم الذي أكمل لنا الدين، وأجزل لنا الثواب، الولي الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة / ٣].

ويعطي مَن أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

فما ألطف خطاب الله في القرآن لهذه الأمة في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض، وتربيته لهم بقص ما أصاب مَن قبلهم، وبشارتهم بما أعد لهم من النعيم، وإكرامهم بعدم مواجهتهم بخطاب الوعيد، ومضاعفة ثوابهم إكراماً لهم، والعفو عن سيئاتهم رحمة بهم؛ لأنهم خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١١٠].

واعلم رحمك الله أن من لم يجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب الله

عَلَيْكَ ، فعليه أن يعالج قلبه بالتقوى، ويكثر من الدعاء بأن يحيي الله قلبه، وأن يصحح له سمعه وبصره: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق / ٣٧].

واعلم نور الله بصيرتك بالعلم والإيمان أن الله يختص برحمته من يشاء، ويقصد بعذابه من يشاء: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء/ ٧٩].

فالأول فضله.. والثاني عدله.. وهو المحمود على هذا وهذا.

فالمؤمنون بفضلهم ورحمته مخصوصون، والكفار بعدله مقصودون، ولكل واحد من الأمرين قسطه من الحكمة والرحمة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١١٩].

فالابتلاء كله خير للمؤمنين، ورحمة للموقنين، يصح به توحيدهم، وتكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، فله الحمد والشكر والمنة.

فهؤلاء بالنعمة يسعدون، وبالمحنة يتربون، وبالعلم يهتدون، وبالإيمان يصلون، وبالعمل الصالح يصعدون: ﴿وَالَّذِينَ أَحْتَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فسبحان من خلقهم للخيرات، وأعد لها لهم، واستعملهم بما يوصلهم إليه وإلى رضوانه والجنة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وهؤلاء إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها، واستعانوا بها على طاعته، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم، فعوضهم عنها العوض الأكبر، وجازاهم عليها الجزاء الأعظم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

فهم في كل حال يربحون على ربهم في كل نعمة وبلاء، وفي كل طاعة ومعصية: ﴿إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مِمَّا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ رِزْقًا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا لَشَرَّاهُمْ يَسْتَعْفِفُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ [الذاريات/ ١٥-١٩].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن الله لطيف خبير ، محمود على جميع أفعاله ، يُنعم على العبد في الدنيا بالعطايا ، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة .

ولهذا رَغِبَ اللهُ عباده المؤمنين بالصبر على المصائب ، ووعدهم على ذلك بجزييل الأجر : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

فهؤلاء أهل فضله وإحسانه ، جعلنا الله وإياكم منهم .

أما من أوقع الله عليهم عدله ، فجعل قَسَمَهُمُ الكفر وأنواع المعاصي ، والتقلب في مساخطه وغضبه ، نعوذ بالله من ذلك .

فهؤلاء مُلْكُهُ وعبيدُهُ ، خلقهم ليظهر بهم مجده ، ويقم بهم أمره ، ويتم بهم كلمته ، ويصدق بهم قوله ، فصاروا كفاراً بعد إقامة الحجة عليهم ، وَبَعَثَ الرِّسَالَ إِلَيْهِمْ ، فَأَوْجَدَهُمْ لِيُظْهِرَ بِهِمْ عدله ، وعزة ملكه ، وكمال جبروته : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّقْنَا عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦-٣٧].

فسبحان من حجب الكفار عنه بأغلظ حجاب ، فسكنوا عن نوره في الظلمات ، ليطم عليهم أمره ، وينفذ فيهم حكمه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام / ١٢٥].

فله الحمد على نعمه السابغة، وله الحمد على أحكامه العادلة: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [المائدة / ٥٠].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده، وخلق الكفار والفجار، وخلق
المؤذيات من العقارب، والحيات، والسباع، وخسيس الحشرات، والأشواك والحشائش،
والروائح الكريهات.

خلق كل ذلك إظهاراً لكمال قدرته، وإبرازاً لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات،
وامتحاناً لعباده بالمرضي وغير المرضي؛ ليعلم من يترك ذلك، ويتحمل ذلك، ويسير إليه:
﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء / ٣٥].

فلكل مخلوق حكمة.. ولكل تدبير حكمة.. يُحمد عليها الرب ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

واعلم وفقك الله لمعرفة الملك والملكوت أن الله خلق لخلقه ثلاث دور:
الأولى: الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته.

خلق فيها كل شيء مرضي، وملاًها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طَبَّرْتم فَاَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ [الزمر / ٧٣].

الثانية: النار دار العذاب، خلقها الله لمن كفر به وأغضبه وأسخطه، وعمل بمعصيته.

خلق فيها كل كرية، وملاًها بكل مؤذٍ، وسعَّرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر
ومستكبر، وفاجر وفاسق: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر / ٧١-٧٢].

الثالثة : خلق سبحانه الدنيا دار سجن لعباده لينظر كيف يعملون، وأي دار يبتغون.

وأخرج عنه إلى هذه الدار من دار رحمته ما شاء أن يفتحها منها بالماء من الفواكه والثمار وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى .

وأخرج إليها من دار سخطه كل كريبه ومؤذ ومؤلم ، وفيحاً من نار جهنم يخرج كل عام مرتين، نفس في الصيف وهو شدة الحر ، ونفس في الشتاء وهو شدة البرد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اشتكَّت النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَدِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » متفق عليه^(١).

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله ليدل على كمال قدرته، وقوة سلطانه ، وعظمة ملكه، وكمال أسمائه وصفاته.

خلق ذلك كله، وقدره وأظهره ، بقسط معلوم ، وقدر موزون ، وحكمة بالغة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

فسبحان من خلص الجنة من الشر. كله، وجعل فيها الخير كله بحذافيره، وخلص النار من الخير كله، وجعل فيها الشر كله بحذافيره.

ومزج في هذه الدار الدنيا بين الخير والشر، والحق والباطل، والحلو والمر، والمحبوب والمكروه، والطيب والخبيث ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي.

وأظهر من رحمته في هذا الدار ما يشهد بتوحيده، وجعل فيها ما يسهل للمؤمنين مقاصد الخيرات : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧).

﴿١١﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴿نوح/١٥-٢٠﴾.

وأظهر قدرة الخالق ، وعجز المخلوق ؛ تسهيلاً لتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له :
﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ
دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/١٠-١١].

وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصرًا في الجنة لو آمن، وسجنًا في النار لو كفر، ثم بعد
البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ،
وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أُولَئِكَ هُمْ
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿١١﴾ » أخرجه ابن ماجه ^(١).

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمة لعباده المؤمنين، خصهم بها،
وأنعى بها عليهم، تذكيراً لهم وتخويفاً ، ينبههم بها عند غفلتهم، فإذا رأوا النار تذكروا
جهنم، وإذا رأوا المكارة تذكروا ما أمامهم من العذاب.

فالمصائب والمكارة نعم توقظ العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة، فيعملون بما يحبه ربهم
ويرضاه؛ لينالوا بذلك دار الأمان والسلام: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ
مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/٥١].

فسبحان من ساق لعباده النعم بصورة المصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزل
الأجر: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر/١٠].

فنعيم الدنيا وسرورها ، وثمارها وخيراتها ، يذكرهم بنعيم الجنة ، فينشطوا للطاعات .

ومؤلمات الدنيا وعقاربها تذكرهم بعذاب النار وعقاربها ، فيكفون عن المعاصي .

وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها ، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

وأوجاعها ما في النار من ذلك .

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش ، والهم والحزن ، يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب :
﴿ وَلَنْبَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

إذا فهمت هذا فاعلم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا ليذكر العبد بالمحجوب الأعلى في
الآخرة، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكره بالمكروه في الآخرة.
وكل شيء من المصائب سبيل لحصول المحبوب في الدنيا والآخرة.

حكمة بالغة .. وسنة ماضية .. ونعمة سابغة : ﴿ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا
﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن كل شيء خلقه الله فهو مُلكه ، يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما
يملك بين أمرين ، يقتضي كل واحد منهما الحمد لله وحده لا شريك له .
فإذا فعل سبحانه ماله فعله فهو عدل ، والعدل حمد ؛ لأن من حق الملك التصرف في
ملكه بما شاء كيف شاء .

يعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .

فإن أعطى وقدم وفضل فهو فضل وإحسان، وهو حمد على حمد، وإن منَع فهو عدل، والعدل
حمد، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

فإن تعثرت قدمك فلم تصعد إلى معرفة ما عز عليك ، فاسأل ربك أن ينور قلبك بنور
الإيمان والقرآن : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان من تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة.

واعلم أن سريان الحمد في المخلوقات، وظهور آثاره في الكائنات، أمر مشهود بالأبصار والبصائر، تشهد به الذرات، والبريات، وكافة المخلوقات.

فله الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَلَكِنْ لَا يُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

أما حمده على إحسانه، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى. موجبة لحمده سبحانه ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

أما حمده سبحانه على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى فذلك أعظم وأوسع، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة.

فقد حمد ﷻ نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

و حمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

و حمد نفسه ﷻ على وحدانيته وألوهيته فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

و حمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبا/ ١].

و حمد نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [١] ﴿فَيَمَّا يَلِينُ دَرَبًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [٢] [الكهف/ ١-٢].

و حمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص فقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

وحمد نفسه على خلقه العالم العلوي والسفلي فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأعام/ ١].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أحسن خلقه، وما أعظم قدرته، وما أجمل إحسانه، وما أوسع غناه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٤-٦٥].

واعلم أن الله ﷻ إنما خلق العالم كله له، ولأجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته، وسعة علمه، وجلاله وكبريائه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه، وسعة رحمته، وعفوه ورحمته، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله.

وإذا عرف الناس ذلك عظموا ربهم وأحبوه، وعبدوه، وأطاعوه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أُنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحميد :

اعلم رحمك الله أن ربك العظيم له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله .

فاجتهد وفقك الله لحسن عبادته أن تعمل بما يحبه ويرضاه، ولا تأت من الأقوال والأفعال والأخلاق إلا ما يحمدك عليه ربك الحميد المجيد، ويثيبك عليه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

احمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك.. واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة.. واحمده على نعمة السراء والضراء.. واحمده على دفع البلاء.. واحمد ربك العزيز الكريم بالمحامد كلها، ومجده بالمجد كله، فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يُعبد،

وأهل أن يطاع: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » متفق عليه^(١).

واعلم بأن الله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شربة ، فلا يفوتك ذلك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » أخرجه مسلم^(٢).

واعلم بأن الحمد والذكر أحب شيء إلى الله ، وأعظمه أجراً ، فاذا ذكر ربك كثيراً ، واحمده كثيراً ، واصبر على ما أصابك ، يحبك ربك ويحمدك : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٣١﴾ . [طه/ ١٣٠-١٣١] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » أخرجه مسلم^(٣) .

واحمد ربك في جميع أحوالك ، في ليلك ونهارك ، تنال أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّؤُ الْمِيزَانِ » أخرجه مسلم^(٤) .

وتذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه ، يمتلئ قلبك إجلالاً له ، وتعظيماً له ، وتكبيراً له .

وتذكر نعمة وإحسانه يمتلئ قلبك حباً له ، وثناءً عليه ، وحمداً له .

ثم أطلق لسانك بحمده ، وأرسل جوارحك بطاعته ، وقلبك خاشع حاضر بين يديه ﴿ إِنَّمَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري رقم (٧٩٥) ، ومسلم برقم (٤٧٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) .

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

[السجدة / ١٥].

فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، وكما يعفو كثيراً ، وكما يحلم كثيراً ، وكما يشكر كثيراً ، وكما يرحم كثيراً.

وله الحمد على ما وفق للحمد، وقيل للحمد، وأجزل أجر الحمد ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

والحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله .. وأنزل علينا أحسن كتبه .. وشرع لنا أفضل شرائع دينه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].

والحمد لله الذي أكمل في مخلوقاته حججه ، وأبان بها عظيم قدرته ، وأظهر بها شواهد وحدانيته ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم / ٢٢].

والحمد لله الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن ، وظهر للعقول فعلن، الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد / ٣].

والحمد لله الذي خلق الخلق كلهم بقدرته، ودبرهم بمشيئته، وقهرهم بقوته، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء.

والحمد لله على ما خلق وأمر، والحمد لله على ما سر ونفع، والحمد لله على ما أنعم وأعطى .

الحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له، والحمد لله حمداً لا يحيط بكنهه أحد سواه، والحمد لله حمداً لا انفصال له دون بلوغ رضاه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٍ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

الحمد لله المحيط بكل شيء علمه، النافذ في جميع الخلق قضاؤه، العدل في حكمه،

الحكيم في أمره، الذي لا يُعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه.

الحمد لله على النعمة به، والحمد لله على النعمة منه، والحمد لله الدائم عطاؤه، الواسع رحمته، الدائم بره، العظيم إحسانه .

الحمد لله القائم على كل نفس، الرقيب على كل شيء، الجاعل بعد العسر يسراً، وبعد الكرب فرجاً، وبعد الخوف أمناً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله حمدَ المعظم لربه، المكبر لجلاله، العارف بمقداره، الشاكر لنعمائه، الصابر على بلائه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم، وعدد ما كان وما سيكون «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم^(١).

واعلم رحمك الله أن الحمد يكون بمعنى المدح، ويكون بمعنى الشكر.

فالشكر يكون في مقابلة الإحسان، والمدح في مقابلة معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى.

وَحَمْدُ اللَّهِ هُوَ ثَنَاؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَشُكْرُ الشَّاكِرِينَ لَهُ عَلَى شُهُودِ النِّعَمِ وَالْمُنْعَمِ.

واعلم أن أفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم ﷻ، وأشأم النعم ما شغلك عنه، ومن استهدى سيهدى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ أَمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه^(١).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالمعافاة ، ولك الحمد بالأهل والمال .

الحمد لله الواجب حمده ، الحمد لله الدائم بره ، الحمد لله العظيم ملكه ، الحمد لله النافذ أمره ، الحمد لله الشديد بطشه .

الحمد لله الكبير اسمه ، الكبير قدره ، الكبير ملكه ، الكبير إحسانه ، الكبير ثوابه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

الخالق .. الخلاق

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس / ٨١] .

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته، وصورها بإرادته ، وحكمها بأمره : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو ﷻ الخالق الذي خلق كل شيء، ولا يزال يخلق ما شاء، متى شاء، كيف شاء: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الفصص / ٦٨] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق ويخلق ما لا يحصىه إلا هو من المخلوقات ، والأشياء، والذرات ، والأنفس، والثمرات ، والأجرام ، والأفلاك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر / ٨٦] . وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة / ١١٧] . وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء وأحسن صورته.

خلق العرش والكرسي .. وخلق السموات والأرض .. وخلق الدنيا والآخرة .. وخلق الشمس والقمر .. وخلق النجوم والكواكب .. وخلق الليل والنهار .. وخلق الأرواح والملائكة .. وخلق الهواء والرياح : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق السحب والمياه، وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان، وخلق الجن والإنسان، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق العيون والآبار:

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١١﴾

[لقمان/ ١١].

وهو سبحانه الخالق العظيم الذي خلق ذرات الجماد ، وقطرات الأمطار والبحار، وخلق أصناف النبات ، والأشجار ، والأوراق ، والأزهار ، والثمار ، وخلق أنواع الحيوان ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات ، والذر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الخالق العليم ، الذي خلق جميع المخلوقات، وأتقن صنعها ، وأحسن خلقها: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦-٧].

فسبحان الخالق العظيم، الخالق العليم، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدراً في الحجم، ولوناً في الشكل، وحكمة في الخلق.

فمنها العالي والسافل .. ومنها الكبير والصغير .. ومنها الطويل والقصير .. ومنها الرطب واليابس .. ومنها السائل والجامد .. ومنها القوي والضعيف .. ومنها الناطق والصامت .. ومنها الحي والميت .. ومنها الذكر والأنثى .. ومنها المتحرك والساكن .. ومنها العذب والمالح .. ومنها الثابت والنامي : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍّ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وسبحان الخالق العظيم ، الذي أحكم وأحسن خلق ما خلق ، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله، فضلاً عن أن يخلقوا أحسن منه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الزخرف/ ٨٢].

بل الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذباباً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٣-٧٤].

والله **عَلِيمٌ** هو الرب الذي خلق المخلوقات كلها، وتفرد بالملك والخلق وحده، ودبر وحده أمر الممالك والخلائق في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، وحده لا شريك له: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الخلاق العليم ، الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء ، الذي خلق جميع الخلق ، ويبعثهم بعد موتهم في لمحة واحدة ، كخلقه نفساً واحدة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان / ٢٨] .

فسبحان الخلاق القوي القهار، العظيم الذي خلق كل عظيم، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَاوَكَّةً كَثِيرَةً وَمِنهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون / ١٧-١٩] .

وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

خلق سبحانه خلقاً في البر لا يعلم بهم أهل البحر، وخلق في البحر خلقاً لا يعلم بهم أهل البر . وخلق في السماء خلقاً لا يعلم بهم أهل الأرض ، وخلق في الأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء .

وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء والأرض ، وخلق في السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل الجو: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وخلق **عَلَمًا** من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، أمماً وقبائل وشعوباً ، لا يعلمها ، ولا يحصيها ، ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علماً: ﴿وَعِنْدَهُ

مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأناعام / ٥٩] .

والكل خلق الله .. والكل مُلك الله .. والكل عبد الله .. والكل جند الله .. والكل يشهد بوحدانية الله .. والكل يسبح بحمد ربه : ﴿ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٧﴾ [الفتح / ٧] .

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك ، وتعرّف على أسماء وصفات من تعبد .

واعلم من تجالس؟ .. وماذا تقول؟ .. وماذا تعمل؟ .. وماذا تبني؟ .. وماذا تهتم؟ .. وماذا تريح؟ .. وماذا تخسر؟ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩] .
واعلم رحمك الله أن الله ﷻ خلق كل شيء بأمره الكوني فكان ، وهو القادر على كل شيء ، الذي يفعل ما يشاء ، مقروناً بالحكمة والرحمة .

أحياناً يخلق ويرزق بالأسباب كما يخلق النبات بأسبابه ، والحيوان بأسبابه ، والآدمي بأسبابه : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق / ٥ - ٨] .

وأحياناً يخلق ويرزق بلا أسباب كما رزق مريم ابناً بلا ذكر ، وطعاماً بلا شجر : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢] .

وأحياناً يظهر قدرته على الخلق بصد الأسباب ، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء / ٦٩] .

فأظهر قدرته في هذا ، وأخفى قدرته في ذلك ؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء ، فيعبده وحده لا شريك له ، ولا يتعلقوا بأحد سواه : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٧ - ١٨] .

وخلق ﷻ الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ؛ تشریفاً له على غيره .

فخلقه من تراب ، ثم جعل نسله من ماء مهين ، ثم أخرجه من بطن أمه مختلف الألوان ، والأشكال ، والأحجام ، والألسن ، والصفات .

فذكر وأثنى.. وطويل وقصير.. وأبيض وأسود.. وسمين ونحيف.. وذكي وغبي.. وعاقل ومجنون..
ورحيم وشديد.. وعربي وعجمي.. وبصير وأعمى.. وسميع وأصم.. وناطق وأبكم.. وكريم
وبخيل، وحسن وقبيح .

فتبارك الله أحسن الخالقين، الذي أظهر قدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء
مهين: ﴿ءَايَنُّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢] .

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن البذر والغرس في أرحام الأرض كنطفة الذكور في أرحام
الإناث ، فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم ، حسب التقدير السابق بكون كل شيء أرادته الله،
استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق ﷻ .

فقال سبحانه في خلق الإنسان : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ
إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ
قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه في خلق الحيوان : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي
عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥] .

وقال سبحانه في خلق النبات : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مَتَشَكِّبًا وَعَيْرَ مَتَشَكِّبٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآئُوا
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعام/ ١٤١] .

وهو سبحانه الخالق القادر على كل شيء ، الذي بدأ الخلق كله ثم يعيده كله كما كان : ﴿وَهُوَ
الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧] .

هذا ربي وربك الخلاق العليم : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ
تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥] .

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حَكَمَ على كل نفس بالموت ، وقضى على كل مصنع
بالخراب ، وقهر كل متحرك بالسكون ، وحكم على كل موجود بالفناء : ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَاَن ﴿٦٦﴾
وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧] .

والله **تَعَالَى** خلقنا للبقاء لا للفناء ، لكن حَكَمَ علينا بالموت والفناء فرقاً بين الرب والمربوب ، وتمييزاً للحي الذي لا يموت ، من الحي الذي يموت ، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة ، والثواب والعقاب : ﴿ **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** ﴾ [يونس / ٤] .

فسبحان من خلق الإنسان ، ثم حكم عليه بالموت ؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني ، ثم يعيده بعد الموت ، ليبقى في حياة لا يفنى بعدها أبداً .
وقد جعل الله لكل مخلوق بداية ونهاية ؛ ليدل بذلك على حدوثه ونقصه ، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية ، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية : ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد / ٣] .

فانظر رحمك الله إلى قدرة الخالق العليم في البدء والإعادة ، لتعلم أن بعد هذه الحياة موت ، ثم بعد الموت بعث ، ثم بعد البعث حساب ، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [١٩] ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [العنكبوت / ١٩-٢٠] .

ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة ، ويساق الكفار إلى النار : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِنُ بِنَفْرَتِهِمْ** ﴾ [١٤] ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ [١٥] ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** ﴾ [الروم / ١٤-١٦] .

فسبحان الخالق القادر على كل شيء ، الذي خلق فأبدع ، وصور فأحسن ، وصنع فأنتن ، وقدّر فهدى ، وحكّم فعدل ولطف ، وأحسن الإحسان كله : ﴿ **ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [٦] ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ** ﴾ [السجدة / ٦-٧] .

والله سبحانه هو الخالق البديع الذي بدع كل شيء أولاً ، فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله ، الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [البقرة / ١١٧] .

والله سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء ، الذي أبدع أول كل شيء ، وصور أول كل شيء ، وأحسن صورة أول كل شيء : ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد / ٣] .

وهو سبحانه البديع الحق الذي له الجمال كله ، زَيْنَ السموات والأرض ، الذي أضاءه من بنوره العظيم ، وأمسكهن بقدرته القاهرة : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور / ٣٥] .

فانظر رحمك الله إلى عجيب إبداع الخالق العظيم ، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض وما بينهما ، وما فوقهما من العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، وما بين السماء والأرض من الرياح والسحب ، والنجوم والأفلاك ، والشمس والقمر : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

كيف سخر الملك القادر كل ذلك بأمره ، وصرف تلك المخلوقات بمشيئته ، في طلوعها وغروبها ، وخنوسها وكنوسها ، واجتماعها وافتراقها : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) ﴿يس / ٤٠﴾ .

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والروح ، وأنواع الجماد ، والنبات ، والحيوان : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٠١) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠١ - ١٠٢] .

وإن أردت متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان ، فانظر رحمك الله إلى عجيب خلق الله لهذا المعرض العظيم ، والمصنع البديع ، وكيف ملاءه الخلاق العليم بعجائب المخلوقات : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) ﴿يونس / ١٠١﴾ .

فسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) ﴿غافر / ٦٥﴾ .

وإنما يُعجَب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت ، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية الذي خلقه وأبدعه وصوره .

عن أي علم كان هذا الملكوت؟ وعن أي قدرة أظهره؟ وعن أي قوة قهر ما قهره؟ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَانِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) ﴿الزمر / ٦٧﴾ .

فسبحان الخالق الحق ، الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأمور كلها ، وأخرج الكون من العدم بقدرته ، وأثار الكون بنوره ، وملأه بآثار رحمته ، وجزى نعمه ، حتى ذلت العقول لعظمته ، وتصاغرت لكبريائه ، وخشعت لجبروته ، وقتت لعزته ، وسجدت لجلاله ، وسارعت إلى طاعته وعبادته : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الخالق :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، أن الخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات ، ليظهر لعباده كمال قدرته ، وسعة علمه ، فإذا عرفوا العظيم حقاً ، الكريم حقاً ، عبدوه حقاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وإذا كان الله هو الخالق وحده لا شريك له ، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم / ٤٠] .

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق ، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام / ١] .

فنحمد الله على نعمة التوحيد والإيمان ، ونعوذ به من كفر الكافرين ، وشرك المشركين : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [١١١] وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ [١١٢] ﴾ [الأعراف / ١٩١-١٩٢] .

ومن نور الله بصيرته بالإيمان لم ير في الكون إلا اثنان :

مَلِكٌ وَعَبِيدٌ .. وخالق ومخالق .. وغني وفقراء .. وقوي وضعفاء .. وعزيز وأذلاء : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ .. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام / ١٠٤] .
فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق فعليه أن يُمعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض؛ لتلوح له دلائل قدرة الخالق العليم، وحكمته في صنعه ، في خلق السماء المرفوعة ،

والأرض المفروشة، وأصناف النبات، وأنواع الحيوان، وأقسام الجماد، وعجائب خلق الإنسان.

وهذا النظر والتفكير من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، وأفضل أنواع العبادة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦ - ٨].

واعلم أن الملك الحي القيوم، الذي يُنزل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضرر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده، إكراماً لهم، وإحساناً إليهم، وتشريفاً لهم، وعناية بهم؛ ليكونوا هم خلفاء الأرض بحسن عبادته، وتنفيذ أوامره، وليصلوا إليه بعد الموت، بأحسن صورة وعمل، فيجزئهم يوم القيامة بالجنة والرضوان، لحسنهم وإحسانهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

ويجعلهم ربهم بالقرب منه، كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤ - ٥٥].

فسبح بحمد ربك العظيم، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته، ولا تدعي القدرة على أعمالك، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير، ولا ما صرفه عنك من الشر وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٍ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٢ - ٧].

واعبد ربك بما ورد في شرعه، وأحسن عبادته، وإياك أن تبدع شيئاً يقطعك عنه، ويُرد عليك إثمه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف / ١١٠].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).

وارتبط وفقك الله ورابط ، واصبر وصابر واصطبر لعبادة ربك العظيم ، فعن قريب يرجعك إليه ، ويجزيك بأحسن ما عملت ، ويقدمك على أكرم ما قدمت : ﴿ يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ٢٠٠] .

واقنت لربك الأعلى ، واسجد له ، وسبحه ليلاً طويلاً ، فهو أحق من عبد ، وأرحم من ملك ، وأعظم من خلق : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجة عليك ، يقطعك عن ربك ، ويشغلك عن عبادته ، بل استعن به على ما يحبه ويرضاه : ﴿ يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

واعبد ربك الخلاق العليم ، الذي خلق الخلائق ، وقدر المقادير ، وأحسن الخلق ، وأحكم الصنع ، فلا رب لك سواه ، ولا إله لك غيره : ﴿ يَتَّيْهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٢١-٢٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١) .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك .
 أنت الملك الحق ، القوي القدير ، الخلاق العليم ، الغفور الشكور ، لا إله إلا أنت ، ولا رب لنا سواك ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور .
 اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

البارئ

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله ﷻ هو الخالق البارئ، الذي خلق كل شيء، وبرأ وأوجد كل شيء. وهو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات، وبرأ جميع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والنسمات، والهيئات، والحركات، وأظهرها كما قدرها وعلمها: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ، الذي برأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال سابق، الذي أحسن كل شيء خلقه، فظهر في أجمل صورة، وأحسن شكل.

وهو سبحانه الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والتناقض، سليماً من التباين والخلل، فظهر كما أراد خلقاً حسناً سوياً، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب، بريئاً من كل خلل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك/ ١-٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، وقدّر كل شيء قبل وقوعه، من الخير والشر، والعافية والبلاء، والنعم والمصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحديد/ ٢٢].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العالم بالظواهر والبواطن، الشافي من كل داء، المبرئ من كل سوء: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٧٩-٨٠].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام، مخزونة في الأضلاب، خلقها جميعاً في صلب آدم ﷺ، سواها بقدرته، وخلقها مبرأة من العناء في العهد الأول، وبرأها على الإسلام له، وفطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من

عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها ، مسلمة لخالقها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُلْنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢- ١٧٣].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي قَدَّرَ المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته ، البارئ الموجد لها بعد العدم ، المصور لها كيف شاء ، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ، على الصورة التي يريد ، وعلى الشكل الذي يريد ، في الوقت الذي يريد ، ويظهره في الوقت الذي يريد : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ ٦٨].

• التبعّد لله عَجَلًا بِاسْمِهِ الْبَارِئِ :

اعلم أيها العبد المسلم أنك خَلَقَ من الخلق الذي يوحد ربه ، ويسبح بحمده في كل حين ، فأقبل على ربك مع الموحدين ، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

وحقق ذلك بالتوبة من كل منهى عنه ، وإرجاع النفس إلى بارئها بفعل كل مأمور به ، وإيثار كل محبوب عنده ، وتقديم مراد الرب على مراد النفس : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/ ٨].

وذكر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها ، وما أعطته من العهود في بدء أمرها ، وذكرها بنعماء بارئها عليها ، كيف سواها في أحسن تقويم ، وفطرها على الدين القيم ، لعلها تتووب إلى ربها ، وتسير إلى ما فيه رشدها : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة/ ٣٩-٤٠].

واعلم رحمك الله ، أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها ، والأخذ بها إلى مراد بارئها ، وحملها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعاً وكرهاً ، حتى يصير ذلك

عادة لها : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ [الحديد/ ٢١].

وحينئذ يستقيم لك أمرها ، فتحيا بمراد بارئها ، ويموت مرادها ، ومن فعل ذلك أعانه الله ، وتاب عليه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعام/ ٥٤].

﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِّنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم اني أسألك إيماناً كاملاً ، و يقيناً صادقاً ، و قلباً خاشعاً ، و لساناً ذاكراً ، و حلالاً طيباً ، و أسألك الفوز بالجنة ، و النجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

المصور

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور الذي خلق الخلق ، وصوّرهم على صور مختلفة ، وهيئات متباينة ، من الحسن والجمال ، والشكل واللون ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ٦].

فكل مخلوق ميزه ربه بصورة خاصة ، تميزه عن غيره من المخلوقات ، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة ، وصورة مستقلة .

وهو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن ، فيكون على الصورة التي يختار ، والشكل الذي يريد ، والحجم الذي يشاء ، في أحسن صورة ، وأتقن صنع : ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذّٰى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ] [٧].

[السجدة / ٦ - ٧].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي خلق السموات والأرض وما فيهما فأحسن خلقهما ، وخلق الإنسان في أحسن صورة ، وأكمل هيئة : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن/ ٣].

وسبحان المصور الذي خلق الأشياء ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير ، وتخطيط ، وحجم ، ولون ، وتركيب : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

واعلم أن الله ﷻ أحسن الخالقين خلق كل شيء وأبدع خلقه ، وأحسن صورته .

ومن أعظم ما خلق الله الإنسان ، فقد خلقه من بين المخلوقات بيده ، وخلقه على صورته ، وأحسن صورته ، وأحسن تقويمه ، وأقسم على ذلك فقال : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين / ٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور ، الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات الأرض والأرحام كيف يشاء : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ٦] .

فلا إله إلا الله ، خالق كل شيء ، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء ، ويحسن صورها كيف يشاء ، ويبدع صورها كيف يشاء ، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن ، عالم الغيب والشهادة ، البصير بالصغير والكبير ، السميع للسر والجهر ، المصور لكل صورة ، الكريم بكل نعمة ، العليم بكل ذرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد / ٤-٥] .

ومن هذه قدرته ، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه مخلوقاته ، أهل أن يعظم ويكبر ، وأن يُحَبَّ ويُعْبَد ، وأن يُحْمَدَ ويُشْكَرَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الذاريات / ٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار / ٦-٨] .

وما أعظم الصور التي صورها المصور ، ولننظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت ، فانظر رحمك الله إلى ربك ، كيف خلقك في أحسن تقويم ، فقد خلق الله الإنسان من تراب ، ثم من نطفة ، ثم ركب أعضائه بعضها فوق بعض ، وقسم عظام تلك القطرة السائلة ، وصورها بقدرته كيف شاء .

فجعل المصور سبحانه بعضها لحماً .. وبعضها عظماً .. وبعضها شحمًا .. وبعضها مخاً .. وبعضها عصباً .. وبعضها شعراً .. وبعضها عروقاً .. وبعضها جلدًا .. وبعضها ظفراً .. وبعضها سمعاً .. وبعضها بصراً .. وبعضها أنفًا .. وبعضها فمًا .. وبعضها سنًا .

ثم خلق المصور داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو من مصانع الدم ، والهضم ، والتصفية والتحلية ، والتكرير والدفع ، والتهوية ، والحركة ، كالقلب ، والكبد ، والمعدة ، والعينين ، والأذنين ، والرتتين ، والكليتين وغيرها مما خلقه وصوره كاليدين والرجلين والرأس : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون / ١٢-١٤] .

وخصَّ الخالق المصور ﷻ كل عضو بوظيفة يؤديها ، ومكان يخالف مجاوره ، وجعل الكل يتعاون مع بعضه في خدمة الإنسان ، ويسبح بحمد ربه الرحمن .

ثم أمد المصور سبحانه تلك القطرة المصورة بمعاني صفات المخلوق وأسمائه وأخلاقه من عقل وعلم ، وقدرة وإرادة ، وكرم وحلم وغيرها من الصفات المحموده وضدها : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝۱﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿۲﴾ إِنَاهُدِيْنَهُ السَّبِيْلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوْرًا ﴿۳﴾ [الإنسان / ۱-۳] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿۲۰﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُوْنَ ﴿۲۱﴾ [الذاريات / ۲۰-۲۱] .

وخلق الله لهذا الإنسان المكرَّم ، والحيوان المسخر ، مائدة الطعام والشراب ، فهي مفتوحة الأبواب له في البر والبحر والجو ، يأكل منها حيث شاء إلا ما يضره ، فقد فطره الله على البعد عنه : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿۱۶۸﴾ [البقرة / ۱۶۸] .

وبعد أن أكمل الله خلق الإنسان ، وهياً له مائدة الطعام والشراب ، أنعم عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه ، وتسعده في دنياه وأخراه ، وهي الدين الحق الذي أنزله على رسله ، وأتممه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأتمته : ﴿ أَيُّوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيْنًا ﴿۳﴾ [المائدة / ۳] .

فلله الحمد والشكر على جزيل نعمه وإحسانه .. وله الحمد والشكر على دينه وشرعه .. وله الحمد والشكر على فضله ورحمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿۲﴾ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿۳﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴿۴﴾ [الفاتحة / ۲-۴] .

واعلم رحمك الله أن صورة آدم ﷺ وذريته هي التي تحقّق فيها معاني التصوير ظاهراً وباطناً ، وظهر فيها الكمال والجمال ؛ لأنه اجتمع فيها التقدير ، والتصوير ، والحسن ، والتكريم ، والخلود بعد الموت : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا ﴿۷۰﴾ [الإسراء / ۷۰] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، أظهر الإسلام أحسن دين ، في أحسن صورة في آدم أحسن مخلوق ، خلقه الله بيده ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿البقرة/ ٣٠﴾ .

فمن آمن ازدادت صورته حسناً وجمالاً في الظاهر والباطن : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

ومن كفر ازدادت صورته قبحاً وسفلاً في الظاهر والباطن : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤ - ٦] .

وتصوّر صور الخلق يوم القيامة ، وتبيّض وتسود ، وتثاب النفوس وتعاقب ، حسب إيمانهم وكفرهم وأعمالهم : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧] .

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحسن الخلق ، وحسن الصورة ، وحسن الرزق ، وحسن الدين ، وحسن الثواب .
وله الحمد على إكرام وجه المؤمن الذي خلقه على صورته، فنهى عن قتله أو ضربه مع الوجه، وحرّم على النار أن تأكل وجوه الموحدين ، إكراماً لمن خلقه بيده ، وسجد وجهه لعظمته .
اللهم حرم وجوهنا ووجوه والدينا وذرياتنا والمسلمين على النار ، يا أرحم الراحمين .

واعلم وفقك الله لحسن معرفته ، أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له ولا منتهى ، فالجبار عَزَّوَجَلَّ يخلق ويصور في كل آن ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من المخلوقات والصور في السماء والأرض ، وفي الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

والكل خلقه .. والكل عبيده .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان ربنا العلي الكبير ، الخلاق العليم ، القوي القادر على كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فاحرص أعانك الله على معرفة ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، والعمل بموجب ذلك ، قاصداً وجه ربك الكريم ، تكن من الفائزين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة / ٥] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المصور :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك الخالق البارئ المصور خلق المخلوقات كلها ، وصورها فأحسن صورها ، من العرش والكرسي ، والسماء والأرض ، والملائكة المقربين ، والجنة والناس أجمعين ، وأصناف الجماد ، وأشكال النبات ، وأنواع الحيوان والطيور ، والخلق أجمعين : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] . هو الملك القادر ، لا تعجزه أعداد يصورها ، ولا صور يخترعها ، ولا أشكال يتدعها ، فاعبده واملاً وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات ، واملاً وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملاً لك الكون بنعمه : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [١٣٠] ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه وِرْزُكَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه / ١٣٠-١٣١] .

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور ، الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، لم يشترك اثنان قط في صورة واحدة ، فليكن هذا الخلق والتصوير واعظاً لك ، وموجباً لطاعة مولاك وتقواه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَوَلَقَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١] .

فهل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات .. والمصور والمصورات .. والملك والمملوكات .. والأمر والمأمورات .

فاعبده وتوكل عليه ، يسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

واعلم وفقك الله لطاعته أن ربك وحده لا شريك له ، هو المتفرد بالخلق والتصوير ، والتقدير والتدبير ، وإنما كلف عبده الإنسان في استصلاح صفات نفسه ، وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

فاضرع رحمك الله إلى الخالق البارئ المصور ، الهادي إلى ما يحبه ويرضاه ، وقف ببابه متذلاً بين يديه ، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم ، وسبل مرضاته ، متوسلاً إليه بتوحيده قائلاً : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٥-٧] .

والزم باب العبودية والطاعة له ، ولا يغرنك الشيطان فتعمل بمعصيته ، أو تعمل بما يرضيه تارة ، وما يسخطه تارة ، فتندم وتخسر : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وأكثر من الحمد والشكر لرب العالمين ، الذي خلق فسوى ، وصور فأحسن ، وأنعم فأكرم ، السابق إلى عبادته بالإحسان ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

واعمل بشرع ربك ، وادع إلى سبيل ربك ، واصبر على ما أصابك ، لعلك تفلح وتنجو من الخسار والعذاب : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .
﴿ أَنْتَ وَلِينَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَآكُتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٥-١٥٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .
اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل معرفتك ، وارزقنا صدق توحيدك ، وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الغني

قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

الله جل جلاله هو الغني الحق، الذي استغنى عن الخلق كلهم بعظمة ملكه، وجلال كبريائه، وعز سلطانه، وكمال قدرته: ﴿وَرُبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا

يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

وهو سبحانه الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الغني الكريم، الذي له خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، وعنده خزائن كل شيء، ويده كل شيء، وله كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الغني، وكل ما سواه فقير، الغني عن كل ما سواه، الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، بل الخلق كلهم فقراء إليه، وإلى فضله وإحسانه: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الغني الكريم، المغني جميع الخلائق غنى تاماً، الذي أغنى جميع الخلق من فضله، فكما أنه لا خالق غيره، فكذلك لا رازق غيره.

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا شريك له، فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَوتُ

لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٧-٩].

وهو الذي أنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ لَإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلق غنىً مطلقاً ، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان ، ومعرفة جلاله وجماله ، ومعرفة آلائه وإحسانه : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١] .

فهو سبحانه الغني بذاته ، والعبد فقير إليه بذاته ، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله ، لاغنى له عن ربه الغني ولو طرفة عين ، وحاجة العبد إلى ربه لذاته ، لا لعله أوجبت تلك الحاجة : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغِنَى الْحَمِيدُ ﴾ [الحج / ٦٤] .
واعلم أن الفقير بذاته محتاج على الدوام إلى الغني بذاته ﷻ .

فالعالم العلوي ، والعالم السفلي ، كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار ، ذو العظمة والملكوت والجلال والكبرياء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .
وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه فقر ذاتي لا يُعلل .

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده .. وفي بقاءه وفي حياته .. وفي تدبيره وفي إمداده : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

وفقر المخلوقات إلى ربها نوعان :

الأول: فقرٌ إلى ربوبيته ، وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها ، فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها ، وبقائها ، وحفظها ، ورزقها ، وتدبيرها : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني: فقرٌ إلى ألوهيته وعبوديته ، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين به .

وهذا هو الفقر النافع ، ولبه دوام الافتقار إلى الله في كل حال .

ونفع هذا وما قبله عائد على العبد الفقير ، والله غني عن الخلق وما يعملون : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦] .

فسبحان الغني بذاته عن كل ما سواه ، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، الغني الكريم ، المحسن إلى عباده بكل خير ، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم ؛ لكمال غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه .

وهو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه ، وأرشدهم إلى سؤاله ، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة ، وأعطاهم وأغناهم ، وهو الغني عنهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ (٥٨) ﴾ [الذاريات/٥٦-٥٨].

واعلم أن الله هو الصمد الذي جميع الخلق تصمد إليه في جميع حوائجها ، ومن قصد إلى الله تعالى ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ، ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق ، ثم نزع الرحمة من قلوبهم عليه ، فتراه بينهم مذموماً مخذولاً : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (٢٢) ﴿ [الإسراء/٢٢] .

ومن صدق في افتقاره إلى الله ﷻ ، وشهد قدرته وغناه ، ورجع إليه بحسن العرفان ، أغناه الله عما سواه ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وأعطاه من حيث لا يرقب : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/٢-٣] .

● التبعذ لله ﷻ باسمه الغني :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ هو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق ، وخزائنه مملوءة بكل شيء ، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها وبقائها ، وإمدادها وسائر أحوالها .

هو الغني الذي يخلق ما يشاء ، ويأمر بما يشاء ، ويعطي من يشاء ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة :

﴿ سُبْحٰنَهُ ۙ هُوَ الْغَنِيُّ ۙ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/٦٨] .

وأعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه ، ومن أجل هذا بينها الله في كتابه ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ لندعو الله بها ، ونعبده بمقتضاها :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف / ١٨٠].

وإذا أغناك الغني ﷺ من فضله ، فاستغن به عما سواه ، ولا تلتفت لأحد سواه .

وقف ببابه مع الفقراء المتواضعين ، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر / ١٥].

وإذا سألت فاسأل الله وحده ، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده ، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج الخلق كلهم ، وأنت عبده ، فلا تذلل نفسك بسؤال غيره من العبيد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » رواه أحمد والترمذي (١).

وإذا أغناك الغني من فضله ، وأعطاك من رزقه ، وجاد عليك بإحسانه ، فاشكره على ما أولاك ، واحمده على ما خصك به ، واستعمل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات / ١٥].

فإن أعطاك الغني سبحانه مالا ، فأنفقه فيما يحبه ويرضاه على نفسك وعلى غيرك ، وتقرب به إليه ، يضاعف لك أجره ، ويخلف عليك أحسن منه : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) [التغابن / ١٧].

وإن علمك العليم ﷺ من علمه فاعمل به ، وتقرب به إليه ، وعلمه عباده ، تكن ربانياً : ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٨) [آل عمران / ٧٩].

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

وادع الناس إلى ربهم ، وعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعظموه ويكبروه ، وعرفهم بنعمه وإحسانه ؛ ليجبوه ويشكروه ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وأنفق مما آتاك الله من العلم ، وحرك لسانك بذكره وشكره ، وأشغله بالدعوة إليه ، وتعليم شرعه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنَ الْحَقِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

وإن جبلك الله على الخلق الحسن ، ووهبك من مكارم الأخلاق ، فاشكره وتعبّد له بذلك ، واتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

واصبر لحكم ربك ، وأحسن إلى العباد ، واصبر على الأذى ابتغاء مرضات الله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وصل من قطعك ، وأعط من حرملك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، افعل ذلك كله ابتغاء مرضات الله ، يقلب الله عدوك صديقاً ، وبغيضك محباً ، ويهتدي بسببك ضال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا لَأْذُو حَظِّ عَظِيمٍ ﴾ [٣٥] ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْجٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت / ٣٦-٣٧] .

وإن أعطاك الغني سبحانه بدنأ قوياً ، وقلباً شجاعاً ، وعلماً نافعاً ، ومالاً وافراً ، وخلقاً فاضلاً ، فاستعمل ذلك كله في طاعة من خلقتك وأغناك واجتباك وهداك ، بفعل كل محبوب إليه ، وترك كل مكروه لديه ، يرضى الله عنك ، ويرفع درجاتك ، ويغفر ذنوبك : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨] .

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته يحبك الله ، ويرضى عنك ، ويخلف عليك خيراً منه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبأ / ٣٩] .

واعلم أن الذي أعطاك ، هو الذي أمرك أن تعطي عباده ، لتنال بذلك الأجر ، فأنفق من أحسن ما أعطاك الله ، تنال أحسن منه برأ وأجراً وثواباً : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٩٢] .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي طِبِّ إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف / ١٥] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بَالِ الصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء / ٨٣ - ٨٥] .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ [نوح / ٢٨] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »
أخرجه مسلم (١) .

اللهم اني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥) .

الرزاق .. الرزاق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة / ١١] .

الله ﷻ هو الرزاق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض ، وهو مالك جميع الأرزاق ومعطيها ، الرزاق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت ، حسب علمه وحكمته وإرادته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٨] .

وهو سبحانه الرزاق واسع الرزق ، كثير الأرزاق ، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الذي وسع جميع الخلق رزقه ، ورحمته ، وأنواع إحسانه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه الرزاق المتكفل بأرزاق الخلائق كلها، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق ، المكثّر منه لعباده ، المتفرد بالرزق والإنعام وحده لا شريك له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر / ٣] .

وهو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ويوصل إليهم أنواع الأرزاق في كل مكان وزمان ، بلا كلفة ولا مشقة ، السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه ، وساقها إليهم بقدرته ورحمته ، فلا ترى أحداً الا يأكل من رزقه ، وينعم بفضله : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف / ٣٢] .

المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، الكل يعود على موائد نعمه التي لا تحصى: ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء / ٢٠] .

ورزق الله لخلقه نوعان :

الأول: رزق الأبدان ، وهو رزق عام يصل إلى كل مخلوق من الحيوان ، والإنسان ، والجان ، بأمر الرزاق الكريم سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

الثاني: رزق القلوب ، وهو التوحيد والإيمان الذي يرزقه الله من يشاء من عباده ، على يد أنبيائه ورسله والدعاة إليه ، يرزقه الله من يستحقه ويشكره ، ويؤتیه مَنْ أتى بأسبابه ، وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ يَبْدَأُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٧٣] يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران / ٧٣ - ٧٤] .

واعلم أن فضل الله عظيم ، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر ، وأنواعها وأعدادها لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق ، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان وزمان ، ولا تنقص مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان / ٢٦] .

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء ، ويقول للشيء كن فيكون ، ولو سأله جميع الخلائق ، بأوسع سؤال فأعطاهم لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص / ٥٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . »

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ «أخرجه مسلم (١)» .

فسبحان مالك الأرزاق ، الذي تكفل بأرزاق جميع الخلق ، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم ، ييسر الرزق على من يشاء ، ويقدره على من يشاء ، وله في ذلك حكمة بالغة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

واعلم أن من الناس من لا تصلح حاله إلا بالغنى ، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر ، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى / ٢٧] .

واعلم أن كثرة الرزق في الدنيا كفلته ، لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد ، ورضاه عنه ، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبا / ٣٧] .

والإيمان والتقوى من أعظم أسباب الحصول على الأرزاق النافعة ، والكفر والفجور سبب عظيم لنقص الأرزاق ، ومحق البركات : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .

والأرزاق تزيد بالشكر والطاعات ، وتنقص بالكفر والمعاصي : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .
والله ﷻ هو المنعم على عباده بجميع أنواع الأرزاق .

وأعظم رزق يرزقه الله عباده وأحسنه وأفضله وأكمله وأكرمه وأعلاه وأدومه هو التوحيد والإيمان ، والجنة ، ورضا الرب ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق / ١١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

واعلم أن المخلوقات كلها مخترنة في الأرزاق .. والأرزاق كلها مخترنة في خزائن السموات والأرض .. وخزائن السموات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٣٦﴾ [لقمان / ٢٦] .

والله ﷻ كما أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها ، حتى ظهرت من الأرحام إلى الأرض جيلاً بعد جيل ، كذلك أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدره : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا شَيْئًا كَثِيرًا مِّنْ قَبْلِكَ مِمَّا جَعَلْتَ لِئَلَّا تُفَكِّرَ فِيهِ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر / ٤٩-٥٣] .

فسبحان الملك الحق ، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الغني الذي لا أحد أغنى منه ، الكريم الذي لا أحد أكرم منه ، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه .

الرزاق الذي كل رزق في العالم من رزقه ، الرزاق الذي رزق كل مرزوق .
الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه ، الرزاق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر :

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [النمل / ٤٠] .

هو الملك العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، الذي تفرد بالوحدانية ، وتفرد بالخلق والرزق ، وتوحد بالإحياء والإماتة ، واختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الذي ليس له شريك ولا مثل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [الروم / ٤٠] .

هو الملك الغني القادر على كل شيء ، الذي يملك خزائن كل شيء :

خزائن المخلوقات .. خزائن الأرزاق .. خزائن النعم .. خزائن الأموال .. خزائن المياه .. خزائن الحبوب .. خزائن العلم .. خزائن القوة .. خزائن الرحمة .. خزائن العذاب .. خزائن النور .. خزائن الظلام .. خزائن الأخلاق .. خزائن التصريف والتدبير .. وخزائن كل شيء في قبضته :

﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٣١﴾ [الحجر / ٢١] .

فسبحان من خلق الخلق كله .. وبهيد الملك كله .. وإليه يرجع الأمر كله .. وعنده خزائن الرزق كله : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [يونس / ٣١] .

وَمَنْ هَذِهِ عَظْمَتُهُ ، وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ ، أَفْلا نَعْبُدُهُ وَنُكْبِرُهُ وَنُحْمَدُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس/ ٣٢].

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ رَازِقَ الْعِبَادِ وَحْدَهُ فَهُوَ الْمَسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْهُمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وَاعْلَمْ زَادَكَ اللَّهُ فِقْهًا وَعِلْمًا وَنُورًا أَنَّ الرِّزْقَ هُوَ الْحَلَالُ لَا غَيْرَ ، وَالْحَرَامُ اسْمُهُ الْمَتَاعُ .
فَالْمُؤْمِنُ يَسْتَعِينُ بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ ، وَيَشْكُرُ رَبَّهُ عَلَيْهِ .

وَالْكَافِرُ يَتَمَتَّعُ بِهَذَا الْمَتَاعِ كَالْبَهَائِمِ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى جَهَنَّمَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِأَبْرَهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ يَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة/ ١٢٦].

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ جَمِيعَ الرِّزَاقِ خَلْقًا وَتَقْسِيمًا ، تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

وَالرِّزَاقُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ، وَخَزَائِنُهُ مَمْلُوءَةٌ بِأَصْنَافِ الرِّزَاقِ ، وَهُوَ يَصْرِفُهَا بَيْنَ عِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ كَمَا يَشَاءُ .

فِتَارَةُ يَرْزُقُ بِدُونِ الْأَسْبَابِ ؛ لِيُظْهِرَ قُدْرَتَهُ وَجَمِيلَ إِحْسَانِهِ: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس/ ٨٢].

وَتَارَةُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِضِدِّ الْأَسْبَابِ ؛ لِيُظْهِرَ لِعِبَادِهِ كَمَالَ قُدْرَتِهِ ، وَقُوَّةَ إِرَادَتِهِ كَمَا فَجَّرَ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ: ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة/ ٦٠].

وَتَارَةُ يَرْزُقُ بِالْأَسْبَابِ - وَهُوَ الْغَالِبُ - ، وَهُوَ سِنَّةُ الظَّاهِرَةِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ كَمَا يَرْزُقُ الْوَالِدَ بِالنِّكَاحِ ، وَيَرْزُقُ الشَّجَرَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَالْحَلِيبَ مِنَ الْبَقْرِ .

فَأُظْهِرَ سُبْحَانَهُ سِنَّةً ، وَأَخْفَى قُدْرَتَهُ فِي سِنَّةِ امْتِحَانٍ لِعِبَادِهِ ، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَحَسَنَ تَدْبِيرِهِ: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/ ٥-٧].

فسبحان الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق ، ويملك مجاري الأرزاق على مدى الدهور والقرون ، ويقسمها على كل مخلوق كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرازق :

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله ﷻ خالق المخلوقات كلها ، وقاسم الأرزاق كلها ، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه ، لا يخطئه رزقه إلى غيره ، كما لا تخطيه منيته ، ولن يموت أحد حتى يأكل رزقه : ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل/ ٦٤].

ولب التوحيد ، وذروة اليقين ، أن تعلم أن الله هو الرزاق وحده لا شريك له ، وأن جميع الأسباب من التكسب والعمل ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض ، من جماد ونبات وحيوان ، إنما هي ظروف وأوعية أودعها ربها العطايا والأرزاق ، تسلمها لمن شاء الله من خلقه بإذنه وعلمه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فاشكر الرزاق الذي ساق إليك رزقك ، ويسر لك الانتفاع به ، باستعماله في طاعته .

وعليك بالسعي في طلب الرزق ، ناظراً بقلبك إلى القسّام الذي يقسم الأرزاق ﷻ لا إلى القسّم ؛ لترضى بالقسّم ، وتقنع بالمقسوم ، مع السعي بالجسم في الكسب : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].

وبعد هذا يتقن أن ما أصابك من الرزق لم يكن ليخطئك ، وما زوي عنك فلن تقبضه ، ولو وقف معك جميع الخلق : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢] .

واعلم أن العاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى عباده : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَوْاءً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجِزْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِقِينَ ﴾ [الجمعة / ١١] .

فاجعل ما رزقك الله سبباً معيناً على رضاه وتقواه ، تكن من المفلحين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ١٥ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ١٦ ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ ۖ وَأَبْقَى ۝ ١٧ ﴾ [الأعلى / ١٤ - ١٧] .

وإياك أن تخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر ، وسبيل التفاخر ، أو يدفعك الحرص إلى طلب الكسب من أبواب الحرام ، أو تسخط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد ، فإن طلب الرزق عبادة ، والأمر مفروغ منه ، فلا تخالف من أمرك بالكسب ، وقسم لك الرزق بالميزان : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ ٢ ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ٢ ﴾ [الطلاق / ٢ - ٣] .

ولتكن قلة الشيء عندك أثر من كثرته ، فقليل يغني ، أحسن من كثير يلهي ويطغي : ﴿ كَلَّا إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ۖ ٦ ۚ أَنْ رَآهُ اسْتَعْتَى ۝ ٧ ﴾ [العلق / ٦ - ٧] .

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فليس لك ، فأنفق ينفق الرزاق عليك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمْوَالُكُمْ وَلَا ءَأَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ٩ ۖ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ ١٠ ﴾ [المنافقون / ٩ - ١٠] .

واعلم أن العلم كله يخرج من العليم سبحانه ، والرزق كله يخرج من مخرج واحد من الرزاق وحده سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر / ٣] .

واعلم أن الخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل ، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وجعلهم آنية للحمد والشكر ، والإنفاق والإحسان .

وخص الفقراء بوجود الرزاق ، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء ، وأرزاق الأغنياء .

فهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه ، ولهذا أجره على بلائه وصبره ، والله رب هذا وهذا :

﴿بَسَّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء / ٣٠] .

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

فاسأل ربك جميع أمورك ، وأنزل به فافتك ، واشك إليه مصيبتك ، فبيده كل شيء ، وليس بيد أحد سواه شيء ، بل الخلق والأمر كله لله وحده لا شريك له ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧) [العنكبوت / ١٧] .

واعلم أن الملك العظيم يعطي العظيم ، فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة ، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول صلى الله عليه وسلم ، لا على قدر حاجتك ، فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة .

وأجل سؤال في الدنيا سؤال الهداية : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) [الفاتحة / ٦] .

وأجل سؤال في الآخرة بعد رؤية الرب ورضاه سؤال جنة الفردوس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ ، قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » أخرجه البخاري ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠) .

وقد فتح الكريم ﷺ باب السؤال لعباده ، ووعدهم جميعاً بالإجابة ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً أبداً : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠] .

واعلم أن ربك هو الغني وحده لا شريك له ، وعنده خزائن كل شيء ، ويعطي ولا تنقص خزائنه أبداً ، فسل ربك من الدنيا ما يعينك على طاعة مولاك ، ولا يلهيك عن حسن عبادته ، وامثال أوامره ، وقل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة/ ٢٠١] .

واعلم أنه لا يُطلب العظيم إلا من العظيم ، فسل ربك العظيم ما شئت ، فعطأه ﷺ على قدر شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

واعلم أن طلب الحوائج من غير الله ذل ، وهو سبحانه أحق من تذلل له العبد ، ومن عرف الله لم يسأل غيره ، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير ، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإَن تُوْفِكُونَ ﴾ [غافر/ ٦٢] . فسبحان الرزاق الذي يملك الأرزاق كلها ، ويقسمها بين خلقه ، فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله ، ويرزق القلوب أنواع المعارف والعلوم ، وصفات الإيمان واليقين ، ويقبض ويبسط في هذا وهذا : ﴿ أَهْرَيْقِسْمُونَ رَحِمْتَ رَبِّيكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْخَذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّيكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

وعلى قدر قرب القلوب من ربها بالإيمان والمعرفة والطاعة ، يكون غناؤها عن الطعام والشراب : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

وهذا يكون للمؤمن ، ثم يصعد أكثر إلى الموقن ، ثم إلى الصديق ، ثم إلى النبي ، ثم إلى الملك الذي ليس به حاجة للطعام والشراب أبداً : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

واعلم أن الملك الكريم الرحيم خلق الكون ، وملاه بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر ، وسخر لهم الآيات والنعم التي تذكّرهم بربهم ، وتقربهم إليه ، وتسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ، ليجود عليهم بإحسانه ، ويعود عليهم بإنعامه أولاً ، ثم ليعرّفهم بذاته وأسمائه وصفاته ، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية ليؤدوا له حق العبودية ، ليتبين الملك حقاً من العبد حقاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢].

فلو انقطع الأمر هاهنا لما تحققت حكمة الحكيم في فعله ، وإنما تمت الحكمة في البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، فاتصل الآخر بالأول ، والأول بالآخر : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْثَوْا قُلُوبًا وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن / ٧].

ثم انقسم المآل حسب الأعمال إلى خزائن الثواب والعقاب ، في الجنة والنار. فيُظهر الله للمؤمنين يوم القيامة في الجنة من الجود والإحسان والرحمة ما لا تدركه العقول ، ولا تتصوره الأوهام ، ولا يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧].

وأظهر لصد هؤلاء من الكفار والمنافقين والعصاة سخطه وعذابه ، لكفرهم به ، وجحدهم نعمة : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَنَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة / ٦٨].

واعلم أن الله يرزقك من فضله لتنتفع به ، وترزق منه كل محتاج إليه ، بما تقدر عليه من علم ، ومال ، وخلق ، وجاه.

فتذكر الغافل .. وتعلم الجاهل .. وتطعم الجائع .. وتواسي المحتاج .. وترحم الصغير .. وتوقر الكبير .. وتحلم على السفية : ﴿ لَن نَّأَلُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْنَا وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٩٢].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »

أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك من

الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً واسعاً ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الكريم .. الأكرم

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِيكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

وقال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق / ٣-٥].
الله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، الكريم الواسع الذي عم بعبائه وإحسانه جميع خلقه ، المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي: ﴿كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء / ٢٠].

وهو سبحانه الكريم الكثير الخير ، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة ، الكريم الذي يسهل خيره ، ويقرب تناول ما عنده ، القريب لمن دعاه ، المجيب لمن سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم ، الذي له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الكريم الذي عنده خزائن كل شيء ، وله خزائن السموات والأرض ، الكريم ، الذي يعطي ولا تنقضي خزائنه ، ولا تنقص أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعادله نظير ، الكريم الذي كل ما في الكون من كرمه ، الكريم الذي وهب الكريم ما يتكرم به: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه الكريم لذاته ، وكرمه لا أول له ولا آخر ، الذي يعطي ويكرم من يشاء في كل مكان وزمان ، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .
قدر فعفى ، وعاهد فوقى ، وسئل فأعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؛ لعظيم قدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وكمال كرمه ، وسعة خزائنه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون / ٧].

وهو سبحانه الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه ، وأمهل بكرمه المكذب له ، ووالى عليه نعمه، ولم يقطع عنه فضله؛ لعله يتوب إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءٌ وَفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن كرمه أمهل إبليس وأظهره ، وتركه وما اختار لنفسه ، ولم يعاجله بالعقوبة وهو قادر : ﴿مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ كَدَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

فسبحان الكريم الحق ، الجامع للمحاسن والمحامد ، الذي له قدر عظيم ، وسلطان كبير ، كثير الخير والعطاء ، المنعم بكل نعمة ، الذي لا يردّ من سأله ، ولا يخيب من رجاه ، الذي يعطي من خزائنه ما لا يحصى لما لا يحصى من الخلائق: ﴿يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

والله عز وجل هو الكريم الذي لا أكرم منه ، حسن الأسماء ، عليّ الصفات ، محمود الفعال ، كريم السجايا ، جزيل العطايا: ﴿لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

كريم يعفو عن المذنبين .. ويتوب على المخطئين .. ويحسن إلى المحسنين .. ويكرم المطيعين .. ويغفر للمسيئين .. ويعفو عن الظالمين : ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات ، ويغفر السيئات ، ويدفع البليات .

ينفس كل كرب .. ويزيل كل هم .. ويشفي كل مريض .. ويجيب كل سائل .. ويهلك كل عدو .. ويرحم كل مخلوق .. ويوجود بكل خير .. ويدفع كل شر .

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده ، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة ، وعظيم الصفات ، وعلو النسب ، والمقام المحمود .

فهو ﷺ أكرم الرسل ، وأتقاهم ، وسيدهم ، وأقربهم ، وآثرهم عنده ، وأكرم هذه الأمة ببعثته : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وهو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيمان ، وحببه له ، وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والمعاصي ، فعمر قلبه بالإيمان ، فأسرع في طاعة ربه بقلبه وجوارحه : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴿الحجرات/ ٧-٨﴾ .

وهو سبحانه الكريم الذي منَّ على جميع المخلوقات بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية ، فكل أحد ينعم بفضله ، ويأخذ من خزائن كرمه ، ويستطعم من موائد نعمه : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْلَمُونَ إِذًا مَّا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَايِسُ بِخَيْرِهَا ﴾ [النحل / ٥٣] .
واعلم رحمك الله أن من أعظم نيل أسباب كرمه تقواه ، فلاأكرم عنده سبحانه الأتقى من عباده .

فاتق الله ﷻ في السر والعلن ، والقول والعمل ، تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٣] .

واعلم أن الله ﷻ كريم حلیم ، حسن التجاوز عن خلقه ، مع كثرة أذى الخلق له ، وإسرافهم في معصيته ، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه ، وكذب رسله وكتبه ، وظلم عباده ؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه ، وأنعم عليه ، لعله يتوب ويرجع إليه : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لا أحد أضرَّ على أذى يسمعه من الله ﷻ إنَّه يُشْرِكُ بِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه (١) .

وأظهر من هذا كرماً أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس ولعنه وطرده وتبرأ منه إلا من أجل آدم ﷺ وذريته ، حين أبى السجود لآدم ، واستكبر عليه واحترقه : ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخْرَجْنَا مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص / ٧٥-٧٨] .

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ؛ ليحذروه ويتخذوه عدواً بقوله : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر / ٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) ، واللفظ له .

فسبحان الملك الكريم ، الرحيم اللطيف بعباده ، الذي يتحجب إليهم بالنعمة ، ويبالغ في تحذيرهم من عدوهم ؛ حفظاً لهم ، وهو عن ذلك كله غني ، لا افتقار به إلى أحد سوى فضل جوده ، وعظيم كرمه ، وجزيل إحسانه : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [٦٥] ﴿ [مريم/ ٦٥] .

ثم آلى الجبار ﷻ على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب لِعِبَادَتِهِ ، وليدخله معه في دار لعنته وعذابه : ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْذِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٨٢] ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [٨٤] ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٥] ﴿ [ص/ ٨٢-٨٥] .

ومن عادى الشيطان منهم وتبرأ منه ، وآمن بربه واتقاه ، رضي عنه وأدخله دار كرامته : ﴿ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيَّنُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [٢٣] ﴿ [إبراهيم/ ٢٣] .

واعلم رحمك الله أن سبل كرم الرب واسعة ، وطرق إحسانه لا حد لها ، وخزائن جوده لا نهاية لها : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/ ٦٨] .

يجزي على الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة ، إلى ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو ؛ لكمال كرمه ورحمته وإحسانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٦١] .

وجعل سبحانه عقاب السيئة بمثلها ، أو يغفرها ويمحوها ، ويبدلها بحسنات ، ثم يضاعفها ، ويفرح بتوبة المذنبين ، وكثرة السائلين ؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

فسبحانه ما أعظم كرمه ، وما أوسع رحمته ، وما أحلمه على من عصاه .
واعلم أن كل شيء يأتي عليه العد والإحصاء إلا أسماء الله وصفاته ، وكلماته ومخلوقاته ، وأرزاقه ومقدراته ، فلا تعد ولا تحصى أبداً ، فله الحمد أبداً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ مِنَ الدِّينِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥] ﴿ [غافر/ ٦٥] .

والكرم صفة عظيمة للرب ، يتقلب في مقتضاها المؤمن ، والكافر ، والمطيع والعاصي ، وينعم بها جميع الخلق .

والإكرام منه سبحانه خاص بعباده وأوليائه المؤمنين ، فهو لا يكرم بالكرامة الخاصة - وهي الإيمان والعمل الصالح ورضوانه والجنة - إلا من يحبه ويرضاه.

وما أظهر من ذلك في الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي فلأنه كريم لا خالق ولا رازق إلا هو ، ولعلمهم يتوبون إليه ، إذا رأوا كرمه وإحسانه : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴾ (٣٤) ﴿ وَزُخْرَفًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٥) [الزخرف / ٣٣-٣٥].

ومن أصر منهم على كفره ومعصيته فما يأخذه ليس بإكرام ، بل هو استدراج ومكر بهم ، جزاءً على أعمالهم الفاسدة ، ليأخذهم على أوفر ما جنوه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَّا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨) [آل عمران / ١٧٨].
ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٥) [التوبة / ٥٥].

فسبحان الكريم الذي خلق المخلوقات ، وخلق الأرزاق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، الذي خلق الناس وعافاهم ، وأطعمهم وكساهم ، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام / ١٠٢].

هو الكريم الذي أقام الحججة على الخلق ، وتفضل على المؤمنين ، فحُب إليهم الإيمان ، وتفضل على العلماء ، بأن علمهم من علمه ، وتفضل على الأغنياء برزقه ، وتفضل على الفقراء بأن منعهم ما يشغلهم عنه .

وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) [الجمعة / ٤].

فسبحان الكريم الحق ، الذي كل رسله إلى عباده كريم ، وكل كتبه كريم ، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة / ٧٧-٨٠].

فهو قرآن كريم فيه الهدى والبيان ، والعلم والحكمة ، والتوحيد والإيمان ، والفضائل والبشائر ، والسنن والآداب ، والثواب والعقاب ، وكل خير ونور ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم كما قال العن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۙ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۙ ﴾ [الجن / ١-٢] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، المتفرد بالعطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم ، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال خاص بالمؤمنين به : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف / ٣٢] . فسبحان الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع المخلوقات ، وملاً كونه العظيم بفضله وكرمه ، ونعمه المتنوعة ، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبداً .

هو أكرم الأكرمين .. وأجود الأجودين .. وأرحم الراحمين : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَزَقْنَاهَا وَعِلْمُهُ مُسْتَفَرَّهُا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ ۗ ﴾ [هود / ٦] .

هو الكريم الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وأفاض على خلقه النعمة : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۙ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

سبقت رحمته غضبه ، وسبق حلمه عقوبته ، وسبق عفوه مؤاخذاته .

الفضل كله بيده .. والخير كله منه .. والملك كله بيده .. والخزائن كلها له .

أحب شيء إليه سبحانه البر والعطاء ، والرحمة والإحسان .

وأحب شيء إليه أن يرحم عباده ، ويجود عليهم بما عنده ، ويوسعهم فضلاً وأجراً ، وخيراً ورزقاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ويتحبب إليهم بنعمه وإحسانه ؛ ليعرفوه ويسألوه ويعبدوه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

وحبه ﷻ للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق ، والإحسان أحب إليه من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والرحمة أحب إليه من العقوبة : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِّن

كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ هو الملك الذي بيده الملك ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦].

وهو سبحانه الكريم الذي ييسط الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى ، الحكيم الذي يقبض الرزق ممن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٠].

فاليسط كله عن الكريم صادر ، والمنع كله إلى الحكيم راجع .

والعطاء كله بسط ، والمنع كله قبض ، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده.

يسط لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق والعلم ، والإيمان والعمل ، والخير والخلق ، ويقبض ممن شاء من عباده ذلك ، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك / ١٤].

فسبحان الكريم الذي ييسط ويقبض برحمته الواسعة ، وحكمته الشاملة .

فهو الحكيم الخبير الذي ييسط لمن شاء من عباده في ماله ، أو علمه ، أو عمره ، أو حياته ، أو خلقه ، أو عافيته ، ويقبض ممن شاء ذلك : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٤٥].

والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢].

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط ، والعطاء والمنع بأسباب من الناس ، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم .

فالأسباب في الدنيا محل حكمته ، وسنته الجارية .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه (١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وتقوى الله ﷻ من أعظم أسباب بسط الرزق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .
واعلم أن العطاء كله بسط ، والمنع كله قبض .

وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه، ليسط له في الآخرة كل ما يحب، وقد يبسط لمن أعرض عنه في الدنيا ما يحب، ليعذبه به في الدنيا، ويقبض عنه ما يحب في الآخرة : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة / ٥٥] .

واعلم رحمك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التداوير الربانية الملكية .
فالغنى بسط .. والفقر قبض .. والنعيم بسط .. والبؤس قبض .. والحياة بسط .. والموت قبض ..
والأمن بسط .. والخوف قبض .
والخصب بسط .. والجذب قبض .. والصحة بسط .. والمرض قبض .. والعزة بسط .. والذلة قبض .
والقوة بسط .. والضعف قبض .. والفرح بسط .. والحزن قبض .. والرضى بسط .. والغضب قبض .
والإيمان بسط .. والكفر قبض .. والتوحيد بسط .. والشرك قبض .. والطاعات بسط ..
والمعاصي قبض .. وهكذا .

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسط ، وأنواع الشر كلها قبض ؛ ليدكر العبد ربه الذي يقرب الأحوال ، ويدبر الأمر ، ويده ملك الدنيا والآخرة ، ويستيقظ من غفلته ، ويشكر ربه ، ويصبر على بلائه ، ويتوب إليه : ﴿ وَتَبَلَّوْا بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٥] .

واعلم يقيناً أن أعظم البسط في الحقيقة هو الهداية للدين الحق ، وأعظم القبض الضلالة عنه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١١٥] .
[الأنعام / ١٢٥] .

والقبض حق الله منك ، والبسط حظك منه ، فتقرب إليه بحظك منه ، بأداء حقه عليك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

فسبحان من بسط لعباده المؤمنين كل خير ، وقبض عنهم كل شر ، وجعل ما أصابهم من الشر نعيماً في صورة عذاب ، يصفي توحيدهم ، ويرفع درجاتهم ، ويمحو سيئاتهم : ﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وسبحان من جعل ما أنعم به على الكفار والعصاة في الدنيا مكرماً بهم ، واستدرجاً لهم ؛ لحرمان شاء لهم في الآخرة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٧٨].

فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه ، ونسيانهم له ولدينه ، عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم ، جزاء على عملهم : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأعام/ ٤٤].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، لا قابض لما بسط ، ولا باسط لما قبض ، وهو الحكيم الخبير .

إذا بسط الكريم بسط حتى لا فاقة أبداً ، وإذا قبض قبض حتى لا طاقة أبداً : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسبحان ذي الطول والإنعام على جميع خلقه ، الذي يُنعم بالجزيل من الأرزاق ، ويعفو عن الكثير من السيئات : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر/ ٣].

هو الغني الكريم ، الذي أياديه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة .. يُنعم بجزيل النعم .. ويدفع شر النقم .. ويعطي من يطيعه ومن يعصيه .

بره لا يُنسى أبداً ، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، المستحق لأن يهاب ، لعظمة سلطانه ، ويشئى عليه بما يليق بعلو شأنه ، وجميل إحسانه ، الذي له الإكرام كله من جميع خلقه ، ولا إكرام ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه سبحانه: ﴿ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .

فسبحان ذي الجلال والإكرام ، والعظمة والكبرياء ، الحي الذي لا يموت ، وكل ما سواه يموت : ﴿ كُلُّ مِمَّنْ عَلَيْهَا فَا نِ ﴾ [٦٦] ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن / ٢٦-٢٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكريم :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، أن الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه ، الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه .

فاجتهد أن تعمل بمقتضى هذا الاسم الكريم بأن تكون كريماً في جميع أمورك وأحوالك مع ربك ومع الناس ، وبذلك تحصل على مرضاة ربك ، وتظفر بمحبته لك ، فالله كريم يحب معالي الأخلاق ، ومكارم الفعال ، ويحب العاملين بها ، والدعاة إليها .

وبذلك أنزل كتبه .. وأرسل رسله .. وشرع دينه .

والتعبّد لله بمعاني أسمائه وصفاته هو الدين القيم ، وهو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض .

فهو سبحانه كريم يحب كل كريم .. شكور يحب كل شاكِر .. عفو يحب كل عفو .. سلام يحب كل مسلم .. رزاق يحب كل رازق .. ثواب يحب كل تائب .

فعليك بالتحلي بمكارم الأخلاق ، فهي أثقل شيء على النفس ، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة .

ولهذا مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم / ٤] .

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » أخرجه أبو داود^(١) .

وعليك بطاعة الله ورسوله ، ولزوم السنة ، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه ، ولن يهينها بمثل معصيته .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) .

وعليك بأداء الفرائض ، واجتناب المناهي ، بوجه طَلَّقِ سَمَحَ ، وقلب متذلل بين يدي ربه الرحمن :
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك / ١٢] .

واعلم أن المسلم إذا علم أن ربه هو الكريم ، فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيمان والتقوى ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه ، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم ، وحسن الاقتداء بهم ، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها، وحسن أدائها ، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها ، وشكر الله المنعم بها : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / ١٣] .

وكن كريماً محسناً تؤدي إلى كل ذي حق حقه بطيب نفس ، وسعة صدر ، وإن قدرت أن تزيد فرد ، يزدك الله من فضله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة / ٢٧٤] .

وإن كان لك على غيرك حق ، وتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه ، وأبق للكرم موضعاً ، فما استقصى كريم قط ، ومن أكرم بخير أكرمه الله وغفر له : ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢] .

وإياك والشح والبخل ، والحرص والطمع ، وجميع مساوي الأخلاق : ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر / ٩] .

واجتنب البخل بما أعطاك الله من نعمه ، فلا داء أدوى من البخل ، ولا شر أشر منه ، وبئس الطوق للإنسان يوم القيامة : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران / ١٨٠] .

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله به ، حيث لم يكلفك إلا بعض وسعك ، ثم رد نفع ذلك عليك ، وعفى لك عن الكثير ، وضاعف لك الأجر ، فلا تظلم أحداً ، ولا تهن مسلماً ، وتعبّد لله مع خلقه بما يحب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠] .

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ،
وعافاك في الدنيا من السجود للصنم ، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه ، حتى لا يشغلك به
عنه : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يعسر على عباده ما يشغلهم عنه ، ويسر لهم ما
يعنيهم عن سواه ، ويفتح على جميع خلقه أبواب رحمته .

يستر عَجَلًا على العصاة وهم المجاهرون .. ويحسن إليهم وهم المسيئون .. ويعفو عنهم وهم
الظالمون .. ويصبر على أذاهم وهم المعتدون .

يفعل الكريم هذا كله على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم، مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه ؛
لأنه الكريم الرؤوف الرحيم : ﴿ قَلِيلٌ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجنّة/ ٣٦-٣٧] .

ونذب سبحانه إلى الإتمام به في حسن معاملة أكرم من خلقه فقال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ادْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [٣٥] وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْجٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٦] .

فَصَلِّ رَحِمَكَ اللَّهُ مِنْ قَطْعِكَ .. وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ .. وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .. وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ
أَسَاءَ إِلَيْكَ .. وَكَفِّ لِسَانَكَ عَنِ الْأَذَى وَالخَنَا، وَالْمَكْرُوهِ وَالْفَحْشَاءِ .
وَعَوِّدْ نَفْسَكَ السَّخَاءِ ، وَيَدِكَ الْعَطَاءِ ، وَلِسَانَكَ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ .

وَصُنْ نَفْسَكَ عَنِ شَيْنِ الْأُمُورِ ، وَتَنَزَّهُ عَنِ اللَّوْمِ وَالغُرُورِ ، وَتَرَفِعْ عَنِ الدَّقَّةِ وَالاسْتِقْصَاءِ فِي
الْأُمُورِ، وَاصْفَحْ عَنِ الْمُعْتَذِرِ، وَاعْفُ عَنِ الْجَانِي : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

ثم عليك بحسن الأدب مع أهلك وأقاربك، تعاهدهم بالمال والنصيحة، وانشر فضائلهم،
واستر معاييبهم، واقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وتغافل عن زلاتهم، وأقل
عثراتهم، ولا تطالبهم بكل حقد عندهم ، تكن ربانياً .

وبذلك ينسبون إليك، وتملك زمامهم بيدك، ويأسر حبك قلوبهم .

ما أعظم حلم الكريم على خلقه، وما أسوأ أدبهم مع ربهم، فهم يعصونه بنعمه مع عظيم

سلطانه، وجزيل إنعامه، ودوام مشاهدته لهم، وهم يشركون به وهو يقول لهم: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

وحلمه وكرمه مبسوط لهم، حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهاراً، وذلك لكمال حلمه، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه، وكثرة صفحه عن زلاتهم، ودوام ستره لمخازيهم، وعظيم صبره على أذاهم: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنَبِ وَاللَّيْلِ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر/ ٤٥].

واعبد ربك كأنك تراه، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الذاريات/ ٢١٧] الذي يرينك حين تقوم ﴿ وَقَلْبِكَ فِي السَّجْدِينَ ﴾ [نور/ ٢١٧] إنه هو السميع العليم ﴿ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وقدم مراد ربك على مرادك، وأكمل محبوباته في الدنيا، يكمل لك محبوباتك في الآخرة، وكن من خواصه وأوليائه، تنال رحمته ورضوانه: ﴿ وَالسَّيْقُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

اللهم اجعلنا وإياكم والمؤمنين ممن خصه ربه بإكرامه، وتغمده برحمته ورضوانه.

واعلم أن الكريم سبحانه أجود من سئل، وأكرم من أعطى، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤتمل، ويُسأل ويدعى.

خلق الخلق، وخلق لهم ما في السموات والأرض، وما في الدنيا والآخرة.

ثم أكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع لهم الدين، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا، ولا يمل حتى يملوا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ [ص/ ٢٣] فأصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أئماً أو كفوراً ﴿ وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [سجدة/ ٥٥] ومن الليل فاسجد له، وسبحه ليلاً طويلاً ﴿ [الإنسان/ ٢٣-٢٦].

وشرع الكريم لعباده التوبة ليتوب عليهم، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم، ورغبهم في

الرحمة ليرحمهم ، ورغبتهم في السؤال ليعطيهم : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ
مَنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ ابْتِهَاجًا ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

فسبحان الكريم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب ، ويرفع به الدرجات ، ويزيد
به الحسنات ، من الأدعية والأذكار ، والوضوء والصلاة ، والصدقة والزكاة ، والصيام والحج
وغيرها من القربات .

فبادر رحمتك الله إلى فعل ما يحبه ويرضاه ، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أُرْكُوعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧] .

واعلم نور الله قلبك بحسن معرفته ، واستعمل جوارحك في حسن عبادته ، أن الكريم الحق منه
التوفيق والعطاء أولاً وآخراً ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

وعباده وخلقه هم محل إحسانه ورحمته ، فالعبيد كلهم له ، والمال كله له ، والدين كله منه ،
والثواب كله منه ، وكل ما في الكون من نعمه وحده : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ
الضَّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْشَرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣] .

ومن هذا شأنه ، وهذا إحسانه ، كيف لا يحبه العبد ، وكيف لا يستحي أن يصرف شيئاً من
أنواع العبادة إلى غيره : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

وإذا كان الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد ، فاعبده مخلصاً له الدين ، واملأ جميع
أوقاتك بذكره وحمده ، كما ملأ الكون لك بفضلته ونعمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ
﴿ ٩٨ ﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩] .

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه : ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر / ٦٦] .
واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه ، وخصك بهدايته ، وحبب إليك عبادته .

فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم ، ويهتدوا إلى خالقهم ، وتفوز أنت بالهدى ،
وجزيل الأجر ، بالدعوة إلى الله ، وتعليم أحكام دينه ، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله :
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

وإياك أن تتعرض لسخط ربك بفعل ما يغضبه ، وارتكاب ما حرمه .

فمن فعل ذلك فقد استدعى من الكريم الجواد خلاف ما هو موصوف به ، من البر والجود والإحسان ، وعرض نفسه لسخط ربه وعقوبته ، وأن يصير سخطه موضع رضاه ، وانتقامه وعقوبته موضع كرمه وعطائه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨ - ٨٠].

فما أعظم شؤم من عصاه ، فقد استدعى العاصي بمعصيته من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه ، وهو الجود والإحسان والبر : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].
وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك ، فأنفق مما آتاك الله من فضله ، وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد/ ٧].

واشكر رحمك الله من بسط لك نعمه ، وقبض عنك نقمه ، بلزوم طاعته ، وحسن عبادته ، واجتناب نهيه ، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢].

ومن ضيق الله عليه في ماله أو علمه أو خلقه أو جاهه فليلجأ إلى الكريم وحده ، وليطلب منه مده وعونه وفضله ، فلا باسط لما قبض ، ولا قابض لما بسط : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأعام/ ١٠٢].

وعليك بالشكر لمولائك في حال البسط ، والرضى بالقضاء ، واجتناب الضجر حال القبض ، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط ، وهو الإدلال والمنة .
فالله غني عنك وعن غيرك ، وعن كل ما يكون منك من عمل : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

فاجتهد في طاعة ربك ، وارض بما قسم الله لك ، ولا تمنّ وتنبسط في حال البسط، ولا تشكوه حال القبض ، لعلك تنجو : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَرَاءَوْا قُلُوبَهُمْ وَجَلَّهُمْ إِنْ رِيحَهُمْ رَجَعُونَ ﴾ (٦٠) ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ لَهُمْ هَاسِبُونَ ﴾ (٦١) [المؤمنون / ٦٠-٦١] .

وسارع إلى الخيرات ، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك ، وصر فك عنه برحمته : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) [البقرة / ٢١٦] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٥٧) [آل عمران / ١٤٧] .
 ﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤) [الفرقان / ٧٤] .
 « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه (١) .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النُّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم (٢) .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

المقالة ١١. الحميد

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر / ١٥].

الله ﷻ هو الغني الحميد الذي حمد نفسه، وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ۝٣ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يُحمد لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فأسماءه وصفاته دائرة بين الجلال والجمال، وأفعاله كلها دائرة بين العدل والإحسان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق، والذي يعفو ويصفح، والذي ينعم ويحسن، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وهو سبحانه الولي الحميد، المحمود على جميع أقواله وأفعاله، وعلى دينه وشرعه، وعلى قضائه وقدره، وعلى ثوابه وعقابه، وعلى فضله وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

وهو سبحانه الحميد الذي استحق الحمد كله بجميل فعالة، المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، المحمود بكل لسان، المحمود على كل حال، من جميع مخلوقاته: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله، وكبريائه وقوة سلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه.

وهو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبداً إلا ما يُحمد عليه، الحميد الذي يُحمد على السراء والضراء، ويُحمد في حال الشدة والرخاء، ويحمد في حال العافية والبلاء.

وهو الحكيم الحميد الذي جمع جميع المحامد، المستحق وحده الحمد على الإطلاق،

وله الحمد على كل حال في كل زمان ومكان.

فله الحمد كثيراً ، كما ينعم كثيراً ، ويعطي كثيراً ، ويعفو كثيراً ، حمداً يوافي نعمه ، ويكافي مزيده : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر/ ٣].

له الحمد بالإسلام.. وله الحمد بالقرآن.. وله الحمد على العطاء.. وله الحمد على دفع البلاء : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [١٨] ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [١٩] [الحجر / ٩٨-٩٩].

وهو سبحانه الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين إفضاله وإحسانه، وأنعم على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى- : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل/ ١٨].

فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد.

له الحمد على كماله.. وله الحمد على جلاله.. وله الحمد على جماله.. وله الحمد على آلائه وإحسانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [١] [الأنعام / ١].

فسبحان الملك الحق ، الذي له الحمد كله، فهو المحمود سبحانه على ما خلقه، وعلى ما أمر به، وعلى ما نهى عنه ، وعلى ما أخبر به .

وهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم، وعلى إيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، والملائكة والشياطين، وهو المحمود على خلقه الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى / ٢٨].

والله ﷻ أعظم مَنْ حَمِدَ نَفْسَهُ، وهو المحمود لذاته ولو لم يحمده أحد من البشر؛ لأنه أهل أن يُحمد ويُعبد، وأن يُحب لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣٧]

فَللهُ الحمد على مجده وعظمته، وله الحمد على كبريائه وجبروته، وله الحمد على عزته وقدرته، وله الحمد على غناه وإحسانه، وله الحمد على رحمته وكرمه: ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص / ٧٠].

واعلم رحمك الله أن الله هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسيح بحمد ربه، الحميد الذي أسر قلوب الخلق وذرات الكون بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه، فسبحوا بحمده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

فسبحان الغني الحميد، الكثير الحمد لعباده المطيعين له، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله وجميل إحسانه.

والحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح، وسبل معرفة موجباته كثيرة واسعة.

فجميع أسماء الله وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وآياته ومخلوقاته، كلها شاهدة بوحدانية الله، موجبة لحمده، دالة على جلاله وجماله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

واعلم أن أقرب طريق وأعظمه وأجله وأشمله لمعاني الحميد في حق الرب الحميد، يحصل للعبد عن طريق معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، لاجتماع ما تفرق في العالم في معانيها.

فمن أعظم النعم، وأجل الكرامات أن كان لنا إله حق حي قيوم، أسمائه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، إله عظيم، ورب كريم، تحيرت الأبواب في أدنى العلم بمعرفته، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر / ٦٧].

خلق عز وجل أكبر شيء وهو العرش العظيم الذي استوى عليه برحمته، وخلق أصغر شيء

وهي الذرة، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو، ولا يعلمها إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو، فله الحمد والشكر: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وله الحمد كثيراً أن كان لنا رب وإله واحد، لا شريك له ولا مثل له، ليس له شريك في ملكه في التدبير، وليس له من يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أن جعل الملك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء / ٢٢].

والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً لا حد له، ولا منتهى لمداه، أن جعلنا عبيداً لرب عظيم، وإله حي قيوم واحد، ولم يجعلنا عبيداً مملوكين لشركاء متشاكسين، لا ندرى من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر / ٢٩].

ومن منن ربنا العظام، ونعمه الجسام التي يستحق عليها الحمد والشكر أن كان ربنا عزيزاً لا يضام، منيعاً لا يرام، أحد صمد، لا يحتاج إلى أحد، ولم يكن له كفواً أحد.

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسبح بحمده، وكبره بكرة وأصيلاً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء / ١١١].

ولله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة، من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآفِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

فله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين.. وكشف كُرب المكرويين.. وقبول توبة التائبين.. وإجابة السائلين، وإطعام الخلق أجمعين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وله الحمد كثيراً على ما يوجد به من النعم قبل سؤالها، ويدفع المحن قبل حلولها، ويحمي عباده عن مراتع الآثام: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل/ ٥٩].

وله الحمد كثيراً على ما يربي به عباده بأحسن الألفاظ، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا يبلغه الآمال، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، ومع ذلك يدعوهم إليه، ويناديهم بأحب الأسماء إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونُوا لآلِ ءَانَتِهِمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

وسبحانه الكريم الرحيم الذي أكمل لنا الدين، وأجزل لنا الثواب، الولي الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق: ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

ويعطي مَن أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [يونس/ ٢٦].

فما ألطف خطاب الله في القرآن لهذه الأمة في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض، وتربيته لهم بقص ما أصاب مَن قبلهم، وبشارتهم بما أعد لهم من النعيم، وإكرامهم بعدم مواجهتهم بخطاب الوعيد، ومضاعفة ثوابهم إكراماً لهم، والعفو عن سيئاتهم رحمة بهم؛ لأنهم خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران/ ١١٠].

واعلم رحمك الله، أن من لم يجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب

الله ﷻ ، فعليه أن يعالج قلبه بالتقوى، ويكثر من الدعاء بأن يحيي الله قلبه، وأن يصحح له سمعه وبصره: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق / ٣٧].

واعلم نور الله بصيرتك بالعلم والإيمان أن الله يختص برحمته من يشاء، ويقصد بعذابه من يشاء: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء/ ٧٩].

فالأول فضله.. والثاني عدله.. وهو المحمود على هذا وهذا.

فالمؤمنون بفضلهم ورحمته مخصوصون، والكفار بعدله مقصودون، ولكل واحد من الأمرين قسطه من الحكمة والرحمة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

فالابتلاء كله خير للمؤمنين، ورحمة للموقنين، يصح به توحيدهم، وتكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، فله الحمد والشكر والمنة.

فهؤلاء بالنعمة يسعدون، وبالمحنة يتربون، وبالعلم يهتدون، وبالإيمان يصلون، وبالعمل الصالح يصعدون: ﴿وَالَّذِينَ أَحْتَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فسبحان من خلقهم للخيرات، وأعد لها لهم، واستعملهم بما يوصلهم إليه وإلى رضوانه والجنة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وهؤلاء إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها، واستعانوا بها على طاعته، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم، فعوضهم عنها العوض الأكبر، وجازاهم عليها الجزاء الأعظم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

فهم في كل حال يربحون على ربهم في كل نعمة وبلاء، وفي كل طاعة ومعصية: ﴿إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِزِينَ مَا ءَانْتَهُمُ رَبُّهُمْ رَيْبٌ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ مَا يَجْعَلُونَ ﴿١٧﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِسْحَارِهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ [الذاريات/ ١٥-١٩].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن الله لطيف خبير ، محمود على جميع أفعاله ، يُنعم على العبد في الدنيا بالعطايا ، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة .

ولهذا رَغِبَ اللهُ عباده المؤمنين بالصبر على المصائب ، ووعدهم على ذلك بجزييل الأجر : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

فهؤلاء أهل فضله وإحسانه ، جعلنا الله وإياكم منهم .

أما من أوقع الله عليهم عدله ، فجعل قسّمهم الكفر وأنواع المعاصي ، والتقلب في مساخطه وغضبه ، نعوذ بالله من ذلك .

فهؤلاء مُلْكُهُ وَعِبِيدُهُ ، خلقهم ليظهر بهم مجده ، ويطهر بهم أمره ، ويتم بهم كلمته ، ويصدق بهم قوله ، فصاروا كفاراً بعد إقامة الحجة عليهم ، وبعث الرسل إليهم ، فأوجدتهم ليظهر بهم عدله ، وعزة ملكه ، وكمال جبروته : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦-٣٧].

فسبحان من حجب الكفار عنه بأغلظ حجاب ، فسكنوا عن نوره في الظلمات ، ليطم عليهم أمره ، وينفذ فيهم حكمه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فله الحمد على نعمه السابغة، وله الحمد على أحكامه العادلة: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [المائدة/ ٥٠].

وسبحان الحكيم العليم ، الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده، وخلق الكفار والفجار، وخلق
المؤذيات من العقارب ، والحيات ، والسباع ، وخسيس الحشرات ، والأشواك والحشائش ،
والروائح الكريهات.

خلق كل ذلك إظهاراً لكمال قدرته، وإبرازاً لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات ،
وامتحاناً لعباده بالمرضي وغير المرضي ؛ ليعلم من يترك ذلك ، ويتحمل ذلك ، ويسير إليه :
﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فلكل مخلوق حكمة.. ولكل تدبير حكمة.. يُحمد عليها الرب ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

واعلم وفقك الله لمعرفة الملك والملكوت أن الله خلق لخلقه ثلاث دور:

الأولى: الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته.

خلق فيها كل شيء مرضي، وملاًها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طَبِّئْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ [الزمر/ ٧٣].

الثانية: النار دار العذاب ، خلقها الله لمن كفر به وأغضبه وأسخطه ، وعمل بمعصيته.

خلق فيها كل كربه، وملاًها بكل مؤذٍ، وسعَّرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر
ومستكبر ، وفاجر وفاسق: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ

الثالثة : خلق سبحانه الدنيا دار سجن لعباده ، لينظر كيف يعملون ، وأي دار يبتغون .

وأخرج عنه إلى هذه الدار من دار رحمته ما شاء أن يفتحها منها بالماء من الفواكه والثمار وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى .

وأخرج إليها من دار سخطه كل كريبه ومؤذ ومؤلم ، وفيحاً من نار جهنم يخرج كل عام مرتين ، نَفْسٍ فِي الصَّيْفِ وَهُوَ شِدَّةُ الْحَرِّ ، وَنَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَهُوَ شِدَّةُ الْبَرْدِ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اشْتَكَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَدِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » متفق عليه ^(١) .

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله ليدل على كمال قدرته ، وقوة سلطانه ، وعظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته .

خلق ذلك كله ، وقدره وأظهره ، بقسط معلوم ، وقدر موزون ، وحكمة بالغة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر / ٤٩-٥٣] .

فسبحان من خلص الجنة من الشر . كله ، وجعل فيها الخير كله بحذافيره ، وخلص النار من الخير كله ، وجعل فيها الشر كله بحذافيره .

ومزج في هذه الدار الدنيا بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والحلو والمر ، والمحبوب والمكروه ، والطيب والخبيث ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي .

وأظهر من رحمته في هذا الدار ما يشهد بتوحيده ، وجعل فيها ما يسهل للمؤمنين مقاصد الخيرات : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧) .

﴿١١﴾ لِنَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَا بًا ﴿٢٠﴾ ﴿نوح/١٥-٢٠﴾.

وأظهر قدرة الخالق ، وعجز المخلوق ؛ تسهيلاً لتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له :
﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ
مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/١٠-١١].

وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصرًا في الجنة لو آمن، وسجنًا في النار لو كفر، ثم بعد
البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ،
وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿١١﴾ » أخرجه ابن ماجه ^(١).

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمة لعباده المؤمنين، خصهم بها،
وأنعى بها عليهم، تذكيراً لهم وتخويفاً ، ينبههم بها عند غفلتهم، فإذا رأوا النار تذكروا
جهنم، وإذا رأوا المكاره تذكروا ما أمامهم من العذاب.

فالمصائب والمكاره نعم توقظ العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة، فيعملون بما يحبه ربهم
ويرضاه؛ لينالوا بذلك دار الأمان والسلام: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/٥١].

فسبحان من ساق لعباده النعم بصورة المصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزل
الأجر : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر/١٠].

فنعيم الدنيا وسرورها ، وثمارها وخيراتها ، يذكرهم بنعيم الجنة ، فينشطوا للطاعات .

ومؤلمات الدنيا وعقاربها تذكرهم بعذاب النار وعقاربها ، فيكفون عن المعاصي .

وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها ، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

وأوجاعها ما في النار من ذلك .

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش ، والهم والحزن ، يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب :
﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بَشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشَىءٍ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥]
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

إذا فهمت هذا فاعلم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا ليذكر العبد بالمحجوب الأعلى في الآخرة، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكره بالمكروه في الآخرة.

وكل شيء من المصائب سبيل لحصول المحجوب في الدنيا والآخرة.

حكمة بالغة .. وسنة ماضية .. ونعمة سابغة : ﴿ إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾
﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن كل شيء خلقه الله فهو مُلكه ، يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما يملك بين أمرين ، يقتضي كل واحد منهما الحمد لله وحده لا شريك له.

فإذا فعل سبحانه ماله فعله فهو عدل ، والعدل حمد ؛ لأن من حق الملك التصرف في ملكه بما شاء كيف شاء.

يعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء.

فإن أعطى وقدم وفضل فهو فضل وإحسان، وهو حمد على حمد، وإن منَع فهو عدل، والعدل حمد، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَشَاؤَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

فإن تعثرت قدمك فلم تصعد إلى معرفة ما عز عليك ، فاسأل ربك أن ينور قلبك بنور الإيمان والقرآن : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان من تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة.

واعلم أن سريان الحمد في المخلوقات، وظهور آثاره في الكائنات، أمر مشهود بالأبصار والبصائر، تشهد به الذرات، والبريات، وكافة المخلوقات.

فله الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

أما حمده على إحسانه، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى. موجبة لحمده سبحانه ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

أما حمده سبحانه على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى فذلك أعظم وأوسع، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة.

فقد حمد ﷺ نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٢] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] ﴿ [الفاتحة/ ٢-٤].

و حمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَوَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٣٧] ﴿ [الجنابة/ ٣٦-٣٧].

و حمد نفسه ﷺ على وحدانيته وألوهيته فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٦٥] الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٦٥] ﴿ [غافر/ ٦٥].

و حمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١] ﴿ [سبا/ ١].

و حمد نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [١] قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا [٢] ﴿ [الكهف/ ١-٢].

و حمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص فقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

وحمد نفسه على خلقه العالم العلوي والسفلي فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأعام/ ١].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أحسن خلقه، وما أعظم قدرته، وما أجمل إحسانه، وما أوسع غناه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٤-٦٥].

واعلم أن الله ﷻ إنما خلق العالم كله له، ولأجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته، وسعة علمه، وجلاله وكبريائه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه، وسعة رحمته، وعفوه ورحمته، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله.

وإذا عرف الناس ذلك عظموا ربهم وأحبوه، وعبدوه، وأطاعوه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحميد :

اعلم رحمك الله أن ربك العظيم له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله .

فاجتهد وفقك الله لحسن عبادته أن تعمل بما يحبه ويرضاه، ولا تأت من الأقوال والأفعال والأخلاق إلا ما يحمدك عليه ربك الحميد المجيد، ويشيك عليه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

احمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك.. واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة.. واحمده على نعمة السراء والضراء.. واحمده على دفع البلاء.. واحمد ربك العزيز الكريم بالمحامد كلها، ومجده بالمجد كله، فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يُعبد،

وأهل أن يطاع: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » متفق عليه^(١).

واعلم بأن الله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شربة ، فلا يفوتك ذلك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ اللَّهُ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » أخرجه مسلم^(٢).

واعلم بأن الحمد والذكر أحب شيء إلى الله ، وأعظمه أجراً ، فاذا ذكر ربك كثيراً ، واحمده كثيراً ، واصبر على ما أصابك ، يحبك ربك ويحمدك : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ مِنْ حَيْثُ وَابَقَىٰ ۝ ﴾ [طه/ ١٣٠-١٣١] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » أخرجه مسلم^(٣) .

واحمد ربك في جميع أحوالك ، في ليلك ونهارك ، تنال أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ » أخرجه مسلم^(٤) .

وتذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه ، يمتلئ قلبك إجلالاً له ، وتعظيماً له ، وتكبيراً له .

وتذكر نعمة وإحسانه يمتلئ قلبك حباً له ، وثناءً عليه ، وحمداً له .

ثم أطلق لسانك بحمده ، وأرسل جوارحك بطاعته ، وقلبك خاشع حاضر بين يديه ﴿ إِنَّمَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري رقم (٧٩٥) ، ومسلم برقم (٤٧٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) .

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

[السجدة / ١٥].

فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، وكما يعفو كثيراً ، وكما يحلم كثيراً ، وكما يشكر كثيراً ، وكما يرحم كثيراً.

وله الحمد على ما وفق للحمد، وقيل الحمد، وأجزل أجر الحمد ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

والحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله .. وأنزل علينا أحسن كتبه .. وشرع لنا أفضل شرائع دينه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].

والحمد لله الذي أكمل في مخلوقاته حججه ، وأبان بها عظيم قدرته ، وأظهر بها شواهد وحدانيته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم / ٢٢].

والحمد لله الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن ، وظهر للعقول فعلمن، الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد / ٣].

والحمد لله الذي خلق الخلق كلهم بقدرته، ودبرهم بمشيئته، وقهرهم بقوته، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء .

والحمد لله على ما خلق وأمر، والحمد لله على ما سر ونفع، والحمد لله على ما أنعم وأعطى .

الحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له، والحمد لله حمداً لا يحيط بكنهه أحد سواه، والحمد لله حمداً لا انفصال له دون بلوغ رضاه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

الحمد لله المحيط بكل شيء علمه، النافذ في جميع الخلق قضاؤه، العدل في حكمه،

الحكيم في أمره، الذي لا يُعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه.

الحمد لله على النعمة به، والحمد لله على النعمة منه، والحمد لله الدائم عطاؤه، الواسع رحمته، الدائم بره، العظيم إحسانه .

الحمد لله القائم على كل نفس، الرقيب على كل شيء، الجاعل بعد العسر يسراً، وبعد الكرب فرجاً، وبعد الخوف أمناً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله حمدَ المعظم لربه، المكبر لجلاله، العارف بمقداره، الشاكر لنعمائه، الصابر على بلائه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم، وعدد ما كان وما سيكون «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَرِزْقِ نَفْسِهِ وَرِزْقِ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم^(١).

واعلم رحمك الله أن الحمد يكون بمعنى المدح، ويكون بمعنى الشكر.

فالشكر يكون في مقابلة الإحسان، والمدح في مقابلة معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى.

وحمْدُ الله هو ثناؤه على نفسه، وشكر الشاكرين له على شهود النعم والمنعم.

واعلم أن أفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم ﷻ، وأشأم النعم ما شغلك عنه، ومن استهدى سيهدى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه^(١).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالمعافاة ، ولك الحمد بالأهل والمال .

الحمد لله الواجب حمده ، الحمد لله الدائم برة ، الحمد لله العظيم ملكه ، الحمد لله النافذ أمره ، الحمد لله الشديد بطشه .

الحمد لله الكبير اسمه ، الكبير قدره ، الكبير ملكه ، الكبير إحسانه ، الكبير ثوابه .

المقالة ١١١١ . المجيد

قال الله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود/ ٧٣].

الله ﷻ هو المجيد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، المجید الذي تمجد بالعظمة والكبرياء ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

وهو سبحانه المجيد ، الذي له الملك والملكوت، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك/١].

وهو سبحانه المجيد القادر على كل شيء ، واسع الرحمة والمغفرة ، جزيل العطاء والإحسان ، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ [البروج/١٢-١٦].

وهو سبحانه المجيد ، الذي له المجد كله، المجيد في جميع أقواله وأفعاله، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الجزيل في عطائه ونواله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَ عُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/٦٥].

وهو سبحانه المجيد العلي العظيم ، رفيع الدرجات ، الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات ، وأحسن المنازل: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ [غافر/١٥].

وهو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، الذي تمجد بجلاله وجماله وإحسانه، ومجده خلقه ، لكمال عظمته وجلاله ، وجزيل إنعامه، ف: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبُرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعُظْمَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(١).

فسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويحمده أهل السماء والأرض، ذو المجد والشرف والسؤدد، والعز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/٣٦-٣٧].

هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، المجيد العظيم الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناء عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه ، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي برقم (١٠٤٩).

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٍ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
[الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي لا نهاية لمجده وجلاله وكبريائه، ولا حد لملكه وسلطانه، الذي مجده على قدر شأنه.

فلو كانت جميع الأشجار أقلاماً، وجميع البحار مداداً، وجميع الخلائق كتباً، أبد الأبد، لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبلغوا ما هو عليه، ولم يؤدوا حقه من المدح والحمد والشكر: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾
[لقمان/ ٢٦-٢٨].

هو القوي العزيز المجيد، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾
[الأعراف/ ٥٤].

كل الخلق لأمره طائع.. وكلهم لسلطانه خاشع.. وكلهم إليه راغب.. وكلهم منه راغب، وكلهم إليه راجع: ﴿وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾
[آل عمران/ ٨٣].

وهو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً، ومسرع إلى مشيئته طوعاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وكله عليه سواء يسير: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم ، العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاءه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى/ ١٠].

وسبحان الحميد المجيد الذي عَرَّفَ أوليائه بتوحيده، وألهم خلقه تسيحه وتحميده، وأوله القلوب بعبادته ، وأنطق الألسن بذكره، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] ﴿[ق/ ٦-٨].

هو سبحانه المجيد العليم المحيط بكل شيء.

يعلم مثاقيل الجبال.. ومكاويل البحار.. وعدد قطر الأمطار.. وعدد ورق الأشجار.. وعدد ذرات الرمال.. وعدد الأرواح والأنفاس .. وعدد الحروف والكلمات .

ويعلم ما في البر والبحر.. وما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماء .. ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٥٩] ﴿[الأنعام/ ٥٩].

عظيم مجيد لا تقاربه الظنون، ولا تدركه الأبصار، ولا تقابله العيون، ولا تحيط به العقول ، ولا تكيفه الأوهام : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] ﴿[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

رب مجيد عظيم ، نور وجهه ملاً الكون كله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣].

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار فلا تراه في الدنيا أبداً : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] ﴿[الأنعام/ ١٠٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» أخرجه مسلم^(١).
فسبحان المجيد الذي يفعل ما يشاء وحده لا شريك له.

يحيي ويميت.. ويعز ويذل.. ويكرم ويهين... ويعطي ويمنع.. ويرفع ويخفض.. ويعفو
وينتقم.. ويهدي ويضل.. وينصر ويخذل.. ويبسط ويقبض.

والله تعالى هو الرب المجيد الحق، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان، عظيم
النعم والإحسان، عظيم الخلق والأمر، عظيم الثواب والعقاب.

أسماءه كلها مجد.. وصفاته كلها مجد، وأفعاله كلها مجد، والقرآن كله تحميد وتمجيد،
وتعظيم وتكبير، وتسبيح للرب المجيد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [المشر/ ٢٢-٢٤].

والصلاة كلها تعظيم وتكبير، وتحميد وتمجيد، وتسبيح للحميد المجيد، أهل الشناء والمجد كله،
شرعها لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات، والأقوال، والأفعال.

فأولها تمجيد للرب تعالى.. وأوسطها تمجيد.. وقيامها تمجيد.. وركوعها تمجيد..
وسجودها تمجيد.. وجلسها تمجيد.. وأقوالها تمجيد.

ففي أول الصلاة التكبير والاستفتاح كله تمجيد، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد
وتمجيد، وفي السجود كذلك تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي الجلوس دعاء وثناء، وتحميد
وتمجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات، ورغب في الإكثار من نوافلها، وشرعها
في أحوال مختلفة، وأمر بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَتْنَيْنِ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

والله عز وجل هو المجيد ذو العرش المجيد.

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها، وأوسعها وأعلاها، وأرفعها وأكرمها.

خلقه القوي العزيز بقدرته، واستوى عليه برحمته كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ ٥].

واعلم هداك الله لمعرفة، أن الفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب التي يقوى بها توحيد العبد، ويزيد إيمانه، ويخشع قلبه، وتحسن عبادته: ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوهُ ظُلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [٤٨] ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل/ ٤٨-٥٠].

فالنظر والتفكير في هذا الملكوت العظيم، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا، كله منصوب للاعتبار، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب المكنون، الذي يُدرك في الدنيا بالقلوب، ويُرَى في الآخرة بالعيان: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وقد أمرنا المجيد سبحانه بالنظر في جميع الملكوت؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته فقال: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك، مستعيناً بربك، في أقل المخلوقات جرمًا، وأصغرها حجمًا كالخردلة والذرة والبوضة، رأيت ما يدفع الشك، ويزيل الشرك، ويحقق التوحيد للواحد الأحد، من الآيات الباهرات، والبراهين الساطعات القاطعات: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية/ ٦].

أقام الله هذه المخلوقات والآيات في السماء والأرض للاعتبار في ملكوته، مقام فحوى الخطاب في كتابه؛ تنبيهاً للمبتدئ من أوليائه، وتذكرة للمنتهي: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

وإذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه ، فالكبير والأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة ، وأكبر شهادة: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥٧] ﴿ غافر / ٥٧ 〉 .

فسبحان الملك العظيم ، الذي خلق الكبير والصغير ، وخلق العالي والسافل ، وجعل الكل من دلائل توحيده ، وعبداً من عبده ، يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ ، ويسبح بحمده .

وَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، فرأى الصور ببصره ، ورأى المصور بقلبه ، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء .

ورأى بعقله أنه كلما عَظَّمَ المخلوق عَظْمَ قدره ، وكلما علا محله قويت شهادته ، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته ، ونال بركته ، وخصه بمزيد كرمه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [١٩٠] ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُنَا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١١١] ﴿ آل عمران / ١٩٠-١٩١ 〉 .

وبهذه المعارف يذوق القلب والعقل ، والسمع والبصر- ، حلاوة المعرفة ، وطعم الإيمان ، ويرى ربه يخلق ويدبر وحده لا شريك له : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ محمد / ١٩ 〉 .

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها ، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة الكبرياء ، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد ، لها رَجُلٌ بالتسبيح والتقديس ، والتحميد والتمجيد : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٤٤] ﴿ الإسراء / ٤٤ 〉 .

● التَعْبُدُ لِلَّهِ جَلَّالَهُ بِاسْمِهِ الْمَجِيدِ :

الله جَلَّالَهُ هو المجيد الذي له المجد كله ، والكبرياء كله ، والملك كله ، والخلق كله ، والأمر كله . وهو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد ، أهل الثناء والمجد ، الحق المعبود في السماء

والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف / ٨٤].

فمجد ربك العظيم الذي خلق الخلق، وبسط الرزق، وفرج الكرب، المغيث وقت البلاء، المعين في البأساء، أهل الثقة والرجاء، والحمد والثناء: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِنَّكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل / ٦٢].

وسبح بحمد ربك العظيم، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر / ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووقفك لعبادته، وأثار قلبك بمعرفته، فأكثر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] [الأحزاب / ٤١-٤٣].

وإذا عرفك المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥] [مريم / ٦٥].

واذكر المجيد لخلقه، وبيّن لهم أسمائه وصفاته، وعلمهم شرعه، وعرفهم بنعمه ليحمدوه، وعرفهم بكبريائه ليكبروه، تكن من العلماء الربانيين: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالْقِيَامِ إِحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [١٢٥] [النحل / ١٢٥].

وأنفق مما آتاك ربك المجيد من مال تواسي به الفقير، أو علم تعلم به الجاهل، أو خلق حسن تحلم به على السفية، أو جاه تنفع به المحتاج، أو قول تقيم به الحق، وتعُدّل به المعوج.

وبهذا يحمدك المجيد، ويحمدك أهل السماء، ويحمدك أهل الأرض: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦] [مريم / ٩٦].

واعلم رحمك الله وأسعدك في الدارين، أن المؤمن حقاً من أعمل نفسه ظاهراً وباطناً بما يرضى الله، ونهاها عما يسخطه: ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٦٢] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُكَادِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَتَقَتْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

خَلِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ [التوبة/ ٦٢-٦٣].

واعلم أن كل ما أدركته ببصيرتك ، أو شاهدته ببصرك ، من المخلوقات الصغيرة والكبيرة ، من لدن العرش العظيم، إلى أصغر شيء خلقه الله ، كلهم عبيد أمثالك ، ليس بأيديهم شيء : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان/ ٣].

وإنما الملك حقاً هو الرب المجيد، ذو العرش المجيد، لا إله إلا هو ، رب كل شيء ومليكه ، القائم على كل نفس ، وكل ما سواه عبيد له : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَهَرَ مِنْ الْقَوْلِ بَلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكَرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد/ ٣٣].

فإلى ربك الحميد المجيد فالجأ ، وعليه فتوكل ، وإياه فاسأل ، ولا يشغلك عنه سواه : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل / ٧٩].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكير ، وأحبتن العمل لمن يراك ولا تراه ، واعبده كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب سيد المعتمرين إبراهيم ﷺ حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب ، ثم القمر ، ثم الشمس ، فلما رأى عليها آثار الحدث ، وسمات الصنع ، وقهر التسخير : ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام/ ٧٦].

فلما رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية ، تعبد الله في محراب العبودية ، تخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام/ ٧٩].

فافهم رحمك الله طريق التوحيد ، واسلك سبيل المتقين ، تكن من الفائزين ، فقد ظهر لك الأمر ، وبان لك الرشد : ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

وانظر رحمك الله بالبصر- والبصيرة ، تكن على بصيرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فطوبى وما أدرك ما طوبى .. لقلوب عبرت ساحات المُلْك والملكوت ، فأميطت عنها حُجُب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة، فرأت الخلق والخالق، والصور والمصور، وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبح بحمده.

فأفادها ذلك المعرفة التامة بالرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت به المَلِك من العبيد، فأتته حق تقاته، وعبدته كأنها تراه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥] ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [١٦] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ولم ترض لنفسها شغلاً إلا بطاعة الملك الأعلى فعبدته ، فرفعها إلى المقام الأسنى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة/ ١١].

يسر الله لنا ولكم حسن معرفته، وحسن عبادته وتقواه حتى نلقاه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].

« التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » متفق عليه^(١).

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣١)، ومسلم برقم (٤٠٢).

وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ « متفق عليه (١) .

اللهم يا مالك الملك ، يا خالق الخلق ، يا ذا الطول والإنعام ، يا فعالاً لما تريد، يا مجيد ، يا رب
العرش الكريم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم
الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، يا رب
العالمين.

المقالة . الولي .. المولى

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى / ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨].

الله عز وجل هو الولي الحق ، القريب من خلقه، الولي الحميد ، الذي يوالي جميع خلقه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

بالنعم ، والأرزاق ، والعافية ، والإحسان ، والعون ، والهداية .

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين ، فهو سيدهم ، وربهم ، وخالقهم ، ورازقهم ، ومالكهم ، وحاكمهم : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُزِلُّ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٨)

[الشورى / ٢٨].

وهو سبحانه ولي المؤمنين الذي يتولاهم بالهداية والإرشاد والنصر- والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (١١) ﴿ [محمد / ١١].

وهو سبحانه مولى الذين آمنوا، يمكّن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويجيب دعاءهم، الذي يعتزون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّٰهِ نَصِيرًا ﴾ (٤٥) ﴿ [النساء / ٤٥].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدري ، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصرّف : ﴿ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعُوكَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) ﴿ [آل عمران / ٨٣].

ثم تولاهم بأمره الشرعي ، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ثم ردوا إلى مولاهم الحق ، ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويشيخهم ويعاقبهم حسب أعمالهم: ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلٰهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحٰسِبِينَ ﴾ (٦٢) ﴿ [الأنعام / ٦٢].

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أوليائه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم، ويعينهم على طاعته ؛ لأنهم تولوه بالإيمان به، وحسن عبادته، فتولاهم بالنصر- والتمكين والتوفيق في الدنيا، وأسكنهم الجنة في الآخرة: ﴿ وَهٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآلِيْنَ لِقَوْمٍ يَدْكُرُوْنَ ﴾ (١٣٦) ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴾ (١٣٧) ﴿ [الأنعام / ١٢٦-١٢٧].

والله عز وجل ولي من تولاه، واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه، واتبع هواه، سلط الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّوْرِ وَالَّذِينَ كَفَرُوْا

أُولِيَآؤُهُمْ أَطَّغَوْتُمْ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة / ٢٥٧].

وأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة، هم من استقام على التوحيد والعمل الصالح حتى الموت، فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أُولِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

ومن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوادثه إلى غير مولاه، فقد خسر دينه ودنياه: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَبَدَأَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَهُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام / ١٤-١٥].

واعلم بأن الله هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، وكل شيء تحت ولايته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة / ١٢٠].

فسبحان الولي الحق، الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب بالهداية إلى الإسلام، ثم يغرس في قلبه الإيمان، ثم يحب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ويعينه على ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات / ٧].

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به، مرضياً عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف / ١٠١].

والولاية درجات ، تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق ، فأمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم ، ثم ارتقوا في درج المقربين ، فصاروا أعلاماً للهدى ، يستضاء بنور علمهم : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ [الزمر/ ٣٣-٣٤] .

فسبحان من كشف لهم الحجاب ، حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون به، ويأخذون به، ويعطون به : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك/ ١٢] .

فهم في جزيل عطائه يتقلبون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم .. إن نطقوا نطقوا خائفين .. وإن سكتوا سكتوا وجلين .. وإن عملوا عملوا وجلين خائفين مشفقين من خشية ربهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْفُلْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَدَيْنَا كِتَابٌ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢] .

فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤] .

اللهم اجعلنا وإياكم ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا منهم ، يا ولي المؤمنين أنت حسبنا ونعم الوكيل ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الولي :

اعلم وفقك الله للتعبد له بما يحبه ويرضاه ، أن الولاية انتساب إلى مولاك الذي هداك ،

بأسماء حسنة من أسمائه الحسنی ، واتصافٍ بصفاتٍ كريمة من صفاته العليا، مع إقرار منك برب العبودية له، وتوجيه العمل إليه بخالص الوجدانية ، وانقطاع إليه بالكلية ، وتعظيم له ، وحب له ، وقرب منه في حال النعمة والبلية : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

فالله كريم يحب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم ، ليكرمهم يوم القيامة بجزييل ثوابه ، ومن أجل هذا أعلنها في كتابه ، ودعا عباده إلى الاتصاف بها ، ودعائه بها فقال : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

ومن رزقه مولاه ذلك نال الشرف الأعلى ، وفاز بالمقام الأسنى في الدنيا والآخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧] .

واعلم رحمك الله أن من علامات قبولك في أوليائه ﷺ :

أن يصونك عن الذل لغيره.. ويكفيك ما أهمك .. ويؤمنك من سواه حتى لا تخاف غيره.. ولا ترجو إلا إياه.. ولا تستعين إلا به.. ولا تسأل إلا إياه.

وأن يعينك على نفسك.. ويحيي قلبك بالإيمان.. ويشغل لسانك بذكره.. ويستعمل جوارحك بطاعته.. ويصرف أوقاتك بالتقرب إليه.

ويجعل لك المودة في قلوب عباده.. ويخلصك من أسر عدوه ، حتى تكون في جميع أمورك عبداً له وحده : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۖ دِينًا قِيَمًا مَّالَهُ إِتْرَاهِمُ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأَلْغَىٰ اللَّهُ فِئْتَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلِهَتًا مِّمَّن دُونَهُ لِيُحْزِنُوهُمْ وَأُلْحِقُوا الْفِتْيَانَ بِالْبُقَعَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُغْلَقُونَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ لِلنَّاسِ مِنْ قَبْلِهِ يَوْمَ الدِّينِ ۚ قُلْ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْمُبْهَاتُ كَانَتْ حَرَامًا لِّقَوْمٍ أُولِي الْأَلْبَابِ ۚ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَاتُ وَالذِّكْرُ بِرِيبِ اللَّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ فَخِيرٌ ۚ ﴿١٦٥﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ لِلنَّاسِ مِنْ قَبْلِهِ يَوْمَ الدِّينِ ۚ قُلْ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْمُبْهَاتُ كَانَتْ حَرَامًا لِّقَوْمٍ أُولِي الْأَلْبَابِ ۚ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَاتُ وَالذِّكْرُ بِرِيبِ اللَّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ فَخِيرٌ ۚ ﴿١٦٥﴾

وَزَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيَدَّبِعُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٤].

والله ولي كل نعمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، فأطعه ولا تعصه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ [هود/ ١٢٣].

وعليك بدوام ذكر مولاك الكريم ، يذكرك في نفسه .

واحذر الغفلة ، فإنها تورث كل قسوة ، ثم تموت القلوب بعد حياتها ، وتنقطع الصلة بين العبد وربّه : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ﴿٢٥٠﴾ [الأنعام/ ٢٥٠] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمانت قلوبهم بتوحيده ، وصلحت أعمالهم بطاعته ، وازدانت أوقاتهم بعبادته ، فتقرب إليه بما يجب تكن وليه ، ويكون مولاك : ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فاستقم كما أمرك الله ، وادع إلى ربك ، وانصح لعباده ، ولا تخف إلا الله ، واعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتنب ما يسخطه ويبغضه ، يحبك مولاك ، وينصرك على من عاداك ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » أخرجه البخاري ^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبِوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، يا أرحم الراحمين .
اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبداً ، يا ولي المؤمنين ، يا مالك يوم الدين ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الناصر .. النصير

قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان/ ٣١].

الله ﷻ هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر- كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿وَمَا أَتَّصِرُ إِلَّا مَن عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

وهو سبحانه الناصر القوي، الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء ولا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء، وأذل بجبروته جميع الجبابرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود/ ٦٦].

وهو سبحانه الناصر الذي ينصر- من يشاء، في أي وقت شاء، النصير الذي ينصر- رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/ ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق، الذي بيده النصر- وحده لا شريك له، ينصر- كل من آمن به: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً

بما عندهم من العُدَد والعُدَد نصر- الله المؤمنين عليهم ؛ لأن الله لا غالب له، فهو الملك الجبار الذي قهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج/ ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب ، البالغ مراده من خلقه ، الذي لا يُغلب ولا يُقهر ، لكمال قدرته ، وعظمة سلطانه.

وهو سبحانه الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء ، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء ، وأمره نافذ كيف شاء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٢١].

وهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب ، ولو أن جميع من في الأرض له طالب: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك القادر، النصير الناصر، الغالب القاهر ، الذي أمره نافذ في جميع ملكه ، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أمضى، الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْتَّيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والنصر- بيد الناصر الحق، فمن نصره الله فلا خاذل له، ومن خذله الله فلا ناصر له: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَايْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفعل الأسباب من أسباب النصر- المطلوبة، ولكن النصر- بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال الله للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ ۗ وَمَا

النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٦﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

وأحياناً ينصر الله عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قلتها لبيان قدرته: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأسباب النصر-، إذا تعلق المسلمون بها، واعتمدوا عليها، ليردهم إلى التوكل على من بيده النصر- سبحانه كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ثم أنزل الله سكينته، على رسوله، وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴿١٦﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الذي تفرد بالملك، والخلق، والرزق، والنصر-، والتدبير، الذي ينزل النصر على أوليائه، كما ينزل القطر من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر- مع الصبر.. وبالفرج مع الكرب.. وبالعافية مع السقم.. وباليسر مع العسر... وبالأمن بعد الخوف.. وبالنجاة مع رؤية الهلاك: ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله القوي العزيز، الذي إذا أراد أن ينصر- أحداً نصره ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر/ ٤].

وقد تكفل الله ﷻ بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ [غافر/ ٥١].

فسبحان الناصر لمن شاء، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر، لكمال قوته وعظمته.

هو ﷻ الغالب على أمره، الذي يفعل ما يشاء، لا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبداً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [سبحن الذي

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أعطى، أو يعطي ما منع، أو ينصر- من خذل، أو يخذل من نصر-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق، الغالب القاهر لكل غالب، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه، أو إبعاد ما قرّبه، أو تقريب ما بعدّه، أو إحياء ما أماته، أو إماته ما أحياه، أو قبض ما بسطه، أو بسط ما قبضه، لا راد لما قضاه، ولا معقب لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن الله هو الملك الغني القوي، فلا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].
أما نصرته المؤمنين لربهم فتكون بعبادته، والقيام بحقوقه، ورعاية عهوده، وامتنال أو امره، واجتناب نواهيه، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله.

وهم بهذا يربحون السعادة في الدنيا والآخرة، والنصر في الدنيا والآخرة، والله غني عنهم، لكن أمرهم بذلك ليسعدهم ويثيبهم ويرضيهم: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

فهذه علامات من يستحق النصر والتمكين والاستخلاف .

واعلم رحمك الله أن حقيقة النصر- هي المعونة بطريق التولي والمحبّة، خص الله به خيار خلقه، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون.

والمعونة على الشر- لا تسمى نصراً، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بالمؤمن أنه منصور عليه، بل هو مسلط عليه؛ عقوبة له على ذنب، أو تربية له، كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد، وسلط عليهم الكفار حين عصى بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ .

فإن الله ﷻ يسلط الكفار تربية لعباده ، ليعودوا إليه ويوحده: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾
[النساء / ٩٠].

والله ﷻ قادر على نصر دينه ، وإهلاك أعدائه وحده ، ولكنه عز وجل يتلى عباده بذلك التسليط ، ليربي أوليائه، ويظهر من ينصر. دينه ، ممن يتولى عن نصرته: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحُ بِأَلْمِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ [محمد/٤-٦].

• التعبد لله ﷻ باسمه الناصر :

اعلم وفقك الله لهداه أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له .

فاسأل ربك أن ينصرك على نفسك، لتستقيم على طاعة الله ، وأن ينصرك على هواك ، لتستقيم على هداة ، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين .

وقد بين الله لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه، ولا معين لهم سواه، وذلك لتتوجه قلوبهم له، ويرفعون أكفهم بالضراعة إليه، فيستجيب لدعائهم، وينصرهم على من عاداهم .

فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك القادر، فإنه نعم المولى، ونعم النصير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾
[البقرة/١٠٧].

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [آل عمران/١٦٥].

واعلم يقيناً أن النصر- والناصر مع أهل الإيمان والطاعات ، وأن الخذلان والهزيمة والحرمان مع أهل الكفر والمعاصي : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَضَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنْثِبَ أَقْدَامَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾
[محمد/ ٧-٩].

فاجتهد رحمك الله على زيادة إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية ،

والاستقامة على أوامر الله ، والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأفال/ ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك ، فتقع في المعاصي ، ثم تُحرم النصر. ، وبركة الرزق ، فمن قَصَرَ في الحال ، أخذ في الحال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء/ ١٢٣].

واعلم أن المسلمين لن ينتصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولاً على العدو الباطن، وهو النفس والهوى والشيطان والدنيا.

فمن انتصر على هؤلاء ، نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠) [الحج/ ٤٠].

واعلم أن المؤمن منصور أبداً، فإذا ضعف الإيمان ، نقصت الأعمال، ثم ساءت الأحوال، فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم.

فالإيمان والأعمال الصالحة ، من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين ، فإذا ضعف الإيمان، ونقصت الأعمال، فقد جعلوا العدوهم السبيل عليهم بما تركوه من طاعة الله: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحك الله دين الله بالعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ولن ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (٢) [العصر/ ١-٣].

وانصر إخوانك المؤمنين ، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم ، وتعطيه إياه إن قدرت.

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نُنْصِرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نُنْصِرُهُ ظَالِمًا ، قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري (١) .

واعلم وفقك الله لِمَا يَقْرَبُكَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقٌ إِلَّا مِنْ خَالِقٍ ، وَلَا يَكُونُ مَغْلُوبٌ إِلَّا مِنْ غَالِبٍ ، وَلَا يَكُونُ مَنْصُورٌ إِلَّا مِنْ نَاصِرٍ .

وإن أردت أن تكون غالباً لأعدائك ، فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه .

وقد علق الله ﷻ الهداية بالجهاد فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهاداً .

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا .

فمن استعان بالله ، وجاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

فمن انتصر على هذه الأربعة نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه غلبه عدوه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠] .

واعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر. على نفسه وهواه، ونصر. دين الله، وجاهد في سبيله، فهو منصور في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر/ ٥١] .

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٤) .

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى- الله ورسوله، فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء/ ٢٢].

فهو مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وأسر الشيطان له، فأينما يوجهه لا يأت بخير، بل يأت بكل شر وفساد، وهو يظنه خير وصلاح: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١١٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [١١٤] أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [١١٥] [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٣٧] [الزخرف/ ٣٦-٣٧].

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذِفَ به في السعير، ونُسي- في العذاب كما نسي- دين الله في الدنيا: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ تَكُونُ؟ تَكُونُ كَمَا نَبَّأْتُ لَوِ اتَّخَذَ اللَّهُ عَلَمًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَتَكُونُ كَمَا نُكَلِّمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَهُمْ لَمْ يَحْشُرُوا أَعْمَى﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيَأَيْنَا فَتَنَّا وَتَبَّ عَلَيْنَا حَشْرُ الْيَوْمِ الَّذِي نُنسِي﴾ [١٢٦] [طه/ ١٢٣-١٢٦].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٤٧] [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين.
اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما
أعطيت ، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا
يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

المقالة . القادر .. القدير .. المقتدر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَاقًا وَيُلْقِيَ
بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [٦٥] ﴿ [الأنعام/٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] ﴿ [الملك/١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

الله ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له .

هو القادر الذي له القدرة المطلقة، القادر الذي لا أحد أقدر منه .

وهو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة، الذي كل خلق ورزق وأمر وتدبير فمن آثار قدرته
 ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ الْإِلَهَ
 النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يفوته شيء ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو سبحانه القادر الحق ، الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادراً، ولو سلبها عنه عاد عاجزاً : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْلَمُونَهَا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤].

وهو سبحانه القادر الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، خالق كل شيء، وغالب كل شيء، وقاهر كل شيء: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

فسبحان الملك القادر على كل شيء الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء.

الصغير والكبير.. الظاهر والباطن.. المتحرك والساكن.. القادر على كل شيء.. من الخير والشر، والأمن والخوف، والمحبوب والمكروه.

هو القادر الحق، القدير الحق، المقتدر الحق وحده لا شريك له.

هو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له.

خزائن القدرة بيده.. وخزائن العلم بيده.. وخزائن الأرزاق بيده.. وخزائن الأسماء بيده..

وخزائن الصفات بيده.. وخزائن الكلام بيده.

وخزائن الجماد والنبات والحيوان بيده.. وخزائن المخلوقات بيده.. وخزائن المياه والبحار والرياح بيده.. وخزائن الذهب والفضة والمعادن والذرات بيده.

وخزائن القوة والنصر- بيده.. وخزائن العزة والذلة بيده.. وخزائن الرحمة والعذاب بيده..
وخزائن السماوات والأرض كلها بيده.. وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا لِيُقَدَّرَ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الملك العظيم القادر، لم يشركه في خلق تلك المخلوقات وغيرها شريك، ولم يستظهر
عليه بظهير: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [١١] قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا
يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ
﴿ [سبأ/ ٢١-٢٢].

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، بل هو المعين
لكل أحد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [٣٨]
﴿ [ق/ ٣٨].

فسبحان الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذَاتِ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴾ [٥١] ﴿ [الكهف/ ٥١].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرة واحدة.. ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد..
ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٠]
﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا شَيْعًا عَمَّكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [٥١] ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [٥٢] ﴿ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
مُسْتَطَرٍّ ﴾ [٥٣] ﴿ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله،
القادر على الإيجاد كله.. القادر على الرزق كله: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١]
﴿ [الملك/ ١].

وكل ما سوى الله من القادرين القادرين عز وجل خلقهم، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض،

وسلط بعضهم على بعض ، وهو سبحانه القادر القاهر لكل قادر: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنعام/ ٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى ، بعون القادر وإذنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الصفات/ ٩٦].

فالله جل جلاله كامل القوة والقدرة، أما قدرة القادرين سواه فهي ناقصة بصفتها، محدثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته، ويده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله. خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وقسم البلاء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي. خلق سبحانه العرش والكرسي.. وخلق السماوات والأرض.. وخلق الشمس والقمر.. وخلق الكواكب والنجوم.. وخلق الملائكة والروح. وهو القادر العظيم الذي خلق الجماد والنبات والحيوان.. وخلق الملائكة والإنس والجان.. وخلق الذرات والجبال.. وخلق المياه والبحار، والأشجار والثمار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهذه المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الذي خلقها لا يمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها، وكلها تدل على كمال قدرة الله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَمًا

فسبحان الملك العظيم الملك، القوي كامل القوة، القدير كامل القدرة، خالق كل شيء، ومدبر كل شيء: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فهذا الرب العظيم القادر على كل شيء، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده يستحق به وحده الحمد عليه، فالمخلوقات كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ تُشْرِكُوا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرَؤُنَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فجميع مخلوقاته سبحانه توجب الشكر؛ لما فيها من النعم، وتوجب التذکر؛ لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب، وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فواعجباً كيف يعصى- من هذا خلقه؟ وهذا إحسانه؟ وهذه قدرته؟: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلقَ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون في ضلال مبين [لقمان/ ١٠-١١].

وكيف لا يُعبد ويطاع وهو الكبير الذي بيده الملك، ذو العزة والجبروت، والعظمة والكبرياء! ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ

لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج/ ٤٦].

• التبعّد لله جلالاً باسمه القادر:

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء.

وإذا علمت هذا فعليك أن تحبه وتعظمه، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته، وجميل إنعامه وإحسانه.

وعليك أن تخافه وتخاف عذابه، فإنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه، وعلى كل حال، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

واحذر الذنوب التي تغضب ربك، والمعاصي التي تسخطه، فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك، وهو وإن أهلك لتتوب فإنه لا يهلكك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ [البقرة/ ٣٥].

ولا تياس من رحمة ربك أبداً، وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم أن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء، يقوِّي في قلبه الاستعانة بالله، وصدق الالتجاء إليه، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق/ ٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوب ومكروه بقدر من القادر العليم الحكيم، سلم قلبه من أمراض القلوب، وامتلاً بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة، والصبر على البلية: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ

يُضْرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومعرفة القدير الرحيم تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضى عن الله.

ومن ملاً قلبه من الرضى بالقدر، ملاً الله صدره غنى وأمناً وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبتة
وذكره، وشكره وعبادته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ
رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فكن لله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما
يحبه ويرضاه، يسرك يوم تلقاه حيث لا تقدر ولا ترجع: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا
﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

واعلم أن الأمور كلها بيد القادر المقتدر، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له
، وداوم على سؤاله وحده، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مقاليد الأمور،
يغنيك ويرضيك ويسترضيك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يَا غَلَامُ ، إِنِّي
أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا
اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا
عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »
أخرجه أحمد والترمذي (١).

وإذا قدرت على من دونك من الخلق فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه، لينظر
بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ۗ أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

فَصَلِّ مِنْ قِطْعِكَ ، وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ،
وَاسْتَعْمَلْ قُدْرَتَكَ فِيمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّكَ : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾
[النساء/ ١١٤].

﴿رَبِّنَا أَمْثَلًا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّنَا أَتَمُّ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفَرْنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ،
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

اللهم يا من له العزة والجبروت ، وله الملك والملكوت ، يا عالماً بكل شيء ، يا محيطاً
بكل شيء ، يا قديراً على كل شيء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ،
ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

المقالة ٧. اللطيف

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٤] [الملك / ١٣-١٤].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [١١] [يونس / ٦١].

وهو سبحانه اللطيف البرّ بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم، الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وألطفه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [١٩] [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر- بخفي لطفه، ويرقيهم إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره، ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [١٠٠] [يوسف / ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم، الموصول إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر، وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدر فيه، ولا فكر فيه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [١٩] [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات، ويسمع تسبيحها من بين الكائنات، ويأت بها من بين المخلوقات: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ

مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان/ ١٦].

وهو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع، وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات، وأسرار المصنوعات: ﴿ وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

وهو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلمهم مثقال ذرة: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مَثْقَالَ دَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه اللطيف الذي لا أحد أطف منه، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فاطف: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر/ ٢١]. وهو الملك الحق الذي وسع علمه ولطفه ورحمته جميع مخلوقاته.

اللطيف الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا يرونه، وظهر لعقولهم فهم يعبدونه كأنهم يرونه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان اللطيف الذي لطف أن يُدرك بالكيفية، اللطيف الخبير بكل ذرة في الملك والملكوت، اللطيف بالبر والفاجر، فكلُّ يأكل من رزقه، اللطيف بالكافر حيث لم يقتله جوعاً بكفره: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه ، وتاب إليه من عباده ، فيقبله ويُقبل عليه ، وينعم عليه، الذي يعطي الجزيل ويقبل القليل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [النحل/ ٧].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير ، الذي يعلم الأشياء الدقيقة ، ويوصل رحمته ورزقه إلى عباده بالطرق الخفية: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَانَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ [السجدة/ ٥-٦].

فما يتلى الله به عباده من المصائب.. وما يأمرهم به من المكاره.. وما ينهاهم عنه من الشهوات.. هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف إلى سعادتهم في العاجل والآجل.. كما ابتلى يوسف عليه السلام بالسجن فصبر ، فأعطاه الملك: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْآخِرَةِ وَتَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقَّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل فصبر وأطاع ، فجعل ذريته هم الباقين .. وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [الحديد/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم ما أعظم رحمته بعباده، وما أعظم لطفه بهم، وما أوسع حلمه على من عصاه.

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نقوله ونسمعه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِجْهَالًا لَمْ يَحْتَسِبْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

المقطع ٠١, ٦ واسم اللطيف له معنيان:

الأول: بمعنى الخبير، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الثاني: بمعنى المحسن والمنعم الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم وما ينفعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج/ ٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن ﷻ، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة .

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت .

في خلق المخلوقات كلها .. والإتيان بالأرزاق وتقسيمها .. وأصناف الكفايات كلها .. وتقليب الأحكام والأطوار .. واختلاف الألسنة والألوان والأحجام والأوقات .. وخلق الذوات والذرات .. وخلق الجامدات والمائعات .. واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان اللطيف القدير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، واستودعها في خزائنه العظيمة ، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠١] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٢] ﴿ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرساله الرياح اللوابع ، ثم لطفه في تلقيحها السحاب ، ثم لطفه في حملها السحاب ، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح ، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب ، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [٤٣] يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ [٤٤] ﴿ [النور/ ٤٣-٤٤].

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت ، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض ، وتقطيعه رذاذاً لئلا يهلك من تحته: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ

إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف/ ٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف أرحام الأرض ، وفتحها لقبول الماء والنبات ، حتى ذهبت عروق النبات في الشرى ، وصعدت أغصانه في الهواء .

ثم تأمل حكمة اللطيف ، كيف خلق النبات أزواجاً ، وشعوباً ، وقبائل ، مختلفة الألوان ، والأحجام والطعوم ، رزقاً لخلقه وعباده : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ

الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ

بِاسْقِنَتْ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ [ق/ ٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في فلق الحب والنوى، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين بجذوره، ثم كونه أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدرج نمو الحبة حتى

صارت شجرة شامخة ، مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ

وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

[النحل/ ١٠-١١].

ثم تفكر كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام، وكما يخرج الأفعال من الإنسان ؛ ليذكر عباده أنه القادر على بعث الأموات

من القبور : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت/ ٣٩].

فسبحان اللطيف بعباده الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض، الذي يسوق

لعباده أرزاقهم من بلاد شتى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾

[المنافقون/ ٧].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وساق هذا لهذا بلطفه، وهو سبحانه

الكريم الذي جميع الخلق يتفعمون ويأكلون من موائد نعمه ، وما أكثر ما يجلس الإنسان على

مائدة فيها من نعمه أنواع شتى ، من بلاد شتى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

لا إله إلا الله وله الحمد ، ما ألطفه بخلقه ، وما أعجب لطفه في حسن تدبيره ، وجميل تقسيمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩].
ثم تفكر رحمك الله في النطفة التي خلقت منها الله أحسن الخالقين ، كيف جمعها اللطيف من الغذاء ، وأقرها في قرارها المكين ، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والتراتيب .

ثم تأمل كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام ، ثم صيرها في أطوار الخلق نطفة ، ثم علقته ، ثم مضغته ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان خلقاً آخر : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿١٤﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون / ١٢ - ١٤].

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشراً سوياً ، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة .

فسبحان من خلق من ذلك الماء إنساناً له رأس ، وأيد ، وأرجل ، وأصابع ، وأذنان ، وعينان وغيرها من الأعضاء الظاهرة .

وخلق من ذلك الماء القلب ، والكبد ، والأمعاء ، والمعدة ، والعروق ، والعصب وغيرها من الأعضاء الباطنة : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الطارق / ٥ - ١٠].

فهذه قدرته في خلق فرد من جنسٍ من أحد مخلوقاته .

فسبحان الخلاق العليم ، اللطيف الخبير ، الذي يملك جميع موازين التدبير والتصريف ، والتشكيل والتغيير ، بسلطانه العظيم ، في ملكه الواسع الكبير : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وهو الحكيم العليم :

يسط ويقبض .. ويعز ويذل .. ويعطي ويمنع .. ويغني ويفقر .. ويحيي ويميت .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويعفو عمن يشاء .. ويتقم ممن يشاء .

خلق الكبير والصغير ، والجليل والدقيق ، والكل عنده سواء في الخلق والعلم : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَقْنَ فِي الْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١] .

والكل ملكه .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده ويعبده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره في البسط والقبض ، والعطاء والمنع ، والنفع والضر . هو القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء .

يحيي بأسباب الموت .. ويميت بأسباب الحياة .. وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

هو اللطيف الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه ، ثم يورثهم أرضهم وملكهم ، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعُ ۗ ءَأَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص/ ٧-٨] .

ويعطي المحبوب بالأسباب المكروهة ؛ لأنه اللطيف العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، وحده لا شريك له : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

فسبحان الله ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين ، لا يقضي لهم بشيء إلا كان لهم خيراً لهم .

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم ^(١).

أما الكافر من حيث هو كافر فلا يقضي الله له بشيء إلا كان شرًّا له، إن بسط له أغناه وأطغاه، وإن منعه وقبضه سخط ربه وعاداه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) [التوبة/٨٥].

واعلم أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي، إلى نور الإيمان والسنة والعلم والطاعات، ويقيهم شر نفوسهم الأمارة بالسوء، ويصرف عنهم السوء والفحشاء، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧) [البقرة/٢٥٧].

ويقدر لهم أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه.

ومن لطفه بعباده المؤمنين أن يجعل رزقهم حلالاً في راحة، يحصل به المقصود، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله، وهو عبادة الله، والدعوة إليه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى/١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يتليهم ببعض المصائب؛ ليكفر عنهم إذا صبروا السيئات، ويرفعهم إلى عالي الدرجات، ويكرمهم بجزيل الثواب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة/١٥٥-١٥٧].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩).

• التبعيد لله ﷻ باسمه اللطيف :

اعلم نور الله قلبك بالإيمان أن أول ما يجب عليك من التبعيد لله باسمه اللطيف طلب علمه، فذلك مفتاح التبعيد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى، ومعرفة مسالكه في العالم؛ لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف، في مخلوقاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٤٨].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، التي يحبه عباده من أجلها، بادر إلى التبعيد لله بها ليحبه ربه.

وإذا علم أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته.

فإن العبد، وكل شيء، مكشوف بين يدي اللطيف الخبير، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق؛ لتنال فضله، وتظفر بنعمه وعطاياه، وكن واثقاً بربك الكريم، ومولاك الرحيم، الذي جميع النعم منه.

وارغب إلى ربك في جميع أمورك، واعلم أن من يتحرر الخير يعطه، ومن يتوق الشر. يُوقه، والفضل كله بيد الله وحده، وأعلاه طلب الهداية والعافية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

واعلم رحمك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك، فالطف أنت حسب طاقتك ياخوانك المؤمنين، وخالقهم بخلق حسن، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك، وسعهم بحسن خلقك، وادعهم إلى الله، واصبر على أذاهم، يحبك الله، وتكسب محبة الناس، ومودتهم، وتسلم من أذيتهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

واشغل نفسك ، وقلبك ، ولسانك ، وجوارحك بذكرٍ وشكرٍ مَنْ لُطْفَهُ بِكَ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَفِيِّ ،
وبره إليك واصل في سَرَائِكَ وَصَرَائِكَ ، وحال طاعتك ومعصيتك : ﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

وأنفق مما رزقك الله من علم ومال ، وبر وإحسان ، وتلطف في إيصال برك إلى الناس
بألطف المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا مَنَّةٍ ولا أذى ، ولا كبر ولا احتقار: ﴿ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة / ٢٧٤].

وتذكر ألطف الناس بالناس .. وأرحم الناس بالناس .. وأكرم الناس .. وأجود الناس محمداً
ﷺ ، الذي أننى عليه ربه ، لكمال حسن خلقه بقوله له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم / ٤].
فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه ، وتأدب بأدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه، تكن في الجنة رفيقه:
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب / ٢١].

وأحسن إلى الناس جميعاً فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب
أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق، وكل امرئ حسيب نفسه ،
ورهبين عمله: ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتُ أُولِيَاءُ بَعْضُهُنَّ يَأْمُرُوكَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة /
٧١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي
فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف / ١٥].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً تملأ به قلوبنا ، و يقيناً صادقاً تشرح به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب لنا ، ولا نحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .
اللهم أسعدنا بتقواك ، واستعملنا في رضاك ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك .
يا خبيراً بأحوالنا ، يا عليماً بفقرنا ، يا لطيفاً بالعباد الطف بنا ، وارحم ضعفنا وذلنا وانكسارنا بين يديك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ٧ . الخبير

قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ/ ١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الخبير الذي يعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة.

وهو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) [الأنعام/٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) [الأنعام/٥٩].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) [لقمان/٣٤].

وهو سبحانه العليم الخبير بسائر العباد، وضمائر قلوبهم، وما تكنه صدورهم، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد، وما يجول في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) [الأنعام/١٨].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً، ممن يتقيه ظاهراً ولا باطناً، ثم يجازي كلاً بعمله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) [الحجرات/١٣].

وهو سبحانه الخبير المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) [الأنعام/١٣] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك/١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي أخبره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧) [الحجرات/٨٧].

واعلم نور الله قلبك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، أن الحق ﷻ جعل للمعتبرين في مخلوقاته غنية عن التفكير في ذاته ؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك نور جلاله وعظمته وكبريائه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام / ١٠٣].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته ، وتدعوه الألسن بأسمائه، وتميزه البصائر عن سواه بصفاته وأفعاله: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَسْنَانِكُمْ وَالْوَنُكُورُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) [الروم / ٢٢].

هو الواحد الأحد ، العليم الخبير بكل شيء ، له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى / ١١].

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) [آل عمران / ١٨].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده، فيعطيهما ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم.

يسيطر لهذا، ويقبض عن هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق.

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى ، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء.

لهذا تجد عيش بعضهم مع فقره وبلائه أحسن ، وقلبه لربه أصفى ، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد له حباً وتقوى ؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء / ٣٠].

● التبعيد لله ﷻ باسمه الخبير:

الله عز وجل هو العليم الخبير بما تكنه الصدور، وما تخفيه القلوب، الذي يكشف كل

مخبوء، ويرقب كل مستور، ويعلم السر- وأخفى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
 ٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ﴿[السجدة/ ٧].

ولابد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته، ويتلو كتابه، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ؛
 ليعرف الخالق من المخلوق، والخير من الشر، والحق من الباطل، والنافع من الضار، والباقي
 من الفاني؛ ليُقدم على اليقين من أمره، ويواظب على المشروع من عمله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ
 فَتَرَاهُ مُمْصَقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعَةٌ
 الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴿[الحديد/ ٢٠].

واعلم أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه، كان من أمره على خطر؛ لأنه قدّم الهوى
 على الهدى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿[القصص/ ٥٠].

فكل إيمان وتصديق ومسارة إلى الخيرات، والصبر على الأقدار والأحكام، سببه العلم
 والعمل بخبر الوحي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ ﴿[البقرة/ ٢].
 وكل جهل، أو تكذيب، أو تقصير، أو جزع، أو ظلم، أو كبر، سببه الجهل بخبر الوحي أو الإعراض
 عنه: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٧﴾﴾ ﴿[الجن/ ١٧].

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله،
 والجلد على عبادة الله، بعد تقدّم الخبر والعلم بالله، ووعدته ووعدته، أعطتك ذلك من ذاتها
 ببسر وسخاء، لعلمها بأن ما دعوتها إليه، هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿وَنَفْسٍ
 وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾
 [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخير، ومعرفة خبر الخبير الحق سبحانه،
 ليتبين لها من تعبد، ومن تطيع، وما تصبر عليه، وما أنواعه، وما ثوابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبِكُمْ ﴿١٩﴾﴾

فإن لم تعرف ذلك بالخبر المنزل زَلَّتْ عند المحنة ، وجمحت عند الصدمة ، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبِّئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك ، فلا تفعل ما يسخطه عليك ، ويعلم جميع أحوالك في السر- والعلن ، فلا تبارزه بالمعاصي ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ ۖ فَسُئِلَ عَنْ أَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [الذاريات/ ١٦] ﴿ إِذْ بَلَغُوا الْمَتْلِقَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ [الذاريات/ ١٧] ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [الذاريات/ ١٨].

واعبد ربك بالحب ، مع كمال التعظيم والذل له ، وتقلب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه ، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية ، وهو الرقيب القريب الشهيد: ﴿ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾ [الشعراء/ ٢١٨-٢١٩].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين فعلمها من لا يعلمها ، وانصح لجميع الخلق ، واتبع سبيل المؤمنين ، تكن من الفائزين: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

يا خبيراً بكل شيء ، يا عليمًا بكل شيء ، يا بصيراً بكل شيء ، يا مالكا لكل شيء .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الخبير .
 اللهم يا إلهي ، يا من بيده ناصيتي ، يا عليماً بضعفي ومسكتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ،
 أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل بر تشره ، ومن كل
 خطأ تغفره ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ٧ . الحكيم .. الحاكم .. الحكم

قال الله تعالى: ﴿يَسْبِغُ لَكَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة / ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس / ١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ لِيَكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأأنعام / ١١٤].

الله ﷻ هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته،
 الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص .

وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله ، الذي يضع الأشياء في محالها بحكمته ورحمته وعلمه،
 الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الذي يحكم ولا معقب لحكمه:

﴿أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْعَلُونَ وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الْحُكْمُ يُحْكُمُونَ ۝٤١﴾ [الرعد / ٤١].

[الرعد / ٤١].

وهو سبحانه الملك الحق ، الحكيم الذي أحكم المخلوقات والأمور، ومنعها عن الخروج
 عن حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان الملك

والملكوت كله لحكمه العدل، وأمره الفصل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ ۝٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ الْعِلَّ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْعِلِّ

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۝٥﴾ [الزمر / ٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحسن، الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٥٠].

وهو سبحانه الحكيم الذي لا حكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق منه، الذي سلم له الحكم كله في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير. وهو سبحانه العزيز الحكيم المحمود على حكمه في الدنيا والآخرة.

فهو الحكيم الحق الذي له الحكم القدري على الكائنات كلها، الذي أثره جميع ما خلق وذراً وبراً في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٦] لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحكيم الحق الذي له الحكم الديني الشرعي، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاتِهِ ذَٰلِكَ الَّذِي يُقِيمُ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤] [يوسف/ ٤٠].

وهو الحكيم الحق الذي له الحكم الجزائي في الآخرة، الذي أثره الثواب والعقاب للعباد: ﴿الْمَلِكُ يُومِدُ لِلَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [٥٦] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

فسبحان الملك الحق الذي له الخلق والأمر، والحكم والحمد: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٧٠] [القصص/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له.

أما كمال الحكم: فاعلم أن الحكم كله لله وحده لا شريك له، فهو الذي يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي- فيهم بما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصِّلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [٥٧] [الأنعام/ ٥٧].

وكما أن الله ليس له شريك في الملك، فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة:

﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعَ مَا لَمْ يَرَوْا مِنْ دُونِهِ. مِنْ وَجْهِهِ يُخْرِجُ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَوْتِ وَيُرْسِلُ الرِّيحَ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف / ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، هو الذي يستحق وحده أن يحكم ويُشَرِّع، ويُحَلِّل ويُحَرِّم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف / ٤٠].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله، ويأكلون من رزقه، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعبيده: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة / ٥٠].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة / ٤٩].

ومهمة الخلافة إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَاذِرِينَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النساء / ٥٩].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره: فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فقد خلق الله جميع المخلوقات بالحق، وأوجدها بأحسن نظام، وأتقنها بأحسن إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وصوره أحسن تصوير: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الأنعام / ١٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٧-٦].

وأما الحكمة في أمره وشرعه، فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، ليعرفه عباده، ويعبدوه بما شرع، ومعرفته وعبادته بموجب أسمائه وصفاته

ودينه هي مقصوده من خلقه ، وهي أفضل العطايا منه لعباده ، وهي أشرف الهبات للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وقد اجتبى الله هذه الأمة، وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرّفها كالأنبياء بعبادة الله والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصالحة.

فأخبره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً، وإيماناً، و يقيناً، وعلماً بالله وأسمائه وصفاته، وتعظيماً للرب، ومحبة لله، وحمداً له، و ذلاً له: ﴿ الرَّكْنُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَنَبِيرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [هود/ ٢-١].

وأوامره الشرعية كلها منافع ومصالح تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي النفوس بالطاعات: ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [المتحنة/ ١٠].

ونواهيها كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم، وأبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأعراضهم.

فله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع بأحسن الكتب، وأرسل بها إلينا سيد الرسل ﷺ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته، وأفعاله، وآياته، وأحكامه.

وشهدت العقول بحكمة الحكيم عز وجل، بما شهدته في ملك وملكوت الجبار ﷻ، وخرّت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل

عمران/ ١٨].

فتدبر رحمك الله حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة ، وآياته العجيبة ، ترى ببصرك وبصيرتك رباً حاكماً حَكَمَ كل شيء ، وأحكم كل شيء ، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة ، فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

وانظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السموات والأرض ، وما فيهن وما بينهن من المخلوقات ، والأفلاك ، والتدبيرات ، تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات ، والآيات الساطعات ، الدالة على عظيم قدرة الجبار ، وحكمة أحكم الحاكمين ، بإحكام متقن ، وتدبير عجيب ، وحكم مستمر : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْأَفْلاكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فسبحان من خلق العالم كله على طبقاته ، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته ، من الجماد ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الإنسان : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف / ٨٤-٨٥].

خلق الحكيم ذلك كله بحكمة تبهر العقول ، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة ، ومخلوقاته المتقنة بالشرعة المنزلة ؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، القادر الذي لا أقدر منه ، الرحيم الذي لا أرحم منه ، الحكيم الذي لا أحكم منه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾﴾

[الطلاق/ ١٢].

واعلم رحمك الله أن من رزقه الله بصرًا وبصيرة ، رأى في ملكوت السموات والأرض من عجائب الخلق ، وأنواع المخلوقات ، ودوام التصريف والتدبير ، ما يبهر العقول ، ويكّل دونه النظر ، وينحسر دونه البصر ، ويُرَبِّي على الوصف ، مما لا تدرك كنهه العقول ، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرَوْا مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١] .

فسبحان الرب القادر الحكيم الذي برأ البرايا ، وفطر الفطر ، وركّب الأجسام ، وزوّجها بالأرواح ، فصارت حية تشهد لربها بالوحدانية ، وتقوم له بالعبودية ، وتسبح بحمد ربها ميتة أو حية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨] .

وسبحان القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق ، واختزن الأرزاق في الأسباب ، واختزن الأسباب في الإرادات ، واختزن الأرواح في الأجسام ، واختزن الثمار في الأشجار ، واختزن المعاني في الألفاظ ، واختزن الكل في خزائن السموات والأرض ، وأخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

وسبحان العلي العظيم الذي خلق العالم كله بالحق وللحق ، وركّب العالي على السافل ، واستودع السافل في العالي ، وملاً ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها ، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم ، وعرشه العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْمٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/ ٦-١١] .

والله علي عظيم كبير ، محيط بكل شيء ، استوى على العرش برحمته ، حي قيوم يفعل ما يشاء

بقدرته ، ويحكم ما يريد بمشيئته ، علیم خبير بجميع ما في ملكه وملكوته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

انظر رحمك الله إلى ربك الخلاق العليم ، القادر على كل شيء ، كيف خلق المخلوقات ، وكيف صورها على غير مثال ، فأحسن التصوير ، وقدر فأحسن التقدير ، ثم أخرج ما قدر ، على سواء ما قدر ، بلا كلفة ولا عناء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كَلَمَجٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

فبارك الله رب العالمين ما أعظم ما خلق ، وما أعجب ما أبداع ، وما أحسن ما صور ، وما أحكم ما صنع: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٤﴾﴾ [الحشر / ٢٤].

ثم انظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته ، وجمعهم بحكمته ، لأنه القادر على كل شيء ، الحي الذي لا يموت ، الحي الذي يحيي ويميت .

فلبقائه جلالة أفناهم ، فكل شيء هالك إلا وجهه ، ولحياته جلالة أماتهم ، ولحياته أحياهم ، فلا يموتون يوم القيامة أبداً ، فاستغفر لذنبك : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان / ٥٨].

ولعزه جلالة أذل الخليقة قاطبة ، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة فلا يذلون أبداً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون / ٨].

فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته ، هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق وللحق ، الذي هو الدين القيم .

نشر الحكيم العليم ذلك الحق في أمشاج العالم كله بقدرته ، وأفرغه في قالب الموجودات كلها بحكمته ، وهدى كلاً لما خلقه ، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد ، ويعبده بالتسبيح والتحميد: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ودعا الكل إلى ذلك، ورغب في الإيمان، وحذر من الكفر: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾ [النساء / ١٧٠].

ثم آمن مَنْ عَلِمَ اللهُ أنه يؤمن، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان / ٢٩ - ٣١].

فسبحان الحكيم القادر، الفعال لما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

يسطو ويقبض.. ويعزل ويذل.. ويرفع ويخفض.. ويكرم ويهين.. ويعطي ويمنع.. ويرتق ويفتق.. ويحيي ويميت.. ويهدي ويضل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصِرُّونَ﴾ ﴿٦﴾ [الزمر / ٦].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق الجلي والخفي، والكبير والصغير، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والجامد والسائل، والحلو والمر، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والنور والظلام، والإنس والجان: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [الذاريات / ٤٩].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وحكم الكل بقهره وجبروته.

فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين.

ثم تأمل رحمك الله، كيف جازى الغني الكريم المطيعين على اختلاف طاعاتهم وكثرتها، بما يقابل ذلك وزيادة من الكريم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٧].

وكيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن من حكمة الحكيم العليم ما أظهر من الحكمة ، وخص بها من شاء من عباده .

و الحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخصص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه ما استودع جميع المخلوقات من المنافع والمضار، وهدايته إياها لِمَا قدره لها، واستعماله إياها لِمَا فطرها عليه.

فالملائكة يعبدون ربهم ، ويسبحون بحمده ، ويدبرون أمره ، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله، فهم النازعات ، والمقسمات أمراً ، والملقيات ذكراً ، والصفات صفناً ، والمدبرات أمراً ، والتاليات ذكراً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، والصبر عليه ، وأتباعهم من المؤمنين كذلك: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واستخرج سبحانه حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده ، بما هداهم إليه من إتقان الصنع ، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء/ ٧٩-٨٠].

فسبحان الحكيم الذي أحكم الأمور بما يهر العقول ، من عجائب المخلوقات، وحسن

التدبيرات ، وَحَكَمَ المخلوقات ، وقهر الكائنات : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ [الفتح/ ٧].

وما كان من السفه من بعض الخلق ، من الزور والبهتان، والاستهزاء بالله وآياته ورسله، ورد الحق ونحو ذلك مما خالف الحكمة، فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، عِلْمَهُ وَقَدْرَهُ وَأَذْنَ بِوَقُوعِهِ ، ثم أظهره من فاعلين له ، وأراد وقوعه منهم ، وهم الموصوفون به بفعلهم له ، ومحبتهم له ، فيجزون عليه جزاء مثله حقاً وعدلاً : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [١١٣] وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ [١١٤]. [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فكل فعل منوط بفاعله ، والفعل يضاف إلى فاعله ، لا إلى العالم به ، القادر عليه، مع كونه غير واقع منه.

بل الرب عز وجل يحب الإيمان والطاعات ، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه ، ولا يحبه ولا يرضاه : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر/ ٧].

واعلم أن الله ﷻ له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وأفعاله كلها حق وعدل ورحمة وحكمة وإحسان.

هو الملك الذي يغضب ويرضى .. ويحب ويكره .. ويعفو وينتقم .. ويشب ويعاقب ؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن أسخطه.

وفعله ذلك كله حكمة ورحمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الحكيم الخبير : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ [التين/ ٧-٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعادنا الله منه ، وابتلى الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ، فسجد الملائكة

امثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك.

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله ، وأقطعه وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه في حق مَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي لِإِتْمَامِ كَلِمَتِهِ فِيهِمْ، وإقامة عدله عليهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة/ ٣٤].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره ، عزم على إغواء آدم وذريته: ﴿قَالَ إِنَّا مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْجُورًا لَمَّا تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف / ١٥ - ١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم حتى اتبعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا/ ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوتة، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر / ٦].

فسبحان من خلق خلقاً للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار وبعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون.

والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن يستحق ثوابه وعقابه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسمون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين، كما قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ ، وَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أُبَالِي ، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أُبَالِي » أخرجه أحمد (١).

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٣) .

فلا بد إذاً من طريقتين ، أمر الله بأحدهما ، ونهى عن الآخر ، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من طاعة وعصيان ، والطاعة حكمة ، ظاهرها وباطنها ، والمعصية ظاهرها سفة ، وباطنها حكمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده ، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وهو الحكيم العليم : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ٣٨ ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد / ٣٨-٣٩].

فلو نقص سفة السفهاء من العالم لغلب على الظن أن فاعله كأحد المطبوعات مثل النار لا توجد إلا محرقة ، وكالثلج لا يوجد إلا مبرداً ، وكالثقل يسفل ، ولم تتم الحكمة من الخلق ، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل .

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده ، وخلق الزوج وزوجه ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ، ثم قدم وأخر ، ورفع وخفض ، وأعز وأذل ؛ ليظهر لعباده قدرته في خلقه ، وحكمته في أمره : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٩ ﴿ [الذاريات / ٤٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم ^(١) .

وسبحان من له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وبحكمته قدر لمقتضى تلك الأسماء والصفات أعمالاً ، وخلق لها عاملين ، ثم استعملهم فيها ، وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل ، ثم يلحق العاملين بخواتيم أعمالهم ، فيهدي سبحانه هذا ، ويضل علي هذا ، ويبتلي هذا ، ويحفظ هذا ، ويفتن هذا ، ثم الأعمال بالخواتيم : ﴿ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٥].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

الْجَنَّةِ « متفق عليه (٢) .

والله ﷻ حكيم عليم أوجد الخير كله بنفسه لنفسه ، وأحبه ورضيه من عباده، ووعد عليه الجنة ، وأوجد الشر- كله بقدرته لا لنفسه، بل بحكمته ومشئته : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا لِآيَاتِنِ اللَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١١] .
فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي ، وتوعد العاملين به بالنار .

فمن وفقه الله لما تسمى به ، واتصف به ، سماه الله به ، ووصفه به ، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه ، ومدحه ، وأكرمه ، وأوصله إليه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

ومن أتبع نفسه وعمله ما تنزه عنه ربه ، ورضيه اسماً ووصفاً لنفسه ، انقطع وصله ، وضل عن ربه ، وخالف سبيله ، فكان في الذلة والخسران : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد/ ٢٥] .

فلا إله إلا الله ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين ، وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين ، فنستغفر الله وتوب إليه من الجهل والتقصير : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ وَأُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد/ ١٩] .

واعلم أن الله هو الخالق القادر الحكيم الذي خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له ملائكته ، وغرز فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه ، حين أحضرهم جميعاً صوراً في الهواء كالهباء ، وأخذ عليهم الميثاق ، وشهدوا له بالربوبية ، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٢) ، ومسلم برقم (١١٢) .

ثم استخرجهم بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر، فأقروا له بالربوبية ، وشهدوا على أنفسهم بذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهَلِكُمْ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف / ١٧٢-١٧٣].

ثم ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم، فكانت هذه أظهر من تلك.

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلًا بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا ، ومن صُلب إلى صُلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه ، فكانت هذه الحياة أظهر كثيراً من الأولين.

ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها ، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ .

فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه ، ويُعرضون على منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران / ١٦٩-١٧٠].

وحياة البعث المستقبلية أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم، والناس فيها صنفان: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى / ٧].

فإذا كان يوم القيامة بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الكبرى، وشهدت الشواهد، ونطقت الصوامت، وحق الحق، وحن الحساب: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَوَّقَ بَلَىٰ وَرَبِّي لَلْبُتُّونَ ﴿٧﴾ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن / ٧-٨].

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق: ﴿ يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، العلي العظيم في خلقه وأمره، وحكمه

وعدله ، وبره ورحمته ، وكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته .

واعلم رحمك الله أن سنة الله في الخلق بالتدرج ، كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد والنبات والحيوان ، كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن ، حين ينزل الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء من عباده ، فتدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية في الإيجاد والخلق .

فرب أمر يومه خمسون ألف سنة .. ورب أمر يومه ألف سنة .. ورب أمر يومه سنة ..
ورب أمر يومه شهر .. ورب أمر حصل بأسرع من طرفة عين : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ۚ ﴿٤٩﴾
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر / ٤٩-٥٣] .

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره ، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء ؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك الحق ، رب العرش العظيم ، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفيا ، ويشبههم ثواب الممتنين عليه ، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها ، ويجزي بالحسنة عشر- أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو : ﴿ إِن تَقْرُؤُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَعْفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن / ١٧-١٨] .

فما أغناه وما أكرمه ، إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد ، ويعطيهم بها الجنة ، ويشمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلاَّ تَشْتَرِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمْ الْجَنَّةُ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾ ﴾ [التوبة

[١١١ /

وكما يعاقب على ما لو شاء لَعَصَمَ منه ، كذلك يثيب على ما إليه هدى ، وهو الحكيم العليم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [غافر/ ٦١-٦٢] ، فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عباده.

فأوجد خلقاً من خلقه في سماواته وأرضه يوحدونه ويطيعونه ، ويسبحونه ، ويحمدونه بمحامده التي هو أهل لها.

وأوجد الحكيم أيضاً خلقاً من خلقه في أرضه يكفرون به ، ويكذبون عليه ، ويعصون رسله ، ويصفونه بما لا يليق بجلاله ، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم.

بل تراه ﷺ ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض بنصر. المظلوم ، وإهلاك الظالم أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به ، وعصى أمره ، وربما عجل الانتقام لنفسه ، وربما أخر المظالم إلى يوم القيامة ، فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانَ ۗ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ

وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم/ ٤٧-٥٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن ، وعفا لعباده عنه ، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم ، وهذا كله من فضله ، وسبب رحمة غضبه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه ^(١).

فانظر رحمك الله إلى عدل ربك ، وحسن معاملته ، وكريم عفوه ، ولطيف تدبيره ، وسعة رحمته ، وعظيم إحسانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧١٥) واللفظ له .

بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه/ ٥-٨].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته، وقهرت كل شيء عزته، وأحاطت بكل شيء قدرته، وأحصى كل شيء علمه، وبلغ كل شيء لطفه، ووسعت كل شيء رحمته: ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر/ ٧-٨].

الخلق كلهم عبيد له، وهم جميعاً في قبضته، وحياتهم وموتهم بيده، وكلهم يعيشون في عز ملكه، وقهر سلطانه، وسعة رحمته، وسابغ نعمه .
فما أحكمه ، وما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله كيف ينكره مَنْ جَبَلَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْهَدَهُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ ، وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه ، وكيف يعجزه من ناصيته بيده ، وكيف يستنكف عن عبادته مَنْ هُوَ عَبْدُهُ وَمِثْلُكَ : ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

وكيف يعبد مَنْ دونه مَنْ بَقَاؤُهُ وَفَنَائُهُ بِيَدِهِ : ﴿١٦﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ [الحج / ٤٦ /

فسبحان الملك العظيم ، الذي عالم السموات والأرض ، وعالم الليل والنهار ، وعالم الدنيا والآخرة ، شعبة من سلطانه ، وخزائن السموات والأرض شعبة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى — : ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه ، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه

وقدرته ، وليعرف الناظرين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولتدين الخلائق كلها لعزته ، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهه ، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحكيم:

اعلم رحمك الله أن أسعد الناس من آمن بالله ، ورضي بحكم أحكم الحاكمين وسلّم لأمر رب العالمين ، واستقام على التوحيد والدين: ﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [نح من أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون] ﴿٣١﴾ ﴿تَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة ، الحكم الذي لا أحد أحكم منه ، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة ، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم ، وكل حكمة وأحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

واعلم رحمك الله أن الحكمة أجل شيء يكرم الله به عبده .

والحكمة من حيث العلم : هي معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والحكمة من حيث الفعل : هي جمع الأضداد ، وقرن المتعاصيات بحسن التدبير .

وأصل الحكمة : إصابة الصواب ، وموافقة الحق ، والعدل في القول والعمل .

والحكيم مَنْ وضع الشيء في موضعه ، وتزكى بالإيمان والتقوى ، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى ، وزم العسرى باليسرى ، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان / ١٢] .

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة ، فهي الجوهرة العظمى ، والهبة السننية العليا ، وتعرفها حق واجب على أولي الألباب ، وفرض لازم على من رغب في الزلفى إلى ربه ،

وحسن المآب : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

ومن أراد الله به خيراً آتاه الحكمة التي تُذهب الشك ، وتُجَلِّي الرِّيب ، ويعرف بها العبد الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال .

والحكمة الحق هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهي أصل الفضائل والخيرات والمعارف، وتلك جوهرة ثمينة ، يخص الله بها من يزكو بها ممن يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة / ٢٦٩].

وبالحكمة يزداد النور في القلب، ويصح الإيمان، ويحصل اليقين ، ويكمل العلم ، ويتم السرور ، وتحصل حلاوة الطاعة ، ولذة العبادة .

فاستوفز نفسك في طلبها ، وخذ منها حظك ، واستجزل من أقسامها قسَمك : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

واعلم أسعدك الله في الدارين أن من حكمة من يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء ، ويقلب أحوالهم كما شاء :

فسراء وضرء .. وشدة ورخاء .. وسلم وحرب .. وأمن وخوف .. وقوة وضعف .. وعافية وبلاء .. وصحة ومرض .. وغنى وفقر .. وخصب وجذب .

يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله ليريهم لا يعذبهم ، ولا لزيادة أدب ، أو إسراف في نَصَب ، أو تعذيب أو انتقام ، بل ليعرفهم الحكيم الحق بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ليعبدوه ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات .

فهو الرحيم الذي يملك الرحمة ويحب من يسألها ، ويحب من رحم بها .

وهو الرزاق الذي يملك الرزق ويحب من يطلبه ويحب من ينفقه .

وهو الشافي الذي يملك الشفاء ويحب من يسأله ، وهو المؤمن الذي يملك الأمن

ويحب من يسأله ويحب من ينشره: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاجتهد في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبّد لله بمقتضاها، وادعه بها تكن ربانياً.

فهو التواب الذي يحب التوبة، ويحب التائبين، المحسن الذي يحب الإحسان، ويحب المحسنين، الكريم الذي يحب الكرم وكل كريم، المؤمن الذي يحب الإيمان، ويحب المؤمنين: ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْحَانَ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحب الرب.

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمّله، ولا يُحرم سائله، ولا يقطع رجاء من رجاءه، أن يعيننا وإياك على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يعصمنا جميعاً من الشرور والفتن، والتسويف والكسل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وأسأله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان، وحيّره العمى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة/ ١٦].

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم، وعلمك ما لم تكن تعلم: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

فإذا أتاك الحكيم الحكم والحكمة: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٢٦].

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة من أنعم بها عليك، وأعط كل ذي حق

حقه، فلك حقوق، وعليك حقوق.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» متفق عليه ^(١).

وأحكم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات، وسابق في الفضائل والطاعات، تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد / ٢١].

وأفعل الخير وعلمه، ودل الناس عليه، ورغبهم فيه، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿يَبْنِي أَقْمِرَ الصُّكُوءَ وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ [لقمان / ١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة، وعدوك من شياطين الإنس والجن، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة، واعتصم بالله وحده يكفيك شرهم وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة / ١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك، فهو الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتديراً، قضاءً وقدراً، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، فهو كتابه الكريم في بركاته، الحكيم في أسلوبه، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿كُنْتُ أَهْمُ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود / ١].

فتعلمه وعلمه واعمل به تكن من الربانيين: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيَٰنَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٩).

﴿رَبَّنَا أَمْثَلِمْا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ

وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم^(١).

يا من بيده ملكوت كل شيء ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الرازقين ، يا رب العالمين ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وعملاً صالحاً ، وحلالاً طيباً ، ونسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا ولي الصالحين .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .

الشكور .. الشاكر

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٧]

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠) .

وقال الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [١٤٧]

[النساء/ ١٤٧].

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] [الأأنعام/ ١٦٠].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويشيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر.

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦] [العنكبوت/ ٦].

وهو سبحانه الشاكر الحق ، الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويشيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [١٧] [التغابن/ ١٧].

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل، ويعفو الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويذكر مَنْ ذكَّره، ويزيد مَنْ شَكَرَه، ويرحم من استرحمه من عباده: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ [٢٩] [يوسف/ ٢٩-٣٠].

ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً كثيرة: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْطِئُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢٤٥] [البقرة/ ٢٤٥].

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي ولا تضاعف، ويمحوها بالتوبة

والاستغفار ، ثم يبدلها حسنات ، ثم يضاعفها ؛ لأنه وحده الغفور الشكور .

ومن كفر بالله ، وفعل الكبائر من قتل أو زنى ، ثم مات ولم يتب ، ضاعف له العذاب يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ ٦٨ ﴾ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلَدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ٦٩ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ ٧٠ ﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠] .

واعلم رحمك الله أن جميع النعم التي يتنعم بها الخلق من رزق وعافية، وأمن وسرور، وأهل ومال وولد، كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ۗ ٥٣ ﴾ [النحل / ٥٣] .

وواجب جميع الخلق أن يشكروا ربهم على كل نعمة ، باستعمالها في طاعته ، والتقرب بها إليه ، فإن كفروها ولم يشكروها ، تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۗ ٧ ﴾ [إبراهيم/٧] .

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويثني عليه، ويشبهه على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۗ ١٠٠ ﴾ [التوبة/١٠٠] .

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء، أفلا يشكرون له حُسن الكرم والعطاء: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلْسَّكُونِ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۗ ٦١ ﴾ [غافر / ٦١] .

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله ، ويده الخير كله .

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية ، ويشكر بها من أطاعه، ويشبه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده ويرحمهم ، ولا يحب عقابهم: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۗ ١٤٧ ﴾ [النساء / ١٤٧] .

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال ؛ لما يرى من عظمة جلاله ، وعظيم خلقه وآلائه ، وكريم عطائه وإحسانه : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان من أكرم عباده بكل شيء ، وأعطاهم كل شيء ، ورزقهم من فضله ، وأطعمهم من رزقه ، وأسكنهم في أرضه ، وأكمل لهم دينه ، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى .، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٢٠) [لقمان/ ٢٠].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما أعظم نعمه على عباده ، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه : ﴿ وَعَآتِكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤) [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم ، لنفع أنفسهم ، ومواساة بعضهم ، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة ، وخبأه لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر ؛ لأنه الغفور الشكور : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٤٥) [البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان الرب الشكور ، الشاكر لعباده ، الذي لا يضيع عنده عمل عامل ، بل يضاعف الأجر بلا حسابان ، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين ، ويذكر الذاكرين ، ويتقرب إلى المتقربين : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يردُّ ثَوَابَ الْأَخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٥) [آل عمران/ ١٤٥].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ

أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتَهُ هَرْوَلَةً ۝ متفق عليه (١).

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي أنعم به عليه، وأعانه على إنفاقه في سبيل مرضاته.

وإذا ترك العبد شيئاً من أجله، أعطاه أفضل منه، واستعمله في طاعته.

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة، ووقفهم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك.

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر- أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦١].

ويجزى الشكور على العمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي، عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة.

فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيله، أعاضهم الله بأن حبب إليهم الإيمان، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وصلى هو عليهم وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾ [الأحزاب/ ٤٣].

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله، أعاضهم عنها أن فتح لهم البلاد، وملّكهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿النور/ ٥٥﴾.

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه، وما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه وأطاعه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ ﴿هود/ ٦١﴾.

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعضيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير، وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ ﴿الإسراء/ ١٨﴾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أخرجه مسلم ^(١).

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ النَّارِ بِأَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ يُعْطِي أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا وَعَمَلًا مِثْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ.

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبَادِهِ يَقُومُ لَهُ مَقَامًا يَرْضِيهِ بَيْنَ النَّاسِ فَيُشْكِرُهُ لَهُ، وَيُنَوِّهُ بِذِكْرِهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ، كَمَا شَكَرَ لِصَاحِبِ يَسَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿يس/ ٢٥-٢٧﴾.

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي؛ لأنه كريم شكور، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿يونس/ ٦٠﴾.

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِهِ الشُّكُورُ :

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها.

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم ، المحسن الشكور ، الرحيم الغفور ، ويبغض العبد الكافر البخيل ، الظالم الفاسد ، المجرم الخائن .

ولما كان الله هو الشكور الحق ، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضدها .

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى ، فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين .. شكور يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين .. عفو يحب العافين .. جميل يحب أهل الجمال .. كريم يحب أهل الكرم : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

ويبغض الكافرين والمشركين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى- أسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَذْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج/ ٣٨].

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها، وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين ، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليشكروه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر، والعقل والقلب وغيرها ؛ ليتذكر هذه النعم ، ويشكر من أنعم عليه بها : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨].

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك،
يذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ
رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً، واشكره كثيراً، وكبره تكبيراً: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا
اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده، على كل خلقٍ خلقه ، وعلى كل
أمرٍ أمره ، وعلى كل رزقٍ يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها: ﴿فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَدُو
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

وقد غر الشيطان أكثر الخلق ، فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر-
والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه
من دون الله ، مع ظهور البرهان للبصير والأعمى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ
إِفْكَارًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا
لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت/ ١٧].

فلا إله إلا الله ، كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غر منهم وصرّ فهم لعبادته من دون الله :
﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا/ ٢٠].

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على
ما يأتيك من الأذى في سبيله ، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [1]

واعبد ربك بما يحبّه ويرضاه ، لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشتغل عنه بنعمه ، ولا تبع هداه بهواك : ﴿ بَلِ اللّٰهُ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ ﴾ [الزمر / ٦٦].

﴿ رَبِّ اَوْزِعْنِيْ اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيْ اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَاٰلِهَيْ وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَاَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصّٰلِحِيْنَ ﴾ [النمل / ١٩].

﴿ رَبِّ بِمَا اَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ اَكُوْبَ ظَهِيْرًا لِّلْمُجْرِمِيْنَ ﴾ [القصص / ١٧].

« اللّٰهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ اَنْتَ قِيَمُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ اَنْتَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيْهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ اَنْتَ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيْهِنَّ ، اَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللّٰهُمَّ لَكَ اَسْلَمْتُ ، وَبِكَ اَمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِيْ مَا قَدَّمْتُ وَمَا اَخَّرْتُ وَاَسْرَرْتُ وَاَعْلَنْتُ ، وَمَا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنِّيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ « متفق عليه ^(١) .

يا من له خزائن السموات والأرض ، يا واسع العطاء ، يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا رب العالمين .

اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

المقالة IX . الحليم

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمُوا اَنْ اللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوْهُ وَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ﴾ [البقرة / ٢٣٥].

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم ، الذي يُدِرّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

معاصيهم ، وتكرار زلاتهم ؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده ، يمهلهم كي يتوبوا وينيبوا ، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم : ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّۙ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖۙ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة ، الذي لا يعجل على من أذنب بالعقوبة ، الحليم على من كفر به وأشرك من خلقه ، يمهلهم ويرزقه كأنه لم يعصه ، لعله يتوب إلى ربه ، ويستغفر من ذنبه : ﴿وَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِيْۤ اَنْفُسِكُمْۙ فَاحْذَرُوْهُۗ وَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة / ٢٣٥] .

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها ، ولا يؤخرها عن وقتها ، ولا يعجلها قبل أوانها .

فسبحان الحليم الغفور ، الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم ويؤخر العقوبة ، لعلمهم يتوبون ، ويستر على آخرين ويغفر ، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوْا مَا تَرَكَ عَلٰۤى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍۙ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ اِلَىۤ اَجَلٍ مُّسَمًّىۙ فَاِذَا جَآءَ اَجَلُهُمْۙ فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِعِبَادِهٖۙ بَصِيْرًا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر / ٤٥] .

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة ، وتركه معاجلتهم بالعقوبة ، ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء ، وإنما حلمه وغفوه عنهم رحمة بهم ، لعلمهم يتوبون إليه : ﴿وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مِيْلًا عَظِيْمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء / ٢٧] .

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد ، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْۙ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَلِيْمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب / ٥١] .

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ، ويصفح عنهم ، رحمة بهم ، مع استغنائه عنهم ، وشدة حاجتهم إليه : ﴿سُبْحٰنَهُۥ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس

إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه كريم رحيم يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البرّ التقي، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يبقي الناسك الذي يؤمن به ويعبده.

فسبحانه ما أوسع حلمه، وما أعظم رحمته بعباده: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْعَذَابَ الَّذِي لِي بِهِمْ شَدِيدٌ وَهُمْ فِي حَالٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج/ ٦٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله صلى الله عليه وسلم إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافهم ويرزقهم » متفق عليه (١).

واعلم أن الله حلیم على عباده ، رؤوف بهم، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم ، فيزيدون في الإعراض والمعاصي.

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال ، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدَكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأفال / ٣٢].

واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط ، أما في الآخرة فهم مخلدون في النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

والله غفور حلیم ، ولو لا حلمه على الجنة ، ومغفرته للعصاة ، ما ترك على ظهر الأرض من دابة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر / ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض تستأذن السماء والأرض أن تقع وتزول من شدة ما يأتي به العباد من الكفر والفسوق والعصيان، وتكاد تنفطر من ذلك، ولكن الحلیم يمسكها ؛ لئلا تزول وتقع على

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

من عصى- الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الحليم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى ، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأنفال/ ٣٣].

فدفع الحق سبحانه تلك بتلك ؛ لأنه الحليم الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » متفق عليه^(١).

فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كفر الخلق ، ومعاصيهم ، وظلمهم ، أرضاه تسييح الملائكة الذين يملؤون السموات ، وتسييح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له ، وعبادتهم له: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْكَبُوا فَإِلَّا زَيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ [فصلت/ ٣٧-٣٨].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وحده لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له .

والمخلوق قد يسميه ربه ﷻ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليفة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

والحلم نور الباطن في العبد ، وزَيْن الظاهر منه ، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، وتوجيهها لمن ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي الحكمة .

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق ﷺ ، وكلُّ يؤتية الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقر/ ٢٦٩] .

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء .

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به ، لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٣] أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٧٤] [المائدة / ٧٣ - ٧٤] .

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم ، وتدييره الحكيم ، ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون .

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يصبر عليه .

وهذه حكمة في خلقه وأمره ، فصلها من نعوت جلاله ؛ ليُعبد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .

يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحدده ومن يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين .

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده
 الأسماء الحسنى ، والصفات العلي : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢ - ٢٤] .

فسبحان الله ما أعظم أسماءه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره
 على من كفر به وعصاه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ،
 أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » متفق عليه ^(١) .

هو صلى الله عليه وسلم الملك القوي القادر القاهر ، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفر منه شيء ، ولا يغيب عنه
 شيء .

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق ، ودينه الحق ، وكتبه حق ، ورسله
 حق ، بيده الملك والخلق والأمر كله .

هو الملك الغني القوي ، الذي تفرد بالملك والملكوت ، الذي لا يعبا بما سواه ، ولا يطيع من
 خالفه وعصاه : ﴿ وَكَوَأَتَعَاقَبَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ [المؤمنون / ٧١] .

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به ، ويعبده ، ويطيع أمره : ﴿
 وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء / ١٩ - ٢٠] .

وجعل في الأرض من يؤمن به ، ويصدق رسله ، ويعبده ، ويطيع أمره ، كما جعل فيها من
 يكفر به ، ويكذب رسله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢﴾ [التغابن / ١ - ٢] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له .

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، ورجبهم في الإيمان والطاعات ، وحذرهم من الكفر والمعاصي ، وبين لهم العاقبة ، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢ ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ [الإنسان/ ٢-٣] .

فلا إكراه في الدين ، ولا يخرج أحد عن مشيئته وعلمه ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون ، والله عالم بما كان وما يكون .

فمتى يفقه من حبسه الشيطان أو الهوى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٩ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠ ﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٣١ ﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١] .

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ، ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك في رهبوه ، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره .

أما صفاته العليا ﷻ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كقوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ ﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر- / ٢٢-٢٤] .

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته ، وإمهاله وترك معاجلة الظالمين بالعقوبة ، مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله .

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده ، يعافيهم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ

إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة / ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار ﷻ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم : ﴿ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ط
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف /
٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم
حلم الله، وإحسانه، وعفوه، وسعة رحمته ومغفرته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا
كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الرحمن الرحيم، الذي كتب على نفسه الرحمة، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا أَوْ جَهَلَ بِهَا فَتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام / ٥٤].

ألا تراه ﷻ وهو رب العزة والجلال، والجبروت والكبرياء، القوي القادر على كل شيء
، يحلم على العصاة، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها، لعلهم يرجعون إليه، لسعة
حلمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥].

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم.. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل..
ويستر حتى كأنه ليس يبصر.. ويُنعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه.. وبإيذاء
أوليائه يسرونه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾
[الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الواسع الكريم الحلیم، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً،
اللهم لا تؤاخذنا ﴿ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فَنُنكَرُ نَفْسًا مِنْ دُونِهَا وَمَنْ نَسَى فَمَا جَاءَ
نَسْيًا أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحلیم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقريباً إليه.

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حلیم على من عصاه ، أن يحلم هو على من خالف أمره ، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق ، وتستجلب بحلمك بهم لك ، ورضوان الله عنك : ﴿ وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢٢]

[النور / ٢٢] .

وكما تحب أن يحلم عليك مالكك ، فاحلم أنت على من تملك ، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، واکره لغيرك ما تكره لنفسك ، وأحسب إلى الناس كما أحسن الله إليك : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴾ [٧٧]

[القصص / ٧٧] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ ، أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه ^(١).

واحذر غاية الحذر أن تعصي- ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك ، فتتمادى في عصيانه ، وتتكلم على عفوه ، مع الإصرار على عصيانه ، فإنه وإن كان الحلیم الكريم ، فإن أخذَه أليم ، وبطشه شديد : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

فسبحانه ما أعظم حلمه مع كمال علمه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [٥١]

[الأحزاب / ٥١] .

وإذا علمت عظمة ربك ، وعرفت جزيل إحسانه ، وأدركت سعة حلمه ، ورأيت شدة بأسه ، فبادر إلى طاعة ربك الحلیم الغفور الشكور ، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحلیم : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦ - ٨] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته ، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق ، فإنه يراك ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واشكر من أنعم عليك بنعمه ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله ؛ لتنال أجراً لا تحلم به : ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر/ ١٠].

ويسهل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله ، معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله.

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج/ ٥].

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم/ ٦٠].

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، والعافية بعد البلاء ، ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً : ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع

وإن عادوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ،
ولك العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة : ﴿ يَبْنِيْ أَيْمِرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان / ١٧] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران /
١٤٧] .

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٥٠]

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ
بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا
أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١) .

يا جزيل العطايا والمواهب ، يا واسع الرحمة والمغفرة ، يا رؤوفاً بالعباد .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأؤا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ،
وإذا منعوا حمدوا ، وإذا ابتلوا صبروا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

العفو

قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿١٤٩﴾ [النساء / ١٤٩].

الله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، وسع عفوه الوري، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر عن عباده من الذنوب: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً، وكل أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته، كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته، كما هو مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ [النساء / ٨٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف / ١٩٩ - ٢٠٠].

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن

المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم ، والانتقام منهم ، وحرمانهم من نعمه : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل/ ١٨] .

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم ، فلا يستوفيها منهم إذا تابوا ، وأنابوا ، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي ، ثم تاب إليه ورجع ، فرح بتوبته ، وغفر له جميع ذنوبه : ﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

واعلم رحمك الله أن من عفا الله عفا الله عنه ، ومن غفر الله غفر الله له ، ومن أحسن الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن / ١٤] .

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق ، ورغب في الحلم والصبر على الأذى ، وقبول الأعذار من سائر الناس ، رجاء رضوان الله وغفرانه : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢] .

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس ، فسيعطيه أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى / ٤٠] .

فسبحان الكريم الذي يمحو السيئات ، ويستر الزلات ، ويغفر الذنوب ، ويعز مقام من عفا من عباده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور ، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته ﷻ ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار ، فعفوه ومغفرته ﷻ وسعت جميع

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) .

المخلوقات والسيئات ، والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ﴿٤٣﴾ [النساء / ٤٣] .
 والكفر ، والشرك ، والذنوب ، والجرائم ، والتقصير الواقع من الخلق ، كل ذلك يقتضي-
 العقوبات العاجلة المتنوعة ، ولكن عظمة عفو الله ، وسعة مغفرته ورحمته ، تدفع هذه
 الموجبات والعقوبات : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا
 مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ
 بَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [فاطر / ٤٥] .

وعفو الله ﷻ نوعان:

الأول: عفو العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم ، برفع العقوبات
 المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم ، فهم يؤذونه بالشرك والسب
 والمعاصي ، ويعصونه بنعمه ، وهو يعافيهم ويرزقهم ، ويمهلهم ولا يهملهم ، وقد
 يتبليهم بالمصائب ، لعلهم يتوبون ويرجعون إليه : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
 وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا
 مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [النحل / ٦١] .

الثاني: عفو الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين ، والعابدین والداعين ،
 والمصائب وغيرهم ، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه ، وغفر له ، مهما كان
 ذنبه : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣-٥٤] .

فسبحان من وسع حلمه وعفوه العالمين ، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام ،
 والثواب أحب إليه من العقاب .

• التبعيد لله ﷻ باسمه العفو:

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ، ولو لا حلمه وعفوه على من كفر به وعصاه لعاجله بالعقوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكّرهم به ويردهم إليه ؛ ليستغفروا ويتوبوا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [المؤمنون / ٧٦].

فإياك والإصرار على ما يسخط ربك ، فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٩٥﴾ [المائدة / ٩٥].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيده وعبادته بما شرع، وتحصيل الصفات التي يحبها الله، وهي أسماؤه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

ومقصوده من خلقه في الآخرة تكميل الشهوات التي يحبها العبد، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة، وتعذيب من كفر به وعصاه بالنار: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ ﴿٨٦﴾ [مريم / ٨٥-٨٦].

فاعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرّمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصفح عمن آذاك، واصبر على ما أصابك: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف / ١٣٩].

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك ، ويشيك أجزل الثواب: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ [الشورى / ٤٠-٤١].

واعلم أن العفو خلقٌ عظيم لا يتصف به إلا كريم ، فكن أنت ذلك ، تنال من ربك العفو والغفران ، والجنة والرضوان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران / ١٣٣ -

. [١٣٥]

واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فأتبع السيئة الحسنة تمحها: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ [هود / ١١٤].

ومن عفوهِ سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته ، فاصبر واحتسب؛ لتنال أجر الصابرين: ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر / ١٠] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن سَبَبْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » أخرجه أحمد وابن ماجه ^(١) .

يا عظيم العفو والصفح ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة .

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وستره وعلايته ، يا عفو يا كريم .

الغفور.. الغفار.. الغافر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٦٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ [ص / ٦٥ - ٦٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَاطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ ﴿٣﴾ [غافر / ٣] .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويستر عيوبهم ، ويصلح أحوالهم .

وهو سبحانه الغفار السَّيِّر ، الذي يستر ذنوب الخلق ، فلا يكشف أمر من عصاه ، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

وهو سبحانه العزيز الغفار ، الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره ، وإذا عاقب أوجع ؛ ليعلم العباد سعة مغفرته ، وشدة عقوبته ، فيطيعونه ويعبدونه : ﴿ نَبَأَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

وهو سبحانه الغافر الحق ، الذي يستر على المذنب ذنبه ، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحه ، لعله يتوب إليه ويستغفره : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه/ ٨٢] .

فسبحان العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالغفران موصوفاً .

وكل الخلق مضطر إلى عفو ومغفرته ، ومضطر إلى رحمته وكرمه ، ومضطر إلى حفظه وعونه : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

وهو سبحانه الغفور الغفار الحق ، الرحيم بعباده ، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم ، صغيرها وكبيرها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [ص/ ٦٦] .

وهو الكريم الذي ينادي المذنبين ، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار ، ليغفر لهم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر/ ٥٣] .

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت ؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد : ﴿ إِنَّ رَبِّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم / ٣٢] .

والله ﷻ غفور رحيم ، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ

لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات ، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم ، لكمال حبه للعتو والإحسان إلى خلقه .

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر ثم تاب تاب الله عليه ، ومن لم يتب يضاعف له العذاب ، ويخلده الله في النار ، بسبب كفره وذنوبه : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠] .

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش ، فيقتربها بحجة أن الله غفور رحيم ؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين ، الذين عملوا السوء بجهالة : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإسراء / ٢٥] .

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ، ورحمة عظيمة للعباد ؛ لأن الله غني عن العالمين ، لا ينتفع بالمغفرة لهم ، ولا يضره كفرهم ، كما لا ينفعه إيمانهم ، ولا يغفر لهم خوفاً منهم ؛ لأنه ﷻ غني قوي عزيز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر / ٢٨] .

ولا زال ولا يزال ﷻ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم ، فمن تاب إليه قبيل توبته وغفر له ، ومن أصر على المعاصي ، وأبى التوبة ، عاقبه بجرمه : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد / ٦] .

فسبحان مالك الملك ، العزيز الغفور ، الذي يجود على جميع العباد بالمغفرة والرحمة ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويقلب عشراتهم ، ويضاعف حسناتهم : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [آل عمران / ١٢٩] .

والله ﷻ غفور رحيم ، يغفر للمستغفرين ، ويغفر لمن لم يستغفره ؛ لأنه هو الغفور ، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء / ١١٠] .

والله عفو غفور ، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة ، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء/ ١١٦].

ولما يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه ، وسعة مغفرته ورحمته، ومحبته لذلك قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُدْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم^(١).

والله عفو واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل أن يغفر الله من الذنوب ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٢٥].

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان:

الأول: عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴾ [الكهف / ٥٨].

الثاني : خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا ، غفر الله لهم سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢].

فسبحان الغفار الحق ، الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم إذا استغفروه وتابوا إليه ، من مؤمن ، وكافر ، ومشرك ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣].

• التعبد لله ﷻ باسمه الغفور:

اعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ أرأف من ملك ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

وأرحم من قدر، وخير من غفر فاللهم ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيُّ الْغَفِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف / ١٥٥].

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته، فهو رب كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل ذنب.

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن، ما تعلمه منها وما لا تعلمه، فإن ربك واسع المغفرة، والمغفرة أحب إليه من العقوبة، واغفر لمن أخطأ في حقك، يغفر الله لك.

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووضع نعمه بين يديك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم / ٣٢].

فاستح منه، ولا تستعمل نعمه في معصيته، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه، فإن عصيته فاستغفره، فإنه غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك، فقف خاشعاً بين يديه: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٦١﴾ [الإنسان / ٢٥-٢٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه^(١).

ثم استغفره من كل ذنب، واسأله العفو عن كل هفوة، وستر كل زلة، من تقصير في عبادة، أو رياء في عمل، أو ترك واجب، أو تأخير فرض، أو إهمال حق، أو ترك الأمر بالمعروف،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخْلَقَاتٍ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغُكُمُ فِي مَاءٍ آتَاكُمُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات ، كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات ، والله كريم يشكر هذا ، ويغفر هذا ؛ لأنه الغفور الرحيم: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واعلم أن حق الله عظيم ، وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر- ، فإن أردت الفلاح والنجاة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ٣].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(١).

الحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل

عمران / ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم / ٤١].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

يا عالم الخفيات ، يا كريم العطيات ، يا غافر الذنوب ، يا ساتر العيوب ، يا واسع المغفرة والرحمة .

نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همأً إلا فرّجته ، ولا كرباً إلا نفّسته ، ولا ضراً إلا كشفته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الودود

قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب ، الذي يوده ويحبه خلقه لذاته ، وجلال وجمال أسمائه وصفاته ، وجزيل نعمه وإحسانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويؤدّ من أناب إليه، ذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ١٠٠] .

وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين ، ويحب التقوى والمتقين .

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه.

يحب المؤمنين والمتقين، ويحب التوايين والمتطهرين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿آل

عمران / ٣١-٣٢.]

ويكره الكفر والكافرين والمشركين ، والكاذبين والمستكبرين ، والمنافقين والمعتمدين ، والظالمين والمفسدين ، والمسرفين والخائنين وأمثالهم .

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه ، الذي يوده عباده ويحبونه ، المستحق لأن يُود ويُعبد ويُحمد ، لكماله وجلاله وجماله ، وعظيم إحسانه : ﴿ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه ، ويتودد إليهم بنعمه المتوالية ، ويحب لقاءهم ، وقنوتهم له ، ويفرح بتوبتهم إليه : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ اِنَّهٗ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيْمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٧].

فسبحان الغفور الودود ، الذي يحب عباده المؤمنين به ، الموحدين له ، العابدين له ، وهم يودونه ويحبونه ، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام ، وجزيل الإحسان والإنعام .

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب ، وود العبد لربه على قدر معرفته به ، وود الرب لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه ، وإيثاره لمرضاته ، ومحبته له : ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم/ ٩٦] .

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك ، وأنزل لك القبول في الأرض ، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوْهُ فَيَحِبُّوْهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ .

وَإِذَا أَبْغَضَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغُضُّ فُلَانًا فَأَبْغُضْهُ ، قَالَ : فَيَبْغُضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوْهُ ، قَالَ : فَيَبْغِضُوْنَهُ ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي

الأرض» متفق عليه^(١).

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وَوَدَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ هَبَّةً مِنَ الْوُدودِ الْحَقِّ ، جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ فَوَدَّ رَبَّهُ بِهِ ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْخَلَائِقِ الْوُدَّ لَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١٦﴾

[مريم / ٩٦].

ومن أحبه الودود ، وأحب هو الودود ، رأى نعمه ابتلاء ، ورأى منعه عطاء ؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه ، فهو عبد صابر شاكر ، لكن من نوع آخر : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر

/ ١٧ - ١٨].

فهذا العبد الرباني المقرب ، يجازيه الودود الحق بكل ما يسره في الدنيا والآخرة من لذيذ مناجاته ، والأنس به ، وحسن عبادته ، ودخول جنته: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].

ويعذره في زلله ، ويضاعف حسناته ، ليزيد له في ثوابه : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يونس / ٢٦].

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله ، مقته لكفره واستكباره ، وسخط عليه ، لكراهيته الحق ، وصدده عنه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة / ١٦١ - ١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن ، أتاح له العليم الخبير ما يفسده به من رياء ، أو عجب ، أو آفة تحبظه أو تبطله ، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه ، وإن ابتلاه عاقبه ، وإن هم

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له .

بخير قيص له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر / ٣٤]

فتعرّف إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته ، فمعرفة توجب تعظيمه ومحبته ، ومن أحب الله فليحبه الحب كله ، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسلم ، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ﴾ [محمد / ١٩] .

فعليك بشكر الغفور الودود ، ودوام الذكر له ، والعمل بما يرضيه وقبول أحكامه .

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوه بظاهره وباطنه ، فإن لم يمكنه فبقلمه وروحه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ مَنْ أَمَّا أَلَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله ، وجمال وكمال أسمائه وصفاته ، وحجة منه على المحبين لغيره ، لِمَ أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولِمَ أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة / ٧٦] .

لماذا لم يحبوا الملك الحق ، الذي بيده جلب كل خير لهم ، ودفع كل شر عنهم : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٦٥] .

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب :

فتارة يكون بالإنعام والإكرام ، كقضاء الحاجات ، وسعة الرزق ، وإجابة الدعوات ، والجباء بالكرامات ، وخفي الكفريات : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر ، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب ، ويسأل فلا يعطى ، ويستغيث فلا يكاد يغاث ، ليس لهوانه على محبوه الحق ، لكنه سبق له في أزل أنه

ينال تلك المحبة بحسن صبره : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ [المعارج/ ٥].

ويشدد به الأمر مع حسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر- والفاقة، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فسبحان الودود الحق ، الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة ، ونعمه الكثيرة ، وأطافه الخفية : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝١٠ ﴾ [هود/ ٩٠].

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده ، وتودد إليهم ، بحسن أفعاله ، وجزيل إنعامه ، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه ، والفضل كله راجع إليه .

فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به ، ويجلب قلوبهم إلى وده ، بما عرفهم من أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى- : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٢٤ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو الرحيم الودود الذي فرج عنهم الكربات، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بين لهم الدين الحق ، وهداهم إليه ، وحببه لهم ، وأعانهم عليه ، وأثابهم عليه : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ [هود/ ٩٠].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان ، وزين جوارحك بأحسن الأعمال ، أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الظاهرة والباطنة ، كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده ، خلقها الله يتودد بها إلى عباده ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، دالة على كمال قدرته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها.

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن ، الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده :
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل / ١٨].

وكل نعمة منه توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته ، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره ، وتعظيمه وتسيبحة : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].
والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء.

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب ، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه وابتلائه كاستلذادهم بنعمه وإكرامه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة / ١٦٥]

فسبحان الله ما أطفه فيما يقدره ، مما يجلب محبته ، ويزيد مودته .

فإذا رأيت نفسك تحبه وهو يبتليك ، فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك ، فاصبر لحكم ربك ، واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].
﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر / ٩٩-٩٨].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود ، الذي يتوود إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة ، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣].

واعلم أن كل ود وحب ، ورحمة وحنان ، موجود في المخلوقات ، فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه ﷻ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ثم يزداد في المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة .

يزداد ذلك الحب والود لله ﷻ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوَاتِكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

﴿هُودُ / ٩٠﴾ .
 ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿١٠﴾
 فما أعظم حب الله لعباده، وما أوسع رحمته بهم، وما أحسن مودته لهم.

إن العبد يشرد عن ربه ، فيقصر في الواجبات ، ويتجرأ على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعمة ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم ، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَيُعِيدُ﴾ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ [البروج / ١٣-١٦].

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطْمِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه^(١).

واعلم أن الودود سبحانه من أحبه من أوليائه ، وتقرب إليه بما يحب ، أحبه وجعله مجاب الدعوة، وجيهاً عنده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » أخرجه البخاري^(١).

أما مودة أوليائه له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .
 (١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

لهجت ألسنتهم بذكره، وتحركت جوارحهم بطاعته.

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية : فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وأوليائه ، وأحبوا كل عمل يُقرب إليه ، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ، ومكان ، وعمل ، وعامل .

وأما المحبة الطبيعية : فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاهم ، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها، فصارت عاداتهم عبادات : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له .

واعلم أن حنان المخلوق رأفة في النفس ، ورقة في القلب ، وميل مفرط في الجبلة لحبِّ ورحمة من يحن إليه أو عليه .

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثلته شيء أتم حناناً ، وأشد رأفة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم : ﴿يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [١٢] ﴿وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [١٣] [مريم / ١٢-١٣] .

واعلم أن الحنان ، والود ، والمحبة ، والرحمة ، مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض ، وتنشأ من لدن عالم الجماد ، إلى عالم الملائكة ، كما تحن الطيور إلى أوكارها ، وتحن الحيوانات إلى أولادها ، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه .

فلا إله إلا الله .. كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه ومخلوقاته .

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه ، واللطف الذي عم كل مخلوق : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل / ١٨] .

انظر لتنور بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه

وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حزن عليه أبويه وكافليه ، وكيف جعل الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ ذَلِكْ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . [السجدة / ٦ - ٧] .

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من الحيوان.

فإن كان هذا المولود قد سبق له القضاء بالهداية ، وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ، فاتصل له الحنان أوله بآخره ، فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) . [النحل / ٩٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الودود :

الله ﷻ هو الغفور الودود ، الكريم الرحيم ، الذي منّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة .

فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه ، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر .

وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) . [الأنبياء / ٨٧] .

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾ (٢٣) . [الأعراف / ٢٣] .

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه ، وقضى حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيّب مؤملاً أبداً .

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت ، يعطيك من خزائنه ما تريد ، فمن

كان لله كان الله له ومعه في كل حال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه ^(١) .

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العدل .

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال ﷻ ، فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها ونشرها في كتابه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٧] .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه ، ودوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، والمسارعة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها ، فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ يَتَأَيَّمُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِ تَوْفَكُونَ ﴾ [فاطر / ٣] .

ومن دلائل حب العبد لله : حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

ومن علامات حب الله : ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

ومن دلائل حب الله ﷻ : عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر / ٥].

ومن علامات حب الله ﷻ : الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله، والجهاد في سبيل الله، وبذل المال والنفس في سبيله، والمسارة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ ﴿٨٤﴾ [طه / ٨٤].

ومن علامات حب العبد لربه : حب التعرف على أسمائه وصفاته، والعمل بشريعته، والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه، ولزوم هذا الطريق حتى الموت: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف / ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه : كثرة ذكره، وكثرة التفكير في عجائب مخلوقاته، وتدبر معاني كتابه، وحسن الثناء عليه، وطول القيام بالليل في مناجاته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿[السجدة / ١٥-١٧].

ومن علامات حب العبد لمولاه : صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثة، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك / ١٢].

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها من الأعمال الصالحة.

فالأعمال الصالحة يعملها البرّ والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي لا يكون إلا من صديق رباني.

فتقرب إلى ربك بفعل الأوامر ، واجتناب المناهي : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۗ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝٥٨ ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران / ٨] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (١) .

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

الْبِرُّ

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور / ٢٦ - ٢٨] .

الله تبارك وتعالى هو البرّ الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره ووعدته ووعيدته، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠] .

وهو سبحانه البرّ اللطيف بعباده، الذي عم بربه جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه، الغني الذي يملك خزائن البر كلها.

وهو سبحانه البرّ الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البرّ بالمحسن بمضاعفة الثواب له، البرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥] .

وهو سبحانه البرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر. ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر - أمثالها، إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته.

فسبحان البرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [] الأنعام / ١٦٠] .

والله ﷻ هو البرّ الحق بعباده، الذي يؤسعهم خيراً وكرماً، وفضلاً وإحساناً، وحمداً

وشكراً، ومغفرة وعفواً، ورحمة ووداً: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤].

ومن هذه صفاته وأفعاله، وهذا بره بعباده، أيليق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَدَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

والله برّ رحيم بعباده، يدعو من عصاه، ويتودد إليه أن يتوب إليه، ويذكره ويرغبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٤].

والعبد المسلم برّ بربه يؤمن به، ويحمده ويشكره، ويسارع في مرضاته، ويجتنب ما يكرهه، ويراقب أمره ليطيعه: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة / ٢٢].

ويتذلل لعظمة ربه، ويتصاغر لكبريائه، ويسبح بحمده، ويؤدي إليه حقه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى / ١٠].

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره وإحسانه، وفضله وعطائه.

فهو مؤلي النعم.. دافع النقم.. واسع العطاء.. دائم الإحسان.. ليس لبره حد.. وليس لكرمه مقدار.. ذو الكرم الواسع، ومعطي العطاء الجزيل: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برّ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم، بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا.

فمنه ﴿نِعْمَةُ الْإِيجَادِ، وَنِعْمَةُ الْإِعْدَادِ، وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ، وَنِعْمَةُ الْهَدَايَةِ الْعَامَةِ﴾ : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود / ٦].

الثاني: برٌ خاص ، وهو هداية الكريم ﷺ لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم ، وتوفيقهم لطاعة رب العالمين : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَا تُمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُ بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات / ١٧] .

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده ولا إحصاؤه ولا حصره .

فهو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بجموده، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله وتقديره وتدييره ، وأوصل إليهم البرّ والخير في كل مكان وزمان .

هو البر الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب ، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأعمام / ١٠٢] .

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير، الذي يعطي ويغني ويثري ولا تنقص خزائنه : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

وهو البر النصير ، ملاذ المستجير ، وجابر الكسير ، وشافي المريض ، وراحم المسكين ، ومعين المستعين ، ومغني الفقير ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس / ٦٠] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي إليه المنتهى ، وإليه المرجع والمآب ، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأحوال ، الذي يتكرم بالعطيات ، ويدفع الكريهات ، ويفرج الكرب والمتعسرآت : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

أوضح ﷺ براهين الهدى ، وأبان آثار اليقين ، وأعلن شواهد التوحيد في الملك والملكوت : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

فسبحان البر الكريم الذي بيّن الحق في كل شيء ، وسهّل العمل به ، والدعوة إليه ، وبيّن السبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه/ ٧٥] .

وهو العليم وحده بمضمرة القلوب ، الخبير بمحجوبات الغيوب ، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦] .

فسبحان الله كم من كافر ومشرِك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته.

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه ، ثم أنزل به الكريم بره وفضله ، ومنّ عليه برحمته ، فأذهب عنه السوء والشك والريب ، وأذهب وحشته ، وسكّن اضطرابه ، وتاب عليه ، وقوم أعوجاجه : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨] .

ثم بوّأه الكريم كنفه ، وآواه إلى ظله ، وتلقاه برحمته ، فأقامه وأصلحه : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر/ ٦١] .

ثم فتح له أبواب فضله، وفتح له أبواب عبادته، وألبسه لباس التقوى، ثم نشر له ثوب الثناء بين الخلق، فصار بين الناس حميد الاسم والذكر والفعل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم/ ٩٦] .

فسبحان الرب البرّ الحق ، الذي يكرم خلقه ، ويحسن إليهم في كل وقت ، ويحب البرّ ، ويحب أهل البرّ ، ويحب أعمال البرّ ، ويجازي عليها بالهدى والفلاح ، والرفعة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

فجاهد نفسك رحمك الله على جميع أنواع البرّ ، تنال جميع أنواع الثواب: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/ ٩٢] .

واعلم أن البر اسم جامع للخيرات كلها، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي- إلى بره ومرضاته ورحمته، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته جلّ

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ

إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[البقرة/ ١٧٧].

ثم اعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم في الدنيا، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة فانتبه: ﴿ لَا يَغْرُنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ [آل عمران / ١٩٦ - ١٩٧].

أما المؤمنون بالله المتقون له ، فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة ، نزلاً من البر الكريم لعباده الأبرار ، الذين برت قلوبهم بالتوحيد والإيمان ، فبرت أقوالهم وأفعالهم ، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً ، وفوزاً دائماً : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٤﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نُضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٥﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٦﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٧﴾ [المطففين / ٢٢ - ٢٦].

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ [المطففين/ ١٨-٢١].

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء ، فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير ، وهو منحة في صورة محنة: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ ﴿١١٨﴾ [آل عمران / ١٩٨].

فله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار من النعيم والبهجة والسرور : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٧].

• التعبد لله ﷻ باسمه البر :

اعلم وفقك الله لأعمال البر أن أوائل البر أداء الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والأبرار من

الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل، وبالتوسع في أعمال البر، والمسابقة إلى الخيرات، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢].

فعليك بتحري الصدق في الأحوال والأقوال والأفعال، ظاهرها وباطنها، والتمييز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً، ثم فعل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه.

عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم؟ فقال: «البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» أخرجه مسلم (١).

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى، وتذكر الآلاء، والتعرف على مواقع النعماء، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فأخلص لربك البر العظيم العمل، وأوف له بالعهد، وخصه بالحب والود، وأكثر له من الحمد والشكر: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه.

وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به، وأعطاك منه، وأنفق مما حوَّلك من فضله، يخلف الله عليك خيراً منه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (٢٦) [سبأ/ ٣٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] فصلت / ٣٣ .

وغيض البصر، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس، واعرض عن كل جاهل، وأحسن إلى كل مسيء إليك، تكسب مودته، ويندفع عنك شره: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وما يلقنهما إلا الذين صبروا وما يلقنهما إلا ذو حظٍ عظيمٍ [فصلت/ ٣٤-٣٥] .

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك، وأقل عثرات الناس، واسدل الستر على زلاتهم، وطيب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق يحبك الله والناس، وتحل عقدة عداوتهم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [١٩٩] وإما يزرعناك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه سميعٌ عليهم [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠] .

وذكر العباد بالله وأسمائه وصفاته وآلائه ونعمه، فأكثر من يعصيه لا يعرفه: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [٢٠١] وإخوانهم يمددوهم في الغي ثم لا يقصرون [٢٠٢] [الأعراف/ ٢٠١-٢٠٢] .

واسأل الله مخلصاً، وتضرع إليه باكياً، أن يحل سخيمة قلبك، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل وغش، وحسد وكبر، ورياء وكذب .

ثم يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٤] [الجمعة / ٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِن فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١) .
﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [١١٣] [آل عمران / ١٩٣] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا نُورًا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم / ۸] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمُ لِي نُورًا » أخرجه مسلم^(۲) .

اللهم يا برّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا .
نسألك أن تكفيننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، يا أرحم الراحمين .

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة / ۲۰۷] .

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرف منه، والرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم ، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويسط لهم نعمه ، لعلهم يتوبون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ ﴾

(۲) أخرجه مسلم برقم (۲۷۲۰) .

رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة، ويذكّرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٧٤﴾ [المائدة / ٧٤].

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب، في كل وقت؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [النور /

. [٣١]

وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق، بما يسر لهم من الأرزاق، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة: ﴿وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ

﴿١٣﴾ [النحل / ١٣].

ومن رأفته بعباده أن بين لهم طرق الخير والفلاح، ويسر لهم سبلها، ورغبهم فيها، وأثابهم عليها، وحذرهم من سبل الغي والفساد؛ ليسلموا من العقوبات: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

﴿٣٠﴾ [آل عمران / ٣٠].

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿١٥﴾ [الملك / ١٥].

ومن رأفته ﷻ بعباده أن سخر لهم الأنعام يركبونها، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون أوبارها: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ ولكم فيها جمال حيث ترمحون وحين تشرحون ﴿٦﴾ وتحمّل أثقالكم إلى بلدٍ لئلا تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ﴿٧﴾ [النحل / ٧-٥].

ومن رأفته ومنته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات، والقطارات، والطائرات، والسفن وغيرها: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ

وَالْحَمِيرَ لِيَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [النحل / ٨].

فسبحان الملك الرؤوف الحق ، الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أوليائه في الآخرة.

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله ، الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة / ١٢٨] .

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين ، والخلق أجمعين .

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكْ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [النساء / ٤٠] .

فسبحان الملك الحق ، الذي أنزل على عباده الحق ؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩) [الحديد / ٩] .

واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على مَنْ كفر به وعصاه ، ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١١٠) [النساء / ١١٠] .

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهل لعله يتذكر وينيب ويتوب: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤٧) [النحل / ٤٥-٤٧] .

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم ، الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه ، متوجعاً

من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته ، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم ، مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه .

فالعبد بين هذه النوازع ، والفتن ، والغفلة ، موضع للرفاة والرحمة ، وأن يُشفق لحاله ، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه، وما أعظم رأفته بهم، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم ، الذي نعمه عليه كثيرة متوالية ، وهو مُكب على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه: ﴿أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [١٦] ﴿أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [١٧] ﴿لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [١٨] [الملك / ١٦-١٨] .

● التبعّد لله ﷻ باسمه الرؤوف :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به ، والتطهر له ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وعلى قدر ارتقائك في التبعّد له بمقتضى أسمائه وصفاته ، على طريقة رسوله ﷺ ، يكون قربك منه .

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك، وعطفه عليك، ولطفه ورحمته بك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٦] [العنكبوت / ٦٩] .

فاذكره يذكرك، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك، وكن له يكن لك، والبس له لباس التقوى ، تظفر بكل ما تحب في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي

يَمْشِي أَيْتُهُ هَرْوَلَةً « متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه ، وأعرض عنه ، وعمل بما يسخطه ، وأصر على ذلك: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [محمد/ ٢٨] .

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش وهو يراك، فإن عفوه كريم، وأخذه أليم شديد: ﴿ نِعَىٰ عِبَادِي أَفَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم ، أنه يزودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ، ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ، ونبههم من سنة غفلاتهم ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره ، تنال بره وإحسانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف / ٢٠١] .

والله ﷻ حكيم عليم ، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم ، والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه ، وينسيهم إياه ، من كثرة الأموال التي تشغل المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ سُرْعًا لَهُمْ فِي الْآخِرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦] .

فسبحانه ما أحكمه في تدبيره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضرراء وهو بغاية الرحمة، تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [١٣] فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر/ ١٣-١٤] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا ، وَلَا يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَعْفُورَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (١).

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك ، وتقضي آجالنا في طاعتك ، وتشغل ألسنتنا بذكرك ، وتستعمل جوارحنا في عبادتك ، يا رؤوفاً بالعباد ، اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

القريب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته ، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ، ومن مجرى الروح فيه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْنُوسًا بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ ﴾ [الشورى / ١٦] .

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السماء والأرض ، ويسمع دعاء من دعاه ، ويجيب دعوة الداعي ، القريب من كل متكلم ، الذي يسمع كل ما ينطق به ، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به ، لا إله إلا هو: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / ١١] .

وهو سبحانه القريب اللطيف ، الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا هادي إلا هو: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ الْبَطْلُ وَمَا يُعِيدُهُ ﴾ [سبأ / ٤٩ - ٥٠] .

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان :

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به ، ومشاهدته له ، وإحاطته به ، ومراقبته له ، فلا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

يخفى عليه مثقال ذرة منه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتُوْسًا بِهِ نَفْسَهُ، وَحَنَافَرُبَ إِلَيْمِنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق / ١٦] .

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبه ، ومن آثاره : لطفه بعبده ، وعنايته به ، وإجابة دعوته .

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه ، مَنْ كانوا ، وأينما كانوا ، وعلى أي حال كانوا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ بِجِئْبُوا إِلِي وَلِيَوْمُنَّوَابِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة ، ورجب إليه في التوبة ، وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه ، المحيط بكل ذرة في ملكه ، القريب من كل مخلوق في ملكوته : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١] .

فسبحان الملك الحق ، العزيز الجبار ، الغني الكريم ، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته ، وحباً لهم ، وتحناً إليهم : ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْنَئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن من أنار الله قلبه بالإيمان ، وأزال الحُجُبَ عن بصره وبصيرته ، سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم ، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها ، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح ، وأصوات تخطب بالتوحيد ، وشاهد استسلام المُلْكِ والملكوت لذي العزة والكبرياء والجبروت : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه، وصدق الافتقار إلى الغني، وذل الانكسار بين يدي الملك، يكون قدر العطاء، وحسن الثناء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

فلا إله إلا الله، من سعد بقلبه، ونظر في الملكوت، رأى ملكاً عظيماً، وصنعاً بديعاً، وخلقاً كثيراً، يراه البصر-، وتشهد به البصيرة: ﴿فَسَبِّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس / ٨٣].

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد، ولا وراءه منتهى، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله.

الملك الحق المبين، والرب العلي العظيم، والغني القوي العزيز، والعفو الغفور الرحيم، والحي القيوم الكريم، والكبير الجبار المتكبر، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

وكلما قُرِّبَتْ أيها المؤمن منه قَوِيَتْ دلالة الدالين عليه، وكثرت إشارات المشيرين إليه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَسْهَدُونَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام / ١٩].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ورآه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق ويرزق، ويكرم ويهين، ويأمر وينهى، ويحيي

ويميت ، ويعطي ويمنع : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾]
[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

أتري هذا العبد المكرّم يتعداه إلى سواه ، أو ينشغل بغيره عنه ، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾]
[السجدة / ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق ، الذي تجلّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وغرز معرفته وهيبته في جميع مخلوقاته ، فخضعت لجلاله ، وسجدت لعظمته وكبريائه : ﴿ وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾] [النحل / ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه القريب من خلقه ، الذي يرى أشخاصهم ، ويسمع كلامهم ، ويعلم أحوالهم ، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾] [الحديد / ٤].
وهو سبحانه القريب ، السميع البصير ، العليم بكل شيء ، فهو مع الداعي إذا دعاه ، ومع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، هو الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، والمال والولد .

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أقربه من عباده ، وما أكرمه لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾] [الإسراء / ٤٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرنا على وادهلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ

أَصَمَّ ، وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ ، وَتَعَالَى جَدُّهُ « متفق عليه ^(١) .

وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ .

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي . أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » متفق عليه ^(٢) .

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى .

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم ، وسماعه لنجواهم ، وشهوده اللطيف لأحوالهم ، فهو القريب منهم ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

● التبعيد لله ﷻ باسمه القريب :

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته ، القريب والبعيد كله عنده قريب ، والكبير والصغير كله عنده صغير ؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وبيده المُلْكُ والملْكُوتُ : ﴿ فَسُبْحٰنَ الَّذِي يَبْدِءُ الْمَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس / ٨٣] .

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، تكون بالقرب منه يوم القيامة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

وأخلص أعمالك لله ، وأحسن عبادة ربك : ﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السُّجُودِ ﴿٣١٩﴾ ﴾

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له .

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل ، والحُلق والمال : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] [الأعراف / ٥٦] .

وقرب الناس إلى ربهم ، وذكرهم بنعمه وآلائه ، وبين لهم عظمة أسمائه وصفاته ؛ ليعظموه ويكبروه ، ويحمدوه ويشكروه ، ويتقربوا إليه ويعبدوه ، ويستفيدوا من بركات خزائنه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] [فصلت / ٣٣] .

وتقرب إلى القريب منك ﷺ ، وأكثر من السجود له يقربك منه ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧] [الحج / ٧٧] .

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وإحسانه ، والعلم بدينه وشرعه ، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله ، وهي الدليل على صحة الإيمان .

فاتق الله حيثما كنت ، وتقرب إليه بفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، واعلم أنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٧] [المائدة / ٢٧] .

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حقلك ، وإنما تجد البعد كله في حقلك أنت ، فتقرب إليه بما يحبه ويرضاه يقرب منك ، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى ، واتباع رسوله ﷺ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣١] [آل عمران / ٣١] .

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي﴾
إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٥] [الأحقاف / ١٥] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (١).

اللهم يا قريباً غير بعيد ، ويا شاهداً غير غائب ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا كاشف الكرب ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا سميع يا بصير .

أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

اللهم قني شر نفسي ، ولا تكلني إلى نفسي. طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا سميع يا قريب .

المجيب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود/ ٦١] .

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داع وسائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وهو ﷻ وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجيب دعاءهم ، الذي يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعمَّس عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَا لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل / ٦٢] .

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب ، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر الدهور.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وله خزائن كل شيء ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها ، فلا رب لها سواه ، ولا إله لها غيره : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن / ٢٩].

فليس في هذا الملك الكبير ، والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق ، ومالك وعبيد ، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود ، وسائل ومجيب : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر / ٦٠].

والله واسع كريم ، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال ، ويعطي السائلين ، ويجيب الداعين إذا دعوه ، من كانوا ، وحيث كانوا .

وكل ذلك كتبه الله وقدره ثم أظهره : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٠] ﴿ وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [٥١] ﴿ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [٥٢] ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴾ [٥٣] [القمر / ٤٩-٥٣].

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء ، وقدر على كل شيء ، وكتب مقادير كل شيء .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم^(١) .

واعلم أن من حُبَّ الله ﷻ لإجابة السائلين ، ودعاء الداعين ، أن عَرَفَ عباده بأسمائه وصفاته ، وأمرهم أن يدعونه بها ، وبين لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء ، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١] [الحجر / ٢١] .

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه ، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم ، أعطاهم من كل ما سألوه ، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [٢٤] [إبراهيم / ٣٤] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

والله سُبْحَانَكَ العطاء أحب إليه من المنع، كريم لا يرد سائلاً أبداً، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ليُقرَّب من عباده، ويقضي حاجة من سأله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه (٢).

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض، ويجيب جميع أسئلة السائلين، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدنيوية والدنيوية، كما يسألونه الهداية والرحمة، والمغفرة والإعانة على الطاعة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوا يُغْوُونَ الْمُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥ / غافر].

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به، ودوام ذكره، والأنس بمناجاته، وتدبر كتابه، والتفكير في مخلوقاته، والاعتبار بآياته، آتاه رحمة من عنده، وعصمه مما يعده عنه، واستوجب القرب منه بحسن عبادته له، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٩ / الزمر].

وكذا الإكثار من الطاعات، والزهد في الحلال، والاقترار على الكفاية، وترك ما لا يعني، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام، وترك الحرام، واجتناب الفواحش والآثام، ولزوم الذكر والاستغفار، وحسن التوكل على الله، وصدق التوبة إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ،
وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » أخرجه مسلم^(١) .
فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ، ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه ، ومحادثة
الملائكة له .

عن أنس رضي الله عنه قال : لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةَ قَالَ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ
مَا تَقُولُ ؟ قَالَ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا
خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ
: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ
تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَو تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ
لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ » أخرجه مسلم^(٢) .

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه ، بل كاد لو أقسم على
الله لأبره .

عن أنس رضي الله عنه أن الرُّبَيْعَ بنت النضر- كسرت ثنية امرأة فأمر سول الله ﷺ بالقصاص ، فقال أنس : يا
رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها ، فَرَضُوا بِالْأَرْشِ ، وَتَرَكَوا الْقِصَاصَ ، فقال رسول
الله ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » أخرجه البخاري^(١) .

ومن لم يبلغ تلك الدرجة ، فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله ؛ بل فضل منه
سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦) .

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

وأما الكافرون فما دعائهم إلا في ضلال، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه إلى الماء ليلغيه وما هو ببالغه ؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد / ١٤] .

واعلم أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة ، فيوحده ربه ثم يدعو، فإذا قضى- الكريم حاجته عاد إلى كفره وشره : ﴿ وَمَا يَكُفِّرُهُمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرَعُونَ ﴾ [٥٣] ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ [النحل / ٥٣-٥٥] .

والله عَلِيمٌ غني كريم يجيب كل سائل، ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة .

وإجابة الرب لمن سأله من عبادته تنوع ، وتُعَجَّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ .

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا ، أو ادّخرها له في الآخرة ، أو صرف عنه من السوء مثلها .

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله ، فيجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ

ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١) .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وهو الكريم الذي لا أكرم منه ، ولا منتهى لكرمه ، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه ، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة .

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه ، وربما فيصّهم للسؤال والدعاء تعبدًا منه لهم ، فسألوه امتثالاً لأمره ، وإظهاراً لفقركم إليه ، فيجيب سؤالهم ، إلا أنهم لا يسألونه دنياً ، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم ، و حماية لهم مما يشغلهم عنه ، و يبعدهم منه : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١٢] ﴿ [الشورى / ١٢] .

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه ؛ ليتفرغوا لعبادته وطاعته ، والدعوة إليه .

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [٣٠] ﴿ [الإسراء / ٣٠] .

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله ﷻ مع الإيمان أمرين عظيمين هما: العبادة والدعوة .

وفرغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك ، وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاهما ما أعطاهم .

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا ، فأجاب الله دعاءهم ، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة : ﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] ﴿

﴿ [٨٨] ﴿ [الأنبياء / ٨٧] -

. [٨٨

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعهم في الخيرات إليه:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، وَزَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء / ٨٩ - ٩٠].

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه ؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويقبل التوبة من المسيء، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء / ٤٠].

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطائه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

● التبعذ لله ﷻ باسمه المجيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه ، وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء .

فسل ربك الهداية ، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة ، فإنه حي قيوم ، يحب أن تسأله ليجيبك: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر / ٦٠].

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعمل حسن عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرمك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذاك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿أَمَنْ هُوَ قَدِئْتِ إِتَاءَ الْيَتْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩١﴾﴾ [الزمر / ٩١].

واعزم المسألة ، فإن الله لا Mukr له ، وأكثر من الدعاء ، فإن الله لا يمل حتى يمل العبد .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » متفق عليه ^(١) .

وتزين لربك بالخصال النبيلة ، والأعمال الصالحة ، والأفعال الرضية ، والنصيحة لله ، ولرسوله ، وكتابه ، وأئمة المسلمين ، وعامتهم : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخِصَّالَهُ الَّذِينَ ﴾ ^(١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ^(١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١٣) [الزمر / ١١-١٣] .

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبره ؛ لحسن ظنه بالله ، وبقينه على ذاته وأسمائه وصفاته ، فاجتهد لعلك تزكو : ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ^(١٨) [فاطر / ١٨] .

واحرص على الإحسان إلى الخلق ، وإياك أن تظلم أحداً ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبّد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٧٧) [القصص / ٧٧] .

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد ﷻ : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٢٣) [هود / ١٢٣] .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه ، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنی : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ^(١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ ^(١٠٢) [الأنبياء / ١٠١-١٠٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَفْسِنَا أَوْ أخطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢٨٦) [البقرة / ٢٨٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٨٢) .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه^(١).

اللهم فارح اللهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب.

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

المقالة . المجيد

قال الله تعالى : ﴿ رَحِمْتُ اللهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود/ ٧٣].

الله ﷻ هو المجيد بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، المجيد الذي تمجد بالعظمة والكبرياء ، والجلال والجمال : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه المجيد ، الذي له الملك والملكوت ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١].

وهو سبحانه المجيد القادر على كل شيء ، واسع الرحمة والمغفرة ، جزيل العطاء والإحسان ، الفعال لما يريد : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [١٢] ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبِعِيدٌ ﴾ [١٣] ، ﴿ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [١٤] ، ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ [١٥] ، ﴿ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [١٦] [البروج/ ١٢-١٦].

وهو سبحانه المجيد ، الذي له المجد كله ، المجيد في جميع أقواله وأفعاله ، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الجزيل في عطائه ونواله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه المجيد العلي العظيم ، رفيع الدرجات ، الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

وأحسن المنازل: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر/ ١٥].

وهو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، الذي تمجد بجلاله وجماله وإحسانه، ومجده خلقه، لكمال عظمته وجلاله، وجزيل إنعامه، ف: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(١).

فسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويحمده أهل السماء والأرض، ذو المجد والشرف والسؤدد، والعز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَهُوَ الْعَظِيمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٣٧] [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، المجيد العظيم الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناء عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١٧] [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي لا نهاية لمجده وجلاله وكبريائه، ولا حد لملكه وسلطانه، الذي مجده على قدر شأنه.

فلو كانت جميع الأشجار أقلاماً، وجميع البحار مداداً، وجميع الخلائق كتباً، أبدأ الأبدان، لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبلغوا ما هو عليه، ولم يؤدوا حقه من المدح والحمد والشكر: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٦١] وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [٢٧] مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [٢٨] [لقمان/ ٢٦-٢٨].

هو القوي العزيز المجيد، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي برقم (١٠٤٩).

ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

كل الخلق لأمره طائع.. وكلهم لسلطانه خاشع.. وكلهم إليه راغب.. وكلهم منه راغب، وكلهم إليه راجع: ﴿وَلَهُ ۥ أَسْلَمَ ۖ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/٨٣].

وهو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً، ومسرع إلى مشيئته طوعاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [س/٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وكله عليه سواء يسير: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم، العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاءه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى/١٠].

وسبحان الحميد المجيد الذي عرف أوليائه بتوحيده، وألهم خلقه تسيحه وتحميده، وأوله القلوب بعبادته، وأنطق الألسن بذكره، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق/٦-٨].

هو سبحانه المجيد العليم المحيط بكل شيء.

يعلم مثاقيل الجبال.. ومكايل البحار.. وعدد قطر الأمطار.. وعدد ورق الأشجار.. وعدد ذرات الرمال.. وعدد الأرواح والأنفاس.. وعدد الحروف والكلمات.

ويعلم ما في البر والبحر.. وما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء

سماء .. ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

عظيم مجيد لا تقاربه الظنون، ولا تدركه الأبصار، ولا تقابله العيون، ولا تحيط به العقول ، ولا تكيفه الأوهام : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

رب مجيد عظيم ، نور وجهه ملاً الكون كله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور/ ٣٥].
 ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٣].

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار فلا تراه في الدنيا أبداً : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه» أخرجه مسلم ^(١).
 فسبحان المجيد الذي يفعل ما يشاء وحده لا شريك له.

يحيي ويميت .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين ... ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويعفو وينتقم .. ويهدي ويضل .. وينصر ويخذل .. ويسيطر ويقبض .

والله ﷻ هو الرب المجيد الحق ، عظيم الأسماء والصفات ، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان ، عظيم الخلق والأمر ، عظيم الثواب والعقاب .

أسماءه كلها مجد .. وصفاته كلها مجد ، وأفعاله كلها مجد ، والقرآن كله تحميد وتمجيد ، وتعظيم وتكبير ، وتسبيح للرب المجيد : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

والصلاة كلها تعظيم وتكبير، وتحميد وتمجيد، وتسبيح للحميد المجيد، أهل الثناء والمجد كله،
شرعها لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات، والأقوال، والأفعال.

فأولها تمجيد للرب ﷻ .. وأوسطها تمجيد.. وقيامها تمجيد.. وركوعها تمجيد..
وسجودها تمجيد.. وجلوها تمجيد.. وأقوالها تمجيد.

ففي أول الصلاة التكبير والاستفتاح كله تمجيد، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد
وتمجيد، وفي السجود كذلك تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي الجلوس دعاء وثناء، وتحميد
وتمجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات، ورغب في الإكثار من نوافلها، وشرعها
في أحوال مختلفة، وأمر بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

والله عز وجل هو المجيد ذو العرش المجيد.

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها، وأوسعها وأعلىها، وأرفعها وأكرمها.

خلقه القوي العزيز بقدرته، واستوى عليه برحمته كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه/ ٥].

واعلم هداك الله لمعرفة، أن الفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال
القلوب التي يقوى بها توحيد العبد، ويزيد إيمانه، وينشع قلبه، وتحسن عبادته: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ
إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْنَ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/ ٤٨-٥٠].

فالنظر والتفكير في هذا الملكوت العظيم، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا، كله

منصوب للاعتبار، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب الممكنون، الذي يُدرك في الدنيا بالقلوب، ويُرى في الآخرة بالعيان: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

وقد أمرنا المجيد سبحانه بالنظر في جميع الملكوت ؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته فقال: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك ، مستعيناً بربك ، في أقل المخلوقات جِرمًا ، وأصغرها حجمًا كالخردلة والذرة والبعوضة، رأيت ما يدفع الشك ، ويزيل الشرك ، ويحقق التوحيد للواحد الأحد، من الآيات الباهرات، والبراهين الساطعات القاطعات : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية / ٦].

أقام الله هذه المخلوقات والآيات في السماء والأرض للاعتبار في ملكوته ، مقام فحوى الخطاب في كتابه ؛ تنبيهًا للمبتدئ من أوليائه، وتذكرة للمتتهي : ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور / ٤٤].

وإذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه ، فالكبير والأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة ، وأكبر شهادة: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر / ٥٧].

فسبحان الملك العظيم ، الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل ، وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبداً من عبده ، يَأتمر بأمره ، ويسبح بحمده.

وَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فرأى الصور ببصره، ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء.

ورأى بعقله أنه كلما عَظَّم المخلوق عَظْم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته ، ونال بركته ، وخصه بمزيد كرمه : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران / ١٩٠-١٩١].

وبهذه المعارف يذوق القلب والعقل ، والسمع والبصر- ، حلاوة المعرفة ، وطعم الإيمان ،
ويرى ربه يخلق ويدبر وحده لا شريك له : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة الكبرياء ،
ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد، لها زَجَل بالتسييح والتقديس ، والتحميد
والتمجيد : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤].

• التبعّد لله جَلَّالَهُ بِاسْمِهِ الْمَجِيدِ :

الله جَلَّالَهُ هو المجيد الذي له المجد كله، والكبرياء كله، والملك كله، والخلق كله، والأمر كله.
وهو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء
والأرض : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف / ٨٤].

فمجد ربك العظيم الذي خلق الخلق، وبسط الرزق ، وفرج الكرب ، المغيث وقت البلاء ،
المعين في البأساء ، أهل الثقة والرجاء ، والحمد والثناء : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَهْلًا لَهُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل / ٦٢].

وسبح بحمد ربك العظيم، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ
شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر / ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفقك لعبادته، وأنار قلبك بمعرفته، فأكثر له من
التحميد والتمجيد لعلك ترضى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣].

وإذا عرَّفَكَ المَجِيدُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَدِينِهِ وَشَرَعَهُ ﴿ فَاعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

واذكر المَجِيدَ لخلقه، وبَيِّنْ لَهُمْ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَلِّمَهُمْ شَرَعَهُ، وَعَرِّفَهُمْ بِنِعْمَةِ لِيحمدوه، وَعَرِّفَهُمْ بِكِبْرِيَّاتِهِ لِيكبروه، تَكُنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرِّبَانِيِّينَ: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِيَّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

وأنفق مما آتاك ربك المَجِيدُ مِنْ مَالٍ تَوَاسَى بِهِ الْفَقِيرُ، أَوْ عِلْمٍ تَعَلَّمَ بِهِ الْجَاهِلُ، أَوْ خَلَقَ حَسَنًا تَحَلَّمَ بِهِ عَلَى السَّفِيهِ، أَوْ جَاهٍ تَنَفَعُ بِهِ الْمَحْتَاجُ، أَوْ قَوْلٍ تَقِيمُ بِهِ الْحَقَّ، وَتَعَدُّلٍ بِهِ الْمَعْوُجُ.

وبهذا يَحْمَدُكَ الْمَجِيدُ، وَيَحْمَدُكَ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيَحْمَدُكَ أَهْلُ الْأَرْضِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم/ ٩٦].

واعلم رَحِمَكَ اللَّهُ وَأَسْعَدَكَ فِي الدَّارَيْنِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا مِنْ أَعْمَلِ نَفْسِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِمَا يَرْضَى اللَّهُ، وَنَهَاها عَمَّا يَسْخَطُهُ: ﴿ يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَتَتْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٢-٦٣].

واعلم أَنَّ كُلَّ مَا أَدْرَكَتْهُ بَصِيرَتُكَ، أَوْ شَاهَدَتْهُ بَبْصَرِكَ، مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ، مِنْ لَدُنِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، إِلَى أَصْغَرِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ، كُلُّهُمْ عِبِيدٌ أَمْثَالُكَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان/ ٣].

وَإِنَّمَا الْمَلِكُ حَقًّا هُوَ الرَّبُّ الْمَجِيدُ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ عِبِيدٌ لَهُ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ تُنْتَوِنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٣].

فإلى ربك الحميد المجيد فالجأ، وعليه فتوكل، وإياه فاسأل، ولا يشغلك عنه سواه:
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل / ٧٩].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكير، وأحسب العمل لمن يراك ولا تراه، وابعده
كانك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الذرى يربك حين تقوم
﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب سيد المعترين إبراهيم عليه السلام حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب، ثم القمر،
ثم الشمس، فلما رأى عليها آثار الحدث، وسمات الصنع، وقهر التسخير: ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ
الْأَفْلِينَ﴾ [الأنعام / ٧٦].

فلما رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية، تعبد الله في محراب العبودية،
تخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام / ٧٩].

فافهم رحمك الله طريق التوحيد، واسلك سبيل المتقين، تكن من الفائزين، فقد ظهر لك الأمر،
وبان لك الرشد: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور / ٣٥].

وانظر رحمك الله بالبصر- والبصيرة، تكن على بصيرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام / ١٠٤].

فطوبى وما أدرك ما طوبى .. لقلوب عبرت ساحات الملك والملكوت، فأميطت عنها
حُجُب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة، فرأت الخلق والخالق، والصور والمصور،
وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبح بحمده.

فأفادها ذلك المعرفة التامة بالرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت
به الملك من العبيد، فأتقته حق تقاته، وعبدته كأنها تراه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ولم ترض لنفسها شغلاً إلا بطاعة الملك الأعلى فعبدته ، فرفعها إلى المقام الأسنى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١] .

يسر الله لنا ولكم حسن معرفته ، وحسن عبادته وتقواه حتى نلقاه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨] .
« التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ
عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ »
متفق عليه (١) .

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه (٢) .

اللهم يا مالك الملك ، يا خالق الخلق ، يا ذا الطول والإنعام ، يا فعالاً لما تريد ، يا مجيد ، يا رب
العرش الكريم .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم
الراحمين .

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، يا رب
العالمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣١) ، ومسلم برقم (٤٠٢) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦) .

المقالة ٧٨. الولي .. المولى

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج / ٧٨].

الله عز وجل هو الولي الحق ، القريب من خلقه ، الولي الحميد ، الذي يوالي جميع خلقه بالنعمة ، والأرزاق ، والعافية ، والإحسان ، والعون ، والهداية .

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين ، فهو سيدهم ، وربهم ، وخالقهم ، ورازقهم ، ومالكهم ، وحاكمهم : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وهو سبحانه ولي المؤمنين الذي يتولاهم بالهداية والإرشاد والنصر- والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد / ١١].

وهو سبحانه مولى الذين آمنوا، يمكّن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويحجب دعاءهم، الذي يعتزون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدري ، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف : ﴿ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ [آل عمران / ٨٣].

ثم تولاهم بأمره الشرعي ، فأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، ثم ردوا إلى مولاهم الحق ، ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة ، ويشبههم ويعاقبهم حسب أعمالهم : ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [الأنعام / ٦٢].

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أوليائه من الأنبياء وأتباعهم ، ويلطف بهم ، ويعينهم على طاعته ؛ لأنهم تولوه بالإيمان به ، وحسن عبادته ، فتولاهم بالنصر. والتمكين والتوفيق في الدنيا ، وأسكنهم الجنة في الآخرة : ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام / ١٢٦-١٢٧].

والله عز وجل ولي من تولاه ، واتبع هداه ، ومن أعرض عن مولا ، واتبع هواه ، سلط الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة / ٢٥٧].

وأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة ، هم من استقام على التوحيد والعمل الصالح حتى الموت ، فلهم السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

ومن عرف مولا ، وتوجه في عبادته وحوادثه إلى غير مولا ، فقد خسر دينه ودنياه : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

أَكُونُ أَوْلَىٰ مِنْ أَسَلٍ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ [الأنعام/ ١٤-١٥].

واعلم بأن الله هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، وكل شيء تحت ولايته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٣٠﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الولي الحق، الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب بالهداية إلى الإسلام، ثم يغرّس في قلبه الإيمان، ثم يحب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ويعينه على ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ [الحجرات/ ٧].

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به، مرضياً عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يوسف/ ١٠١].

والولاية درجات، تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق، فأمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في درج المقربين، فصاروا أعلاماً للهدى، يستضاء بنور علمهم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ [الزمر/ ٣٣-٣٤].

فسبحان من كشف لهم الحجاب، حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون به، ويأخذون به، ويعطون به: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [الملك/ ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقلبون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم .. إن نطقوا نطقوا خائفين .. وإن سكتوا سكتوا وجلين .. وإن عملوا عملوا وجلين خائفين مشفقين من خشية ربهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّائِهِمْ يَوْمُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقَلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤].

اللهم اجعلنا وإياكم ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا منهم ، يا ولي المؤمنين ، أنت حسبنا ونعم الوكيل ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الولي :

اعلم وفقك الله للتعبّد له بما يحبه ويرضاه ، أن الولاية انتساب إلى مولاك الذي هداك ، بأسماء حسنة من أسمائه الحسنی ، واتصاف بصفات كريمة من صفاته العلیا ، مع إقرار منك برب العبودية له ، وتوجيه العمل إليه بخالص الوجدانية ، وانقطاع إليه بالكلية ، وتعظيم له ، وحب له ، وقرب منه في حال النعمة والبلية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

فالله كريم يحب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم ، ليكرمهم يوم القيامة بجزيل ثوابه ، ومن أجل هذا أعلنها في كتابه ، ودعا عباده إلى الاتصاف بها ، ودعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

وَمِنْ رِزْقِهِ مَوْلَاهُ ذَلِكَ نَالَ الشَّرِيفَ الْأَعْلَى، وَفَازَ بِالْمَقَامِ الْأَسْنَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم رحمك الله أن من علامات قبولك في أوليائه ﷻ :

أن يصونك عن الذل لغيره.. ويكفيك ما أهمك .. ويؤمّنك من سواه حتى لا تخاف غيره.. ولا ترجو إلا إياه.. ولا تستعين إلا به.. ولا تسأل إلا إياه.

وأن يعينك على نفسك.. ويحيي قلبك بالإيمان.. ويشغل لسانك بذكره.. ويستعمل جوارحك بطاعته.. ويصرف أوقاتك بالتقرب إليه.

ويجعل لك المودة في قلوب عباده.. ويخلصك من أسر عدوه ، حتى تكون في جميع أمورك عبداً له وحده : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِئْبَىٰ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِزُ وَازْرَهُ وَزُرْ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٤].

والله ولي كل نعمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، فأطعه ولا تعصه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

وعليك بدوام ذكر مولاك الكريم يذكرك في نفسه .

واحذر الغفلة ، فإنها تورث كل قسوة ، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربّه : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمأنت قلوبهم بتوحيده ، وصلحت أعمالهم بطاعته ، وازدانت أوقاتهم بعبادته ، فتقرب إليه بما يجب تكن وليه ، ويكون مولاك: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فاستقم كما أمرك الله ، وادع إلى ربك ، وانصح لعباده ، ولا تخف إلا الله ، واعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتنب ما يسخطه ويبغضه ، يحبك مولاك ، وينصرك على من عاداك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » أخرجه البخاري ^(١).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا بَدَأْتَ عَلَيَّ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا كُنْتُ لَكَ بِدِينِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري ^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، يا أرحم الراحمين .
 اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبداً ، يا ولي المؤمنين ، يا مالك يوم الدين ، يا رب العالمين .

الناصر .. النصير

قال الله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران / ١٥٠].

وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان / ٣١].

الله ﷻ هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر- كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له ، الناصر الذي بيده النصر كله : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران / ١٦٦].

وهو سبحانه الناصر القوي، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ولا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء، وأذل بجبروته جميع الجبابرة : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود / ٦٦].

وهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء ، في أي وقت شاء ، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم / ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق ، الذي بيده النصر وحده لا شريك له ، ينصر كل من آمن به : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً بما عندهم من العدد والعدد نصر- الله المؤمنين عليهم ؛ لأن الله لا غالب له، فهو الملك الجبار الذي قهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِ بِنَا وَأَنَا وَرَسُولِي إِبْرَاهِيمُ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب ، البالغ مراده من خلقه ، الذي لا يُغلب ولا يُقهر ، لكمال قدرته ، وعظمة سلطانه.

وهو سبحانه الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء، وأمره نافذ كيف شاء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف/٢١].

وهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب ، ولو أن جميع من في الأرض له طالب: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِ بِنَا وَأَنَا وَرَسُولِي إِبْرَاهِيمُ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك القادر، النصير الناصر، الغالب القاهر ، الذي أمره نافذ في جميع ملكه ، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أمضى، الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

والنصر بيد الناصر الحق، فمن نصره الله فلا خاذل له، ومن خذله الله فلا ناصر له: ﴿إِنْ

يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفعل الأسباب من أسباب النصر. المطلوبة، ولكن النصر. بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال الله للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦١﴾ [آل عمران/ ١٦١].

وأحياناً ينصر. الله عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قتلها لبيان قدرته: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأسباب النصر، إذا تعلق المسلمون بها، واعتمدوا عليها، ليردهم إلى التوكل على من بيده النصر سبحانه كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الذي تفرد بالملك، والخلق، والرزق، والنصر..، والتدبير، الذي ينزل النصر على أوليائه، كما ينزل القطر من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر.. وبالفرج مع الكرب.. وبالعافية مع السقم.. وباليسر مع العسر.. وبالأمن بعد الخوف.. وبالنجاة مع رؤية الهلاك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله القوي العزيز، الذي إذا أراد أن ينصر. أحداً نصره ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

وقد تكفل الله ﷻ بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

فسبحان الناصر لمن شاء ، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر، لكمال قوته وعظمته.

هو **عَلَّامٌ** الغالب على أمره ، الذي يفعل ما يشاء ، لا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبداً : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (٨٢) **فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (٨٣) [يس/ ٨٢-٨٣].

هو القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أعطى، أو يعطي ما منع ، أو ينصر- من خذل ، أو يخذل من نصر: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٣٦) [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق ، الغالب القاهر لكل غالب، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه، أو إبعاد ما قرّبه ، أو تقريب ما بعّده، أو إحياء ما أماته، أو إماته ما أحياه، أو قبض ما بسطه ، أو بسط ما قبضه، لا راد لما قضاه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٥٤) [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن الله هو الملك الغني القوي، فلا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (٧٤) [الحج/ ٧٤].

أما نصرته المؤمنين لربهم فتكون بعبادته ، والقيام بحقوقه ، ورعاية عهوده ، وامتنال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والجهاد في سبيله.

وهم بهذا يربحون السعادة في الدنيا والآخرة ، والنصر في الدنيا والآخرة ، والله غني عنهم ، لكن أمرهم بذلك ليسعدهم ويشبههم ويرضيهم : ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (٤٠) **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ (٤١) [الحج/ ٤٠-٤١].

فهذه علامات من يستحق النصر والتمكين والاستخلاف .

واعلم رحمك الله أن حقيقة النصر- هي المعونة بطريق التولي والمحبة، خص الله به خيار

خلقه ، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون .

والمعونة على الشر . لا تسمى نصراً ، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بالمؤمن أنه منصور عليه ، بل هو مسلط عليه ؛ عقوبة له على ذنب ، أو تربية له ، كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد ، وسلط عليهم الكفار حين عصى بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ .

فإن الله ﷻ يسلب الكفار تربية لعباده ليعودوا إليه ويوحده : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء / ٩٠] .

والله ﷻ قادر على نصر دينه ، وإهلاك أعدائه وحده ، ولكنه عز وجل يبتلي عباده بذلك التسليط ليربي أوليائه ، ويظهر من ينصر دينه ممن يتولى عن نصرته : ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِبَلَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٤] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصِيحُ بِاللَّهِمْ﴾ [٥] ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [٦] [محمد / ٤-٦] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الناصر :

اعلم وفقك الله لهده أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له .

فاسأل ربك أن ينصرك على نفسك لتستقيم على طاعة الله ، وأن ينصرك على هواك لتستقيم على هداه ، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين .

وقد بين الله لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه ، ولا معين لهم سواه ، وذلك لتتوجه قلوبهم له ، ويرفعون أكفهم بالضراعة إليه ، فيستجيب لدعائهم ، وينصرهم على من عاداهم .

فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك القادر ، فإنه نعم المولى ، ونعم النصير : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [١٠٧] [البقرة / ١٠٧] .

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر ، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم : ﴿أَوَلَمْ آتِكُمْ مِصْبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ إِنَّا هَذَا قَوْلُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٦٥] [آل عمران / ١٦٥] .

واعلم يقيناً أن النصر والناصر مع أهل الإيمان والطاعات ، وأن الخذلان والهزيمة

والحرمان مع أهل الكفر والمعاصي : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد / ٧-٩].

فاجتهد رحمة الله على زيادة إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية ، والاستقامة على أوامر الله ، والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك ، فتقع في المعاصي، ثم تُحرم النصر ، وبركة الرزق ، فمن قَصَرَ في الحال ، أخذ في الحال : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء / ١٢٣].

واعلم أن المسلمين لن ينتصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولاً على العدو الباطن، وهو النفس والهوى والشيطان والدنيا.

فمن انتصر على هؤلاء ، نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج / ٤٠].

واعلم أن المؤمن منصور أبداً، فإذا ضعف الإيمان ، نقصت الأعمال، ثم ساءت الأحوال، فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم.

فالإيمان والأعمال الصالحة ، من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين ، فإذا ضعف الإيمان، ونقصت الأعمال، فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه من طاعة الله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران / ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحمة الله دين الله بالعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ولن ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا كما قال سبحانه : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي

حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر / ١-٣].

وانصر إخوانك المؤمنين ، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم ، وتعطيه إياه إن قدرت .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري (١) .

واعلم وفقك الله لِمَا يَقْرَبُكَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقٌ إِلَّا مِنْ خَالِقٍ ، وَلَا يَكُونُ مَغْلُوبٌ إِلَّا مِنْ غَالِبٍ ، وَلَا يَكُونُ مَنْصُورٌ إِلَّا مِنْ نَاصِرٍ .

وإن أردت أن تكون غالباً لأعدائك فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله ، بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه .

وقد علق الله ﷻ الهداية بالجهاد فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهاداً .

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا .

فمن استعان بالله ، وجاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ قَلِيلًا مِّنْكُمْ إِبْرَاهِيمُ ۗ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨] .

فمن انتصر- على هذه الأربعة نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه غلبه عدوه:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

[الشمس / ٧-١٠] .

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٤) .

واعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر. على نفسه وهواه، ونصر. دين الله، وجاهد في سبيله، فهو منصور في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر/ ٥١].

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى- الله ورسوله، فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء/ ٢٢].

فهو مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وأسر الشيطان له، فأينما يوجهه لا يأت بخير، بل يأت بكل شر وفساد، وهو يظنه خير وصلاح: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٦] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ [الزخرف/ ٣٦-٣٧].

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذِفَ به في السعير، ونُسي- في العذاب كما نسي- دين الله في الدنيا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيَتَنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

﴿رَبَّنَا أَخْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثِقَلْنَا عَلَى قُلُوبِنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَخْفِرْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثِقَلْنَا عَلَى قُلُوبِنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ « أخرجہ البخاری ^(١) .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين .
اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما
أعطيت ، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا
يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

المقالة ❦ . القادر .. القدير .. المقتدر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ
شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴾ [الأعام/ ٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

الله ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له .

هو القادر الذي له القدرة المطلقة، القادر الذي لا أحد أقدر منه .

وهو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة، الذي كل خلق ورزق وأمر وتدبير فمن آثار قدرته
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى
الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وهو سبحانه القدير على كل شيء ، المقتدر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا
يفوته شيء : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا ﴾ [فاطر/ ٤٤] .

(١) أخرجہ البخاری برقم (٦٣٠٦) .

وهو سبحانه القادر الحق ، الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادراً ، ولو سلبها عنه عاد عاجزاً: ﴿ وَمَا يَكُومُنَّ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤] .

وهو سبحانه القادر الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، خالق كل شيء ، وغالب كل شيء ، وقاهر كل شيء: ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء.

الصغير والكبير .. الظاهر والباطن .. المتحرك والساكن .. القادر على كل شيء .. من الخير والشر ، والأمن والخوف ، والمحبوب والمكروه .

هو القادر الحق ، القدير الحق ، المقتدر الحق وحده لا شريك له .

هو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له .

خزائن القدرة بيده .. وخزائن العلم بيده .. وخزائن الأرزاق بيده .. وخزائن الأسماء بيده .. وخزائن الصفات بيده .. وخزائن الكلام بيده .

وخزائن الجماد والنبات والحيوان بيده .. وخزائن المخلوقات بيده .. وخزائن المياه والبحار والرياح بيده .. وخزائن الذهب والفضة والمعادن والذرات بيده .

وخزائن القوة والنصر- بيده .. وخزائن العزة والذلة بيده .. وخزائن الرحمة والعذاب بيده .. وخزائن السماوات والأرض كلها بيده .. وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا

عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

هو الملك العظيم القادر ، لم يشركه في خلق تلك المخلوقات وغيرها شريك ، ولم يستظهر عليه بظهير: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبا/ ٢١-٢٢] .

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته ، ولا يحتاج إلى أحد ، ولا يستعين بأحد ، بل هو المعين

لكل أحد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ [ق/٣٨].

فسبحان الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُوعًا ﴾ ﴿٥١﴾ [الكهف/٥١].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرة واحدة.. ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد.. ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله، القادر على الإيجاد كله.. القادر على الرزق كله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [الملك/١].

وكل ما سوى الله من القادرين القادر ﴿عَلَّامٌ خَلْقِهِمْ﴾ ، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض، وسلط بعضهم على بعض، وهو سبحانه القادر القاهر لكل قادر: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنعام/٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى، بعون القادر وإذنه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [الصفات/٩٦].

فالله جل جلاله كامل القوة والقدرة، أما قدرة القادرين سواه فهي ناقصة بصفقتها، محدثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.

خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر،
 وقسم البلاء بقدر: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾
 [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله جلَّ هو القادر على كل شيء، التقدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي.

خلق سبحانه العرش والكرسي.. وخلق السماوات والأرض.. وخلق الشمس والقمر..
 وخلق الكواكب والنجوم.. وخلق الملائكة والروح.

وهو القادر العظيم الذي خلق الجماد والنبات والحيوان.. وخلق الملائكة والإنس والجان..
 وخلق الذرات والجبال.. وخلق المياه والبحار، والأشجار والثمار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهذه المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الذي خلقها لا يمكن لأحد أن يعدها أو
 يحصيها، وكلها تدل على كمال قدرة الله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فسبحان الملك العظيم الملك، القوي كامل القوة، التقدير كامل القدرة، خالق كل شيء، ومدبر كل
 شيء: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ ۚ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فهذا الرب العظيم القادر على كل شيء هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له:
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
 أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده يستحق به وحده الحمد عليه، فالمخلوقات
 كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته: ﴿وَلَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَغْيَرَ اللَّهُ نَفْسُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

فَالَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِّفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فجميع مخلوقاته سبحانه توجب الشكر ؛ لما فيها من النعم، وتوجب التذکر؛ لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب ، وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فواعجباً كيف يُعصى مَنْ هَذَا خَلَقَهُ؟ وَهَذَا إِحْسَانُهُ؟ وَهَذِهِ قُدْرَتُهُ؟ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَالْقَلَمِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

وكيف لا يُعبد ويطاع وهو الكبير الذي بيده الملك، ذو العزة والجبروت ، والعظمة والكبرياء! : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ جَلَّالاً بِاسْمِهِ الْقَادِرِ :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء .

وإذا علمت هذا فعليك أن تحبه وتعظمه ، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته، وجميل إنعامه وإحسانه.

وعليك أن تخافه وتخاف عذابه، فإنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه، وعلى كل حال، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب : ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾
 [العنكبوت/ ٤٠].

واحذر الذنوب التي تغضب ربك، والمعاصي التي تسخطه، فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك، وهو وإن أمهلك لتتوب فإنه لا يهلكك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ولا تيأس من رحمة ربك أبداً، وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم أن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء، يقوي في قلبه الاستعانة بالله، وصدق الالتجاء إليه، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوب ومكروه بقدر من القادر العليم الحكيم، سلم قلبه من أمراض القلوب، وامتلاً بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة، والصبر على البلية: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومعرفة القدير الرحيم تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضى عن الله.

ومن ملاً قلبه من الرضى بالقدر، ملاً الله صدره غنى وأمناً وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبتة وذكره، وشكره وعبادته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فكن لله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يحبه ويرضاه، يسرك يوم تلقاه حيث لا تقدر ولا ترجع: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

واعلم أن الأمور كلها بيد القادر المقتدر، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له،

وداوم على سؤاله وحده ، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مقاليد الأمور ،
 يغنيك ويرضيك ويسترضيك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
 دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يَا غَلَامُ ، إِنِّي
 أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَحِذْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا
 اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا
 عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »
 أخرجه أحمد والترمذي (١) .

وإذا قدرت على من دونك من الخلق فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه، لينظر
 بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ
 أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢] .

فَصِلْ مِنْ قِطْعِكَ ، وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ ، وَاغْفِرْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ،
 وَاسْتَعْمَلْ قُدْرَتَكَ فِيمَا يَرْضَىٰ بِهِ رَبُّكَ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ
 مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٤] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا أَنْتَ لَنَا نُورٌ وَأَنْتَ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم/ ٨] .

« اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ،
 أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم (١).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

اللهم يا من له العزة والجبروت ، وله الملك والملكوت ، يا عالماً بكل شيء ، يا محيطاً بكل شيء ، يا قديراً على كل شيء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين .

المقالة ١١. اللطيف

قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك / ١٣-١٤].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا ، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) [يونس / ٦١].

وهو سبحانه اللطيف البرّ بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم، الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وأطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر- بخفي لطفه، ويرقيهم إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره ، ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة ، والمقامات النبيلة : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف / ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم، الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون ، ومن حيث لا يعلمون، اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر، وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدر فيه ، ولا فكر فيه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى / ١٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

وهو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء، وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات، ويسمع تسبيحها من بين الكائنات، ويأت بها من بين المخلوقات: ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِيْ سَمَوَاتٍ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَاتِ بِهَا اللهُ اِنَّ اللهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان/ ١٦].

وهو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع، وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات، وأسرار المصنوعات: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللهُ الَّذِيْ اَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ اِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [النمل/ ٨٨].

وهو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلمهم مثقال ذرة: ﴿اَفَاَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ اَنْ يَّخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [٤٥] اَوْ يَأْخُذْهُمْ فِيْ تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ [٤٦] اَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَيَّ تَخَوْفٍ فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيْمٌ [٤٧]﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَّ اِنْ تَكُ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ اَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه اللطيف الذي لا أحد أطف منه، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فاطف: ﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُہٗ اِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُوْمٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو الملك الحق الذي وسع علمه ولطفه ورحمته جميع مخلوقاته.

اللطيف الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا يرونه، وظهر لعقولهم فهم يعبدونه كأنهم يرونه: ﴿ذٰلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَرَ وَهُوَ الْلَطِيْفُ الْخَبِيْرُ [١٠٣]﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان اللطيف الذي لطف أن يُدرك بالکیفیه ، اللطيف الخبير بكل ذرة في الملك والملكوت ، اللطيف بالبر والفاجر ، فكلُّ يأكل من رزقه ، اللطيف بالكافر حيث لم يقتله جوعاً بكفره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه ، وتاب إليه من عباده ، فيقبله ويُقبل عليه ، وينعم عليه ، الذي يعطي الجزيل ويقبل القليل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل/ ٧].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير ، الذي يعلم الأشياء الدقيقة ، ويوصل رحمته ورزقه إلى عباده بالطرق الخفية : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة/ ٥-٦].

فما يتبلى الله به عباده من المصائب .. وما يأمرهم به من المكاره .. وما ينهاهم عنه من الشهوات .. هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف إلى سعادتهم في العاجل والآجل .. كما ابتلى يوسف عليه السلام بالسجن فصر ، فأعطاه الملك : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل فصر وأطاع ، فجعل ذريته هم الباقين .. وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [الحديد/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم ما أعظم رحمته بعباده ، وما أعظم لطفه بهم ، وما أوسع حلمه على من عصاه .

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نقوله ونسمعه : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

الأول: بمعنى الخير، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك/١٣-١٤].

الثاني: بمعنى المحسن والمنعم الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم وما ينفعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٣) [الحج/٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن ﷻ، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة .

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت .

في خلق المخلوقات كلها .. والإتيان بالأرزاق وتقسيمها .. وأصناف الكفايات كلها .. وتقليب الأحكام والأطوار .. واختلاف الألسنة والألوان والأحجام والأوقات .. وخلق الذوات والذرات .. وخلق الجامدات والمائعات .. واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣) [هود/١٢٣].

فسبحان اللطيف القدير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، واستودعها في خزائنه العظيمة ، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرساله الرياح اللوابع ، ثم لطفه في تلقيحها السحاب ، ثم لطفه في حملها السحاب ، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح ، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب ، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ

مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِيهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
[النور/٤٣-٤٤].

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت ، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض ، وتقطيعه رذاذاً لئلا يهلك من تحته : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف أرحام الأرض ، وفتحها لقبول الماء والنبات ، حتى ذهبت عروق النبات في الثرى ، وصعدت أغصانه في الهواء .

ثم تأمل حكمة اللطيف ، كيف خلق النبات أزواجاً ، وشعوباً ، وقبائل ، ومختلفة الألوان ، والأحجام والطعوم ، رزقاً لخلقهم وعبادته : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في فلق الحب والنوى ، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين بجذوره ، ثم كونه أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً ، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدرج نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة ، مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل/١٠-١١].

ثم تفكر كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام ، وكما يخرج الأفعال من الإنسان ؛ ليذكر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور : ﴿ وَمَنْ عَائِنَاهُ ۚ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ۚ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۗ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت/٣٩].

فسبحان اللطيف بعباده الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض ، الذي يسوق لعباده أرزاقهم من بلاد شتى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْتَفِعِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون/٧].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وساق هذا لهذا بلطفه، وهو سبحانه الكريم الذي جميع الخلق ينتفعون ويأكلون من موائد نعمه ، وما أكثر ما يجلس الإنسان على مائدة فيها من نعمه أنواع شتى ، من بلاد شتى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

لا إله إلا الله وله الحمد ، ما أَلطفه بخلقه ، وما أعجب لطفه في حسن تدبيره ، وجميل تقسيمه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].
ثم تفكر رحمك الله في النطفة التي خلقت منها الله أحسن الخالقين ، كيف جمعها اللطيف من الغذاء، وأقرها في قرارها المكين ، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والتراتيب.

ثم تأمل كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام ، ثم صيرها في أطوار الخلق نطفة، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان خَلْقاً آخراً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشراً سوياً ، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة.

فسبحان مَنْ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ إِنْسَانًا لَهُ رَأْسٌ ، وَأَيْدٍ ، وَأَرْجُلٌ ، وَأَصَابِعٌ ، وَأَذْنَانٌ ، وَعَيْنَانٌ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ.

وخلق من ذلك الماء القلب والكبد ، والأمعاء والمعدة ، والعروق والعصب وغيرها من الأعضاء الباطنة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق/ ٥-١٠].
فهذه قدرته في خلق فرد من جنسٍ من أحد مخلوقاته .

فسبحان الخلاق العليم ، اللطيف الخبير ، الذي يملك جميع موازين التدبير والتصريف ، والتشكيل والتغيير ، بسلطانه العظيم ، في ملكه الواسع الكبير: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وهو الحكيم العليم :

يسطو ويقبض .. ويعز ويذل .. ويعطي ويمنع .. ويغني ويفقر .. ويحيي ويميت .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويعفو عمن يشاء .. وينتقم ممن يشاء .

خلق الكبير والصغير ، والجليل والدقيق ، والكل عنده سواء في الخلق والعلم : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

والكل ملكه .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده ويعبده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره في البسط والقبض ، والعطاء والمنع ، والنفع والضر . هو القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء .

يحيي بأسباب الموت .. ويميت بأسباب الحياة .. وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] ﴿ فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣] [يس/ ٨٢-٨٣].

هو اللطيف الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه ، ثم يورثهم أرضهم وملكهم ، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٧] ﴿ فَالْقِطْعَةُ ۗءِ أَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا إِن فِرْعَوْنَ وَهَمَّنَّ وَحُنُودُهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴾ [الفصص/ ٧-٨].

ويعطي المحبوب بالأسباب المكروهة ؛ لأنه اللطيف العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، وحده لا شريك له : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فسبحان الله ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين ، لا يقضي لهم بشيء إلا كان لهم خيراً لهم .
عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

أما الكافر من حيث هو كافر فلا يقضي الله له بشيء إلا كان شرّاً له ، إن بسط له أغناه وأطغاه ، وإن منعه وقبضه سخط ربه وعاداه. ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْؤُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٨٥].

واعلم أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً ، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي ، إلى نور الإيمان والسنة والعلم والطاعات ، ويقبض شر نفوسهم الأمانة بالسوء ، ويصرف عنهم السوء والفحشاء ، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

ويقدر لهم أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم ، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه .

ومن لطفه بعباده المؤمنين أن يجعل رزقهم حلالاً في راحة ، يحصل به المقصود ، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله ، وهو عبادة الله ، والدعوة إليه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يتليهم ببعض المصائب ليكفر عنهم - إذا صبروا - السيئات ، ويرفعهم إلى عالي الدرجات ، ويكرمهم بجزيل الثواب : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا مِّنْ دُونِ الَّذِي كَفَرُوا بِمَن يَشَاءُ اللَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى/ ٤١].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩).

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
 مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

● التبعيد لله ﷻ باسمه اللطيف :

اعلم نور الله قلبك بالإيمان أن أول ما يجب عليك من التبعيد لله باسمه اللطيف طلب علمه،
 فذلك مفتاح التبعيد لله به وبغيره من الأسماء الحسنی، ومعرفة مسالكة في العالم ؛ لترى قدرة
 القدير، ولطف اللطيف، في مخلوقاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾
 [طه / ٨].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، التي يحبه عباده من أجلها،
 بادر إلى التبعيد لله بها ليحبه ربه.

وإذا علم أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب
 ربه في حركاته وسكناته.

فإن العبد، وكل شيء، مكشوف بين يدي اللطيف الخبير، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في
 الأرض ولا في السماء: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق ؛ لتنال فضله، وتظفر بنعمه وعطاياه، وكن واثقاً بربك الكريم،
 ومولاك الرحيم، الذي جميع النعم منه.

وارغب إلى ربك في جميع أمورك، واعلم أن من يتحَرَّ الخير يعطه، ومن يتوق الشر. يُوقه،
 والفضل كله بيد الله وحده، وأعلاه طلب الهداية والعافية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم رحمتك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك، فالطف أنت حسب طاقتك
 بإخوانك المؤمنين، وخالقهم بخلق حسن، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك،
 وسعهم بحسن خلقك، وادعهم إلى الله، واصبر على أذاهم، يحبك الله، وتكسب محبة الناس،

ومودتهم، وتسلم من أذيتهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

واشغل نفسك ، وقلبك ، ولسانك ، وجوارحك بذكرٍ وشكرٍ مَنْ لُطْفَهُ بِكَ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَفِيِّ ، وبره إليك واصل في سَرَائِكِ وَضَرَائِكِ ، وحال طاعتك ومعصيتك: ﴿ وَأَذْكُرُ تَوَكُّبًا فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

وأفلق مما رزقك الله من علم ومال ، وبر وإحسان ، وتلطف في إيصال برك إلى الناس بألطف المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا منة ولا أذى ، ولا كبر ولا احتقار: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة / ٢٧٤].

وتذكر ألطف الناس بالناس.. وأرحم الناس بالناس.. وأكرم الناس.. وأجود الناس محمداً ﷺ، الذي أثنى عليه ربه ، لكمال حسن خلقه بقوله له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم / ٤].

فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه ، وتآدب بأدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه، تكن في الجنة رفيقه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٢١].

وأحسن إلى الناس جميعاً فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق، وكل امرئ حاسب نفسه ، ورهين عمله: ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُنَّ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة / ٧١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف / ١٥].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً تملأ به قلوبنا ، و يقيناً صادقاً تشرح به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب لنا ، ولا نحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .
 اللهم أسعدنا بتقواك ، واستعملنا في رضاك ، واجعلنا نخشاك كأنا نراك .
 يا خبيراً بأحوالنا ، يا عليماً بفقرتنا ، يا لطيفاً بالعباد الطف بنا ، وارحم ضعفنا وذلنا وانكسارنا بين يديك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ٧٧. الخبير

قال الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبا/١].

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الخبير الذي يعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة .

وهو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه ، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

وهو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد، وضمائر قلوبهم، وما تكنه صدورهم، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد، وما يجول في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً، ممن يتقيه ظاهراً وباطناً، ثم يجازي كلاً بعمله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

وهو سبحانه الخبير المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي أخبره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/ ٨٧].
واعلم نور الله قلبك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، أن الحق جل جلاله جعل للمعتبرين في مخلوقاته غنية عن التفكير في ذاته؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك نور جلاله وعظمته وكبريائه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته، وتدعوه الألسن بأسمائه، وتميزه البصائر عن سواه بصفاته وأفعاله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغُومِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

هو الواحد الأحد ، العليم الخبير بكل شيء ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده، فيعطيهم ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم.

يبسط لهذا، ويقبض عن هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق.

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى ، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء.

لهذا تجد عيش بعضهم مع فقره وبلائه أحسن ، وقلبه لربه أصفى ، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد له حباً وتقوى ؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء/ ٣٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الخبير:

الله عز وجل هو العليم الخبير بما تكنه الصدور، وما تخفيه القلوب، الذي يكشف كل مخبوء، ويرقب كل مستور، ويعلم السر. وأخفى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذرى أحسن كل شيء خلقه. وبدأ خلق الإنسان من طين] [السجدة/ ٧].

ولابد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، ويتلو كتابه ، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ ؛ ليعرف الخالق من المخلوق ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والباقي من الفاني ؛ ليُقدم على اليقين من أمره ، ويواظب على المشروع من عمله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فترته مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

مَتَّعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد/ ٢٠].

واعلم أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه ، كان من أمره على خطر ؛ لأنه قدّم الهوى على الهدى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ [القصص/ ٥٠].

فكل إيمان وتصديق ومسارة إلى الخيرات، والصبر على الأقدار والأحكام ، سببه العلم والعمل بخبر الوحي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة/ ٢].

وكل جهل ، أو تكذيب ، أو تقصير ، أو جزع ، أو ظلم ، أو كبر ، سببه الجهل بخبر الوحي أو الإعراض عنه: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿١٧﴾ [الجن/ ١٧].

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله، والجَلَد على عبادة الله ، بعد تقدّم الخبر والعلم بالله ، ووعدّه ووعدته، أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء، لعلمها بأن ما دعوتها إليه ، هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخير ، ومعرفة خبر الخير الحق سبحانه ، ليتبين لها من تعبد ، ومن تطيع ، وما تصبر عليه ، وما أنواعه ، وما ثوابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مِّمَّا تَكُونُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فإن لم تعرف ذلك بالخبر المنزل زَلَّت عند المحنة ، وجمحت عند الصدمة ، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك ، فلا تفعل ما يسخطه عليك، ويعلم جميع أحوالك

في السر والعلن، فلا تبارزه بالمعاصي، ولا تجعله أهون الناظرين إليك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
وَعَلَّمَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق/١٦-١٨].

واعبد ربك بالحب، مع كمال التعظيم والذل له، وتقلّب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما
يحبه ويرضاه، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء/٢١٨-٢١٩].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين فعلمها من لا يعلمها، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل
المؤمنين، تكن من الفائزين: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/١٠٤].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/٥٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي
مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَبْتُتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»
متفق عليه^(١).

يا خبيراً بكل شيء، يا عليمًا بكل شيء، يا بصيراً بكل شيء، يا مالكا لكل شيء.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الخبير.

اللهم يا إلهي، يا من بيده ناصيتي، يا عليمًا بضعفي ومسكنتي، يا خبيراً بفقري وفاقتي،
أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل بر تنشره، ومن كل
خطأ تغفره، يا أرحم الراحمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

المقالة X .. الحكيم .. الحاكم .. الحكم

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس/ ١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ آيَاتِنَا حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام/ ١١٤].

الله ﷻ هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص.

وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، الذي يضع الأشياء في محالها بحكمته ورحمته وعلمه، الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الذي يحكم ولا معقب لحكمه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد/ ٤١].

[الرعد/ ٤١].

وهو سبحانه الملك الحق، الحكيم الذي أحكم المخلوقات والأمر، ومنعها عن الخروج عن حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان الملك

والملكوت كله لحُكمه العدل، وأمره الفصل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ٤ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ٥ [الزمر/ ٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحُسن، الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٥٠ [المائدة/ ٥٠].

وهو سبحانه الحُكم الذي لا حُكم أعَدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق منه، الذي سَلِمَ له الحُكم كله في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير. وهو سبحانه العزيز الحكيم المحمود على حُكمه في الدنيا والآخرة.

فهو الحُكم الحق الذي له الحُكم القدري على الكائنات كلها، الذي أثره جميع ما خلق وذراً وبرأ في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٦٢ له، ﴿مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٦٣ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحُكم الحق الذي له الحُكم الديني الشرعي، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٠ [يوسف/ ٤٠].

وهو الحُكم الحق الذي له الحُكم الجزائي في الآخرة، الذي أثره الثواب والعقاب للعباد: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بِلَهٍّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٥٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ٥٧ [الحج/ ٥٦-٥٧].

فسبحان الملك الحق الذي له الخلق والأمر، والحكم والحمد: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٧٠ [القصص/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له.

أما كمال الحكم: فاعلم أن الحُكم كله لله وحده لا شريك له، فهو الذي يحكم بين عباده بما

يشاء ، ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَىٰ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الأنعام / ٥٧].

وكما أن الله ليس له شريك في الملك، فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة : ﴿لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَرَائِي وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦١﴾ [الكهف / ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء ، هو الذي يستحق وحده أن يحكم ويُشَرِّع ، ويُحِلُّ ويُحَرِّم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف / ٤٠].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله ، ويأكلون من رزقه، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعبيده: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [المائدة / ٥٠].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المائدة / ٤٩].

ومهمة الخلافة إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يٰۤاُدُّوْا اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌۢ بِمَا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٦١﴾ [ص / ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره : فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فقد خلق الله جميع المخلوقات بالحق، وأوجدتها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وصوره أحسن تصوير: ﴿ذٰلِكَ عَلِيْمٌ الْعَلِيْمِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ﴾ ﴿٦١﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْاِنْسَانِ مِنْ طِيْنٍ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾

وأما الحكمة في أمره وشرعه ، فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، ليعرفه عباده ، ويعبدوه بما شرع ، ومعرفته وعبادته بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصوده من خلقه ، وهي أفضل العطايا منه لعباده ، وهي أشرف الهبات للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

وقد اجتبى الله هذه الأمة، وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرّفها كالأنبياء بعبادة الله والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة / ٣].

واعلم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصالحة.

فأخبره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً، وإيماناً، و يقيناً، وعلماً بالله وأسمائه وصفاته، وتعظيماً للرب، ومحبة لله، وحمداً له، وذلاً له: ﴿ الرَّكْنُ أَحْكَمْتُ آيَتُهُ ثُمَّ فَضِلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [هود/ ١-٢].

وأوامره الشرعية كلها منافع ومصالح تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي النفوس بالطاعات: ﴿ ذَلِكُمْ حَكْمٌ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة/ ١٠].

ونواهيها كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم، وأبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأعراضهم.

فله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع بأحسن الكتب، وأرسل بها إلينا سيد الرسل ﷺ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته، وأفعاله، وآياته، وأحكامه.

وشهدت العقول بحكمة الحكيم عز وجل، بما شهدته في ملك وملكوت الجبار ﷻ، وخرت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

فتدبر رحمك الله حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة ، وآياته العجيبة، ترى بصرك وبصيرتك رباً حاكماً حَكَمَ كل شيء ، وأحكم كل شيء ، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة، فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وانظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السموات والأرض ، وما فيهن وما بينهن من المخلوقات ، والأفلاك ، والتدبيرات، تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات ، والآيات الساطعات ، الدالة على عظيم قدرة الجبار ، وحكمة أحكم الحاكمين ، بإحكام متقن ، وتدبير عجيب ، وحكم مستمر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فسبحان من خلق العالم كله على طبقاته ، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته ، من الجماد ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الإنسان : ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [٨٤] وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٥] [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

خلق الحكيم ذلك كله بحكمة تبهر العقول ، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٣] لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٦٣] [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة ، ومخلوقاته المتقنة بالشرعة المنزلة ؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، القادر الذي لا

أقدر منه ، الرحيم الذي لا أرحم منه ، الحكيم الذي لا أحكم منه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمَوْا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم رحمك الله أن من رزقه الله بصراً وبصيرة ، رأى في ملكوت السموات والأرض من عجائب الخلق ، وأنواع المخلوقات ، ودوام التصريف والتدبير ، ما يبهر العقول ، ويكّل دونه النظر ، وينحسر دونه البصر ، ويُرَبِّي على الوصف ، مما لا تدرك كنهه العقول ، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِيَ مَا ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الرب القادر الحكيم الذي برأ البرايا ، وفطر الفطر ، وركّب الأجسام ، وزوّجها بالأرواح ، فصارت حية تشهد لربها بالوحدانية ، وتقوم له بالعبودية ، وتسبح بحمد ربها ميتة أو حية : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وسبحان القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق ، واختزن الأرزاق في الأسباب ، واختزن الأسباب في الإرادات ، واختزن الأرواح في الأجسام ، واختزن الثمار في الأشجار ، واختزن المعاني في الألفاظ ، واختزن الكل في خزائن السموات والأرض ، وأخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وسبحان العلي العظيم الذي خلق العالم كله بالحق وللحق ، وركّب العالي على السافل ، واستودع السافل في العالي ، وملاً ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها ، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم ، وعرشه العظيم : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَاهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَبِعٍ ﴿٨﴾ وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا

طَلَعَ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِبَلَدَةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ [ق/٦-١١].

والله علي عظيم كبير، محيط بكل شيء ، استوى على العرش برحمته ، حي قيوم يفعل ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بمشيئته ، عليم خبير بجميع ما في ملكه وملكوته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

انظر رحمك الله إلى ربك الخلاق العليم ، القادر على كل شيء ، كيف خلق المخلوقات ، وكيف صورها على غير مثال ، فأحسن التصوير ، وقدر فأحسن التقدير ، ثم أخرج ما قدر ، على سواء ما قدر ، بلا كلفة ولا عناء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِيعٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

فتبارك الله رب العالمين ما أعظم ما خلق ، وما أعجب ما أبداع ، وما أحسن ما صور ، وما أحكم ما صنع: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٤].

ثم انظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته، لأنه القادر على كل شيء ، الحي الذي لا يموت ، الحي الذي يحيي ويميت.

فلبقائه ﴿عَلَّامٌ﴾ أفناهم، فكل شيء هالك إلا وجهه ، ولحياته ﴿عَلَّامٌ﴾ أماتهم ، ولحياته أحياهم ، فلا يموتون يوم القيامة أبداً، فاستغفر لذنبك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان / ٥٨].

ولعزه ﴿عَلَّامٌ﴾ أذل الخليقة قاطبة، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة فلا يذلون أبداً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون / ٨].

فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته، هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق وللحق، الذي هو الدين القيم.

نشر الحكيم العليم ذلك الحق في أمشاج العالم كله بقدرته ، وأفرغه في قالب الموجودات كلها

بحكمته، وهدى كلاً لما خلقه ، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح والتحميد: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه، ودعا الكل إلى ذلك ، ورغب في الإيمان ، وحذر من الكفر : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء / ١٧٠].

ثم آمن مَنْ عَلمَ اللهُ أنه يؤمن، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان / ٢٩ - ٣١].

فسبحان الحكيم القادر ، الفعال لما يشاء، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

يسطو ويقبض .. ويعزل ويذل .. ويرفع ويخفض .. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع .. ويرتق ويفتق .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَّا نُتَصَّرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر / ٦].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق الجلي والخفي، والكبير والصغير، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والجامد والسائل، والحلو والمر، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والنور والظلام ، والإنس والجان : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات / ٤٩].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الدنيا والآخرة ، وحكم الكل بقهره وجبروته .

فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين .

ثم تأمل رحمك الله، كيف جازى الغني الكريم المطيعين على اختلاف طاعاتهم وكثرتها، بما يقابل ذلك وزيادة من الكريم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

وكيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ٥٦].

واعلم أن من حكمة الحكيم العليم ما أظهر من الحكمة ، وخص بها من شاء من عباده .

و الحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال ، وهي من أعظم النعم التي يخصص الله بها من يشاء من عباده : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة / ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه ما استودع جميع المخلوقات من المنافع والمضار ، وهدايته إياها لِمَا قدره لها ، واستعماله إياها لِمَا فطرها عليه .

فالملائكة يعبدون ربهم ، ويسبحون بحمده ، ويدبرون أمره ، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله ، فهم النازعات ، والمقسمات أمراً ، والملقيات ذكراً ، والصافات صفاءً ، والمدبرات أمراً ، والتاليات ذكراً: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، والصبر عليه ، وأتباعهم من المؤمنين كذلك: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ١٥١-١٥٢].

واستخرج سبحانه حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده ، بما هداهم إليه من إتقان الصنع ، وقوة الفكر ، وغرائب الصناعات كلها : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٧٩] وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [٨٠] [الأنبياء / ٧٩-٨٠].

فسبحان الحكيم الذي أحكم الأمور بما يبهر العقول ، من عجائب المخلوقات ، وحسن

التدبيرات ، و حَكَمَ المخلوقات ، وقهر الكائنات : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ ﴾ [الفتح / ٧].

وما كان من السفه من بعض الخلق ، من الزور والبهتان، والاستهزاء بالله وآياته ورسله، ورد الحق ونحو ذلك مما خالف الحكمة، فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، عِلْمَهُ وَقَدْرَهُ وَأَذْنَ بِوَقُوعِهِ ، ثم أظهره من فاعلين له ، وأراد وقوعه منهم ، وهم الموصوفون به بفعلهم له ، ومحبتهم له ، فيجزون عليه جزاء مثله حقاً وعدلاً : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ ، وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤ ﴾ [النساء / ١٢٣-١٢٤].

فكل فعل منوط بفاعله ، والفعل يضاف إلى فاعله ، لا إلى العالم به ، القادر عليه، مع كونه غير واقع منه.

بل الرب عز وجل يحب الإيمان والطاعات ، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه ، ولا يحبه ولا يرضاه: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [الزمر / ٧].

واعلم أن الله ﷻ له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وأفعاله كلها حق وعدل ورحمة وحكمة وإحسان.

هو الملك الذي يغضب ويرضى .. ويحب ويكره .. ويعفو وينتقم .. ويشب ويعاقب ؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن أسخطه.

وفعله ذلك كله حكمة ورحمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الحكيم الخبير : ﴿ فَمَا يَكَدُ بِكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾ [التين / ٧-٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعادنا الله منه ، وابتلى الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ، فسجد الملائكة

امثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك.

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله، وأقطعه وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه في حق مَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي لِإِتْمَامِ كَلِمَتِهِ فِيهِمْ، وإقامة عدله عليهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة / ٣٤].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره، عزم على إغواء آدم وذريته: ﴿قَالَ إِنَّا مِنَّا الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَبْنَهُنَّ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف / ١٥-١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم حتى اتبعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِذْ هُوَ قَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا / ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوتته، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر / ٦].

فسبحان من خلق خلقاً للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار وبعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون.

والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن يستحق ثوابه وعقابه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٤].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين، كما قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَىٰ بِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي » أخرجه أحمد^(١).

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٣).

فلا بد إذاً من طريقتين ، أمر الله بأحدهما ، ونهى عن الآخر ، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من طاعة وعصيان ، والطاعة حكمة ، ظاهرها وباطنها، والمعصية ظاهرها سفة، وباطنها حكمة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل / ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وهو الحكيم العليم : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [٣٨] ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد / ٣٨-٣٩].

فلو نقص سفة السفهاء من العالم لغلب على الظن أن فاعله كأحد المطبوعات مثل النار لا توجد إلا محرقة، وكالثلج لا يوجد إلا مبرداً، وكالثقل يسفل، ولم تتم الحكمة من الخلق ، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل .

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده، وخلق الزوج وزوجه، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ثم قدم وأخر، ورفع وخفض، وأعز وأذل ؛ ليظهر لعباده قدرته في خلقه، وحكمته في أمره: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات / ٤٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم ^(١).

وسبحان من له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وبحكمته قدر لمقتضى تلك الأسماء والصفات أعمالاً، وخلق لها عاملين ، ثم استعملهم فيها ، وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يلحق العاملين بخواتيم أعمالهم، فيهدي سبحانه هذا، ويضل هذا، وينعم على هذا، ويبتلي هذا، ويحفظ هذا، ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٥].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

الْجَنَّةِ « متفق عليه (٢) .

والله ﷻ حكيم عليم أوجد الخير كله بنفسه لنفسه ، وأحبه ورضيه من عباده، ووعد عليه الجنة ، وأوجد الشر- كله بقدرته لا لنفسه، بل بحكمته ومشئته : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا لِآيَاتِنِ اللَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١١] .
فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي ، وتوعد العاملين به بالنار .

فمن وفقه الله لما تسمى به ، واتصف به ، سماه الله به ، ووصفه به ، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه ، ومدحه ، وأكرمه ، وأوصله إليه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

ومن أتبع نفسه وعمله ما تنزه عنه ربه ، ورضيه اسماً ووصفاً لنفسه ، انقطع وصله ، وضل عن ربه ، وخالف سبيله ، فكان في الذلة والخسران : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد/ ٢٥] .

فلا إله إلا الله ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين ، وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين ، فنستغفر الله وتوب إليه من الجهل والتقصير : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ وَأُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد/ ١٩] .

واعلم أن الله هو الخالق القادر الحكيم الذي خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له ملائكته ، وغرز فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه ، حين أحضرهم جميعاً صوراً في الهواء كالهباء ، وأخذ عليهم الميثاق ، وشهدوا له بالربوبية ، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٢) ، ومسلم برقم (١١٢) .

ثم استخرجهم بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر، فأقروا له بالربوبية ، وشهدوا على أنفسهم بذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف / ١٧٢-١٧٣].

ثم ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم، فكانت هذه أظهر من تلك.

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلًا بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا ، ومن صُلب إلى صُلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه ، فكانت هذه الحياة أظهر كثيراً من الأولين.

ثم يميّتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها ، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ .

فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه ، ويُعرضون على منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٣١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران / ١٦٩-١٧٠].

وحياة البعث المستقبلية أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم، والناس فيها صنفان: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى / ٧].

فإذا كان يوم القيامة بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الكبرى، وشهدت الشواهد، ونطقت الصوامت، وحق الحق، وحن الحساب: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لُبَّعِثُهُمْ لِنُبَيِّنَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن / ٧-٨].

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، العلي العظيم في خلقه وأمره، وحكمه

وعدله ، وبره ورحمته ، وكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته .

واعلم رحمك الله أن سنة الله في الخلق بالتدرج ، كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد والنبات والحيوان ، كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن ، حين ينزل الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء من عباده ، فتدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية في الإيجاد والخلق .

فرب أمر يومه خمسون ألف سنة .. ورب أمر يومه ألف سنة .. ورب أمر يومه سنة ..
ورب أمر يومه شهر .. ورب أمر حصل بأسرع من طرفة عين : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره ، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء ؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك الحق ، رب العرش العظيم ، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفيا ، ويشيهم ثواب الممتنين عليه ، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها ، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو : ﴿ إِن تَقْرُؤُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يَضَعْفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨] .

فما أغناه وما أكرمه ، إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد ، ويعطيهم بها الجنة ، ويشتمهم برضاهم عنه رضوانه عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة/ ١١١] .

وكما يعاقب على ما لو شاء لعصم منه ، كذلك يثيب على ما إليه هدى ، وهو الحكيم العليم :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٦٢) [غافر/ ٦١-٦٢] ، فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عبيده.

فأوجد خلقاً من خلقه في سماواته وأرضه يوحدون ويطيعونه ، ويسبحونه ، ويحمدونه بمحامده التي هو أهل لها.

وأوجد الحكيم أيضاً خلقاً من خلقه في أرضه يكفرون به ، ويكذبون عليه ، ويعصون رسله ، ويصفونه بما لا يليق بجلاله ، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم.

بل تراه ﷺ ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض بنصر المظلوم ، وإهلاك الظالم أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به ، وعصى أمره ، وربما عجل الانتقام لنفسه ، وربما أحر المظالم إلى يوم القيامة ، فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِيهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٤٩) سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٥١) هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٥٢) [إبراهيم/ ٤٧-٥٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن، وعفا لعباده عنه، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم ، وهذا كله من فضله ، وسبق رحمته غضبه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) [الحشر/ ٢٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه (١).

فانظر رحمك الله إلى عدل ربك ، وحسن معاملته ، وكريم عفوه ، ولطيف تدبيره ، وسعة رحمته ، وعظيم إحسانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧١٥) واللفظ له .

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته، وقهرت كل شيء عزته، وأحاطت بكل شيء قدرته، وأحصى- كل شيء علمه، وبلغ كل شيء لطفه، ووسعت كل شيء رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر / ٧-٨].

الخلق كلهم عبيد له، وهم جميعاً في قبضته، وحياتهم وموتهم بيده، وكلهم يعيشون في عز ملكه، وقهر سلطانه، وسعة رحمته، وسابغ نعمه .

فما أحكمه ، وما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله كيف ينكره مَنْ جَبَلَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْهَدَهُ عَلَىٰ رَبوبيته ، وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه ، وكيف يعجزه من ناصيته بيده ، وكيف يستنكف عن عبادته مَنْ هو عبده ومُلكه : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِنُوا فَمَا عَصَوْا ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِنُوا فَمَا عَصَوْا ﴿١٦﴾﴾ [الحديد / ١٦-١٧].

وكيف يعبد مَنْ دونه مَنْ بَقَاؤُهُ وَفَنَاؤُهُ بيده: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج / ٤٦].

فسبحان الملك العظيم ، الذي عالم السموات والأرض ، وعالم الليل والنهار ، وعالم الدنيا والآخرة ، شعبة من سلطانه ، وخزائن السموات والأرض شعبة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى- : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه ، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته ، وليعرّف الناظرين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولتدين الخلائق كلها لعزته ، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهه، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴿الطلاق / ١٢﴾ .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحكيم:

اعلم رحمك الله أن أسعد الناس من آمن بالله ، ورضي بحكم أحكم الحاكمين وسلّم لأمر رب العالمين ، واستقام على التوحيد والدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة ، الحكم الذي لا أحد أحكم منه ، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة ، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم ، وكل حكمة وأحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم رحمك الله أن الحكمة أجل شيء يكرم الله به عبده .

والحكمة من حيث العلم : هي معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والحكمة من حيث الفعل : هي جمع الأضداد ، وقرن المتعاصيات بحسن التدبير .

وأصل الحكمة : إصابة الصواب ، وموافقة الحق ، والعدل في القول والعمل .

والحكيم مَنْ وضع الشيء في موضعه ، وتزكى بالإيمان والتقوى ، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى ، وزم العسرى باليسرى ، وقدم الأحسن على الحسن : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان / ١٢].

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة ، فهي الجوهرة العظمى ، والهبة السنية العليا ، وتعرّفها حق واجب على أولي الألباب ، وفرض لازم على من رغب في الزلفى إلى ربه ، وحسن المآب : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

ومن أراد الله به خيراً أتاه الحكمة التي تُذهب الشك ، وتُجَلِّي الرِّيب ، ويعرف بها العبد الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال .

والحكمة الحق هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهي أصل الفضائل والخيرات والمعارف ، وتلك جوهرة ثمينة ، يخصص الله بها من يزكو بها ممن يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة / ٢٦٩] .

وبالحكمة يزداد النور في القلب ، ويصح الإيمان ، ويحصل اليقين ، ويكمل العلم ، ويتم السرور ، وتحصل حلاوة الطاعة ، ولذة العبادة .

فاستوفز نفسك في طلبها ، وخذ منها حظك ، واستجزل من أقسامها قسَمك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

واعلم أسعدك الله في الدارين أن من حكمة من يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء ، ويقلب أحوالهم كما شاء :

فسراء .. وضراء .. وشدة ورخاء .. وسلم وحرب .. وأمن وخوف .. وقوة وضعف .. وعافية وبلاء .. وصحة ومرض .. وغنى وفقر .. وخصب وجذب .

يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله ليريهم لا ليعذبهم ، ولا لزيادة أدب ، أو إسراف في نَصَب ، أو تعذيب أو انتقام ، بل ليعرّفهم الحكيم الحق بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ليعبدوه ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات .

فهو الرحيم الذي يملك الرحمة ويحب من يسألها ، ويحب من رحم بها .

وهو الرزاق الذي يملك الرزق ويحب من يطلبه ويحب من ينفقه .

وهو الشافي الذي يملك الشفاء ويحب من يسأله ، وهو المؤمن الذي يملك الأمن ويحب من يسأله ويحب من ينشره: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

فاجتهد في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبّد لله بمقتضاها، وادعه بها تكن ربانياً.

فهو التواب الذي يحب التوبة ، ويحب التائبين، المحسن الذي يحب الإحسان ،
ويحب المحسنين، الكريم الذي يحب الكرم وكل كريم ، المؤمن الذي يحب الإيمان ،
ويحب المؤمنين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحب الرب.

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمّله، ولا يُحرم سائله، ، ولا يَقطع رجاء من رجاءه ، أن
يعيننا وإياك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبنا ، وأن يعصمنا جميعاً من
الشرور والفتن، والتسويف والكسل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وأسأله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان،
وحيّره العمى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِعَدْلِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة/ ١٦].

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم ، وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿ وَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٣].

فإذا آتاك الحكيم الحكم والحكمة ﴿ فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص/ ٢٦].
واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة مَنْ أنعم بها عليك ، وأعط كل ذي حق
حقه، فلك حقوق، وعليك حقوق.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « إِنَّ لِحَسَبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ

حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُؤُوسِكُمْ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُؤُوسِكُمْ عَلَيْكَ حَقًّا « متفق عليه ^(١) .

وأحكم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات ، وسابق في الفضائل والطاعات ، تسبق إلى أعالي الجنات : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَعْرِقٍ مِّن رَّيْكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد / ٢١] .

وافعل الخير وعلمه ، ودل الناس عليه ، ورغبهم فيه ، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك : ﴿ يَبْنِي أَقْرَبَ الصُّلُوةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ [لقمان / ١٧] .

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة ، وعدوك من شياطين الإنس والجن ، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة ، واعتصم بالله وحده يكفيك شرهم وقل : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة / ١٢٩] .

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك ، فهو الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتدبيراً ، قضاءً وقدراً ، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه ، وثوابه وعقابه : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥] .

وتدبر كتاب ربك الحكيم ، وقرآنه العظيم ، فهو كتابه الكريم في بركاته ، الحكيم في أسلوبه ، الحكيم في بيانه ، الحكيم في تشريعه وأحكامه ، الحكيم في وعده ووعيده : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ [هود / ١] .

فتعلمه وعلمه واعمل به تكن من الربانيين : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (١١٥٩) .

« اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » أخرجه مسلم^(١).

يا من بيده ملكوت كل شيء ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الرازقين ، يا رب العالمين ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وعملاً صالحاً ، وحلالاً طيباً ، ونسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا ولي الصالحين .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .

المقالة ❦ . المجيد

قال الله تعالى : ﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴾ [هود/ ٧٣] .

الله ﷻ هو المجيد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، المجيد الذي تمجد بالعظمة والكبرياء ، والجلال والجمال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨] .

وهو سبحانه المجيد ، الذي له الملك والملكوت ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه : ﴿ بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١] .

وهو سبحانه المجيد القادر على كل شيء ، واسع الرحمة والمغفرة ، جزيل العطاء والإحسان ، الفعال لما يريد : ﴿ إِنْ بَطَشَ رَبِّكَ لِشَيْءٍ إِنَّهُ هُوَ يُدِي وَيُعِيدُ ﴾ [وهو الغفور الودود/ ١٤] ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ [البروج/ ١٢-١٦] .

وهو سبحانه المجيد ، الذي له المجد كله ، المجيد في جميع أقواله وأفعاله ، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الجزيل في عطائه ونواله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠) .

وهو سبحانه المجيد العلي العظيم ، رفيع الدرجات ، الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات ، وأحسن المنازل: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر/ ١٥].

وهو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، الذي تمجد بجلاله وجماله وإحسانه، ومجده خلقه، لكمال عظمته وجلاله، وجزيل إنعامه، ف: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(١).

فسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويحمده أهل السماء والأرض، ذو المجد والشرف والسؤدد، والعز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، المجيد العظيم الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناء عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه ، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي لا نهاية لمجده وجلاله وكبريائه ، ولا حد لملكه وسلطانه ، الذي مجده على قدر شأنه .

فلو كانت جميع الأشجار أقلاماً، وجميع البحار مداداً، وجميع الخلائق كتباً ، أبدأ الأبدان، لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبلغوا ما هو عليه ، ولم يؤدوا حقه من المدح والحمد والشكر : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٢٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٧] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [٢٨]. [لقمان/ ٢٦-٢٨].

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي برقم (١٠٤٩) .

هو القوي العزيز المجيد ، القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، كل شيء لعزته ذليل ، وكل أحد لكبريائه خاضع ، بيده الخلق والأمر كله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

كل الخلق لأمره طائع .. وكلهم لسلطانه خاشع .. وكلهم إليه راغب .. وكلهم منه راهب ، وكلهم إليه راجع : ﴿وَلَهُ ۥٓأَسْلَمَ ۖ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/٨٣].

وهو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء ، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً ، ومسرع إلى مشيئته طوعاً : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدْرَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء ، خلق الكبير والصغير ، والكثير والقليل ، وكله عليه سواء يسير : ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم ، العليم الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رجاءه ، العليم بكل شيء ، السميع لكل شيء ، البصير بكل شيء : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى/١٠].

وسبحان الحميد المجيد الذي عرّف أوليائه بتوحيده ، وألهم خلقه تسيحه وتحميده ، وأوله القلوب بعبادته ، وأنطق الألسن بذكره ، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

هو سبحانه المجيد العليم المحيط بكل شيء .

يعلم مثاقيل الجبال .. ومكايل البحار .. وعدد قطر الأمطار .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد الأرواح والأنفاس .. وعدد الحروف والكلمات .

ويعلم ما في البر والبحر.. وما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماء.. ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/٥٩].

عظيم مجيد لا تقاربه الظنون، ولا تدركه الأبصار، ولا تقابله العيون، ولا تحيط به العقول، ولا تكيفه الأوهام: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

رب مجيد عظيم، نور وجهه ملاً الكون كله: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور/٣٥].
 ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/٣].

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار فلا تراه في الدنيا أبداً: ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/١٠٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» أخرجه مسلم ^(١).
 فسبحان المجيد الذي يفعل ما يشاء وحده لا شريك له.

يحيي ويميت.. ويعز ويذل.. ويكرم ويهين... ويعطي ويمنع.. ويرفع ويخفض.. ويعفو ويتنقم.. ويهدي ويضل.. وينصر ويخذل.. ويبسط ويقبض.

والله ﷻ هو الرب المجيد الحق، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان، عظيم الخلق والأمر، عظيم الثواب والعقاب.

أسماءه كلها مجد.. وصفاته كلها مجد، وأفعاله كلها مجد، والقرآن كله تحميد وتمجيد، وتعظيم وتكبير، وتسييح للرب المجيد: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

والصلاة كلها تعظيم وتكبير، وتحميد وتمجيد، وتسبيح للحميد المجيد، أهل الشناء والمجد كله، شرعها لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات، والأقوال، والأفعال.

فأولها تمجيد للرب ﷻ .. وأوسطها تمجيد.. وقيامها تمجيد.. وركوعها تمجيد.. وسجودها تمجيد.. وجلوها تمجيد.. وأقوالها تمجيد.

ففي أول الصلاة التكبير والاستفتاح كله تمجيد، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي السجود كذلك تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي الجلوس دعاء وثناء، وتحميد وتمجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات، ورغب في الإكثار من نوافلها، وشرعها في أحوال مختلفة، وأمر بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة / ٢٣٨].

والله عز وجل هو المجيد ذو العرش المجيد.

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها، وأوسعها وأعلاها، وأرفعها وأكرمها.

خلقه القوي العزيز بقدرته، واستوى عليه برحمته كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه / ٥].

واعلم هداك الله لمعرفة، أن الفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب التي يقوى بها توحيد العبد، ويزيد إيمانه، ويخشع قلبه، وتحسن عبادته: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْنَ ظُلُمَتهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٨-٥٠].

فالنظر والتفكير في هذا الملكوت العظيم، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا، كله منصوب للاعتبار، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب الممكنون، الذي يُدرك في الدنيا بالقلوب، ويُرى في الآخرة بالعيان: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وقد أمرنا المجيد سبحانه بالنظر في جميع الملكوت ؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته فقال: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك ، مستعيناً بربك ، في أقل المخلوقات جِرمًا ، وأصغرها حجماً كالخردلة والذرة والبعوضة، رأيت ما يدفع الشك ، ويزيل الشرك ، ويحقق التوحيد للواحد الأحد، من الآيات الباهرات، والبراهين الساطعات القاطعات: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية/ ٦].

أقام الله هذه المخلوقات والآيات في السماء والأرض للاعتبار في ملكوته ، مقام فحوى الخطاب في كتابه ؛ تنبيهاً للمبتدئ من أوليائه، وتذكرة للمنتهي: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

وإذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه ، فالكبير والأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة، وأكبر شهادة: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر/ ٥٧].

فسبحان الملك العظيم ، الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل ، وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبداً من عبيده ، يَأتمر بأمره ، ويسبح بحمده.

ومن نور الله قلبه بنور الإيمان ، ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فرأى الصور ببصره، ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء.

ورأى بعقله أنه كلما عظم المخلوق عظم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته ، ونال بركته ، وخصه بمزيد كرمه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَأَيِّنَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

وبهذه المعارف يذوق القلب والعقل، والسمع والبصر-، حلاوة المعرفة، وطعم الإيمان، ويرى ربه يخلق ويدبر وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَثَابِكُمْ﴾ ﴿١٩١﴾ [محمد/ ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة الكبرياء، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد، لها زَجَلٌ بالتسييح والتقديس، والتحميد والتمجيد: ﴿سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

● التبعّد لله ﷻ باسمه الممجيد:

الله ﷻ هو المجد الذي له المجد كله، والكبرياء كله، والملك كله، والخلق كله، والأمر كله.

وهو المجد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤].

فمجد ربك العظيم الذي خلق الخلق، وبسط الرزق، وفرج الكرب، المغيث وقت البلاء، المعين في البأساء، أهل الثقة والرجاء، والحمد والثناء: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَا لَهُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وسبح بحمد ربك العظيم، ذو العرش المجدد، الفعال لما يريد: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ ﴿٢﴾ [غافر/ ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفقك لعبادته، وأنار قلبك بمعرفته، فأكثر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴿الأحزاب/ ٤١-٤٣﴾.

وَإِذَا عَرَّفَكَ الْمَجِيدَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَدِينَهُ وَشَرْعَهُ ﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وَإِذْ ذَكَرَ الْمَجِيدَ لَخَلْقِهِ ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَعَلَّمَهُمْ شَرْعَهُ ، وَعَرَّفَهُمْ بِنِعْمَةِ لِيْحَمْدِهِ ، وَعَرَّفَهُمْ بِكِبْرِيَاءِهِ لِيَكْبُرُوهُ ، تَكُنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

وَإِنْفَقْ مِمَّا آتَاكَ رَبُّكَ الْمَجِيدَ مِنْ مَالٍ تَوَاسَى بِهِ الْفَقِيرُ ، أَوْ عِلْمٍ تَعَلَّمَ بِهِ الْجَاهِلُ ، أَوْ خَلَقَ حَسَنًا تَحَلَّمَ بِهِ عَلَى السَّفِيهِ ، أَوْ جَاهٍ تَنَفَّعَ بِهِ الْمَحْتَاجُ ، أَوْ قَوْلٍ تَقِيَمُ بِهِ الْحَقُّ ، وَتَعَدَّلُ بِهِ الْمَعْوُجُ .
وَبِهَذَا يَحْمَدُكَ الْمَجِيدُ ، وَيَحْمَدُكَ أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَيَحْمَدُكَ أَهْلُ الْأَرْضِ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَأَسْعَدَكَ فِي الدَّارَيْنِ ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا مِنْ أَعْمَلِ نَفْسِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِمَا يَرْضَى اللَّهُ ، وَنَهَاهَا عَمَّا يَسْخَطُهُ : ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة/ ٦٢-٦٣].

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا أَدْرَكَتْهُ بَبصيرتك ، أَوْ شَاهَدْتَهُ بِبصرك ، مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ ، مِنْ لَدُنِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، إِلَى أَصْغَرِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ، كُلُّهُمْ عِبِيدٌ أَمْثَالُكَ ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان/ ٣].

وَإِنَّمَا الْمَلِكُ حَقًّا هُوَ الرَّبُّ الْمَجِيدُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ عِبِيدٌ لَهُ : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا قَلَّ سَمْعُهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ

وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [الرعد/ ٣٣].

فإلى ربك الحميد المجيد فالجأ، وعليه فتوكل، وإياه فاسأل، ولا يشغلك عنه سواه:
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل / ٧٩].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكير، وأحسبتن العمل لمن يراك ولا تراه، وابعده
كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الذرى يربك حين تقوم
﴿ ٢١٨ ﴾ وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب سيد المعتبرين إبراهيم عليه السلام حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب، ثم القمر،
ثم الشمس، فلما رأى عليها آثار الحدث، وسمات الصنع، وقهر التسخير: ﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ
الْأَفْلَاقَ ﴾ [الأنعام/ ٧٦].

فلما رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية، تعبد الله في محراب العبودية،
تخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام/ ٧٩].

فافهم رحمك الله طريق التوحيد، واسلك سبيل المتقين، تكن من الفائزين، فقد ظهر لك الأمر،
وبان لك الرشد: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٣٥].

وانظر رحمك الله بالبصر- والبصيرة، تكن على بصيرة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلَِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فظوبى وما أدرك ما طوبى .. لقلوب عبرت ساحات المُلْك والملكوت، فأميطت عنها
حُجُب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة، فرأت الخلق والخالق، والصور والمصور،
وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبح بحمده.

فأفادها ذلك المعرفة التامة بالرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت
به الملك من العبيد، فأتقته حق تقاته، وعبده كأنها تراه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ولم ترض لنفسها شغلاً إلا بطاعة الملك الأعلى فعبدته، فرفعها إلى المقام الأسنى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَاَنْشُرُوا فَاَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١].
يسر الله لنا ولكم حسن معرفته، وحسن عبادته وتقواه حتى نلقاه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].
« التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ »
متفق عليه (١).

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه (٢).

اللهم يا مالك الملك ، يا خالق الخلق ، يا ذا الطول والإنعام ، يا فعلاً لما تريد ، يا مجيد ، يا رب العرش الكريم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، يا رب العالمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣١)، ومسلم برقم (٤٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

المقالة ❦. الولي .. المولى

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج / ٧٨].

الله عز وجل هو الولي الحق ، القريب من خلقه ، الولي الحميد ، الذي يوالي جميع خلقه بالنعمة ، والأرزاق ، والعافية ، والإحسان ، والعون ، والهداية .

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين ، فهو سيدهم ، وربهم ، وخالقهم ، ورازقهم ، ومالكهم ، وحاكمهم : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وهو سبحانه ولي المؤمنين الذي يتولاهم بالهداية والإرشاد والنصر- والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد / ١١].

وهو سبحانه مولى الذين آمنوا، يمكّن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويجيب دعاءهم،

الذي يعترفون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ٤٥].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدرى ، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

ثم تولاهم بأمره الشرعي ، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ثم ردوا إلى مولاهم الحق ، ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويشيخهم ويعاقبهم حسب أعمالهم: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأنعام/ ٦٢].

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أوليائه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم، ويعينهم على طاعته؛ لأنهم تولوه بالإيمان به، وحسن عبادته، فتولاهم بالنصر. والتمكين والتوفيق في الدنيا، وأسكنهم الجنة في الآخرة: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١١٦] لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١١٧] [الأنعام/ ١٢٦-١٢٧].

والله عز وجل ولي من تولاه، واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه، واتبع هواه، سلط الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة، هم من استقام على التوحيد والعمل الصالح حتى الموت، فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ [٣١] تَزُلْزِلْ مِّنْ عَفْوَ رَحِيمٍ [٣٢] [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ومن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوادثه إلى غير مولاه، فقد خسر دينه ودنياه:

﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام / ١٤-١٥].

واعلم بأن الله هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، وكل شيء تحت ولايته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة / ١٢٠].

فسبحان الولي الحق، الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب بالهداية إلى الإسلام، ثم يغرّس في قلبه الإيمان، ثم يحب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ويعينه على ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات / ٧].

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به، مرضياً عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف / ١٠١].

والولاية درجات، تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق، فأمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في درج المقربين، فصاروا أعلاماً للهدى، يستضاء بنور علمهم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ هُمْ مِمَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر / ٣٣-٣٤].

فسبحان من كشف لهم الحجاب، حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون به، ويأخذون به، ويعطون به: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك / ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقلبون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم .. إن نطقوا نطقوا خائفين .. وإن سكتوا سكتوا وجلين .. وإن عملوا عملوا وجلين خائفين مشفقين من خشية ربهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُرَاتِبُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُرَاتِبُونَ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ عَنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَجِعون ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفْ نَفْسًا وَلَا وَسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْمَونَ ﴿٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤].

اللهم اجعلنا وإياكم ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا منهم ، يا ولي المؤمنين ، أنت حسبنا ونعم الوكيل ﴿أَنْتَ وَلِينَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الولي :

اعلم وفقك الله للتعبد له بما يحبه ويرضاه ، أن الولاية انتساب إلى مولاك الذي هداك ، بأسماء حسنة من أسمائه الحسنی ، واتصاف بصفات كريمة من صفاته العليا، مع إقرار منك برق العبودية له، وتوجيه العمل إليه بخالص الوجدانية ، وانقطاع إليه بالكلية ، وتعظيم له ، وحب له، وقرب منه في حال النعمة والبلية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

فالله كريم يحب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم ، ليكرمهم يوم القيامة بجزيل ثوابه ، ومن أجل هذا أعلنها في كتابه ، ودعا عباده إلى الاتصاف بها ، ودعائه بها فقال:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وَمِنْ رَزَقِهِ مَوْلَاهُ ذَلِكَ نَالَ الشَّرِيفَ الْأَعْلَى، وَفَازَ بِالْمَقَامِ الْأَسْنَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ :
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم رحمك الله أن من علامات قبولك في أوليائه ﷺ :

أن يصونك عن الذل لغيره.. ويكفيك ما أهمك .. ويؤمّنك من سواه حتى لا تخاف غيره..
ولا ترجو إلا إياه.. ولا تستعين إلا به.. ولا تسأل إلا إياه.

وأن يعينك على نفسك.. ويحيي قلبك بالإيمان.. ويشغل لسانك بذكره.. ويستعمل جوارحك بطاعته.. ويصرف أوقاتك بالتقرب إليه.

ويجعل لك المودة في قلوب عباده.. ويخلصك من أسر عدوه ، حتى تكون في جميع أمورك عبداً له وحده : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِّلُ وَإِرَهُ وَزَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٤].

والله ولي كل نعمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، فأطعه ولا تعصه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

وعليك بدوام ذكر مولاك الكريم يذكرك في نفسه .

واحذر الغفلة ، فإنها تورث كل قسوة ، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربّه : ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [٢٠٥] إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [٢٠٦].

[الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمأنت قلوبهم بتوحيده ، وصلحت أعمالهم بطاعته ، وازدانت أوقاتهم بعبادته ، فتقرب إليه بما يجب تكن وليه ، ويكون مولاك: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فاستقم كما أمرك الله ، وادع إلى ربك ، وانصح لعباده ، ولا تخف إلا الله ، واعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتنب ما يسخطه ويبغضه ، يحبك مولاك ، وينصرك على من عاداك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » أخرجه البخاري ^(١).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا بَدَّنِيَ فَأَغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري ^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، يا أرحم الراحمين .
 اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبداً ، يا ولي المؤمنين ، يا مالك يوم الدين ، يا رب العالمين .

الناصر .. النصير

قال الله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران / ١٥٠].

وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان / ٣١].

الله ﷻ هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر- كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له ، الناصر الذي بيده النصر كله : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران / ١٦٦].

وهو سبحانه الناصر القوي، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ولا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء، وأذل بجبروته جميع الجبابرة : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود / ٦٦].

وهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء ، في أي وقت شاء ، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم / ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق ، الذي بيده النصر وحده لا شريك له ، ينصر كل من آمن به : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً بما عندهم من العدد والعدد نصر- الله المؤمنين عليهم ؛ لأن الله لا غالب له، فهو الملك الجبار الذي قهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنِي أَنَا وَرُسُلِي إِنْ كُنِيَ اللَّهُ قُوًى عَزِيزٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب ، البالغ مراده من خلقه ، الذي لا يُغلب ولا يُقهر ، لكمال قدرته ، وعظمة سلطانه.

وهو سبحانه الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء، وأمره نافذ كيف شاء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف/ ٢١].

وهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب ، ولو أن جميع من في الأرض له طالب: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنِي أَنَا وَرُسُلِي إِنْ كُنِيَ اللَّهُ قُوًى عَزِيزٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك القادر، النصير الناصر، الغالب القاهر ، الذي أمره نافذ في جميع ملكه ، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أمضى، الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والنصر بيد الناصر الحق، فمن نصره الله فلا خاذل له، ومن خذله الله فلا ناصر له: ﴿إِنْ

يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفعل الأسباب من أسباب النصر. المطلوبة، ولكن النصر. بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال الله للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦١﴾ [آل عمران/ ١٦١].

وأحياناً ينصر. الله عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قتلها لبيان قدرته: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأسباب النصر، إذا تعلق المسلمون بها، واعتمدوا عليها، ليردهم إلى التوكل على من بيده النصر سبحانه كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الذي تفرد بالملك، والخلق، والرزق، والنصر..، والتدبير، الذي ينزل النصر على أوليائه، كما ينزل القطر من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر.. وبالفرج مع الكرب.. وبالعافية مع السقم.. وباليسر مع العسر.. وبالأمن بعد الخوف.. وبالنجاة مع رؤية الهلاك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِأُسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله القوي العزيز، الذي إذا أراد أن ينصر. أحداً نصره ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

وقد تكفل الله ﷻ بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

فسبحان الناصر لمن شاء ، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر، لكمال قوته وعظمته.

هو **عَلَّامٌ** الغالب على أمره ، الذي يفعل ما يشاء ، لا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبداً : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (٨٢) **فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (٨٣) [يس / ٨٢-٨٣].

هو القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أعطى، أو يعطي ما منع ، أو ينصر- من خذل ، أو يخذل من نصر: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٣٦) [آل عمران / ٢٦].

فسبحان الملك الحق ، الغالب القاهر لكل غالب، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه، أو إبعاد ما قرّبه ، أو تقريب ما بعدّه، أو إحياء ما أماته، أو إماته ما أحياه، أو قبض ما بسطه ، أو بسط ما قبضه، لا راد لما قضاه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٥٤) [الأعراف / ٥٤].

واعلم أن الله هو الملك الغني القوي، فلا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (٧٤) [الحج / ٧٤].

أما نصرته المؤمنين لربهم فتكون بعبادته ، والقيام بحقوقه ، ورعاية عهوده ، وامتنال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والجهاد في سبيله.

وهم بهذا يربحون السعادة في الدنيا والآخرة ، والنصر في الدنيا والآخرة ، والله غني عنهم ، لكن أمرهم بذلك ليسعدهم ويشبههم ويرضيهم : ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (٤٠) **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ (٤١) [الحج / ٤٠-٤١].

فهذه علامات من يستحق النصر والتمكين والاستخلاف .

واعلم رحمك الله أن حقيقة النصر- هي المعونة بطريق التولي والمحبة، خص الله به خيار

خلقه ، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون .

والمعونة على الشر . لا تسمى نصراً ، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بالمؤمن أنه منصور عليه ، بل هو مسلط عليه ؛ عقوبة له على ذنب ، أو تربية له ، كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد ، وسلط عليهم الكفار حين عصى بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ .

فإن الله ﷻ يسلب الكفار تربية لعباده ليعودوا إليه ويوحده : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء / ٩٠] .

والله ﷻ قادر على نصر دينه ، وإهلاك أعدائه وحده ، ولكنه عز وجل يبتلي عباده بذلك التسليط ليربي أوليائه ، ويظهر من ينصر دينه ممن يتولى عن نصرته : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٤] سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحْ بِأَلْمَمِ ﴿٥﴾ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ ﴿٦﴾ [محمد / ٤-٦] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الناصر :

واعلم وفقك الله لهده أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له .

فاسأل ربك أن ينصرك على نفسك لتستقيم على طاعة الله ، وأن ينصرك على هواك لتستقيم على هداه ، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين .

وقد بين الله لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه ، ولا معين لهم سواه ، وذلك لتتوجه قلوبهم له ، ويرفعون أكفهم بالضراعة إليه ، فيستجيب لدعائهم ، وينصرهم على من عاداهم .

فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك القادر ، فإنه نعم المولى ، ونعم النصير : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة / ١٠٧] .

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر ، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنِّي هَذَا أَقْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ١٦٥] .

واعلم يقيناً أن النصر والناصر مع أهل الإيمان والطاعات ، وأن الخذلان والهزيمة

والحرمان مع أهل الكفر والمعاصي : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد / ٧-٩].

فاجتهد رحمك الله على زيادة إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية ، والاستقامة على أوامر الله ، والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك ، فتقع في المعاصي، ثم تُحرم النصر ، وبركة الرزق ، فمن قَصَرَ في الحال ، أخذ في الحال : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء / ١٢٣].

واعلم أن المسلمين لن ينتصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولاً على العدو الباطن، وهو النفس والهوى والشيطان والدنيا.

فمن انتصر على هؤلاء ، نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج / ٤٠].

واعلم أن المؤمن منصور أبداً، فإذا ضعف الإيمان ، نقصت الأعمال، ثم ساءت الأحوال، فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم.

فالإيمان والأعمال الصالحة ، من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين ، فإذا ضعف الإيمان، ونقصت الأعمال، فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه من طاعة الله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران / ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحمك الله دين الله بالعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ولن ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا كما قال سبحانه : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي

حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر / ١-٣].

وانصر إخوانك المؤمنين ، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم ، وتعطيه إياه إن قدرت .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري (١) .

واعلم وفقك الله لِمَا يَقْرَبُكَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقٌ إِلَّا مِنْ خَالِقٍ ، وَلَا يَكُونُ مَغْلُوبٌ إِلَّا مِنْ غَالِبٍ ، وَلَا يَكُونُ مَنْصُورٌ إِلَّا مِنْ نَاصِرٍ .

وإن أردت أن تكون غالباً لأعدائك فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله ، بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه .

وقد علق الله ﷻ الهداية بالجهاد فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهاداً .

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا .

فمن استعان بالله ، وجاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ قَلِيلًا مِّنْكُمْ يُؤْتِرْهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨].

فمن انتصر- على هذه الأربعة نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه غلبه عدوه:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

[الشمس / ٧-١٠].

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٤).

واعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر. على نفسه وهواه، ونصر. دين الله، وجاهد في سبيله، فهو منصور في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر/ ٥١].

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى- الله ورسوله، فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء/ ٢٢].

فهو مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وأسر الشيطان له، فأينما يوجهه لا يأت بخير، بل يأت بكل شر وفساد، وهو يظنه خير وصلاح: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٦] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ [الزخرف/ ٣٦-٣٧].

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذِفَ به في السعير، ونُسي- في العذاب كما نسي- دين الله في الدنيا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيَتَنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُرِّ مَا صَنَعْتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ « أخرجہ البخاری ^(١) .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين .
اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما
أعطيت ، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا
يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

المقالة ١١١ . القادر .. القدير .. المقتدر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ
شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴾ [الأعرام/ ٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

الله ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له .

هو القادر الذي له القدرة المطلقة، القادر الذي لا أحد أقدر منه .

وهو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة، الذي كل خلق ورزق وأمر وتدبير فمن آثار قدرته
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى
الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وهو سبحانه القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا
يفوته شيء : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا ﴾ [فاطر/ ٤٤] .

(١) أخرجہ البخاری برقم (٦٣٠٦) .

وهو سبحانه القادر الحق ، الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادراً ، ولو سلبها عنه عاد عاجزاً: ﴿ وَمَا يَكُومُنَّ نِعْمَةً فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤] .

وهو سبحانه القادر الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، خالق كل شيء ، وغالب كل شيء ، وقاهر كل شيء: ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء.

الصغير والكبير .. الظاهر والباطن .. المتحرك والساكن .. القادر على كل شيء .. من الخير والشر ، والأمن والخوف ، والمحبوب والمكروه .

هو القادر الحق ، القدير الحق ، المقتدر الحق وحده لا شريك له .

هو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له .

خزائن القدرة بيده .. وخزائن العلم بيده .. وخزائن الأرزاق بيده .. وخزائن الأسماء بيده .. وخزائن الصفات بيده .. وخزائن الكلام بيده .

وخزائن الجماد والنبات والحيوان بيده .. وخزائن المخلوقات بيده .. وخزائن المياه والبحار والرياح بيده .. وخزائن الذهب والفضة والمعادن والذرات بيده .

وخزائن القوة والنصر- بيده .. وخزائن العزة والذلة بيده .. وخزائن الرحمة والعذاب بيده .. وخزائن السماوات والأرض كلها بيده .. وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا

عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

هو الملك العظيم القادر ، لم يشركه في خلق تلك المخلوقات وغيرها شريك ، ولم يستظهر عليه بظهير: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبا/ ٢١-٢٢] .

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته ، ولا يحتاج إلى أحد ، ولا يستعين بأحد ، بل هو المعين

لكل أحد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ [ق/٣٨].

فسبحان الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُوعًا ﴾ ﴿٥١﴾ [الكهف/٥١].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرة واحدة.. ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد.. ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله، القادر على الإيجاد كله.. القادر على الرزق كله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [الملك/١].

وكل ما سوى الله من القادرين القادر ﴿عَلَّامٌ خَلْقِهِمْ﴾ ، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض، وسلط بعضهم على بعض ، وهو سبحانه القادر القاهر لكل قادر: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسْبَاطِ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنعام/٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى ، بعون القادر وإذنه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [الصفات/٩٦].

فالله جل جلاله كامل القوة والقدرة، أما قدرة القادرين سواه فهي ناقصة بصفتها، محدثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.

خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر،
 وقسم البلاء بقدر: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾
 [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله جلَّ هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي.

خلق سبحانه العرش والكرسي.. وخلق السماوات والأرض.. وخلق الشمس والقمر..
 وخلق الكواكب والنجوم.. وخلق الملائكة والروح.

وهو القادر العظيم الذي خلق الجماد والنبات والحيوان.. وخلق الملائكة والإنس والجان..
 وخلق الذرات والجبال.. وخلق المياه والبحار، والأشجار والثمار: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهذه المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الذي خلقها لا يمكن لأحد أن يعدها أو
 يحصيها، وكلها تدل على كمال قدرة الله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فسبحان الملك العظيم الملك، القوي كامل القوة، القدير كامل القدرة، خالق كل شيء، ومدبر كل
 شيء: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَنَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فهذا الرب العظيم القادر على كل شيء هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له:
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
 أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده يستحق به وحده الحمد عليه، فالمخلوقات
 كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته: ﴿وَلَهُ مَا فِي
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَغْيَرَ اللَّهُ نَفْسُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

فَالَيْهِ يَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِّفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فجميع مخلوقاته سبحانه توجب الشكر ؛ لما فيها من النعم، وتوجب التذکر؛ لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب ، وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فواعجباً كيف يُعصى مَنْ هَذَا خَلَقَهُ؟ وَهَذَا إِحْسَانُهُ؟ وَهَذِهِ قُدْرَتُهُ؟ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

وكيف لا يُعبد ويطاع وهو الكبير الذي بيده الملك، ذو العزة والجبروت ، والعظمة والكبرياء! : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ جَلَّالاً بِاسْمِهِ الْقَادِرِ :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء .

وإذا علمت هذا فعليك أن تحبه وتعظمه ، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته، وجميل إنعامه وإحسانه.

وعليك أن تخافه وتخاف عذابه، فإنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه، وعلى كل حال، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب : ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾
[العنكبوت/ ٤٠].

واحذر الذنوب التي تغضب ربك، والمعاصي التي تسخطه، فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك، وهو وإن أمهلك لتتوب فإنه لا يهلكك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ولا تيأس من رحمة ربك أبداً، وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم أن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء، يقوي في قلبه الاستعانة بالله، وصدق الالتجاء إليه، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوب ومكروه بقدر من القادر العليم الحكيم، سلم قلبه من أمراض القلوب، وامتلاً بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة، والصبر على البلية: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومعرفة القدير الرحيم تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضى عن الله.

ومن ملاً قلبه من الرضى بالقدر، ملاً الله صدره غنى وأمناً وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبتة وذكره، وشكره وعبادته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فكن لله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يحبه ويرضاه، يسرك يوم تلقاه حيث لا تقدر ولا ترجع: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

واعلم أن الأمور كلها بيد القادر المقتدر، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له،

وداوم على سؤاله وحده ، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مقاليد الأمور ،
 يغنيك ويرضيك ويسترضيك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
 دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يَا غَلَامُ ، إِنِّي
 أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَحِذْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا
 اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا
 عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »
 أخرجه أحمد والترمذي (١) .

وإذا قدرت على من دونك من الخلق فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه، لينظر
 بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ
 أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢] .

فَصِلْ مِنْ قَطْعِكَ ، وَأَعْطِ مِنْ حَرَمِكَ ، وَاغْفِرْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ،
 وَاسْتَعْمَلْ قَدْرَتَكَ فِيمَا يَرْضَىٰ بِهِ رَبُّكَ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
 مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٤] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم/ ٨] .

« اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ،
 أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم (١).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

اللهم يا من له العزة والجبروت ، وله الملك والملكوت ، يا عالماً بكل شيء ، يا محيطاً بكل شيء ، يا قديراً على كل شيء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين .

المقالة XX. اللطيف

قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك / ١٣-١٤].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا ، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) [يونس / ٦١].

وهو سبحانه اللطيف البرّ بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم، الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وأطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر- بخفي لطفه، ويرقيهم إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره ، ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة ، والمقامات النبيلة : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف / ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم، الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون ، ومن حيث لا يعلمون، اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر، وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدر فيه ، ولا فكر فيه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى / ١٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

وهو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء، وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات، ويسمع تسبيحها من بين الكائنات، ويأت بها من بين المخلوقات: ﴿يَبْنِيْ اِيَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِيْ سَمَوَاتٍ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَاتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان/ ١٦].

وهو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع، وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات، وأسرار المصنوعات: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللّٰهُ الَّذِيْ اَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ اِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَفْعَلُوْنَ﴾ [النمل/ ٨٨].

وهو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلمهم مثقال ذرة: ﴿اَفَاَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوْا السَّيِّئَاتِ اَنْ يَّخْسِفَ اللّٰهُ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [٤٥] اَوْ يَأْخُذْهُمْ فِيْ تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ [٤٦] اَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلٰى تَخَوُّفٍ فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيْمٌ [٤٧]﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَّ اِنْ تَكُ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ اَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه اللطيف الذي لا أحد أطف منه، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فاطف: ﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُہٗ اِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُوْمٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو الملك الحق الذي وسع علمه ولطفه ورحمته جميع مخلوقاته.

اللطيف الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا يرونه، وظهر لعقولهم فهم يعبدونه كأنهم يرونه: ﴿ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَرَ وَهُوَ اللّٰطِيْفُ الْخَبِيْرُ [١٠٣]﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان اللطيف الذي لطف أن يُدرك بالکیفیه ، اللطيف الخبير بكل ذرة في الملك والملكوت ، اللطيف بالبر والفاجر ، فكلُّ يأكل من رزقه ، اللطيف بالكافر حيث لم يقتله جوعاً بكفره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه ، وتاب إليه من عباده ، فيقبله ويُقبل عليه ، وينعم عليه ، الذي يعطي الجزيل ويقبل القليل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل/ ٧].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير ، الذي يعلم الأشياء الدقيقة ، ويوصل رحمته ورزقه إلى عباده بالطرق الخفية : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة/ ٥-٦].

فما يتبلى الله به عباده من المصائب .. وما يأمرهم به من المكاره .. وما ينهاهم عنه من الشهوات .. هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف إلى سعادتهم في العاجل والآجل .. كما ابتلى يوسف عليه السلام بالسجن فصبر ، فأعطاه الملك : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل فصبر وأطاع ، فجعل ذريته هم الباقين .. وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [الحديد/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم ما أعظم رحمته بعباده ، وما أعظم لطفه بهم ، وما أوسع حلمه على من عصاه .

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نقوله ونسمعه : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

الأول: بمعنى الخير، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك/١٣-١٤].

الثاني: بمعنى المحسن والمنعم الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم وما ينفعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٣) [الحج/٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن ﷻ، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة .

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت .

في خلق المخلوقات كلها .. والإتيان بالأرزاق وتقسيمها .. وأصناف الكفايات كلها .. وتقليب الأحكام والأطوار .. واختلاف الألسنة والألوان والأحجام والأوقات .. وخلق الذوات والذرات .. وخلق الجامدات والمائعات .. واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣) [هود/١٢٣].

فسبحان اللطيف القدير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، واستودعها في خزائنه العظيمة ، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرساله الرياح اللوابع ، ثم لطفه في تلقيحها السحاب ، ثم لطفه في حملها السحاب ، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح ، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب ، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ

مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَقِيهٖ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
[النور/٤٣-٤٤].

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت ، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض ، وتقطيعه رذاذاً لئلا يهلك من تحته : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف أرحام الأرض ، وفتحها لقبول الماء والنبات ، حتى ذهبت عروق النبات في الثرى ، وصعدت أغصانه في الهواء .

ثم تأمل حكمة اللطيف ، كيف خلق النبات أزواجاً ، وشعوباً ، وقبائل ، ومختلفة الألوان ، والأحجام والطعوم ، رزقاً لخلقهم وعبادته : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في فلق الحب والنوى ، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين بجذوره ، ثم كونه أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً ، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدرج نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة ، مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل/١٠-١١].

ثم تفكر كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام ، وكما يخرج الأفعال من الإنسان ؛ ليذكر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور : ﴿ وَمَنْ عَائِنَهُ ۗ إِنَّكَ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَاشِعَةً ۚ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۗ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۗ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت/٣٩].

فسبحان اللطيف بعباده الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض ، الذي يسوق لعباده أرزاقهم من بلاد شتى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْتَفِعِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون/٧].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وساق هذا لهذا بلطفه، وهو سبحانه الكريم الذي جميع الخلق ينتفعون ويأكلون من موائد نعمه ، وما أكثر ما يجلس الإنسان على مائدة فيها من نعمه أنواع شتى ، من بلاد شتى: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

لا إله إلا الله وله الحمد ، ما أَلطفه بخلقه ، وما أعجب لطفه في حسن تدبيره ، وجميل تقسيمه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].
ثم تفكر رحمك الله في النطفة التي خلقت منها الله أحسن الخالقين ، كيف جمعها اللطيف من الغذاء، وأقرها في قرارها المكين ، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والتراتيب.

ثم تأمل كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام ، ثم صيرها في أطوار الخلق نطفة، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان خَلْقاً آخراً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشراً سوياً ، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة.

فسبحان مَنْ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ إِنْسَانًا لَهُ رَأْسٌ ، وَأَيْدٍ ، وَأَرْجُلٌ ، وَأَصَابِعٌ ، وَأَذْنَانٌ ، وَعَيْنَانٌ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ.

وخلق من ذلك الماء القلب والكبد ، والأمعاء والمعدة ، والعروق والعصب وغيرها من الأعضاء الباطنة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق/ ٥-١٠].
فهذه قدرته في خلق فرد من جنسٍ من أحد مخلوقاته .

فسبحان الخلاق العليم، اللطيف الخبير، الذي يملك جميع موازين التدبير والتصريف، والتشكيل والتغيير، بسلطانه العظيم، في ملكه الواسع الكبير: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/٦٥].

له الخلق كله، وله الأمر كله، وهو الحكيم العليم:

يسطو ويقبض.. ويعز ويذل.. ويعطي ويمنع.. ويغني ويفقر.. ويحيي ويميت.. ويهدي من يشاء.. ويضل من يشاء.. ويعفو عمن يشاء.. ويتنقم ممن يشاء.

خلق الكبير والصغير، والجليل والدقيق، والكل عنده سواء في الخلق والعلم: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۗ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ۗ بل الظالمون في ضلالٍ مبين ﴿١١﴾﴾ [لقمان/١٠-١١].

والكل ملكه.. والكل يشهد بتوحيده.. والكل يسبح بحمده ويعبده: ﴿سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره في البسط والقبض، والعطاء والمنع، والنفع والضرر. هو القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

يحيي بأسباب الموت.. ويميت بأسباب الحياة.. وينجي بأسباب الهلاك.. ويهلك بأسباب النجاة.. ويعز بأسباب الذلة.. ويذل بأسباب العزة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/٨٢-٨٣].

هو اللطيف الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه، ثم يورثهم أرضهم وملكهم، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْنَا ۗ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ فَأَلْقَيْنَاهُ فِي الْعَرِيِّ فَوَجَدَهُ عَلَىٰ فَرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فَرْعُونَ وَهَمَّ أَنْ يُجْنِدَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص/٧-٨].

ويعطي المحبوب بالأسباب المكروهة ؛ لأنه اللطيف العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، وحده لا شريك له : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فسبحان الله ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين ، لا يقضي لهم بشيء إلا كان لهم خيراً لهم .
عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

أما الكافر من حيث هو كافر فلا يقضي الله له بشيء إلا كان شرّاً له ، إن بسط له أغناه وأطغاه ، وإن منعه وقبضه سخط ربه وعاداه. ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْؤُهُمْ وَأُولَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٨٥].

واعلم أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً ، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي ، إلى نور الإيمان والسنة والعلم والطاعات ، ويقبض شر نفوسهم الأمانة بالسوء ، ويصرف عنهم السوء والفحشاء ، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ وَهُمْ أُلْطَغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

ويقدر لهم أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم ، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه .

ومن لطفه بعباده المؤمنين أن يجعل رزقهم حلالاً في راحة ، يحصل به المقصود ، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله ، وهو عبادة الله ، والدعوة إليه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يتليهم ببعض المصائب ليكفر عنهم - إذا صبروا - السيئات ، ويرفعهم إلى عالي الدرجات ، ويكرمهم بجزيل الثواب : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِن مَّا سَأَلُوا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٦].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩).

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
 مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

● التبعّد لله ﷻ باسمه اللطيف :

اعلم نور الله قلبك بالإيمان أن أول ما يجب عليك من التبعّد لله باسمه اللطيف طلب علمه،
 فذلك مفتاح التبعّد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى، ومعرفة مسالكه في العالم ؛ لترى قدرة
 القدير، ولطف اللطيف، في مخلوقاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾
 [طه / ٨].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، التي يحبه عباده من أجلها،
 بادر إلى التبعّد لله بها ليحبه ربه.

وإذا علم أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب
 ربه في حركاته وسكناته.

فإن العبد ، وكل شيء ، مكشوف بين يدي اللطيف الخبير، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في
 الأرض ولا في السماء : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق ؛ لتنال فضله، وتظفر بنعمه وعطاياه، وكن واثقاً بربك الكريم،
 ومولاك الرحيم، الذي جميع النعم منه.

وارغب إلى ربك في جميع أمورك، واعلم أن من يتحرّر الخير يعطه، ومن يتوق الشر- يُوقه،
 والفضل كله بيد الله وحده، وأعلاه طلب الهداية والعافية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم رحمتك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك ، فالطف أنت حسب طاقتك
 بإخوانك المؤمنين ، وخالقهم بخلق حسن ، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك ،
 وسعهم بحسن خلقك ، وادعهم إلى الله ، واصبر على أذاهم، يحبك الله ، وتكسب محبة الناس ،

ومودتهم، وتسلم من أذيتهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

واشغل نفسك ، وقلبك ، ولسانك ، وجوارحك بذكرٍ وشكرٍ مَنْ لُطْفَهُ بِكَ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَفِيِّ ، وبره إليك واصل في سَرَائِكِ وَضَرَائِكِ ، وحال طاعتك ومعصيتك: ﴿وَأَذْكُرُّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

وأفلق مما رزقك الله من علم ومال ، وبر وإحسان ، وتلطف في إيصال برك إلى الناس بألطف المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا منة ولا أذى ، ولا كبر ولا احتقار: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة / ٢٧٤].

وتذكر ألطف الناس بالناس.. وأرحم الناس بالناس.. وأكرم الناس.. وأجود الناس محمداً ﷺ، الذي أثنى عليه ربه ، لكمال حسن خلقه بقوله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤].

فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه ، وتآدب بأدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه، تكن في الجنة رفيقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

وأحسن إلى الناس جميعاً فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق، وكل امرئ حاسب نفسه ، ورهين عمله: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُنَّ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة / ٧١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف / ١٥].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً تملأ به قلوبنا ، و يقيناً صادقاً تشرح به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب لنا ، ولا نحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .
 اللهم أسعدنا بتقواك ، واستعملنا في رضاك ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك .
 يا خبيراً بأحوالنا ، يا عليماً بفقرتنا ، يا لطيفاً بالعباد الطف بنا ، وارحم ضعفنا وذلنا وانكسارنا بين يديك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❖ الخبير

قال الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ/١].

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الخبير الذي يعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة.

وهو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه ، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

يَعْلَمَهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ
الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد:
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [القمان/ ٣٤].

وهو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد، وضمائر قلوبهم، وما تَكِنُّه صدورهم، الخبير بكل
ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، الخبير بجميع نيات وأقوال
وأفعال العباد، وما يجول في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً، ممن يتقيه ظاهراً
باطناً، ثم يجازي كلاً بعمله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

وهو سبحانه الخبير المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه، العليم بجميع المخلوقات
الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسْرُوقُولِكُمْ وَأَوَّجَّهْرُؤَابِهٍ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي أخبره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق:
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/ ٨٧].
واعلم نور الله قلبك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، أن الحق ﷻ جعل للمعتبرين في
مخلوقاته غنية عن التفكير في ذاته؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك نور جلاله وعظمته
وكبريائه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته، وتدعوه الألسن بأسمائه، وتميزه
البصائر عن سواه بصفاته وأفعاله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ

أَلَسِنَتِكُمْ وَأَلُونِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم / ٢٢].

هو الواحد الأحد ، العليم الخبير بكل شيء ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وليس له شبيهه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١].

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عبادہ، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / ١٨].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عبادہ، فيعطيهما ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم .

يبسط لهذا، ويقبض عن هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق .

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى ، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء .

لهذا تجد عيش بعضهم مع فقره وبلائه أحسن ، وقلبه لربه أصفى ، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد له حباً وتقوى ؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠].

● التبعيد لله ﷻ باسمه الخبير :

الله عز وجل هو العليم الخبير بما تكنه الصدور، وما تخفيه القلوب، الذي يكشف كل مخبوء، ويرقب كل مستور، ويعلم السر. وأخفى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ. وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة / ٧].

ولابد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، ويتلو كتابه ، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ ؛ ليعرف الخالق من المخلوق ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والباقي من الفاني ؛ ليُقدم على اليقين من أمره ، ويواظب على المشروع من عمله : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد/ ٢٠].

واعلم أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه ، كان من أمره على خطر ؛ لأنه قدّم الهوى على الهدى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾ [القصص/ ٥٠].

فكل إيمان وتصديق ومسارة إلى الخيرات، والصبر على الأقدار والأحكام ، سببه العلم والعمل بخبر الوحي: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة/ ٢].

وكل جهل ، أو تكذيب ، أو تقصير ، أو جزع ، أو ظلم ، أو كبر ، سببه الجهل بخبر الوحي أو الإعراض عنه: ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ ﴿٧﴾ [الجن/ ٧].

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله ، والجلد على عبادة الله ، بعد تقدّم الخبر والعلم بالله ، ووعدّه ووعدته ، أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء ، لعلمها بأن ما دعوتها إليه ، هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخير ، ومعرفة خبر الخير الحق سبحانه ، ليتبين لها من تعبد ، ومن تطيع ، وما تصبر عليه ، وما أنواعه ، وما ثوابه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَّوْتِكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فإن لم تعرف ذلك بالخبر المنزل زلّت عند المحنة ، وجَمَحَت عند الصدمة ، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

تُؤَلِّهٖ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهٖ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك ، فلا تفعل ما يسخطه عليك، ويعلم جميع أحوالك في السر والعلن، فلا تبارزه بالمعاصي، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِۦ فَسَسُوهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١١٦﴾ إِذْ يَنْفَعِي الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَقِيدٌ ﴿١١٨﴾ ﴾ [ق/ ١١٦-١١٨].

واعبد ربك بالحب ، مع كمال التعظيم والذل له، وتقلّب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد: ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٨-٢١٩].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين فعلمها من لا يعلمها، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل المؤمنين ، تكن من الفائزين: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

يا خبيراً بكل شيء ، يا عليماً بكل شيء ، يا بصيراً بكل شيء ، يا مالكاً لكل شيء .
اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الخبير .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

اللهم يا إلهي ، يا من بيده ناصيتي ، يا عليماً بضعفي ومسكتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل بر تنشره ، ومن كل خطأ تغفره ، يا أرحم الراحمين .

المقالة X . الحكيم .. الحاكم .. الحكَم

قال الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة/ ١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس/ ١٠٩].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَظِيرُ اللَّهُ أَتَّبِعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام/ ١١٤].

الله ﷻ هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص.

وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله ، الذي يضع الأشياء في محالها بحكمته ورحمته وعلمه، الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الذي يحكم ولا معقب لحكمه: ﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [٤١]

وهو سبحانه الملك الحق ، الحكيم الذي أحكم المخلوقات والأمر، ومنَعها عن الخروج عن حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان المُلْك والملكوت كله لحُكمه العدل، وأمره الفصل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٤) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ [الزمر/ ٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحُسن، الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان ، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٥٠].

وهو سبحانه الحُكْم الذي لا حُكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قاتل أصدق منه، الذي سلّم له الحُكم كله في ملكه العظيم ، وسلطانه الكبير . وهو سبحانه العزيز الحكيم المحمود على حُكمه في الدنيا والآخرة.

فهو الحُكْم الحق الذي له الحُكم القدري على الكائنات كلها ، الذي أثره جميع ما خلق وذراً وبرأ في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٦) لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٦﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحكم الحق الذي له الحكم الديني الشرعي ، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ۗ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۗ ذَٰلِكَ الَّذِي يُقِيمُ وَلَكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) [يوسف/ ٤٠].

وهو الحكم الحق الذي له الحكم الجزائي في الآخرة ، الذي أثره الثواب والعقاب للعباد: ﴿الْمَلَائِكُ يُومِدُونَ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

فسبحان الملك الحق الذي له الخلق والأمر، والحكم والحمد: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧٠) [القصر/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له.

أما كمال الحكم : فاعلم أن الحكم كله لله وحده لا شريك له ، فهو الذي يحكم بين عباده بما يشاء ، ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصِّحُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الأنعام / ٥٧].

وكما أن الله ليس له شريك في الملك، فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِهَ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الكهف / ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء ، هو الذي يستحق وحده أن يحكم ويُشَرِّع ، ويُحَلِّلُ ويُحَرِّمُ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف / ٤٠].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله ، ويأكلون من رزقه، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعبيده : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [المائدة / ٥٠].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَمِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المائدة / ٤٩].

ومهمة الخلافة إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾ [ص / ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره : فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فقد خلق الله جميع المخلوقات بالحق، وأوجدتها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن

إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وصوّره أحسن تصوير: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْعَلِيْبِ
وَالشَّهْدَةِ الْعَزِيْزِ الرَّحِيْمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾
[السجدة/ ٦-٧].

وأما الحكمة في أمره وشرعه ، فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع ، وأنزل الكتب،
وأرسل الرسل ، ليعرفه عباده ، ويعبدوه بما شرع ، ومعرفته وعبادته بموجب أسمائه وصفاته
ودينه هي مقصوده من خلقه ، وهي أفضل العطايا منه لعباده ، وهي أشرف الهبات للوصول
إلى السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ
رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الناربات/ ٥٦-٥٨].

وقد اجتبي الله هذه الأمة، وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرّفها
كالأنبياء بعبادة الله والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصالحة.

فأخبره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً، وإيماناً، ويقيناً، وعلماً بالله وأسمائه وصفاته ،
وتعظيماً للرب ، ومحبة لله ، وحمداً له، وذلاً له: ﴿الرَّكَتِبُ أَحْكَمُ ءَابْنُهُ ثُمَّ فَضِلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود/ ١-٢].

وأوامره الشرعية كلها منافع ومصالح تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي
النفوس بالطاعات: ﴿ذَلِكَ كُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [المتحنة/ ١٠].

ونواهيها كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما
يضرهم في دينهم ، وأبدانهم ، وعقولهم ، وأخلاقهم ، وأعراضهم.

فله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع بأحسن الكتب، وأرسل بها إلينا سيد الرسل ﷺ: ﴿قَدْ
جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته ، وأفعاله ، وآياته ، وأحكامه .

وشهدت العقول بحكمة الحكيم عز وجل ، بما شهدته في ملك وملكوت الجبار ﷻ ، وخرت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه ، وعظيم إحسانه ، وعظمة ملكه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

فتدبر رحمك الله حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة ، وآياته العجيبة ، ترى ببصرك وبصيرتك رباً حاكماً حكّم كل شيء ، وأحكم كل شيء ، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة ، فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم ﷻ : ﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وانظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السموات والأرض ، وما فيهن وما بينهن من المخلوقات ، والأفلاك ، والتدبيرات ، تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات ، والآيات الساطعات ، الدالة على عظيم قدرة الجبار ، وحكمة أحكم الحاكمين ، بإحكام متقن ، وتدبير عجيب ، وحكم مستمر : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة / ١٦٤] .

فسبحان من خلق العالم كله على طبقاته ، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته ، من الجماد ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الإنسان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ ۗ إِلَهُ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨٤] وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٥] [الزخرف / ٨٤-٨٥] .

خلق الحكيم ذلك كله بحكمة تبهر العقول ، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٣] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [٦٣] [الزمر / ٦٢-٦٣] .

وهو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة ، ومخلوقاته المتقنة بالشرعة المنزلة ؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، القادر الذي لا أقدر منه ، الرحيم الذي لا أرحم منه ، الحكيم الذي لا أحكم منه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢/الطلاق].

واعلم رحمك الله أن من رزقه الله بصرًا وبصيرة ، رأى في ملكوت السموات والأرض من عجائب الخلق ، وأنواع المخلوقات ، ودوام التصريف والتدبير ، ما يبهر العقول ، ويكّل دونه النظر ، وينحسر دونه البصر ، ويُرَبِّي على الوصف ، مما لا تدرك كنهه العقول ، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [١٠/هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه] ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان/١٠-١١].

فسبحان الرب القادر الحكيم الذي برأ البرايا ، وفطر الفطر ، وركّب الأجسام ، وزوّجها بالأرواح ، فصارت حية تشهد لربها بالوحدانية ، وتقوم له بالعبودية ، وتسبح بحمد ربها ميتة أو حية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج/١٨].

وسبحان القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق ، واختزن الأرزاق في الأسباب ، واختزن الأسباب في الإرادات ، واختزن الأرواح في الأجسام ، واختزن الثمار في الأشجار ، واختزن المعاني في الألفاظ ، واختزن الكل في خزائن السموات والأرض ، وأخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/٥٩].

وسبحان العلي العظيم الذي خلق العالم كله بالحق وللحق ، وركّب العالي على السافل ، واستودع السافل في العالي ، وملاً ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها ، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم ، وعرشه العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

فُرُوجٌ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْتِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴿ق/٦-١١﴾ .

والله علي عظيم كبير، محيط بكل شيء ، استوى على العرش برحمته ، حي قيوم يفعل ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بمشيئته ، عليم خبير بجميع ما في ملكه وملكوته: ﴿الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿البقرة / ٢٥٥﴾ .

انظر رحمك الله إلى ربك الخلاق العليم ، القادر على كل شيء ، كيف خلق المخلوقات ، وكيف صورها على غير مثال ، فأحسن التصوير ، وقدر فأحسن التقدير ، ثم أخرج ما قدر ، على سواء ما قدر ، بلا كلفة ولا عناء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿القمر / ٤٩-٥٠﴾ .

فتبارك الله رب العالمين ما أعظم ما خلق ، وما أعجب ما أبداع ، وما أحسن ما صور ، وما أحكم ما صنع: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿الحشر / ٢٤﴾ .

ثم انظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته ، وجمعهم بحكمته ، لأنه القادر على كل شيء ، الحي الذي لا يموت ، الحي الذي يحيي ويميت .

فلبقائه ﴿فَلْيَقَاتِهِ﴾ أفناهم ، فكل شيء هالك إلا وجهه ، ولحياته ﴿حَيَّ﴾ أماتهم ، ولحياته أحياهم ، فلا يموتون يوم القيامة أبداً ، فاستغفر لذنبك : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَى بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴿الفرقان / ٥٨﴾ .

ولعزه ﴿عِزَّهُ﴾ أذل الخليقة قاطبة ، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة فلا يذلون أبداً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿المنافقون / ٨﴾ .

فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته ، هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق

وللحق، الذي هو الدين القيم.

نشر الحكيم العليم ذلك الحق في أمشاج العالم كله بقدرته ، وأفرغه في قالب الموجودات كلها بحكمته، وهدى كلاً لما خلقه ، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح والتحميد: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤) [الإسراء / ٤٤].

ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه، ودعا الكل إلى ذلك ، ورغب في الإيمان ، وحذر من الكفر : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧٠) [النساء / ١٧٠].

ثم آمن مَنْ عَلمَ اللهُ أنه يؤمن، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان / ٢٩ - ٣١].

فسبحان الحكيم القادر ، الفعال لما يشاء، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه.

يسطو ويقبض .. ويعزل ويذل .. ويرفع ويخفض .. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع .. ويرتق ويفتق .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِمٌ نَصْرَفُونَ ﴾ (٦) [الزمر / ٦].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق الجلي والخفي، والكبير والصغير، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والجامد والسائل، والحلو والمر، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والنور والظلام ، والإنس والجان : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٩) [الذاريات / ٤٩].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الدنيا والآخرة ، وحكم الكل بقهره وجبروته.

فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين.

ثم تأمل رحمك الله، كيف جازى الغني الكريم المطيعين على اختلاف طاعاتهم وكثرتها، بما يقابل ذلك وزيادة من الكريم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة/ ١٧].

وكيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٥٦) [النساء/ ٥٦].

واعلم أن من حكمة الحكيم العليم ما أظهر من الحكمة، وخص بها من شاء من عباده.

و الحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣١) [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه ما استودع جميع المخلوقات من المنافع والمضار، وهدايته إياها لِمَا قدره لها، واستعماله إياها لِمَا فطرها عليه.

فالملائكة يعبدون ربهم، ويسبحون بحمده، ويدبرون أمره، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله، فهم النازعات، والمقسمات أمراً، والملقيات ذكراً، والصفات صفاءً، والمدبرات أمراً، والتاليات ذكراً: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وأتباعهم من المؤمنين كذلك: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢) [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واستخرج سبحانه حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده، بما هداهم إليه من إتقان الصنع، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧٨) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ

فسبحان الحكيم الذي أحكم الأمور بما يبهر العقول ، من عجائب المخلوقات ، وحسن التدبيرات ، وحكم المخلوقات ، وقهر الكائنات : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ [الفتح/ ٧].

وما كان من السفه من بعض الخلق ، من الزور والبهتان ، والاستهزاء بالله وآياته ورسله ، ورد الحق ونحو ذلك مما خالف الحكمة ، فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك ، علمه وقدره وأذن بوقوعه ، ثم أظهره من فاعلين له ، وأراد وقوعه منهم ، وهم الموصوفون به بفعلهم له ، ومحبتهم له ، فيجزون عليه جزاء مثله حقاً وعدلاً : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [١٢٣] وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [١٢٤] [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فكل فعل منوط بفاعله ، والفعل يضاف إلى فاعله ، لا إلى العالم به ، القادر عليه ، مع كونه غير واقع منه .

بل الرب عز وجل يحب الإيمان والطاعات ، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه ، ولا يحبه ولا يرضاه : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر/ ٧].

واعلم أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وأفعاله كلها حق وعدل ورحمة وحكمة وإحسان .

هو الملك الذي يغضب ويرضى .. ويحب ويكره .. ويعفو وينتقم .. ويشيب ويعاقب ؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه ، ويرضى على من أطاعه ، ويحب المؤمنين ، ويكره الكافرين ، ويرحم المسترحمين ، ويبطش بمن أسخطه .

وفعله ذلك كله حكمة ورحمة ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الحكيم الخبير : ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ

بَعْدَ الْبَالِغِينَ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين/ ٧-٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعادنا الله منه، وابتلى الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، فسجد الملائكة امتثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك.

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله، وأقطع وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفة في حق مَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي لِإِتْمَامِ كَلِمَتِهِ فِيهِمْ، وإقامة عدله عليهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة/ ٣٤].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره، عزم على إغواء آدم وذريته: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْخُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥-١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم حتى اتبعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا/ ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوتهم، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦].

فسبحان من خلق خلقاً للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار ويعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون.

والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن يستحق ثوابه وعقابه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي،

وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أُبَالِي « أخرجه أحمد ^(١) .

فلا بد إذاً من طريقتين ، أمر الله بأحدهما ، ونهى عن الآخر ، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من طاعة وعصيان ، والطاعة حكمة ، ظاهرها وباطنها ، والمعصية ظاهرها سفة ، وباطنها حكمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ٩٠] .

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده ، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وهو الحكيم العليم : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٣٨) ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (٣٩) [الرعد / ٣٨-٣٩] .

فلو نقص سفة السفهاء من العالم لغلب على الظن أن فاعله كأحد المطبوعات مثل النار لا توجد إلا محرقة ، وكالثلج لا يوجد إلا مبرداً ، وكالثقل يسفل ، ولم تتم الحكمة من الخلق ، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل .

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده ، وخلق الزوج وزوجه ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ، ثم قدم وأخر ، ورفع وخفض ، وأعزَّ وأذل ؛ ليظهر لعباده قدرته في خلقه ، وحكمته في أمره : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٩) [الذاريات / ٤٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم ^(١) .

وسبحان من له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وبحكمته قدر لمقتضى تلك الأسماء والصفات أعمالاً ، وخلق لها عاملين ، ثم استعملهم فيها ، وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل ، ثم يلحق العاملين بخواتيم أعمالهم ، فيهدي سبحانه هذا ، ويضل هذا ، وينعم علي هذا ، ويبتلي هذا ، ويحفظ هذا ، ويفتن هذا ، ثم الأعمال بالخواتيم : ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥) [الأنبياء / ٣٥] .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٣) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » متفق عليه (٢).

والله عز وجل حكيم عليم أوجد الخير كله بنفسه لنفسه ، وأحبه ورضيه من عباده، ووعده عليه الجنة ، وأوجد الشر- كله بقدرته لا لنفسه، بل بحكمته ومشيبته : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١١].

فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار.

فمن وفقه الله لما تسمى به ، واتصف به ، سماه الله به ، ووصفه به ، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه ، ومدحه ، وأكرمه ، وأوصله إليه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

ومن أتبع نفسه وعمله ما تنزه عنه ربه ، ورضيه اسماً ووصفاً لنفسه ، انقطع وصله ، وضل عن ربه ، وخالف سبيله ، فكان في الذلة والخسران : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْقُصُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد/ ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين ، وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين ، فنستغفر الله ونتوب إليه من الجهل والتقصير : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ وَلَوْ آتَى الْبَيْتِ ﴾ [الرعد/ ١٩].

واعلم أن الله هو الخالق القادر الحكيم الذي خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له ملائكته ، وغرز فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه ، حين أحضرهم

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٢) ، ومسلم برقم (١١٢) .

جميعاً صوراً في الهواء كالهباء ، وأخذ عليهم الميثاق ، وشهدوا له بالربوبية ، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه .

ثم استخرجهم بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر ، فأقروا له بالربوبية ، وشهدوا على أنفسهم بذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفُهِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف / ١٧٢-١٧٣] .

ثم ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم ، فكانت هذه أظهر من تلك .

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلاً بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا ، ومن صلب إلى صلب على مر القرون ، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه ، فكانت هذه الحياة أظهر كثيراً من الأولين .

ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا ، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها ، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ .

فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه ، ويُعرَضون على منازلهم في الجنة أو النار ، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١١٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران / ١٦٩-١٧٠] .

وحياة البعث المستقبلية أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم ، والناس فيها صنفان: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى / ٧] .

فإذا كان يوم القيامة بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الكبرى ، وشهدت الشواهد ، ونطقت الصوامت ، وحق الحق ، وحق الحساب: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن / ٧-٨] .

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلْتُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، العلي العظيم في خلقه وأمره ، وحكمه وعدله ، وبره ورحمته ، وكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته .

واعلم رحمك الله أن سنة الله في الخلق بالتدرج ، كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد والنبات والحيوان ، كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن ، حين ينزل الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء من عباده ، فتدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية في الإيجاد والخلق .

فرب أمر يومه خمسون ألف سنة .. ورب أمر يومه ألف سنة .. ورب أمر يومه سنة .. ورب أمر يومه شهر .. ورب أمر حصل بأسرع من طرفة عين : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۝٥٣ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره ، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء ؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

فسبحان الملك الحق ، رب العرش العظيم ، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفيا ، ويشيهم ثواب الممتنين عليه ، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها ، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو : ﴿ إِن تَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَّبًا حَسَنًا يَظْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨].

فما أغناه وما أكرمه ، إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد ، ويعطيهم بها الجنة ، ويشمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِشْتَرَيْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَافِي التُّورَانَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١١١ ﴾

وكما يعاقب على ما لو شاء لعصم منه ، كذلك يثيب على ما إليه هدى ، وهو الحكيم العليم:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر/ ٦١-٦٢] ، فسبحان الله وبحمده الذي
عدل فيما بينه وبين عبيده.

فأوجد خلقاً من خلقه في سماواته وأرضه يوحدونه ويطيعونه ، ويسبحونه ، ويحمدونه
بمحامده التي هو أهل لها.

وأوجد الحكيم أيضاً خلقاً من خلقه في أرضه يكفرون به ، ويكذبون عليه ، ويعصون
رسله ، ويصفونه بما لا يليق بجلاله ، وهو مع ذلك يعافيههم ويرزقهم.

بل تراه ﷺ ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض بنصر المظلوم ، وإهلاك الظالم أكثر مما
ينتقم لنفسه ممن أشرك به ، وعصى أمره ، وربما عجل الانتقام لنفسه ، وربما أخر المظالم إلى
يوم القيامة ، فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
وَلِيَذْكُرُوا الْأَوْلِيَاءَ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٧-٥٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن ، وعفا لعباده عنه ، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم
، وهذا كله من فضله ، وسبب رحمة غضبه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ
الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه (١).

فانظر رحمك الله إلى عدل ربك ، وحسن معاملته ، وكريم عفوه ، ولطيف تدبيره ، وسعة

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧١٥) واللفظ له .

رحمته ، وعظيم إحسانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥-٨].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته ، وقهرت كل شيء عزته ، وأحاطت بكل شيء قدرته ، وأحصى - كل شيء علمه ، وبلغ كل شيء لطفه ، ووسعت كل شيء رحمته : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر / ٧-٨].

الخلق كلهم عبيد له ، وهم جميعاً في قبضته ، وحياتهم وموتهم بيده ، وكلهم يعيشون في عز ملكه ، وقهر سلطانه ، وسعة رحمته ، وسابغ نعمه .
فما أحكمه ، وما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله كيف ينكره مَنْ جَبَلَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْهَدَهُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَكَابِرُهُ مَنْ قَدَّ قَهْرَهُ بِمَلَكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَكَيْفَ يَعْجِزُهُ مَنْ نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ مَنْ هُوَ عَبْدُهُ وَمُلْكُهُ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد / ١٦-١٧].

وكيف يعبد مَنْ دُونَهُ مَنْ بَقَاؤُهُ وَفَنَائُهُ بِيَدِهِ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج / ٤٦].

فسبحان الملك العظيم ، الذي عالم السموات والأرض ، وعالم الليل والنهار ، وعالم الدنيا والآخرة ، شعبة من سلطانه ، وخزائن السموات والأرض شعبة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى — : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه ، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته ، وليعرّف الناظرين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولتدين الخلائق كلها لعزته ، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهه ، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحكيم:

اعلم رحمك الله أن أسعد الناس من آمن بالله ، ورضي بحكم أحكم الحاكمين وسلّم لأمر رب العالمين ، واستقام على التوحيد والدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نحن أولياؤكم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن عَفْوٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة ، الحكم الذي لا أحد أحكم منه ، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة ، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم ، وكل حكمة وأحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .
واعلم رحمك الله أن الحكمة أجل شيء يكرم الله به عبده .

والحكمة من حيث العلم : هي معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والحكمة من حيث الفعل : هي جمع الأضداد ، وقرن المتعاصيات بحسن التدبير .
وأصل الحكمة : إصابة الصواب ، وموافقة الحق ، والعدل في القول والعمل .

والحكيم مَنْ وضع الشيء في موضعه ، وتزكى بالإيمان والتقوى ، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى ، وزم العسرى باليسرى ، وقدم الأحسن على الحسن : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ [لقمان / ١٢] .

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة ، فهي الجوهرة العظمى ، والهبة السنينة العليا ،

وَتَعَرَّفَهَا حَقَّ وَاجِبٍ عَلَى أُولِي الْأَبَابِ ، وَفَرَضَ لِأَزْمٍ عَلَى مَنْ رَغِبَ فِي الزَّلْفَى إِلَى رَبِّهِ ،
 وَحَسَنَ الْمَأْبِ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا آتَاهُ الْحِكْمَةَ الَّتِي تُذْهِبُ الشُّكَّ ، وَتُجَلِّي الرِّيبَ ، وَيَعْرِفُ بِهَا الْعَبْدَ
 الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ .

وَالْحِكْمَةُ الْحَقُّ هِيَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ﷻ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَهِيَ أَصْلُ الْفَضَائِلِ وَالْخَيْرَاتِ
 وَالْمَعَارِفِ ، وَتِلْكَ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ ، يَخْصُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَزْكُو بِهَا مِمَّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ : ﴿ يُؤْتِي
 الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
 الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

وَبِالْحِكْمَةِ يَزْدَادُ النُّورَ فِي الْقَلْبِ ، وَيَصِحُّ الْإِيمَانُ ، وَيَحْصُلُ الْيَقِينُ ، وَيَكْمَلُ الْعِلْمُ ، وَيَتِمُّ
 السُّرُورُ ، وَتَحْصُلُ حَلَاوَةُ الطَّاعَةِ ، وَلَذَّةُ الْعِبَادَةِ .

فَاسْتَوْفِ نَفْسَكَ فِي طَلِبِهَا ، وَخُذْ مِنْهَا حِظَّكَ ، وَاسْتَجِزْ مِنْ أَقْسَامِهَا قَسْمَكَ : ﴿ وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وَاعْلَمْ أَسْعَدَكَ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ أَنْ مِنْ حِكْمَةٍ مَنْ يَحْكُمُ الْعَالَمِينَ أَنْ يَخْصُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ بِمَا
 شَاءَ ، وَيَقْلِبُ أَحْوَالَهُمْ كَمَا شَاءَ :

فَسِرَاءٌ وَضِرَاءٌ .. وَشِدَّةٌ وَرِخَاءٌ .. وَسَلْمٌ وَحَرْبٌ .. وَأَمْنٌ وَخَوْفٌ .. وَقُوَّةٌ وَضَعْفٌ .. وَعَافِيَةٌ
 وَبَلَاءٌ .. وَصِحَّةٌ وَمَرَضٌ .. وَغِنَىٌ وَفَقْرٌ .. وَخَصْبٌ وَجَدْبٌ .

يَفْعَلُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِيُرِيَهُمْ لَا لِيُعَذِّبَهُمْ ، وَلَا لِزِيَادَةِ أَدَبِهِ ، أَوْ إِسْرَافِهِ فِي نَصَبِهِ ،
 أَوْ تَعْذِيبِهِ أَوْ انْتِقَامِهِ ، بَلْ لِيَعْرِفَهُمُ الْحَكِيمُ الْحَقُّ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى ، لِيَعْبُدُوهُ
 وَيَسْأَلُوهُ وَحْدَهُ بِمُقْتَضَى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

فَهُوَ الرَّحِيمُ الَّذِي يَمْلِكُ الرَّحْمَةَ وَيَحِبُّ مَنْ يَسْأَلُهَا ، وَيَحِبُّ مَنْ رَحِمَ بِهَا .

وَهُوَ الرَّزَاقُ الَّذِي يَمْلِكُ الرَّزْقَ وَيَحِبُّ مَنْ يَطْلُبُهُ وَيَحِبُّ مَنْ يَنْفِقُهُ .

وهو الشافي الذي يملك الشفاء ويحب من يسأله ، وهو المؤمن الذي يملك الأمن ويحب من يسأله ويحب من ينشره : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاجتهد في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبّد لله بمقتضاها، وادعه بها تكن ربانياً.

فهو التواب الذي يحب التوبة ، ويحب التائبين، المحسن الذي يحب الإحسان ، ويحب المحسنين، الكريم الذي يحب الكرم وكل كريم ، المؤمن الذي يحب الإيمان ، ويحب المؤمنين : ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحب الرب.

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمّله، ولا يُحرم سائله، ، ولا يقطع رجاء من رجاءه ، أن يعيننا وإياك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبنا ، وأن يعصمنا جميعاً من الشرور والفتن، والتسويف والكسل : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وأسأله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان، وحيّره العمى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة/ ١٦].

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم ، وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

فإذا آتاك الحكيم الحكم والحكمة ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٢٦].

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة مَنْ أنعم بها عليك ، وأعط كل ذي حق حقه، فلك حقوق، و عليك حقوق.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « إِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرَوْحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُؤُوسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » متفق عليه ^(١).

وأحکم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات ، وسابق في الفضائل والطاعات ، تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد / ٢١].

وافعل الخير وعلمه ، ودل الناس عليه، ورغبهم فيه ، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿يَبْنِي أَقْوَمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ [لقمان / ١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة ، وعدوك من شياطين الإنس والجن، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة ، واعتصم بالله وحده يكفيك شرهم وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك، فهو الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتديراً، قضاءً وقدراً، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، فهو كتابه الكريم في بركاته، الحكيم في أسلوبه ، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود / ١].

فتعلمه وعلمه واعمل به تكن من الربانيين: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (١١٥٩).

﴿رَبَّنَا أَمْثَلِمْا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٤] وَاجْعَلْنِي مِنْ

وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ [٨٥] [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم^(١).

يا من بيده ملكوت كل شيء ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الرازقين ، يا رب العالمين ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وعملاً صالحاً ، وحلالاً طيباً ، ونسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا ولي الصالحين .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .

الشكور.. الشاكر

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٧]

[التغابن / ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [١٤٧]

[النساء/ ١٤٧].

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠] [الأأنعام/ ١٦٠].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر.

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾ [العنكبوت / ٦] .

وهو سبحانه الشاكر الحق ، الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويشبههم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِن تَقْرَؤُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن / ١٧] .

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويذكر مَنْ ذكروه ، ويزيد مَنْ شَكَرَهُ ، ويرحم من استرحمه من عباده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [فاطر/ ٢٩-٣٠] .

ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً كثيرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة / ٢٤٥] .

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي ولا تضاعف ، ويمحوها بالتوبة والاستغفار ، ثم يبدلها حسنات ، ثم يضاعفها ؛ لأنه وحده الغفور الشكور .

ومن كفر بالله ، وفعل الكبائر من قتل أو زنى ، ثم مات ولم يتب ، ضاعف له العذاب يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠] .

واعلم رحمك الله أن جميع النعم التي يتنعم بها الخلق من رزق وعافية، وأمن وسرور، وأهل ومال وولد، كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ

إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرَعُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣] .

وواجب جميع الخلق أن يشكروا ربهم على كل نعمة ، باستعمالها في طاعته ، والتقرب بها إليه ، فإن كفر بها ولم يشكروها ، تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويشني عليه، ويشبهه على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء، أفلا يشكرون له حُسن الكرم والعطاء: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر / ٦١] .

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله ، وييده الخير كله .

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية ، ويشكر بها من أطاعه، ويشبهه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده ويرحمهم ، ولا يحب عقابهم: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَٰمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء/ ١٤٧] .

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال ؛ لما يرى من عظمة جلاله ، وعظيم خلقه وآلائه ، وكريم عطائه وإحسانه: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

فسبحان من أكرم عباده بكل شيء ، وأعطاهم كل شيء ، ورزقهم من فضله ، وأطعمهم من رزقه ، وأسكنهم في أرضه ، وأكمل لهم دينه ، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى .، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما أعظم نعمه على عباده ، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] [إبراهيم / ٣٤].

والله ﷻ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم ، لنفع أنفسهم ، ومواساة بعضهم ، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة ، وخبأه لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر؛ لأنه الغفور الشكور: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٤٥] [البقرة / ٢٤٥].

فسبحان الرب الشكور ، الشاكر لعباده ، الذي لا يضيع عنده عمل عامل ، بل يضاعف الأجر بلا حسابان ، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين ، ويذكر الذاكرين ، ويتقرب إلى المتقربين: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْتُمْ مُوجَّهَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوِّتْهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوِّتْهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [١٤٥] [آل عمران / ١٤٥].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي - ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه (١).

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذي أنعم به عليه ، وأعاناه على إنفاقه في سبيل مرضاته .

وإذا ترك العبد شيئاً من أجله ، أعطاه أفضل منه ، واستعمله في طاعته .

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة ، ووقفهم للبدل والترك من أجله ، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة:
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٦١].

ويجزى الشكور على العمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي ، عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح
الذي به سعادته في الدنيا والآخرة.

فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيله ، أعاضهم الله بأن حبب إليهم الإيمان ،
وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وصلى هو عليهم وملائكته ، وجعل لهم أطييب الثناء في
السماء والأرض: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤٣].

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله ، أعاضهم عنها أن
فتح لهم البلاد ، وملّكهم الدنيا ، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور / ٥٥].

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه
وأطاعه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود / ٦١].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب ،
ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا ، ويخفف عنه العذاب في الآخرة
بما عمله من الخير ، وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّي فِيهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء / ١٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا

وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمَلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا « أخرجه مسلم (١) .

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ النَّارِ بِأَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ .

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُعْطِي أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا وَعَمَلًا مِثْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ .

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبَادِهِ يَقُومُ لَهُ مَقَامًا يَرْضِيهِ بَيْنَ النَّاسِ فَيُشْكِرُهُ لَهُ ، وَيُنَوِّهُ بِذِكْرِهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ ، كَمَا شَكَرَ لِصَاحِبِ يَسَ حِينَ قَالَ : ﴿ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴾ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَ لِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿ يس / ٢٥ - ٢٧ .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ رَبِّ غَفُورٍ شَكُورٍ ، يُعْطِي مِنْ خَزَائِنِهِ مَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ ، وَيُرْغَبُهُمْ فِي الْعَطَاءِ لِغَيْرِهِ ، ثُمَّ يَضَاعِفُ أَجْرَ الْمُعْطِي ؛ لِأَنَّهُ كَرِيمٌ شَكُورٌ ، الْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ ، شَكُورٌ يَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ ، وَيُشْكِرُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ يونس / ٦٠ .

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الشُّكُورُ :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها.

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم ، المحسن الشكور ، الرحيم الغفور ، ويبغض العبد الكافر البخيل ، الظالم الفاسد ، المجرم الخائن .

ولما كان الله هو الشكور الحق ، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضدها .

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى ، فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين .. شكور يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين .. عفو يحب العافين .. جميل يحب أهل

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨) .

الجمال.. كريم يحب أهل الكرم : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

ويبغض الكافرين والمشركين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى-
أسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج/ ٣٨].

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها، وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين ، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليشكروه : ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر ، والعقل والقلب وغيرها ؛ ليتذكر هذه النعم ، ويشكر من أنعم عليه بها : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨].

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك،
يذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً، واشكره كثيراً، وكبره تكبيراً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤٢] ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [٤٣] [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده، على كل خلقٍ خلقه ، وعلى كل

أمر أمره ، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها : ﴿فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنابة / ٣٦-٣٧] .

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [غافر / ٦١] .

وقد غر الشيطان أكثر الخلق ، فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر.
والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه
من دون الله ، مع ظهور البرهان للبصير والأعمى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَخَلْقُونَ
إِن كَانِ إِلَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا
لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت / ١٧] .

فلا إله إلا الله ، كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غر منهم وصرّ فهم لعبادته من دون الله :
﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا / ٢٠] .

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على
ما يأتيك من الأذى في سبيله ، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [١-٣]
العصر / ٣-١] .

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه ، لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشتغل عنه بنعمه ، ولا تبع هداه
بهواك : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر / ٦٦] .

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي
رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل / ١٩] .

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص / ١٧] .

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ،

وَقَوْلِكَ الْحَقُّ، وَوَعْدِكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤِكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةَ حَقُّ، وَالنَّارُ حَقُّ، وَالسَّاعَةَ حَقُّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه ^(١) ».

يا من له خزائن السموات والأرض ، يا واسع العطاء ، يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا رب العالمين .

اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❦ الحليم

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم ، الذي يُدِرُّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة معاصيهم ، وتكرار زلاتهم ؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده ، يمهلهم كي يتوبوا وينيبوا ، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم : ﴿سُيْحِلُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة ، الذي لا يُعجل على من أذنب بالعقوبة ، الحليم

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

على من كفر به وأشرك من خلقه ، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه ، لعله يتوب إلى ربه ، ويستغفر من ذنبه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها ، ولا يؤخرها عن وقتها ، ولا يُعجلها قبل أوانها .

فسبحان الحليم الغفور ، الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم ويؤخر العقوبة ، لعلمهم يتوبون ، ويستتر على آخرين ويغفر ، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كِنَّ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر / ٤٥] .

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة ، وتركه معاجلتهم بالعقوبة ، ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء ، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم ، لعلمهم يتوبون إليه : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٢٧] .

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد ، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب / ٥١] .

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ، ويصفح عنهم ، رحمة بهم ، مع استغنائه عنهم ، وشدة حاجتهم إليه : ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم ، ولكنه كريم رحيم يرزق العصاة كما يرزق المطيع ، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البرّ التقي ، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يقى الناسك الذي يؤمن به ويعبده .

فسبحانه ما أوسع حلمه ، وما أعظم رحمته بعباده : ﴿الْمُرَرَّ أَنْ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْمُلْكُ

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَى أذى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عز وجل إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله حلیم على عباده ، رؤوف بهم ، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون ، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم ، فيزيدون في الإعراض والمعاصي .

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال ، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال / ٣٢].

واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط ، أما في الآخرة فهم مخلدون في النار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

والله غفور حلیم ، ولو لا حلمه على الجناة ، ومغفرته للعصاة ، ما ترك على ظهر الأرض من دابة : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِذْ آجَاءَ أَجَلُهُمْ فَبِئْسَ اللَّهُ كَانَ يَعْزُدُ بِهِ بِصِيرًا ﴾ [فاطر / ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض تستأذن السماء والأرض أن تقع وتزول من شدة ما يأتي به العباد من الكفر والفسوق والعصيان ، وتكاد تنفطر من ذلك ، ولكن الحلیم يمسكها ؛ لئلا تزول وتقع على من عصى - الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الحلیم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى ، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال / ٣٣].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

فَدَفَعَ الْحَقُّ سُبْحَانَكَ تِلْكَ بِتِلْكَ ؛ لِأَنَّهُ الْحَلِيمُ الرَّحِيمُ الَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، وَسَبَقَ حَلْمُهُ عَقُوبَتَهُ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٥٤/ الأنعام/ ٥٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَيْكَ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» متفق عليه ^(١).

فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كُفِرَ الخلق، ومعاصيهم، وظلمهم ، أرضاه تسييح الملائكة الذين يملؤون السموات ، وتسييح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له ، وعبادتهم له : ﴿ وَمَنْ أَيْتَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٣٧-٣٨/ فصلت/ ٣٧-٣٨] .

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وحده لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له .

والمخلوق قد يسميه ربه ﷻ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليفة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

والحلم نور الباطن في العبد ، وزَيْنُ الظاهر منه ، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، وتوجيهها لمن ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي الحكمة .

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق ﷻ ، وكلُّ يوتيه الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقر/ ٢٦٩] .

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به ، لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤] .

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم ، وتدبيره الحكيم ، ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون .

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يصبر عليه .

وهذه حكمة في خلقه وأمره ، فصلها من نعوت جلاله ؛ ليعبد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) [الأعراف/ ١٨٠] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .

يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحد من يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين .

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ غَيْبٍ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

فسبحان الله ما أعظم أسمائه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ،

أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» متفق عليه (١).

هو ﷻ الملك القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء.

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق، بيده الملك والخلق والأمر كله.

هو الملك الغني القوي، الذي تفرد بالملك والملكوت، الذي لا يعبأ بما سواه، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) [المؤمنون / ٧١].

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به، ويعبده، ويطيع أمره: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء / ١٩-٢٠].

وجعل في الأرض من يؤمن به، ويصدق رسله، ويعبده، ويطيع أمره، كما جعل فيها من يكفر به، ويكذب رسله: ﴿يُشْرِكُ بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ كَفَرٍ وَمِنْكُمْ كَوَّابٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢) [التغابن / ١-٢].

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ورجبهم في الإيمان والطاعات، وحذرهم من الكفر والمعاصي، وبيّن لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان / ٢-٣].

فلا إكراه في الدين، ولا يخرج أحد عن مشيئته وعلمه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، والله عالم بما كان وما يكون.

فمتى يفقه مَنْ حَبَسَهُ الشَّيْطَانُ أَوْ الْهَوَى: ﴿إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩) وَمَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له.

تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ، ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك فيرهبوه، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره .

أما صفاته العليا ﷻ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كقوله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته ، وإمهاله وترك معالجة الظالمين بالعقوبة ، مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله .

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده ، يعافيههم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة / ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار ﷻ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم : ﴿ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف / ٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم حلم الله ، وإحسانه ، وعفوه ، وسعة رحمته ومغفرته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الرحمن الرحيم ، الذي كتب على نفسه الرحمة ، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ بَعْدَوه وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

ألا تراه ﷻ وهو رب العزة والجلال، والجبروت والكبرياء ، القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها ، لعلهم يرجعون إليه ، لسعة حلمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم .. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل .. ويستتر حتى كأنه ليس يبصر .. ويُنعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه .. وبإيذاء أوليائه يسرونه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الواسع الكريم الحليم ، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، ومغفرة وحلماً ، اللهم لا تؤاخذنا ﴿ بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فَنَنكَ تَضَلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحليم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه ، أن يحلم هو على من خالف أمره ، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق ، وتستجلب بحلمك بهم لك ، ورضوان الله عنك : ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا إِلَّا لِمَنْ يَجْحَدُونَ أَنْ يُغْفَرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور/ ٢٢].

وكما تحب أن يحلم عليك مالكك ، فاحلم أنت على من تملك ، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، وكره لغيرك ما تكره لنفسك ، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿[القصص / ٧٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ ، أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه^(١).

واحذر غاية الحذر أن تعصي- ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك ، فتتمادى في عصيانه ، وتتكلم على عفوه ، مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم ، فإن أخذَه أليم ، وبطشه شديد : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

فسيبحانه ما أعظم حلمه مع كمال علمه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٥١].

وإذا علمت عظمة ربك، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، ورأيت شدة بأسه، فبادر إلى طاعة ربك الحليم الغفور الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم: ﴿ بَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦ - ٨] .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٦].

واشكر من أنعم عليك بنعمه ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله؛ لتنال أجراً لا تحلم به: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر / ١٠] .

ويسهل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله ، معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له.

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله .

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة : ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج / ٥] .

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّنَا الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾ [الروم / ٦٠] .

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، والعافية بعد البلاء ، ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً : ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ، ولك العاقبة الحسنی في الدنيا والآخرة : ﴿يَبْنِي أَقْرِمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا مَّعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان / ١٧] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران / ١٤٧] .

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة / ٢٥٠] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

يا جزيل العطايا والمواهب ، يا واسع الرحمة والمغفرة ، يا رؤوفاً بالعباد .
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .
اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ،
وإذا منعوا حمدوا ، وإذا ابتلوا صبروا ، يا أرحم الراحمين .

العفو

قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء / ١٤٩].

الله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، وسع عفوه الورى، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر
عن عباده من الذنوب: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا
فَعَلْتُمْ﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً، وكل
أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته، كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته ، كما هو
مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٨٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوهُ من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١١٩) وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف / ١٩٩ - ٢٠٠] .

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم، والانتقام منهم، وحرمانهم من نعمه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٨) [النحل / ١٨] .

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم إذا تابوا، وأنابوا، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي، ثم تاب إليه ورجع، فرح بتوبته، وغفر له جميع ذنوبه: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) [الزمر / ٥٣] .

واعلم رحمك الله أن من عفا الله عفا الله عنه، ومن غفر الله غفر الله له، ومن أحسن الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤) [التغابن / ١٤] .

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق، ورغب في الحلم والصبر على الأذى، وقبول الأعذار من سائر الناس، رجاء رضوان الله وغفرانه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَصْفَحُوا أَلَّا يُحِبُّوا أَن يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٢) [النور / ٢٢] .

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس، فسيعطيه أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) [الشورى / ٤٠] .

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم ^(١).

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته ﷻ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته ﷻ وسعت جميع المخلوقات والسيئات، والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء / ٤٣].

والكفر، والشرك، والذنوب، والجرائم، والتقصير الواقع من الخلق، كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن عظمة عفو الله، وسعة مغفرته ورحمته، تدفع هذه الموجبات والعقوبات: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝٤٥﴾ [فاطر / ٤٥].

وعفو الله ﷻ نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم، برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالشرك والسب والمعاصي، ويعصونه بنعمه، وهو يعافيهم ويرزقهم، ويمهلهم ولا يهملهم، وقد يتبليهم بالمصائب، لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿وَأَن تَنكُرُوا مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِنَ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل / ٦١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

الثاني: عفوّه الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين ، والعابدين والداعين ، والمصابين وغيرهم ، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه ، وغفر له ، مهما كان ذنبه : ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر / ٥٣-٥٤].

فسبحان من وسع حلمه وعفوّه العالمين ، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام ، والثواب أحب إليه من العقاب .

• التبعّد لله ﷻ باسمه العفو:

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ ، ولولا حلمه وعفوّه على من كفر به وعصاه لعاجله بالعقوبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ عِندِهِ إِنَّهُ لَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر / ٤١].

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكّرهم به ويردهم إليه ؛ ليستغفروا ويتوبوا : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون / ٧٦].

فإياك والإصرار على ما يسخط ربك ، فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة / ٩٥].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيدهِ وعبادته بما شرع، وتحصيل الصفات التي يحبها الله، وهي أسماؤه الحسنی، وصفاته العلی : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

ومقصوده من خلقه في الآخرة تكميل الشهوات التي يحبها العبد، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة، وتعذيب من كفر به وعصاه بالنار: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم / ٨٥-٨٦].

فاعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرّمك، وأحسن إلى من أساء إليك،

واصفح عمن آذاك، واصبر على ما أصابك: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك ، ويشيك أجزل الثواب : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤٠] وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [الشورى / ٤٠-٤١] .

واعلم أن العفو خلقٌ عظيم لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك ، تنال من ربك العفو والغفران ، والجنة والرضوان : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْعَفِظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٥] .

واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فأتبع السيئة الحسنة تمحها: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود / ١١٤] .

ومن عفوهِ سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته ، فاصبر واحتسب؛ لتنال أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ وَسِعَتْهُ إِنَّمَا يُؤْفَىٰ فِي الصَّبْرِ وَنَجْوَىٰ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر / ١٠] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » أخرجه أحمد وابن ماجه (١) .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

يا عظيم العفو والصفح ، يا حَسَنَ التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة .
اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وسره وعلايته ، يا عفو يا كريم .

الغفور.. الغفار.. الغافر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص / ٦٥-٦٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر/ ٣] .

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويستر عيوبهم ، ويصلح أحوالهم .

وهو سبحانه الغفار السَّيِّر ، الذي يستر ذنوب الخلق ، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم/ ١٠].

وهو سبحانه العزيز الغفار ، الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره ، وإذا عاقب أوجع ؛ ليعلم العباد سعة مغفرته ، وشدة عقوبته ، فيطيعونه ويعبدونه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

وهو سبحانه الغافر الحق ، الذي يستر على المذنب ذنبه ، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحه ، لعله يتوب إليه ويستغفره : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه / ٨٢]. فسبحان العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالغفران موصوفاً .

وكل الخلق مضطر إلى عفوهِ ومغفرته، ومضطر إلى رحمته وكرمه، ومضطر إلى حفظه وعونه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه الغفور الغفار الحق ، الرحيم بعباده ، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم ، صغيرها وكبيرها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [ص / ٦٦].

وهو الكريم الذي ينادي المذنبين ، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار ، ليغفر لهم : ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣].

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت ؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمِنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم / ٣٢].

والله ﷻ غفور رحيم ، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات ، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم ، لكمال حبه للعتو والإحسان إلى خلقه .

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر ثم تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب يضاعف له العذاب ، ويخلده الله في النار ، بسبب كفره وذنوبه : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠] .

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش ، فيقتربها بحجة أن الله غفور رحيم ؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين ، الذين عملوا السوء بجهالة : ﴿ زَيْكُمُ اللَّهُمَّا فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإسراء / ٢٥] .

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ، ورحمة عظيمة للعباد ؛ لأن الله غني عن العالمين ، لا ينتفع بالمغفرة لهم ، ولا يضره كفرهم ، كما لا ينفعه إيمانهم ، ولا يغفر لهم خوفاً منهم ؛ لأنه ﷻ غني قوي عزيز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر / ٢٨] .

ولا زال ولا يزال ﷻ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم ، فمن تاب إليه قبيل توبته وغفر له ، ومن أصر على المعاصي ، وأبى التوبة ، عاقبه بجرمه : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد / ٦] .

فسبحان مالك الملك ، العزيز الغفور ، الذي يجود على جميع العباد بالمغفرة والرحمة ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويقلل عثراتهم ، ويضاعف حسناتهم : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران / ١٢٩] .

والله ﷻ غفور رحيم ، يغفر للمستغفرين ، ويغفر لمن لم يستغفره ؛ لأنه هو الغفور ، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء / ١١٠] .

والله عفو غفور ، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة ، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء/ ١١٦] .

ولما يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه ، وسعة مغفرته ورحمته ، ومحبته لذلك قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم (١) .

والله عفو واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل آني يغفر الله من الذنوب ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٢٥] .

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان :

الأول : عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَأَخَذْتُمْ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [الكهف / ٥٨] .

الثاني : خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا ، غفر الله لهم سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الغفار الحق ، الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم إذا استغفروه وتابوا إليه ، من مؤمن ، وكافر ، ومشرک ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الغفور :

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

اعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ أَرَأَفَ مَنْ مَلَكَ ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل ، وأرحم من قدر ، وخير من غفر فاللهم ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته، فهو رب كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل ذنب .

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن ، ما تعلمه منها وما لا تعلمه ، فإن ربك واسع المغفرة ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، واغفر لمن أخطأ في حقك ، يغفر الله لك .

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووضع نعمه بين يديك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم / ٣٢] .

فاستح منه ، ولا تستعمل نعمه في معصيته ، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه ، فإن عصيته فاستغفره ، فإنه غفور رحيم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠] .

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك ، فقف خاشعاً بين يديه : ﴿ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴿ [الإنسان / ٢٥-٢٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

ثم استغفره من كل ذنب ، واسأله العفو عن كل هفوة ، وستر كل زلة ، من تقصير في عبادة ، أو رياء في عمل ، أو ترك واجب ، أو تأخير فرض ، أو إهمال حق ، أو ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءٍ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات ، كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات ، والله كريم يشكر هذا ، ويغفر هذا ؛ لأنه الغفور الرحيم : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واعلم أن حق الله عظيم ، وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر- ، فإن أردت الفلاح والنجاة ﴿ فَسِيحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر/ ٣].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لِيُغَانِ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(١).

الحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم/ ٤١].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « أخرجه مسلم (٢) .

يا عالم الخفيات، يا كريم العطيات، يا غافر الذنوب، يا ساتر العيوب، يا واسع المغفرة والرحمة .
نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ،
والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرّجته ، ولا كرباً إلا نفّسته ، ولا ضرراً إلا كشفته ،
ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الودود

قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب ، الذي يوده ويحبه خلقه لذاته ، وجلال وجمال
أسمائه وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويؤد من أناب إليه، ذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين، ويحب التقوى والملتقين.

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه.

يحب المؤمنين والملتقين، ويحب التوابين والمتطهرين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣١-٣٢].

ويكره الكفر والكافرين والمشركين، والكاذبين والمستكبرين، والمنافقين والمعتمدين، والظالمين والمفسدين، والمسرفين والخائنين وأمثالهم.

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه، الذي يوده عباده ويحبونه، المستحق لأن يؤد ويعبد ويحمد، لكماله وجلاله وجماله، وعظيم إحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه، ويتودد إليهم بنعمه المتوالية، ويحب لقاءهم، وقتوتهم له، ويفرح بتوبتهم إليه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة/ ١١٧].

فسبحان الغفور الودود، الذي يحب عباده المؤمنين به، الموحدين له، العابدين له، وهم يودونه ويحبونه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام، وجزيل الإحسان والإنعام.

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به، وود الرب

لعبدته على قدر إيمانه وطاعته لربه، وإيثاره لمرضاته، ومحبته له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مريم / ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك، وأنزل لك القبول في الأرض، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوه فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.»

وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إنني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض متفق عليه^(١).

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وودَّ العبد لربه هبة من الودود الحق، جعله في قلبه فودَّ ربه به، وألقى في قلوب الخلائق الود له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١١﴾ [مريم / ٩٦].

ومن أحبه الودود، وأحب هو الودود، رأى نعمه ابتلاء، ورأى منعه عطاء؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاکر، لكن من نوع آخر: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

فهذا العبد الرباني المقرب، يجازيه الودود الحق بكل ما يسره في الدنيا والآخرة من لذيذ مناجاته، والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له.

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].

ويعذره في زلله ، ويضاعف حسناته ، ليزيد له في ثوابه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ [يونس / ٢٦].

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله ، مقته لكفره واستكباره ، وسخط عليه ، لكرهيته الحق ، وصدده عنه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن ، أتاح له العليم الخبير ما يفسده به من رياء ، أو عجب ، أو آفة تحبطه أو تبطله ، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه ، وإن ابتلاه عاقبه ، وإن هم بخير قيض له ما يصرفه عنه : ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر / ٣٤].

فتعرّف إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته ، فمعرفة توجب تعظيمه ومحبته ، ومن أحب الله فليحبه الحب كله ، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسلم ، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَثَابَكُمْ ﴿١١﴾ [محمد / ١٩].

فعليك بشكر الغفور الودود ، ودوام الذكر له ، والعمل بما يرضيه وقبول أحكامه .

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوه بظاهره وباطنه ، فإن لم يمكنه فبقبله وروحه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله ، وجمال وكمال أسمائه وصفاته ، وحجة منه على المحبين لغيره ، لِمَ أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولِمَ أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ [المائدة / ٧٦].

لماذالم يحبوا الملك الحق ، الذي بيده جلب كل خير لهم ، ودفع كل شر عنهم : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب:

فتارة يكون بالإنعام والإكرام، كقضاء الحاجات، وسعة الرزق، وإجابة الدعوات، والحباء بالكرامات، وخفي الكفايات: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝۳﴾ [الطلاق / ۲- ۳].

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب، ويسأل فلا يعطى، ويستغيث فلا يكاد يغاث، ليس لهوانه على محبوبه الحق، لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ۝۵﴾ [المعارج / ۵].

ويشدد به الأمر مع حسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝۱۵۵ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝۱۵۶ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝۱۵۷﴾ [البقرة / ۱۵۵-۱۵۷].

فسبحان الودود الحق، الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة، ونعمه الكثيرة، وألطفه الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝۹۰﴾ [هود / ۹۰].

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده، وتودد إليهم، بحسن أفعاله، وجزيل إنعامه، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه، والفضل كله راجع إليه.

فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجلب قلوبهم إلى وده، بما عرفهم من أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝۳۴﴾ [إبراهيم / ۳۴].

وهو الرحيم الودود الذي فرج عنهم الكربات، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بين لهم الدين الحق، وهداهم إليه، وحببه لهم، وأعانهم عليه، وأثابهم عليه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝۹۰﴾ [هود / ۹۰].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان ، وزين جوارحك بأحسن الأعمال ، أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الظاهرة والباطنة ، كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده ، خلقها الله يتودد بها إلى عباده ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، دالة على كمال قدرته : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠] .

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها .

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن ، الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده : ﴿وَأِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل / ١٨] .

وكل نعمة منه توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته ، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره ، وتعظيمه وتسيبته : ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأٍ لِّتُؤْمِنُوا بِهِ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء .

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب ، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه وابتلائه كاستلذذهم بنعمه وإكرامه : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة / ١٦٥] .

فسبحان الله ما أطفه فيما يقدره ، مما يجلب محبته ، ويزيد مودته .

فإذا رأيت نفسك تحبه وهو يبتليك ، فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك ، فاصبر لحكم ربك ، واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩] .

فسبحان الملك الحق الغفور الودود ، الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة ، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية والالطف : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَلَّهِ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلَاتِدْ كُرُوبًا﴾ [يونس / ٣] .

واعلم أن كل ودو حب ، ورحمة وحنان ، موجود في المخلوقات ، فمن آثار وده وحبه ورحمته

وحنانه ﷺ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ثم يزداد في المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة .

يزداد ذلك الحب والود لله ﷺ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فما أعظم حب الله لعباده، وما أوسع رحمته بهم، وما أحسن مودته لهم: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

إن العبد يشرد عن ربه ، فيقصر في الواجبات، ويتجرأ على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعم ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِيُّ وَعَيْدٌ ﴾ [١٣] وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يَرِيدُ ﴿١٦﴾ [البروج / ١٣-١٦] .

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَآتَى شَجَرَةً فَأَضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه^(١) .

واعلم أن الودود سبحانه من أحبه من أوليائه ، وتقرب إليه بما يحب ، أحبه وجعله مجاب الدعوة ، وجيهاً عنده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

وَيْدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»
أخرجه البخاري^(٢).

أما مودة أوليائه له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وتحركت جوارحهم بطاعته.

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية: فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وأوليائه، وأحبوا كل عمل يقرب إليه، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان، ومكان، وعمل، وعامل.

وأما المحبة الطبيعية: فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاها، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها، فصارت عاداتهم عبادات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة / ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له.

واعلم أن حنان المخلوق رافة في النفس، ورقة في القلب، وميل مفرط في الجبلة لحب ورحمة من يحن إليه أو عليه.

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثلته شيء أتم حناناً، وأشد رافة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم: ﴿يَجِيئُ حُذِيَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيُّنُهُ الْحُكْمُ صَبِيحًا﴾ [١٣] وَأَوْحَانَا مَنْ لَدْنَا وَرُكُوتٌ وَكَانَ تَقِيًّا [١٣] [مريم / ١٢-١٣].

واعلم أن الحنان، والود، والمحبة، والرحمة، مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض، وتنشأ من لدن عالم الجماد، إلى عالم الملائكة، كما تحن الطيور إلى أوكارها، وتحن الحيوانات إلى أولادها، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فلا إله إلا الله .. كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه ومخلوقاته .

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه،
واللطف الذي عم كل مخلوق: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل/ ١٨]

[النحل/ ١٨] .

انظر لتنوّر بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه
وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حنن عليه أبويه وكافليه، وكيف جعل
الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ ذَلِكَ
عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من الحيوان.

فإن كان هذا المولود قد سبق له القضاء بالهداية ، وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ،
فاتصل له الحنان أوله بآخره ، فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

[النحل/ ٩٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الودود :

الله ﷻ هو الغفور الودود، الكريم الرحيم، الذي منّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة.

فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر.

وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ،
وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء
واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧]

[الأنبياء/ ٨٧] .

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه ، وقضى- حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيب مؤملاً أبداً .

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت ، يعطيك من خزائنه ما تريد ، فمن كان لله كان الله له ومعه في كل حال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه ^(١) .

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العدل .

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال ﷻ ، فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها ونشرها في كتابه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٧] .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه، ودوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، والمسارعة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها، فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر / ٣] .

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران / ٣١].

ومن علامات حب الله : ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٦﴾ [يوسف / ٨٦].

ومن دلائل حب الله ﷻ : عدم الإقبال على الدنيا ، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر / ٥].

ومن علامات حب الله ﷻ : الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله ، والجهاد في سبيل الله ، وبذل المال والنفس في سبيله ، والمسارعة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته : ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ﴿٨٤﴾ [طه / ٨٤].

ومن علامات حب العبد لربه : حب التعرف على أسمائه وصفاته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه ، ولزوم هذا الطريق حتى الموت : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف / ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه : كثرة ذكره ، وكثرة التفكير في عجائب مخلوقاته ، وتدبر معاني كتابه ، وحسن الثناء عليه ، وطول القيام بالليل في مناجاته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ [تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥ - ١٧].

ومن علامات حب العبد لمولاه : صدق الانقطاع إليه في كل حال ، وسبق النظر إليه عند كل حادثة ، والأنس به ، والطمأنينة بذكره ، وحسن الأدب والافتقار بين يديه ، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك / ١٢].

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها من الأعمال الصالحة.

فالأعمال الصالحة يعملها البرّ والفاجر ، والكف عن المناهي والمعاصي لا يكون إلا من صديق رباني.

فتَقَرَّبَ إلى ربك بفعل الأوامر ، واجتنب المناهي : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ۝٥٨ ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران / ٨] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (١) .

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيلا مشوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

الْبَرّ

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٣٦ ﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ

﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝٣٨ ﴾ [الطور / ٢٦ - ٢٨] .

الله تبارك وتعالى هو البرّ الواسع الخير والفضل ، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم ، الصادق في أخباره ووعدده ووعيدده ، المحسن إلى خلقه ، الرحيم بهم ، الودود لهم ، المكرم لهم بأنواع الكرامات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء / ٧٠] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

وهو سبحانه البرّ اللطيف بعباده، الذي عم ببره جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه،
الغني الذي يملك خزائن البر كلها.

وهو سبحانه البرّ الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البرّ
بالمحسن بمضاعفة الثواب له، البرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

وهو سبحانه البرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر. ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من
العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة
عشر- أمثالها، إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو
برحمته.

فسبحان البرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل:
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠]
[الأنعام/ ١٦٠].

والله ﷻ هو البرّ الحق بعباده، الذي يُوسعهم خيراً وكرماً، وفضلاً وإحساناً، وحمداً
وشكراً، ومغفرة وعفواً، ورحمة ووداً: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ
تُنْفِقُونَ﴾ [٥٢] وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُوا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

ومن هذه صفاته وأفعاله، وهذا بربه بعباده، أيلق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه:
﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ﴾ [٧] فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَبُّكَ﴾ [٨] [الانفطار/ ٦-٨].

والله برّ رحيم بعباده، يدعو من عصاه، ويتودد إليه أن يتوب إليه، ويُذكّره ويرغبه بالرجوع إليه
مهما كان ذنبه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٧٦]
[المائدة/ ٧٤].

والعبد المسلم برّ بربه يؤمن به، ويحمده ويشكره، ويسارع في مرضاته، ويجتنب ما

يكرهه ، ويراقب أمره ليطيعه : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة / ٢٢] .

ويتذلل لعظمة ربه ، ويتصاغر لكبريائه ، ويسبح بحمده ، ويؤدي إليه حقه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى / ١٠] .

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره وإحسانه ، وفضله وعطائه .

فهو مُولي النعم.. دافع النقم.. واسع العطاء.. دائم الإحسان.. ليس لبره حد.. وليس لكرمه مقدار.. ذو الكرم الواسع، ومعطي العطاء الجزيل : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة / ٤] .

واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برّ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم ، بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا .

فمنه ﴿نِعْمَةُ الْإِيجَادِ ، وَنِعْمَةُ الْإِعْدَادِ ، وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ ، وَنِعْمَةُ الْهُدَايَةِ الْعَامَةِ﴾ : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود / ٦] .

الثاني: برّ خاص ، وهو هداية الكريم ﴿لَمَن شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ لِهَذَا الدِّينِ الْقِيمِ ، وَتَوْفِيقِهِمْ لَطَاعَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات / ١٧] .

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عدّه ولا إحصاؤه ولا حصره .

فهو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بنجوده، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله وتقديره وتدبيره ، وأوصل إليهم البرّ والخير في كل مكان وزمان .

هو البرّ الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلم الإنسان ما لم يعلم :

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ﴾ [١٠٢] (الأنعام / ١٠٢).

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير، الذي يعطي ويغني ويثري ولا تنقص خزائنه:
﴿سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

وهو البر النصير، ملاذ المستجير، وجابر الكسير، وشافي المريض، وراحم المسكين،
ومعين المستعين، ومغني الفقير، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس / ٦٠].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي إليه المنتهى، وإليه المرجع والمآب، وإليه المفرج
والملجأ في الشدائد والأحوال، الذي يتكرم بالعطيات، ويدفع الكريهات، ويفرج الكرب
والمتعسرات: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٥]
[غافر / ٦٥].

أوضح ﷻ براهين الهدى، وأبان آثار اليقين، وأعلن شواهد التوحيد في الملك
والملكوت: ﴿أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن
يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

فسبحان البر الكريم الذي بيّن الحق في كل شيء، وسهّل العمل به، والدعوة إليه، وبيّن السبل
التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَىٰ﴾ [٧٥] [طه / ٧٥].

وهو العليم وحده بمضمورات القلوب، الخبير بمحجوبات الغيوب، المطلع على خفيات
الأسرار والأوهام: ﴿ذَلِكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة / ٦].

فسبحان الله كم من كافر ومشرّك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم
تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته.

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه، ثم أنزل به الكريم بره وفضله، ومنّ عليه برحمته،

فأذهب عنه السوء والشك والريب ، وأذهب وحشته ، وسكن اضطرابه ، وتاب عليه ، وقوم
اعوجاجه : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

ثم بواه الكريم كنفه ، وآواه إلى ظله ، وتلقاه برحمته ، فأقامه وأصلحه : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر/ ٦١].

ثم فتح له أبواب فضله ، وفتح له أبواب عبادته ، وألبسه لباس التقوى ، ثم نشر له ثوب الثناء
بين الخلق ، فصار بين الناس حميد الاسم والذكر والفعل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم/ ٩٦].

فسبحان الرب البرّ الحق ، الذي يكرم خلقه ، ويحسن إليهم في كل وقت ، ويحب البرّ ، ويحب
أهل البرّ ، ويحب أعمال البرّ ، ويجازي عليها بالهدى والفلاح ، والرفعة في الدنيا والآخرة :
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فجاهد نفسك رحمك الله على جميع أنواع البرّ ، تنال جميع أنواع الثواب : ﴿ لَنَنَالُوا البرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا مَحَبُوبٌ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن البرّ اسم جامع للخيرات كلها ، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى بره
ومرضاته ورحمته ، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته ، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته ﷻ :
﴿ لَيْسَ البرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ البرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّٰدِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٧].

ثم اعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم في الدنيا ، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً ، ثم
يساقون إلى النار يوم القيامة فانتهبه : ﴿ لَا يَعْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٦-١٩٧].

أما المؤمنون بالله المتقون له ، فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة ، نزلاً من البرّ الكريم لعباده الأبرار، الذين برّت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، فبرّت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البرّ الرحيم من بره أجراً عظيماً ، وفوزاً دائماً : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (٢٢) عَلَى الْأَرْبَابِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مِيسَكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ [المطففين / ٢٢-٢٦] .

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ [المطففين/ ١٨-٢١] .

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء ، فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١١٨) [آل عمران / ١٩٨] .

فله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار من النعيم والبهجة والسرور : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة / ١٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه البرّ :

اعلم وفقك الله لأعمال البرّ أن أوائل البرّ أداء الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل ، وبالتوسع في أعمال البر ، والمسابقة إلى الخيرات ، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢] .

فعليك بتحري الصدق في الأحوال والأقوال والأفعال ، ظاهرها وباطنها، والتمييز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن ، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً ، ثم فعل البرّ والأحسن مما يحبه الله ويرضاه .

عن النّوأس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن البر والإثم؟ فقال: « البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الشناء على المولى ، وتذكر الآلاء ، والتعرف على مواقع النعماء ، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فأخلص لربك البرّ العظيم العمل ، وأوف له بالعهد ، وخصه بالحب والود ، وأكثر له من الحمد والشكر : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة / ٥] .

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه ، وفيما بينك وبين خلقه .

وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ [٢٤] رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [٢٥] [الإسراء / ٢٣-٢٥] .

وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به ، وأعطاك منه ، وأنفق مما حوّلك من فضله ، يخلف الله عليك خيراً منه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [٣٩] [سبا / ٣٩] .

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] [فصلت / ٣٣] .

وغيض البصر ، واكظم الغيظ ، واصبر على أذى الناس ، واعرض عن كل جاهل ، وأحسن إلى كل مسيء إليك ، تكسب مودته ، ويندفع عنك شره : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣) .

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥].

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك ، وأقل عثرات الناس ، واسدل الستر على زلاتهم ، وطيب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق يحبك الله والناس ، وتحل عقدة عداوتهم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وذكر العباد بالله وأسمائه وصفاته وآلائه ونعمه ، فأكثر من يعصيه لا يعرفه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ [الأعراف/ ٢٠١-٢٠٢].

واسأل الله مخلصاً ، وتضرع إليه باكياً ، أن يحل سخيمة قلبك ، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل وغش ، وحسد وكبر ، ورياء وكذب .

ثم يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا وَإِن فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١).

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران / ١٩٣].

﴿ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٨﴾ [التحریم / ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمِي لِي نُورًا » أخرجه مسلم ^(٢).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

اللهم يا بَرِّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا .
نسألك أن تكفيننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، يا أرحم الراحمين .

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) .

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرف منه، والرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم ، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويسط لهم نعمه ، لعلهم يتوبون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج / ٦٥) .

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في

التوبة ، و يذكرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب ، في كل وقت ؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور / ٣١] .

وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق ، بما يسر لهم من الأرزاق ، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل / ١٣] .

ومن رأفته بعباده أن بيّن لهم طرق الخير والفلاح ، ويسّر لهم سبلها ، ورغبهم فيها ، وأثابهم عليها ، وحذّرهم من سبل الغي والفساد ؛ ليسلموا من العقوبات : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران / ٣٠] .

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك / ١٥] .

ومن رأفته ﷻ بعباده أن سخر لهم الأنعام يركبونها ، ويأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها ، ويلبسون أوبارها: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [٥] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل / ٥-٧] .

ومن رأفته ومنته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات ، والقطارات ، والطائرات ، والسفن وغيرها: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل / ٨] .

فسبحان الملك الرؤوف الحق ، الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا ، وخص بها أوليائه

في الآخرة.

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله، الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة / ١٢٨].

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين، والخلق أجمعين.

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠].

فسبحان الملك الحق، الذي أنزل على عباده الحق؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩].

واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على من كفر به وعصاه، ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهل لعله يتذكر وينيب ويتوب: ﴿أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٥] أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ [٤٦] أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ [٤٧].

[النحل / ٤٥ - ٤٧].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم، الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه، متوجعاً من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم، مع علمه بما

كتبه عليه في اللوح المحفوظ ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه ، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه .

فالعبد بين هذه النوازع ، والفتن ، والغفلة ، موضع للرفقة والرحمة ، وأن يُشفق لحاله ، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْسِنِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه ، وما أعظم رأفته بهم ، وما أعظم إحسانه إليهم : ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَرْتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم ، الذي نعمه عليه كثيرة متوالية ، وهو مُكب على إجرامه ، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه : ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [١٦] أم أمنتم من في السماء أن يُرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴿٧﴾ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان تكبير ﴿١٨﴾ [الملك / ١٦-١٨] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرؤوف :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد ، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به ، والتطهر له ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وعلى قدر ارتقائك في التبعّد له بمقتضى أسمائه وصفاته ، على طريقة رسوله ﷺ ، يكون قربك منه .

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك ، وعطفه عليك ، ولطفه ورحمته بك : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فاذكره يذكرك ، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك ، وكن له يكن لك ، والبس له لباس التقوى ، تظفر بكل ما تحب في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي

يَمْشِي آتِيَهُ هَرُولَةً « متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه ، وأعرض عنه ، وعمل بما يسخطه ، وأصر على ذلك: ﴿ ذَلِكْ يَأْتِيهِمْ أَتَّعَبُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد/ ٢٨] .

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش وهو يراك، فإن عفوه كريم، وأخذه أليم شديد: ﴿ نَتَىٰ عِبَادِي أَفَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم ، أنه يذودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ، ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ، ونبههم من سنة غفلاتهم ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره ، تنال بره وإحسانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٠١] .

والله ﷻ حكيم عليم ، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم ، والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه ، وينسيهم إياه ، من كثرة الأموال التي تشغل المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنَ ٥٥ ﴾ سُارِعُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦] .

فسبحانه ما أحكمه في تدبيره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضرراء وهو بغاية الرحمة، تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [١٣] فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ [غافر/ ١٣-١٤] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَأَرْحَمَنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك، وتقضي آجالنا في طاعتك، وتشغل ألسنتنا بذكرك، وتستعمل جوارحنا في عبادتك، يا رؤوفاً بالعباد، اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا أرحم الراحمين.

القريب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦].

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه، ومن مجرى الروح فيه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتَسُوْسٍ بِهِ نَفْسَهُ ۗ وَحَنُوقْرُبٌ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق / ١٦].

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السماء والأرض، ويسمع دعاء من دعاه، ويحجب دعوة الداعي، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

في قلبه قبل أن ينطق به ، لا إله إلا هو : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١] .

وهو سبحانه القريب اللطيف ، الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا هادي إلا هو : ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رِغْبَئِي أَنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ [سبأ / ٤٩ - ٥٠] .

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان :

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به، ومشاهدته له، وإحاطته به، ومراقبته له، فلا يخفى عليه مثقال ذرة منه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوْسٌ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ [ق / ١٦] .

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبيه ، ومن آثاره : لطفه بعبده ، وعنايته به ، وإجابة دعوته .

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه ، مَنْ كانوا ، وأينما كانوا ، وعلى أي حال كانوا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورجب إليه في التوبة ، وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه ، المحيط بكل ذرة في ملكه ، القريب من كل مخلوق في ملكوته : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١] .

فسبحان الملك الحق، العزيز الجبار، الغني الكريم، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته، وحباً لهم، وتحنناً إليهم : ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٩١﴾ [الحديد / ٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه ^(١).

واعلم أن من أنار الله قلبه بالإيمان، وأزال الحُجُبَ عن بصره وبصيرته، سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسيح، وأصوات تخطب بالتوحيد، وشاهد استسلام المَلِكِ والملكوت لذي العزة والكبرياء والجبروت: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه، وصدق الافتقار إلى الغني، وذل الانكسار بين يدي الملك، يكون قدر العطاء، وحسن الثناء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل/٩٧].

فلا إله إلا الله، من صعد بقلبه، ونظر في الملكوت، رأى ملكاً عظيماً، وصنعاً بديعاً، وخلقاً كثيراً، يراه البصر-، وتشهد به البصيرة: ﴿فَسُبْحٰنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/٨٣].

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد، ولا وراءه منتهى، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله.

الملك الحق المبين، والرب العلي العظيم، والغني القوي العزيز، والعبو الغفور الرحيم، والحي القيوم الكريم، والكبير الجبار المتكبر، الذي له جميع الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وكلما قَرَّبْتُ أيها المؤمن منه قَوَّيْتُ دلالة الدالين عليه ، وكثرت إشارات المشيرين إليه : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَنَشْهَدُوْنَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٩].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، ورآه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلق ويرزق ، ويكرم ويهين ، ويأمر وينهى ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع : ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

أترى هذا العبد المكرم يتعداه إلى سواه ، أو ينشغل بغيره عنه ، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق ، الذي تجلّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وغرز معرفته وهيبته في جميع مخلوقاته ، فخضعت لجلاله ، وسجدت لعظمته وكبريائه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه القريب من خلقه ، الذي يرى أشخاصهم ، ويسمع كلامهم ، ويعلم أحوالهم ، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد/ ٤].

وهو سبحانه القريب ، السميع البصير ، العليم بكل شيء ، فهو مع الداعي إذا دعاه ، ومع

المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، هو الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ،
والمال والولد .

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أقرببه من عباده ، وما أكرمه لمن أطاعه ، وما أحلمه على
من عصاه : ﴿ تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِيحُ بِجَدِّهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرنا على وادهلنا
وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ
أَصَمًّا ، وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ ، وَتَعَالَى جَدُّهُ » متفق عليه ^(١) .
وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ
عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ .

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي
يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً »
متفق عليه ^(٢) .

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات
الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى .

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم ، وسماعه لندواتهم ، وشهوده اللطيف لأحوالهم ،
فهو القريب منهم ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

• التبعيد لله صلى الله عليه وسلم باسمه القريب :

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته ، القريب والبعيد كله

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له .

عنده قريب ، والكبير والصغير كله عنده صغير؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنى ،
والصفات العلى ، وييده المُلْك والملكوت : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴾ [يس / ٨٣] .

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ،
تكون بالقرب منه يوم القيامة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ
مُقَدَّرٍ ﴿ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

وأخلص أعمالك لله ، وأحسن عبادة ربك : ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [٢١٨] وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿ [٢١٩] ﴾
[الشعراء/ ٢١٨-٢١٩] .

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل ، والحُلق والمال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٦] .

وقرب الناس إلى ربهم ، وذكرهم بنعمه وآلائه ، وبيّن لهم عظمة أسمائه وصفاته؛ ليعظموه
ويكبروه ، ويحمدوه ويشكروه ، ويتقربوا إليه ويعبدوه ، ويستفيدوا من بركات خزائنه :
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وتقرب إلى القريب منك ﷺ ، وأكثر من السجود له يقربك منه ، فأقرب ما يكون العبد من ربه
وهو ساجد : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وإحسانه ، والعلم بدينه
وشرعه ، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله ، وهي الدليل على
صحة الإيمان .

فاتق الله حيثما كنت ، وتقرب إليه بفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، واعلم أنه ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة / ٢٧] .

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حَقِّك ، وإنما تجد البعد كله في
حَقِّك أنت ، فتقرب إليه بما يحبه ويرضاه يقرب منك ، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال

الإيمان والتقوى ، واتباع رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف / ١٥] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا قريباً غير بعيد ، ويا شاهداً غير غائب ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا كاشف الكرب ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا سميع يا بصير .

أسألك الهدى والتقوى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

اللهم قني شر نفسي . ، ولا تكلني إلى نفسي. طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا سميع يا قريب .

المجيب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ نُمُودٍ أَهْلَهِمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود / ٦١] .

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داعٍ وسائل على اختلاف اللغات ، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

وهو **عَلَّامٌ** وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجب دعاءهم ، الذي يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا وَيَرْزُقُ أَهْلَ الْبَيْتِ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النمل / ٦٢] .

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب ، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر الدهور.

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وله خزائن كل شيء ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها ، فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فليس في هذا الملك الكبير ، والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق ، ومملك وعبيد ، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر / ٦٠].

والله واسع كريم ، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال ، ويعطي السائلين ، ويجب الداعين إذا دعوه ، من كانوا ، وحيث كانوا .

وكل ذلك كتبه الله وقدره ثم أظهره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [٥٠] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ﴾ [٥١] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [٥٢] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [٥٣] [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء، وقدر على كل شيء، وكتب مقادير كل شيء.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

واعلم أن من حُبَّ الله ﷻ لإجابة السائلين ، ودعاء الداعين ، أن عَرَّفَ عباده بأسمائه وصفاته ، وأمرهم أن يدعونه بها ، وبينَ لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء ، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْإِقْدَارِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه ، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم ، أعطاهم من كل ما سألوه ، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

والله ﷻ العطاء أحب إليه من المنع ، كريم لا يرد سائلاً أبداً ، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، ليُتقرب من عباده ، ويقضي حاجة من سأله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مِنْ سَائِلِي فَأَعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(٢) .

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض ، ويجب جميع أسئلة السائلين ، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية ، كما يسألونه الهداية والرحمة ، والمغفرة والإعانة على الطاعة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به ، ودوام ذكره ، والأنس بمناجاته ، وتدبر كتابه ، والتفكير في مخلوقاته ، والاعتبار بآياته ، آتاه رحمة من عنده ، وعصمه مما يبعده عنه ، واستوجب القرب منه بحسن عبادته له ، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر : ﴿ آمَنَ هُوَ قَنِيتٌ آتَاءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

وكذا الإكثار من الطاعات ، والزهد في الحلال ، والاقتصار على الكفاية ، وترك ما لا يعني ،

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام ، وترك الحرام ، واجتناب الفواحش والآثام ، ولزوم الذكر والاستغفار ، وحسن التوكل على الله ، وصدق التوبة إليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الذُّبَابُ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُطَيِّبْهُ فَإِنَّهُ يَطِيرُ عَلَى السَّفَرِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ﴾ » أخرجه مسلم ^(١) .

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ، ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه ، ومحادثة الملائكة له .

عن أنس رضي الله عنه قال : لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةَ قَالَ قُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةُ ، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّغَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّغَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدْرُمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ » أخرجه مسلم ^(١) .

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه ، بل كاد لو أقسم على الله لأبره .

عن أنس رضي الله عنه أن الرُّبَيْعَ بنت النضر كسرت ثنية امرأة فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص ، فقال أنس : يا

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها ، فرُضوا بالأرض ، وتركوا القصاص ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ » أخرجه البخاري (١) .

ومن لم يبلغ تلك الدرجة ، فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله ؛ بل فضل منه سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٤٣) [البقرة / ٢٤٣] .

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) [المائدة / ٣٩] .

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال ، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه إلى الماء ليلغيه وما هو ببالغه ؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (١٤) [الرعد / ١٤] .

واعلم أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة ، فيوحده ربه ثم يدعو ، فإذا قضى الكريم حاجته عاد إلى كفره وشركه : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا ﴿٥٥﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ [النحل / ٥٣-٥٥] .

والله ﷻ غني كريم يجيب كل سائل ، ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة .

وإجابة الرب لمن سأله من عبادته تنوع ، وتُعجّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خلقه وصوره .

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا ، أو ادّخرها له في الآخرة ، أو صرف عنه من السوء مثلها .

فسبحان من له خزائن السموات والأرض ، وجميع مخلوقاته تسأله ، فيجيبهم جميعاً على

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦) .

اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) [الرحمن / ٢٩] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» أخرجه مسلم (١).

والله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الكريم الذي لا أكرم منه، ولا منتهى لكرمه، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة .

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه، وربما قيضهم للسؤال والدعاء تبعداً منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره، وإظهاراً لفقرهم إليه، فيجيب سؤالهم، إلا أنهم لا يسألونه دنياً، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم، و حماية لهم مما يشغلهم عنه، ويبعدهم منه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢) [الشورى / ١٢] .

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه؛ ليتفرغوا لعبادته وطاعته، والدعوة إليه.

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٢٠) [الإسراء / ٢٠] .

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله تعالى مع الإيمان أمرين عظيمين هما: العبادة والدعوة .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وفرَّغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك ، وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاهما ما أعطاهم .

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا ، فأجاب الله دعاءهم ، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿ وَذَٰلِكَ نَدْعُ الْبَشَرِ كُلَّ مَلَأَةٍ مِّنْهُمْ أَن تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَسَىٰ أَن يَنزِلَ عَلَيْنَا مَطَلِبٌ مِّنْ لَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأنبياء / ٨٧ - ٨٨] .

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعهم في الخيرات إليه: ﴿ وَرَكَرِبًا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ ، زَوْجَهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رِغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٨٩ - ٩٠] .

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه ؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال ، ويعطي الكثير على العمل القليل ، ويقبل التوبة من المسيء ، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطاءه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المجيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه ، وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء .

فسل ربك الهداية ، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة ، فإنه حي قيوم ، يحب أن تسأله ليجيبك: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار ، ورؤية الافتقار ، وذلة الانكسار: ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر / ٦٠] .

[غافر / ٦٠] .

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعملٍ حسنٍ عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرمك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذلك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ آيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].

واعزم المسألة ، فإن الله لا Mukرِه له ، وأكثر من الدعاء ، فإن الله لا يميل حتى يميل العبد.
عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» متفق عليه (١).

وتزين لربك بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله، ولرسوله ، وكتابه ، وأئمة المسلمين ، وعامتهم : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر / ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبره ؛ لحسن ظنه بالله، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته، فاجتهد لعلك تزكو : ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ء وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر / ١٨].

واحرص على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص / ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد ﷻ : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود / ١٢٣].

وقفنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢).

حَسِيْسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ [الأنبياء / ١٠١-١٠٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [٣٦]

. [البقرة / ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه^(١).

اللهم فارح الهم ، كاشف الهم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب .

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبيل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

المستعان

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء/١١٢].

الله ﷻ هو الملك القادر ، المستعان الذي يُعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين والظهير والشريك والوزير وكل أحد: ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/٦٨].

وهو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فله الحمد على نعمه وفضله ورحمته بعباده: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٢] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/٥-٢].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

وهو سبحانه الحي القيوم ، المستعان الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به، بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود لهم إلا به: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له ، والخلق كلهم فقراء إليه ، عبيد لديه ، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وعونه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

واعلم رحمك الله أن المستعان هو الله وحده لا شريك له.

فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات، وترك المعاصي، فدأبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاحة / ٥].

أما أهل المعصية ، فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعته إلى معصيته، أعانه على معصيته ، فتوجه إليها بعونه ، وحرمه سبحانه العون على الطاعة فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف / ٥].

فالخلق كلهم مُصَرَّفُونَ في حركاتهم وسكناتهم بقدره الله وعونه ومشيئته .

والإنس والجن مُصَرَّفُونَ في طاعاتهم ومعاصيهم بقدره الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية ، أو بجنود الشياطين المضلة ، فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له.

فاللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، ولزوم طاعتك ، واجتناب معصيتك ، والفقه في دينك : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم أن الاستعانة بالله تقوم على أصليين:

أحدهما: الثقة بالله وحده .. الثاني: الاعتماد عليه وحده.

فالإنسان قد يثق بغيره ، ولكنه لا يعتمد عليه في أموره ؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به ؛ لحاجته إليه .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، بيده كل شيء ، وهو المستعان في كل شيء ، والعبء ليس بيده شيء ، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء : ﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

● التبعيد لله ﷻ باسمه المستعان:

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله هو المستعان وحده لا شريك له ، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله ، والإنسان ضعيف عاجز ، محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل الأمور ، وترك المحظورات ، والصبر على الابتلاءات : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل / ١٢٧] .

فمن استعان بالله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله ، واستعان بغيره وكله إلى من استعان به، فصار مخذولاً من جهة من استعان به.

واعلم أن من استعان بالله فهو المحمود المنصور، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو المذموم المخذول: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء / ٢٢] .

والله سبحانه هو المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العباداة مع دخولها فيها ؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله وأعماله وعباداته إلى الاستعانة بالله الرحمن المستعان كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

وقلب الإنسان يَعْرِضُ له مرضان عظيمان هما : الرياء والكبر ، وإذا لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ، فدواء مرض الرياء بـ (إياك نعبد) .. ودواء مرض الكبر بـ (إياك نستعين) .
وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء بـ (إياك نعبد) ، وعوفي من مرض الكبر والعجب بـ (إياك نستعين) ، وعوفي من مرض الجهل والضلال بـ (اهدنا الصراط المستقيم) فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة.
وكان من المنعم عليهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، غير المغضوب عليهم الذين هم أهل فساد القصد كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه.

وغير الضالين الذين هم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧ [الفاتحة / ٢-٧] .
والاستعانة جزء من العباداة ، والعبادة حق الله الذي أوجهه على عباده.

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نِصْرَتِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٤٠ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَلِيبٌ﴾ ٤١ [الحج / ٤٠-٤١] .

والناس في العباداة والاستعانة أربعة أقسام :

الأول: أهل العباداة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل.

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله، وهؤلاء هم شر البرية.

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله.

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنفع والضرر، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا مع ما يحبه الله ويرضاه، ومع ذلك توكلوا عليه واستعانوا به على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أعطوه من جنس المُلْك والمال لا يدل على الإسلام، فضلاً عن الولاية والقرب من الله ﷻ.

فاستعن بالله في جميع أمورك يعينك، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه، وعلم الجاهل، واهد الضال، وارحم المسكين تكن ربانياً: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينِغِنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿رَبِّكَ أَفْرَعْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَكَ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود^(١).

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم لا يهدي إلى الحق إلا أنت، ولا يعين على الحق سواك، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك، أعنا على فعل الخيرات كلها، وترك المنكرات كلها، يا أرحم الراحمين.

(١) صحيح / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٧١) وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢).

التواب

قال الله تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ٣٧].

الله ﷻ هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده ، ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿الْمُرِيدُونَ أَن يُقْبِلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَأْخُذُوا الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١٠٤] .

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته ، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب ، استشعروا الخوف من الجبار ، فرجعوا إليه بالتوبة ، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩] .

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين ، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه .

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته مَنْ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَحُبِّهَا إِلَيْهِ ، وَقَبْلِهَا مِنْهُ ، وَتَابَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة / ١١٨] .

فسبحان الرب التواب الرحيم ، الذي ييسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا ، فضلاً منه ورحمة : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ٣٧] .

واعلم أن الله سمى نفسه تواباً ؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يَسِّرُ لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه ، إلى الطريق الذي يرضيه . ولما كانت المعاصي متكررة من العباد جاء بصيغة تَوَّابٍ ليقابل الخطايا الكثيرة ، والذنوب العظيمة ، بالتوبة الواسعة الدائمة .

فسبحان من وصف نفسه بالتَوَّابِ مبالغة ؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغاربها، ولتكرر ذلك من الشخص الواحد، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها : ﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور / ١٠] .

وهو سبحانه التواب الذي تفرد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران / ١٣٥] .

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة ، بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً ، بل يسترهم ليكون ذلك عوناً لهم على

التوبة ، ولولا فضل الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبة ، وفضح مخازيهم ، وكشف مساويهم : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور/ ١٠].

فسبحانه من تواب ما أكرمه ، ومن كريم ما أجوده ، ومن عظيم ما أرحمه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ بَعْدَهُ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ٥٤].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب ، وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها ، وتكراراً لها ، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالماً .

فالناس رجلان : تائب وظالم ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات / ١١].

والتوبة هي رجوع العبد إلى ربه بفضل مولاه ، حيث أرجعه ربه إلى الإسلام الذي ضل عنه . وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمدته وخطئه ، وكبر ذنبه وصغره ، وإصراره عليه ، وإشهاره بين خلقه ، فإن تاب تاب الله عليه : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات / ١١].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة ، فإذا تاب العبد المذنب قبل توبته ، وعفى عن سيئاته : ﴿ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِٓ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه ، وعفى عن سيئاته ، وبدل سيئاته حسنات ، ثم ضاعفها له : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [٦٨] يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مَهَانًا ﴿ ٦٩ ﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ ٧٠ ﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠].

واعلم زادك الله معرفة بأسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته ، وطرق استتته ، فكما يُرْجَع الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، ويُرْجَع الحياة بعد الموت ، والموت بعد الحياة ، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه ، فإن عاد تاب عليه ، فإن

عاد تاب عليه؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ ﴿٣﴾ [غافر/٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرَبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ ، فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي .

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي .

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، قَالَ : قَالَ رَبِّ ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ : فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » متفق عليه ^(١) .

واعلم أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يراجعهم التواب الرحيم بالتوبة : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

فَالْعَوْدُ وَالْبَدءُ سُنَّتُهُ فِي خَلْقِهِ الْعَظِيمِ ، وَتَدْبِيرِهِ الْحَكِيمِ : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ ﴿٤٣﴾ [فاطر/٤٣] .

فسبحان التواب الرحيم بعباده ، الذي رحمته على قدر شأنه ﷻ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم ^(٢) .

● التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ التَّوَابِ :

اعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه ، ويتطهر له : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧) .

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح ؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَيَّ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاحَةَ فَأَنْفَلْتُ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَيْتُ شَجْرَةً فَأَضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِي فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطْمِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه^(٣).

والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الخلق عبودية، وأكثرهم توبة واستغفاراً ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له، خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم^(١).

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق ، وأكرمهم على الله ، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات ، كان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).

والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل التائبين إليه، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح / ١-٢].

وبهذه العبودية التامة أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة.

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم ، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يحبه الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب ، وفعل المحرم والمكروه ،

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦١٥) ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه .

فذكر وتذكر : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته، والإخلاص عزيز ، والرياء معترض قاطع للشواب ، والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد ، من عبادة ومعاملة، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق ، فأكثر من التوبة والإستغفار .

فالذنوب تراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه ، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والاستغفار المستمر فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام ، كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب ، ولهذا قرن الله بينهما بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

فعليك بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أحكمت التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت، فقابل ذنوبك بما يطابقها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هداك للتوبة منها، وقبلها منك: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُومِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩].

فإذا تبت إلى الله ، وأنست بقربه ، ولذت بعبادته ، فاذا كثرة المذنبين والغافلين والعصاة ، وادع الله أن يغفر لهم، ويتوب عليهم ، وذكرهم بالله وما يجب له: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات / ٥٥].

وادع إلى الله في جميع الأوقات ، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه ؛ لعل الله يتوب على الكافر فيسلم، وعلى العاصي فيطبع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين ، وهو أشد حبا لمن يكون سبباً لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

واعلم أن للتوبة وقتاً لا تقبل إلا فيه، فبادر إلى التوبة النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت مقيم على الذنب: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ١٧].

وإياك أن تؤخر التوبة ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت ، فإن الله لا يقبلها إلا بشروطها في وقتها: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّاءٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء / ١٨].

فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله توبة نصوحاً من جميع الذنوب، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله ورسوله، ونتجنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله ؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم / ٨].

والله تواب رحيم، من تاب إليه تاب عليه، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه ويغفر له.

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته وإحسانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٧٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران / ١٤٧].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ،

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١) .

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب و نتوب إليك .
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الرقيب

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء / ١] .

الله ﷻ هو الرقيب الحق ، المطلع على جميع ما في ملكه العظيم، الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم فلا يسترهم منه شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا يَعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم، ومما لا يحبه ولا يرضاه.

وهو سبحانه الرقيب الباقي ، ذو البقاء الدائم ، والشهود الأعلى ، والحفاظة المحيطة بكل شيء : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود/ ٥٧] .

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء، المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ، ولا يغيب عما يحفظه، الذي حفظ جميع المخلوقات، وأجراها على أحسن نظام ، وأكمل تدبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١].

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، الرقيب على المبصرات كلها ببصره، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه، الرقيب الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩].

فسبحان الملك الحق، والإله الحق، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم، الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت.

العليم الذي يستوي عنده الصغير والكبير .. والقريب والبعيد .. والظاهر والباطن .. والكليات والجزئيات .. والأسرار والخفيات: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ [السجدة / ٦].

وجميع الخلائق في الملك العظيم، والملكوت الكبير، كلهم قائمون بأمر الله، قانتون له، خاضعون لهيبته، خاشعون لعظمته.

والكل يشهد بوحدانيته، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

وكل مخلوق من مخلوقاته مراقب له، قانت له، يسبح بحمد ربه، ويتنظر متى ينزل عليه الأمر من رقيه ﷻ فيمثله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٩-٥٠].

فالإنس والجن يمثلون أوامر ربهم الكونية والشرعية.

وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف / ٥٤].

فسبحان الرقيب الشهيد الحق، الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها

في أن واحد ، الحفيظ لجميع أجزائها ، العليم بحركاتها وسكناتها ، الشهيد للظواهر والبواطن :
 ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمٌ
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد / ٨ - ٩].

والله ﷻ هو الملك القوي القادر على الخلق والتأليف ، والتجميع والتخطيط ، والتصوير
 والتشكيل ، وتقسيم جميع الهبات والأرزاق ، والأخلاق والأعمال .

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويهدي ويضل .. ويقدم ويؤخر
 .. ويسيطر ويقبض .. ويفعل ما يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
 مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾ ﴾
 [آل عمران / ٢٦ - ٢٧].

وهو الرقيب على ذلك كله ، يدبره بأحكام ملكوتية ، نازلة إلى قوى ملكية ، بأوامر جبروتية ،
 صادرة من ربك الملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، لخلق ما أراد ، ورزق
 ما أراد ، ونصر من أراد ، وتثبيت ما أراد تشيئته ، ومحو ما أراد محوه : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
 يَمْحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد / ٣٨ - ٣٩].

والكل في ملكه .. والكل يجري بأمره .. والكل تحت قبضته وقهره : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء ، استوى في حقه القريب والبعيد ، والساكن
 والمتحرك ، والحي والميت ، والظاهر والباطن ، والكبير والصغير .

الكل معلوم له .. والكل مشهود له .. والكل مرقوب له : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
 يُحِيطُونَ بِهِ ۗ عَلِمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه / ١١٠].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع علمه ، وما أعظم قدرته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

أفقر كل مخلوق إليه ، وسبَّح بحمده بين يديه ، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه .

فما من ذرة ولا جماد ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان إلا والله رقيب عليه ، وهو مراقب لرقبيه الحق ، يسبح بحمده ، ويشهده بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه ، ولهذا خلقه الله بيده من بين المخلوقات ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له جميع ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وأكرمه وفضله على كثير من المخلوقات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء / ٧٠] .

وقد فضل الله الآدمي على غيره بالعقل ، فلما أوجد الرب فيه العقل ، واجهه بالشرع ، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي ، وجعله خليفة في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٣٠] .

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل ، كما كان ينزل عليه وعلى غيره من المخلوقات الأمر الكوني .

وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض ، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء ، والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴾ [الانفطار / ١٠-١٢] .

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه تحفظه ، وتسجل أعماله : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ رَبَّكَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد / ١١] .

وسره وجهه وظاهره وباطنه ، كل ذلك مكشوف لربه الشهيد : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٠] .

والرقيب الحق يرّقبه في جميع أحواله ، ويعلم أعماله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُوسًا بِهِ نَفْسَهُ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١١) ﴿ق/ ١٦﴾ .

فعظمت المحنة ، واشتد البلاء ، وبدأ الامتحان ، وفاز من فاز، وخسر من خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) ﴿لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٣) ﴿الأحزاب/ ٧٢-٧٣﴾ .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرقيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق ، الذي يراقب جميع مخلوقاته ، وهو مستو على عرشه ، لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه .

والمراقبون هم جميع المخلوقات في السموات والأرض ، والدنيا والآخرة.

والمراقبة فعل المراقب ، فالمخلوق يترقب متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمثله ، أو نهى فيجتنبه ، أو قدر لا حيلة له في رده .

ومن راقب الله وعلم أن الله مطلع عليه أطاعه ولم يعصه .

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب ﷻ ، قد أحاط العليم بعلمها، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله، وعبد الله بمقام الإحسان كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿

[الملك/ ١٢-١٤] .

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه، ناظر إليه، مطلع عليه في كل لحظة.

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره ليفعله على أحسن حال ، ومراقبته عند نهيه ليجتنبه ، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب ، وماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله ، ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١] .

والنظر في الآيات الكونية والشرعية يثمر التوحيد والإيمان ، والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله ، وأهلها في معيته : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

وهذا يثمر للعبد سرور القلب ، وانسراح الصدر ، وقرّة العين بالقرب من الله ، وهو نعيم معجل للمؤمن ، يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(١) .

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه ، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته ، وإحسان العمل والإكثار منه ؛ ابتغاء مرضاته : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

وتيقن أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها ، فليتَّهم إيمانه وأعماله ، ويتفقد حاله ، ويجدد إيمانه ، لعله يصفو ويزكو : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الذِّينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٢] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣) .

فالإيمان له طعم ، وحلاوة ، وحقيقة ، مَنْ لم يجدها ولم يذوقها فليرجع وليقتبس نوراً يمشي به بين الناس ، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ذاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم ^(١).

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه ، فمن لم يجدها في إيمانه وعمله مدخول: ﴿فَأَنقُضْ اللَّهُ مَا أَسْطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَنَفٍ فَقُلُوبُهُمْ أَلْمَقَلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن/ ١٦-١٨].

واعلم أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله ، ولزوم طاعته ؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه، أسبق من نظره هو إلى المعصية: ﴿قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران/ ٢٩].

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَيْسَ لِرَبِّكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾﴾ [العلق/ ٩-١٤].

ومن صح علمه ، وعرف أن الله رقيب عليه ، أطاع ربه واتقاه ، ولم يُفنِ عمره في البطالات ، ولم يقتل أوقاته بالغفلات .

بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره ، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، مستحياً من اطلاع ربه المنعم عليه ، محتشماً من مشاهدته له ، وجلاً من عظيم رقابته له: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل ، أوصله بإذن الله إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان ، وتثمر كمال التقوى ، التي تثمر كمال القرب والمشاهدة والأنس بالله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد / ٢٨].

ومن عمي عليه أمره ، وضل عن طريقه ، فليرجع إلى مقام المراقبة ، يكن من المهتدين : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى / ١٣] .

وارغب إلى الله ﷻ في إصلاح قلبك ، واطلب الأدوية لذلك ، وتفطن لمكائد عدوك ؛ لتلا يصيدك ويأسرك.

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب ، وسبب كل شفاء تُشفى به الصدور ، كما أن الغفلة أصل كل داء ، وسبب كل بلاء ، فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف / ٢٨] .

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة ، واجتلاب اليقظة ، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وآلائه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده .

وإذا أردت ذلك فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه ، فارم بنفسك إليه ، واسجد بقلبك بين يديه ، وتخل عن نفسك إليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقل : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة / ١٢٩] .

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله ﷻ هي الجهل به ، فاقطعها بمعرفته المقربة إليه : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤] .

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك ، زالت عنه الغفلة ، ونالته بركة قرب الله ﷻ ، واستبان له الهدى ، وأبصر بعد العمى ، ونزل بمنازل المقربين ، وأحسن الظن بالله ، وفاز بمعيته ، فاعبده

واصطبر لعبادته : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [١٢٧] إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل/١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه ^(١).

واسأل ربك أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته ، ولا تبالي بما فاتك دونه : ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم/٤٢].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخمال ذكرك ، وإنقاص قدرك بين يديه ، معتذراً إليه بقولك : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص/١٦].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ، ونسيان ذكرك ، فأكثر من ذكره وشكره ، يذكرك ويشكرك : ﴿ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة/١٥٢].

ومن رُزق دوام المراقبة لربه نبعت من قلبه وجوارحه أصناف الخير ، واضمحلته عنه أصناف الشر ، واستأنس بربه ، واستوحش من غيره : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [٤] ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [٥] [الطلاق/٤-٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، لا تثبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية.

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح ، ليفتح لك الباب ، وتشرق في قلبك الأنوار : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر/٣].

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك فأحبه لغيرك ، وكل شيء تكرهه لنفسك فاكره لغيرك ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه (٢).

ولا يزال بك طول المراقبة حتى يكون لك من نفسك عليك رقيباً وواعظاً، وأمراً وناهياً، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥٢) [النور / ٥٢].

واعلم زادنا الله وإياك إيماناً وتقوى أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تغلح: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١٤) و﴿ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١٥) [الأعلى / ١٤-١٥].

وإذا لزم باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة.

فاحمد الله كثيراً أَنْ بَلَغَكَ ذُرْوَةَ السَّنَامِ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ، ثم ألحقت بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) نَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة / ١٥-١٧].

وعن عمر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حِينَ سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » أخرجه مسلم (١).

وهذا وذاك كله تاج من الخير، ونور من المعرفة، يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله، وعلم الله أنه يزكو به: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣٥) [النور / ٣٥].

وعلاوة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ ﴾ (١٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١٩)

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.
(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

[الحجر / ٩٨-٩٩]. واضرع إليه في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة.

واعلم أن من راقب الله في سره وجهره ، واتقاه في أمره ونهيه ، أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار ﷻ ، ودوام مراقبته لك ، وكمال مشاهدته لك ، فاعرف كذلك قدر نفسك ، واخضع لمن خلقها وصورها ، وكرّمها وعلمها ، ورزقها وسلّمها ، وانظر أي عبد تكون له .

فهو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خيرٍ وشرٍ لك أو عليك: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت / ٤٦] .

واعلم أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته ، ويطهره مما سواه ، ويزيده من الإيمان والتقوى حتى يصل إليه، ثم يرفعه فيظهر فيه معاني أسمائه وصفاته ﷻ ، فيومئذ يسمع به، ويبصر به، وينال كرامة ربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَاطِسُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري (١) .

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه ، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه ، وهو الإيمان والتقوى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ [طه / ٧٥] .

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذلة لمولاك ، أزال عنك حُلَّتة التي حَلَكَ بها ، وسلبك نعمته التي وهبها ، وسد دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف / ٥] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

ثم استدرجك بذنبك بمعارف تبعذك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخرارك، فتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل، وأنت ضال خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفتنة، وما أراه من الآيات، ومعاني الأسماء والصفات، ويستكبر عن ربه بما أنعم عليه به، حيث خيل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته عليه، فحجب إليه نفسه، وعظم عنده ما لديه، وأعلى عنده قدر نفسه، وحجب عنه النور المبين، فلم ير غير نفسه الخسيسة، فاقصر عليها، وظن أنه على الحق.

فورثه ذلك العجب والكبر والإعراض، والاستغناء بالعلم عن العمل، وهذا من الضلال والظلم المبين: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصر/ ٥٠].

اللهم اعصمنا من الزلل، واحفظنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام، وهذا النور، إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك، ثم يظهر على جوارحك، فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك، فأصلح حالك، قبل أن يشد ملك الموت رحالك، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

اللهم اجعل كتابنا في عليين، وألبس وجوهنا نضرة النعيم: ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كُنْتُ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ

الْمُنْفِسُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٦٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٦٨﴾ [المطففين/ ١٨-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا ، يا واسع المغفرة ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء : ﴿أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة/ ١١٧].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لِنَاؤُرْنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم / ٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، يا أرحم الراحمين .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره .

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥) .

المقطع ٠١, ٢٢ الشهيد

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح / ٢٨] .

الله ﷻ هو الشهيد المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم ، الذي يسمع الأصوات كلها ، خفيها وجليها، ويصر المخلوقات كلها ، صغيرها وكبيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] لَهُ، مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٢]﴾ [الشورى / ١١-١٢] .

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد، وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس / ٤٦] .

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم، الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الشهيد الحق ، الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة / ٦] .

وهو سبحانه الشهيد الحق ، الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات ، وهي شهادة التوحيد فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْسِنَتِهِ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١٨]

فسبحان الملك الرقيب الشهيد ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته ، في السموات والأرض .

يرى مكانها .. ويسمع تسبيحها .. ويعلم أحوالها : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۖ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠ ﴾ [الحج / ٧٠] .

وسبحان الشهيد الذي يرى الكون كله ، وهو مستو على عرشه العظيم .

يرى الهباء الطائرة .. والجبال الشاهقة .. ويرى البهائم السائمة .. والأشجار النابتة .. ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود .

ويرى سبحانه كل ذرة ، وكل نبتة ، وكل حشرة في العالم ، في ظلمة الليل الأسود : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ ﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد / ٨-٩] .

ويرى الذرة السوداء ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ [الملك / ١٤] .

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه ، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه ، ويرى الكفار وهم يسبونهم ، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره ، ويرى المنافقين وهم يستهزؤون به ويؤذون أوليائه ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥ ﴾ [التوبة / ١٠٥] .

فسبحان ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ [البروج / ٩] .

وسبحان عالم الغيب والشهادة ، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَإِلَهٍ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ [آل عمران / ٥-٦] .

فالله ﷻ شهيد على كل شيء في ملكه العظيم ، وكونه الكبير ، وملكوته الكريم .

واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع والبصر والعقل والشم والذوق ، إنما تؤدي كلها معلومات إلى القلب ، وتشهد عنده بما علمت به ، ثم يحفظها القلب .

وعند الحاجة لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب ، فيشهد لربه بالوحدانية .

وتلك أعظم الشهادات، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل ، فشهدوا لله بالوحدانية ، وصدقوها بالعبودية : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

واعلم أن شهادة الله ﷻ أصل الشهادات كلها .

فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبما هو أهله من الجلال والجمال ، والعزة والكبرياء .

وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه ، وشهد لجميع خلقه بما لهم وما عليهم : ﴿ قُلْ أُنَبِّئُكُمْ شَيْئًا كَبِيرًا سَهِدَ قُلُوبُ اللَّهِ شَهِدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلُوبًا إِلَّا مَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام / ١٩] .

ثم أفاض الكريم من مصداق شهادته على الشاهدين سواه ، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه ، فشهدت له بما هو أهله ، وشهدت على أنفسها بما كسبت وبما يلزمها ، فكل شيء شاهد لله ، والله على كل شيء شهيد ، وكلُّ يشهد شهادة حق ، بالسنة صدق ، كلُّ بحسبه وحاله ومقاله .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ حِنْ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه البخاري (١) .

وكل الخلق شهداء :

فالأنبياء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على أممهم بما لهم وما عليهم .

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على الخلق بما عملوا .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩) .

والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم .

والذرات ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، وكل مخلوق ، الكل يشهد لربه بالوحدانية ، ويسبح بحمده ، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود / ١٨] .

وجوارح الإنسان تشهد يوم القيامة بما عمل من خير أو شر : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٤] يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ [النور / ٢٤-٢٥] .

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق ، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك له : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء / ١٦٦] .

واعلم أن أعظم شهادات العباد الشهادة لله بالتوحيد .

فالعالم كله أعلاه وأسفله ، وظاهره وباطنه ، وفرح ويهتر لشهادة المؤمن لربه بالتوحيد ، ويشهد لهذا المؤمن بالحق والصدق حين يقول : أشهد أن « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » متفق عليه^(١) .

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرك بالجور والظلم والكذب : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود / ١٨] .

وأشنع الشهادات الكذب على الله ، وتنفصه ، وتشبيهه بخلقه ، ونسبة الولد له ، وهو الغني عن كل ما سواه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ [٨٨] لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَنَخِرُ لِحِبَالِ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ [مريم / ٨٨-٩٣] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣) .

والمؤمنون كلهم شهداء ، لشهادتهم بالحق في قلوبهم ، وألسنتهم ، وجوارحهم .
وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله ﷻ ، العالم بأسمائه وصفاته، الذاكر له، المؤمن به، العامل بشرعه، هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه.

والموت قَطْع لهذه الشهادة الكبرى، فإن الله كتب الموت على كل حي سواه، إبانة لصفة الحياة الباقية، وتذكيراً بالملك الحي الذي لا يموت: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

ثم يحيي الخلق ويحاسبهم ، ثم لا يموتون أبداً: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس / ١٢] .

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم ، والعلماء شهداء على قرونهم ، وأهل زمانهم، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٦] .

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي تشهد لخالقها بالتوحيد ، والجلال والجمال ، والأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى .

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها العظيم، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها، وتلك شهادة له بالتوحيد: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فسبحان الملك الحق ، الذي خلق كل شاهد ومشهود.

وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه ، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد،

والشهيد الحق أعظم الشهود: ﴿وَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء / ١٦٦].

وسبحان الملك القريب الشهيد لخلقه كلهم ، الحي القيوم الذي لا يوارى منه ليل ساج ، ولا سماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات فجاج ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء / ٣٣].

اللهم اني في هذا المقام أشهد لك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين ، يا خير الشاهدين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَاكَ مِن رَّبِّكَ وَأَتَّبِعْنَاكَ وَأَنزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَاكَ الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشهيد :

اعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة.

والصلوات التي هي صلة بين العبد وربّه تشتمل على الشهادة في البداية والنهاية ، يؤديها العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له ، ويطرضه بالتحيات والصلوات.

فانظر كيف تشهد بين يدي ربك بحسن العبادة والطاعة، وتؤديها له كأنك تراه: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٢-٣].

والملك الحق يدعوك أيها الإنسان للإيمان به ، ومعرفة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، لتشهد له بالوحدانية.

ولأداء هذه الشهادة العظيمة ، يجب أن تكون من أهل العدالة ، لتقبل شهادتك عند الملك الحق ، وذلك بالاستقامة على دينه ، والعمل بما يحبه الله ويطرضه ، واجتناب ما يسخطه ويغضه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة / ٢٧].

وهؤلاء العدول هم الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة ، جزاء على شهادتهم بالحق وأعمالهم الصالحة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [النساء / ٢٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [النساء / ٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ [المعارج / ٣٢-٣٥].

فسابق إلى الخيرات ، وسارع إلى فعل الطاعات ، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة، ولا تَمَلَّ ، فإن الله لا يمل حتى تمل أنت ، ولا يضيق صدرك بمن سخر بك أو أساء إليك ، فإن ربك شهيد له: ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

وعليك بالتفكر والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة ، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز والذلة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَائِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها، ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ فلا تميد بأهلها ، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قطعها الأنهار المفجورة ، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد/ ٣].

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة، والرياح المرسلة، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم ، جارية بأمره ، على نسق محكم ، وترتيب مطرد ، يكون عنه الليل والنهار، والصيف والشتاء ، والحر والبرد.

كل ذلك لإظهار قدرة التقدير في أنواع العبيد، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا.

فأظهر الرب ﷻ بذلك العجائب خلقاً وأمرأً بأحسن تدبير ، وأكمل ترتيب: ﴿ وَعَايَةٌ لَهُمُ الْيَلَّ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلَّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم ، وجعل فيه السحب الثقال ، والرعد الذي يسبح بحمده ، والبرق الذي يلقي السحاب ، والماء الذي يحيي به الأرض بعد موتها: ﴿ الْقُرْآنَ اللَّهُ

يُرْجَى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ، رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ
فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ [النور / ٤٣].

ثم زاد الله ﷻ هذا الإحكام إحكاماً بأن بين خضوع جميع المخلوقات لربها، وسجودها بين يدي مالكتها؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلها، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال، في مشارق الأرض ومغاربها، بتدبير محكم من العزيز الحكيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

وخلق ربنا ﷻ السماء وجعلها سبعة شداداً، وبنائها ورفعها، وزينها بالكواكب والنجوم، وأمسكها بقدرته: ﴿الْمُتَرَوِّا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح / ١٥-١٦].

وجعل ﷻ تلك السموات السبع مسكناً للمقربين من عباده، والمصطفين من أوليائه، فتقهن الجبار سبع سموات، أعلاهن أعظمهن خلقاً، وأوسعهن حجماً، وكل واحدة محيطة بالأخرى، وملاهن بالملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتدبر أمره: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠].

فسبحان الملك القوي القادر، الذي خلق السموات بإحكام وإتقان لا خلل فيه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك / ٣].
وهذه السموات السبع العظيمة تُقَلِّها قدرة الجبار ﷻ، ويحملها أمره، وتمسكها مشيئته، وتحكمها إرادته، دون دعائم من تحتها تُقَلِّها، أو علائق من فوقها تمسكها.

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي خلق كل شيء بإرادته، وقهر كل شيء بقدرته، ومملك كل شيء بجبروته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر / ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم ، الذي أمسك السموات العظام أبداً وسرمداً بقدرته وقوته ، على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال ، لا تميد مثقال ذرة ، ولا تنقص مثقال ذرة : ﴿الذَرَّتْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥] .

واعلم أن كل تَنَقُّلٌ وتحوُّلٌ في الجماد والنبات ، وكل مولود في البشر والحيوان ، وكل شروق وغروب في الكواكب ، كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله ، وحصول البعث بعد الموت : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج / ٥-٧] .

فلا إله إلا الله كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها .

فمجيء نهار بعد ليل كحياتنا هذه بعد الموت الأول ، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة ، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت : ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور / ٤٤] .

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة ، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١٩٠] .

وسبحان العزيز الحكيم الذي خلق السموات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الدنيا والآخرة .

وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده .

نصبها آية على وحدانيته ، وآية على عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وآية على البدء والإعادة ، وآية على الحياة بعد الموت ، وآية على فقر المخلوقات وذلكها ، وآية تشهد بعظمة خالقها : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد / ٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان ، وأخرج منه هذا النسل العظيم .

من ذكر وأنثى ، وصغير وكبير ، وحسن وقبيح ، ومؤمن وكافر ، وصادق وكاذب ، وطيب وخبيث: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات / ٢١] .

وسبحان الحكيم الخبير ، الذي سقى الأرض بالماء فأنبتت من كل زوج بهيج : من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وحر وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) **﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوسَى وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾** (٧) **﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾** (٨) **﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾** (٩) **﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْلٌ نَضِيدٌ ﴾** (١٠) **﴿ زَرْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مِيَّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾** (١١) [ق / ٦ - ١١] .

الكل يشهد بوحدانية ربه، والكل يسبح بحمده، والكل يعمل بأمر ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

فهل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الله بالشمس والقمر ، والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله ، وتسبح بحمده: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (١٣) **﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾** (١٤) **﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾** (١٥) **﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾** (١٦) [نوح / ١٣ - ١٦] .

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج، خلقها الله بقدرته لتسبح هي وأولادها بحمده، وتقت لعظمته ، وتشهد بوحدانيته .

وسخرها لخلقهم يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، ويتنعمون بخيراتها، ويسكنون فوقها، ويتقبلون في بقاعها: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (١٧) **﴿ يُبْدِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴾** (١٨) [النحل / ١٠ - ١١] .

فسبحان من ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

كم في الأرض من آية وعبرة؟ وكم يخرج منها من أشجار وثمار؟ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠)
 وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢١].

تعطي الحبة منها سبعمائة حبة بأمر الله ﷻ.

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا ما أعظمه وما أحسنه.

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة، من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفة، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) [التوبة/ ٧٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾» متفق عليه (١).

فسبحان الله ما أجهل الإنسان بربه.. وما أجهله بأسمائه وصفاته.. وما أجهله بآياته ومخلوقاته.. وما أجهله بدينه وشرعه.. وما أجهله بوعدته ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ﴾ (١٩) [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة خلق الإنسان وتقلبه من حال إلى حال، من تراب، إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، ثم جسماً بلحم وعظام، ثم حياً ذا روح، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه، وفي تبدله من حال الطفولة إلى الشباب، إلى الاستواء، إلى الكهولة، إلى الشيخوخة.

فسبحان الذي خلقه وصوره، وأحسن خلقه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَهُ نَسْلَهُ، مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة/ ٦-٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له.

وسبحان الملك القدير الذي خلق ما شاء، وما يزال يخلق ما شاء، الذي بيدو الخلق ثم يعيده، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم / ١٩].

وسبحان الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [١٨] [نوح/١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السموات والأرض ترى عجائب قدرة الله ، وعظيم ملكه وسلطانه ، وتشاهد التدبير والتصريف ، والتحريك والتسكين ، والحياة والموت ، في كل لحظة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت / ٢٠].

واعلم أن الله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية، وأسكن فيها الأرواح، فصارت حية بأمر الله عز وجل.

والروح سر باطن موصوف بصفاته ، معلوم بأفعاله ، لا يحيط به العلم ، ولا يكيّفه العقل .

اختص الله ﷻ بمعرفته وحده، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه ، وطريقاً إلى الوصول بالمعرفة إليه والإيمان به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء / ٨٥].

والروح أمر رباني ، وعبد روحاني ، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محنته ، فواقع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً ، فعاقبه بأن أهبّطه من السماء إلى الأرض كما عصاه في الجنة: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [١٣١] ﴿ثُمَّ اجْنَبْنَا رَبَّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [١٣٢] [طه/١٢١-١٢٢].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء ، فإن آمن العبد بربه صار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه صار الجسم والروح إلى النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [٧٤] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [٧٥] ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [٧٦] [طه/٧٤-٧٦].

والموت هو مفارقة الروح للجسد ، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خُلق منه، وخرجت الروح الحية منه، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء.

فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى تصعد به إلى ربه ﷻ ، فيؤمر بالسجود لربه فيسجد له، ثم يعود إلى جسده في قبره وينعم فيه، ويبقى فيه إلى أن يُبعث، ثم يحاسب ، ثم يدخل الجنة :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة / ٨٨ - ٨٩] .

وإن كان كافراً لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء ، ورُمي من علو إلى الأرض ، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل النار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ؕ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف / ٤٠ - ٤١] .

فما أعظم الله في خلقه وأمره، وحكمه وتدبيره، وأسمائه وصفاته : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان / ١٠ - ١١] .

أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.

وخلق سبحانه الجنة وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يرغبهم فيها ، من المياه والثمار وسائر النعم ، وخلق النار وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يخوفهم منها من النار ، والسموم ، والآلام ، وسائر المكروه .

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين ، نفس في الصيف وهو أشد الحر ، ونفس في الشتاء وهو الزمهرير أشد البرد .

فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى .

ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » متفق عليه ^(١) .

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك ، وجعل ذلك تذكرة وعبرة ، ودفع هذا بهذا ، وكسر هذا بهذا ، وتم أمره في الدنيا والآخرة ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فلا إله إلا الله الحكيم العليم ، كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات والعيون ، والأنهار والأشجار ، والأزهار ، والنبات ، والثمار : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [١٠] يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ١٠-١١] .

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر .

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم ، والملك الكبير ، والتدبير العجيب : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَوْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٠] .

وإذا نظر الإنسان إلى عظمة هذه المخلوقات فليُعدَّ النظر إلى هذه النظفة المتكررة .

كيف خلقها الله من ماء مهين، فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود ، والطويل والقصير ، والكريم والبخيل ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ [٢٠] وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم / ٢٠-٢١] .

فسبحان من شرف الإنسان من بين المخلوقات فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وكرمه بالسمع والبصر والعقل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ٧٨] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧) .

ثم زاده تكريماً بأن شرفه بالدين الذي يعبد به ربه ، ويهتدي به في حياته ، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض ، وعبداً لمولاه ، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

ونوع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوع له بالدين أنواع الطاعات والعبادات ؛ ليزداد معرفة بربه العظيم، ويزداد شكره وحمده ؛ ليعظم أجره: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

ويوم القيامة يكرم من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب، جزاء وفاقاً: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجل من هذا التكريم ، وأحسن من هذه الأحكام : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان أكثر الخلق ، وكم صرفهم عن التفكير في أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، ومخلوقاته العظيمة ، وآياته الحكيمة : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ ابْنُ آدَمَ إِذْ قَالَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَتَّبِعُوا اللَّهَ فَأَتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ/ ٢٠].

واعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره ، وأشهدهم على ربوبيته ، فأقروا بذلك ، ثم جمع الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي ، وقال : هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى : هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم ، ليخرجوا منه على مر القرون.

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب ، لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين ، فأوجد لهم الصُّور الذي جمع الله فيه الأرواح كلها.

ثم ينفخ فيه إسرافيل ، فتطير كل روح إلى جسدها، ثم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد البعث يكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٨-٧٠].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الأرواح ، واليوم الآخر ، والقدر ، كله من الغيب الذي شاهدته العقول ببصيرة الإيمان ، حتى صار يقيناً كالمشهود بالأبصار : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢-٣].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة ، والله وحده عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].
فَالصُّورُ مِنْ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ، والأرواح مِنْ أَمْرِهِ ، فأعاد الأرواح بالصُّورِ إلى الأجساد، ثم أعاد الكل ليوم الفصل ، ثم ساق المؤمنين إلى الجنة ، وساق الكافرين إلى النار.

حكمة بالغة ، وحُكْمٌ عدل ، وأمرٌ حَتَمَ رجوع كل شيء إلى حيث كان ، حسب عمله ، وقيامهم بين يدي الجبار ليحكم بينهم : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٣].

فإن لم تدرك هذا الحق المبين ، فاعلم أنك محجوب عن ربك ، قد أسرك الشيطان ، وزين لك اتباع الهوى وترك الهدى ، فارجع إلى ربك ، وانظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية ، لعلك تبصر مع المبصرين : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤-١٠٥].

اللهم إني أشهدك في هذا المقام ، أني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتبني مع الشاهدين يا مولاي .

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرأفيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ صعق كل روح في السموات
والأرض إلا من شاء الله، وفتح إلى الصور داخراً صاعراً: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ ذَاخِرِينَ ﴾ [النمل / ٨٧].

ثم يميت الله إسرأفيل ، وملك الموت ، وتحق كلمة الله بموت كل نفس ، ويبقى الملك
الحق الحي القيوم ﷻ .

فينادي : لمن الملك اليوم ؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿ يَوْمَ هُمْ
بَبْرُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله ﷻ إعادة الخلق بعد الصعق ، أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر
كل شيء أخذ من شيء أن يعود إليه ، ثم يُنبث الله أجسام الخليقة كاملة كما نبث النبات
بالماء: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ﴿ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح / ١٧ - ١٨] .

ثم يحيي الله ﷻ إسرأفيل ﷻ ، ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث ، فينفخ فيه ، فتخرج
كل روح إلى جسدها: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ
نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر / ٦٨] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يُخرج النبات الحي من الأرض الميتة ، ويعيد
الروح الحي إلى الجسد الميت ، فيحي الميت بالحي، ثم يخرج من القبر للبعث
والحساب: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ ﴾ [الروم / ١٩] .

فسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء: ﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ ﴿ مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر / ٧ - ٨] .

فلا إله إلا الله متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاها، ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ

فَقَسَتْ قُلُوبَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [الحديد / ١٦].

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها ، فإنه غفور رحيم : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/١٧].

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها بعد انقضاء الآجال، وتمام الآماد كلها: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ فَاصِّحٌ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر / ٨٥].

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام، والقرن بعد القرن، كذلك ينقضي يوم الدنيا ، ويخلفه اليوم الآخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون/١٥-١٦].

واعلم أن الحكيم ﷺ جعل النوم بين اليقظتين آية على الموت بين الحياتين .

ومن كان في يقظته على شيء ، فالغالب أن يكون على مثله في نومه، ومن عاش على شيء ، فالغالب أن يموت عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقة حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق / ٢١-٢٢].

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا كريم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه ، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أظهر الله دينه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف / ٩].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إليه ، والصبر على الأذى في سبيله ؛ لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي خلق السموات والأرض بالحق ، وأنزل على عباده الحق ، وأرسل رسله بالحق : ﴿ ذَلِكِ يَأْنِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان / ٣٠].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل ، والملك والعظمة ، والجلال والكبرياء : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة / ٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [البقرة / ٣٦-٣٧].

وتشهد للإله الحق بالتوحيد ، والعبودية له ، والافتقار إليه .

فكل ما سواه من المخلوقات يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقير ، والعجز والتناهي ، في الأقطار والحدود ، والآجال والصفات .

ويشهد لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له ، ويخضع لعبوديته ، ويسبح بحمده : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

هو القادر على كل شيء ، الذي خلق القدرة في كل قادر ، وله وحده القدرة المطلقة ، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له .

وهو سبحانه العليم بكل شيء ، الذي يملك خزائن العلم كلها ، الذي خلق العلم في كل عالم ، وله وحده العلم المحيط بكل شيء ، وعلم ما سواه ناقص طارئ محدود : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدين الحق ، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به ، من الإخبار بالغيوب ، وخرق العادات ، وتأيدهم بالآيات والمعجزات ، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم ، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد / ٢٥] .

وصفات النبوة ، وأعمال النبوة ، وآيات النبوة ، ماثورة في العالم كله إلى يوم القيامة، تظهر في المسلم، ثم تتجلى في المؤمن ، ثم تشرق في الموقن ، ثم تستعلن في الصديق وهو المحسن .

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون صلوات الله وسلامه عليهم.

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة، يربط الله بالحق على قلوب أهلها، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، ويكرمهم بضروب الكفايات، وحصول الكرامات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات.

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم ، وإذعانهم للأنبياء وتوقيرهم ، مع حسن الاقتداء بهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥] .

وكثيراً ما يكون في هذا الصنف المنتخب محادثة السر، والنفث في الرُّوع، وحسن السمات، والصدق في الرؤيا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ » أخرجه البخاري ^(١).

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق ، ويخرج مخرج الصدق ، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء / ٦٩ - ٧٠] .

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤ - ٥٥] .

فاجتهد في طلبه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [٨٠]

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٩) .

ولعظمة هذا المقام ، وعلو درجته ، سيسأل الله أهله عن هذا الصدق: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٧-٨].

فعليك بالتسليم الكامل لربك ، مع الإحسان في القول والعمل ، تُرضي ربك ، وتنال كرامته: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه ، وصعد في المدارج العالية ، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل ، فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم ، فيكون كل شيء يراه أو يسمعه أو يعلمه دليل من الحق يدل على ربه الحق المبين ، فإذا حقق هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

فسبحان من أكرم آدم وذريته ، وعلمه الأسماء كلها ، وباهى به ملائكته ، وأسجد له جميع الملائكة ، وجعله خليفة في الأرض ، وأكرمه بمعرفة أسماء ربه الحسنی ، وصفاته العلى : ﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكراً ، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة ، وأشهدهم على ذلك شهادة حقاً ، ثم استخرجهم من الأصلاب ، جيلاً بعد جيل ، على هذه الفطرة الربانية الإيمانية: ﴿فَاقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل ، ويؤمن بما جاؤا به من الهدى والفرقان ، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان ، ويزيدها بالفكر ، ويغذيها بالذكر والعبادة ، فتفتح له أبواب العلم والهداية.

فلا يزال يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض ، ثم يخترق السبع الطباق ، ثم يبلغ الكرسي الكريم ، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسنى، فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد:

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويرفع ويخفض .. ويسبط ويقبض .. ويأمر وينهى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُؤْمِنِينَ تُوْفِي الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧] .

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم ، بل يتذكر ما هو مركز في فطرته من تلك المعرفة ، ولهذا قال سبحانه: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل/ ٤٣] .
أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم ، بحسب الحُجُب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة.

فتجده يكذب بآيات الله ، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملاً الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض فساداً، ويملاً ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [يونس/ ١٧] .

فيحتبس المطر من أجله ، وتقحط الأرض بسببه ، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضره: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم / ٤١] .

فاستقم كما أمرت ، ولا تكن من الممترين ، فتكون من الضالين: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ

يَعْرِهُدَى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص / ٥٠].

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عبده عبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبَّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [يونس / ٣٥].

وآيات هدايته إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهدوا بها إلى مقاصدهم ، وإنزاله الكتب ، وإرساله الرسل إلى الخلق ليهدوا إلى ربهم : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٥-١٨].

واعلم أن السبل كثيرة ، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه ، وهو الصراط المستقيم ، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام / ١٥٣].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة.

فالسؤال : هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر / ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه : خذ هذا عن هذا : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم / ٥١].

واعلم أن من حوسب عذب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه، إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [النور / ٦١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ فَسَدُّدُوا وَقَارِبُوا » متفق عليه ^(١).

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل.

فالعاجل: للحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل: ما أخر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بين لهم الصراط المستقيم في الدنيا، ليسيروا عليه إليه، ودعاهم لسلكه ليصلوا إليه.

ثم نصب لهم يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم، وهو الصراط الأكبر المنسوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين والمنافقين، الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهو لاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّانَتْ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف / ١٠٥-١٠٦].

ثم تتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله فيقعون في النار: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم / ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون نُصب لهم الصراط، ثقلهم وخفيفهم، فإذا خُلص من خُلص من هذا الصراط وهم المؤمنون، حُبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار، فإذا هُدُّوا ونُقُوا من المظالم التي بينهم دخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

فِيحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقْصُ لِعَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُفُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا « أخرجه البخاري (١) .

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا ، تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٥١].

واعلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [٧١] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴿٧٢﴾ [مريم / ٧١-٧٢].

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : .. قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرُّكَّابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا » متفق عليه (٢) .

فلا إله إلا الله ، إن قلباً لا تهزه هذه الأهوال والكروب لقلب ميت : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة ، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣) .

وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧] .

والميزان يوم القيامة حق : له كفتان ، كل كفة تَسَعُ طباق السموات والأرض ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الأخرى: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨].

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/٦-١١].

فسبحان الرب العظيم ، الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فكل شيء بميزان مقدر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر .

الخلق والتدبير .. وإنزال الماء .. وتقسيم الأرزاق .. والنمو والتكاثر .. والجبال والبحار .. والسحب والرياح .. وكل شيء في خزائن الله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر / ٢١].

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمده ميزابان من الكوثر ، الذي أعطاه إياه ربه في الجنة ، فيشرب منه كل من آمن به : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر/١].

وهذا الحوض عظيم واسع كما بين مكة وبصرى ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأنيته كعدد نجوم السماء ، مَنْ شرب منه لا يظمأ أبداً، يشرب منه المؤمنون ، ويُؤدِّد عنه كل من بدّل دينه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ مَأْوَةٌ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا » متفق عليه^(١).

واعلم وفقنا الله وإياك للفقه في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر، والحق بالباطل، امتحاناً وابتلاءً لعباد في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٥].

أما الآخرة فإن الله ﷻ خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيره في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيره في النار: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت / ٦٤].

فسبحان الملك الحق، الحكيم الخبير، الذي خلق الدنيا والآخرة، ثم أظهر لنا الدنيا، وأخفى الآخرة، وقدم الدنيا، وأخر الآخرة، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة.

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

ومن كفر به أدخله النار، وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَّبَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ٥٦].

واعلم رحمك الله أن الناس يحشرون كلهم للحساب يوم القيامة.

والحشر حشران سوى الحشر الأول:

حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبَيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

وَتُْمَسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسُوا « متفق عليه ^(١) .

ثم الحشر الأول بعد نفخة البعث والنشور حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٤٧-٤٨].

وأما الحشر الثاني فهو حشر الكفار إلى جهنم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال / ٣٦] .

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم / ٧١-٧٢] .

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور لا يراه أحد في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه ، ولا يحيطون به ؛ لكمال عظمته وكبريائه : ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَّازِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين ، ثم يحتجب عنهم كما قال سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [المطففين/ ١٥-١٦] .

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم أن من آمن بالله في الدنيا ، وراه ببصيرته ، أكرمه الله برؤيته يوم القيامة ببصره ، ودخول جنته ، والفوز برضوانه ، ومن كفر بالله في الدنيا ، وعمي عنه ببصيرته ، حرمه الله يوم القيامة من رؤيته ، ودخول جنته ، وأدخله ناره: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِءِ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٦١).

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

واعلم رحمك الله أن الشهادة بأن الله هو الحق المبين هي أمّ الشهادات وأصلها، فهي شهادة بأن الله هو الحق .. وأسماءه كلها هو حق .. وصفاته كلها حق .. وأفعاله كلها حق .. وأحكامه كلها حق .. وأقداره كلها حق .. وخلقها كله حق .. وأمره كله حق .. ووعدته كله حق .. ووعيده كله حق .. وكتبه كلها حق .. ورسله كلهم حق : ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان الملك الحق لا إله إلا هو : ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣٢].

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَّا رَتْقًا فَفَنَقَّحْنُهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سِبْلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء / ٣٠-٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك ، لتزداد علماً وتوحيداً ، وإيماناً يقيناً : ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِيهِمْ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف / ١٨٥].

إذا فهمت هذا ، فاعلم رحمتنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور، وأربعة مواطن ، وخمسة أحوال.

فأمن بهن وما فيهن من خلق وأمر ، وحياة وموت ، وتقدير وتدبير ، ومشهود ومستور : ﴿رَبَّنَا ءَا مَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

أما الدور الثلاث :

فدار الدنيا .. ودار البرزخ في القبر .. والدار الآخرة.

وأما المواطن الأربعة :

فأولها الدنيا .. ثم البرزخ .. ثم عرصة القيامة .. ثم الجنة أو النار.

وأما الخمسة الأحوال :

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج.

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع : حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار ، وهي دار القرار الأبدي في النعيم أو الشقاء.

فاعلم رحمك الله ذلك كله ؛ لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته سوف تراه، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

﴿ رَبَّنَا إِنَّمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفُتْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم / ٤١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

اللهم إني أشهدك ، وكفى بك شهيداً ، أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، وأشهد أنك الحق ، ووعدك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد ﷺ حق ، والنبيون حق ، ودينك حق ، وقولك حق ، لا إله غيرك ، ولا رب سواك .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

المقالة ■ . الواسع

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة/ ١١٥].

الله ﷻ هو الواسع الحق، ذو الطول والاقترار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧] .

هو سبحانه الواسع الكريم ، الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده، الرازق الذي وسع رزقه جميع خلقه ، ويده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ نَفْسٍ بِدَتْ أَلْفًا مِنْ شِئَاءِ اللَّهِ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران / ٧٣] .

وهو سبحانه الواسع العليم ، الذي وسع علمه كل شيء ، وأحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه / ٩٨] .

وهو سبحانه واسع المغفرة، الذي يغفر لكل من تاب وأتاب مهما بلغت ذنوبه وخطاياها: ﴿إِنْ رَبَّنَا وَسِعَ الْمَغْفِرَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم / ٣٢] .

وهو ﷻ واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان الواسع العظيم ، الذي وسع كل شيء رحمة ومغفرة ، وفضلاً وعلماً ، وحكماً وسلطاناً.

وسعت أسماؤه كل شيء .. ووسعت صفاته كل شيء .. ووسعت كلماته كل شيء .. ووسعت أفعاله كل شيء .. ووسعت خزائنه كل شيء : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] .

جمع ﷻ إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٍ﴾ [الأنبياء / ٣١] وهو الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم / ٢٦-٢٧] .

وهو الواسع الذي جمع علمه وقدرته ومشيتته وإرادته كل كائن في السموات والأرض ، وكل كائن في الدنيا والآخرة ، وكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، من كبير وصغير ، وظاهر وباطن ، وحي وميت ، وناطق وصامت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الكل ملكه ، والكل في قبضته ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل يسبح بحمده.

فسبحان من جمع ذلك كله كتاباً في اللوح المحفوظ : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس/ ١٢].

ثم جمع ﷻ الخليقة البشرية كلها في واحد جامع ، جعله عبداً له ، متذللاً لعزته ، خاشعاً لعظمته ، قانتاً له ، متصاعراً لكبريائه .

جمع في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه ، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود وكلام ، وأعمال وأخلاق .

ثم أظهر سبحانه ذلك كله ، كل على نوبته وأوليته من الدهر : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر / ٥٢ - ٥٣] .

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والسفلي على ذكره وتوحيده ، وتسييحه وتوحيده : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

ثم هو ﷻ جامع الناس ليوم لا ريب فيه ؛ لتوفى كل نفس ما كسبت : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ﴾ [آل عمران / ٩] .

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن / ٩] .

هو الحق ﷻ جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧] .

وهو جامع الشر كله بحذافيره لأعدائه في النار : ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [١٤٠]

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، وقدرة ومشيئة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يونس / ٦١].

هو الواسع الحكيم، رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود / ١٢٣].

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذرات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم، ووسَّع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وسَّعهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة / ٢٦١].

وهو سبحانه واسع الملك الذي يؤتیه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [البقرة / ٢٤٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الواسع :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الواسع الحق ﷻ له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وله المثل الأعلى، وله المحامد كلها، وله الثناء الحسن كله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم ، فاحمل نفسك على أحسن الصفات وأوسعها خيراً ، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته يؤتك أضعافه : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة / ٢٤٥] .

واعلم أنك لن تستطيع أن تسع الناس بمالك ، فسعهم بأخلاقك الحسنة ، يحبك الله ، ويحبك أهل السماء والأرض : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنِكُمْ أَحْلَاقًا » متفق عليه ^(١) .

ومن أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس ، والرفق بهم ، وإكرام أشرفهم ، والإحسان إلى فقرائهم ، والحلم على سفيههم ، ودعوتهم إلى الخير ، والنصح لهم ، وحب المؤمنين منهم : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتَوَّاءَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١١٠] .

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

وقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأحسن الأديان ، وأحسن الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، فاتبعه في دينه ، وأخلاقه ، وأقواله ، وأفعاله ، تحمل صفاته التي وصفه بها ربه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم / ٤] .

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢١) .

يكرمك بجميع أنواع الثواب يوم القيامة.

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما يرضيه عنك ، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه ، فخرائن كل شيء عنده :

﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدَرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١].

وأكثر من التدبر والتفكير في آيات ربك العظيمة ، وملكه الواسع ، ثم أتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه ، من الذكر والعبادة ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

واجمع بين العلم والعمل ، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، وثمره العلم الحق العمل الحق مع الخشية والفتور : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتِءَانَاءُ الْإِيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى : ﴿ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٢٥] وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان / ٢٥-٢٦].

واعلم أن شأن الله عظيم ، وأسمائه وصفاته الحسنی لا تحيط بها العقول ، وجلاله وجبروته وعظمته وكبرياؤه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام ، وآلاؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى .

فسبحه كثيراً.. واحمده كثيراً.. واستغفره كثيراً.. واذكره كثيراً : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [٤٣] تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [٨٤] وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»
متفق عليه (١).

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، والدرجات العلى من الجنة يا واسع الرحمة والمغفرة والعطاء ، اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء ، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة ، وخير الفلاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وخير المقام ، يا واسع الفضل والمغفرة.

المحيط

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء / ١٢٦] .

الله جل جلاله هو المَلِكُ الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي.

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩) .

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء / ١٢٦) .

وهو سبحانه العلي العظيم ، الذي أحاط بكل شيء خلقا، وأحاط بكل شيء أمرا، وأحاط بكل شيء قدرة ، وأحاط بكل شيء علما: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق / ١٢) .

وهو سبحانه العلي الكبير ، الذي أحاط بالعالم كله، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعله وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد / ٣) .

وهو جَلَّ المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والسفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت / ٥٤) .

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط بجميع خلقه بالنعم والعافية، وأحاطهم بالأمن والدين، فلا أحد أكرم منه ، ولا أحد أقوى منه ، ولا أحد أعظم منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر / ٦٥) .

فسبحان الملك الحق ، المحيط بكل شيء، المحيط بالسماوات والأرض، المحيط بالأبد والأمد ، المحيط بالمكان والزمان ، المحيط بالأوائل والأواخر ، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال، والجهر والسر: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك / ١٣-١٤) .

وسبحان الرب العظيم الذي خلق الملك والملكوت ، وأحاط بعالم الغيب والشهادة.

خلق السماوات والأرض، وملاً السماوات بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره، وملاً الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والذرات، والإنس، والجن.

ثم أحاط الجبار كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء

الأولى الدنيا، وأحاط السماء الأولى بالثانية.. وهكذا إلى السماء السابعة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء / ٣٠] .

ثم أحاط سبحانه السموات والأرض بالكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم ، الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل / ٢٦] .

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكل في يد الجبار ﷻ أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧] .

فسبحان الكبير المتعال ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وأحاط بكل شيء محيط ، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

والله ﷻ ذو العظمة والكبرياء ، والعزة والجبروت ، قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات وهي الرحمة ، كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه / ٥] .

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم ، وأحاط بكل محيط .. يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. يخلق ويرزق.. ويأمر وينهى .. ويعز ويذل.. ويحيي ويميت .. لا راد لقضائه.. ولا معقب لحكمه .. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم علمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة ، والتدبيرات العجيبة في السماء والأرض ، لكل واحد منها يومه وساعته ودقائقه ، ولكل مخلوق أيامه وأسابيعه وشهوره وأعوامه وقرونه، يقع

فيها حوادث لا يحصيها إلا الله ، من الأعمال ، والتسبيح ، والتحميد ، والحياة ، والموت ، منها ما نبصره ، وأكثرها لا نبصره .

والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل أحاط به المحيط سبحانه ، الذي أحاط بكل شيء : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (١١٦) . [النساء / ١٢٦] .

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة ، وأوسعها وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات العلى ، وحملة العرش المقربين ، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبداً : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) ﴿ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٦) ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (١٧) [فاطر / ١٥-١٧] .

والله ﷻ هو الملك الغني عن جميع خلقه ، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتديبرهم وأرزاقهم : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) [فاطر / ١٥] .

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها ، وتسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده ، ومن شذ من البشر عن عبادته فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته : ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (٢٨) [فصلت / ٣٨] .

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو ، وأكرمنا بالدين الحق الذي يرضى به عنا ، وفرض علينا أولاً خمسين صلاة في اليوم واللييلة ، ثم خفف الكريم الرحيم عددهن من خمسين إلى خمس صلوات ، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣) ﴿ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٤) [آل عمران / ٧٣-٧٤] .

وجعل كل حسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو ، والسيئة بمثلها ويمحوها بالتوبة أو بعفوه : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦٠) [الأنعام / ١٦٠] .

واعلم أن مَنْ عَلَتْ منا همته ، سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض ، وتكثير النوافل من جميع

الطاعات ، واجتناب المنهيات : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾ [الحديد/ ٢١].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات ، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿١١٨﴾ [يونس / ١٠٨] .

فسبحان الكريم الرحيم بعباده ، الذي خلق المسبحين وعرفنا بهم ، وأرانا إياهم ، وأخبرنا بدوام تسييحهم، لتقتدي بهم، ونسبح بحمده معهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨] .

هو الله ﷻ المحيط الذي أحاط بكل شيء ، وأحصى كل شيء من الذرات ، والذوات ، والأعداد ، والأحوال ، والآجال ، والأرزاق ، والأنفاس ، والحركات ، والأقوال ، والأفعال ، وما في القلوب ، وما في الغيوب : ﴿ سَرُّهُمْ ءَابِتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَأَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ [فصلت/ ٥٣-٥٤].

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً ، عدداً وقدرأ ، علماً وعملاً .
 يعلم مثاقيل الجبال .. ومكاييل البحار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد ورق الأشجار ..
 وعدد الطير والحيوان .. وعدد الإنس والجان والملائكة .. وأحصى تسييحها وأنفاسها وما خرج منها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَنصِبُ مَا قَدَّمُوا وَعَاثِرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٢﴾ [يس/ ١٢] .

أوجد سبحانه العدد وجوداً لا ينتهي له ولا آخر ، وجعله في الدنيا آية على بقاء ما له أول ولا آخر له ، وهي الدار الآخرة .

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد ، ويحسبها بحساب واحد ، ويعلم

كل شيء بعلم واحد ، وأحصى جميع المخلوقات جملة وتفصيلاً : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٦٢) [الأنعام/ ٦١-٦٢].

والله ﷻ أسماؤه لا تحصى ، وصفاته لا تحصى ، ونعمه لا تحصى .

وَمَنْ أَحْصَىٰ مِنْ أَسْمَائِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وإحصاؤها هو معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لَللَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتُرَّيْحُ الْوَتْرِ » متفق عليه^(١) .

فيجب علينا تعلم أسماء الله الحسنى ، لندعوه بها ، ونتعبد لله بها بالاتصاف بما يليق بالعبد منها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) [الأعراف/ ١٨٠] .

واعلم أنك إن كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق ، ويحصى كلامك وأفعالك وأنفاسك ، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك ، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك ، فلماذا لا تُحِلُّ نظره إليك ؟ ولا تهاب رقابته عليك ؟ ولا تستحي من مشاهدته لك ؟ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠) [الحج/ ٧٠] .

واعلم أن أنفاس العباد معدودة ، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت ، فاذكره واعبده بما شرعه رسوله ﷺ : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٦٥) [مريم/ ٦٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه المحيط :

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٨) [طه/ ٨] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

هو المَلِكُ المحيط بكل مَلِك .. القوي المحيط بكل قوي .. الكبير المحيط بكل كبير ..
العزیز المحيط بكل عزیز .. العليم المحيط بكل عليم .. الغني المحيط بكل غني .

فسبحان الرب المحيط بجميع أكناف العالم، وجميع ذرات العالم، المحيط بجميع
أنفاس ونيات وحركات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوهُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكير ، وزيادة التدبر ؛ لتعرف الكبير حقاً ، والعظيم حقاً ، والملك حقاً ،
والمحيط حقاً ، الذي أحاط بالملكوت كله حولاً وقوة ، وعلماً ومشيةً ، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة
أو باطنة ، كبيرة أو صغيرة : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام / ١٠٤] .

ومن هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا ملكه ، وتلك خزائنه ، هو الذي
يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فعليك بالاستسلام له .. والحياء منه .. والتبرؤ من الحول والقوة له .. والخروج إلى الله من
معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة .

فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور / ٢١] .

واحرص أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن ، واجتنب
المعاصي والبدع ، وعليك بالصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر لله على النعماء ؛
لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧] .

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء، ولا تتبرم من أي مكروه قدره، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

وإذا وقع مكروه فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإذا لم يقع ما تحب، فاعلم أنه لم يقدره العليم الخبير، ولو كان خيراً لقدره: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة / ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ » أخرجه مسلم ^(١).

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأعمالك، ومصاحبة الأيام والشهور والأعوام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته، كما كان العبد لربه بعد بعثته من نومه.

فإن كنت في الدنيا لربك عبداً، ولحرماته معظماً، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً، كان الله في الآخرة لوجهك مكرماً، ولشأنك معظماً، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعاً: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/ ٦٠].

ومن أحسن أحسن الله إليه وزاده: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس/ ٣٦].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلاً عن آحادها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاَصْبٰٓءُ اَفْعٰٓيَرٍ اَللّٰهُ نَفُوْنَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْرٰوْنَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك، واستغفر عن التقصير في كل عمل صالح: ﴿وَاَتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصَوْنَ اِنَّ الْاِنْسَانَ لظَلُوْمٌ كَفٰرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر، والعمل الصالح، ومدافعة الغفلة مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩].

وإياك وإضاعة الأوقات، والتسوية، والتمني، والتراخي، والانتظار.

فهذه كلها جنود إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ اِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوْهُ اِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ / ٢٠].

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار، كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب، ففكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْاَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغٰفِلِيْنَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف / ٢٥].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلٰى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَاطٰقَةٌ لَّنَا بِهِؕ وَاَعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَاَرْحَمْنَا اِنَّتَ مَوْلٰنَا فَاَنْصُرْنَا عَلٰى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة / ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر ، يا عليماً بالظواهر والبواطن ، يا سميعاً للمنادي
والمناجي ، يا بصيراً بالشاهد والغائب .
أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ،
والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرجته ، ولا كرباً إلا نفسه ، ولا ضرراً إلا كشفته ،
ولا ضاللاً إلا هديته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقالة ❦ الحبيب .. الحاسب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ ^(٨٦)
[النساء / ٨٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

حَبْكَةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

الله ﷻ هو الحسيب الحق، ذو الشرف والمجد، والعزة والجبروت، والعظمة والسؤدد، والجلال والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثلته شيء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الحسيب الحق، العالم بمقادير الحسنات والسيئات، وأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال، والأعمال، والأرزاق، وأعدادها، وأنواعها، وأجناسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء / ٨١].

وهو سبحانه الحاسب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم، ورازقهم، وكافهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر / ٣٦].

وهو سبحانه الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم.

فكلها محسوبة عنده، لا يضيع منها شيء، ولا يزداد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً، بلا ظلم ولا بخص ولا نقص: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء / ٤٧].

والله ﷻ سريع الحساب، بل هو أسرع الحاسبين، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة حاسبهم في أسرع وقت، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد، كما يرزقهم جميعاً في الدنيا في وقت واحد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام / ٦١-٦٢].

فسبحان الملك الحق، الذي خلق جميع الخلق، وأحصى أعدادهم، وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه ، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة ، فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان/ ٢٨].

واعلم أنه لن يُفْلِتَ أحد من الموت ، كما أنه لن يُفْلِتَ أحد من الحساب ، كما أنه لن يفلت أحد من العقاب ، أو يُحْرَمَ من الثواب : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فاختر لنفسك ما تسعد به : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء/ ١٣١].

واعلم أن الحساب يوم القيامة من الرب الكريم لعباده مبني على العدل والرحمة والإحسان، ومن نوقش الحساب هلك : ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴾ [فأما من أوتي كُتُبَهُ بِمِيمِنِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كُتُبَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلِي سَعِيرًا ﴿١٢﴾] [الانشقاق/ ٦-١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كُتَابَهُ بِمِيمِنِهِ ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرُضُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ » متفق عليه (١).

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحسيب :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الحسيب الحق، الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٧٦) .

واعلم أيها المؤمن أن الله شَرَّفَكَ بعبادته ، وخصك بهدأيته ، وأكرمك بطاعته ، فالزم طاعته في جميع أحوالك ، وأكثر من ذكره في جميع أوقاتك: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعام / ١٦٢ - ١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له ، فهو لجلاله وجماله ، وكمال أسمائه وصفاته ، أحق من عبد ، وأحق من ذكِر ، وأحق من شُكر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

ولا تُعدد حسناتك ، فإنها مكتوبة محفوظة مضاعفة لك عند ربك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء / ٤٠].

وعدّد سيئاتك ، وتذكّر ها ، لتستغفر الله منها ، وتتوب إليه منها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩].

واحسب الساعات والأيام ، واملأها بالأعمال التي يحبها الله ويرضاها ، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وانظر ما قدمت وما أخرت : ﴿ وَأَنْ أَمِرٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس / ١٠٥ - ١٠٦].

فالكل محسوب ستراه يوم القيامة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيْرًا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦ - ٨].

فسبحان الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما عملوه من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية ، وميز لهم صالح العمل من فاسده ، وحسنه من قبيحه .

وعلم ما يستحقون من الجزاء ، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب ، ثم يوفيههم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّلِيحَاتِ فِي جَنَّةِ التَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾
 . [الحج / ٥٦ - ٥٧] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر / ٧ - ٨] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران / ١٩٣] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم^(١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقيت

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء / ٨٥] .

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين ، الذي خلق الأقوات كلها ، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به ، وأرسل إلى المخلوقات أرزاقها: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود / ٦] .

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف ، المقيت الذي يعطي

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

كل مخلوق من نبات ، وحيوان ، وطيور ، وإنسان ، قوته على مر الأوقات والدهور: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠].

فسبحان من يمد هذه الخلائق في كل وقت بما جعله قواماً لها، فإذا أراد موت شيء منها حبس عنه ما جعله مادة لبقائه من القوت ، فمات بإذن الله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ. وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم / ٤٠].

والله ﷻ هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له.

هو المقيت الذي يقوت الأجساد بالطعام والشراب.. ويقوت العقول بالعلوم.. ويقوت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم.. ويقوت الأرواح بدوام المشاهدة ولذيذ المؤانسة.. ويقوت الأبدان بحسن العبادة.

فسبحان الملك الحق الذي قدر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم ، وقدر أقوات أهل الأرض وما يصلح لمعايشهم من النبات والأشجار والثمار والمنافع: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ٤٩ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ٥٠ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴾ ٥١ ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ٥٢ ﴿ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرًّا ﴾ ٥٣ [القمر / ٤٩-٥٣].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والمكاسب ما لم يجعله في الأخرى؛ ليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد: ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ١٣ ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّ تَلْسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَّكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ١٣-١٤].

فيحصل بسبب ذلك من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَادِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف / ١٠].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه يأكل منها حيث يشاء: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١].

وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّسَائِلِينَ ﴿١٠﴾ [فصلت/ ٩ - ١٠] .

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وسبحان الغني الذي له خزائن السموات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِلَّهِ لَهُ الْغِنَى الْحَمِيدُ ﴾ [الحج/ ٦٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَيَبِيْدُهُ الْمِيزَانُ يَخْفُضُ وَيَرْفَعُ » متفق عليه ^(١) .

• التبعيد لله تعالى باسمه المقيت :

اعلم أن ربك الكريم هو المقيت الحق الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولائك ، وخالق الناس بخلق حسن ، وادعهم إلى الله ، وأكرمهم بالقول والفعل يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٢] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه ^(١) .

واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٢) .
(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له .

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء / ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب ، فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده ، وأنواع عبادته ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، تكن من المفlichen : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وإذا كان الله هو الحي المقيت وحده فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم / ٤٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(٢).

اللهم يا مقيت الخلائق كلها ، يا واسع الرحمة ، يا باسط اليدين بالعطايا ، أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً حلالاً طيباً ، يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا حسن التجاوز ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين .

الحفيظ .. الحافظ

قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ / ٢١].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر / ٩].

الله ﷻ هو الحفيظ الحق ، الذي حفظ جميع ما خلقه ، وأحاط علمه بما أوجده ، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها ، وحفظ أولياءه من الوقوع في المهالك .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما ، وما عليهما ، وما بينهما ، لتبقى إلى ما شاء الله ، فلا تزول ولا تميد ، ولا يسقط منها شيء على شيء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُتَوَدَّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٣٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥].

فسبحان القوي العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿الْعَرَّتْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتغيير مع كثرة المحرفين والمبدلين : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر / ٩].

فسبحان الحافظ العظيم ، الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم .

الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم ، ويعلم نياتهم وما تكين صدورهم : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [هود / ٥٧].

هو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ، وعلم بمقاديرها ، ومقادير جزائها ، وحفظ ذلك كله وكتبه في اللوح المحفوظ : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر / ٥٢-٥٣].

وللحفيظ ﷻ حَفَظَةٌ من الملائكة يحفظون العباد ، ويكتبون أعمالهم : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

وللرب ﷻ حَفَظَةٌ من الملائكة يحفظون المخلوق مما لا يريد الحفيظ الحق كونه ، وهو من أمر الله : ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد / ١١].

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه ، الذي يحفظ خلقه ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم ، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم : ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء / ٤٢].

واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان :

الأول: حفظ عام لجميع الخلق ، يشترك فيه المؤمن والكافر ، وسائر النبات والحيوان، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله بتيسير الطعام والشراب والهواء ، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة، ودفع المكاره والمضار عنهم كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٢١) . [سبا/ ٢١] .

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به ، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضلة ، والفتن المهلكة ، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وألستهم من الكبائر والفواحش والمحرمات .. وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن والنفس الأمارة بالسوء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) ﴿نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٣٢) [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

واعلم أنه مَنْ حَفِظَ اللهُ بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، حفظه الله في الدنيا والآخرة ، فاحفظ الله يحفظك: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) [يوسف/ ٦٤] .

ومن حفظ حدود الله ، وأدى حقوقه ، فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب ، فأطاعه ، فرضي الله عنه ، وأدخله الجنة: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَمَيِّنِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (٣٢) ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٣) ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) [ق/ ٣١-٣٥] .

واعلم أن أعظم حفظٍ مَنْ اللهُ به عليك حفظ قلبك ، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر ، والشرك ، والنفاق ، والفتن ، والأهواء ، والبدع: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) [البقرة/ ٢٤٣] .

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الملك العظيم وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم ، وتكفل بحفظه، وهدى من يحب للإيمان ، وتكفل بحفظه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحفيظ :

اعلم رحمك الله أن الحفيظ ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم ، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكة حفظة تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ (١١) [الأنعام / ٦١].

وأنت غفر الله لك ، عبد الله الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة ، وكريم كلاءته ، ومنيع حفظه وحرصته في دينك واستقامتك ، وفي نفسك وروحك ، وفي سمعك وبصرك ، وفي فكرك وعقلك ، وفي قلبك وجسمك ، وفي جميع حواسك الظاهرة ، وجميع حوائجك الباطنة ، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد، فاشكره وأحسن عبادته: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٢٠) [لقمان / ٢٠].

ولا تحسبنَّ الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة ، فذلك فضل عظيم من ربك ، ولكن الحفظ الأكبر ، حفظ القلب والدين من الكفر ، والشرك ، والنفاق ، والبدع ، والشك ، والشبه ، والأهواء ، والفتن : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١) [النور / ٢١].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وأحسن عبادته بما جاء به رسوله ﷺ ، وأخلص العمل كله له ، فهو أهل أن يُعبد ، وأهل أن يُحمد : ﴿ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٦٥) [مريم / ٦٥].

فهو سبحانه الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحب إليك ما يحبه ويرضاه، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤) [إبراهيم / ٣٤].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك، وسوف يجازيك بها يوم القيامة:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت ، واعبد ربك ، واصطر لعبادته ، وداوم على شكره ، واصبر على بلائه ، واحفظ حقوقه وحدوده ، واجتنب محارمه وما يسخطه ، فبذلك تستدرّ نعمه ، وتستصحب حفظه ، وتنال ثوابه ، وتسلم من عقابه: ﴿وَأِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم / ٧] .

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله هو توحيدِه بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ﴾ ﴿٣٦﴾ [الرعد / ٣٦] .

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات الصلاة، فمن حافظ عليها حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة / ٢٣٨] .

ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ ، كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا بِأَنفُسِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَٰرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: « يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ ، وَإِذَا سِيَأَلْت فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد والترمذي ^(١) .

فاحفظ سمعك فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه.. واحفظ بصرك فلا تنظر به إلا إلى ما

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

يرضيه.. واحفظ قلبك أن يتعلق به غيره.. واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضبه.. واحفظ جميع جوارحك فلا تتحرك إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام/١٦٢-١٦٣].

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أقرب كلما تقربت منه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ أَمْهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة/١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه (٢).

واعلم أن من حفظه الله في أمور دينه ودينه ، فإنه لا يضيع أبداً ، ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف/٦٤].

فاستودع الحفيظ ﷻ نفسك وأمانتك وأقوالك وأعمالك ، وجميع ما تملك ، وخواتيم أعمالك ، فما استودع شيئاً قط إلا حفظه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة/١١١].

وأكمل لربك ما يحب ، يُكمل لك يوم القيامة ما تحب ، واجتنب ما يكره ، يحفظك مما تكره ، فهو القائل : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيتَى فَارْهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيتَى فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة/٤٠-٤٣].

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

أعانا الله وإياك وجميع المسلمين على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وحفظ أمانته ، وأداء ودائعه ، وما استودعنا من شرائعه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنِّي لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق ، واحفظ ألسنتنا من الكذب ، واحفظ أعيننا من الخيانة ، واحفظ أعمالنا من الرياء ، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة ، واحفظ جوارحنا من المعاصي ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقالة ❦ الكافي

قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر / ٣٦] .

الله ﷻ هو الكافي الحق ، القائم بالخلق كله ، القائم بالأمر كله ، القائم بالرزق كله ، القائم بالحفظ كله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء / ٤٥] .

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجونه إليه ، فهو وحده حافظهم ورازقهم ، الذي يدبر أمورهم ، ويسر مصالحهم ، الذي يكفي عباده المهم ، ويدفع عنهم الملم ، الذي له خزائن السموات والأرض : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [١٣٢] « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ » وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿ [النساء / ١٣٢-١٣٣] .

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه ، الذي يدافع عنهم ، ويهلك أعداءهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج / ٣٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) .

وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم .

فوقاهم في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة الأعمال السيئة ، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم النار، وأدخلهم الجنة، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح ، ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) [الإنسان / ١١-١٢].

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واق: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿﴾ (٢٢) [غافر / ٢١-٢٢].

وكفاية الله لعباده نوحان :

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات من الإنس والجن ، وسائر الحيوان، فهو سبحانه الكافي لهم بكل ما يحتاجونه .

فهو الذي قام بخلقهم ، وإمدادهم ، وحفظهم ، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهياً لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦) [هود / ٦].

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين، فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه، العاملين بطاعته، فمن توكل على ربه حق التوكل كفاه ربه أمور دينه ودنياه، وسدده في أقواله وأعماله، وكفاه همه، وكشف غمه، وجمع له رزقه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) [الطلاق / ٢-٣].

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به وتوكل عليه، القوي الذي يخذل كل من عاداه: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧) [البقرة / ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أوليائه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ

يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب / ٢٥].

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

• التبعيد لله تعالى باسمه الكافي :

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه، فكن حسن الظن بالله، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه ، يكفيك كل ما أهمك : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ [النمل / ٧٩].

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تسطىء كفاية الله إذا تأخرت، فإن الله بالغ أمره قطعاً ، في الوقت الذي قدره له : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق / ٣].

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه كفاه الله مؤنة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤنة الناس : ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه ، فخرس دنياه وآخرته ، ولم يأخذ إلا ما قدره الله له : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿٩﴾ [المنافقون/ ٩].

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكله إليهم فأذلوه ، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنياه غيره : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ [الإسراء/ ١٨].

فتوكل على الكافي الحق وحده فيبده مقاليد الأمور كلها : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر / ٣٦].

واسأل الله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة.

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وبفضله عن سواه.

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح للخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة / ٢].

واشكر ربك على عطائه لك ، وكفايته لك ، وهدايتك لدينه .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا ، فَكَمْ مَمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي » أخرجه مسلم ^(١).

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(٢).

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

اللهم يا خالق الخلائق كلها ، ويا كافي المخلوقات كلها ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من يكفي عن كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، يا أحد من لا أحد له إلا أنت ، أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا رب العالمين .

المقطع ٠١, ٢٥ الكفيل

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل / ٩١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الله ﷻ هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم.

وهو سبحانه الكفيل الحق ، الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه حفظاً ورزقاً، وقوتاً ووقاية، وتعليماً وهداية ، وغير ذلك من ألطافه وإحسانه: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

وهو سبحانه الملك الحق ، الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين ، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له، الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس ، والجن ، والحيوان ، والطيور: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود/ ٦].

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وتربية جميع الخلائق ، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً، وإنما الرازق هو الله وحده ، الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان ، ومن مات منهم جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله، والله ﷻ لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه له، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وخطاها: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون/ ١١].

وهو سبحانه الصادق في قوله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالاته ، العظيم إحسانه ، الدائم بره : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الكفيل :

انظر رحمك الله إلى مجاري الكرم والرحمة والإحسان في الملك والملكوت، تجد الكفيل

الحق تكفل بجميع ما يصلح عباده من أنواع النعم، وتيسير الأمور، ترى ذلك خلقاً مشهوداً، وبساطاً ممدوداً: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

فجميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه، وينعمون بإحسانه وخيره، فكن كذلك مع نفسك، أعطها حقها، وخذ منها الحق الواجب عليها، من الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعم عليها بما لا يحصى من النعم.

واسأل الله أن يعينك على نفسك، ويقيك شرها: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف / ٥٣].

وأد ما لله عليك من حقوق، وما للناس عليك من حقوق، واستغفر الله من كل تقصير، فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

واعلم أن الله تكفل بأرزاق الخلق كلهم، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله، فأد الأمانة لتريح وتنجو من الخسارة: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر / ٣-١].

واعلم أن من صدق مع الله، ورضي به كفيلاً، ساقه إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانته على أداء الأمانة، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران / ١٤٧].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ

بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوؤُكَ لَكَ بِعَمَّتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوؤُكَ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

المقالة ❖ الوكيل

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الله ﷻ هو الوكيل الحق ، الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق ، ومعاشهم ، ومصالحهم في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء / ١٣٢] .

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء ، الذي جميع المخلوقات تحت كفالته ووكالته ، وتديره وتصريفه: ﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد / ٢] . وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه وحفظه ، وحفظ كتابه ، وحفظ المؤمنين من الفتن التي تزيل إيمانهم ودينهم ودولتهم .

فسبحان الملك الحق ، الذي كل الأمور موكولة إليه ، القادر على كل شيء ، الوفي بإتمامه ، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفائتهم ، وأمرهم جميعاً بيده ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

واعلم رحمك الله أن الوكيل له معنيان :

الأول: عام: فالله ﷻ هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم ، وتدير أمورهم ، ورعاية مصالحهم ، الوكيل على جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر / ٦٢] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

الثاني: خاص: فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن التجأ إليه ، الحافظ لمن اعتصم به: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٣] .

فتوكل على الله وحده ، واتخذة وكيلاً ، يكن لك نصيراً ، ولا تلتفت إلى ما سواه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ [الفرقان / ٥٨] .
فسبحان الوكيل الحق ، القائم على خلقه بالتدبير والتصريف ، والأرزاق والأقوات ، والوقاية من الشرور والآفات ، والنصر والحفظ لأوليائه .

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امتثال الأمر؛ لأنهم كلهم عبيد ، والأمر كله لله وحده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف ، في العالم العلوي والسفلي ، من آثار اسمه الوكيل ، وهي مبثوثة في العالم كله كغيرها من صفات الحق التي أوجدها في العالم ، ليرى الخلق عظمة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فيعبده بمقتضاها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

فانظر في الملك والملكوت ، ترى جميع الخليقة في قبضة الخالق الحق ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإرادته ، وخاضعة لأمره ، وجارية على حكم تسخيره ، مصرفة بتدبيره ، على سنن قبضه وبسطه ، إن أذن بشيء كان ، وإن لم يأذن به لم يكن: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

والعبد المتوكل حقاً ، لصحة توحيده ، وثبات يقينه ، لا يرى إلا الله رب كل شيء ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يرجو سواه ، حسبه الله وحده في جميع أموره: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة / ١٢٩] .

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف عرف ، ومن أبصر استبصر .

وقد يشهد اللسان ، والقلب غير مكذّب ، لكنه غير مشاهد ولا حاضر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق / ٣٧] .

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى ، وبها يتم مراد الله منهم ، ومرادهم من الله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَدَخَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة / ٢٢] .

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه ، وصدق التوكل عليه ، والعمل بشرعه ، حرّم الجبار على أعدائه من شياطين الإنس والجن ، والبهائم والظالمين ، وجميع المؤذيات ، أذاه تحريماً كونياً ، كما حرم على المؤمنين أذى المسلم وغيره بأمره الشرعي: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٣] .

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا باري الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق ، وصفاتهم ، ومعاشهم ، فتوكل عليه يعطيك ويكفيك: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود / ٥٦] .

وحقيقة التوكل الاعتماد على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣] .

فسبحان الوكيل الحق الذي كل العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ملكه وفي قبضته ، وكل ما فيهما مقهور بأمره ، مستجيب لمشيئته ، مسرع لإرادته .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الوكيل :

التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء، ودفع الضراء، من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده .

والتوكل من أعظم أنواع العبادة ؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة ، والنصرة الظاهرة ،

والثواب العظيم: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ﴿٧١﴾ [النمل / ٧٩].

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد، كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل / ٩].

والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي:

التوحيد... والزهد... والتسليم لله... وطاعة الله في السر والعلانية.. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه، وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ و﴿يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وعلامة المتوكل كتمان الحاجة، وإظهار الغنى للناس، وإخفاء المسكنة، وإن مسه الضر، ودوام ذكر الله بكل جميل، وحمده وشكره في كل وقت وحال.

والتوكل على الله درجات، وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل والأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ.

فالداخل في الأسباب بالسنة، الخارج عنها بالنية أفضل؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة، وحقيقة التوكل.

فنخذ بالأسباب المشروعة، وتوكل على الله وحده، تنال أجرهما معاً: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنفال / ٦١].

والتوكل الحق على الوكيل الحق أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله، وأن كل شيء بيده، وكل شيء تحت تدبيره، لم يشرك في حكمه أحداً: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف / ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأمانى، والتسليم والرضا بفعل الوكيل،

وعدم الاعتراض على شيء كان ، أو شيء لم يكن: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴾ [النساء / ٦٥].

وبالإيمان تكون الهداية ، وبالتوكل تكون الكفاية ، وبصدق التوحيد يكون التوكل ، ومن سلم الله أمره كله ، كفاه الله أمره كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود/١٢٣].

واعلم أن لكل شيء وقت وتقدير ، والعمل للدنيا والآخرة مشروع مطلوب ، فاعمل ، وتوكل ، ولا تستعجل ما تريد ، فالوکیل يرى ما لا ترى ، فتوكل على الوکیل الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿ إِنَّ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران/١٦٠].

وكل امرئ ميسر لما خلق له ، فاجتهد في طاعة مولاك ، معتمداً عليه وحده ، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه.

واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه نوعان :

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله وغيره، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق التي يبغضها، وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يحصيه إلا الله ، فمن توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومن توكل على الله في الأول دون الثاني ، كفاه أيضاً ، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه.

فاعمل بطاعة الله ، واستقم كما أمرت: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب / ٤٨].

واعلم أن الله يحب من توكل عليه ، ويؤيده بتوفيقه وعونه، فامض لما أمرك الله به، وقدم الأحسن

على الحسن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وكل إليه جميع أموره ، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى / ١٠] .

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به ، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال / ٢٩] .

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته ، وأفعاله وخزائنه ، ووعدته ووعدته ، تكون ثقتهم بضمانه، ورضاهم بكفالتة، فيسلمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم ، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأُنس، وروح الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب ، فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَاتَاءَ آيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن طاعة الله ورسوله فضل من الوكيل الحق عليك ، فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من الطاعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢] وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٤] [الجمعة / ٢-٤] .

فسبحان الوكيل الحق، وما أعظم إحسانه، يعطي الجزيل للمتوكل عليه، ويشني بالجميل على المفوض إليه، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرصاً.

بل يرزقه الوكيل ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله ؛ لأنه الغني الكريم ، الوكيل الحق الذي يعطيه من نعمه كثيراً، وبضاعف أجره كثيراً، وخزائنه كافية ، وجنته وافية بكل ما يحب: ﴿وَكَيْفَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا

خَلْدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى.

يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويفعل ما يشاء .. وهو الغفور الرحيم.

يطعم المخاليق .. ويكشف الغم .. ويزيل الهم .. ويفرج الكرب .. ويغني الفقير .. ويجبر الكسير .. ويحيي الميت .. ويميت الحي .. ويصلح الفاسد .. ويقبل التائب .. ويغفر الذنوب .. ويستتر العيوب .. ويعدّل المائل .. ويشفي السقيم .. ويقضي الحاجة .. ويسد الفاقة .. ويهدي الضال، ويؤمّن الخائف.

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فاستقم رحمك الله على دينه، واستسلم لأمره، وارض بقضائه، وفوض أمرك إليه، وسارع إلى طاعته، وسابق إلى مغفرته، واحتسب ما تكره عنده وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩] .

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بنشر الدين، وتعليم سنته وآدابه وأحكامه، فاعمل بها، وادع الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله، تنال من الأجر جزيله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل / ١٢٥] .

﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا نُوَلِّئْنَا وَإِلَيْكَ أَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة / ٤] .

﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

[يونس / ٨٥-٨٦].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه (١).

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم ، واستهداك فهديتهم ، واسترحمك فرحمته ، واستنصرك فنصرته ، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسؤولين ، يا أرحم الراحمين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

المقالة . الفتح .. الفتح

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبا / ٢٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف / ٨٩].

الله ﷻ هو الفتح الحق ، الذي يحكم بين عباده

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

بالحق ، ويقضي بينهم بالعدل .

وهو سبحانه الفتاح القادر على كل شيء ، الذي يحكم ويقضي فيهم بما يريد ، ويمنّ على من شاء منهم بما يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢] .

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح لعباده أبواب الخير ، والرزق ، والعلم ، والرحمة ، والعبادة ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم ، ويسر المتعسر عليهم ، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ، ليصروا الحق والهدى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ إِلَّا رَطْبٌ وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩] .

وهو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة ، ويفتح بينهم بالحق والعدل .

فسبحان الفتاح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة في العالم كله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

والله سبحانه هو الفتاح القادر على كل شيء ، القوي الذي لا يعجزه شيء .

هو الفتاح الذي فتق السموات السبع ، والأرضين السبع ، وفتق السحاب بالغيث ، وفتق الأرض بالنبات ، وفتق الحبة عن الشجرة .

وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان ، والعقول للعلم ، وفتح العين بالبصر ، وفتح الأذن بالسمع ، وفتح اللسان بالكلام : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ٧٨] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له ملك السموات والأرض ، ويده مفاتيح خزائن السموات والأرض ، ويده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق ، والنعم الظاهرة والباطنة ، يفتحها لمن أطاعه واتبع هداه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أكرمه ، وما أرحمه ، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والله وحده هو الفتح الذي يملك خزائن كل شيء، ويبيده مفاتيح كل شيء.

وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ نِوَعَانَ :

الأول: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الْقُدْرِي: بما يقدره على عباده من التدبير من خير وشر، وعطاء ومنع ، وبسط وقبض ، ونفع وضر : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر / ٢١].

فهو الفتح العليم ، الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والرزق ، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر / ٢].

الثاني: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الشَّرْعِي: بما شرعه على السنة رسله ، من الدين الحق الذي يستقيم به الناس على الصراط المستقيم : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٢﴾ [الفتح / ١-٢].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].

وتلك سنة ماضية لا تتبدل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران / ١٦٠].

أما فتحه يوم القيامة ، فحين يوفِّي كل عامل ما عمله ، ثم يثيب المؤمنين والمطيعين ، ويعاقب الكافرين

والعاصين: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ [سبأ / ٢٥-٢٦].

فسبحان الفتاح العليم ، الذي يفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أفعال القلوب، ويملؤها من المعارف الربانية ، والحقائق الإيمانية ، ما تذوق به طعم الإيمان، وتستقيم به على الصراط المستقيم : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وهو الفتاح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية ، وأنواراً ساطعة.

يميزون بها بين الملك والعييد ، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الحق والباطل، وبين الدنيا والآخرة: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

اللهم املاً قلوبنا بنور الإيمان ، ونور القرآن: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

فسبحان الله ما أرحمه بعباده، لو فتح المطر على الناس أبداً فمن الذي يحبسه عنهم لئلا يغرقوا كما حصل لقوم نوح؟ : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَفِي مَغْلُوبٍ فَانْتَصَرَ ﴾ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْمَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِ قُدِرَ ﴿١٢﴾ [القمر/ ١٠-١٢].

ولو حبس الله القطر والنبات لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَا فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق فمن ذا الذي يفتحه؟ ولو حبس الله الهواء الذي تنفس منه فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟ فسبحانه ما أعظم رأفته ورحمته: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب فضلك، وأبواب نصرتك ، وأبواب هدايتك: ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف/ ٨٩].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق خلقه ، وفطرهم على ما أراد ، وفطر السموات

والأرض ، وما فيهن ، وما عليهن ، وما فوقهن ، على التوحيد.

فكل أحد قانت لربه ، مستسلم له ، مسبح بحمده ، شاهد بوحدانيته : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس/ ٣-٤].

واعلم أن الخالق ﷻ سمي دين الإسلام فطرة ؛ لأنه أول شيء لقيته الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها ، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها ، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء/ ٨٥].

واعلم بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه ، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأن تُصَرِّفَهَا عَنْ مِطَانِ هَلَكَتِهَا إِلَى سَبِيلِ فِطْرَتِهَا، وَلَا تَفَارِقْ مَا عَلَيْهِ بَرَاهَا مِنَ التَّوْحِيدِ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجسام هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [المائدة/ ٧].

فلا إله إلا الله كم ظلمنا ! وكم غفلنا ! وكم خسرنا !
ربنا سمعنا وأطعنا ، فاغفر لنا وارحمنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

لك الحمد كله ، ومنك الخير كله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

واعلم أن الله هو الرب القادر على كل شيء ، هو فاطر السموات والأرض .

وهو فالق الإصباح : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١٦)
[الأنعام / ٩٦] .

وهو سبحانه فالق الحب والنوى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ
الْحَىِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفِّكُونَ ﴾ (٩٥) [الأنعام / ٩٥] .

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أَرَانَا فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْمَحْبُوبِ
وَالْمَكْرُوهِ ، مَا يُدَكِّرُنَا بِالْدارِ الْآخِرَةِ ، فَأَرَانَا الْفِتْحَ الْعَلِيمِ فِي هَذِهِ الدَّارِ النَّارِ الْحَاضِرَةِ ، وَجَعَلَهَا
آيَةً عَلَى النَّارِ الْغَائِبَةِ ، وَعَلَى قَدَرِ تَمَكُّنِ نَارِ الدُّنْيَا مِنَ الْحَطْبِ ، يَكُونُ سَعِيرَهَا وَشِدَّةَ لَهَبِهَا حَتَّى
يَعْظُمُ شَأْنَهَا .

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا يدانيها مطاول : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ
(٧١) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتَّعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴾ (٧٣) [الواقعة / ٧١-
٧٣] .

وأَرَانَا سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ آيَةً عَلَى الْجَنَّةِ بِفَلْقِهِ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، بِإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ،
وَإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، وَجَعَلَ جَنَاتٍ مَا هَاهُنَا آيَةً عَلَى جَنَاتٍ مَا هُنَالِكَ فِي الْآخِرَةِ : ﴿ إِنَّ
اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفِّكُونَ ﴾ (٩٥) [الأنعام /
٩٥] .

وأَرَانَا سَبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ الْحَيَّوَانِ فِي الْأَرْحَامِ آيَاتٍ وَعَبْرٍ ، مِنْ كَوْنِ ذَلِكَ مَخْزُونًا فِي غِيْبِهِ ،
وَمَكْنُونًا فِي سُنَّتِهِ ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ مَاشِيًا ، وَطَائِرًا ، وَزَاحِفًا ، وَسَابِحًا .

ألا ترى أن الحياة غيب في الماء .. والماء غيب في خزائن الله .. والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١].

وكذلك ما في الدنيا إشارة مؤقتة لما في الآخرة من النعيم والعذاب.

والآخرة غيب في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء / ٩٠-٩١].

فيأذن الملك الجبار ﷻ للجنة، فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش، إلى السموات، فتكون السموات كلها جناناً وأنهاراً: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات / ٢٢].

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري (١).

وتسعى نار جهنم في الأرضين السبع والبحار، فيصير كل شيء أتت عليه ناراً، ويؤتى بجهنم إلى المحشر، تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها، وتبرز للناس كلهم فيرونها كلهم: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر / ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» أخرجه مسلم (٢).

فسبحان الله الفتاح العليم، والحمد لله فاطر السموات والأرض، وفالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الفتاح :

اعلم رحمك الله أن مفاتيح خزائن السموات والأرض بيد الفتاح العليم وحده لا شريك له.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

فاسأل ربك الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته ، وخزائن رزقه ، وأبواب كرمه ، وموائد بره ، وواسع فضله ، وجزيل نعمه ، بحسن عبادته ، ودوام طاعته: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وإذا علمت أن الله وحده هو الفتح الذي يفتح بركات السموات والأرض، وييده ملكوت كل شيء ،

فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية ، وأبواب العلم ، وأبواب التقوى ، فإنه كريم : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة / ٢٦٩].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام ، ويملاً قلبك بنور الإيمان ، لتعرف ربك ، وتعبده بما يحبه ويرضاه : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر/ ٢٢].

واعلم أن هذا الفتح ، وهذا الشرح ، كله فضل من الله ، وليس له حد .

وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ ، حسب معرفته بالله وأسمائه وصفاته ، وخزائنه ودينه ، ووعده ووعيدة.

فالأنبياء بالذروة منه ، ثم الأولياء الصادقون ، ثم العلماء الربانيون ، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم أن رسل الله وأوليائه يتوجهون إلى ربهم ، ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف / ٨٩].

فتوجه إلى ربك في كل صغيرة وكبيرة ، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي وقل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِ﴾ [الشعراء / ٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِّنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد ، وفتح صحائف الأعمال ، فيتين من يستحق الثواب ، ومن يستحق العقاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مَنظُورُونَ ﴿٣٠﴾ [السجدة / ٢٨ - ٣٠] .

والله ﷻ هو الرب المستحق للعبادة ، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين، واستقباح غيره: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلٌّ لِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَهُ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾ (١٤) [الأنعام / ١٤] .

وقد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة ، وأشهدته على نفسك ، فأد الأمانة ، وأوف بالعهد ، تُكْرَم عند ربك: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُونَ ﴾ (٤٠) [البقرة / ٤٠] .

وصدق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول ، وما أعطيته من عهد وميثاق ، بالاستقامة على الحق ، والدعوة إليه ، وتعليمه ، والصبر على الأذى فيه ، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٣٤) [الإسراء / ٣٤] .

وسبح بحمد ربك العظيم ، وكبر ربك الكبير ، الذي خلق المخلوقات كلها ، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه ﷻ ، فأقرها في خزائن الغيب ، ثم يذرو براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء والسحب ، والبحار ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والسماء ، والأرض ، والأرحام .

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والسفلي: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧) [المنافقون / ٧] .

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام ، لم يزل ينقل البرايا من خزائن السموات والأرض ، إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلْنَا أَوَالِيَّتَ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴾ (٩٨) [الأنعام / ٩٨] .

واعلم أن الله ﷻ برأك فيمن برأ ، ثم عيّبك في غيبه ، وخزّنك في خزائنه ، وقَلَّبك في غيابات ملكه ، ثم أخرجك بقدرته حتى بلّغك سن التكليف ، ثم أكرمك بالدين القيم ، ليختبرك فيرى صدقك من كذبك ، وطاعتك من معصيتك ، ثم يجزيك يوم القيامة بما

قدمت يداك : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴿ [الإنسان / ١-٣].

فانظر رحمك الله ما أنت فيه ، وقدم ما عليه غداً تقدم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِّبُرُؤٍ أَعْمَلَهُمْ ﴾ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿ [الزلزلة / ٦-٨].

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) ﴿ [مريم / ٥٩].

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يرقبك ، وأطعه تسعد في دنياك وأخراك: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ [الأحزاب / ٧١].

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ [الحديد / ١٦].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله ولزوم تقواه: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدِ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ [الحديد / ١٧].

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ [الأعراف / ٨٩].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي لِسَانِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا ، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا ، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا

« أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وجوامعه ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وافتح لنا أبواب فضلك ،
وأعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، وأعنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن
معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❏ الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .

الله ﷻ هو الغني الحق ، الذي له خزائن السموات والأرض ، الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من
خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا ، والأرزاق ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ،
والأموال ، والأولاد ، والصور ، والألوان: ﴿ وَآتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا
تُحْصَوْنَهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فهو الملك الذي وهب كل مُلك .. وهو الرزاق الذي وهب كل رزق .. وهو الكريم الذي
وهب كل كرم .. وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة .. وهو الهادي الذي وهب كل هداية ..
وهو القوي الذي وهب كل قوة .. وهو العليم الذي وهب كل علم .. وهو الجميل الذي
وهب كل جمال: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

هو الوهاب الحق ، الذي يهب ما يشاء ، لمن يشاء ، كيف شاء: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ بُرُوجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى / ٤٩-٥٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

والله سبحانه هو الوهاب الحق، الكثير الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَأَصْبَابًا أَفْغَيْرَ اللَّهُ نُنْفُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْكُمْ بَرِبَهُمْ بُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل / ٥٢-٥٤].

فسبحان الملك العزيز الوهاب ، الذي بيده خزائن السموات والأرض، ويده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وهو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم، ولكمال كرمه ورحمته هبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها .

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم ، وأجزل لهم الأجر فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلَائِفَ فِيهَا حَسَنَاتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان / ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة متنوعة ، متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون.

فسبحان الغني العزيز الوهاب ، ما أعظم شأنه، وما أوسع خزائنه ، وما أجزل عطاياه، وما أكثر هباته.

هو الوهاب الذي لا تنقضي خزائنه ، مع جزيل عطاياه ومواهبه ، على مدى القرون والدهور: ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ »
أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ هو الملك الكريم الوهاب ، مالك الملك والملكوت ، الذي بسط فضله وإحسانه الديني والديني على جميع العباد ، يده بالعتاء ملأى ، سَحَاءَ الليل والنهار ، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدارار: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة / ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير ، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه ، حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩].

في كل آن : يفرج كرباً .. ويزيل غماً .. ويفك أسيراً .. ويغني فقيراً .. ويرحم مسكيناً .. ويجبر كسيراً .. ويغيث ملهوفاً .. ويجيب كل مضطر .. ويعطي كل سائل .. ويغفر لكل مستغفر .. ويستجيب لكل داع .. ويتوب على كل تائب .. وينعم على من سأله ومن لم يسأله .. ويعطي من أطاعه ومن عصاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة ، والملك ، والخلافة ، لمن شاء من خلقه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل / ٦٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ » متفق عليه (١).
واعلم أن الوهاب وهب لبعض خلقه عطاء فأعطى منه ، فصار واهباً مما وهبه الله له من الخير.

ولا يستحق أن يسمى واهباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت عطاياه وهباته

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٣).

ونوائله ودامت وهو الحق ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن ، وينفق كما شاء ، بأي قدر شاء ، ولا
تنقص خزائنه ولا تنفى : ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر
/ ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ،
أو ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ، ولا أمناً لخائف ، ولكن الله يملك ذلك كله : ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ
الْعَزِيْزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب.

وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء بحكمته: ﴿
إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠].

وهبات الرب لخلقها ثلاث حالات :

إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام على حسن الطاعة لله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص/ ٣٠].

والعقوبة على الكفر والمعاصي: ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾
[الأنعام / ٤٤-٤٥].

والابتلاء ليتين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس ، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق :
﴿وَنَبَلِّغُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء / ٣٥].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى ، الوهاب الذي
خيره وفضله يرتع فيه كل الخلق ، الإنسان والحيوان ، البر والفاجر ، والمطيع والعاصي ، لا نحصي
ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه.

• التعبّد لله ﷻ باسمه الوهاب :

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق ، هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في الدنيا والآخرة، وذلك من فضله وإحسانه إلى عباده.

فاعرف مولاك الكريم ، ثم اذكره ، ثم اشكره واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

ثم اعلم أن الوهاب ﷻ أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه ، وما نعلمه وما لا نعلمه .

ويوم القيامة يُظهر الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول ، وما لم تره العيون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « متفق عليه ^(١) .

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيك بها

خيراً : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والرزق ، جعله عوناً لك على طاعته ، فلا تستخدمه في غير ما يرضه ، ولا تستعين به على معاصيه .

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم ، خير لك من جميع ما في الدنيا : ﴿ هَلْ أُولِيْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٣٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

فلا تبع غائباً بشاهد، ولا آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿ وَمَا هَذِهِ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت / ٦٤]
.

فهب رحمتك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك ، والقنوت له ، والسجود له .

وهب ما أعطاك من الخلق الحسن في القول الحسن ودوام الذكر والشكر له، وتأليف قلوب
الناس على دينه ، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس
والأشراف ، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام دينهم تكن ربانياً: ﴿ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّينَينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته ، كما سأله سليمان ﷺ :
﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٣٥] فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي
بِأَمْرِهِ رُجَاءً حَيْثُ أَصَابَ [٣٦] وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ [٣٧] وَأَخْرَيْنَ مُقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ [٣٨] هَذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣٩] وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَثَابٍ [٤٠] [ص/ ٣٥-٤٠].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم ، فاحمد الوهاب على إحسانه كما
حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي
لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٣٩] رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ [٤٠] [إبراهيم / ٣٩-
٤٠].

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية ، وحسن الخلق ، وما أسداه إليك من النعم يزيدك خيراً
، ويُعظم لك أجراً : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان/ ١٢].

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا ينتقطع ولا يبئد، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده ، على أسمائه
الحسنى ، ونعمه التي لا تحصى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
[٤] [الفاتحة / ٢-٤].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان / ٧٤].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمُجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »
أخرجه مسلم^(١).

اللهم إني أسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .
اللهم لك الحمد كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك ، إنك أنت الكريم الوهاب .

المقالة ❖ الهادي

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [٣١]

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الله ﷻ هو الهادي الحق ، الذي هدى جميع خلقه إليه ، بما أظهره من أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى خلقه إلى معرفته ، وهداهم إلى جميع المنافع ، وأرشدهم إلى دفع المضار ، وعلمهم ما لا يعلمون ، الهادي إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان/ ٣١].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السموات والأرض ، وهداها إلى جلب مصالحها ، ودفع مضارها ، وعبادة ربها.

وكلها تشهد بتوحيده ، وتسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الخلاق العليم: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه/ ٥٠].

وهو سبحانه الهادي لكل مهتد من مخلوقاته.

هدى كل شيء إلى التسيح بحمده .. وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته .. وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه .. وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه .. وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها.

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقاً .. وفوق الأرض أغصاناً وأوراقاً ، وأزهاراً وثماراً. وهدى الملائكة للتسيح .. وهدى السحب للمطر .. وهدى الأرض للإنبات.

وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة .. وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو إلى ما يصلحه وينفعه: ﴿إِنَّا عَلَّمْنَا الْهَدَىٰ (١٢) وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (١٣)﴾ [الليل/ ١٢-١٣].

وهدى الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [٣].

[الإنسان/ ٣].

فسبحان الهادي الحق: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾ [الأعلى/ ٢-٣].

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان ، بما أرسل من الرسل ، وما أنزل من الكتب ، وما نصب من الآيات والدلائل في السموات والأرض : ﴿ ذَلِكُمْ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر/٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق ، الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله.

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه ، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو على كل شيء قدير ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَأَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/٩٣].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدأته اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وآياته ومخلوقاته ، فاهتدوا بهدأته لهم : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج/٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [١] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء/٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١] [الصف/٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركاً وهدى للعالمين إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [١٦] [آل عمران/٩٦].

واعلم أن الهادي ﷺ هو الله وحده لا شريك له الذي يملك جميع خزائن الهداية ، وهو الهادي لكل مهتد وهاد، ومن يضل فلا هادي له سواه : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته ، وأسماءه وصفاته ، في تدبير ملكه ومماليكه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٤٩] [الأنعام/١٤٩].

فالحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أحسن كتبه ، وهدانا للإسلام : ﴿ ذَلِكْ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَولو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

واعلم أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية يسألون ربهم الهداية في كل وقت.

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة.

ولهذا أمرنا الهادي ﷺ أن نسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة، ليهدينا إليه ، وإلى الطريق الموصل إليه ، بأن نقول : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أرحمه بعباده ، وما أعظم نعمه على خلقه ، وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به.

فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴾ [١٥٥] ﴿ [الأعراف/ ١٥٥].

واعلم أن هداية الله لعباده أنواع:

الأولى: الهداية العامة: وهي هداية جميع المخلوقات في السموات والأرض إلى مصالحتها، لتكون مهية لما خلقت من أجله كما قال سبحانه : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ ﴿ [الأعلى/ ١-٣].

الثانية: هداية التوفيق والإلهام ، وشرح الصدر لقبول الحق: وهي بيد الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٥١] ﴿

وهذه الهداية هي التي أمرنا الله أن نطلبها منه في كل صلاة.

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان: فالله هدى خلقه إليه، ودلهم عليه، وبيّن لهم سبل الهداية، وموجبات التوحيد والإيمان، بما أظهر في الكون من المخلوقات والآيات، وبما أنزل من الكتب والبينات.

وأكرم الرسل والأنبياء وأتباعهم بها، وأثنى عليهم لما قاموا بها كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ [الشورى/٥٢-٥٣].

وهي حجة الله على خلقه، التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه كما قال سبحانه: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَأَنْمَاهْتَدَىٰ وَلَنْ يُضِلَّهُ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۗ وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نَزِرُ وَاِزْرَةً ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۗ﴾ [الإسراء/١٥].

فمن هداه الله للإيمان بفضله وله الحمد كما قال أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ ۗ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف/٤٣].

ومن أضله الله فبعد له، فقد أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، ومكّنه من أسباب الهداية بما أكرمه به من السمع والبصر والعقل، ولكنه لا يصلح للهداية، فلم يقبل الهدى، فكذب وتولى، وزاغ وانصرف، واختار الضلال، فله العذاب في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧﴾ [فصلت/١٧].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت.

وهو سبحانه الهادي البصير بعباده، العليم بما في نفوسهم، الذي يهدي إلى الحق ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به، ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

أُظْلِمَتِ إِلَى التُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق ، ولا يرضى به ، ولا يصلح لمجاورته في الجنة ، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [فاطر/ ٨].

وهو سبحانه الهادي الحق ، الرحيم بعباده ، الذي يبين لهم سبل الهداية ليسلكوها ، ويبين لهم سبل الضلالة ليركبوها : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي يبين للإنسان طريق الخير والشر ، وذكره بنفسه ونعمه عليه ؛ ليوحده ويطيعه ، ويعبده ويشكره : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية ، وأما متنهاها فلا نهاية له ، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ٦-٧]. فسبحان الهادي الحق ، الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه ، والذي بهدايته اهتدى الحيوان لما ينفعه ، واتقى ما يضره .

وسبحان الكريم الرحيم الذي ﴿ بَجْتَنِي إِلَيْهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى/ ١٣]. واعلم أن الهادي ﷻ يهدي عباده إليه ، وإلى الطريق الموصل إليه ، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه .

فالله ﷻ هو الحق المبين ، الظاهر الباطن ، لا خفاء به ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام ، وقد أفرغه في قالب العالم ، وصوّره في صور الخليقة ، وفطر عليه كل شيء .

فكل مخلوق مستسلم لربه ، خاضع لعظمته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده .

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة ، وأبدى في سورة وآياته ما خبأه في العالم ، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات ، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات ، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ: ﴿وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت/٤١-٤٢].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة/٢].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب ، انشرح له الصدر ، وانشرح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله ، وانسأطها بأحكامها على أصدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٢﴾ [الزمر/٢٢].

فإذا أراد الله أن يبلغ بعبده إلى معالي الإيمان واليقين أنزل السكينة في قلبه ، فزاد إيمانه ، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه ، وسكنت مساوي طباعه ، وأذعنت سفال أخلاقه ، وانقادت الجوارح للقلوب ، وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/٤].

ومن يرد أن يضلّه يطفى نور قلبه ، فيضيق متسع أخلاقه ، ويسفل بمعالها ، ويمتلى بضدها ، فيثقل عليه كل عمل صالح ، ويحرج لذلك صدره لشدة ظلمته ، وضيق باطنه ، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والظلمة: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ [الأنعام/١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى مقصوده ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته ، ومعرفة دين القيمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه ، وصبر على بلائه ، فهو من المهتدين حقاً: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة/١٥٥-١٥٦-١٥٧].

والله عز وجل هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في دنياهم وأخراهم. وأرشدهم إليه بآياته الكونية ، وآياته الشرعية ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فلا مثل له يرشدهم إليه في الدنيا والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/٣٦-٣٧].

هو الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه ، وبصّرهم بسبل الفلاح والنجاة ، الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه ، وما يرشدون به فقال : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/١٥٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي ، الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده ، وفطّرهم على الإيمان به ، وأشهدهم على ربوبيته ، واستعملهم في عبوديته ، من جماد ونبات وحيوان ، ومن ملك وإنس وجان: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ [مريم/٩٣-٩٥].

كل عالم من المخلوقات يسقيه بكأسه .. وكل عالم يسبح بحمده .. وكل عالم يشهد بتوحيده .. وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨].

فاطلب العلم رحمك الله لتسلم من الجهل ، وارغب إلى مولاك أن يوفقك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه.

واعلم أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة ، ونور البصيرة ، ومركب النجاة ، وأصل الهداية : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/١٩].

فبالعلم يُشرف العبد على مطالع الدنيا والآخرة ، فيرى ما لا يُدرك بالحواس ، ويبصر ما لا

يُدْرِكُ بِالْأَبْصَارِ ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْجُزُ عَنْهُ الْفِكْرُ ، وَلَا يَتَوْهَمُهُ الذَّهْنُ ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ قَائِمًا وَسَاجِدًا ، مَعَ الْإِنْكَسَارِ لَهُ ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبَتْ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى ، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن ، وانشرح قلبه بنور الإيمان الواصل إليه ، وامتلاً صدره من ذلك الضياء .

فشاهد الملك الحق يدبر ، والخالق يخلق ، والمصور يصور ، والرازق يرزق ، والكريم يعطي ، والرحيم يرحم ، والحاكم يحكم ، والعزيز يعز ، والجبار ينتقم ، والقوي يقهر ، والسلام يسلم : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فاعل رحمة الله بهمتك لمعرفة الملك والملكوت ، ومعرفة مالك الملك ؛ لترى العظمة والعظيم ، والقدرة والقدير ، والعزة والعزيز ، والرزق والرازق ، والحكمة والحكيم : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِيَهُمْ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفا له قلبه من كدر الأخلاق ، وامتلاً قلبه بشعب الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

ومن رضي بأول العلم ، وظاهر من الأمر ، حُجِبَ عَنِ الْإِصَابَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، وَبَقِيَ عَلَى كَدْرِهِ بَغِيرَ تَهْذِيبٍ ، فَخَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا بِآخِرٍ سَيِّئًا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٢].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حُجْبِ الْكِبَرِ وَالْغُرُورِ ، وَلَا تَبْصُرُ عَيُونَ الْغَيْبِ مَا دَامَتْ مَحْجُوبَةً بِالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، فَتَحْرُرُ مِنَ الْهَوَى ، وَتَبْرَأُ مِنْ حَوْلِكَ وَقَوْتِكَ ، وَابْسُ

لربك لباس الخشوع ، وأكثر إهمال الدموع ، لعله يعطيك ويهديك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها ، وسُجنت الأذهان في أهوائها ، عاقها عدم الصفو ، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها ، فقعدت على موائد شهواتها ، وأصمَّتْها المشاهدات ، وشغلها هوى المحبوب عن الرب المعبود ، فخرست مولاها ودينها وأخراها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَأْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد كما قال الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن/ ١-٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون ، وهم درجات ، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ، ثم الصديقون ، والشهداء ، والعلماء ، والصالحون .

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون ؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ ﴾ [الْحَجَرَات/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد ، والولاية والمقام ، والثواب وإجابة الدعاء ، بقدر إيمانه وطاعته وعبادته: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الهادي .

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة ، وآتاه علماً خرج به من الجهل ، وجب عليه ما لم يجب على غيره من حسن العبادة ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والنصح لعباده كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ يَتَّبِعْتَنِي فَإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ

صِرَاطَ سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ [مريم / ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية ، فكن هادياً إليه بلسانك وحالك وأخلاقك.

وكن عبداً سامعاً مطيعاً لمولايك ، ولا تتعد إلا متفكراً ، ولا تنظر إلا معتبراً ، ولا تنطق إلا ذاكراً ، أو حامداً ، أو مستغفراً ، أو معلماً ، أو داعياً ؛ لتكون ربانياً من أولي الأبواب ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿١١١﴾ [آل عمران / ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولايك ، ففي الظلم الداجية ، توجد الأنوار الغائبة ، لعلك تفوز مع الفائزين الذين ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٦-١٧].

وتطهر للوقوف بين يدي مولايك ، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفَهُ ، أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل / ١-٥].

وتجرد حين ووقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعلمه ، وكل عمل كنت تحسنه ، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤].

واعلم أن أبواب الهداية مفتوحة ، وسبلها ميسرة ، فتتبع آثار الخالق في مخلوقاته ، واستشهد شواهد في مصنوعاته ، وانظر إلى حسن تصويره لمصوراته ، وتفكر في عظمة كبريائه وقدرته ، وحسن تدبيره لملكوته ، ليتملى قلبك بتوحيده: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

وبذلك تزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

تُعْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس/١٠١].

وتعلم أسماء الله الحسنى ، فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة ، وبها تفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه ، ويُظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره ، وعجيب صنعه فيما خلق .

فما خلق ما خلق في السموات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى في مخلوقاته ، فلا تكن من الغافلين ، فربك ليس بغافل عنك: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/١٩].

واطلب جميع حوائجك من ربك الصمد ، وارفع إليه كل شكوى ، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/١٨٠].

وكما هداك ربك إليه ، فاجتهد في القيام بين يديه ، وهداية الناس إليه ، وعرفهم بأسمائه وصفاته ؛ ليحبوه ويكبروه ، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/١٢٥].

واعلم أن ربك الهادي أرشدك إليه ، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه ، فاعمل بما أرشدك إليه ، واحذر مخالفته فإنك راجع إليه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/١٣-١٤].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه من كافر تدعوه ، أو جاهل تعلمه ، أو مسترشد ترشده ، تكن من الراشدين : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله ، فتشقى في دنياك وأخراك : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [١١٥].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»
أخرجه أبو داود والترمذي (١).

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
اللهم اهدنا واهدبنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، يا رب العالمين .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥) وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

المقالة الصادق

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأَنْعَام/ ١٤٦].

الله ﷻ هو الصادق الحق في كل ما يخبر به ، فهو الصادق في قوله الحق .. وهو الصادق في دينه الحق .. وهو الصادق في وعده ووعيده .. وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء / ١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم ، ومضاعفة الحسنات لهم ، وتكفير سيئاتهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف / ١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ويجازي السيئة بمثلها ، ويحطها عن المسيء بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء / ١١٠].

وهو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٠].

والصديق من الناس الكثير الصدق ، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق .

فمن صدق بآيات الله ، وأجال فكره في ملكوت السموات والأرض ، لا يكاد يمر بآية من آيات الله ، أو يرى عجائب مخلوقات الله ، إلا ازداد بها إيماناً و يقيناً وتصديقاً ، بأن ربه هو الإله الحق ، ودينه الحق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ووعدته حق : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ١٦] ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَئِن قُضِيَ مِنَ الْغَيْبِ بَعْضٌ لَّيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَبْرًا لَّا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّهُمْ شَيْئًا ﴾ [الرعد / ١٩-٢٠].

واعلم أن الصَّدِيقَ أفضلَ الخلقِ بعد الأنبياءِ والرسلِ ، وثوابُ الصدقِ الرضوانِ والجنةُ يومَ القيامةِ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة/ ١١٩].

والصَّدِيقُ الذي صدَّقَ اللهُ في آياته وشواهدِهِ، وصدَّقَ باللهِ وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدِهِ ووعيدِهِ، وصدَّقَ برسله وملائكته وكتبه وأحكامه: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر/ ٣٣].

اللهم اكتبنا مع الصادقين، وارزقنا الصدق في القول والعمل.

والله ﷻ هو الصادق الحق الذي الصدق كله في معاهد كلماته الصادقة :

في دينه وشرعه.. وفي عهده وميثاقه.. وفي خلقه وأمره.. وفي بسطه وقبضه.. وفي عطائه ومنعه.. وفي نصره وخذلانه.. وفي وعده ووعيدِهِ.

خلق اللهُ ﷻ كلَّ شيءٍ ، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته ، وكمال أسمائه وصفاته نواطق على صدقه ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ ، وصدقت كلمته في ذريته في طباعهم ، وأخلاقهم ، وأجسامهم ، وصفاتهم وأعمالهم.

فآمن آدم وآمنت ذريته .. وأطاع فأطاعت ذريته .. وصدَّقَ فصَدَّقت ذريته .. وجحدت فجحدت ذريته .. ونسي فنسيت ذريته: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ٦ ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴾ ٧ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٨ [التين/ ٤-٨].

وخلق اللهُ ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض فيها السهل والحزن ، والأبيض والأسود ، واللين

والشديد ، والطيب والخبِيث ، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ ذَلِكْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٦-٧].
فانظر إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ [الذاريات/٢٠-٢١].

والأرض عالم كبير ، وخلق عظيم ، لها نسل وذرية من النباتات لا يحصيهم إلا الله العليم بكل شيء .

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته يأذن ربه طيباً كالزروع والزيتون ، والنخل والرمان ، والعنب والموز ، وغير ذلك من الثمار الطيبة ، كان من ذرية آدم الأنبياء والرسل ، والمسلم والمؤمن ، والمحسن والكريم ، والرحيم والشاكر ، والطيب والحليم .

ولما كان من الأرض ما لا يُنبِت كالسباح والبقاع الجذبة ، ورؤوس الجبال الحجرية ، كان من ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى ، كما لا ينتفع الحجر بالماء ، والمجرم والخبِيث ، والظالم والفاسق ، والغليظ والكريه .

ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن ، وريحه طيب ، وقد يُطلع القبيح المنظر منها زهراً ، وينضج ثمرأً ، كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/٥-٧].

وفي السماء آيات .. وفي الأرض آيات .. وفي الأنفس آيات .. وفي الآفاق آيات .

فانظر في ملك الله الواسع العظيم ؛ لتزداد إيماناً و يقيناً ومعرفة بربك العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٦-٨].

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته ، والأرض ونباتها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١٥) [الأنعام/١١٥].

فلا إله إلا الله كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحداية الله، وعظمة أسمائه وصفاته، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر مع أنها آيين وأظهر من نور الشمس: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج/٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليقته، وتدابير أمره في السموات والأرض مما لا تحيط به العقول، وتقتصر دونه الأعمار والقرون: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان الصادق الحق الذي لا يكذب صادقاً، ولا يصدق كاذباً، الذي من صدق الله في طلبه، صدقه في وعده.

● التبع لله ﷻ باسمه الصادق.

اعلم رحمك الله، وجعلك من الصادقين، أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العليا التي لا تنفك عنه أبداً.

فهو الصادق حقاً في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه، صادقات من كل جهة.

ورسله صادقون.. وملائكته صادقون.. وكتابه صادق كما أنزله.. ورسوله صادق بما بيّنه: ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ [التغابن/٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله، في إيمانك وأعمالك، تكتب من الصادقين: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ [الإسراء/٨٠].

واعلم أن الصدق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك.

واعلم أن باب الصدق التقوى، فادخل منه تجد الصدق، وتكن من الصادقين: ﴿ يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة/١١٩].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها ، فافتح به ما تشاء من أبواب الخير ، يرضى الله عنك ، ويكتبك مع الصديقين : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٣] الزمر/٣٣.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يَكُونَ صَادِقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » متفق عليه ^(١).

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح ، أو باطنة في القلب.

فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أدائه.

وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وصدق النية في التقوى ، والحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، مع الخوف والرجاء ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ [الكهف/١١٠].

وإياك والكذب ، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/٣٢].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة ، فالبسبه في جميع أحوالك ، وجاهد نفسك عليه ، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقي ربه ؛ ليعلو إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والطاعة لله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/٦٩-٧٠].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

واعلم أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل ، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة.

فالصديق يصحب النبي في نبوته .. والرسول في رسالته .. والصديق في صديقته .. والتقي في تقواه .. والرحيم في رحمته .. والمؤمن في إيمانه .. والكريم في إكرامه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدِّقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره وإخلاصه ، وإيمانه و يقينه ، وحيائه وطمأنينته ، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه ، لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له .

وإذا دخلت العزيمة في القلب ، ارتحل منه حب الدنيا، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة ، وبذل كل شيء من أجل رضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق ، فهداهم إليه ، وإلى ما يحب ، وجعلهم من الصادقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق صار صديقاً ، فرأى بصره وبصيرته نور الهداية ، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق يخلق ويرزق ، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده ، وذاق طعم الأذكار ، وحلاوة الإيمان ، وصدق اليقين ، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿ثُمَّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

واعلم أن أول الصديقية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وتصديق رسل الله وكتبه ، والعمل بما جاء عن الله ورسوله ، وترك ما سوى ذلك : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد/١٩].

ونقيض الصديقية الزندقة ، وهي كالشرك مع الإخلاص ، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر/٣٢].

وأول الزندقة الكفر بالله ، وجحد ما لله من الأسماء والصفات ، والطعن في النبوة ، ورد ما جاءت به الرسل ، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر ، وعقوبته أشد أنواع العذاب : ﴿إِنَّ الْمُتَفِيفِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [١٤٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/١٤٦-١٤٥].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ ، ومعرفة دينه ، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ ، فهو زنديق عدو لله ، قد مكر الشيطان به ، وأضله عن سواء السبيل بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله ، وعلمه حجة عليه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/١١٥].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنبد الشواغل ، وبذل المجهود في طلب المقصود ، على سبيل الحق المشروع ، ومن أسرع سبق ونجا ، ومن تأخر خسر وأسره عدوه ، ومن أخلص لله ما يحبه ، خلصه مما يضره .

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين ، تكن من المفلحين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج/٧٧-٧٨].

واعلم أن خشوع الجوارح من خشوع القلب، وسيُرى على الوجوه ما تضمره القلوب، وفضول اللسان من فضول القلب، وميزان ذلك الصدق.

ومع العزم يكون العون، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان.

والصدق أعلى الدرجات، والكذب أسفل الدرجات، وكلاهما مسئول عن حقيقته، وجزاء العبد بحسبه: ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب/٨].

فعليك بالصدق في المواطن كلها، واصبر على ما أصابك، تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر/٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأكملها صدقاً وبذلاً وتضحية: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب/٢٣].

فاسأل الله أن يرزقك الصدق؛ لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك تفوز بمرضاة ربك مع الصادقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف/١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء/٨٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ،

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبِوَاءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبِوَاءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم إنا نسألك نفوساً مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وتقنع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتصبر
على بلائك.

اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، ويقيناً صادقاً تملأ به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا
يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، يا أرحم
الراحمين.

المقالة ❖. الوارث

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ مُخِيءٌ وَنُنْمِئُ وَنَمُنُّ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر/٢٣].

الله ﷻ هو الوارث الحق ، الباقي بعد فناء الخلق ، الوارث الذي يستردهم ويسترد أملاكهم وأموالهم
بعد موتهم .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وهو سبحانه خالق الخلق، ومالك الملك، الذي يتصرف في البقاع والأموال كيف شاء، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف/١٢٨].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت، وارث الخلق أجمعين، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ﴾ [مريم/٤٠].

فسبحان الوارث الباقي بعد فناء الخلائق، الحي الذي لا يموت، الذي له ميراث السموات والأرض، الوارث لكل مالك وما ملك: ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران/١٨٠].

واعلم أن الملك الحق ﷻ صادق الوعد، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/٥٥].

ووعد عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعِيبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [الأنعام/٦١] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم/٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الوارث الباقي بعد فناء الخلق، وكل ما سواه فان زائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن/٢٦-٢٧].

إليه ﷻ المرجع والمنتهى، وإليه المآل والمصير، وإليه يُرجع الأمر كله، الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعبيد، والخلق أجمعين: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر/٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله ، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين ، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه وأعداء رسله وعباده المؤمنين ، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنًا وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف/١٣٧].

فسبحان من يؤتي الملك هذا ، وينزعه من هذا ، بأمر واحد ، ووقت واحد: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/٢٦].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً ، يورث المؤمنين ديار الكافرين ؛ لأنه القادر على كل شيء ، الوارث لكل شيء.

هو القوي العزيز الذي يُمكن لأوليائه في الأرض ، ويكفيهم شر أعدائهم ، ويدافع عنهم ، ويورثهم مُلكهم ، بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب/٢٦-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم ، ودينه وكتابه كريم ، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح ، يورثه من اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر/٣٢-٣٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الوارث:

اعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي بيده مقاليد الأمور ، وله خزائن السموات والأرض ، يورث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه.

فاسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والعمل بطاعته ، والكف عن معصيته ، وأن يجعل ذلك في ذريتك كما سأله زكريا ﷺ فأجابته: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا

تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ بَعِيثًا مَبْعُوثًا، وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/٨٩-٩٠].

واجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً مع الوارثين ، الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم ، وحسن صفاتهم ، وعبادة ربهم ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون/١-١١].

وإذا ورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله وصفاته ودينه ، فعلمه عباده تكن ربانياً من ورثة الأنبياء ، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر يستفيد منه ويفيد غيره : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِي مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/٧٩].

واعلم أن جميع الأقوال والأعمال موروثه ومحاسب عليها ، فأحسن أقوالك وأعمالك وأخلاقك ، وأخلصها لربك ، يسرك ما فعلته يوم تلقاه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/٦-٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/٨].

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة/١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي

أَخْرَجْتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ « أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا ذا العرش المجيد ، يا وارث كل وارث ، يا غافر الذنب ، يا قابل التوب ، لا إله إلا أنت .

أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .
اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا ، إنك أنت أرحم الراحمين .
وهذا آخر الأسماء الحسنی الواردة في القرآن ، ويليه الأسماء الواردة في السنة الصحيحة ، وأولها اسم الوتر .

المقطع ٠١ ، ٣١ الوتر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَللّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتُرَّيْحُ الْوَتْرِ » متفق عليه ^(١) .

الله تعالى هو الوتر الحق ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله .

الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/٣] .

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الذي ليس كمثل له أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾
اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾
[الإخلاص/١-٤] .

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك ، والخلق ، والأمر ، والتصريف ، والتدبير ، وحده لا شريك له ، وتفرد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الجميلة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿الحشر/ ٢٣-٢٤﴾.

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، تفرد وحده بخلق المجتمعات
والمتفرقات ، والعلويات والسفليات ، الذي يُسِيلُ الجامدات ، ويُجمد السائلات ، ويحرك الساكنات
، وَيُسَكِّنُ المتحركات ، ويجمع بين المتضادات ، ويؤلف بين المختلفات ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ ﴿الزمر/ ٤﴾.

وهو سبحانه الوتر الملك الحق ، الذي وسم جميع المخلوقات بسمه الحدث والصنع ،
والعجز والفقر ، وانفرد عنها ﴿اللَّهُ الَّذِي بَصُرَ بِهَا﴾ بصفات السلام والكمال ، والجمال والجلال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ ﴿طه/ ٨﴾.

انفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك.. وبالربوبية دون المربوب..
وبالألوهية دون الواله : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾
﴿مريم/ ٦٥﴾.

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه.. وأفرد الكافرين بإهانته.. وأفرد كل ذي شكل بشكله..
وكل ذي صورة بصورته.. وكل ذي لون بلونه.. وكل ذي طعم بطعمه.. وكل ذي سمع
بسمعه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَعَبُدْهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
﴿١٠٢﴾ ﴿الأنعام/ ١٠٢﴾.

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر ، وخلق كل شفع ، ومخلوقاته كلها شفع ووتر.

السماء والأرض.. والليل والنهار.. والشمس والقمر.. والذكر والأنثى.. واليابس
والرطب.. والخير والشر.. والنور والظلام : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿يس/ ٣٦﴾.

وهو سبحانه الوتر الذي يحب الوتر ، ويأمر به في كثير من الأقوال والأعمال والطاعات
التي شرعها ، في الأذكار ، والصلوات الخمس ، ووتر الليل ، والطهارة وغير ذلك.

عن علي ؑ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْثِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ » أخرجه أبو داود

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثيل له ، ولا شريك في أسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات ، وتدبير جميع الكائنات : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

● التبعّد لله ﷻ باسمه الوتر :

اعلم رحمك الله أن الله وحده هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، والذي تفرد بالخلق والأمر، والعطاء والمنع، والبسط والقبض : ﴿إِذْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكما خلقك الله ورزقك ، وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد ، وأفردك بذلك كله ، ولم يشرك معك أحداً ، فأفرد بالتوحيد والعبادة ، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة، وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

وكما تفرد ﷻ بالعظمة والخلق ، والعزة والكبرياء ، والجلال والجبروت ، فأفرد وحده بالذلة والخضوع ، والحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة ، وسائر أنواع العبادة : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً ، سليماً من أي عيب أو نقص ، خالصاً من كل كدرٍ ونكد ، فصل لك بعضه ، وأجمل لك جُلّه ؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه ، ولا تبلغ آمالههم إلى بعضه : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٥٣).

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان والطاعات بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وأفرد ﷻ لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً، عارياً من أقل راحة، مسلوباً من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد، ولا يقوم لأذناه صبر أحد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء أفرد لك زوجين: نعيم وعذاب، لزوجين: طاعة ومعصية، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها، فأفرد له الطاعة، يفرد لك النعيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح/ ١٧].

وأفرد لك سبحانه الحق من الباطل، والخير من الشر، فأفرد به فعل الحق والخير، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر، فافهم واعمل، نفوز وتسلم: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].

فلا توجه عملك لسواه فتخسر. نفسك وعملك، وديارك وأخراك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

واختم أعمالك بالوتر حسب الشرع؛ لما علمته من بركة الوتر، وحب الله له: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

وإذا أحب الله عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه، وأحب العامل به، فاطلبه واعمل

به : ﴿ وَأَقْرَبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له ، أو لم يشرعه الله ورسوله ، فيرده عليك : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

اللهم أنت الملك لا إله غيرك ، ولا رب سواك ، أنت الواحد لا شريك له ، الأحد لا شبيه لك ، الوتر لا مثل لك ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تُعصى إلا بعلمك ، تُطاع فتشكر ، وتُعصى فتغفر ، فلا إله إلا أنت .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة . السبوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ « أخرجه مسلم ^(١) .

الله ﷻ هو السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء ، البريء من النقائص والآفات والعيوب ، المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه ، وكل ما لا يليق بجلاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات ، الذي سبحانه الوجود كله ؛ لما له من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وسبَّحه خلقه بمحامده وثنائه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فسبحان الملك القدوس ، الذي يقدهه ويسبح بحمده كل من في العالم العلوي ، وكل من في العالم السفلي ، في جميع الأوقات ، بمختلف اللغات ، وأنواع الأصوات : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

وسبحان من له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، السبوح القدوس الذي ليس له مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الموصوف بجميع المحامد ، المنزه عن جميع العيوب والنقائص ، الملك الحق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١] .

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه ، وبحمده أسبَّحه وأزهره عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر ، وآفات المحدث ، وكل ما يستحيل عليه ولا يليق بجلاله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤] .

وأسبَّحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة / ١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧) .

فما أعظم تسبيح الرب ﷻ ، وما أيسر أداءه ، وما أعظم ثوابه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ » متفق عليه ^(١) .

• التبعّد لله ﷻ باسمه السبوح :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله ، والتحميد كله ، والتسبيح كله ، والتعظيم كله ؛ لما له من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته فسبحه بها ، وادعه بها ، ونزهه عن أضدادها .
سبح بحمد ربك العظيم ، الذي له العزة والعظمة والكبرياء والجبروت ، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

وسبح ربك الأعلى بالقول والفعل ، واملأ الكون بتسبيحه وحمده ، كما ملأه لك بفضله ورزقه : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ المُرْجِيَّةَ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) ﴾ [الأعلى / ١-٥] .

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن الأوصاف الذميمة ، فينزه نفسه عن الشهوات المحرمة ، ومطعمه من الحرام ، وأعماله من الرياء ، ولسانه عن القبيح ، وقلبه عن النفاق والرياء ، وسيء الأخلاق .

وَإِذَا صَفَتَ نَفْسَكَ وَأَعْمَالَكَ مِنْ كُلِّ سِيءٍ وَمَذْمُومٍ فَقَدْ وَصَلْتَ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ^(٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩] .

فأرسل التحميد والتمجيد ، والتكبير والتسبيح ، لربك العظيم في كل حين ، فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد ، الذي شهدت الكائنات بعظمته ، واملأ الكون بنعمه ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢) ، ومسلم برقم (٢٦٩٤) .

وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

أرسل لربك التحميد مرة مفرداً ، ومرة مقروناً بالتسبيح.

فالمفرد مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] تَبَارَكَ يَوْمَ الدِّينِ [٤] ﴿[الفاتحة/ ٢-٤].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرُبِعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] ﴿[فاطر/ ١].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [١] ﴿فِيمَا يَنْذِرُ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهِ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [٢] ﴿[الكهف/ ١-٢].

و«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» متفق عليه^(١).

والمقرون بالتسبيح مثل: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ) أخرجه مسلم^(٢).

و«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم ، وما أجزل ثواب ذلك ، وما أنفعه للعبد : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر/ ٣].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّؤُا الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ تَمَلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أخرجه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩٦) ومسلم برقم (٤٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥) والترمذي برقم (٢٤٣).

مسلم^(١).

وتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينه الإيمان حسن ، لكنه ليس كتسبيح صادر عن قلب
سابع في بحار عوالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران / ١٩٠-١٩١].

فسبحان الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، وتسبح بحمده
السموات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في
ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾
[غافر / ٧].

واعلم أن الناس في معرفة تسبيح المخلوقات من الجمادات والنباتات والحيوانات درجات
:

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن.

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد
لبارئها، وهذه يعلمها أولو الأبواب.

وللكائنات تسبيح باطن يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿سُبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

وقد يُسمع الجبار ﷺ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ تَسْبِيحَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَمَا أَسْمَعَ دَاوُدَ ﷺ
تَسْبِيحَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾
[الأنبياء / ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطلق الطير والنمل، وكما أسمع محمداً ﷺ حين الجذع في المسجد،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

وشكوى الجمل، وتكليم ذراع الشاة له، وسلام الحجر عليه بمكة وغير ذلك.

فسبحان الرب المعبود بكل مكان، الذي يسبح بحمده كل لسان، سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه، إليه نسعى ونحفد، وله نصلي ونسجد.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وحزبك المفلحين، مع الملائكة المقربين المسبحين الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) ﴿[الأنبياء/ ٢٠].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير، المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب، هو الحي القيوم المنزه عن السنّة والنوم والموت، القائم على كل نفس، هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم.

هو الرحمن المنزه عن الظلم والقسوة.. وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿[الشورى/ ١١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) ﴿[

الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿[الأنبياء/ ٨٧].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه (١).

اللهم لك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الحكم كله، وإليك يرجع الأمر كله،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

علانيته وسره ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، وأنت القوي ونحن الضعفاء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

الطيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» أخرجه مسلم (١).

الله جل جلاله هو الطيب ، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب ، من الاعتقاد والقول والعمل والخلق ، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص ، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة التي يطيب بها العبد: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج/ ٢٤]. وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء .. وصفاته أطيب الصفات .. وأفعاله أطيب الأفعال .. وكلامه أطيب الكلام .. ودينه أطيب الأديان .

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيباً ، وطيبه أن يكون خالصاً لله وحده ، على ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب ، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤُكُمُ هُوبٌ﴾ [فاطر/ ١٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

ودينه الحق كله طيب في عقائده ، وأحكامه ، وآدابه ، وسننه ، وشرائعه .

فعقائده هي الإيمان وأركانه التي تَطِيبُ بها النفوس وتركوا ، وتطمئن بها القلوب: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾] [المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب ، قلبه ولسانه وجوارحه ، بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان، وبما ظهر على لسانه من الذكر والحمد والتسبيح والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .

ولما طاب المؤمن في هذه الدار ، أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه ، وطاب لسانه بذكره ، وطابت جوارحه بالعمل الصالح ، أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة ؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا ، والجنة في الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان :

دار الطَّيِّبِ المحض وهي الجنة: وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث ، وهم المؤمنون الكُمَّل ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ودار الخبث المحض وهي النار: وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه وهم الكفار والمشركون والمنافقون ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده .

ومن معه طيب وخبث وهم عصاة المسلمين ، فهؤلاء من دخلها منهم عُدب بقدر ذنوبه ثم أُخرج إلى الجنة.

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً ، وأهلهما مخلدون فيهما أبداً.

الجنة دار الطيب المحض .. والنار دار الخبث المحض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه، وهو ما سلم من الخبث كله، وجمع الطيب كله.

والطيب قريب من معنى الطهارة ، وفي الطيب معنى زائد على الطهارة ، فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيء زائد على الطهارة، وهو في الشم طيباً، وفي الأفعال جودة وحسناً.

فلأعمال الصالحة متى ألفت بفاعلها رجساً طهرته، وإن لم تجد ما منه تطهره طيبته ؛ ليلقى ربه طاهراً طيباً: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٣٢].

و ضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خُبثٌ كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ الشيطان من أحدنا ، يطهر بالإيمان ، ويطيب ويزكو بالتقوى ، كما يطهر خبث الحديد بالنار ، فطهر نفسك منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

واعلم أن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده، ليزداد الإنسان خبثاً بعد خبث ، ورجساً بعد رجس بالشرك والكفر ، والكذب والكبر ، والحسد والحقد، والبخل والطمع وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذْهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر/٦].

وعن صفة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج معها ، فلقيه رجلان من الأنصار فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمْ شَيْئًا » متفق عليه^(١).

واعلم أن من أَرَادَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَسِّرْ - له أسباب الهداية ، وفتح له أبواب المعرفة ، ونقله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشر- إلى الخير ، ومن المعاصي إلى الطاعات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمْتُ بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات/١٧].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه :

فيجعل كبره على أعداء الدين .. وحرصه على طاعة ربه .. وإيأاه عن معاصيه .. وبطشه بمن أصر على الكفر .. وحسده على الخير والحكمة وبذل النفس والمال في ذات الله.

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات، ليحييه بذلك حياة طيبة، ويزيل عنه خبث باطنه، ورجس أعماله الظاهرة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأحزاب/٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ [النور/٢١].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته ، الطيب القدوس في جميع أسمائه وصفاته ، الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الروم/٢٦-٢٧].

فسبحان الملك القدوس ، الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٥).

الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه ، كمن هو مجبور لا غناء به ! ومن هو كبير لم يزل ، كمن هو حقير لم يكن ! أيستوي الملك والمملوك ! والخالق والمخلوق ! والرازق والمرزوق ! : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/١٧-١٨].

الكل أبان بجبروته ﷻ ، وأخبر بدوام ملكوته ، وشهد بوحدانيته .

والكل يسبح بحمده لظهارة قدسه ، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة/١].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الطيب :

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنى ، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى ، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم ، وموجب تلك الصفة ، بما يرضي ربه عنه .

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته ، فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له ، والتعبّد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/١٨٠].

فاجهد نفسك أيها المؤمن في العلم بأسماء الله وصفاته ، واستعمل نفسك بمقتضاها .

فإذا ذكرت الرحمن ، فتذكر ماذا عندك من الرحمة؟ وكم رحمت من الخلق؟ وتعبّد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض ، يرحمك من في السماء .

وإذا ذكرت العليم ، فتذكر ماذا عندك من العلم ، وكم علّمت من الخلق من شريعة الله ، وتعبّد لله بصفة العلم يورثك التقوى والخشوع له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر/٢٨].

ونزّه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكّها بكل عمل صالح وخلق حسن.

ومن أعظم التزكي العمل بطاعة مولاك الحق، لتزكى بذلك عنده، وتقرب منه: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [فاطر/١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودة وحسنا، والنهوض إلى الخيرات صعوداً بكل عمل طيب زكي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى/١٤-١٥].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خير ورحمة وإحسان، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه.

فاجتهد على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب، من ذكرٍ وشكر، وحسن عبادة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق.

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسنى إلا ببذل كل طيب، من الأوقات والأموال، والأقوال والأعمال، في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ [آل عمران/٩٢].

واعلم أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء.

فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/٦-٨].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل/٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خلق في القرآن محمود يفعله، وكل خلق في القرآن مذموم يحذره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

واعلم أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب ؛ لأنه تركيب في الخلقة ، فاسأل الله أن يطهر قلبك منه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داء إلا جعل له دواء، ولا أغلق غَلْقًا إلا وجعل له مفتاحاً.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم ^(١).

ومفتاح هذا العَلْق ، ودواء هذا الداء ، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله ويبدله بخير منه، والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وقُطِبَ ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس وما يجب عليها ، ومخالفة الهوى ، ولزوم الطاعات ، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع الآثام والفواحش : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحيين وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقف بين يديه بجلال الاضطرار : ﴿ وَرَكَرِبًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿ ٩٠ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

وابك على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

نُنَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم/٥٨].

واعتذر إليه من عجزك، فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج، مع لزوم الدعاء .

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته ، ولا حرمننا كريم إجابته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/١٨٦].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ [نوح/٢٨].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء/٨٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم^(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

اللهم أحيينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، يا رب العالمين .

المقالة الجميل

عن عبدالله بن مسعود^(١) عن النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ »

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالْكَبِيرُ بِطَرِّ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» أخرجه مسلم^(١).

الله ﷻ هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته ﷻ أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء.

عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ» أخرجه مسلم^(٢).

وهو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله، الجميل الذي لا أجمل منه، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) [السجدة/ ٦-٧].

جَمَّلَ الْأَرْضَ بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنَ الْمِيَاهِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَزْهَارِ، وَالثَّمَارِ، وَالْجِبَالِ، وَالشَّجَرِ وَالِدَوَابِّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧) [الكهف/ ٧].

وَجَمَّلَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ وَالْمَصَابِيحِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك/ ٥].

وَجَمَّلَ القلوب بالتوحيد والإيمان، وجمَّلَ الأجساد بالطاعات والأخلاق: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم جمَّله بالدين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤-٦].

وهو سبحانه الجميل الذي يستحق أن يُعبد لذاته، ويُحَبَّ لذاته، ويُحمد لذاته: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].
فكيف إذا انضاف إلى ذلك حسن أسمائه، وعلو صفاته، وجمال أفعاله، وإحسانه وإنعامه، وعفوه وبره، ورحمته وحلمه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الجميل المحمود على حسن أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].
فكل جمال ظاهر أو باطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعه وجماله .

واعلم أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة، وأعظمها شأنًا: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجمال كله، وله الإحسان كله، وله الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السنيّ البهيّ يراه المؤمنون في الجنة ، فيرون حسناً لا يتوهم وصفه ، وجمالاً لا يُقدر قدره ، ينسون معه كل جميل ونعيم: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمَدُ بِهَا نَارٌ ۖ وَإِلَىٰ رِجَّتِهَا نَاطِرَةٌ ۖ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون به جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه ، وعلى أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی .

فيكشف قلوبهم مرة بوصف جلاله ، ومرة بوصف جماله ، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب فتخضع وتخضع ، وتخر وتبكي ، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم ، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية ، وآياته الشرعية ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ﴾ [الأنبياء/ ١٠٨] ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۖ﴾ [الإسراء/ ١٠٩].

اتصف ﷻ بأحسن الأسماء والصفات والأفعال ، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة .
أوجد الخير كله .. وتنزه عن الشر كله .. وتجميل بالحسن كله .

أوجد الشر. كله لا لنفسه، بل لعله الابتلاء: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۖ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه ؛ لأن ذلك كله منه ، وهو يحبه ويرضاه ، سواء كان في الذوات أو الأفعال ؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل ، ويأمر بكل جميل ، ويثيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُمُومًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ﴾ [طه/ ٧٥].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضدًا من القبيح ، ليس لكمالته وجماله ، بل لتمييزه الحسن من القبيح ، والمحمود من المذموم ، وليدل به على قدرته ﷻ في خلق المتضادات كالخير والشر. ، والحسن والقبيح ، والجنة والنار ، والأبرار والفجار: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ﴾ [النور/ ٤٥].

واعلم أن ما خلقه الله من الجمال ، وما وهب لعباده منه قسمان:

جمال ظاهر.. وجمال باطن.

فالباطن منه: أعظمه التوحيد والإيمان والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وحسن الخلق، ومعرفة الحق، وما يدل عليه ويشهد له.

والظاهر: الطاعات لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها من صلاة وزكاة ونحوهما.

فما صرفه العبد فيها على وجهه الشرعي فهو جمال وحسن وزينة عند الله عز وجل، يقبله ويشيب عليه بأحسن منه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [يونس/٢٦].

ومن ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الدنيا: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ ﴿١٤﴾ [آل عمران/١٤].

فسبحان جميل الأفعال بعباده، يطعمهم ويسقيهم، ويرزقهم ويعافئهم، ويكلفهم باليسير من العمل ويعين عليه، ويشيب عليه بأفضل منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة/٢٤٥].

وقد خلق الله البشر متفاوتين في الحسن، والجمال، والأعمال، والأخلاق.

فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن، فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بأحكامه، ويدعو إلى فضائله، ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/٤].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر.

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات من آثار جماله .

جَمَلُ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ .. وَجَمَلُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ .. وَجَمَلُ الْجَوِّ بِالْهَوَاءِ .. وَجَمَلُ الشَّمْسِ
بِالضِّيَاءِ .. وَجَمَلُ الْقَمَرِ بِالنُّورِ .. وَجَمَلُ الْمَلَائِكَةِ بِالطَّاعَاتِ .

وَجَمَلُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ .. وَجَمَلُ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .. وَجَمَلُ الدُّنْيَا بِالذِّينِ ..
وَجَمَلُ الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ .. وَجَمَلُ الْجَنَّةِ بِكُلِّ جَمِيلٍ وَنَعِيمٍ .

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

فسبحان الجميل الذي جَمَلُ الْجَنَّةِ بِرُؤْيَا وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي إِلَيْهِ مَتَّهَى الْكَمَالُ وَالْجَلَالُ
وَالْجَمَالُ: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » متفق عليه^(١) .

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ :

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجمال والحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق هو ما رضىه
الله وحسنه لا غير .

فاعمل عليه، وخذ نفسك باجتنب ضده: ﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَحَدُّهُ وَمَاتَهُكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر/ ٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ،
وَلِخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ » متفق عليه^(٢) .

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهراً وباطناً .
فتزين لربك بالإيمان والطاعات ، وحسن اللباس والطيب .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥١) .

والناس في التجمل الظاهر ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ حَسَّنْ ثوبه ، وَرَجَّلْ شعره ، وَطَيَّبْ ريحه ، ونظف بدنه ، وتجمل بذلك باقتصاد لربه الجميل ﷻ .

وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم .

وعليها درج الكثير من الصحابة والتابعين.

ومنهم من لزم البذاذة والشعث ، واحتمل التفث في الهيئة إلا ما أقام به السنة ولو وجد حلالاً ؛ زهداً في التمتع ، وإيثاراً لشطف العيش ، حتى لا يشغله التمتع عن ربه .

وهذه طريقة الخائفين الذين قَدَّمُوا كل شيء إلى الآخرة .

وعلى ذلك دَرَج الخلفاء الراشدون ، وكثير من الصحابة والتابعين .

ومنهم من يتقلب بين هذا وهذا ، إذا وجد تنعم ، وإذا فقد احتمل .

وهذه كانت سنة إمام المتقين ، وطريقة سيد المرسلين .

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة.. ويلبس الرداء الغليظ تارة .

وكان يأكل اللحم تارة.. ويأكل العصيد تارة.. ويجوع مرة.. ويشبع مرة.. لا يتكلف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له .

وقد آتاه الله من التقى ، وحُسن الخلق ، وحُسن السمة ، ما لا تبطره به النعمة ، ولا يقعه الفقر عن العمل لربه .

فَسَنَّ لَنَا ﷺ بفعله الطرق الثلاث ، والفوز والنجاة بالاقتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربّه ، وفيما بينه وبين خلقه ، وتلك حقيقة الزينة والحُسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

وَرِضْوَاتٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
 بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران/ ١٥-١٧].

فجمل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك ، تجد ثوابه يوم القيامة حُسن الوجوه ، وحسن
 النعيم ، وغاية الجمال ، فالمؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم
 وأعمالهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ رُؤْمَرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً» متفق عليه^(١).

والكفار يصورهم ربهم على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ
 بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال ، فتجمل له بما يحبه ويرضاه.

واعرف جماله بأسمائه وصفاته الذي لا يماثله أحد ، وكن كريماً يحبك الكريم ، جميلاً
 يحبك الجميل ، عفواً يحبك العفو ، وتعبد لربك بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی: ﴿وَاللَّهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

جَمِّل لسانك بالصدق ، وجمِّل قلبك بالإيمان والإخلاص والمحبة والتوكل والإنابة ،
 وجمِّل جوارحك بطاعة الله ورسوله ، وجمِّل بدنك بالنظافة وحسن اللباس ، وتجمل لمن
 خلقك في أحسن تقويم ، بإظهار نعمة الله عليك : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » أخرجه مسلم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه ، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه ، وذلك من شكره على نعمه ، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به .

واعلم أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالزينة والطيب واللباس ، والجمال الباطن بالإيمان ، وشكر المنعم ، والتقوى ، فتجمل بذلك كله : ﴿ يَنْبِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف/٢٦] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/٥٣] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر/١٠] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١) .

اللهم يا من يملك الجمال كله ، ويده الأمر كله ، زين قلوبنا بالإيمان واليقين ، وجمل ألسنتنا بذكرك وشكرك ، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك ، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح .

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة ، يا واسع المغفرة ، يا واسع العلم ، يا سامع كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا واسع الفضل ، أسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أكرم الأكرمين .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

النور

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٣٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» أخرجه مسلم ^(١).

الله صلى الله عليه وسلم هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهرًا وباطنًا، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ^(١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(١٦)﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي بَصَّرَ الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ؛ لعظمة نوره وكبريائه وعظمته .

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تَبَدَّى لها : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِنِي وَلَكِن نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَحَلْنَا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فسبحان النور الذي نُور السموات العلى كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض من نوره، بل نور العرش والكرسي وجميع الجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس والقمر والكواكب، بل « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم^(١).

وهو سبحانه النور الحق الذي نُور قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته بأنوار معرفته بأسمائه وصفاته ، وأنوار محبته، حتى امتلأت قلوبهم بالأنوار المتنوعة ، والعلوم النافعة ، وخرت خاشعة لعظمة ربها ، ونور جلاله وجماله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحان من تعرّف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تحصى .، ليعبدوه وحده ، ويعرضوا عما سواه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فمعاني العظمة والجبروت والجلال والكبرياء ، والقوة والقهر ، تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الهيبة والتعظيم والإجلال للجبار عز وجل .

ومعاني الجمال والبر والإحسان والإكرام ، تملأ قلوبهم بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى .

ومعاني اللطف والرأفة والرحمة ، تملأ قلوبهم بأنوار الحب والحمد والشكر والثناء

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

للمولى ﷺ .

ومعاني العلم والإحاطة والشهادة والمراقبة والقرب ، تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم وطاعته ، وتوصلهم إلى مقام الإحسان .

وجميع أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، تملأ القلوب بأنوار التعظيم ، والحب ، وحسن التبعد لله ، والتعلق التام بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَال/ ٢-٤] .

واعلم أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور التوحيد والإيمان واليقين ، فاض على الوجه فاستنار الوجه ، واطمأن القلب ، وانقادت الجوارح لطاعة الله ، وقيدها هذا النور عن معصية الله : ﴿ فَتَأْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَابُغِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [التنابغين/ ٨-٩] .

فسبحان النور الحق ، الذي أسماؤه وصفاته كلها نور ، وكتبه كلها نور ، ورسله كلهم نور ، ودينه نور ، ودار كرامته نور : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) [الحديد/ ١٢] .

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار ، كذلك يتفاضلون في الآخرة في رؤيتهم ربهم ﷻ بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ » متفق عليه^(١) .

واعلم أن النور قسمان :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦٣٣) .

نور ظاهر.. ونور باطن.

فالباطن إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح ، واتسع فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات.

وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور.

فالله ﷻ نور.. والقرآن نور.. ورسوله نور.. وآيات الله الكونية والشرعية كلها نور: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حلَّ نوره ﷻ بمكان طرد عنه كل الظلمات ، وأبعد عنه الكُدرة ، فإن كان الجسم صقيلاً أشرق وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧].

واعلم أن الحكيم ﷻ لما أنزل الحق جعل ضده الباطل ، ولما أوجد النور أوجد الظلام، فإذا جاء الحق زهق الباطل ، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ فِقُرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرِيمٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وقد خلق الله ﷻ الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب.

فخلق سبحانه الجان من نار السموم ، وخلق آدم من تراب: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦١﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « خَلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخَلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخَلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » أخرجه مسلم^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

وإبليس من الجان ، أضله الله من بينهم ولعنه حين استكبر وكفر بالله ، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما ألطفه في تدبيره.

مَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنْ خَالصِ النُّورِ وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ جَعَلَهُ اللهُ خَيْرًا كُلَّهُ ، يَعْمَلُ بِالْخَيْرِ ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَعِينُ عَلَى الْخَيْرِ: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٩) ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ النَّارِ وَهَمَّ الْجَانُ جَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ عِقَابٌ مِنْ كُفْرٍ وَكَذَبِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ وَأَتْبَاعَهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) [فاطر/ ٦].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الْمَمْتَزَجِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ مِنْ مَاءٍ وَتَرَابٍ جَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَمزُوجَةً إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ .

فمنهم المؤمن والكافر .. والبر والفاجر .. والكريم والبخيل .. والسعيد والشقي .

وَأَعْمَالَهُمْ مَمزُوجَةٌ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، وَمَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧) [الشورى/ ٧].

ولو شاء الله لهداهم أجمعين ، وجعلهم أمة واحدة ، لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام ، ليبين للمعتبرين عظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته ، وأصناف مخلوقاته ، وَجِئَكُمْ بِالْحُكْمِ وَفَضَّلَهَا عَلَى الْإِضَاعَةِ وَالْفَوْضَى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩) [الأنعام/ ١٤٩].

فسبحان الملك الحق ، الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو:

من ليل ونهار .. ونور وظلام .. وحر وبرد .. وحياة وموت .. وأمن وخوف .. وذكر وأنثى ..

وخير وشر.. وشقي وسعيد: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات/ ٤٩].

أما النور الظاهر فما جعله الله في الشمس والقمر والنجوم والنار والأبصار: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس/ ٥].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نور ساطع ، يزداد على التدرج في العلو ، وما تحتنا ظلام مُعْتَمٍ يزداد على التدرج في الأسفل .

فما فوقنا كله نور، يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق ﷻ الذي كل نور في العالم من نوره: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٣٥].

فمَنْ عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

ومن عمل بمعصية الله سجنه الله في الظلام في طبقات النار في الأرض ، في أسفل سافلين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿ ٥ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ ٦ ﴾ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿ ٧ ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿ ٨ ﴾ [التين/ ٤-٨].

واعلم أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير ، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضدًا من رحمته يقاومه .

فمَنْ عبَد هذه النار في الدنيا يريد النور ، ساقه الله إلى ظلمات النار يوم القيامة: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا عَلَيْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فنار جهنم أعادنا الله وإياكم منها أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلِّمة في هذه الدار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : رب أكل بعصي بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » متفق عليه ^(١).

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم يذكر الله بها عباده ليتقوه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾]
الواقعة / (٧١-٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَا فَيَهَّ يَأْرَسُوْلَ اللّٰهِ ، قَالَ : « فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » متفق عليه ^(٢).

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته ، وملاً العالم نوره ، وأحاط بكل شيء علمه ، ووسع كرسية السموات والأرض ، وأحاط بجميع مخلوقاته بعرشه العظيم ، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

سبحانه لا تُعد مخلوقاته ، ولا تُحصى نعمه ، ولا يُحاط بجنوده : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، والعالم كله دليل على وجوده ، قائم كله بأمره ، مقهور بإرادته ، مستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى طاعته : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَئَىٰ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود / ٥٦].

هذا نور ساطع لأبصار العقول، وضياء واضح لبصائر الفهوم : ﴿ أَفَىٰ لِلَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧) .
(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له .

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٠﴾ [إبراهيم/ ١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله المشرق فيه ظاهراً وباطناً كالبيت مليء سرجاً ومصابيح فأشرق بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فاصعد بفكرك لمعرفة جلال أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، تبصر- الهدى بنور الحق المبين: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ كُفِّرِينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق ﷻ سطع نوره في قلبك ، وغلب كل نور ، فأبصرت ملكاً عظيماً ملاً الكون نوراً .

كلامه نور ، وأسماءه وصفاته وأفعاله كلها نور ، وكتبه نور ، ورسله نور ، ودينه نور: ﴿ذَلِكَ نُورُ اللَّهِ رَبُّكُمْ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهتدي بنوره من في السموات ومن في الأرض ، الذي بنوره يبصر- ذو العماية ، وبهدايته يرشد ذو الغواية ، الذي نور السموات والأرض من نور وجهه ﷻ .

وهو سبحانه النور الذي ملاً الدنيا بنوره ، وملاً الآخرة بنوره ، وملاً الجنة بنور وجهه ، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتِّيَعْنَ وَالشَّهَادَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر/ ٦٩].

ويمنع نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعنة، نعوذ بالله من سخط الجبار ، وعذاب النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة/ ١٧٥].

اللهم لا طاقة لنا بنار جهنم ، فارحمنا وأنت خير الراحمين .

• التبعّد لله ﷻ باسمه النور :

أحرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار ، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق ﷻ ، وتنعّم بالنور في الدنيا والآخرة .

واعلم أن مَنْ تعرّف النور الظاهر من الباطن ، ومواضعه ومسالكه في العالم ، يجد أن الله هو النور الحق الذي لا إله إلا هو ، ملاً الكون كله بنوره .

نور السموات والأرض ، ونور الظواهر والبواطن ، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم ، ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی .

ونور سبحانه قلوب المؤمنین وصدورهم بالإيمان والإخلاص والتوحيد ، ونور العقول بأصناف العلوم ، وأنواع الدلائل والبيّنات ، ونور الأبدان بأنواع العبادات وأصناف الطاعات ، ونور الأسرار بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات .

ونور ﷻ العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢] إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس/ 3-4].

ويرى ذلك مَنْ صدّق في الطلب ، ونقى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل بالعلم والمعرفة ، ونقاه من الذنوب بالتوبة النصوح ، والعمل بما يرضي الله ﷻ : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

فاجتهد في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن ؛ لترى الحق حقاً وتتبعه، وترى الباطل باطلاً وتجتنبه : ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيماناً و يقيناً وعلماً: ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك ، يشرق النور في قلبك وجوارحك ، ويحتوشك نور الإيمان ظاهراً وباطناً ، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك.

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يكتسب ، بل هو من قبيل العطايا والمواهب الربانية ، وهو ميراث حُسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وذلك أن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا تُنال إلا بها .

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله عز وجل ، وتقوى الله ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ءَيُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ ءَوَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَوَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَوَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمناً للإيمان والتقوى .

وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى ، وعلى قدر تقوى الله يكون حُسن الطاعات ، والتطهر من الأدناس والمعاصي ، والطاعات كلها نور ، والمعاصي كلها ظلام : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [١٧٤] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء/ ١٧٤-١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور، فيمتلئ قلبه نوراً ، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام.

فتصبر بالنور.. وتسمع بالنور.. وتفكر بالنور.. وتتكلم بالنور.. وتعمل بالنور.. وتدعو

بالنور.. وتتعلم وتُعَلِّم بالنور.. وتعيش بالنور.. وتمشي- بالنور: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي
بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
بِالنَّوْافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ.»

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ
الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ
تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري ^(١).

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تتفرغ للنظر والتدبر والتفكير في
معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، والنظر في ملكوت الله، لم يتم لك هذا الأمر،
ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين، إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت ملك
المملوك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثُوبَكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد/١٩].

وإذا أراد الله بك خيراً أفتح لك أبواب التعرف عليه، والقرب منه، فوصلت التقوى بالنظر والفكر،
ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به، وجمعت بين علم
الجوارح، وعلم القلوب، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك، وتجنب ما يسخط الله،
وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك: ﴿الَّذِينَ تَرَأَوْنَ أَنَّهُمْ أُزِّلُوا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأُخْرِجُوا بِهِ
ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
عَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/٢٧-٢٨].

وإذا علمت هذا، فحينئذ اتصل بك الحبل، واستبان لك السبيل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه ، وحِدَّة بصره وعقله بقدر تفرغه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله بقدر التفكير والتدبر: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِيهِمْ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة ، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤنة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت بنوره الحق الذي خلق به السموات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله ، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين ﷻ يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿يَدْعِعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدَوْلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ لِدَاوُدَ يُكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

واستغفر ربك في كل وقت ، وسبح بحمده ما بقيت ، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أن أشد الناس حباً لله، وأكثرهم ذكراً له، وأصدقهم مناجاة له، وأحسنهم عبادة له، هم أعرف الناس بالله، وأعلمهم بأسمائه وصفاته وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَمَلُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن من أراد الله عز وجل عصمته عاد عليه برحمته ، فأعانه على طاعته ، وحماه من معصيته ، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه ، وأشغل أوقاته فيما يقرب إليه مما يحبه ويرضاه .
فتراه ذاكرًا لربه .. مسبحاً بحمده .. مكبراً له .. مستحياً منه .. مُجِلاً له .. مطيعاً له .

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء .. وأذهلته هيبة الجلال والجبروت .. ومَلَكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه شَغَفًا به ، وكَلَفًا بقربه: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته بالتعظيم والإجلال لربه ، وحمده وشكره على نعمه ، وخشيته والافتقار إليه ، وكثرة التسييح والتحميد له ، ولزوم الاستغفار ، واتباع السنة ، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته ، فاستقم كما أمرت ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ [يونس/ ١٠٩].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل ، ثم أتباعهم من المؤمنين ، والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بَلَغَ البلاغ المبين ، فأزال الله به الشرك والجهل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم أن من قعد على كرسى الجهل والهوى والكبر فلن يبصر الحق أبداً ، ولن يقوم من كرسية إلا إلى نار جهنم : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢) [الإسراء/ ٧٢].

وأولئك أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٩) [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَاتَّبَعْنَا الرُّسُولَ فَأَكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨) [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمٌ لِي نُورًا » أخرجه مسلم (١).

اللهم يا نور السموات والأرض ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين ، ونبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريب ، فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣) .

المقالة ❖ الرفيق

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الرفيق الكثير الرفق، الذي يسهل الأمور، ويسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاَصْبٰٓءُ اَغْيَرَ اللّٰهِ نُنْقَوْنَ ۝٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ تُمْرًا اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَاِلَيْهِ تَجۡرِعُونَ ﴿٥٢﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْتِى النَّاسَ لِرُءُوفٍ رَّحِيۡمٍ ۝٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة؛ ليتوب من سبقت له العناية، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُمَسِّكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ اَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا اِنْ اَمْسَكَهُمَا مِنْ اَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهٖۤ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيۡمًا غَفُوۡرًا ۝٤١﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الرفيق بعباده، الذي ليس بعجول على من عصاه، وإنما يعجل من يخاف الموت أو الفوات.

أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء فليس من شأنه العجلة: ﴿سُبْحٰنَكَ هُوَ اللّٰهُ اَلْوٰحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر / ٤].

وهو سبحانه الرفيق في أفعاله، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً، مع أنه قادر على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

خلق جميع المخلوقات دفعة واحدة ، بأمر واحد ، في لحظة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه .. اللطيف في تدبيره .. الحليم في فعله .

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدرج .

يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف ، ويأتي بالحر بعد البرد ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويُجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك : ﴿ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس / ٣٧-٤٠].

ويصرّف الرياح في الجو، ويصرّف المياه بين السماء والأرض: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِيَلِدَ مِمَّنَّي فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف / ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يُخرج الموالب من الأرحام، ويُخرج الثمار من الأشجار، ويُخرج الحب من النبات : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُمَشِيًّا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ أَنْظَرُوا إِلَىٰ ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم ؛ ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرّفه ، ويحكمه بأمره ، وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمَحْيَ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم / ٥٠].

وهو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم بما لا يطيقون ، ولم يحملهم ما لا يستطيعون، الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة، وأسقط

عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيراً من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكْرِمُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٥).

كل ذلك رخصة لهم ، ورحمة بهم ، ورفقاً بهم ؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده .

هو الكريم الذي اجتنبى هذه الأمة لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ أَحَبُّنَا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلًا أَيْبُكُمْ أَنْزَلَهُمْ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج/ ٧٨).

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعة واحدة ، بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس ، وتلين الطباع ، ويتم الانقياد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٢).

ومن رفقهِ سبحانه إمهال ركب الخطيئة ، ومقترف الذنب، وعدم معالجته بالعقوبة ، لعله ينب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه: ﴿وَرُبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَأَعَجَلَ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ (الكهف/ ٥٨).

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ؛ لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه الحليم الرفيق الذي لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَلَا يَكُنُ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ فَيَذَرُهم فَيَقُولُ سَوَاءٌ عَلَيَّ ذُنُوبُهُمْ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ بَعِيدًا عَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (فاطر/ ٤٥).

ومن رفقهِ سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدى وشفاء ، ورحمة وسماحة ، وتذكير وموعظة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/ ١٣٨).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » متفق

عليه^(١).

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق ، وخص أوليائه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّفْقَ الَّذِي آتَىٰكُمْ وَيُوَدِّعَ فِيكُمْ سُورَةَ النَّاسِ ٢٦ ﴾ [النساء/ ٢٦].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرفيق :

اعلم أن الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ومظاهر رفقته ظاهرة في العالم كله.

ورسوله محمد ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقته في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه بحسن خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾ [القلم/ ٤].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: « دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » أخرجه البخاري^(١).

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق، ورسولنا إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق ويسر.

فعليك بالرفق في جميع أمورك ، في عبادتك ، ومعاملتك ، ومعاشرتك وجميع أعمالك ، يحبك الله ورسوله وخلقه : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن الرفق زينة الإنسان ، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ « أخرجه مسلم (٢) .

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق ، فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير.

فاحرص رحمك الله أن تكون رقيقاً في أمورك كلها، بعيداً عن العجلة والسريعة، والتهور والاندفاع ، والغضب والتكلف ، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن ، وحلية أهل الإيمان: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) [النساء/ ٢٧].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » أخرجه مسلم (٣) .

ارفق بنفسك ولا تحمّلها ما لا تطيق ، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله ، ولا تزيد في عمل زيادة تقعدك عن غيره ، ولا تخرج عن السنة إلى الشدة والتكلف : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) [النساء/ ٢٨].

وارفق بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلق حسن ، تلقى أحسن منه .

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦) [يونس/ ٢٦].

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةِ لَنَا بِهٖ ۖ وَاعْتُقْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦) [البقرة/ ٢٨٦].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢).

المقالة XXXV. «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطَايَايَ وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

المقالة ❁. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١) .

اللهم يا عظيم الصّبح ، يا حسن التجاوز ، يا حلّماً على من عصاه ، يا سميعاً لمن دعاه ، يا رفيقاً بمولاه ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❁. الشافي

المقالة ❁❁❁❁❁❁❁. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) ❁ [الشعراء / ٨٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منأ انسان مسحه بيمينه ثم قال: «أَذْهَبِ الْبَّاسَ رَبَّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(١) .

الله ﷻ هو الشافي الحق لجميع الأَسقام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١٠٩) ❁ [آل عمران / ١٠٩] .

فهو سبحانه الشافي الكافي الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأَسقام والآفات والأمراض وحده لا شريك له، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له .

والشراب: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق ، الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك ، والشبه والشكوك ، والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب ، ويعافئها بالهداية إلى الدين القيم ، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) [الجمعة / ٢].

فسبحان الشافي من كل داء ظاهر أو باطن ، الشافي الذي لا يدعى بهذا الاسم سواه ، الشافي الذي يشفي بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣٠) [المائدة / ١٢٠].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء ، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً ، علمه مَنْ عَلمه ، وجَهِله مَنْ جَهِله .

وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها ، بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) [الزمر / ٦٢].

وقد أنزل الله القرآن الكريم شفاء من كل داء ، يستشفى به المؤمنون من الجهل والضلالة ، ويبصرون به من العمى ، ويعرفون به الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والخير من الشر ، ويعملون بأحكامه ، فيسعدهم ربهم في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وينجيهم من النار: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس / ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خساراً ؛ لأنهم لا يؤمنون به ، ولا يعملون به ، فخسروا دنياهم وأخراهم: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء / ٨٢].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له ، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له ، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة ، وتناول الأدوية المفيدة.

والتداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله، فنأخذ بالأسباب المشروعة، ولا نتوكل إلا على الله الذي جعل فيها الشفاء، وهو الشافي الذي يشفي بها، وبدونها، وبضدها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » أخرجه البخاري (١).

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء .

فكما أن دَفْعَ الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (٧٩) ﴿ [الشعراء/ ٧٩] ، فكذلك دَفْعَ المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٨٠) ﴿ [الشعراء/ ٨٠].

فيجب علينا فقه أحكام الله، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدرًا وشرعًا. فللصحة أسباب، ولدفع المرض أسباب، ولكسب الحسنات أسباب .

ولدفع السيئات أسباب، ولدخول الجنة أسباب، وللنجاة من النار أسباب .

وقد جعل الله لكل شيء سببًا، ونحن في دار الأسباب: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) ﴿ [الكهف/ ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار جل جلاله، لا خروج لها عن أمره، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببها، وإن شاء أبطلها كما أبطل إحراق النار عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٦١) ﴿ [الأنبياء/ ٦٩].

يفعل ذلك جل جلاله ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته، ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله.

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته وأخفى قدرته، ابتلاء لعباده، وجعل الأسباب تعمل مرة، وتقف مرة، ليُظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، والذي خلق فسوى ، وقدر فهدى وأطعم وأسقى ، وأمات وأحيا ، وابتلى وشفى ، وتجاوز وعفى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشافي :

اعلم وفقك الله أن الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وبيده الخلق والأمر ، هو الله وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

فتوسل إلى ربك بأسمائه وصفاته ، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان ، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٧﴾ [يونس/ ١٠٧].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم^(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام ، فاعلم أن أعظم داء انتشر بين الناس هو داء الكفر والشرك والمعاصي ، فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من الشفاء ، وبلغ دين ربك في كل مكان وزمان ، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوهُ بِهِ . وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

ولن يقوم بهذا إلا أنت ، فقم به كما قام به نبيك ﷺ ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَّا اللَّهَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده ، يكتب الله لك أجرهم ، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [٢٥] وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهَبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(٢).

اللهم يسر-أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونور قلوبنا ، واستعمل جوارحنا بطاعتك ، يا أرحم الراحمين.

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين.

اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا أنت ، ولا يعين على الحق غيرك ، ولا يؤتي الخير إلا أنت ، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك ، إنك على كل شيء قدير.

المقالة ❖ الحي

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَبِيْبِي سَتِيْرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ » أخرجه أبو

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٩١) .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا » أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).

الله ﷻ هو الحيي الكثير الحياء، الذي يترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياؤه ﷻ على ما يليق بجلاله، فالعبد يجاهر ربه بالمعصية، مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معاصيه، ورببه مع كمال غناه، وتمام مقدرته عليه، يستحي من هتك ستره وفضيخته.

فسبحان الحيي السّير الذي يستر من عصاه بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر له: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » متفق عليه^(٣).

واعلم أن حياء الرب ﷻ من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، فهو حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر/ ٦١].

فهو سبحانه حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صِفْرًا، ويستحي أن يعذب ذا

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

شبية شاب في الإسلام، ومن استحي من الله استحي الله أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً ، حيث لا تنفع المعذرة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنی ، ويثني على نفسه بها ، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو كريم يحب أهل الكرم.. حليم يحب أهل الحلم.. شكور يحب الشاكرين.. تواب يحب التوابين.. حيي يحب أهل الحياء: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها لعباده ، وأمرهم بالتعبد له بموجها ومقتضاها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحيي:

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم الصفات التي يحبها الله ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم^(١).

والحياء خير كله ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه^(١).

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجه الحياء من الله تعالى، ثم الحياء من الملائكة الكرام، ثم الحياء من الناس، ثم الحياء من النفس.

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له، والخوف منه، والتضرع والافتقار إليه في جميع الأحوال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ بَدَائِعِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

وأشد الناس حياء من الله هم الأنبياء والرسل؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، ثم أتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [٥٩] وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ [٦٠] أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [٦١] وَلَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [٦٢] [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

وأشد الخلق حياء من الله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفته بنعمه وإحسانه، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، شاكرًا لربه، مستغفرًا من ذنبه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه^(٢).

واعلم أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات، فاحفظ السمع والبصر- والفؤاد واللسان من جميع المحرمات.

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦].

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) ومسلم برقم (٣٧).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

ومن علم أن السميع البصير مطلع عليه استحي أن يراه على معصيته .

فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك وهو يراك : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء ومن به على من شاء من خلقه، فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَدْنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

واعلم أن الحياء من الملائكة يكون بالافتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات ؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

أما الحياء من الناس فيكون باجتنب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ حياء من الله والملائكة والناس .

فَمَنْ رَزَقَ ذَلِكَ فَهُوَ الْحَيِيُّ الَّذِي يَحِبُّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ حُرِّمَ ذَلِكَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أخرجه البخاري^(١).

والحياء من النفس أن تحملها على طاعة الله ، بعدم استعمال نعم الله في معصية الله ، فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح ؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال/ ٢٢].

واعلم أن من استحي من الله استحي الله منه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، فاعبد ربك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤).

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ فأما احدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ » متفق عليه^(١) .

اللهم إني في هذا المقام استحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي ، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم ، وأنت الحكيم الذي بعثت المهمة لكتابته ، وسقت اليد لتحريره . فلك الحمد على ما قدّرت ، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت ، فلست أشد إلا رضاك فاغفر لي ولوالدي والمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي

دُرَيْبِي ۖ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ [الأحزاب/ ١٥].

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه^(٢) .

اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وبيدك الأمر كله ، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلننا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

المقطع ٠١ ، ٣٩ الستير

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّي سِتِّيْرٌ ، يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِئِرْ » أخرجه أبو داود والنسائي (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه مسلم (٢) .

الله تعالى هو الستير الحق الذي يستر الكثير من عورات عباده، ولا يفضحهم في المشاهد.

وهو سبحانه الحيي الستير ، الذي يستر على عباده كثيراً من العيوب والقبايح ، ولا يفضحهم وهو قادر ؛ لعلمهم يتوبون إليه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها ، ودعا أهلها للاستغفار منها فقال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠] .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

وهو سبحانه الستير العليم بكل شيء ، الذي يستر سوات عباده ، ولا يفضحهم ولا يخزيهم، ولا يظهر للناس ما يشينهم ؛ لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته، وإنزال عقوبته به، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده، ويحب من عباده الستر على أنفسهم، وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أخرجه مسلم ^(١).

وقد رغب الله عباده في الستر ، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي ، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصياً لله والله يستره ، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ ، وَإِنْ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » متفق عليه ^(٢).

● التبعّد لله تعالى باسمه الستير :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدنيا عبادته بموجب أسمائه وصفاته : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٩٩٠) .

وإذا علمت أن الله حلِيمٌ سِتِيرٌ يحب الستر ، ويأمر بالستر ، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربّه ، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة .

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية ؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله وصالحى المؤمنين ، وفيه ضَرْبٌ من العناد ، والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه ، وبين خلقه : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة ، والذلة بين الناس ، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير عليه ، وامتنال أمر الذي يعلم السر - وأخفى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربّه فهو أكرم الأكرمين ، ورحمته سبقت غضبه ، والعفو أحب إليه من العقوبة ، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ﴿٣٠﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم ، واستغفر ربك يغفر لك ، فإنه ما سترك إلا ليغفر لك .

فبادر بالتوبة إليه ، فإنه غفور يغفر الذنوب جميعاً ، شكور يبذل السيئات بالحسنات ، ثم يضاعفها : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً

حَسَنَاتِهِ « متفق عليه^(١) .

واجتنب الذنوب كلها ، ما ظهر منها وما بطن ، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله ، وتب إلى الله منها : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٩] المائدة / ٣٩ .

وتجنب جميع أبواب الرذائل ، واحذر دروب الفساد والضلال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦٨] .

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك ، ويصون عرضك ، ويؤمّن روعتك ، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة .

واستر على عباد الله ، وتجنب هتك أستارهم ، ولا تتبع عوراتهم ، فإن من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته ، ومن يتبّع الله عورته يفضحه في بيته .

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله ، ويستر عليك في الدنيا والآخرة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه^(٢) .

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب ومفارقتها ، وإذا ألممت بشيء منها فاستر نفسك ، وبادر إلى التوبة منها ، وأتبعها بالحسنة تمحها .

عن ابن مسعود ؓ قال : إن رجلاً أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ، فقال الرجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ألي هذا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق عليه^(٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٥٧] آل

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٥) ، ومسلم برقم (٢٧٦٨) واللفظ له .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٦٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤١] [إبراهيم / ٤١].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [٨٠] [الإسراء

/ ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم يا خبيراً بفقرتي وفاقتي، يا عليماً بضري ومسكنتي، يا من بيده ناصيتي، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل ذنب تغفره، ومن كل خطأ تستره، يا أرحم الراحمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا ذا الجلال والإكرام.

المقدم .. المؤخر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء: « رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه ^(١) .

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت .. يفعل ما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورِيُّ الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه المقدم الذي يرفع أولياءه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنزل ، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه عن تلك الرتب والمنزل .

وهو العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة/ ١١].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي يملك التقديم والتأخير وحده لا شريك له، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته، وكمال مشيئته، وكمال حكمته، وكمال علمه، وكمال عدله .

فسبحان المقدم الذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في مواضعها، وكل ذلك بعلمه وإرادته وحكمته : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلائق ، وقدّم من أحب من أوليائه بفضلته، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه ؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وآخر من شاء من عباده بعدله ، لا مقدم لما آخر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦]. وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني وأمره الشرعي .

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، والمواليد والثمار، والتصريف والتدبير في الكون : ﴿ إِنَّا نَبِّئُكُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكل مخلوق له وقت ، وله مكان ، وله حجم ، وله مسار لا يتعداه فيسبق غيره ، ولا يزاومه فيعطل حكمته : ﴿ وَعَايَةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ مَا اللَّهُ شَىءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم/ ٤٠].

وتقديمه وتأخيره الشرعي كما فضّل الأنبياء والرسل على الخلق ، وفضّل بعض الأنبياء على

بعض ، وفضّل بعض العباد على بعض ، وفضّل بعض المؤمنين على بعض ، وقدمهم في العلم ، والإيمان ، والأعمال ، والأخلاق بفضله ، وأخر من آخر منهم بحكمته وعدله : ﴿ أَفَمِنَ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُوْتِيَ جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ الْمَصِيرُ ﴿١١٦﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

فسبحان من يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله ، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وكما فضّل سبحانه بعض العبادات على بعض كتقديم الفرض على النفل ، وتقديم حق الله على حق غيره ، وتقديم الوضوء على التيمم .

وكما فضّل بعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأوقات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض .

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان والمكان والرتبة ، والقرب والبعد ، والحب والبغض ، والقوة والضعف : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيتته وحكمته ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المقدم والمؤخر :

اعلم ختم الله لنا ولك بخير أن الله اصطفى آدم ﷺ وذريته على من سواهم .

فقد خلق آدم ﷻ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وفضّل هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرة وعبرة لهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقدّمهم في المقام والثواب، وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا، السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله خص هذه الأمة بأحسن دين وأكملها فقال: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٣].

ورغّبهم وشرّفهم بأحسن عمل، وأشرف وظيفة، وهي الدعوة إلى الله، ووظيفة الأنبياء والرسل فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وجزاهم على الدعوة إلى التوحيد والعمل بالتوحيد بأحسن الجزاء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

فله الحمد والمنة أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا إلى الإيمان، ووقفنا لطاعته وعبادته: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر، والأمور كلها بيده.

فمن كتب الله له عزاً ورفعة وتقدماً فلن يستطيع أحد حرمانه من ذلك: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢].

ومن كتب الله له ذلاً وخذلاناً وتأخيراً لم يستطيع أحد عونه للخلاص من ذلك: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [الكهف / ١٧].

فالأمر كله لله من قبل ومن بعد، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، أو خفضه أو رفعه، أو تقدمه أو تأخره، أو نصره أو خذلانه: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤].

إن اهتدى الإنسان فبهداية الله إياه، وإن ضل فبصرفه عن الهدى لَمَّا انصرف عنه: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس / ٢٥].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُودُونَني وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف / ٥].

فالقلوب كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله، ومن شاء أزاعه بعدله، وهو أعلم بمن يصلح لهذا أو هذا؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال كتبه، وإرسال رسله، وبيان الحق من الباطل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام / ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق، ووقفه إليه بفضله، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٦] ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [١٧] [يونس / ٩٦-٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك

مما يكون به تقدّمه ، ونيل محابّته ورضاه ، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره ،
والوقوع في سخط الله: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

وقد بيّن الله ﷻ سبل رضاه ، وبيّن سبل سخطه ، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه ،
ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه ، ثم قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ ﴿٣٧﴾
[المدثر/ ٣٧].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ، وهو الكريم الذي بيّن الحق من الباطل ، ورغب
في الحق ، وحذر من الباطل: ﴿ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾
﴿[الإنسان/ ٢٩ - ٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده ، المقدم من أطاعه ، المؤخر من عصاه : « أَنْتَ الْمُقَدَّمُ
وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(١).

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها : السر- والعلانية ، والخطأ والعمد ، والمتقدم
والتأخر : ﴿ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾
[المائدة/ ٣٩].

فالذنوب توبق العبد وتؤخره ، وغفران الله له يرفعه ويقدمه: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
﴿[طه/ ٧٤ - ٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له ، وكمال الذل بين يديه ، والطمع فيما عنده ،
وحسن اللجوء إليه ، وصدق التوكل عليه ، وعدم اليأس من رَوْحه ، وعدم الأمن من مكره :
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَىٰ اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وقدّم ما قدّم الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق ، وأخّر ما أخّر الله ورسوله ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

وَأَحِبُّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَأَبْغَضُ مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥) ﴿[الأنفال/ ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه ، ويراك حين تتأخر عنه ، فقدم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٢٤) ﴿[الحجر/ ٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح أبوابه للراغبين والتائبين أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما قدمت ومما أخرت، فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) ﴿[البقرة/ ١٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) ﴿[آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) ﴿[آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) ﴿[البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتَيَّ إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿[الأحقاف/ ١٥].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه (١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري رقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (٢).

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (٣).

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَعُوذُ بِكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (٤).

الشكور.. الشاكر

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن / ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعام / ١٦٠].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر.

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وهو سبحانه الشاكر الحق ، الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويشبههم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن / ١٧].

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويذكر مَنْ ذَكَرَهُ، ويزيد مَنْ شَكَرَهُ، ويرحم من استرحمه من عباده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [٢٩] لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر/ ٢٩-٣٠].

ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً كثيرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٥].

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي ولا تضاعف، ويمحوها بالتوبة والاستغفار، ثم يبدلها حسنات، ثم يضاعفها؛ لأنه وحده الغفور الشكور.

ومن كفر بالله، وفعل الكبائر من قتل أو زنى، ثم مات ولم يتب، ضاعف له العذاب يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨] يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْمِلْهُ مُهَيَّأً﴾ [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠].

واعلم رحمك الله أن جميع النعم التي يتنعم بها الخلق من رزق وعافية، وأمن وسرور، وأهل ومال وولد، كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْلَمُونَ إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ لَهَا وَإِنْ كَفَرْتُمْ يَنسَوْنَ﴾ [النحل / ٥٣].

وواجب جميع الخلق أن يشكروا ربهم على كل نعمة، باستعمالها في طاعته، والتقرب بها إليه، فإن كفرها ولم يشكروها، تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم/٧].

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويثني عليه، ويشبهه على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/١٠٠].

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء، أفلا يشكرون له حُسن الكرم والعطاء: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّتِيلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/٦١].

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله، وبيده الخير كله.

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية، ويشكر بها من أطاعه، ويشبهه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده ويرحمهم، ولا يحب عقابهم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَٰمَنُتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/١٤٧].

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال؛ لما يرى من عظمة جلاله، وعظيم خلقه وآلائه، وكريم عطائه وإحسانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/١٧-١٨].

فسبحان من أكرم عباده بكل شيء، وأعطاهم كل شيء، ورزقهم من فضله، وأطعمهم من رزقه، وأسكنهم في أرضه، وأكمل لهم دينه، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/٢٠].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما أعظم نعمه على عباده، وما أعظم شكره لمن أطاعه، وما أحلمه على من عصاه: ﴿وَعَٰتَاكُمْ مِّنْ عَصَاةٍ﴾ [لقمان/٢٠].

نِعِمَّتَ اللَّهُ لَا تُحْصَوها إِتِ الْإِنْسَانَ لَظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والله ﷻ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم ، لنفع أنفسهم ، ومواساة بعضهم ، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة ، وخبأ لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر ؛ لأنه الغفور الشكور : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة / ٢٤٥].

فسبحان الرب الشكور ، الشاكر لعباده ، الذي لا يضيع عنده عمل عامل ، بل يضاعف الأجر بلا حسابان ، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين ، ويذكر الذاكرين ، ويتقرب إلى المتقربين : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجِبًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْبِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران / ١٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي - ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه ^(١).

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذي أنعم به عليه ، وأعاناه على إنفاقه في سبيل مرضاته .

وإذا ترك العبد شيئاً من أجله ، أعطاه أفضل منه ، واستعمله في طاعته .

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة ، ووفقهم للبذل والترك من أجله ، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك .

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة / ٢٦١].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

ويجزى الشكور على العمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي ، عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة.

فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيله ، أعاضهم الله بأن حبب إليهم الإيمان ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وصلى هو عليهم وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤٣].

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله ، أعاضهم عنها أن فتح لهم البلاد ، وملّكهم الدنيا ، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور / ٥٥].

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه وأطاعه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود / ٦١].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب ، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا ، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير ، وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء / ١٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ النَّارِ بِأَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ .

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ يُعْطِي أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا وَعَمَلًا مِثْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ .

وَمِنْ شُكْرِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبَادِهِ يَقُومُ لَهُ مَقَامًا يَرْضِيهِ بَيْنَ النَّاسِ فَيَشْكُرُهُ لَهُ ،
وَيَنْوَهُ بِذِكْرِهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ ، كَمَا شَكَرَ لِصَاحِبِ يَسَ حِينَ قَالَ : ﴿ إِنِّي - ءَأَمَنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ [٢٥] قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس / ٢٥-٢٧] .

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم
يضاعف أجر المعطي ؛ لأنه كريم شكور، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من
الزلل، ويشكر القليل من العمل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾
[يونس / ٦٠] .

● التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الشُّكُورُ :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم
إليه من اتصف بضدها .

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم ، المحسن الشكور ، الرحيم الغفور ، ويبغض العبد
الكافر البخيل ، الظالم الفاسد ، المجرم الخائن .

ولما كان الله هو الشكور الحق ، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض
خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضدها .

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنی ، فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين .. شكور
يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين .. عفو يحب العافين .. جميل يحب أهل
الجمال .. كريم يحب أهل الكرم : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة / ١٩٥] .

ويبغض الكافرين والمشركين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى-
أسمائه الحسنی، وصفاته العلی : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَأْمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها، وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين ، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليشكروه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر ، والعقل والقلب وغيرها ؛ ليتذكر هذه النعم ، ويشكر من أنعم عليه بها : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك، يذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [١٥١] فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً، واشكره كثيراً، وكبره تكبيراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده، على كل خلق خلقه ، وعلى كل أمر أمره ، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنِ اللَّهُ لَذُو

فَضِّلْ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴿غافر/ ٦١﴾.

وقد غر الشيطان أكثر الخلق ، فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر .
والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه
من دون الله ، مع ظهور البرهان للبصير والأعمى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴿الغنكبوت/ ١٧﴾ .

فلا إله إلا الله ، كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غرّ منهم وصرّ فهم لعبادته من دون الله :
﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ إِلِيلِسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿سبا/ ٢٠﴾ .

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على
ما يأتيك من الأذى في سبيله ، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾
إِنَ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾
﴿العصر/ ١-٣﴾ .

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه ، لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشتغل عنه بنعمه ، ولا تبع هداه
بهواك : ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦١﴾﴾ ﴿الزمر/ ٦٦﴾ .

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي
رِحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ ﴿النمل/ ١٩﴾ .

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿القصص/ ١٧﴾ .

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ،
وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا

قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه ^(١) .

يا من له خزائن السموات والأرض ، يا واسع العطاء ، يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا رب العالمين .

اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❦ الحليم

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم ، الذي يُدِرُّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة معاصيهم ، وتكرار زلاتهم ؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده ، يمهلهم كي يتوبوا وينبوا ، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم : ﴿سُبْحٰلَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة ، الذي لا يُعجل على من أذنب بالعقوبة ، الحليم على من كفر به وأشرك من خلقه ، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه ، لعله يتوب إلى ربه ، ويستغفر من ذنبه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها ، ولا يؤخرها عن

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

وقتها، ولا يُعجلها قبل أوانها .

فسبحان الحليم الغفور ، الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم ويؤخر العقوبة ، لعلهم يتوبون ، ويستتر على آخرين ويغفر، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم :

﴿ وَلَوْ يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّخَذَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر / ٤٥] .

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة ، وتركه معاجلتهم بالعقوبة ، ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء ، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم ، لعلهم يتوبون إليه : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّمْوَٰتِ أَنْ يَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء / ٢٧] .

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٥١] .

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ، ويصفح عنهم ، رحمة بهم ، مع استغنائه عنهم ، وشدة حاجتهم إليه : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه كريم رحيم يرزق العصاة كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البرّ التقى، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يقى الناسك الذي يؤمن به ويعبده .

فسبحانه ما أوسع حلمه، وما أعظم رحمته بعباده : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَآئِكِ يَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَىٰ أذَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ

يُشْرِكُ بِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ هُوَ يَعَايِهِمْ وَيُرْزُقُهُمْ « متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله حلیم على عباده ، رؤوف بهم ، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون ، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم ، فيزيدون في الإعراض والمعاصي .

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال ، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأفال / ٣٢] .

واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط ، أما في الآخرة فهم مخلدون في النار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة / ١٦١ - ١٦٢] .

والله غفور حلیم ، ولو لا حلمه على الجناة ، ومغفرته للعصاة ما ترك على ظهر الأرض من دابة : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَّكَ اللَّهُ كَانَ عِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر / ٤٥] .

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض تستأذن السماء والأرض أن تقع وتزول من شدة ما يأتي به العباد من الكفر والفسوق والعصيان ، وتكاد تنفطر من ذلك ، ولكن الحلیم يمسكها ؛ لئلا تزول وتقع على من عصى - الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر / ٤١] .

فسبحان الحلیم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى ، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأفال / ٣٣] .

فدفع الحق سبحانه تلك بتلك ؛ لأنه الحلیم الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه ، وسبق حلمه عقوبته : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ: سَبَبَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» متفق عليه ^(١).

فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كفر الخلق، ومعاصيهم، وظلمهم ، أرضاه تسبيح الملائكة الذين يملؤون السموات ، وتسبيح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له ، وعبادتهم له : ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ آيَلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧-٣٨].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وحده لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له .

والمخلوق قد يسميه ربه ﷻ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليفة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

والحلم نور الباطن في العبد ، وزين الظاهر منه، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، وتوجيهها لمن ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي الحكمة .

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق ﷻ ، وكلُّ يؤتية الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقر/ ٢٦٩].

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء .

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به ، لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم ، وتدييره الحكيم ، ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون .

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يبصر عليه .

وهذه حكمة في خلقه وأمره ، فصلها من نعوت جلاله ؛ ليعبد بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .

يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحدّه ومن يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين .

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٢ - ٢٤].

فسبحان الله ما أعظم أسمائه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤَذِّنُنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » متفق عليه ^(١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له .

هو ﷻ الملك القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء .

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق، بيده الملك والخلق والأمر كله .

هو الملك الغني القوي، الذي تفرد بالملك والملكوت، الذي لا يعبا بما سواه، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿ وَكَوْا تُتَبِعِ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ [المؤمنون / ٧١] .

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به، ويعبده، ويطيع أمره: ﴿ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

وجعل في الأرض من يؤمن به، ويصدق رسله، ويعبده، ويطيع أمره، كما جعل فيها من يكفر به، ويكذب رسله: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢﴾ [التغابن / ١-٢] .

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ورجبهم في الإيمان والطاعات، وحذرهم من الكفر والمعاصي، وبين لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿٣﴾ [الإنسان / ٢-٣] .

فلا إكراه في الدين، ولا يخرج أحد عن مشيئته وعلمه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، والله عالم بما كان وما يكون .

فمتى يفقه مَنْ حَبَسَهُ الشَّيْطَانُ أَوْ الْهَوَى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١] .

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل

العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ، ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك فيرهبوه، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره .

أما صفاته العليا ﷻ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كقوله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته ، وإمهاله وترك معاجلة الظالمين بالعقوبة ، مع جحدهم الحق ، وعنادهم له ، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله .

فما أعظم حلم الحليم الحق لعباده ، يعافيههم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٤) [المائدة / ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار ﷻ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴾ (٥٨) [الكهف / ٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم حلم الله ، وإحسانه ، وشفوه ، وسعة رحمته ومغفرته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٢٠) [لقمان / ٢٠].

فسبحان الرحمن الرحيم ، الذي كتب على نفسه الرحمة ، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٤) [الأنعام / ٥٤].

ألا تراه ﷻ وهو رب العزة والجلال، والجبروت والكبرياء، القوي القادر على كل شيء، يحلم على العصاة، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها، لعلهم يرجعون إليه، لسعة حلمه ورحمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج / ٦٥].

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم.. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل.. ويستتر حتى كأنه ليس يبصر.. ويُنعِم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه.. وبإيذاء أوليائه يسرونه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الواسع الكريم الحليم، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، اللهم لا تؤاخذنا ﴿بِمَا فَعَلَّ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّا هِيَ إِلَّا فَنَنُكَرُ نَضَلُّ بِهَا مِن نَّشَاءٍ وَتَهْدِي مِن نَّشَاءٍ أَنْتَ وَآلِنَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ﴾ (١٥٥) [الأعراف / ١٥٥].

● التبعد لله ﷻ باسمه الحليم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق، وتستجلب بحلمك حبهم لك، ورضوان الله عنك: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) [النور / ٢٢].

وكما تحب أن يحلم عليك مالك، فاحلم أنت على من تملك، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك، وكره لغيرك ما تكره لنفسك، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ﴾ (٧٧) [القصص / ٧٧].

وعن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ

يُحِبُّ لِحَارِهِ ، أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ « متفق عليه ^(١) .

واحذر غاية الحذر أن تعصي- ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك ، فتتمادى في عصيانه ، وتتكلم على عفوه ، مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم ، فإن أخذه أليم ، وبطشه شديد : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِيَ أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

فسبحانه ما أعظم حلمه مع كمال علمه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١ ﴾ [الأحزاب / ٥١] .

وإذا علمت عظمة ربك، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، ورأيت شدة بأسه، فبادر إلى طاعة ربك الحليم الغفور الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٦ ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدْكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الانفطار / ٦ - ٨] .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦ ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واشكر من أنعم عليك بنعمه ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله؛ لتنال أجراً لا تحلم به : ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠ ﴾ [الزمر / ١٠] .

ويسهل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله ، معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ١٥٥ ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦ ﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة / ١٥٥ - ١٥٧] .

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له .

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله .

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ٥ ﴾ [المعارج / ٥] .

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦ ﴾ [الروم / ٦٠] .

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، والعافية بعد البلاء ، ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً : ﴿ ذَلِكَ لَكُمْ يُعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢ ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٣ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٤ ﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ، ولك العاقبة الحسنی في الدنيا والآخرة : ﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان / ١٧] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١٤٧ ﴾ [آل عمران / ١٤٧] .

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠ ﴾ [البقرة / ٢٥٠] .
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١) .

يا جزيل العطايا والمواهب ، يا واسع الرحمة والمغفرة ، يا رؤوفاً بالعباد .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .
 اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ،
 وإذا منعوا حمدوا ، وإذا ابتلوا صبروا ، يا أرحم الراحمين .

العفو

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٩].

الله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، وسع عفوه الوري، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر
 عن عباده من الذنوب: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً، وكل
 أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته، كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته ، كما هو
 مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء / ٨٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من
 عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته،
 والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١١١] وَإِنَّمَا
 يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف / ١٩٩ - ٢٠٠].

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن

المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم ، والانتقام منهم ، وحرمانهم من نعمه : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل / ١٨] .

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وأثامهم ، فلا يستوفيها منهم إذا تابوا وأنابوا، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي ، ثم تاب إليه ورجع ، فرح بتوبته ، وغفر له جميع ذنوبه : ﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

واعلم رحمك الله أن من عفا الله عفا الله عنه ، ومن غفر غفر الله له ، ومن أحسن الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن / ١٤] .

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق ، ورغب في الحلم والصبر على الأذى ، وقبول الأعداء من سائر الناس ، رجاء رضوان الله وغفرانه : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور / ٢٢] .

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس ، فسيعطيه أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى / ٤٠] .

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا نَفَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) .

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته عز وجل ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار ، فعفوه ومغفرته عز وجل وسعت جميع المخلوقات والسيئات ، والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء / ٤٣] .

والكفر ، والشرك ، والذنوب ، والجرائم ، والتقصير الواقع من الخلق ، كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة ، ولكن عظمة عفو الله ، وسعة مغفرته ورحمته ، تدفع هذه الموجبات والعقوبات: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝٤٥﴾ [فاطر / ٤٥] .

وعفو الله عز وجل نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم ، برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم ، فهم يؤذونه بالشرك والسب والمعاصي ، ويعصونه بنعمه ، وهو يعافيهم ويرزقهم ، ويمهلهم ولا يهملهم ، وقد يتبليهم بالمصائب ، لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمَ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل / ٦١] .

الثاني: عفوه الخاص بالموءمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين ، والعابدین والداعين ، والمصائبين وغيرهم ، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه ، وغفر له ، مهما كان ذنبه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر / ٥٣-٥٤] .

فسبحان من وسع حلمه وعفوه العالمين ، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام ،
والثواب أحب إليه من العقاب .

• التبعّد لله ﷻ باسمه العفو :

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ ، ولولا حلمه وعفوه على
من كفر به وعصاه لعاجله بالعقوبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنْ عِندِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر / ٤١] .

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكرهم به ويردهم إليه ؛ ليستغفروا ويتوبوا : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ [المؤمنون / ٧٦] .

فيايك والإصرار على ما يسخط ربك ، فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [المائدة / ٩٥] .

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيد عبادته بما شرع ، وتحصيل الصفات التي
يحبها الله ، وهي أسماؤه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] مَا
أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ ٥٨ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨] .

ومقصوده من خلقه في الآخرة تكميل الشهوات التي يحبها العبد ، والتمتع بالنظر إلى وجهه
الكريم في الجنة ، وتعذيب من كفر به وعصاه بالنار : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿ ٨٥ ﴾
وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴾ [مريم / ٨٥-٨٦] .

فاعف عمن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأعط من حرّمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ،
واصفح عمن آذاك ، واصبر على ما أصابك : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [١٣١] ﴿ ١٣١ ﴾
[الأعراف / ١٩٩] .

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك ، ويشيك أجزل الثواب : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤٠] ﴿ ٤٠ ﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ ٤١ ﴾ [الشورى / ٤٠-٤١] .

واعلم أن العفو خلقٌ عظيم، لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك ، تنال من ربك العفو والغفران ،
والجنة والرضوان : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٣٤ ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجْسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ١٣٥ ﴾

[آل عمران / ١٣٣ - ١٣٥] .

واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فاتبع السيئة الحسنة تمحها: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفَاهُ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤) ﴿ هود / ١١٤ .

ومن عفوهِ سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته ، فاصبر واحتسب؛ لتنال
أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠) ﴿ الزمر / ١٠ .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) ﴿ الأعراف / ٢٣ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ البقرة / ٢٨٦ .

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » أخرجه أحمد وابن ماجه (١) .

يا عظيم العفو والصفح ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة .

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وسره وعلايته ، يا عفو يا كريم .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

الغفور.. الغفار.. الغافر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر / ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص / ٦٥ - ٦٦] .

وقال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣] .

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويستر عيوبهم ، ويصلح أحوالهم .

وهو سبحانه الغفار السَّتِير ، الذي يستر ذنوب الخلق ، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنَ الْإِلَٰهِ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

وهو سبحانه العزيز الغفار ، الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره ، وإذا عاقب أوجع ؛ ليعلم العباد سعة مغفرته ، وشدة عقوبته، فيطيعونه ويعبدونه: ﴿تَبَتَّ عِبَادِيَ أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

وهو سبحانه الغافر الحق ، الذي يستر على المذنب ذنبه ، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحه ،

لعله يتوب إليه ويستغفره : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢].

فسبحان العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالغفران موصوفاً .

وكل الخلق مضطر إلى عفوهِ ومغفرتِهِ ، ومضطر إلى رحمته وكرمه ، ومضطر إلى حفظه وعونه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه الغفور الغفار الحق ، الرحيم بعباده ، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم ، صغيرها وكبيرها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [ص / ٦٦].

وهو الكريم الذي ينادي المذنبين ، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار ، ليغفر لهم : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣].

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت ؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم / ٣٢].

والله ﷻ غفور رحيم ، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢].

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات ، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم ، لكمال حبه للعفو والإحسان إلى خلقه .

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر ثم تاب تاب الله عليه ، ومن لم يتب يضاعف له العذاب ، ويخلده الله في النار ، بسبب كفره وذنوبه : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [٦٨] يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿ ٦٩ ﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ ٧٠ ﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠].

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش ، فيقتربها بحجة أن الله غفور

رحيم ؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين ، الذين عملوا السوء بجهالة : ﴿ زَيْكُمُ أَكْمَرُ مَكَافِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٢٥].

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ، ورحمة عظيمة للعباد ؛ لأن الله غني عن العالمين ، لا ينتفع بالمغفرة لهم ، ولا يضره كفرهم ، كما لا ينفعه إيمانهم ، ولا يغفر لهم خوفاً منهم ؛ لأنه ﷻ غني قوي عزيز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر / ٢٨].

ولا زال ولا يزال ﷻ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم ، فمن تاب إليه قَبِلَ توبته وغفر له ، ومن أصر على المعاصي ، وأبى التوبة ، عاقبه بجرمه : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد/ ٦].

فسبحان مالك الملك ، العزيز الغفور ، الذي يجود على جميع العباد بالمغفرة والرحمة ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويقلل عثراتهم ، ويضاعف حسناتهم : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ١٢٩].

والله ﷻ غفور رحيم ، يغفر للمستغفرين ، ويغفر لمن لم يستغفره ؛ لأنه هو الغفور ، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء / ١١٠].

والله ﷻ عفو غفور ، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة ، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء/ ١١٦].

ولمَّا يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه ، وسعة مغفرته ورحمته ، ومحبته لذلك قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

والله عَزَّ وَجَلَّ واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل أن يغفر الله من الذنوب ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٢٥] .

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان :

الأول : عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴾ [الكهف / ٥٨] .

الثاني : خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا ، غفر الله لهم سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الغفار الحق ، الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم إذا استغفروه وتابوا إليه ، من مؤمن ، وكافر ، ومشرك ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

● التبعّد لله عَزَّ وَجَلَّ باسمه الغفور :

اعلم رحمك الله أن الملك الحق عَزَّ وَجَلَّ أَرَأَفُ مَنْ مَلَكَ ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل ، وأرحم من قدر ، وخير من غفر فاللهم ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته ، فهو رب كل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته وسعت كل ذنب .

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن ، ما تعلمه منها وما لا تعلمه ، فإن ربك واسع المغفرة ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، واغفر لمن أخطأ في حقك ، يغفر

الله لك.

وبادر رحمة الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووضع نعمه بين يديك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم/٣٢].

فاستح منه، ولا تستعمل نعمه في معصيته، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه، فإن عصيته فاستغفره، فإنه غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/١١٠].

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك، فقف خاشعاً بين يديه: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٦١﴾ [الإنسان/٢٥-٢٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه ^(١).

ثم استغفره من كل ذنب، واسأله العفو عن كل هفوة، وستر كل زلة، من تقصير في عبادة، أو رياء في عمل، أو ترك واجب، أو تأخير فرض، أو إهمال حق، أو ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الأأنعام/١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات، كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات، والله كريم يشكر هذا، ويغفر هذا؛ لأنه الغفور

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

الرحيم: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ٥٤].

واعلم أن حق الله عظيم ، وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر- ، فإن أردت الفلاح والنجاة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر / ٣].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(١).

الحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران / ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم / ٤١].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(٢).

يا عالم الخفيات، يا كريم العطيات، يا غافر الذنوب، يا ساتر العيوب، يا واسع المغفرة والرحمة . نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرّجته ، ولا كرباً إلا نفّسته ، ولا ضراً إلا كشفته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

الودود

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود / ٩٠].

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب، الذي يوده ويحبه خلقه لذاته، وجلال وجمال أسمائه وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويؤد من أناب إليه، ذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة / ١٠٠].

وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين، ويحب التقوى والملتقين.

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه.

يحب المؤمنين والملتقين، ويحب التوابين والمتطهرين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣١] قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [٣٢]

ويكره الكفر والكافرين والمشركين، والكاذبين والمستكبرين، والمنافقين والمعتدين، والظالمين والمفسدين، والمسرفين والخائنين وأمثالهم.

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه، الذي يوده عباده ويحبونه، المستحق لأن يُود ويُعبد ويُحمد لكَماله وجلاله وجماله، وعظيم إحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه، ويتودد إليهم بنعمه المتوالية، ويحب لقاءهم، وقنوتهم له، ويفرح بتوبتهم إليه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة / ١١٧].

فسبحان الغفور الودود، الذي يحب عباده المؤمنين به، الموحدين له، العابدين له، وهم يودونه ويحبونه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام، وجزيل الإحسان والإنعام.

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به، وود الرب لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه، وإيثاره لمرضاته، ومحبته له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم / ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك، وأنزل لك القبول في الأرض، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبَّهُ، قَالَ: فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبُّهُ فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.»

وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إنني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في

الأرض» متفق عليه^(١).

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وَوَدَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ هَبَةٌ مِنَ الْوُدُودِ الْحَقِّ، جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ فَوَدَّ رَبَّهُ بِهِ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْخَلَائِقِ الْوُدَّ لَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١١﴾ [مريم / ٩٦].

ومن أحبه الودود، وأحب هو الودود، رأى نعمه ابتلاء، ورأى منعه عطاء؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاكر، لكن من نوع آخر: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

فهذا العبد الرباني المقرب، يجازيه الودود الحق بكل ما يسره في الدنيا والآخرة من لذيذ مناجاته، والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].

ويعذره في زلله، ويضاعف حسناته، ليزيد له في ثوابه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [يونس / ٢٦].

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله، مقتته لكفره واستكباره، وسخط عليه، لكرهيته الحق، وصدده عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن، أتاح له العليم الخبير ما يفسده به من رياء، أو عجب، أو آفة تحببته أو تبطله، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه، وإن ابتلاه عاقبه، وإن هم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له.

بخير قيص له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر / ٣٤].

فتعرّف إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته ، فمعرفة توجب تعظيمه ومحبته ، ومن أحب الله فليحبه الحب كله ، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسلم ، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فعليك بشكر الغفور الودود ، ودوام الذكر له ، والعمل بما يرضيه وقبول أحكامه .

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوبه بظاهره وباطنه ، فإن لم يمكنه فبقلمه وروحه : ﴿ أَمَنَ هُوَ قَنِيئًا إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله ، وجمال وكمال أسمائه وصفاته ، وحجة منه على المحبين لغيره ، لم أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولم أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة / ٧٦] .

لماذا لم يحبوا الملك الحق ، الذي بيده جلب كل خير لهم ، ودفع كل شر عنهم : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب :

فتارة يكون بالإنعام والإكرام كقضاء الحاجات ، وسعة الرزق ، وإجابة الدعوات ، والحباء بالكرامات ، وخفي الكفايات : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر ، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب ، ويسأل فلا يعطى ، ويستغيث فلا يكاد يغاث ، ليس لهوانه على محبوبه الحق ، لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج / ٥] .

ويشتد به الأمر مع حسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فسبحان الودود الحق، الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة، ونعمه الكثيرة، وأطافه الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود/ ٩٠].

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده، وتودد إليهم، بحسن أفعاله، وجزيل إنعامه، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه، والفضل كله راجع إليه.

فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجلب قلوبهم إلى وده، بما عرفهم من أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو الرحيم الودود الذي فرج عنهم الكربات، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بين لهم الدين الحق، وهداهم إليه، وحببه لهم، وأعانهم عليه، وأثابهم عليه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود/ ٩٠].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان، وزين جوارحك بأحسن الأعمال، أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الظاهرة والباطنة، كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده، خلقها الله يتودد بها إلى عباده، وجعلها شاهدة بتوحيده، دالة على كمال قدرته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها.

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن، الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل / ١٨].

وكل نعمة منه توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته ، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره ، وتعظيمه وتسييحه : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء.

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب ، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه وابتلائه كاستلذذهم بنعمه وإكرامه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة / ١٦٥].

فسبحان الله ما أطفه فيما يقدره ، مما يجلب محبته ، ويزيد مودته.

فإذا رأيت نفسك تحبه وهو يبتليك ، فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك ، فاصبر لحكم ربك ، واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود ، الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعمو والمغفرة ، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣].

واعلم أن كل ود وحب ، ورحمة وحنان ، موجود في المخلوقات ، فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه ﷻ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ثم يزداد في المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة.

يزداد ذلك الحب والود لله ﷻ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَأَعْلَمُوهُ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّرِكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

فما أعظم حب الله لعباده، وما أوسع رحمته بهم، وما أحسن مودته لهم : ﴿ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠].

إن العبد يشرد عن ربه ، فيقصر في الواجبات، ويتجراً على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعم ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم ، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِيُّ وَعِيدٌ ۝۱۳ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝۱۴ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝۱۵ ۝ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝۱۶ ۝ ﴾ [البروج / ۱۳- ۱۶] .

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَاتَتْ شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الودود سبحانه مَنْ أحبه من أوليائه ، وتقرب إليه بما يحب ، أحبه وجعله مجاب الدعوة ، وجيهاً عنده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » أخرجه البخاري ^(٢) .

أما مودة أوليائه له فهي روحهم وحياتهم ، بها تلذذوا بعبادته ، وبها حمدوه وذكروه ، وبها لهجت ألسنتهم بذكره ، وتحركت جوارحهم بطاعته .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية : فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وأولياءه، وأحبوا كل عمل يُقرب إليه ، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ، ومكان ، وعمل ، وعامل .

وأما المحبة الطبيعية : فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاها ، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها ، فصارت عاداتهم عبادات : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له .

واعلم أن حنان المخلوق رافة في النفس ، ورقة في القلب ، وميل مفرط في الجبلة لحبِّ ورحمة مَنْ يحنُّ إليه أو عليه .

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثله شيء أتم حناناً ، وأشد رافة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم : ﴿يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ءَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [١٢] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [١٣] [مريم / ١٢-١٣] .

واعلم أن الحنان ، والود ، والمحبة ، والرحمة ، مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض ، وتنشأ من لدن عالم الجماد ، إلى عالم الملائكة ، كما تحن الطيور إلى أوكارها ، وتحن الحيوانات إلى أولادها ، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه .

فلا إله إلا الله .. كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه ومخلوقاته .

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه ، واللفظ الذي عم كل مخلوق : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل / ١٨] .

انظر لتنوّر بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حنن عليه أبويه وكافليه ، وكيف جعل

الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ ذَلِكْ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ٧] [السجدة / ٦ - ٧] .

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من الحيوان.

فإن كان هذا المولود قد سبق له القضاء بالهداية ، وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ، فاتصل له الحنان أوله بآخره ، فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الودود :

الله ﷻ هو الغفور الودود، الكريم الرحيم، الذي منّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة. فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه ، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر.

وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٧] .

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه ، وقضى حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيب مؤملاً أبداً.

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت ، يعطيك من خزائنه ما تريد ، فمن كان لله كان الله له ومعه في كل حال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُورَةً » متفق عليه ^(١) .

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العدل .

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال ﷺ ، فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها ونشرها في كتابه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٧] .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه ، ودوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، والمسارة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها ، فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر / ٣] .

ومن دلائل حب العبد لله : حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

ومن علامات حب الله : ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ [يوسف / ٨٦].

ومن دلائل حب الله ﷻ: عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتِكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر / ٥].

ومن علامات حب الله ﷻ: الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله، والجهاد في سبيل الله، وبذل المال والنفس في سبيله، والمسارعة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾﴾ [طه / ٨٤].

ومن علامات حب العبد لربه: حب التعرف على أسمائه وصفاته، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه، ولزوم هذا الطريق حتى الموت: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف / ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه: كثرة ذكره، وكثرة التفكير في عجائب مخلوقاته، وتدبر معاني كتابه، وحسن الثناء عليه، وطول القيام بالليل في مناجاته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

ومن علامات حب العبد لمولاه: صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الملك / ١٣].

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها من الأعمال الصالحة.

فالأعمال الصالحة يعملها البرّ والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي لا يكون إلا من صديق رباني.

فتقرّب إلى ربك بفعل الأوامر، واجتناب المناهي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ

بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ [الفرقان / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١) .

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

الْبَرّ

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيْ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣٦) ﴿فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٣٧) ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٣٨) [الطور / ٢٦ - ٢٨].

الله تبارك وتعالى هو البرّ الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره ووعدته ووعيدته، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَّ آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقًا لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه البرّ اللطيف بعباده، الذي عم ببره جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه، الغني الذي يملك خزائن البر كلها.

وهو سبحانه البرّ الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعباده، البرّ بالمحسن بمضاعفة الثواب له، البرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه البرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر. ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر- أمثالها، إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته.

فسبحان البرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) [الأنعام / ١٦٠].

والله سُبْحَانَكَ هو البرّ الحق بعباده ، الذي يُوسعهم خيراً وكرماً ، وفضلاً وإحساناً ، وحمداً وشكراً ، ومغفرة وعفواً ، ورحمة ووداً : ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

ومن هذه صفاته وأفعاله ، وهذا بره بعباده ، أيلق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦-٨].

والله برّ رحيم بعباده ، يدعو من عصاه ، ويتودد إليه أن يتوب إليه ، ويذكره ويرغبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ. وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة / ٧٤].

والعبد المسلم برّ بربه يؤمن به ، ويحمده ويشكره ، ويسارع في مرضاته ، ويجتنب ما يكرهه ، ويراقب أمره ليطيعه : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة / ٢٢].

ويتذلل لعظمة ربه ، ويتصاغر لكبريائه ، ويسبح بحمده ، ويؤدي إليه حقه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى / ١٠].

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره وإحسانه ، وفضله وعطائه . فهو مؤلي النعم.. دافع النقم.. واسع العطاء.. دائم الإحسان.. ليس لبره حد.. وليس لكرمه مقدار.. ذو الكرم الواسع ، ومعطي العطاء الجزيل : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة / ٤].

واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برّ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم ، بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا.

فمنه سُبْحَانَكَ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإعداد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية العامة : ﴿ وَمَا مِنْ

دَابَّةً فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود/ ٦].

الثاني: برُّ خاص ، وهو هداية الكريم ﷺ لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم ، وتوفيقهم لطاعة رب العالمين : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات / ١٧] .

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده ، ولا إحصاؤه ، ولا حصره .

فهو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بجموده ، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله وتقديره وتدبيره ، وأوصل إليهم البر والخير في كل مكان وزمان .

هو البر الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب ، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير ، الذي يعطي ويغني ويشري ولا تنقص خزائنه : ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

وهو البر النصير ، ملاذ المستجير ، وجابر الكسير ، وشافي المريض ، وراحم المسكين ، ومعين المستعين ، ومغني الفقير ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ [يونس / ٦٠] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي إليه المنتهى ، وإليه المرجع والمآب ، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأحوال ، الذي يتكرم بالعطيات ، ويدفع الكريهات ، ويفرج الكرب والمتعسرآت : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

أوضح ﷺ براهين الهدى ، وأبان آثار اليقين ، وأعلن شواهد التوحيد في الملك والملكوت : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ

يَكُونُ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلَهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف / ١٨٥].

فسبحان البر الكريم الذي بيّن الحق في كل شيء ، وسهّل العمل به ، والدعوة إليه ، وبين السبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه / ٧٥] .

وهو العليم وحده بمضمرة القلوب ، الخبير بمحجوبات الغيوب ، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ [السجدة / ٦] .

فسبحان الله كم من كافر ومشرِك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته.

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه ، ثم أنزل به الكريم بره وفضله ، ومنّ عليه برحمته ، فأذهب عنه السوء والشك والريب ، وأذهب وحشته ، وسكّن اضطرابه ، وتاب عليه ، وقوم اعوجاجه : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء / ٢٧-٢٨] .

ثم بوّأه الكريم كنفه ، وآواه إلى ظله ، وتلقاه برحمته ، فأقامه وأصلحه : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ [غافر / ٦١] .

ثم فتح له أبواب فضله ، وفتح له أبواب عبادته ، وألبسه لباس التقوى ، ثم نشر له ثوب الثناء بين الخلق ، فصار بين الناس حميد الاسم والذكر والفعل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [مريم / ٩٦] .

فسبحان الرب البرّ الحق ، الذي يكرم خلقه ، ويحسن إليهم في كل وقت ، ويحب البرّ ، ويحب أهل البرّ ، ويحب أعمال البرّ ، ويجازي عليها بالهدى والفلاح ، والرفعة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فجاهد نفسك رحمك الله على جميع أنواع البرّ ، تنال جميع أنواع الثواب : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ [آل عمران / ٩٢] .

واعلم أن البر اسم جامع للخيرات كلها ، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى بره ومرضاته ورحمته ، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته ﷻ :
﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٧] .

ثم اعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم في الدنيا، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة فانتبه: ﴿ لَا يَغْرُنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران / ١٩٦ - ١٩٧] .

أما المؤمنون بالله المتقون له ، فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة ، نزلاً من البر الكريم لعباده الأبرار، الذين برت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً ، وفوزاً دائماً : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٤﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْفُونَ مِنْ رَجِيحٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُمْ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين / ٢٢ - ٢٦] .

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يُشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المطففين/ ١٨-٢١] .

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء ، فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة منحة: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٨] .

فله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار من النعيم والبهجة والسرور : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة / ١٧] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه البرّ :

اعلم وفقك الله لأعمال البرّ أن أوائل البرّ أداء الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل ، وبالتوسّع في أعمال البرّ ، والمسابقة إلى الخيرات ، يصعد الأبرار إلى درجة المقرّبين من الله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢] .

فعلبك بتحري الصدق في الأحوال والأقوال والأفعال ، ظاهرها وباطنها ، والتمييز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن ، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً ، ثم فعل البرّ والأحسن مما يحبه الله ويرضاه .

عن النّوأس بن سمعان الأنصاري ؓ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم؟ فقال: « البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » أخرجه مسلم ^(١) .

واعلم أن التبعّد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى ، وتذكّر الآلاء ، والتعرف على مواقع النعماء ، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فأخلص لربك البرّ العظيم العمل ، وأوف له بالعهد ، وخصه بالحب والود ، وأكثر له من الحمد والشكر : ﴿ وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه ، وفيما بينك وبين خلقه .

وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣) .

رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّلِينَ عَفْوَراً ﴿٢٥﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به ، وأعطاك منه ، وأنفق مما حوَّلك من فضله ،
يَخْلِفُ اللهُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهُ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾
[سبأ/ ٣٩].

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة
إليه : ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
[فصلت / ٣٣].

وُغْضَ الْبَصَرُ ، وَاكْظُمَ الْغَيْظُ ، وَاصْبَرَ عَلَى أذى النَّاسِ ، وَاَعْرَضَ عَنِ كُلِّ جَاهِلٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ
مَسِيءٍ إِلَيْكَ ، تَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ ، وَيَنْدَفِعُ عَنْكَ شَرُّهُ : ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو
حِظِّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥].

وَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ عَنِ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، وَأَقْلَبَ عَثْرَاتِ النَّاسِ ، وَأَسَدَلَ السِّتْرَ عَلَى زَلَاتِهِمْ ،
وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ بِالْبِرِّ وَالْجُودِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ يَحْبُكُ اللهُ وَالنَّاسَ ، وَتَحُلَّ عَقْدَةُ عِدَاوَتِهِمْ : ﴿١٩٩﴾ خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وَذَكَرَ الْعِبَادَ بِاللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَلْيَهُ وَنِعْمَهُ ، فَأَكْثَرَ مِنْ يَعْصِيهِ لَا يَعْرِفُهُ : ﴿٢٠١﴾ إِنَّا الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ [الأعراف/ ٢٠١-٢٠٢].

وَأَسْأَلَ اللهُ مُخْلِصاً ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ بَاكِئاً ، أَنْ يَحُلَّ سَخِيمَةَ قَلْبِكَ ، وَيُزِيلَ عَنْهُ كُلَّ مَا يَفْسُدُهُ مِنْ
غُلٍّ وَغَشٍّ ، وَحَسَدٍ وَكِبَرٍ ، وَرِيَاءٍ وَكُذْبٍ .

ثُمَّ يَمَلِّؤُهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ، وَمَحَاسِنِ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ وَالأَخْلَاقِ : ﴿٤﴾ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١).

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران / ١٩٣] .

﴿ رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم / ٨] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمٌ لِي نُورًا » أخرجه مسلم ^(٢).

اللهم يا برّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا .

نسألك أن تكفيننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧).

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرف منه، والرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويسط لهم نعمه لعلهم يتوبون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لَرْءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج / ٦٥).

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة، ويذكرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة/ ٧٤).

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب، في كل وقت؛ لأنه يريد لهم الخير والصلاح: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور / ٣١).

وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق، بما يسر لهم من الأرزاق، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ (النحل / ١٣).

ومن رأفته بعباده أن بين لهم طرق الخير والصلاح، ويسر لهم سبلها، ورغبهم فيها، وأثابهم عليها، وحذرهم من سبل الغي والفساد؛ ليسلموا من العقوبات: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران / ٣٠).

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك / ١٥).

ومن رأفته ﷻ بعباده أن سخر لهم الأنعام يركبونها، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون أوبارها: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بَشِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل / ٥-٧] .

ومن رأفته ومنته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر- لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات، والقطارات، والطائرات، والسفن وغيرها: ﴿ وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل / ٨] .

فسبحان الملك الرؤوف الحق ، الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أولياءه في الآخرة.

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله ، الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين ، والخلق أجمعين .

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الملك الحق ، الذي أنزل على عباده الحق ؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد / ٩] .

واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على من كفر به وعصاه ، ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب

إليه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهله لعله يتذكر وينيب ويتوب:

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٤٥] أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

[النحل / ٤٥ - ٤٧].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم ، الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه ، متوجعاً من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته ، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم ، مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه.

فالعبد بين هذه النوازع ، والفتن ، والغفلة ، موضع للرفاة والرحمة ، وأن يُشفق لحاله ، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّائِبِينَ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣].

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه، وما أعظم رأفته بهم، وما أعظم إحسانه إليهم:

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا لَئِيْلًا لَئِيْلًا ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم ، الذي نعمه عليه كثيرة متوالية ، وهو مُكِبٌ على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [١٦] أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ [الملك/ ١٦-١٨].

• التبعيد لله تَجَلُّلاً باسمه الرؤوف :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به ، والتطهر له ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وعلى قدر ارتقائك في التبعيد

له بمقتضى أسمائه وصفاته ، على طريقة رسوله ﷺ ، يكون قربك منه .

وعلى قَدْرِ قَرِيبِكَ مِنْهُ تَكُونُ عِنَايَتُهُ بِكَ ، وَعَظْفُهُ عَلَيْكَ ، وَلَطْفُهُ وَرَحْمَتُهُ بِكَ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩] العنكبوت / ٦٩ .

فاذكره يذكرك ، وابعده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك ، وكن له يكن لك ، والبس له لباس التقوى ، تظفر بكل ما تحب في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِهِمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِيهِ أَتَيْتُهُ هَرُوْلَةً » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه ، وأعرض عنه ، وعمل بما يسخطه ، وأصر على ذلك : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٢٨] محمد / ٢٨ .

فاحذر أن تعصيه بنعمه ، وتجاهره بالفواحش وهو يراك ، فإن عفوه كريم ، وأخذه أليم شديد : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ [٥٠] الحجر / ٤٩ - ٥٠ .

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم ، أنه يذودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ، ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ، ونبههم من سِنَّةِ غَفَلَاتِهِمْ ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره ، تنال بره وإحسانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [٢٠١] الأعراف / ٢٠١ .

والله تعالى حكيم عليم ، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم ، والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه ، وينسيهم إياه ، من كثرة الأموال التي تشغل

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

فسبحانه ما أحكمه في تدييره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضرراء وهو بغاية الرحمة، تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر/ ١٣-١٤].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(١).

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك، وتقضي آجالنا في طاعتك، وتشغل ألسنتنا بذكرك، وتستعمل جوارحنا في عبادتك، يا رؤوفاً بالعباد، اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا أرحم الراحمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

القريب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته ، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ، ومن مجرى الروح فيه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمَّا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَخَنُ أَوْقَبُ إِلَيْهِمِنَ جَبَلٍ الْوَرِيدِ﴾ [ق / ١٦].

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السماء والأرض، ويسمع دعاء من دعاه، ويجيب دعوة الداعي، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به ، لا إله إلا هو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

وهو سبحانه القريب اللطيف ، الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا هادي إلا هو: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبا / ٤٩ - ٥٠].

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان :

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به، ومشاهدته له، وإحاطته به، ومراقبته له، فلا يخفى عليه مثقال ذرة منه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمَّا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَخَنُ أَوْقَبُ إِلَيْهِمِنَ جَبَلٍ الْوَرِيدِ﴾ [ق / ١٦].

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبه ، ومن آثاره : لطفه بعبده ، وعنايته به ، وإجابة دعوته .

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه ، مَنْ كانوا ، وأينما كانوا ، وعلى أي حال كانوا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورجب إليه في التوبة، وهو سبحانه العلي الأعلى، الذي استوى على عرشه، المحيط بكل ذرة في ملكه، القريب من كل مخلوق في ملكوته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان الملك الحق، العزيز الجبار، الغني الكريم، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته، وحباً لهم، وتحناً إليهم: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِلُّ عَلَى عَبْدِهِ مِمَّا آتَيْتَ بِبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَزِيزٌ ذُو رَحْمَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه ^(١).

واعلم أن من أثار الله قلبه بالإيمان، وأزال الحُجُبَ عن بصره وبصيرته، سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسييح، وأصوات تخطب بالتوحيد، وشاهد استسلام الملك والملكوت لذي العزة والكبرياء والجبروت: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْنَ ظِلْمَهُ عَنِ الْأَيْمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه، وصدق الافتقار إلى الغني، وذل الانكسار بين يدي الملك، يكون قدر العطاء، وحسن الثناء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

فلا إله إلا الله، من صعد بقلبه، ونظر في الملكوت، رأى ملكاً عظيماً، وصنعاً بديعاً،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

وخلقاً كثيراً، يراه البصر- ، وتشهد به البصيرة : ﴿فَسَبَّحْنُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس / ٨٣].

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد ، ولا وراءه منتهى ، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله .

الملك الحق المبين ، والرب العلي العظيم ، والغني القوي العزيز ، والعمو الغفور الرحيم ، والحي القيوم الكريم ، والكبير الجبار المتكبر ، الذي له جميع الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمَّتُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر / ٢٢-٢٤].

وكلما قُرُبَتْ أيها المؤمن منه قَوِيَتْ دلالة الدالين عليه ، وكثرت إشارات المشيرين إليه : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩) [الأنعام / ١٩].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی ، ورآه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلق ويرزق ، ويكرم ويهين ، ويأمر وينهى ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع : ﴿ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

أترى هذا العبد المكرم يتعداه إلى سواه ، أو ينشغل بغيره عنه ، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِتَائِبِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿نُتَجَفَىٰ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءَٰ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة / ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق، الذي تجلّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرز معرفته وهيبته في جميع مخلوقاته، فخضعت لجلاله، وسجدت لعظمته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٠) [النحل / ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه القريب من خلقه، الذي يرى أشخاصهم، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤) [الحديد / ٤].

وهو سبحانه القريب، السميع البصير، العليم بكل شيء، فهو مع الداعي إذا دعاه، ومع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، هو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمال والولد.

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أقربه من عباده، وما أكرمه لمن أطاعه، وما أحلمه على من عصاه: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء / ٤٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرنا على وادهلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ» متفق عليه^(١).
وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ».

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقَيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له.

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى.

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم، وسماعه لنجواهم، وشهوده اللطيف لأحوالهم، فهو القريب منهم، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه القريب:

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته، القريب والبعيد كله عنده قريب، والكبير والصغير كله عنده صغير؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده المُلْك والملكوت: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِيهِ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس / ٨٣].

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، تكون بالقرب منه يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

وأخلص أعمالك لله، وأحسن عبادة ربك: ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء / ٢١٨-٢١٩].

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل، والخُلُق والمال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف / ٥٦].

وقرب الناس إلى ربهم، وذكرهم بنعمه وآلائه، وبيّن لهم عظمة أسمائه وصفاته؛ ليعظموه ويكبروه، ويحمدوه ويشكروه، ويتقربوا إليه ويعبدوه، ويستفيدوا من بركات خزائنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَدَقًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].

وتقرب إلى القريب منك ﷻ، وأكثر من السجود له يقربك منه، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله، وهي الدليل على صحة الإيمان.

فاتق الله حيثما كنت، وتقرب إليه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واعلم أنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) [المائدة / ٢٧].

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حقك، وإنما تجد البعد كله في حقك أنت، فتقرب إليه بما يحبه ويرضاه يقرب منك، وتنزل مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى، واتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) [آل عمران / ٣١].

﴿رَبِّ أَوْزَعْتَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي إِنَّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) [الأحقاف / ١٥].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم (١).

اللهم يا قريباً غير بعيد، ويا شاهداً غير غائب، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا كاشف الكرب، يا مجيب دعوة المضطر، يا سميع يا بصير، أسألك الهدى والتقوى، والعفاف والغنى، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

اللهم قني شر نفسي، ولا تكلني إلى نفسي. طرفة عين، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني، وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا سميع يا قريب.

المجيب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴿هود/ ٦١﴾ .

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داع وسائل على اختلاف اللغات ، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وهو ﷻ وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجيب دعاءهم ، الذي يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا خَلْفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل / ٦٢] .

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب ، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر الدهور .

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وله خزائن كل شيء ، الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها ، فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

فليس في هذا المَلِكِ الكبير ، والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق ، ومَلِكٌ وعبيد ، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر / ٦٠] .

والله واسع كريم ، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال ، ويعطي السائلين ، ويجيب الداعين إذا دعوه ، من كانوا ، وحيث كانوا .

وكل ذلك كتبه الله وقدره ثم أظهره: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِجٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء، وقدر على كل شيء، وكتب مقادير كل شيء.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم ^(١) .

واعلم أن من حُبَّ الله ﷻ لإجابة السائلين ، ودعاء الداعين ، أن عَرَّفَ عباده بأسمائه وصفاته ، وأمرهم أن يدعونه بها ، وبين لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء ، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه ، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم ، أعطاهم من كل ما سألوه ، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

والله ﷻ العطاء أحب إليه من المنع ، كريم لا يرد سائلاً أبداً ، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، ليُقرب من عباده ، ويقضي حاجة من سأله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(٢) .

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض ، ويعجب جميع أسئلة السائلين ، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدنيوية والدينية ، كما يسألونه الهداية والرحمة ، والمغفرة والإعانة على الطاعة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به ، ودوام ذكره ، والأنس بمناجاته ، وتدبر كتابه ، والتفكير في مخلوقاته ، والاعتبار بآياته ، آتاه رحمة من عنده ، وعصمه مما يعده عنه ، واستوجب

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

القرب منه بحسن عبادته له ، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتَ ءَاتَاءَ
 اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا
 يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

وكذا الإكثار من الطاعات ، والزهد في الحلال ، والاقتصار على الكفاية ، وترك ما لا يعني ،
 واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام ، وترك الحرام ، واجتناب الفواحش والآثام ،
 ولزوم الذكر والاستغفار ، وحسن التوكل على الله ، وصدق التوبة إليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ
 اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي
 بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ
 الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ،
 وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » أخرجه مسلم ^(١) .

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ، ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه ، ومحادثة
 الملائكة له .

عن أنس رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت : نافع حنظلة ، قال سبحان الله
 ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا
 خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا .

قال أبو بكر : فوالله إنا لتلقى مثل هذا فأنطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت :
 نافع حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قلت : يا رسول الله نكون عندك
 تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
 وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فقال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدْمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَظَلَّةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » أخرجه مسلم ^(١) .

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه، بل كاد لو أقسم على الله لأبره.

عن أنس رضي الله عنه أن الرُّبِيعَ بنت النضر- كسرت ثنية امرأة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص، فقال أنس : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تُكسر- ثنتيها ، فرَضُوا بالأرْش ، وترَكُوا القصاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » أخرجه البخاري ^(٢) .

ومن لم يبلغ تلك الدرجة، فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله ؛ بل فضل منه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة / ٢٤٣) .

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة / ٣٩) .

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه إلى الماء ليلغيه وما هو ببالغه ؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد / ١٤) .

واعلم أن الكافر في حال الاضطراب والشدة يرجع إلى الفطرة ، فيوحده ربه ثم يدعو، فإذا قضى الكريم حاجته عاد إلى كفره وشركه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) (النحل / ٥٣ - ٥٥) .

والله عز وجل غني كريم يجيب كل سائل، ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وإجابة الرب لمن سأله من عباده تنوع، وتُعجّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦) .

يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خلقه وصوره .

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا ، أو ادّخرها له في الآخرة ، أو صرف عنه من السوء مثلها .

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله ، فيجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿سَأَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢١) ﴿[الرحمن / ٢٩] .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١) .

والله تعالى له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وهو الكريم الذي لا أكرم منه ، ولا منتهى لكرمه ، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه ، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة .

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه، وربما قيّضهم للسؤال والدعاء تعبداً منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره ، وإظهاراً لفقدهم إليه ، فيجيب سؤالهم ، إلا أنهم لا يسألونه دنياً ، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم ، و حماية لهم مما يشغلهم عنه ، وبعدهم منه : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢) ﴿[الشورى / ١٢] .

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه ؛ ليتفرغوا لعبادته وطاعته ، والدعوة إليه .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله ﷻ مع الإيمان أمرين عظيمين هما: العبادة والدعوة .

وفرغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك ، وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاهما ما أعطاهم .

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا ، فأجاب الله دعاءهم ، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٧ - ٨٨] .

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعهم في الخيرات إليه: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٩] فاستجبتنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له ، وزوجه لهم كانوا يسرعون في الأخيرات ويدعوننا رعباً ورهباً وكانوا لنا خشعيين ﴿ [الأنبياء / ٩٠ - ٩١] .

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه ؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال ، ويعطي الكثير على العمل القليل ، ويقبل التوبة من المسيء ، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطاءه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

● التبعذ لله ﷻ باسمه المجيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه ، وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء .

فسل ربك الهداية ، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة ، فإنه حي قيوم ، يحب أن تسأله ليجيبك: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعملٍ حسنٍ عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرملك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذلك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيئٌ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٦١﴾ [الزمر/ ٩].

واعزم المسألة ، فإن الله لا Mukرِه له ، وأكثر من الدعاء ، فإن الله لا يمل حتى يمل العبد.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» متفق عليه (١).

وتزين لربك بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله، ولرسوله ، وكتابه ، وأئمة المسلمين ، وعامتهم : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبره ؛ لحسن ظنه بالله، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته، فاجتهد لعلك تزكو : ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [فاطر/ ١٨].

واحرص على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبّد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [القصص / ٧٧].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢).

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد ﷻ : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

وقفنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء / ١٠١-١٠٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْمَوْلَىٰ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه^(١) .

اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب .

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

الشكور.. الشاكر

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ تَقْرُؤًا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَكُم وَيَغْفِر لَكُم وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن / ١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء / ١٤٧] .

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠ / الأنعام].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر.

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [٦ / العنكبوت].

وهو سبحانه الشاكر الحق، الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويثيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِن تَقْرَؤُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٧ / التغابن].

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويذكر مَنْ ذكَّره، ويزيد مَنْ شَكَرَه، ويرحم من استرحمه من عباده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [٢٩] لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر / ٢٩-٣٠].

ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً كثيرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٥].

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي ولا تضاعف، ويمحوها بالتوبة والاستغفار، ثم يبدلها حسنات، ثم يضاعفها؛ لأنه وحده الغفور الشكور.

ومن كفر بالله، وفعل الكبائر من قتل أو زنى، ثم مات ولم يتب، ضاعف له العذاب يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨] يُضَعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ

عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴿[الفرقان / ٦٨ - ٧٠].

واعلم رحمك الله أن جميع النعم التي يتنعم بها الخلق من رزق وعافية، وأمن وسرور، وأهل ومال وولد، كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا يَكُفِّرُكُمْ مِنَ نِعْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالَيْهِ تَجْرُؤُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل / ٥٣].

وواجب جميع الخلق أن يشكروا ربهم على كل نعمة، باستعمالها في طاعته، والتقرب بها إليه، فإن كفرها ولم يشكروها، تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجْبُكُمْ لِيِنَّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم / ٧].

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويثني عليه، ويشبهه على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَالسَّيْفُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة / ١٠٠].

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء، أفلا يشكرون له حُسن الكرم والعطاء: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر / ٦١].

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله، وبيده الخير كله.

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية، ويشكر بها من أطاعه، ويشبهه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده ويرحمهم، ولا يحب عقابهم: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء / ١٤٧].

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال؛ لما يرى من عظمة جلاله، وعظيم خلقه وآلائه، وكريم عطائه وإحسانه: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل / ١٧ - ١٨].

فسبحان من أكرم عباده بكل شيء، وأعطاهم كل شيء، ورزقهم من فضله، وأطعمهم من رزقه،

وأسكنهم في أرضه ، وأكمل لهم دينه ، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى .، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما أعظم نعمه على عباده ، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه : ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والله ﷻ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم ، لنفع أنفسهم ، ومواساة بعضهم ، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة ، وخبأ لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر ؛ لأنه الغفور الشكور : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة / ٢٤٥].

فسبحان الرب الشكور ، الشاكر لعباده ، الذي لا يضيع عنده عمل عامل ، بل يضاعف الأجر بلا حسابان ، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين ، ويذكر الذاكرين ، ويتقرب إلى المتقربين : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجِبًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْفِئْهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران / ١٤٥].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه (١) .

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذي أنعم به عليه ، وأعاناه على إنفاقه في سبيل مرضاته .

وإذا ترك العبد شيئاً من أجله ، أعطاه أفضل منه ، واستعمله في طاعته .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة، ووقفهم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك.

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة / ٢٦١].

ويجزى الشكور على العمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي ، عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة.

فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيله ، أعاضهم الله بأن حجب إليهم الإيمان ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وصلى هو عليهم وملائكته ، وجعل لهم أطيب الشاء في السماء والأرض: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤٣].

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله ، أعاضهم عنها أن فتح لهم البلاد ، ومَلَكَهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور / ٥٥].

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه وأطاعه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود / ٦١].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير ، وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ

تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ [الإسراء / ١٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أخرجه مسلم ^(١).

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ النَّارِ بِأَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُعْطِي أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا وَعَمَلًا مِثْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ.

وَمِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبَادِهِ يَقُومُ لَهُ مَقَامًا يَرْضِيهِ بَيْنَ النَّاسِ فَيُشْكِرُهُ لَهُ، وَيُنَوِّهُ بِذِكْرِهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ، كَمَا شَكَرَ لِصَاحِبِ يَسَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس / ٢٥-٢٧].

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي؛ لأنه كريم شكور، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [يونس / ٦٠].

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الشُّكُورُ :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها.

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم، المحسن الشكور، الرحيم الغفور، ويبغض العبد الكافر البخيل، الظالم الفاسد، المجرم الخائن.

ولما كان الله هو الشكور الحق، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها، واتصف بضدها.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى ، فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين .. شكور
 يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين .. عفو يحب العافين .. جميل يحب أهل
 الجمال .. كريم يحب أهل الكرم : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

ويبغض الكافرين والمشر-كين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى-
 أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
 كَفُورٍ ﴾ [الحج/ ٣٨] .

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها ، والنعم التي
 يجددها ، وذلك باستعمالها في طاعته ، والعمل بما يرضيه ، واجتناب ما يسخطه : ﴿ وَإِذْ
 تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين ، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليشكروه : ﴿ وَلَقَدْ
 كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
 تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر ،
 والعقل والقلب وغيرها ؛ ليتذكر هذه النعم ، ويشكر من أنعم عليه بها : ﴿ وَاللَّهُ
 أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨] .

فكن من الذاكرين الشاكرين ، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك ،
 يذكرك ربك ، ويزيدك من فضله ، ويسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ
 رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
 تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢] .

واذكر ربك كثيراً ، وسبح بحمده كثيراً ، واشكره كثيراً ، وكبره تكبيراً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا
 اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّن

الظُّلْمَتِ إِلَى التُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده، على كل خلقٍ خلقه ، وعلى كل أمرٍ أمره ، وعلى كل رزقٍ يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر / ٦١].

وقد غر الشيطان أكثر الخلق ، فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه من دون الله ، مع ظهور البرهان للبصير والأعمى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت / ١٧].

فلا إله إلا الله ، كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غرَّ منهم وصرَّفهم لعبادته من دون الله : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ ابْنُ آدَمَ إِذْ قَالَ لَهُمْ اتَّبِعُواهُ فَإتبعوه إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا / ٢٠].

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على ما يأتيك من الأذى في سبيله، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر / ١-٣].

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه ، لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشتغل عنه بنعمه ، ولا تتبع هداه بهواك : ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر / ٦٦].

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل / ١٩].

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص / ١٧].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه ^(١) .

يا من له خزائن السموات والأرض ، يا واسع العطاء ، يا سايع النعم ، يا دافع النقم ، يا رب العالمين .

اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

المقالة الحليم

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم ، الذي يُدِرُّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة معاصيهم ، وتكرار زلاتهم ؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده ، يمهلهم كي يتوبوا وينبوا ، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم : ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة ، الذي لا يعجل على من أذنب بالعقوبة ، الحليم

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

على من كفر به وأشرك من خلقه ، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه ، لعله يتوب إلى ربه ، ويستغفر من ذنبه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها ، ولا يؤخرها عن وقتها ، ولا يُعجلها قبل أوانها .

فسبحان الحليم الغفور ، الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم ويؤخر العقوبة ، لعلهم يتوبون ، ويستر على آخرين ويغفر ، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَلَا لَكِنَّ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر / ٤٥] .

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة ، وتركه معاجلتهم بالعقوبة ، ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء ، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم ، لعلهم يتوبون إليه : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٢٧] .

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد ، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب / ٥١] .

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ، ويصفح عنهم ، رحمة بهم ، مع استغنائه عنهم ، وشدة حاجتهم إليه : ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم ، ولكنه كريم رحيم يرزق العصاة كما يرزق المطيع ، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البرّ التقي ، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يقى الناسك الذي يؤمن به ويعبده .

فسبحانه ما أوسع حلمه ، وما أعظم رحمته بعباده : ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْمُلُكَ

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أذَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله حلیم على عباده ، رؤوف بهم ، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون ، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم ، فيزيدون في الإعراض والمعاصي .

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال ، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنَّكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال / ٣٢].

واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط ، أما في الآخرة فهم مخلدون في النار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة / ١٦١ - ١٦٢].

والله غفور حلیم ، ولو لا حلمه على الجناة ، ومغفرته للعصاة ما ترك على ظهر الأرض من دابة : ﴿ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَا كُنَ يُؤَخِّرُهُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبَى اللَّهُ كَانِ عِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر / ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض تستأذن السماء والأرض أن تقع وتزول من شدة ما يأتي به العباد من الكفر والفسوق والعصيان ، وتكاد تنفطر من ذلك ، ولكن الحلیم يمسكها ؛ لئلا تزول وتقع على من عصى - الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الحلیم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى ، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال / ٣٣].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) .

فَدَفَعَ الْحَقُّ سُبْحَانَكَ تِلْكَ بِتِلْكَ ؛ لِأَنَّهُ الْحَلِيمُ الرَّحِيمُ الَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، وَسَبَقَ حَلْمُهُ عَقُوبَتَهُ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» متفق عليه ^(١).

فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كُفِرَ الخلق، ومعاصيهم، وظلمهم ، أرضاه تسييح الملائكة الذين يملؤون السموات ، وتسييح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له ، وعبادتهم له : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٣٧] فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت/ ٣٧-٣٨] .

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وحده لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له .

والمخلوق قد يسميه ربه ﷻ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليفة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

والحلم نور الباطن في العبد ، وزَيْنُ الظاهر منه، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، وتوجيهها لمن ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي الحكمة .

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق ﷻ ، وكلُّ يوتيه الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقر/ ٢٦٩] .

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به ، لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤] .

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم ، وتدبيره الحكيم ، ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون .

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يصبر عليه .

وهذه حكمة في خلقه وأمره ، فصلها من نعوت جلاله ؛ ليعبد بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) [الأعراف/ ١٨٠] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .

يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحد من يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين .

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ غَيْبٍ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

فسبحان الله ما أعظم أسمائه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ،

أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ» متفق عليه (١).

هو ﷻ الملك القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء.

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق، بيده الملك والخلق والأمر كله.

هو الملك الغني القوي، الذي تفرد بالملك والملكوت، الذي لا يعبأ بما سواه، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) [المؤمنون / ٧١].

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به، ويعبده، ويطيع أمره: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء / ١٩-٢٠].

وجعل في الأرض من يؤمن به، ويصدق رسله، ويعبده، ويطيع أمره، كما جعل فيها من يكفر به، ويكذب رسله: ﴿يُشْرِكُ بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ كَفَرٍ وَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢) [التغابن / ١-٢].

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ورغبهم في الإيمان والطاعات، وحذرهم من الكفر والمعاصي، وبيّن لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان / ٢-٣].

فلا إكراه في الدين، ولا يخرج أحد عن مشيئته وعلمه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، والله عالم بما كان وما يكون.

فمتى يفقه مَنْ حَبَسَهُ الشَّيْطَانُ أَوْ الْهَوَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له.

﴿٢١﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴿[الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ، ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك فيرهبوه، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره .

أما صفاته العليا ﷻ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كقوله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته ، وإمهاله وترك معالجة الظالمين بالعقوبة ، مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله .

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده ، يعافيههم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة / ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار ﷻ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم: ﴿ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجُدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف / ٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم حلم الله ، وإحسانه ، وبعفوه ، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الرحمن الرحيم ، الذي كتب على نفسه الرحمة ، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تُمَرَّتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام / ٥٤].

ألا تراه ﷻ وهو رب العزة والجلال، والجبروت والكبرياء ، القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها ، لعلهم يرجعون إليه ، لسعة حلمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥].

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم .. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل .. ويستتر حتى كأنه ليس يبصر .. ويُنعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه .. وبإيذاء أوليائه يسرونه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الواسع الكريم الحليم ، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، ومغفرة وحلماً ، اللهم لا تؤاخذنا ﴿ بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فَنَنكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحليم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه ، أن يحلم هو على من خالف أمره ، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق ، وتستجلب بحلمك بهم لك ، ورضوان الله عنك : ﴿ وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور / ٢٢].

وكما تحب أن يحلم عليك مالكك ، فاحلم أنت على من تملك ، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، وكره لغيرك ما تكره لنفسك ، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿[القصص / ٧٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ ، أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه^(١).

واحذر غاية الحذر أن تعصي- ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك ، فتتمادى في عصيانه ، وتتكلم على عفوه ، مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم ، فإن أخذه أليم ، وبطشه شديد : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

فسبحانه ما أعظم حلمه مع كمال علمه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٥١].

وإذا علمت عظمة ربك، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، ورأيت شدة بأسه، فبادر إلى طاعة ربك الحليم الغفور الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم: ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فعدلك ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦ - ٨] .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٦].

واشكر من أنعم عليك بنعمه ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله؛ لتنال أجراً لا تحلم به: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر / ١٠] .

ويسهل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله ، معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له.

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله .

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة : ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج / ٥] .

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّنَا الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾ [الروم / ٦٠] .

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، والعافية بعد البلاء ، ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً : ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ، ولك العاقبة الحسنی في الدنيا والآخرة : ﴿يَبْنِي أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا مَّعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان / ١٧] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران / ١٤٧] .

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة / ٢٥٠] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

يا جزيل العطايا والمواهب ، يا واسع الرحمة والمغفرة ، يا رؤوفاً بالعباد .
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .
اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ،
وإذا منعوا حمدوا ، وإذا ابتلوا صبروا ، يا أرحم الراحمين .

العفو

قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُحْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٩].

الله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، وسع عفوه الورى، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر
عن عباده من الذنوب: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان موصوفاً، وكل
أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته، كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته ، كما هو
مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء / ٨٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعتو عنهم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٣٩) وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف / ١٩٩ - ٢٠٠].

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم، والانتقام منهم، وحرمانهم من نعمه: ﴿ وَعَدُوا نِعْمَةً أَلَّهِ لَا تُخْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨) [النحل / ١٨].

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم إذا تابوا، وأنابوا، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي، ثم تاب إليه ورجع، فرح بتوبته، وغفر له جميع ذنوبه: ﴿ قُلْ لِيَعْبُدِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) [الزمر / ٥٣].

واعلم رحمك الله أن من عفا الله عفا الله عنه، ومن غفر الله غفر الله له، ومن أحسن الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) [التغابن / ١٤].

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق، ورغب في الحلم والصبر على الأذى، وقبول الأعداء من سائر الناس، رجاء رضوان الله وغفرانه: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْأَفْضَالِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢) [النور / ٢٢].

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس، فسيعطيه أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) [الشورى / ٤٠].

فسبحان الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم ^(١).

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته عز وجل، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته عز وجل وسعت جميع المخلوقات والسيئات، والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ ^(٤٣) [النساء / ٤٣].

والكفر، والشرك، والذنوب، والجرائم، والتقصير الواقع من الخلق، كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن عظمة عفو الله، وسعة مغفرته ورحمته، تدفع هذه الموجبات والعقوبات: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ^(٤٥) [فاطر / ٤٥].

وعفو الله عز وجل نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم، برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالشرك والسب والمعاصي، ويعصونه بنعمه، وهو يعافيهم ويرزقهم، ويمهلهم ولا يهملهم، وقد يتبليهم بالمصائب، لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ^(٣٤) [إبراهيم / ٣٤].

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ^(١١) [النحل / ٦١].

الثاني: عفوه الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين، والعابدین والداعين، والمصابين وغيرهم، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه، وغفر له، مهما كان

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

ذنبه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٤].

فسبحان من وسع حلمه و عفوهُ العالمين ، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام ، والثواب أحب إليه من العقاب .

● التبعيد لله ﷻ باسمه العفو :

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ ، ولو لا حلمه و عفوهُ على من كفر به و عصاه لعاجله بالعقوبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١].

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكرهم به ويردهم إليه ؛ ليستغفروا ويتوبوا : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون / ٧٦] .

فإياك والإصرار على ما يسخط ربك ، فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٥].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيدهِ وعبادته بما شرع ، وتحصيل الصفات التي يحبها الله ، وهي أسماؤه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

ومقصوده من خلقه في الآخرة تكميل الشهوات التي يحبها العبد، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة، وتعذيب من كفر به و عصاه بالنار : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦] .

فاعف عن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأعط من حرَمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واصفح عن آذاك ، واصبر على ما أصابك : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

[الأعراف / ١٩٩] .

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك ، ويشيك أجزل الثواب : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ وَلَمَنْ أُنْصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٤١) ﴿

[الشورى / ٤٠ - ٤١] .

واعلم أن العفو خلقٌ عظيم، لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك ، تنال من ربك العفو والغفران ، والجنة والرضوان : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوْنَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) ﴿

[آل عمران / ١٣٣ - ١٣٥] .

واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فأتبع السيئة الحسنة تمحها : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤) ﴿ [هود / ١١٤] .

ومن عفوه سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته ، فاصبر واحتسب؛ لتنال أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠) ﴿ [الزمر / ١٠] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) ﴿ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٨١) ﴿ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » أخرجه أحمد وابن ماجه (١) .

يا عظيم العفو والصفح ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وسره وعلايته ، يا عفو يا كريم .

الغفور.. الغفار.. الغافر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٥٣] ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [٦٥] ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ [ص / ٦٥ - ٦٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ ﴾ [٣] ﴿٣﴾ [غافر / ٣] .

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويستر عيوبهم ، ويصلح أحوالهم .

وهو سبحانه الغفار السَّتِير ، الذي يستر ذنوب الخلق ، فلا يكشف أمر من عصاه ، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم / ١٠] .

وهو سبحانه العزيز الغفار ، الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره ، وإذا عاقب أوجع ؛ ليعلم العباد

سعة مغفرته ، وشدة عقوبته ، فيطيعونه ويعبدونه: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠] .

وهو سبحانه الغافر الحق ، الذي يستر على المذنب ذنبه ، ولا يؤاخذ به فيشهره ويفضحه ، لعله يتوب إليه ويستغفره : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان العفو الغفور ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالعفوان موصوفاً .

وكل الخلق مضطر إلى عفوهِ ومغفرته ، ومضطر إلى رحمته وكرمه ، ومضطر إلى حفظه وعونه : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥] .

وهو سبحانه الغفور الغفار الحق ، الرحيم بعباده ، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم ، صغيرها وكبيرها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص / ٦٦] .

وهو الكريم الذي ينادي المذنبين ، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار ، ليغفر لهم : ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر / ٥٣] .

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت ؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [النجم / ٣٣] .

والله ﷻ غفور رحيم ، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات ، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم ، لكمال حبه للعفو والإحسان إلى خلقه .

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر ثم تاب تاب الله عليه ، ومن لم يتب يضاعف له العذاب ، ويخلده الله في النار ، بسبب كفره وذنوبه : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَنَحْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴿[الفرقان / ٦٨-٧٠].

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش ، فيقترفها بحجة أن الله غفور رحيم ؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين ، الذين عملوا السوء بجهالة : ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء / ٢٥].

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ، ورحمة عظيمة للعباد ؛ لأن الله غني عن العالمين ، لا ينتفع بالمغفرة لهم ، ولا يضره كفرهم ، كما لا ينفعه إيمانهم ، ولا يغفر لهم خوفاً منهم ؛ لأنه ﷻ غني قوي عزيز : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر / ٢٨].

ولا زال ولا يزال ﷻ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم ، فمن تاب إليه قَبِلَ تَوْبَتَهُ وَغَفَرَ لَهُ ، ومن أصر على المعاصي ، وأبى التوبة ، عاقبه بجرمه : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد / ٦].

فسبحان مالك الملك ، العزيز الغفور ، الذي يجود على جميع العباد بالمغفرة والرحمة ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويقلل عثراتهم ، ويضاعف حسناتهم : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران / ١٢٩].

والله ﷻ غفور رحيم ، يغفر للمستغفرين ، ويغفر لمن لم يستغفره ؛ لأنه هو الغفور ، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء / ١١٠].

والله ﷻ عفو غفور ، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة ، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۗ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء / ١١٦].

ولمَّا يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه ، وسعة مغفرته ورحمته ، ومحبته لذلك قال ﷺ :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُدْنِيُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل أن يغفر الله من الذنوب ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٢٥].

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان:

الأول: عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴾ [الكهف / ٥٨] .

الثاني : خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا ، غفر الله لهم سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الغفار الحق ، الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم إذا استغفروه وتابوا إليه ، من مؤمن ، وكافر ، ومشرك ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

● التبعيد لله ﷻ باسمه الغفور:

اعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ أرف من ملك ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل ، وأرحم من قدر ، وخير من غفر فاللهم ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته، فهو رب كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، ومغفرته

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

وسعت كل ذنب .

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن ، ما تعلمه منها وما لا تعلمه ، فإن ربك واسع المغفرة ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، واغفر لمن أخطأ في حقك ، يغفر الله لك .

وبادر رحمتك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووضع نعمه بين يديك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم/ ٣٢].

فاستح منه ، ولا تستعمل نعمه في معصيته ، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه ، فإن عصيته فاستغفره ، فإنه غفور رحيم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك ، فقف خاشعاً بين يديه : ﴿ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [٢٥] وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ [الإِنسان/ ٢٥-٢٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١).

ثم استغفره من كل ذنب ، واسأله العفو عن كل هفوة ، وستر كل زلة ، من تقصير في عبادة ، أو رياء في عمل ، أو ترك واجب ، أو تأخير فرض ، أو إهمال حق ، أو ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨).

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات ، كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات ، والله كريم يشكر هذا ، ويغفر هذا ؛ لأنه الغفور الرحيم : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واعلم أن حق الله عظيم ، وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر- ، فإن أردت الفلاح والنجاة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر/ ٣].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(١).

الحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

[آل عمران / ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم / ٤١].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(٢).

يا عالم الخفيات ، يا كريم العطيات ، يا غافر الذنوب ، يا ساتر العيوب ، يا واسع المغفرة والرحمة . نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همأً إلا فرّجته ، ولا كرباً إلا نفّسته ، ولا ضراً إلا كشفته ،
ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الودود

قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به ، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا
والآخرة .

وهو سبحانه الودود المحبوب ، الذي يوده ويحبه خلقه لذاته ، وجلال وجمال
أسمائه وصفاته ، وجزيل نعمه وإحسانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويؤدّ من أناب إليه ، ذو المغفرة لمن تاب إليه ، الودود لأهل
طاعته ، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ، المحسن إليهم لأجلها ، المادح
لهم بها ، المثيب لهم عليها : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ١٠٠] .

وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين ، ويحب التقوى والملتقين .

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه ، ويبغض من عصاه .

يحب المؤمنين والتمتقين، ويحب التوايين والمتطهرين، ويحب الصابرين والصادقين،
ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾
[آل عمران / ٣١-٣٢].

ويكره الكفر والكافرين والمشركين، والكاذبين والمستكبرين، والمنافقين والمعتدين، والظالمين
والمفسدين، والمسرفين والخائنين وأمثالهم.

وهو سبحانه الودود وبكثرة إحسانه، الذي يوده عباده ويحبونه، المستحق لأن يُود ويُعبد
ويُحمد لكمالهِ وجلالهِ وجمالهِ، وعظيم إحسانهِ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه، ويتودد إليهم بنعمه المتواليّة،
ويحب لقاءهم، وقنوتهم له، ويفرح بتوبتهم إليه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة / ١١٧].

فسبحان الغفور الودود، الذي يحب عباده المؤمنين به، الموحدين له، العابدين له، وهم
يودونه ويحبونه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولما خصهم به من الهداية
إلى الإسلام، وجزيل الإحسان والإنعام.

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به، وود الرب
لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه، وإيثاره لمرضاته، ومحبته له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم / ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك،
وأنزل لك القبول في الأرض، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ
فَلَانًا فَأَحْبَبْتُهُ، قَالَ: فَيَحْبِبُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ فَيَحْبِبُهُ

أَهْلِ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ .

وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا حَبْرِيْلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيَبْغِضُهُ حَبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيَبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوَضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ « متفق عليه ^(١) .

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وَوَدَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ هَبَّةً مِنَ الْوُدُودِ الْحَقِّ ، جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ فَوَدَّ رَبَّهُ بِهِ ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْخَلَائِقِ الْوُدَّ لَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم / ٩٦] .

ومن أحبه الودود ، وأحب هو الودود ، رأى نعمه ابتلاء ، ورأى منعه عطاء ؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاكر ، لكن من نوع آخر : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ١٧ - ١٨] .

فهذا العبد الرباني المقرب ، يجازيه الودود الحق بكل ما يسره في الدنيا والآخرة من لذيذ مناجاته، والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة / ٢٢] .

ويعذره في زلله ، ويضاعف حسناته ، ليزيد له في ثوابه : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس / ٢٦] .

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله ، مقته لكفره واستكباره ، وسخط عليه ، لكراهيته الحق ، وصدده عنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له .

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة / ١٦١-١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن ، أتاح له العليم الخبير ما يفسده به من رياء ، أو عجب ، أو آفة تحبطه أو تبطله ، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه ، وإن ابتلاه عاقبه ، وإن همم بخير قيض له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر / ٣٤].

فعرَّفَ إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته ، فمعرفته توجب تعظيمه ومحبته ، ومن أحب الله فليحبه الحب كله ، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسلم ، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبَكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد / ١٩].

فعليك بشكر الغفور الودود ، ودوام الذكر له ، والعمل بما يرضيه وقبول أحكامه .

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوبه بظاهره وباطنه ، فإن لم يمكنه فبقلبه وروحه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُهَا أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله ، وجمال وكمال أسمائه وصفاته ، وحنة منه على المحبين لغيره ، لم أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولم أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة / ٧٦].

لماذا لم يحبوا الملك الحق ، الذي بيده جلب كل خير لهم ، ودفع كل شر عنهم : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب :

فتارة يكون بالإنعام والإكرام كقضاء الحاجات ، وسعة الرزق ، وإجابة الدعوات ، والحباء بالكرامات ، وخفي الكفايات : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر ، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب، ويسأل فلا يعطى، ويستغيث فلا يكاد يغاث، ليس لهوانه على محبوبه الحق، لكنه سبق له في أزل أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ [المعارج / ٥].

ويشدد به الأمر مع حسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

فسبحان الودود الحق ، الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة ، ونعمه الكثيرة ، وألطفه الخفية : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ [هود / ٩٠].

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده ، وتودد إليهم ، بحسن أفعاله ، وجزيل إنعامه ، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه ، والفضل كله راجع إليه .

فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به ، ويجلب قلوبهم إلى وده ، بما عرفهم من أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى - : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وهو الرحيم الودود الذي فرج عنهم الكربات، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بين لهم الدين الحق ، وهداهم إليه ، وحببه لهم ، وأعانهم عليه ، وأثابهم عليه : ﴿ وَأَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ [هود / ٩٠].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان ، وزين جوارحك بأحسن الأعمال ، أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الظاهرة والباطنة ، كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده ، خلقها الله يتودد بها إلى عباده ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، دالة على كمال قدرته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً

وَبَاطِنَةٌ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها.

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن ، الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٨].

وكل نعمة منه توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته ، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره ، وتعظيمه وتسيحه : ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء.

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب ، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم

بمنعه وابتلائه كاستلذادهم بنعمه وإكرامه : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

فسبحان الله ما أطفه فيما يقدره ، مما يجلب محبته ، ويزيد مودته .

فإذا رأيت نفسك تحبه وهو يبتليك ، فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك ، فاصبر لحكم ربك ،

واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩] .

فسبحان الملك الحق الغفور الودود ، الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعتو والمغفرة ،

وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف : ﴿ ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ [يونس/ ٣] .

واعلم أن كل ود وحب ، ورحمة وحنان ، موجود في المخلوقات ، فمن آثار وده وحبه ورحمته

وحنانه ﷻ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ثم يزداد في

المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة .

يزداد ذلك الحب والود لله ﷻ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، ومشاهدة عظمة آياته

ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فما أعظم حب الله لعباده، وما أوسع رحمته بهم، وما أحسن مودته لهم: ﴿ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

إن العبد يشرد عن ربه ، فيقصر في الواجبات، ويتجراً على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعم ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم ، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُعِيدُ ﴾ [البروج / ١٣-١٦] .

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه^(١) .

واعلم أن الودود سبحانه من أحبه من أوليائه ، وتقرب إليه بما يحب ، أحبه وجعله مجاب الدعوة ، وجيهاً عنده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

أما مودة أوليائه له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وتحركت جوارحهم بطاعته.

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية: فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وأوليائه، وأحبوا كل عمل يُقرب إليه، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان، ومكان، وعمل، وعامل.

وأما المحبة الطبيعية: فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاها، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها، فصارت عاداتهم عبادات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة / ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له.

واعلم أن حنان المخلوق رافة في النفس، ورقة في القلب، وميل مفرط في الجبلة لحب ورحمة من يحن إليه أو عليه.

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثلته شيء أتم حناناً، وأشد رافة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم: ﴿يَنحِي حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ءَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [١٢] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [١٣] [مريم / ١٢-١٣].

واعلم أن الحنان، والود، والمحبة، والرحمة، مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض، وتنشأ من لدن عالم الجماد، إلى عالم الملائكة، كما تحن الطيور إلى أوكارها، وتحن الحيوانات إلى أولادها، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه.

فلا إله إلا الله .. كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه ومخلوقاته .

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه،
واللطف الذي عم كل مخلوق: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/ ١٨].

انظر لتنور بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه
وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حنن عليه أبويه وكافليه، وكيف جعل
الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ذَلِكَ
عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ
طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦ - ٧].

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من الحيوان.

فإن كان هذا المولود قد سبق له القضاء بالهداية ، وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ،
فاتصل له الحنان أوله بآخره ، فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٧]
[النحل / ٩٧].

● التبعّد لله ﷻ باسمه الودود :

الله ﷻ هو الغفور الودود، الكريم الرحيم، الذي مَنَّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة.
فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه ، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر.

وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ،
وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء
واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧]
[الأنبياء / ٨٧].

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [٢٣] [الأعراف / ٢٣].

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه ، وقضى حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيب مؤملاً أبداً .

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت ، يعطيك من خزائنه ما تريد ، فمن كان لله كان الله له ومعه في كل حال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه ^(١) .

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العدل .

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال ﷺ ، فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها ونشرها في كتابه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٧] .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه ، ودوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، والمصارعة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها ، فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

فَأَنزِلْنَا تَوْفِيقًا ﴿٣﴾ ﴿فاطر / ٣﴾ .

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران / ٣١].

ومن علامات حب الله: ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف / ٨٦].

ومن دلائل حب الله ﷻ: عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر / ٥].

ومن علامات حب الله ﷻ: الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله ، والجهاد في سبيل الله ، وبذل المال والنفس في سبيله ، والمسارعة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته : ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾﴾ [طه / ٨٤].

ومن علامات حب العبد لربه : حب التعرف على أسمائه وصفاته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه ، ولزوم هذا الطريق حتى الموت : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف / ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه : كثرة ذكره ، وكثرة التفكير في عجائب مخلوقاته ، وتدبر معاني كتابه ، وحسن الثناء عليه ، وطول القيام بالليل في مناجاته : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ نتجافى جُؤُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٥ - ١٧].

ومن علامات حب العبد لمولاه : صدق الانقطاع إليه في كل حال ، وسبق النظر إليه عند كل حادثة ، والأنس به ، والطمأنينة بذكره ، وحسن الأدب والافتقار بين يديه ، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها من الأعمال الصالحة.

فالأعمال الصالحة يعملها البرّ والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي لا يكون إلا من صديق رباني.

فتقرب إلى ربك بفعل الأوامر، واجتناب المناهي: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ۝٥٨ ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران / ٨] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١) .

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

الْبَرُّ

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣٦) ﴿فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٣٧) ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٣٨) [الطور / ٢٦ - ٢٨].

الله تبارك وتعالى هو البرّ الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره ووعدته ووعيدته، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه البرّ اللطيف بعباده، الذي عم ببره جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه، الغني الذي يملك خزائن البر كلها.

وهو سبحانه البرّ الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البرّ بالمحسن بمضاعفة الثواب له، البرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه البرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر. ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة

عشر- أمثالها ، إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته .

فسبحان البرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل:
﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠] ﴿
[الأنعام / ١٦٠] .

والله ﷻ هو البرّ الحق بعباده ، الذي يُوسعهم خيراً وكرماً ، وفضلاً وإحساناً ، وحمداً
وشكراً ، ومغفرة وعفواً ، ورحمة ووداً : ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ
تُنْقُونَ ﴾ [٥٢] ﴿ وَمَا يَكُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [٥٣] ﴿ [النحل / ٥٢-٥٣] .

ومن هذه صفاته وأفعاله ، وهذا بره بعباده ، أيلق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه :
﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [٦] ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [٧] ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَبِّكَ ﴾ [٨] ﴿ [الانفطار / ٦-٨] .

والله برّ رحيم بعباده ، يدعو من عصاه ، ويتودد إليه أن يتوب إليه ، ويُذكّره ويرغبه بالرجوع إليه
مهما كان ذنبه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ . وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٧٤] ﴿
[المائدة / ٧٤] .

والعبد المسلم برّ بربه يؤمن به ، ويحمده ويشكره ، ويسارع في مرضاته ، ويجتنب ما
يكرهه ، ويراقب أمره ليطيعه : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢٢] ﴿
[المجادلة / ٢٢] .

ويتذلل لعظمة ربه ، ويتصاغر لكبريائه ، ويسبح بحمده ، ويؤدي إليه حقه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [١٠] ﴿ [الشورى / ١٠] .

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها بره وإحسانه ، وفضله وعطائه .

فهو مُولي النعم.. دافع النقم.. واسع العطاء.. دائم الإحسان.. ليس لبره حد.. وليس لكرمه
مقدار.. ذو الكرم الواسع، ومعطي العطاء الجزيل : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برُّ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم ، بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا.

فمنه ﴿٤﴾ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإعداد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية العامة : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود/ ٦].

الثاني: برُّ خاص ، وهو هداية الكريم ﴿٥﴾ لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم ، وتوفيقهم لطاعة رب العالمين : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَاتَمْتُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات / ١٧].

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده ، ولا إحصاؤه ، ولا حصره .

فهو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بجوده ، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله وتقديره وتدبيره ، وأوصل إليهم البر والخير في كل مكان وزمان.

هو البر الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب ، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير ، الذي يعطي ويغني ويشري ولا تنقص خزائنه : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨].

وهو البر النصير ، ملاذ المستجير ، وجابر الكسير ، وشافي المريض ، وراحم المسكين ، ومعين المستعين ، ومغني الفقير ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس / ٦٠].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي إليه المنتهى، وإليه المرجع والمآب، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأحوال، الذي يتكرم بالعطيات، ويدفع الكريهات، ويفرج الكرب والمتعسرآت: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥] .

أوضح ﷺ براهين الهدى، وأبان آثار اليقين، وأعلن شواهد التوحيد في الملك والملكوت: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

فسبحان البر الكريم الذي بين الحق في كل شيء، وسهّل العمل به، والدعوة إليه، وبين السبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه / ٧٥] .

وهو العليم وحده بمضمرات القلوب، الخبير بمحجوبات الغيوب، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [السجدة / ٦] .

فسبحان الله كم من كافر ومشرك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته.

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه، ثم أنزل به الكريم بره وفضله، ومنّ عليه برحمته، فأذهب عنه السوء والشك والريب، وأذهب وحشته، وسكّن اضطرابه، وتاب عليه، وقوم أعوجاجه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا [٢٨] [النساء / ٢٧-٢٨] .

ثم بوأه الكريم كنفه، وآواه إلى ظله، وتلقاه برحمته، فأقامه وأصلحه: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُمْ لَيَسْأَلَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَكْبُرُوا﴾ [غافر / ٦١] .

ثم فتح له أبواب فضله، وفتح له أبواب عبادته، وألبسه لباس التقوى، ثم نشر له ثوب الشفاء بين الخلق، فصار بين الناس حميد الاسم والذكر والفعل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [مريم / ٩٦] .

فسبحان الرب البرّ الحق ، الذي يكرم خلقه ، ويحسن إليهم في كل وقت ، ويحب البرّ ، ويحب أهل البرّ ، ويحب أعمال البرّ ، ويجازي عليها بالهدى والفلاح ، والرفعة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فجاهد نفسك رحمك الله على جميع أنواع البرّ ، تنال جميع أنواع الثواب : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٩٢] .

واعلم أن البرّ اسم جامع للخيرات كلها ، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى بره ومرضاته ورحمته ، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته ، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٧] .

ثم اعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم في الدنيا ، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً ، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة فانتبه : ﴿ لَا يَغْرُنَّكَ تَلَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧٧﴾] [آل عمران / ١٩٦ - ١٩٧] .

أما المؤمنون بالله المتقون له ، فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة ، نزلاً من البرّ الكريم لعباده الأبرار ، الذين برّرت قلوبهم بالتوحيد والإيمان ، فبرّرت أقوالهم وأفعالهم ، فأثابهم البرّ الرحيم من بره أجراً عظيماً ، وفوزاً دائماً : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [٣٢] عَلَى الْأَرْبَابِ يُنظَرُونَ ﴿٣٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٣٥﴾ خَتَمَهُ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٣٦﴾ [المطففين / ٢٢ - ٢٦] .

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان ، وهم في أعلى الجنة ، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾

يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ [المطففين/ ١٨-٢١].

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء، فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران/ ١٩٨].

فله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار من النعيم والبهجة والسرور: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

• التبعّد لله ﷻ باسمه البرّ :

اعلم وفقك الله لأعمال البرّ أن أوائل البرّ أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل، وبالتوسع في أعمال البر، والمسابقة إلى الخيرات، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢].

فعليك بتحري الصدق في الأحوال والأقوال والأفعال، ظاهرها وباطنها، والتميز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً، ثم فعل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه.

عن النّوأس بن سمعان الأنصاري ؓ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم؟ فقال: « البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » أخرجه مسلم (١).

واعلم أن التبعّد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى، وتذكّر الآلاء، والتعرف على مواقع النعماء، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

فأخلص لربك البرّ العظيم العمل، وأوف له بالعهد، وخصه بالحب والود، وأكثر له من الحمد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

والشكر: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة/ ٥].

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه. وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه: ﴿ وَقَضَى رَبِّيكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالُوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به ، وأعطاك منه ، وأنفق مما خولك من فضله ، يخلف الله عليك خيراً منه: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبأ/ ٣٩].

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة إليه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣].

وغيض البصر، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس، واعرض عن كل جاهل ، وأحسن إلى كل مسيء إليك ، تكسب مودته ، ويندفع عنك شره: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا أذْوَحَظِّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥].

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك ، وأقل عثرات الناس ، واسدل الستر على زلاتهم ، وطيب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق يحبك الله والناس ، وتحل عقدة عداوتهم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [١١٩] وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وذكر العباد بالله وأسمائه وصفاته وآلائه ونعمه ، فأكثر من يعصيه لا يعرفه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ [الأعراف / ٢٠١-٢٠٢].

واسأل الله مخلصاً ، وتضرع إليه باكياً ، أن يحل سخيمة قلبك ، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل وغش ، وحسد وكبر ، ورياء وكذب .

ثم يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ ذَلِكِ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١) .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران / ١١٣] .

﴿ رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحریم / ٨] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمُ لِي نُورًا » أخرجه مسلم ^(٢) .

اللهم يا برّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفي عليه شيء من أمرنا .

نسألك أن تكفيننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧).

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرف منه، والرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويبسط لهم نعمه لعلهم يتوبون: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج / ٦٥).

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة، ويذكرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة/ ٧٤).

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب، في كل وقت؛ لأنه يريد لهم الخير والصلاح: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور / ٣١).

وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق، بما يسر لهم من الأرزاق، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة: ﴿وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل / ١٣).

ومن رأفته بعباده أن يبين لهم طرق الخير والفلاح ، ويسر لهم سبلها، ورغبتهم فيها ، وأثابهم عليها، وحذرهم من سبل الغي والفساد ؛ ليسلموا من العقوبات : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران / ٣٠] .

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ [الملك / ١٥] .

ومن رأفته ﷺ بعباده أن سخر لهم الأنعام يركبونها، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون أوبارها: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل / ٥-٧] .

ومن رأفته ومنتته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر- لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات، والقطارات، والطائرات، والسفن وغيرها: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [النحل / ٨] .

فسبحان الملك الرؤوف الحق ، الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أوليائه في الآخرة.

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله ، الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة / ١٢٨] .

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين ، والخلق أجمعين .

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته، وأعانهم على طاعته، وهو

الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الملك الحق ، الذي أنزل على عباده الحق ؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩] .

واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على مَنْ كفر به وعصاه ، ولا يعاجله بالعقوبة ؛ لعله يتوب إليه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠] .

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهل لعله يتذكر وينيب ويتوب: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٥] أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ [٤٦] أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ [٤٧] [النحل / ٤٥ - ٤٧] .

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم ، الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه ، متوجعاً من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته ، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم ، مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه .

فالعبد بين هذه النوازع ، والفتن ، والغفلة ، موضع للرفاة والرحمة ، وأن يُشفق لحاله ، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه، وما أعظم رأفته بهم، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم ، الذي نعمه عليه كثيرة متوالية ، وهو مُكب

على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه: ﴿ءَأْمَنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (١٦) ءَأْمَنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ [الملك / ١٦-١٨].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرؤوف :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على
الكمال إلا بالعلم به ، والتطهر له ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وعلى قدر ارتقائك في التبعيد
له بمقتضى أسمائه وصفاته ، على طريقة رسوله ﷺ ، يكون قربك منه .

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك، وعطفه عليك، ولطفه ورحمته بك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [العنكبوت / ٦٩].

فاذكره يذكرك، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك، وكن له يكن لك، والبس له لباس
التقوى ، تظفر بكل ما تحب في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ
حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرُ
مِنْهُم ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي
يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه (١).

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه ، وأعرض عنه ، وعمل بما
يسخطه ، وأصر على ذلك: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٢٨) [محمد / ٢٨].

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش وهو يراك، فإن عفوه كريم، وأخذه أليم شديد :
﴿نَبَأَ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠) [الحجر / ٤٩ - ٥٠].

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم ، أنه يذودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ،
 ونهبهم من سِنَّةِ غفلاتهم ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره ،
 تنال بره وإحسانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
 مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٠١] .

والله ﷻ حكيم عليم ، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم ،
 والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه ، وينسيهم إياه ، من كثرة الأموال التي تشغل
 المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِّن مَّالٍ وَبَيْنَ ۙ وَسَارِعُهُمْ
 فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦] .

فسبحانه ما أحكمه في تدييره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضرراء
 وهو بغاية الرحمة، تغطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
 آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر/ ١٣-١٤] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا
 إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر/ ١٠] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِّنْ عِنْدِكَ
 وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (١) .

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك، وتقضي آجالنا في طاعتك ، وتشغل ألسنتنا بذكرك ،
 وتستعمل جوارحنا في عبادتك ، يا رؤوفاً بالعباد ، اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك ،
 وحسن الظن بك ، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

القريب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته ، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ، ومن مجرى الروح فيه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوْسٍ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق / ١٦].

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السماء والأرض ، ويسمع دعاء من دعاه ، ويجيب دعوة الداعي ، القريب من كل متكلم ، الذي يسمع كل ما ينطق به ، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به ، لا إله إلا هو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

وهو سبحانه القريب اللطيف ، الذي يرى ويسمع ديبب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا هادي إلا هو: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبا / ٤٩ - ٥٠].

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان :

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به ، ومشاهدته له ، وإحاطته به ، ومراقبته له ، فلا يخفى عليه مثقال ذرة منه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوْسٍ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبه ، ومن آثاره : لطفه بعبده ، وعنايته به ، وإجابة دعوته .

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه ، مَنْ كانوا ، وأينما كانوا ، وعلى أي حال كانوا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة ، ورجب إليه في التوبة ، وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه ، المحيط بكل ذرة في ملكه ، القريب من كل مخلوق في ملكوته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١] .

فسبحان الملك الحق ، العزيز الجبار ، الغني الكريم ، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته ، وحباً لهم ، وتحناً إليهم : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٩١﴾ [الحديد / ٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن من أنار الله قلبه بالإيمان ، وأزال الحُجُبَ عن بصره وبصيرته ، سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم ، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها ، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح ، وأصوات تخطب بالتوحيد ، وشاهد استسلام المُلْكِ والمَلَكُوتِ لذي العزة والكبرياء والجبروت : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوهُمْ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه ، وصدق الافتقار إلى الغني ، وذل الانكسار بين يدي الملك، يكون قدر العطاء ، وحسن الثناء : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧] .
فلا إله إلا الله ، من صعد بقلبه ، ونظر في الملكوت ، رأى ملكاً عظيماً ، وصنعاً بديعاً ، وخلقاً كثيراً ، يراه البصر- ، وتشهد به البصيرة : ﴿ فَسَبِّحْنِ الَّذِي أَلْزَمَ يَدَيْهِ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ [يس/٨٣].

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد ، ولا وراءه منتهى ، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله .

الملك الحق المبين ، والرب العلي العظيم ، والغني القوي العزيز ، والعبو الغفور الرحيم ، والحي القيوم الكريم ، والكبير الجبار المتكبر ، الذي له جميع الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سَبِّحْنِ اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

وكلما قُرِبَتْ أيها المؤمن منه قَوِيَتْ دلالة الدالين عليه ، وكثرت إشارات المشيرين إليه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ [الأنعام/ ١٩] .

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ورآه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلق ويرزق ، ويكرم ويهين ، ويأمر وينهى ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع : ﴿ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

أترى هذا العبد المكرم يتعداه إلى سواه ، أو ينشغل بغيره عنه ، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) نَجَّافِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧] .

فسبحان الملك الحق ، الذي تجلّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وغرز معرفته وهيبته في جميع مخلوقاته ، فخضعت لجلاله ، وسجدت لعظمته وكبريائه : ﴿ وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٩-٥٠] .

وهو سبحانه القريب من خلقه ، الذي يرى أشخاصهم ، ويسمع كلامهم ، ويعلم أحوالهم ، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) [الحديد / ٤] .

وهو سبحانه القريب ، السميع البصير ، العليم بكل شيء ، فهو مع الداعي إذا دعاه ، ومع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، هو الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، والمال والولد .

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أقرببه من عباده ، وما أكرمه لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤) [الإسراء/ ٤٤] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكننا إذا أشرنا على وادهلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا ، وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ ، وَتَعَالَى جَدُّهُ » متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ .

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي . أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » متفق عليه ^(١) .

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى .

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم ، وسماعه لنجواهم ، وشهوده اللطيف لأحوالهم ، فهو القريب منهم ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه القريب :

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته ، القريب والبعيد كله عنده قريب ، والكبير والصغير كله عنده صغير ؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبيده المُلْكُ والملكوت : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس / ٨٣] .

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، تكون بالقرب منه يوم القيامة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿ [القمر / ٥٤-٥٥] .

وأخلص أعمالك لله ، وأحسن عبادة ربك : ﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [٢١٨] وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿ [٢١٩] ﴾ [الشعراء / ٢١٨-٢١٩] .

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل ، والخُلُقُ والمال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له .

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف / ٥٦] .

وقرب الناس إلى ربهم، وذكرهم بنعمه وآلائه، ويبن لهم عظمة أسمائه وصفاته؛ ليعظموه ويكبروه، ويحمدوه ويشكروه، ويتقربوا إليه ويعبدوه، ويستفيدوا من بركات خزائنه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣] .

وتقرب إلى القريب منك ﷺ، وأكثر من السجود له يقربك منه، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧] .

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله، وهي الدليل على صحة الإيمان.

فاتق الله حيثما كنت، وتقرب إليه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واعلم أنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة / ٢٧] .

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حقل، وإنما تجد البعد كله في حقل أنت، فتقرب إليه بما يحبه ويرضاه يقرب منك، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى، واتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران / ٣١] .

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف / ١٥] .

« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا قريباً غير بعيد، ويا شاهداً غير غائب، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

كاشف الكرب ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا سميع يا بصير، أسألك الهدى والتقى ،
والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

اللهم قني شر نفسي. ، ولا تكلني إلى نفسي. طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ،
وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا سميع يا قريب .

المجيب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبَّوْا إِلَيْهِ إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود/ ٦١] .

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داع
وسائل على اختلاف اللغات ، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿ وَإِذَا
سَأَلْتَهُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وهو ﷻ وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجيب دعاءهم ، الذي يجيب المضطر
الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل/ ٦٢] .

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب ، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر
الدهور.

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وله خزائن كل شيء ، الذي صمد
لجميع حوائج الخلق ، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها ، فلا رب لها سواه، ولا
إله لها غيره : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

فليس في هذا المُلْك الكبير ، والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق ، ومَلِك وعبيد ،
كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر / ٦٠].

والله واسع كريم ، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال ، ويعطي السائلين ، ويعيب الداعين إذا دعوه ، من كانوا ، وحيث كانوا .

وكل ذلك كتبه الله وقدره ثم أظهره: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ۗ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۗ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۗ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۗ ﴿٥٣﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء ، وقدر على كل شيء ، وكتب مقادير كل شيء .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم^(١).

واعلم أن من حُبَّ الله ﷻ لإجابة السائلين ، ودعاء الداعين ، أن عَرَّفَ عباده بأسمائه وصفاته ، وأمرهم أن يدعونه بها ، وبين لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء ، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ بِهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۗ ﴿١١﴾ [الحجر / ٢١] .

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه ، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم ، أعطاهم من كل ما سألوه ، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۗ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

والله ﷻ العطاء أحب إليه من المنع ، كريم لا يرد سائلاً أبداً ، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، ليُقرَّب من عباده ، ويقضي حاجة من سأله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

فَأَغْفِرْ لَهُ « متفق عليه (٢) .

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض ، ويحبب جميع أسئلة السائلين ، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدنيوية والدينية ، كما يسألونه الهداية والرحمة ، والمغفرة والإعانة على الطاعة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥ / غافر] .

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به ، ودوام ذكره ، والأنس بمناجاته ، وتدبر كتابه ، والتفكر في مخلوقاته ، والاعتبار بآياته ، آتاه رحمة من عنده ، وعصمه مما يعده عنه ، واستوجب القرب منه بحسن عبادته له ، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةً أَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٩ / الزمر] .

وكذا الإكثار من الطاعات ، والزهد في الحلال ، والاقتصار على الكفاية ، وترك ما لا يعني ، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام ، وترك الحرام ، واجتناب الفواحش والآثام ، ولزوم الذكر والاستغفار ، وحسن التوكل على الله ، وصدق التوبة إليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » أخرجه مسلم (١) .

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ، ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه ، ومحادثة الملائكة له .

عن أنس رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت : نافع حنظلة ، قال سبحان الله

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

مَا تَقُولُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَمَا ذَاكَ؟ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافِحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » أخرجه مسلم (١).

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه، بل كاد لو أقسم على الله لأبره.

عن أنس رضي الله عنه أن الربيع بنت النضر- كسرت ثنية امرأة فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا تكسر- ثنتيها، فرضوا بالأرث، وتركوا القصاص، فقال رسول الله ﷺ: « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ » أخرجه البخاري (٢).

ومن لم يبلغ تلك الدرجة، فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله؛ بل فضل منه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٣].

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير، فنستغفر الله ونتوب إليه: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظَلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩].

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه إلى الماء ليلغيه وما هو ببالغه؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَغُوا فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦).

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ [الرعد / ١٤].

واعلم أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة ، فيوحده ربه ثم يدعو، فإذا قضى الكريم حاجته عاد إلى كفره وشركه: ﴿ وَمَا يَكُفِّرُكُمْ مِنَ تَعَمُّةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ [النحل / ٥٣ - ٥٥].

والله ﷻ غني كريم يجب كل سائل، ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وإجابة الرب لمن سأله من عباده تتنوع، وتُعجّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خلّقه وصوّره .

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا ، أو ادّخرها له في الآخرة ، أو صرف عنه من السوء مثلها.

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله، فيجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢١﴾ [الرحمن / ٢٩].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١).

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الكريم الذي لا أكرم منه، ولا منتهى لكرمه، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه، وربما قيضهم للسؤال والدعاء تعبدًا منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره، وإظهاراً لفقدهم إليه، فيجيب سؤالهم، إلا أنهم لا يسألونه دنياً، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم، و حماية لهم مما يشغلهم عنه، وبعدهم منه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾ [الشورى/ ١٢].

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه؛ ليتفرغوا لعبادته وطاعته، والدعوة إليه.

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء / ٣٠].

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله ﷻ مع الإيمان أمرين عظيمين هما: العبادة والدعوة.

وفرغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك، وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاهما ما أعطاهم.

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا، فأجاب الله دعاءهم، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٧ - ٨٨].

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعهم في الخيرات إليه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] فاستجبتنا له، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له، وزوجه؛ إنهم كانوا يسرعون في الخيرات ويدعوننا رعباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين. [الأنبياء/ ٨٩ - ٩٠].

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويقبل التوبة من المسيء، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ

مِن لَّدَنهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطاءه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

• التبعّد لله ﷻ باسمه المَجِيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه ، وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء .

فسل ربك الهداية ، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة ، فإنه حي قيوم ، يحب أن تسأله ليجيبك : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر / ٦٠] .

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعملٍ حسنٍ عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرملك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيده ، وأولى بمقامك ذلك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

واعزم المسألة ، فإن الله لا Mukرِه له ، وأكثر من الدعاء ، فإن الله لا يمل حتى يمل العبد.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » متفق عليه (١) .

وتزين لربك بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله، ولرسوله ، وكتابه ، وأئمة المسلمين ، وعامتهم : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنَّ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٨٢) .

أَكُونَ أَوْلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبره ؛ لحسن ظنه بالله، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته، فاجتهد لعلك تزكو : ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر/ ١٨].

واحرص على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، واتبع دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبّد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد ﷻ : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

وقفنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠١-١٠٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه^(١).

اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب .

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبيل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

المستعان

قال الله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢) [الأنبياء/١١٢].

الله ﷻ هو الملك القادر ، المستعان الذي يُعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين والظهير والشريك والوزير وكل أحد: ﴿سَبَّحَنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/٦٨].

وهو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فله الحمد على نعمه وفضله ورحمته بعباده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) [الفاحة/٢-٥].

وهو سبحانه الحي القيوم ، المستعان الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به، بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود لهم إلا به: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) [الزمر/٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له ، والخلق كلهم فقراء إليه ، عبيد لديه ، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وعونه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام/١٠٢].

واعلم رحمك الله أن المستعان هو الله وحده لا شريك له.

فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات، وترك المعاصي، فدأبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) [الفاحة/٥].

أما أهل المعصية ، فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعته إلى معصيته، أعانه على معصيته ، فتوجه إليها بعونه ، وحرمه سبحانه العون على الطاعة فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف / ٥] .

فالخلق كلهم مُصَرَّفون في حركاتهم وسكناتهم بقدره الله وعونه ومشيئته .

والإنس والجن مُصَرَّفون في طاعاتهم ومعاصيهم بقدره الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية ، أو بجنود الشياطين المضلة ، فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له .

فاللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، ولزوم طاعتك ، واجتناب معصيتك ، والفقہ في دينك : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١] .

واعلم أن الاستعانة بالله تقوم على أصليْن:

أحدهما: الثقة بالله وحده .. الثاني: الاعتماد عليه وحده.

فالإنسان قد يثق بغيره ، ولكنه لا يعتمد عليه في أموره ؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به ؛ لحاجته إليه .

والله ﷻ له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، بيده كل شيء ، وهو المستعان في كل شيء ، والعبد ليس بيده شيء ، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٦٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه المستعان:

اعلم وفقك الله لِمَا يحبه ويرضاه أن الله هو المستعان وحده لا شريك له ، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله ، والإنسان ضعيف عاجز ، محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل الأمور ، وترك المحظورات ، والصبر على الابتلاءات : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل / ١٢٧] .

فمن استعان بالله أعانه الله ، ومن ترك الاستعانة بالله ، واستعان بغيره وكَلَهُ إلى من استعان به ، فصار مخذولاً من جهة من استعان به .

واعلم أن من استعان بالله فهو المحمود المنصور ، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو المذموم المخذول : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء / ٢٢] .

والله سبحانه هو المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل / ٧٩] .

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها ؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله وأعماله وعباداته إلى الاستعانة بالله الرحمن المستعان كما قال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاحة / ٥] .

وقلب الإنسان يَعْرِضُ له مرضان عظيمان هما : الرياء والكبر ، وإذا لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ، فدواء مرض الرياء بـ (إياك نعبد) .. ودواء مرض الكبر بـ (إياك نستعين) .
وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء بـ (إياك نعبد) ، وعوفي من مرض الكبر والعُجب بـ (إياك نستعين) ، وعوفي من مرض الجهل والضلال بـ (اهدنا الصراط المستقيم) فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها ، ورَفَلَ في أثواب العافية ، وتمت عليه النعمة .

وكان من المنعم عليهم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، غير المغضوب عليهم الذين هم أهل فساد القصد كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه .

وغير الضالين الذين هم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

والاستعانة جزء من العبادة، والعبادة حق الله الذي أوجبه على عباده.

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج / ٤٠-٤١].

والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام:

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل.

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله، وهؤلاء هم شر البرية.

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله.

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنعف والضر، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا مع ما يحبه الله ويرضاه، ومع ذلك توكلوا عليه واستعانوا به على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أعطوه من جنس المُلْك والمال لا يدل على الإسلام، فضلاً عن الولاية والقرب من الله ﷻ.

فاستعن بالله في جميع أمورك يعينك ، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه ، وعلم الجاهل ،
واهذ الضال ، وارحم المسكين تكن ربانياً: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿رَبِّكَ أَفْرَعُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا على القوم الكافرين ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠] .
« اللّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود^(١) .

اللهم أت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم لا يهدي إلى الحق إلا أنت ، ولا يعين على الحق سواك ، وأنت المستعان ، وعليك
التكلان ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، أعنا على فعل الخيرات كلها ، وترك المنكرات كلها ، يا
أرحم الراحمين .

(١) صحيح / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٧١) وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) .

التواب

قال الله تعالى: ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ٣٧].

الله ﷻ هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده ، ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿الرَّيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١٠٤].

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته ، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب ، استشعروا الخوف من الجبار ، فرجعوا إليه بالتوبة ، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩].

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين ، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه.

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته مَنْ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِالتَّوْبَةِ ، وحبها إليه ، وقبلها منه، وتاب عليه قبل أن يتوب: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١١٨].

فسبحان الرب التواب الرحيم ، الذي يسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا ، فضلاً منه ورحمة: ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ٣٧].

واعلم أن الله سمي نفسه تواباً ؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يسّر لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه ، إلى الطريق الذي يرضيه.

ولما كانت المعاصي متكررة من العباد جاء بصيغة تَوَّابٍ ليقابل الخطايا الكثيرة ، والذنوب العظيمة ، بالتوبة الواسعة الدائمة.

فسبحان من وصف نفسه بالتوَّابِ مبالغة ؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغاربها، ولتكرُّر ذلك من الشخص الواحد، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور / ١٠].

وهو سبحانه التواب الذي تفرد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر / ٥٣].

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران / ١٣٥].

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة ، بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً ، بل يسترهم ليكون ذلك عوناً لهم على التوبة ، ولولا فضل الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبة ، وفضح مخازيهم ، وكشف مساويهم : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور / ١٠].

فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن كريم ما أجوده، ومن عظيم ما أرحمه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعام / ٥٤].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبدٍ من جميع الذنوب ، وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها ، وتكراراً لها، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالماً.

فالناس رجлан : تائب و ظالم ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات / ١١].

والتوبة هي رجوع العبد إلى ربه بفضل مولاه، حيث أرجعه ربه إلى الإسلام الذي ضل عنه. وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمدته وخطئه، وكبر ذنبه وصغره ، وإصراره عليه ، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [١١].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة ، فإذا تاب العبد المذنب قبل توبته ، وعفى عن سيئاته : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٩] .

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه ، وعفى عن سيئاته ، وبدل سيئاته حسنات ، ثم ضاعفها له : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [٦٨] يُضْعَفُ لَهُ الْمَكْرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْدُ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠] .

واعلم زادك الله معرفة بأسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته ، وطرق استتته ، فكما يُرجع الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، ويُرجع الحياة بعد الموت ، والموت بعد الحياة ، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه ، فإن عاد تاب عليه ، فإن عاد تاب عليه ؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [٢] [غافر/ ٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ : أذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرَبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ ، فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي . »

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي .

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، قَالَ : قَالَ رَبِّ ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ : فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا ، فَلْيَعْمَلْ

مَا شَاءَ « متفق عليه ^(١) .

واعلم أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يراجعهم التواب الرحيم بالتوبة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فَالْعَوْدُ وَالْبَدءُ سَنَتُهُ فِي خَلْقِهِ الْعَظِيمِ ، وَتَدْبِيرِهِ الْحَكِيمِ : ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [٤٣] ﴿٤٣﴾ [فاطر / ٤٣] .

فسبحان التواب الرحيم بعباده ، الذي رحمته على قدر شأنه ﷻ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم ^(٢) .

• التبعّد لله ﷻ باسمه التواب:

اعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه ، ويتطهر له : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢] .

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح ؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطَمِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه ^(٣) .

والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الخلق عبودية، وأكثرهم توبة واستغفاراً ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له، خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

الذي كان يقول: «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم^(١).

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق، وأكرمهم على الله، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات، كان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل التائبين إليه، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتَبَرَّعَ بِعَمَلِهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح / ١-٢].

وبهذه العبودية التامة أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة.

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يحبه الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب، وفعل المحرم والمكروه، فذكر وتذكر: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته، والإخلاص عزيز، والرياء معترض قاطع للثواب، والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد، من عبادة ومعاملة، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق، فأكثر من التوبة والإستغفار.

فالذنوب تتراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والاستغفار المستمر فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر / ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام، كذلك لا بد من

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦١٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه.

التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب ، ولهذا قرن الله بينهما بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٣٣٣﴾ [البقرة / ٢٢٢].

فعليك بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أَحَكَمْتَ التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت، فقابل ذنوبك بما يطابقها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هدأك للتوبة منها، وقبّلها منك: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [المائدة / ٣٩].

فإذا تبت إلى الله ، وأنست بقربه ، ولذت عبادته ، فاذا كثرة المذنبين والغافلين والعصاة ، وادع الله أن يغفر لهم، ويتوب عليهم ، وذكّرهم بالله وما يجب له: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الذاريات / ٥٥].

وادع إلى الله في جميع الأوقات ، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه ؛ لعل الله يتوب على الكافر فيسلم، وعلى العاصي فيطبع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين ، وهو أشد حبا لمن يكون سبباً لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران / ١٠٤].

واعلم أن للتوبة وقتاً لا تقبل إلا فيه، فبادر إلى التوبة النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت مقيم على الذنب: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ [النساء / ١٧].

وإياك أن تؤخر التوبة ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت ، فإن الله لا يقبلها إلا بشرطها في وقتها: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾ [النساء / ١٨].

فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله توبة نصوحاً من جميع الذنوب، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله

ورسوله، ونتجنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله ؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

[التحریم / ٨] .

والله تواب رحيم، من تاب إليه تاب عليه، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه ويغفر له.

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته وإحسانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة / ٧٤] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

[آل عمران / ١٤٧] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١) .

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب ونتوب إليك .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الرقيب

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به. والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴿١﴾ [النساء / ١] .

الله ﷻ هو الرقيب الحق ، المطلع على جميع ما في ملكه العظيم، الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم فلا يسترهم منه شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم، ومما لا يحبه ولا يرضاه.

وهو سبحانه الرقيب الباقي ، ذو البقاء الدائم ، والشهود الأعلى ، والحفاظة المحيطة بكل شيء : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود/٥٧].

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء، المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ، ولا يغيب عما يحفظه، الذي حفظ جميع المخلوقات، وأجرها على أحسن نظام ، وأكمل تدبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، الرقيب على المبصرات كلها ببصره ، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه ، الرقيب الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/٥٩] .

فسبحان الملك الحق ، والإله الحق ، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم، الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت.

العليم الذي يستوي عنده الصغير والكبير .. والقريب والبعيد .. والظاهر والباطن .. والكليات والجزئيات .. والأسرار والخفيات: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦]

وجميع الخلائق في الملك العظيم ، والملكوت الكبير ، كلهم قائمون بأمر الله ، قانتون له ، خاضعون لهيبته ، خاشعون لعظمته .

والكل يشهد بوحدانيته، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعْيُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وكل مخلوق من مخلوقاته مراقب له، قانت له، يسبح بحمد ربه، ويتنظر متى ينزل عليه الأمر من رقيه ﷻ فيمثله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] [النحل / ٤٩-٥٠].

فالإنس والجن يمثلون أوامر ربهم الكونية والشرعية.

وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤].

فسبحان الرقيب الشهيد الحق، الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها في آن واحد، الحفيظ لجميع أجزائها، العليم بحركاتها وسكناتها، الشهيد للظواهر والبواطن: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد / ٨-٩].

والله ﷻ هو الملك القوي القادر على الخلق والتأليف، والتجميع والتخطيط، والتصوير والتشكيل، وتقسيم جميع الهبات والأرزاق، والأخلاق والأعمال.

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويهدي ويضل .. ويقدم ويؤخر .. ويسيطر ويقبض .. ويفعل ما يشاء: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب] [الأنعام / ٢٦-٢٧].

وهو الرقيب على ذلك كله ، يدبره بأحكام ملكوتية ، نازلة إلى قوى ملكية ، بأوامر جبروتية ، صادرة من ربك الملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، لخلق ما أراد ، ورزق ما أراد ، ونصر من أراد ، وتثبيت ما أراد تثبيتاً ، ومحو ما أراد محوه : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

والكل في ملكه.. والكل يجري بأمره.. والكل تحت قبضته وقهره: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء ، استوى في حقه القريب والبعيد ، والساكن والمتحرك ، والحي والميت ، والظاهر والباطن ، والكبير والصغير .

الكل معلوم له.. والكل مشهود له.. والكل مرقوب له: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٠] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع علمه ، وما أعظم قدرته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

أفقر كل مخلوق إليه ، وسبح بحمده بين يديه ، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه .

فما من ذرة ولا جماد ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان إلا والله رقيب عليه ، وهو مراقب لرقيبه الحق ، يسبح بحمده ، ويشهده بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَكَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَبْغًا كُلَّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه ، ولهذا خلقه الله بيده من بين المخلوقات ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له جميع ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وأكرمه وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

وقد فضل الله الأدمي على غيره بالعقل ، فلما أوجد الرب فيه العقل ، واجهه بالشرع ، وابتلاه

بالتكليف بالأمر والنهي، وجعله خليفة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة / ٣٠].

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل ، كما كان ينزل عليه وعلى غيره من المخلوقات الأمر الكوني.

وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض ، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء ، والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه تحفظه ، وتسجل أعماله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد / ١١].

وسره وجهه وظاهره وباطنه ، كل ذلك مكشوف لربه الشهيد: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرَّهُمْ وَيَخْتَفَهُمُ بِلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف / ٨٠].

والرقيب الحق يرقيه في جميع أحواله ، ويعلم أعماله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوًّا بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق / ١٦].

فعضمت المحنة ، واشتد البلاء ، وبدأ الامتحان ، وفاز من فاز، وخسر من خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣].

• التعبد لله ﷻ باسمه الرقيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق ، الذي يراقب جميع مخلوقاته ، وهو مستو على عرشه ، لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه .

والمراقبون هم جميع المخلوقات في السموات والأرض ، والدنيا والآخرة .

والمراقبة فعل المراقب ، فالمخلوق يتربق متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمثله ، أو نهى فيجتنبه ، أو قدر لا حيلة له في رده .

ومن راقب الله وعلم أن الله مطلع عليه أطاعه ولم يعصه .

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب ﷻ ، قد أحاط العليم بعلمها ، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله ، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله ، وعبد الله بمقام الإحسان كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٣) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴿

[الملك / ١٢-١٤] .

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه ، ناظر إليه ، مطلع عليه في كل لحظة .

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره ليفعله على أحسن حال ، ومراقبته عند نهيه ليجتنبه ، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب ، وماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩) ﴿ [محمد / ١٩] .

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله ، ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿ [النساء / ١] .

والنظر في الآيات الكونية والشرعية يثمر التوحيد والإيمان ، والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله ، وأهلها في معيته: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠) ﴿ [يونس / ١٠١] .

وهذا يثمر للبعد سرور القلب ، وانسراح الصدر ، وقرّة العين بالقرب من الله ، وهو نعيم معجل

للمؤمن ، يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(١) .

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته، وإحسان العمل والإكثار منه ؛ ابتغاء مرضاته: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وتيقن أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها، فليتهم إيمانه وأعماله، ويتفقد حاله، ويجدد إيمانه ، لعله يصفو ويزكو : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

فالإيمان له طعم ، وحلاوة ، وحقيقة ، من لم يجدها ولم يذوقها فليرجع وليقتبس نوراً يمشي به بين الناس، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٢٢] .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم ^(١) .

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه ، فمن لم يجدها فإيمانه وعمله مدخول: ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

﴿١٦﴾ إِنَّ تَقْرُؤَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُهُ لَكُمْ وَيَعْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴿[التغابن/ ١٦-١٨].

واعلم أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله ، ولزوم طاعته ؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه ، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه ، أسبق من نظره هو إلى المعصية : ﴿ قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْشِرُونَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ [آل عمران/ ٢٩].

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق / ٩-١٤].
ومن صح علمه ، وعرف أن الله رقيب عليه ، أطاع ربه واتقاه ، ولم يُفِن عمره في البطالات ، ولم يقتل أوقاته بالغفلات .

بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره ، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له ، مستحياً من اطلاع ربه المنعم عليه ، محتشماً من مشاهدته له ، وجللاً من عظيم رقابته له : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل ، أوصله بإذن الله إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان ، وتثمر كمال التقوى ، التي تثمر كمال القرب والمشاهدة والأنس بالله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

ومن عمي عليه أمره ، وضل عن طريقه ، فليرجع إلى مقام المراقبة ، يكن من المهتمين : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى / ١٣].

وارغب إلى الله ﷻ في إصلاح قلبك ، واطلب الأدوية لذلك ، وتفطن لمكائد عدوك ؛ لتلا يصيدك ويأسرك.

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب ، وسبب كل شفاء تُشفى به الصدور ، كما أن الغفلة أصل كل داء ، وسبب كل بلاء ، فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِيَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف / ٢٨] .

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة، واجتلاب اليقظة، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وآلائه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده.

وإذا أردت ذلك فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه، فارم بنفسك إليه، واسجد بقلبك بين يديه، وتخل عن نفسك إليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله ﷻ هي الجهل به، فاقطعها بمعرفته المقربة إليه: ﴿فَنَعْلَى اللَّهُ أَمْلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْفُرْعَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤] .

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك، زالت عنه الغفلة، ونالته بركة قرب الله ﷻ، واستبان له الهدى، وأبصر بعد العمى، ونزل بمنازل المقربين، وأحسن الظن بالله، وفاز بمعيته، فاعبده واصطبر لعبادته: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه ^(١).

واسأل ربك أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته، ولا تبالي بما فاتك دونه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿٤٢﴾ [النجم/ ٤٢].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخمالات ذكرك، وإنقاص قدرك بين يديه، معترداً إليه بقولك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص/ ١٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ، ونسيان ذكرك ، فأكثر من ذكره وشكره ، يذكرك ويشكرك :
﴿ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة / ١٥٢] .

وَمَنْ رُزِقَ دَوَامَ الْمِرَاقِبَةِ لِرَبِّهِ نَبَعَتْ مِنْ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ أَصْنَافُ الْخَيْرِ ، وَاضْمَحَلَتْ عَنْهُ أَصْنَافُ الشَّرِّ ، وَاسْتَأْنَسَ بِرَبِّهِ ، وَاسْتَوْحَشَ مِنْ غَيْرِهِ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [٤] ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [٥] [الطلاق / ٤-٥] .

واعلم أن معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، لا تثبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية .

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح ، ليفتح لك الباب ، وتشرق في قلبك الأنوار :
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر / ٣] .

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك فأحبه لغيرك ، وكل شيء تكرهه لنفسك فاكره لغيرك ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه (٢) .

ولا يزال بك طول المراقبة حتى يكون لك من نفسك عليك رقيباً وواعظاً ، وأمرأً وناهياً ، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [٥٢] [النور / ٥٢] .

واعلم زادنا الله وإياك إيماناً وتقوى أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة ، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة ، ويزكي الأعمال والأخلاق ، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [١٤] وَذَكَرَ أَسْرَرِيَّهٖ فَصَلَّى ﴾ [١٥] [الأعلى / ١٤-١٥] .

وإذا لزم باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة .

فاحمد الله كثيراً أن بلغك ذروة السنام من المراقبة ، ثم ألحقك بأهل الإحسان والمشاهدة ، فصرت تعبد

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له .

الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن الإحسان قال: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » أخرجه مسلم ^(١).

وهذا وذلك كله تاج من الخير ، ونور من المعرفة، يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله ، وعلم الله أنه يزكو به : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور / ٣٥] .

وعلاوة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّن السَّجِدِينَ ﴾ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩]. واضرع إليه في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة.

واعلم أن من راقب الله في سره وجهره ، واتقاه في أمره ونهيه ، أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار.

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار جل جلاله ، ودوام مراقبته لك ، وكمال مشاهدته لك ، فاعرف كذلك قدر نفسك ، واخضع لمن خلقها وصورها ، وكرمها وعلمها ، ورزقها وسلمها ، وانظر أي عبد تكون له.

فهو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خيرٍ وشرٍ لك أو عليك: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت / ٤٦] .

واعلم أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته ، ويطهره مما سواه ، ويزيده من الإيمان والتقوى حتى يصل إليه ، ثم يرفعه فيظهر فيه معاني أسمائه وصفاته جل جلاله ، فيومئذ يسمع به ، ويبصر به ، وينال كرامة ربه .

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته» أخرجه البخاري ^(١) .

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه ، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه ، وهو الإيمان والتقوى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ [طه / ٧٥] .

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذلة لمولاك ، أزال عنك حُلَّتَه التي حَلَّكَ بها ، وسلبك نعمته التي وهبها ، وسد دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا آرَاغَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف / ٥] .

ثم استدرجك بذنبك بمعارف تبعذك عن مولاك ، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخرائك ، فتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل ، وأنت ضال خاسر: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٥] .

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفتنة، وما أراه من الآيات، ومعاني الأسماء والصفات، ويستكبر عن ربه بما أنعم عليه به، حيث خيَّل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته عليه ، فحجب إليه نفسه ، وعظَّم عنده ما لديه ، وأعلى عنده قدر نفسه، وحجب عنه النور المبين ، فلم ير غير نفسه الخسيسة ، فاقصر عليها، وظن أنه على الحق.

فورثه ذلك العجب والكبر والإعراض، والاستغناء بالعلم عن العمل، وهذا من الضلال والظلم المبين: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٍ هُدًى مِنَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص / ٥٠].

اللهم اعصمنا من الزلل ، واحفظنا من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن : ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام ، وهذا النور ، إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك ، ثم يظهر على جوارحك ، فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك ، فأصلح حالك ، قبل أن يشد ملك الموت رحالك ، فلا تستطع الوصول ولا الرجوع : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ حَاجُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين / ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام / ١٠٤].

اللهم اجعل كتابنا في عليين ، وألبس وجوهنا نضرة النعيم : ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿١٩﴾ كُنْتُ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُورٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُمْ مِنْكُمْ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين / ١٨-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا ، يا واسع المغفرة ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء : ﴿أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة / ١١٧].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا آتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم / ٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه ^(١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥) .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ،
علانيته وسره .

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

المقطع ٠١ ، ٤١ الشهيد

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ ۗ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ ﴾ [الفتح / ٢٨] .

الله ﷻ هو الشهيد المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم ، الذي يسمع الأصوات كلها ،
خفيها وجليها ، ويصير المخلوقات كلها ، صغيرها وكبيرها: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۗ ﴾ [١١] لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى / ١١-١٢] .

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد، وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم: ﴿وَأَمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نُنَوِّفُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [يونس/ ٤٦].

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم، الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١].

وهو سبحانه الشهيد الحق، الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾ [المجادلة / ٦].

وهو سبحانه الشهيد الحق، الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات، وهي شهادة التوحيد فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْسِنَتِهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران / ١٨].

فسبحان الملك الرقيب الشهيد، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته، في السموات والأرض.

يرى مكانها.. ويسمع تسبيحها.. ويعلم أحوالها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج / ٧٠].

وسبحان الشهيد الذي يرى الكون كله، وهو مستو على عرشه العظيم.

يرى الهباء الطائرة.. والجبال الشاهقة.. ويرى البهائم السائمة.. والأشجار النابتة.. ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود.

ويرى سبحانه كل ذرة، وكل نبتة، وكل حشرة في العالم، في ظلمة الليل الأسود: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ [الرعد/ ٨-٩].

ويرى الذرة السوداء، ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة
الظلماء: ﴿الْأَلْعَلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٤].

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه ، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى
الكفار وهم يسبونهم ، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره ، ويرى المنافقين وهم يستهزؤون به
ويؤذون أوليائه ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة / ١٠٥].

فسبحان ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج / ٩].

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

فإن شاء الله ﷻ شهيد على كل شيء في ملكه العظيم ، وكونه الكبير ، وملكوته الكريم .

واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع والبصر والعقل والشم والذوق ، إنما
تؤدي كلها معلومات إلى القلب ، وتشهد عنده بما علمت به ، ثم يحفظها القلب .

وعند الحاجة لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب ، فيشهد لربه بالوحدانية.

وتلك أعظم الشهادات، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل ،
فشهدوا لله بالوحدانية ، وصدقوها بالعبودية : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

واعلم أن شهادة الله ﷻ أصل الشهادات كلها.

فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وبما هو
أهله من الجلال والجمال ، والعزة والكبرياء.

وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه، وشهد لجميع خلقه بمالهم وما عليهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ آخَرٌ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام / ١٩] .

ثم أفاض الكريم من مصداق شهادته على الشاهدين سواء، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه، فشهدت له بما هو أهله، وشهدت على أنفسها بما كسبت وبما يلزمها، فكل شيء شاهد لله، والله على كل شيء شهيد، وكلُّ يشهد شهادة حق، بألسنة صدق، كلُّ بحسبه وحاله ومقاله.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يسمع مدى صوت المؤذن جنُّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يومَ القيامةِ » أخرجه البخاري (١).
وكل الخلق شهداء:

فالأنباء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بمالهم وما عليهم .
والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على الخلق بما عملوا .
والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم .

والذرات، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، وكل مخلوق، الكل يشهد لربه بالوحدانية، ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود / ١٨] .

وجوارح الإنسان تشهد يوم القيامة بما عمل من خير أو شر: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور / ٢٤-٢٥] .

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩).

له: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾
 [النساء / ١٦٦].

واعلم أن أعظم شهادات العباد الشهادة لله بالتوحيد .

فالعالم كله أعلاه وأسفله ، وظاهره وباطنه ، يفرح ويهتز لشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد لهذا المؤمن بالحق والصدق حين يقول : أشهد أن « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » متفق عليه^(١).

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرك بالجور والظلم والكذب : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود / ١٨].

وأشنع الشهادات الكذب على الله ، وتنقصه ، وتشبيهه بخلقه ، ونسبة الولد له ، وهو الغني عن كل ما سواه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم / ٨٨ - ٩٣].

والمؤمنون كلهم شهداء ، لشهادتهم بالحق في قلوبهم ، وألسنتهم ، وجوارحهم .

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله ﷻ ، العالم بأسمائه وصفاته، الذاكر له، المؤمن به، العامل بشرعه، هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه.

والموت قطع لهذه الشهادة الكبرى، فإن الله كتب الموت على كل حي سواه، إبانة لصفة الحياة الباقية، وتذكيراً بالملك الحي الذي لا يموت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

ثم يحيي الخلق ويحاسبهم ، ثم لا يموتون أبداً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣) .

وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ [يس / ١٢] .

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم ، والعلماء شهداء على قرونهم ، وأهل زمانهم ، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٦] .

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي تشهد لخالقها بالتوحيد ، والجمال والجمال ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز ، وتسبح بحمد ربها العظيم ، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها ، وتلك شهادة له بالتوحيد: ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فسبحان الملك الحق ، الذي خلق كل شاهد ومشهود .

وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه ، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد ، والشهيد الحق أعظم الشهود: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء / ١٦٦] .

وسبحان الملك القريب الشهيد لخلقه كلهم ، الحي القيوم الذي لا يوارى منه ليل ساج ، ولا سماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات فجاج ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء / ٣٣] .

اللهم اني في هذا المقام أشهد لك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين ، يا خير الشاهدين: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَاكَ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَآتَيْنَاكَ الرُّسُولَ فَآتِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشهيد :

اعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة.

والصلوات التي هي صلة بين العبد وربّه تشتمل على الشهادة في البداية والنهاية ، يؤديها العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له ، ويطرضاه بالتحيات والصلوات.

فانظر كيف تشهد بين يدي ربك بحسن العبادة والطاعة، وتؤديها له كأنك تراه: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝۳﴾ [الطلاق / ۲-۳].

والملك الحق يدعوك أيها الإنسان للإيمان به ، ومعرفة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، لتشهد له بالوحدانية.

ولأداء هذه الشهادة العظيمة ، يجب أن تكون من أهل العدالة ، لتقبل شهادتك عند الملك الحق ، وذلك بالاستقامة على دينه ، والعمل بما يحبه الله ويطرضاه ، واجتناب ما يسخطه ويغضبه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝۳۷﴾ [المائدة / ۲۷].

وهؤلاء العدول هم الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة ، جزاء على شهادتهم بالحق وأعمالهم الصالحة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝۳۲ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝۳۳ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝۳۴ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝۳۵﴾ [المعارج / ۳۲-۳۵].

فسابق إلى الخيرات ، وسارع إلى فعل الطاعات ، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة، ولا تمل ، فإن الله لا يمل حتى تمل أنت ، ولا يضيق صدرك بمن سخر بك أو أساء إليك ، فإن ربك شهيد له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝۱۷ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝۱۸ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝۱۹﴾ [الحجر/ ۹۷-۹۹].

وعليك بالتفكر والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة ، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز والذلة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ

الْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَا رَبَّكُمْ تَوَقُّونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها، ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ فلا تميد بأهلها، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قطعها الأنهار المفجورة، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد/ ٣].

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة، والرياح المرسله، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم، جارية بأمره، على نسق محكم، وترتيب مطَّرد، يكون عنه الليل والنهار، والصيف والشتاء، والحر والبرد.

كل ذلك لإظهار قدرة التقدير في أنواع العبيد، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا.

فأظهر الرب ﷻ بذلك العجائب خلقاً وأمرأً بأحسن تدبير، وأكمل ترتيب: ﴿وَأَيَّاتٌ لَهُمْ آيَاتٌ نَّسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَاذَاهُمْ مَّظْلُومُونَ﴾ [٣٧] وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم، وجعل فيه السحب الثقيل، والرعد الذي يسبح بحمده، والبرق الذي يلقيح السحاب، والماء الذي يحيي به الأرض بعد موتها: ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَدَّهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٣].

ثم زاد الله ﷻ هذا الإحكام إحكاماً بأن بين خضوع جميع المخلوقات لربها، وسجودها بين يدي مالِكها؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلها، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال، في مشارق الأرض ومغاربها، بتدبير محكم من العزيز الحكيم: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٤].

[الأعراف/ ٥٤].

وخلق ربنا ﷻ السماء وجعلها سبعاً شداداً، وبنها ورفعها ، وزينها بالكواكب والنجوم ، وأمسكها بقدرته: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْفَ حَقَّقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/ ١٥-١٦] .

وجعل ﷻ تلك السموات السبع مسكناً للمقربين من عباده، والمصطفين من أوليائه، فتقهن الجبار سبع سموات ، أعلاهن أعظمن خلقاً ، وأوسعهن حجماً ، وكل واحدة محيطة بالأخرى ، ومأهّن بالملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتُدبر أمره : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

فسبحان الملك القوي القادر ، الذي خلق السموات بإحكام وإتقان لا خلل فيه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك / ٣] .
وهذه السموات السبع العظيمة تُقلِّها قدرة الجبار ﷻ ، ويحملها أمره ، وتمسكها مشيئته ، وتحكمها إرادته ، دون دعائم من تحتها تُقلِّها ، أو علائق من فوقها تمسكها .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي خلق كل شيء بإرادته، وقهر كل شيء بقدرته ، ومَلَكَ كل شيء بجبروته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١] .

وسبحان الشهيد الحي القيوم ، الذي أمسك السموات العظام أبداً وسرمداً بقدرته وقوته ، على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال ، لا تميد مثقال ذرة ، ولا تنقص مثقال ذرة : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْفَ حَقَّقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/ ١٥-١٦] .
سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥] .

واعلم أن كل تنقل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب، كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله ، وحصول البعث بعد الموت: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء / ٥] .
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا يُرَادُ لَهَا كُفْرًا وَلَا نُكُوفًا وَمَتَى يَأْتِ السَّاعَةُ سَأُخَذُ نَفْسُكَ مِنْكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي

رَبِّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج / ٥ - ٧] .

فلا إله إلا الله كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها .

فمجيء نهار بعد ليل كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة ، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور / ٤٤] .

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١٩٠] .

وسبحان العزيز الحكيم الذي خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الدنيا والآخرة .

وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده .

نصبها آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وآية على البدء والإعادة ، وآية على الحياة بعد الموت ، وآية على فقر المخلوقات وذليها ، وآية تشهد بعظمة خالقها: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢١٠﴾﴾ [الرعد / ٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وأخرج منه هذا النسل العظيم .

من ذكر وأنثى ، وصغير وكبير ، وحسن وقبيح ، ومؤمن وكافر ، وصادق وكاذب ، وطيب وخبيث: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الذاريات / ٢١] .

وسبحان الحكيم الخبير ، الذي سقى الأرض بالماء فأنبثت من كل زوج بهيج : من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْدَرًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعُ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا

لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَّيْمَنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴿ق / ٦ - ١١﴾ .

الكل يشهد بوحدانية ربه، والكل يسبح بحمده، والكل يعمل بأمر ربه: ﴿الْمُرَّانَ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [النور / ٤١] .

فهل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الله بالشمس والقمر ، والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله ، وتسبح بحمده: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح / ١٣ - ١٦] .

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج، خلقها الله بقدرته لتسبح هي وأولادها بحمده، وتقت لعظمته ، وتشهد بوحدانيته .

وسخرها لخلقها يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، ويتعمون بخيراتها، ويسكنون فوقها، ويتقبلون في بقاعها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل / ١٠ - ١١] .

فسبحان من ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤] .

كم في الأرض من آية وعبرة ؟ وكم يخرج منها من أشجار وثمار ؟ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات / ٢٠ - ٢١] .

تعطي الحبة منها سبعمائة حبة بأمر الله ﷻ .

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا ما أعظمه وما أحسنه .

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة ، من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفة ، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام

أن تتخيله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: أعددت لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴾ متفق عليه ^(١).

فسبحان الله ما أجهل الإنسان بربه.. وما أجهله بأسمائه وصفاته.. وما أجهله بآياته ومخلوقاته.. وما أجهله بدينه وشرعه.. وما أجهله بوعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَكُمُ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة خلق الإنسان وتقلبه من حال إلى حال، من تراب، إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، ثم جسماً بلحم وعظام، ثم حياً ذا روح، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه، وفي تبدله من حال الطفولة إلى الشباب، إلى الاستواء، إلى الكهولة، إلى الشيخوخة.

فسبحان الذي خلقه وصوره، وأحسن خلقه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة/ ٦-٩].

وسبحان الملك القدير الذي خلق ما شاء، وما يزال يخلق ما شاء، الذي بيدو الخلق ثم يعيده، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم/ ١٩].

وسبحان الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/ ١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السموات والأرض ترى عجائب قدرة الله، وعظيم ملكه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له.

وسلطانه ، وتشاهد التدبير والتصريف ، والتحرك والتسكين ، والحياة والموت ، في كل لحظة: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت / ٢٠] .

واعلم أن الله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية، وأسكن فيها الأرواح، فصارت حية بأمر الله عز وجل.

والروح سر باطن موصوف بصفاته ، معلوم بأفعاله ، لا يحيط به العلم ، ولا يكيفه العقل .

اختص الله ﷻ بمعرفته وحده، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه ، وطريقاً إلى الوصول بالمعرفة إليه والإيمان به: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء / ٨٥] .

والروح أمر رباني ، وعبد روحاني ، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محنته ، فواقع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً ، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض كما عصاه في الجنة: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبَّهُ فَفَأَبَّ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٣٢﴾ [طه / ١٣١-١٣٢] .

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء ، فإن آمن العبد بربه صار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه صار الجسم والروح إلى النار: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ [طه / ٧٤-٧٦] .

والموت هو مفارقة الروح للجسد ، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خلق منه، وخرجت الروح الحية منه، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء.

فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى تصعد به إلى ربه ﷻ ، فيؤمر بالسجود لربه فيسجد له، ثم يعود إلى جسده في قبره وينعم فيه، ويبقى فيه إلى أن يُبعث، ثم يحاسب ، ثم يدخل الجنة: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الواقعة / ٨٨-٨٩] .

وإن كان كافراً لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء ، ورُمي من علو إلى الأرض ، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل النار: ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَفَرِهِمُ
الْغِيَاطَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف / ٤٠ - ٤١].

فما أعظم الله في خلقه وأمره، وحكمه وتدبيره، وأسمائه وصفاته: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا وَآلَتُنَّ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾
[لقمان / ١٠ - ١١].

أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.

وخلق سبحانه الجنة وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يرغبهم فيها ، من المياه والثمار وسائر
النعم ، وخلق النار وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يخوفهم منها من النار ، والسموم ، والآلام ،
وسائر المكروه .

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين ، نفس في الصيف وهو أشد الحر ، ونفس في الشتاء وهو الزمهرير
أشد البرد.

فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى.

ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اِشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ
لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ
الزَّمْهَرِيرِ » متفق عليه ^(١).

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك ، وجعل ذلك تذكرة وعبرة ، ودفع هذا بهذا ، وكسر هذا
بهذا، وتم أمره في الدنيا والآخرة، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

فلا إله إلا الله الحكيم العليم ، كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات والعيون ،
والأنهار والأشجار ، والأزهار ، والنبات ، والثمار : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْدِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل / ١٠-١١] .

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر .

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم ، والملك الكبير ، والتدبير العجيب : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
[الأنبياء / ٣٠] .

وإذا نظر الإنسان إلى عظمة هذه المخلوقات فليعدّ النظر إلى هذه النطفة المتكررة .

كيف خلقها الله من ماء مهين، فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود ، والطويل
والقصير ، والكريم والبخيل ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم / ٢٠-٢١] .

فسبحان من شرف الإنسان من بين المخلوقات فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له
ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وكرمه بالسمع والبصر والعقل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل / ٧٨] .

ثم زاده تكريماً بأن شرفه بالدين الذي يعبد به ربه ، ويهتدي به في حياته ، ويسعد به في الدنيا
والآخرة : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض ، وعبداً لمولاه ، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه :
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

ونوع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة ، ونوع له بالدين أنواع الطاعات والعبادات ؛
ليزداد معرفة بربه العظيم ، ويزداد شكره وحمده ؛ ليعظم أجره : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠] .

ويوم القيامة يكرم من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب، جزاء وفاقاً: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤] .

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجل من هذا التكريم ، وأحسن من هذه الأحكام : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٠] .

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان أكثر الخلق ، وكم صرفهم عن التفكير في أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، ومخلوقاته العظيمة ، وآياته الحكيمة : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

واعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره ، وأشهدهم على ربوبيته ، فأقروا بذلك ، ثم جمع الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي ، وقال : هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى : هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم ، ليخرجوا منه على مر القرون.

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب ، لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين ، فأوجد لهم الصُّور الذي جمع الله فيه الأرواح كلها.

ثم ينفخ فيه إسرافيل ، فتطير كل روح إلى جسدها، ثم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد البعث يكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٨-٧٠] .

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الأرواح ، واليوم الآخر ، والقدر ، كله من الغيب الذي شاهدته العقول ببصيرة الإيمان ، حتى صار يقيناً كالمشهود

بالأبصار: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة/ ٢-٣].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة ، والله وحده عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].
فَالصُّورُ مِنْ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْأَرْوَاحُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَأَعَادَ الْأَرْوَاحَ بِالصُّورِ إِلَى الْأَجْسَادِ ، ثُمَّ أَعَادَ الْكُلَّ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ، ثُمَّ سَاقَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَسَاقَ الْكَافِرِينَ إِلَى النَّارِ .

حكمة بالغة ، وحُكْمٌ عدل ، وأمرٌ حَتَمَ رجوع كل شيء إلى حيث كان ، حسب عمله ، وقيامهم بين يدي الجبار ليحكم بينهم: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٥٦﴾﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات/ ٢٣].

فإن لم تدرك هذا الحق المبين ، فاعلم أنك محجوب عن ربك ، قد أسرك الشيطان ، وزين لك اتباع الهوى وترك الهدى ، فارجع إلى ربك ، وانظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية ، لعلك تبصر مع المبصرين: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَلْبَتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤-١٠٥].

اللهم إني أشهدك في هذا المقام ، أنني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبداً ورسولك ، فاكتبني مع الشاهدين يا مولاي .

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرئيل بالنفخ في الصور ، فإذا نفخ صعق كل روح في السموات والأرض إلا من شاء الله ، وفرغ إلى الصور داخراً صاعراً: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل / ٨٧].

ثم يميت الله إسرئيل ، وملك الموت ، وتحق كلمة الله بموت كل نفس ، ويبقى الملك الحق الحي القيوم ﷻ .

فينادي : لمن الملك اليوم ؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿يَوْمَ هُمْ
بُرُزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله ﷻ إعادة الخلق بعد الصعق ، أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر
كل شيء أخذ من شيء أن يعود إليه ، ثم يُنبت الله أجسام الخليقة كاملة كما ينبت النبات
بالماء: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح / ١٧ - ١٨] .

ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل ﷺ ، ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث ، فينفخ فيه ، فتخرج
كل روح إلى جسدها: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ
نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر / ٦٨] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يُخرج النبات الحي من الأرض الميتة ، ويعيد
الروح الحي إلى الجسد الميت ، فيحيي الميت بالحي، ثم يخرج من القبر للبعث
والحساب: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم / ١٩] .

فسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء : ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر / ٧ - ٨] .

فلا إله إلا الله متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاها، ومتى يورب إلى ربه من طغيانه وفجوره: ﴿أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد / ١٦] .

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها ، فإنه غفور رحيم : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد / ١٧] .

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها بعد انقضاء الآجال، وتمام الآماد كلها:
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّبَاءٌ لِّفَصْفَحِ الصَّفْحِ
الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر / ٨٥] .

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام، والقرن بعد القرن، كذلك

ينقضي يوم الدنيا ، ويخلفه اليوم الآخر ، وإنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٥-١٦].

واعلم أن الحكيم ﷻ جعل النوم بين اليقظتين آية على الموت بين الحياتين .

ومن كان في يقظته على شيء ، فالغالب أن يكون على مثله في نومه ، ومن عاش على شيء ، فالغالب أن يموت عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه .

فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقة حين لا تنفع الرؤية: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق/ ٢١-٢٢].

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك يا كريم: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه ، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أظهر الله دينه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/ ٩].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إليه ، والصبر على الأذى في سبيله ؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي خلق السموات والأرض بالحق ، وأنزل على عباده الحق ، وأرسل رسوله بالحق: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٠].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل ، والملك والعظمة ، والجلال والكبرياء: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البجائية/ ٣٦-٣٧].

وتشهد للإله الحق بالتوحيد ، والعبودية له ، والافتقار إليه .

فكل ما سواه من المخلوقات يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقير ، والعجز والتناهي ، في الأقطار والحدود ، والآجال والصفات .

ويشهد لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له ، ويخضع لعبوديته ، ويسبح بحمده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

هو القادر على كل شيء ، الذي خلق القدرة في كل قادر ، وله وحده القدرة المطلقة ، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له .

وهو سبحانه العليم بكل شيء ، الذي يملك خزائن العلم كلها ، الذي خلق العلم في كل عالم ، وله وحده العلم المحيط بكل شيء ، وعلم ما سواه ناقص طارئ محدود: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢] .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدين الحق ، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به ، من الإخبار بالغيوب ، وخرق العادات ، وتأبيدهم بالآيات والمعجزات ، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم ، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد / ٢٥] .

وصفات النبوة ، وأعمال النبوة ، وآيات النبوة ، ماثورة في العالم كله إلى يوم القيامة ، تظهر في المسلم ، ثم تتجلى في المؤمن ، ثم تشرق في الموقن ، ثم تستعلن في الصديق وهو المحسن .

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون صلوات الله وسلامه عليهم .

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة ، يربط الله بالحق على قلوب أهلها ، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم ، ويكرمهم بضروب الكفايات ، وحصول الكرامات ، وإجابة الدعوات ، وقضاء الحاجات .

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم ، وإذعانهم للأنبياء وتوقيرهم ، مع حسن الاقتداء بهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [١٥] [الحجرات / ١٥] .

وكثيراً ما يكون في هذا الصنف الممتخب محادثة السر، والنفث في الرُّوع ، وحسن السميت ، والصدق في الرؤيا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ » أخرجه البخاري ^(١).

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق ، ويخرج مخرج الصدق ، ويقوم مقام الصدق ، فاطلبه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦١] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [٧٠] [النساء / ٦٩ - ٧٠] .

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴾ [٥٥] [القمر / ٥٤ - ٥٥] .

فاجتهد في طلبه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [٨٠] [الإسراء / ٨٠] .

ولعظمة هذا المقام ، وعلو درجته ، سيسأل الله أهله عن هذا الصدق: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [٧] لَيْسَ لَكَ مِنَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [٨] [الأحزاب / ٧ - ٨] .

فعليك بالتسليم الكامل لربك ، مع الإحسان في القول والعمل ، تُرضي ربك ، وتنال كرامته: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٩٧] [النحل / ٩٧] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٩) .

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه ، وصعد في المدارج العالية، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل، فيرى ويسمع الحق المنفطور عليه العالم، فيكون كل شيء يراه أو يسمعه أو يعلمه دليل من الحق يدل على ربه الحق الممين، فإذا حقق هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/٦-٨].

فسبحان من أكرم آدم وذريته ، وعلمه الأسماء كلها ، وباهى به ملائكته ، وأسجد له جميع الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وأكرمه بمعرفة أسماء ربه الحسنی، وصفاته العلى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/٦٥].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكراً ، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة ، وأشهدهم على ذلك شهادة حقاً ، ثم استخرجهم من الأصلاب ، جيلاً بعد جيل ، على هذه الفطرة الربانية الإيمانية: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل، ويؤمن بما جاؤا به من الهدى والفرقان ، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان، ويزيدها بالفكر، ويغذيها بالذكر والعبادة ، فتفتح له أبواب العلم والهداية.

فلا يزال يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض ، ثم يخترق السبع الطباق ، ثم يبلغ الكرسي الكريم ، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسنى، فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلى ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد:

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويرفع ويخفض .. ويسبط ويقبض .. ويأمر وينهى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧] .

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين: ﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم ، بل يتذكر ما هو مركز في فطرته من تلك المعرفة ، ولهذا قال سبحانه: ﴿ فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ [النحل/ ٤٣] .

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم ، بحسب الحُجُب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة.

فتجده يكذب بآيات الله ، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملاً الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض فساداً، ويملاً ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ [يونس/ ١٧] .

فيحتبس المطر من أجله ، وتقحط الأرض بسببه ، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضره: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ [الروم / ٤١] .

فاستقم كما أمرت ، ولا تكن من الممترين ، فتكون من الضالين: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص / ٥٠] .

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عبده عبادته وحده لا شريك له: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [يونس/ ٣٥] .

وآيات هدايته إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهتدوا بها إلى مقاصدهم ، وإنزله الكتب ، وإرساله الرسل إلى الخلق ليهتدوا إلى ربهم: ﴿ وَالْقَى فِي

الْأَرْضِ رَوَيْتُ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٥-١٨].

واعلم أن السبل كثيرة ، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه ، وهو الصراط المستقيم ، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام / ١٥٣].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة.

فالسؤال : هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر / ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه : خذ هذا عن هذا : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥١].

واعلم أن من حوسب عذب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه، إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور / ٢١].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » قالوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدُّوا وَقَارِبُوا » متفق عليه (١).

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل.

فالعاجل: للحسنة نورها في القلب وثوابها ، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل: ما أقر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨١٦).

إِيَابِهِمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده ، بين لهم الصراط المستقيم في الدنيا، ليسيروا عليه إليه، ودعاهم لسلكه ليصلوا إليه.

ثم نصب لهم يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم ، وهو الصراط الأكبر المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين والمنافقين ، الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهؤلاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف/ ١٠٥-١٠٦].

ثم تتبّع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله فيقعون في النار: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون نصب لهم الصراط ، ثقلهم وخفيفهم ، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط وهم المؤمنون ، حبسوا على صراط خاص بهم على فطرة بين الجنة والنار ، فإذا هذبوا ونقوا من المظالم التي بينهم دخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيَحْبَسُونَ عَلَىٰ فِطْرَةِ بَيْنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقْصُ لِعَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحَدَهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا » أخرجه البخاري (١).

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعتهم عنق النار في المحشر إلى النار وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥).

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا ، تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ [آل عمران / ٥١].

واعلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴿٧٢﴾ [مريم / ٧١-٧٢].

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : .. قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا » متفق عليه (١).

فلا إله إلا الله ، إن قلباً لا تهزه هذه الأهوال والكروب لقلب ميت : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ اللَّهِ فَثَبَّاتُوا عَلَىٰ آيَاتِهِمْ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ الرَّحْمَةُ وَالْحَمْدُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْحَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة ، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

والميزان يوم القيامة حق : له كفتان ، كل كفة تَسَعُ طباق السموات والأرض ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الأخرى: ﴿يَوْمَ يَدُودُ النَّاسِ أَسْنَانًا يُرَوُّوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة/ ٦-١١].

فسبحان الرب العظيم ، الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدره: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فكل شيء بميزان مقدر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر .

الخلق والتدبير .. وإنزال الماء .. وتقسيم الأرزاق .. والنمو والتكاثر .. والجمال والبحار .. والسحب والرياح .. وكل شيء في خزائن الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١].

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمدده ميزابان من الكوثر ، الذي أعطاه إياه ربه في الجنة ، فيشرب منه كل من آمن به : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر/ ١].

وهذا الحوض عظيم واسع كما بين مكة وبصرى ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وآيته كعدد نجوم السماء ، مَنْ شرب منه لا يظمأ أبداً، يشرب منه المؤمنون ، ويُزاد عنه كل من بدّل دينه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أبيضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا » متفق عليه^(١).

واعلم وفقنا الله وإياك للفقه في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر، والحق بالباطل، امتحاناً وابتلاءً للعباد في هذه الدار ؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه : ﴿ وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

أما الآخرة فإن الله ﷻ خلص فيها الخير كله ، وجعله بحذافيره في الجنة ، وخلص فيها الشر

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

كله ، وجعله بحذافيه في النار: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت / ٦٤] .

فسبحان الملك الحق ، الحكيم الخبير ، الذي خلق الدنيا والآخرة ، ثم أظهر لنا الدنيا ، وأخفى الآخرة ، وقدم الدنيا ، وأخر الآخرة ، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة .

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة ، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول ، ولا تعلمه النفوس: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧] .

ومن كفر به أدخله النار ، وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَّجَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ٥٦] .
واعلم رحمك الله أن الناس يحشرون كلهم للحساب يوم القيامة .

والحشر حشران سوى الحشر الأول :

حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا » متفق عليه^(١) .

ثم الحشر الأول بعد نفخة البعث والنشور حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [٤٧] وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ [٤٨] [الكهف / ٤٧-٤٨] .

وأما الحشر الثاني فهو حشر الكفار إلى جهنم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٦١) .

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدِّرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم / ٧١-٧٢] .

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم / ٨٥-٨٦] .

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور لا يراه أحد في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه ، ولا يحيطون به ؛ لكمال عظمته وكبريائه : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين ، ثم يحتجب عنهم كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين / ١٥-١٦] .

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم أن من آمن بالله في الدنيا ، وراه ببصيرته ، أكرمه الله برؤيته يوم القيامة ببصره ، ودخول جنته ، والفوز برضوانه ، ومن كفر بالله في الدنيا ، وعمي عنه ببصيرته ، حرمه الله يوم القيامة من رؤيته ، ودخول جنته ، وأدخله ناره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة / ١٨-٢٠] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

واعلم رحمك الله أن الشهادة بأن الله هو الحق المبين هي أم الشهادات وأصلها، فهي شهادة بأن الله هو الحق .. وأسماءه كلها هو حق .. وصفاته كلها حق .. وأفعاله كلها حق .. وأحكامه كلها حق .. وأقداره كلها حق .. وخلقها كله حق .. وأمره كله حق .. ووعدته كله حق .. ووعيده كله حق .. وكتبه كلها حق .. ورسله كلهم حق : ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا

تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان الملك الحق لا إله إلا هو: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣٢].

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ أَسْمَنَاتِ وَالْأَرْضَ كَانُوا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء / ٣٠-٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك ، لترداد علماً وتوحيداً ، وإيماناً يقيناً: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف / ١٨٥].

إذا فهمت هذا ، فاعلم رحمتنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور ، وأربعة مواطن ، وخمسة أحوال.

فأمن بهن وما فيهن من خلق وأمر ، وحياة وموت ، وتقدير وتدبير ، ومشهود ومستور: ﴿رَبَّنَا آءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

أما الدور الثلاث :

فدار الدنيا .. ودار البرزخ في القبر .. والدار الآخرة.

وأما المواطن الأربعة :

فأولها الدنيا .. ثم البرزخ .. ثم عرصة القيامة .. ثم الجنة أو النار.

وأما الخمسة الأحوال :

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج.

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع : حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار ، وهي دار القرار الأبدي في النعيم أو الشقاء.

فاعلم رحمك الله ذلك كله ؛ لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته سوف تراه، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُكَّ وَحَدٌّ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

﴿ بِنَاءً أَمْثَلًا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم / ٤١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).

اللهم إني أشهدك ، وكفى بك شهيداً ، أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، وأشهد أنك الحق ، ووعدك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد ﷺ حق ، والنبيون حق ، ودينك حق ، وقولك حق ، لا إله غيرك ، ولا رب سواك .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

المقالة ١١٥. الواسع

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجَّهُ اللهُ إِلَيْكَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الله ﷻ هو الواسع الحق، ذو الطول والاقْتدار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم، الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده، الرازق الذي وسع رزقه جميع خلقه، وبيده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا فِئْتَهُمْ مِنْ شِئَاءِ اللَّهِ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٧٣].

وهو سبحانه الواسع العليم، الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى

عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٨) . [طه / ٩٨] .

وهو سبحانه واسع المغفرة، الذي يغفر لكل من تاب وأتاب مهما بلغت ذنوبه وخطاياها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُرِّ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢) [النجم / ٣٢] .

وهو عظيم واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان الواسع العظيم ، الذي وسع كل شيء رحمة ومغفرة ، وفضلاً وعلماً ، وحكماً وسلطاناً.

وسعت أسماؤه كل شيء .. ووسعت صفاته كل شيء .. ووسعت كلماته كل شيء .. ووسعت أفعاله كل شيء .. ووسعت خزائنه كل شيء : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢١) [الحجر / ٢١] .

جمع عظيم إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ (٣٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) [الروم / ٢٦-٢٧] .

وهو الواسع الذي جمع علمه وقدرته ومشيبته وإرادته كل كائن في السموات والأرض ، وكل كائن في الدنيا والآخرة ، وكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، من كبير وصغير ، وظاهر وباطن ، وحي وميت ، وناطق وصامت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ (١١٥) [البقرة / ١١٥] .

الكل ملكه ، والكل في قبضته ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل يسبح بحمده .

فسبحان من جمع ذلك كله كتاباً في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢) [يس / ١٢] .

ثم جمع ﷻ الخليفة البشرية كلها في واحد جامع ، جعله عبداً له ، متذلاً لعزته، خاشعاً لعظمته، قانتاً له، متصاعراً لكبريائه.

جمع في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود وكلام ، وأعمال وأخلاق.

ثم أظهر سبحانه ذلك كله ، كل على نوبته وأوليته من الدهر: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ ﴾ [القمر / ٥٢ - ٥٣] .

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والسفلي على ذكره وتوحيده ، وتسييحه وتوحيده : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

ثم هو ﷻ جامع الناس ليوم لا ريب فيه ؛ لتوفى كل نفس ما كسبت: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٩ ﴾ [آل عمران / ٩] .

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار: ﴿ يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ ١٤٠ ﴾ [التغابن / ٩ /

هو الحق ﷻ جامع الخير كله بحذايره لأوليائه في الجنة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة / ١٧] .

وهو جامع الشر كله بحذايره لأعدائه في النار: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠ ﴾ [النساء / ١٤٠] .

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، وقدرة ومشية: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ١١ ﴾ [يونس / ٦١] .

هو الواسع الحكيم، رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم

على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣].

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذرات، ووسع علمه جميع
المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم ، ووسَّع عليهم في
دينهم فلم يكلفهم إلا وسَّعهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٦١].

وهو سبحانه واسع الملك الذي يؤتیه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٤٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الواسع :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الواسع الحق ﷻ له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ،
وله المثل الأعلى ، وله المحامد كلها ، وله الثناء الحسن كله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم ، فاحمل نفسك على أحسن الصفات وأوسعها خيراً ، وأنفق
مما آتاك الله من فضله في مرضاته يؤتک أضعافه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ
لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٥].

واعلم أنك لن تستطيع أن تسَّع الناس بمالك ، فسَّعهم بأخلاقك الحسنی ، يحبك الله ، ويحبك
أهل السماء والأرض: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِ وَالْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَاقًا »
 متفق عليه ^(١) .

ومن أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس ، والرفق بهم ، وإكرام أشرفهم ، والإحسان
 إلى فقرائهم ، والحلم على سفيههم ، ودعوتهم إلى الخير ، والنصح لهم ، وحب المؤمنين
 منهم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾
 [آل عمران / ١١٠] .

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ
 حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾
 [آل عمران / ١٥٩] .

وقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأحسن الأديان ، وأحسن الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، فاتبعه في دينه ،
 وأخلاقه ، وأقواله ، وأفعاله ، تحمل صفاته التي وصفه بها ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾
 [القلم / ٤] .

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ،
 يكرمك بجميع أنواع الثواب يوم القيامة .

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما
 يرضيه عنك ، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه ، فخرائن كل شيء عنده :
 ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِيقَادٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١] .

وأكثر من التدبر والتفكير في آيات ربك العظيمة ، وملكه الواسع ، ثم أتبع العبرة بالعمل
 المحبوب إليه ، من الذكر والعبادة ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢١) .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

واجمع بين العلم والعمل، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، وثمره العلم الحق العمل الحق مع الخشية والقنوت: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى: ﴿ وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٢٥] وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان / ٢٥-٢٦].

واعلم أن شأن الله عظيم، وأسماءه وصفاته الحسنی لا تحيط بها العقول، وجلاله وجبروته وعظمته وكبرياؤه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام، وآلاؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى.

فسبحه كثيراً.. واحمده كثيراً.. واستغفره كثيراً.. واذكره كثيراً: ﴿ يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤٤] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [٤٣] تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [٤٤] [الأحزاب / ٤١-٤٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقَةَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [٨٤] وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه^(١).

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

والدرجات العلى من الجنة يا واسع الرحمة والمغفرة والعطاء ، اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء ، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة ، وخير الفلاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وخير المقام ، يا واسع الفضل والمغفرة.

المحيط

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء / ١٢٦) .

الله ﷻ هو المَلِكُ الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي.

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذ مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء / ١٢٦) .

وهو سبحانه العلي العظيم ، الذي أحاط بكل شيء خلقا، وأحاط بكل شيء أمرا، وأحاط

بكل شيء قدرة ، وأحاط بكل شيء علما: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

وهو سبحانه العلي الكبير ، الذي أحاط بالعالم كله، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعله وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد / ٣] .

وهو المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والسفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [فصلت / ٥٤] .

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط بجميع خلقه بالنعم والعافية، وأحاطهم بالأمن والدين، فلا أحد أكرم منه ، ولا أحد أقوى منه ، ولا أحد أعظم منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

فسبحان الملك الحق ، المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد ، المحيط بالمكان والزمان ، المحيط بالأوائل والأواخر ، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال، والجهر والسر: ﴿وَأَسْرُوقَوْلِكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الملك / ١٣-١٤] .

وسبحان الرب العظيم الذي خلق الملك والملكوت ، وأحاط بعالم الغيب والشهادة.

خلق السموات والأرض، وملاً السموات بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره، وملاً الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والذرات ، والإنس ، والجن .

ثم أحاط الجبار كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الأولى الدنيا، وأحاط السماء الأولى بالثانية.. وهكذا إلى السماء السابعة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رِقْقًا فَفَنَّقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء / ٣٠] .

ثم أحاط سبحانه السموات والأرض بالكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم ، الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٦﴾ [النمل / ٢٦].

والسماوات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكل في يد الجبار ﷻ أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧].

فسبحان الكبير المتعال ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وأحاط بكل شيء محيط ، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

والله ﷻ ذو العظمة والكبرياء ، والعزة والجبروت ، قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات وهي الرحمة ، كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه / ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم ، وأحاط بكل محيط .. يفعل ما يشاء .. ويحكم ما يريد .. يخلق ويرزق .. ويأمر وينهى .. ويعز ويذل .. ويحيي ويميت .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

واعلم علمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة ، والتدبيرات العجيبة في السماء والأرض ، لكل واحد منها يومه وساعته ودقائقه ، ولكل مخلوق أيامه وأسابيعه وشهوره وأعوامه وقرونه ، يقع فيها حوادث لا يحصيها إلا الله ، من الأعمال ، والتسبيح ، والتحميد ، والحياة ، والموت ، منها ما نبصره ، وأكثرها لا نبصره .

والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل أحاط به المحيط سبحانه ، الذي أحاط بكل شيء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ﴿١٣٦﴾

[النساء / ١٢٦].

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة ، وأوسعها وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات العلى ، وحملة العرش المقرين، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبداً: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر/ ١٥-١٧].

والله ﷻ هو الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتديبرهم وأرزاقهم: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها ، وتسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده ، ومن شد من البشر عن عبادته فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت/ ٣٨].

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو، وأكرمنا بالدين الحق الذي يرضى به عنا، وفرض علينا أولاً خمسين صلاة في اليوم واللييلة ، ثم خفف الكريم الرحيم عدددهن من خمسين إلى خمس صلوات، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وجعل كل حسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو، والسيئة بمثلها ويمحوها بالتوبة أو بعفوه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

واعلم أن مَنْ عَلَتْ مَنَاهِمُهُ ، سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض ، وتكثير النوافل من جميع الطاعات ، واجتناب المنهيات: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات ، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات: ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ

أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ [يونس / ١٠٨] .

فسبحان الكريم الرحيم بعباده ، الذي خلق المسبحين وعرفنا بهم ، وأرانا إياهم ، وأخبرنا بدوام تسييحهم، لنقتدي بهم، ونسبح بحمده معهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨] .

هو الله ﷻ المحيط الذي أحاط بكل شيء ، وأحصى كل شيء من الذرات ، والذوات ، والأعداد ، والأحوال ، والآجال ، والأرزاق ، والأنفاس ، والحركات ، والأقوال ، والأفعال ، وما في القلوب ، وما في الغيوب : ﴿ سَتْرِيهِمْ أَيَّاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ [فصلت/ ٥٣-٥٤] .

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً ، عدداً وقدرًا ، علماً وعملاً .

يعلم مثاقيل الجبال .. ومكايل البحار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد الطير والحيوان .. وعدد الإنس والجان والملائكة .. وأحصى تسييحها وأنفاسها وما خرج منها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ [يس/ ١٢] .

أوجد سبحانه العدد وجوداً لا منتهى له ولا آخر ، وجعله في الدنيا آية على بقاء ما له أول ولا آخر له ، وهي الدار الآخرة .

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد ، ويحسبها بحساب واحد ، ويعلم كل شيء بعلم واحد ، وأحصى جميع المخلوقات جملة وتفصيلاً : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفْظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢] .

والله ﷻ أَسْمَاؤُهُ لَا تَحْصَى ، وَصِفَاتُهُ لَا تَحْصَى ، وَنِعْمُهُ لَا تَحْصَى .

وَمَنْ أَحْصَى مِنْ أَسْمَائِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وإحصاؤها هو معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثُرٌ يَحِبُّ الْوَثْرَ** » متفق عليه^(١) .

فيجب علينا تعلم أسماء الله الحسنى ، لندعوه بها ، ونتعبد لله بها بالانصاف بما يليق بالعبد منها : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

واعلم أنك إن كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق ، ويحصي كلامك وأفعالك وأنفاسك ، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك ، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك ، فلماذا لا تُجِل نظره إليك ؟ ولا تهاب رقابته عليك ؟ ولا تستحي من مشاهدته لك ؟ : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحج / ٧٠] .

واعلم أن أنفاس العباد معدودة ، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت ، فاذكره واعبده بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم / ٦٥] .

• التعبد لله تعالى باسمه المحيط :

اعلم أن الله تعالى هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [طه / ٨] .

هو الملك المحيط بكل ملك .. القوي المحيط بكل قوي .. الكبير المحيط بكل كبير .. العزيز المحيط بكل عزيز .. العليم المحيط بكل عليم .. الغني المحيط بكل غني .

فسبحان الرب المحيط بجميع أكناف العالم ، وجميع ذرات العالم ، المحيط بجميع أنفاس ونيات وحركات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق / ١٢] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكير ، وزيادة التدبر ؛ لتعرف الكبير حقاً ، والعظيم حقاً ، والملك حقاً ، والمحيط حقاً ، الذي أحاط بالملكوت كله حولاً وقوة ، وعلماً ومشيةً ، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة ، كبيرة أو صغيرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

ومن هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا ملكه ، وتلك خزائنه ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

فعليك بالاستسلام له .. والحياء منه .. والتبرؤ من الحول والقوة له .. والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة .

فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ [النور / ٢١] .

واحرص أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن ، واجتنب المعاصي والبدع ، وعليك بالصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر لله على النعماء ؛ لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧] .

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠] .

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء ، ولا تتبرم من أي مكروه قدره ، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣] .

وإذا وقع مكروه فقل : قدر الله وما شاء فعل ، وإذا لم يقع ما تحب ، فاعلم أنه لم يقدره

العليم الخبير، ولو كان خيراً لقدره: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [التوبة / ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعلَ» أخرجه مسلم ^(١).

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأعمالك، ومصاحبة الأيام والشهور والأعوام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١١٣) [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته، كما كان العبد لربه بعد بعثته من نومه.

فإن كنت في الدنيا لربك عبداً، ولحرماته معظماً، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً، كان الله في الآخرة لوجهك مكرماً، ولشأنك معظماً، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعاً: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (٦٠) [الرحمن/ ٦٠].

ومن أحسن أحسن الله إليه وزاده: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦١) [يونس/ ٢٦].

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلاً عن آحادها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاً أَفْغَيْرَ اللَّهُ نَفْقُونَ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَرُّونَ﴾ (٥٣) [النحل/ ٥٢-٥٣].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك، واستغفر عن التقصير في كل عمل صالح: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا لَإِنسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) [إبراهيم / ٣٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر ، والعمل الصالح ، ومدافعة الغفلة
مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض
والنوافل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾
[الحجر / ٩٨ - ٩٩] .

وإياك وإضاعة الأوقات ، والتسوية ، والتمني ، والتراخي ، والانتظار .

فهذه كلها جنود إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ / ٢٠] .

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار ، كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب ، ففكر واعمل
بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَابِنَاهُ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر ، يا عليمًا بالظواهر والبواطن ، يا سميعاً للمنادي
والمناجي ، يا بصيراً بالشاهد والغائب .

أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ،
والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته ، ولا كرباً إلا نفسه ، ولا ضراً إلا كشفته ،
ولا ضاللاً إلا هديته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

المقالة ❦ الحبيب .. الحاسب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) [النساء / ٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء / ٤٧].

الله ﷻ هو الحبيب الحق، ذو الشرف والمجد، والعزة والجبروت، والعظمة والسؤدد، والجلال والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثلها شيء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الحبيب الحق، العالم بمقادير الحسنات والسيئات، وأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال، والأعمال، والأرزاق، وأعدادها، وأنواعها، وأجناسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) [النساء / ٨٦].

وهو سبحانه الحاسب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم، ورازقهم،

وكافيهم في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر/ ٣٦].

وهو سبحانه الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحاسب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم.

فكلها محسوبة عنده، لا يضيع منها شيء، ولا يزداد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً، بلا ظلم ولا بخل ولا نقص: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

والله ﷻ سريع الحساب، بل هو أسرع الحاسبين، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة حاسبهم في أسرع وقت، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد، كما يرزقهم جميعاً في الدنيا في وقت واحد: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢].

فسبحان الملك الحق، الذي خلق جميع الخلق، وأحصى أعدادهم، وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٢﴾ [يس/ ١٢].

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة، فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ [لقمان/ ٢٨].

واعلم أنه لن يُفْلِتَ أحد من الموت، كما أنه لن يُفْلِتَ أحد من الحساب، كما أنه لن يفلت أحد من العقاب، أو يُحْرَمَ من الثواب: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فاختر لنفسك ما تسعد به: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا

واعلم أن الحساب يوم القيامة من الرب الكريم لعباده مبني على العدل والرحمة والإحسان، ومن نوقش الحساب هلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلْفِيهِهٖ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِهٖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِهٖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق / ٦ - ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِهٖ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ» متفق عليه (١).

• التبعّد لله ﷻ باسمه الحسيب :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الحسيب الحق، الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِهٖ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِهٖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس / ١٠٧].

واعلم أيها المؤمن أن الله شرفك بعبادته، وخصك بهديته، وأكرمك بطاعته، فالزم طاعته في جميع أحوالك، وأكثر من ذكره في جميع أوقاتك: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَمَنَاجِيَ وَمَقَامِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام / ١٦٢ - ١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له، فهو لجلاله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته، أحق من عبد، وأحق من ذكّر، وأحق من شكر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَاْمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

ولا تُعدّد حسناتك، فإنها مكتوبة محفوظة مضاعفة لك عند ربك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦).

وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

وعدّد سيئاتك ، وتذكّرها ، لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلَنُنظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر / ١٨-١٩].

واحسب الساعات والأيام ، واملاها بالأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وانظر ما قدمت وما أخرت : ﴿وَأَنْ أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس / ١٥-١٦].

فالكل محسوب ستراه يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فسبحان الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما عملوه من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، وميز لهم صالح العمل من فاسده، وحسنه من قبيحه.

وعلم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب، ثم يوفيههم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَ يَمِيزُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج / ٥٦-٥٧].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابٌ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر / ٧-٨].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران / ١١٣].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ

بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « أخرجه مسلم (١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقيت

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ۝۸۵ ﴾ [النساء / ٨٥] .

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به، وأرسل إلى المخلوقات أرزاقها: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُ وَسَوْدَ عَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝۶ ﴾ [هود / ٦] .

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف ، المقيت الذي يعطي كل مخلوق من نبات ، وحيوان ، وطير ، وإنسان ، قوته على مر الأوقات والدهور: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝۳۰ ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

فسبحان من يمد هذه الخلائق في كل وقت بما جعله قواماً لها، فإذا أراد موت شيء منها حبس عنه ما جعله مادة لبقائه من القوت ، فمات بإذن الله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝۴۰ ﴾ [الروم / ٤٠] .

والله ﷻ هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له .

هو المقيت الذي يقوت الأجساد بالطعام والشراب .. ويقوت العقول بالعلوم .. ويقوت

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

القلوب بالإيمان وفتوحات العلم .. ويقوت الأرواح بدوام المشاهدة ولذيذ المؤانسة ..
ويقوت الأبدان بحسن العبادة.

فسبحان الملك الحق الذي قَدَّرَ جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم ، وقَدَّرَ
أقوات أهل الأرض وما يصلح لمعايشهم من النبات والأشجار والثمار والمنافع : ﴿ إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ
مُدْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والمكاسب ما لم يجعله في الأخرى ؛ ليرتقق الخلق
بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد : ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَةً
إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسَخَّرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل/ ١٣-١٤].

فيحصل بسبب ذلك من المنافع والمصالح الدينية والدينية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم :
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه يأكل منها
حيث يشاء : ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت/ ٩-١٠].

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء : ﴿ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا أَعِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١].

وسبحان الغني الذي له خزائن السموات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة : ﴿ لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ إِلَهَهُ لَهوَ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج/ ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ،

وَيَدِيهِ الْمِيزَانُ يُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ « متفق عليه ^(١) .

• التعبد لله ﷻ باسمه المقيت :

اعلم أن ربك الكريم هو المقيت الحق الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧)

[إبراهيم / ٧] .

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولائك ، وخالق الناس بخلق حسن ، وادعهم إلى الله ، وأكرمهم بالقول والفعل يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٢) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت / ٣٣-٣٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه ^(١) .

واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣١) [الإسراء / ٣٦] .

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب ، فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده، وأنواع عبادته، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، تكن من المفلحين: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) [آل عمران / ١٠٤] .

وإذا كان الله هو الحي المقيت وحده فاعبده وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) [غافر / ٦٥] .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾ (٤٠) [إبراهيم / ٤٠] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٢) .
(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(٢).

اللهم يا مقيت الخلائق كلها ، يا واسع الرحمة ، يا باسط اليدين بالعطايا ، أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً حلالاً طيباً ، يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا حسن التجاوز ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين .

الحفيظ .. الحافظ

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝١١ ﴾ [سبأ / ٢١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١ ﴾ [الحجر / ٩] .

الله ﷻ هو الحفيظ الحق ، الذي حفظ جميع ما خلقه ، وأحاط علمه بما أوجده ، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها ، وحفظ أوليائه من الوقوع في المهالك .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما ، وما عليهما ، وما بينهما ، لتبقى إلى ما شاء الله ، فلا تزول ولا تميد ، ولا يسقط منها شيء على شيء: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان القوي العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء: ﴿ الْعَرَّتْ أَنَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَمُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥ ﴾ [الحج / ٦٥] .

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١ ﴾ [فاطر / ٤١] .

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتغيير مع كثرة

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

المحرفين والمبدلين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩] .

فسبحان الحافظ العظيم ، الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم .

الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم، ويعلم نياتهم وما تكين صدورهم:
﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود / ٥٧] .

هو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ،
وعلم بمقاديرها ، ومقادير جزائها، وحفظ ذلك كله وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر / ٥٢-٥٣] .

وللحفيظ ﷻ حَفَظَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ الْعِبَادَ ، ويكتبون أعمالهم : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار / ١٠-١٢] .

وللرب ﷻ حَفَظَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ الْمَخْلُوقَ مِمَّا لَا يَرِيدُ الْحَفِيفُ الْحَقُّ كَوْنَهُ ، وهو من
أمر الله: ﴿ لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ أَمْرًا
بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد / ١١] .

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم،
ويحفظهم مما لا يرضاه منهم: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِأَيْتِلَافَاتِ الْفِتْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلَّ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنبياء / ٤٢] .

واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان :

الأول: حفظ عام لجميع الخلق ، يشترك فيه المؤمن والكافر ، وسائر النبات والحيوان، وهو حفظ
الذوات والنفوس التي خلقها الله بتيسير الطعام والشراب والهواء ، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من
ضرورات الحياة، ودفع المكاره والمضار عنهم كما قال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿١١﴾ ﴾
[سبأ / ٢١] .

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به ، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه
المضلة ، والفتن المهلكة ، والشهوات المفسدة .

وحفظ جوارحهم وألسنتهم من الكبائر والفواحش والمحرمات .. وحفظهم من أعدائهم من شياطين

الإنس والجن والنفس الأمانة بالسوء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أنه من حفظ الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، حفظه الله في الدنيا والآخرة ، فاحفظ الله يحفظك: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف/ ٦٤].

ومن حفظ حدود الله ، وأدى حقوقه ، فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب ، فأطاعه ، فرضي الله عنه ، وأدخله الجنة: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق/ ٣١-٣٥].

واعلم أن أعظم حفظ من الله به عليك حفظ قلبك ، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر ، والشرك ، والنفاق ، والفتن ، والأهواء ، والبدع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الملك العظيم وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم ، وتكفل بحفظه، وهدى من يحب للإيمان ، وتكفل بحفظه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَاصِرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحفيظ :

اعلم رحمك الله أن الحفيظ ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم ، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكة حفظة تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام/ ٦١].

وأنت غفر الله لك ، عبد الله الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة ، وكريم كلاءته ، ومنيع حفظه وحراسته في دينك واستقامتك ، وفي نفسك وروحك ، وفي سمعك وبصرك ، وفي فكرك

وعقلك، وفي قلبك وجسمك، وفي جميع حواسك الظاهرة، وجميع حوائجك الباطنة، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد، فاشكره وأحسِن عبادته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

ولا تحسبنَّ الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة، فذلك فضل عظيم من ربك، ولكن الحفظ الأكبر، حفظ القلب والدين من الكفر، والشرك، والنفاق، والبدع، والشك، والشبه، والأهواء، والفتن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور / ٢١].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسِن عبادته بما جاء به رسوله ﷺ، وأخلص العمل كله له، فهو أهل أن يُعبد، وأهل أن يُحمد: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

فهو سبحانه الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّا كَالْإِنسَانِ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك، وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَدْعُ نَاسٌ شَرَانًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فلهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت، واعبد ربك، واصطر لعبادته، وداوم على شكره، واصبر على بلائه، واحفظ حقوقه وحدوده، واجتنب محارمه وما يسخطه، فبذلك تستدرّ نعمه، وتستصحب حفظه، وتنال ثوابه، وتسلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من

حقوق الله هو توحيده بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهًا آدَعُوًا وَإِلَيْهِ مَقَابِ ۝﴾ [الرعد / ٣٦] .

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات الصلاة، فمن حافظ عليها حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝﴾ [البقرة / ٢٣٨] .
ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ ، كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝﴾ [٣٠] ﴿مَنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشَيْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۝﴾ [٣١] ﴿زُلَافًا مِّنْ عَفْوَٰرٍ رَّحِيمٍ ۝﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: « يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سيألت فلتسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقالم ، وجفت الصحف » أخرجه أحمد والترمذي ^(١) .

فاحفظ سمعك فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه.. واحفظ بصرك فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه.. واحفظ قلبك أن يتعلق به غيره.. واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضبه.. واحفظ جميع جوارحك فلا تتحرك إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [١١٢] ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [الأنعام / ١٦٢-١٦٣] .

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أقرب كلما تقربت منه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة / ١٠٠] .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه ^(٢).

واعلم أن من حفظه الله في أمور دينه ودنياه ، فإنه لا يضيع أبداً ، ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف / ٦٤] .

فاستودع الحفيظ ﷻ نفسك وأمانتك وأقوالك وأعمالك ، وجميع ما تملك ، وخواتيم أعمالك ، فما استودع شيئاً قط إلا حفظه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْرَأُونَ فِي سَكِينٍ اللَّهُ فَيَقْرَأُونَ وَيُقْرَأُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ١١١] .

وأكمل لربك ما يحب ، يُكمل لك يوم القيامة ما تحب ، واجتنب ما يكره ، يحفظك مما تكره ، فهو القائل : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِهٌ بِكُمْ وَعَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ﴾ [٤١] وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [٤٢] وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ [٤٣] ﴾ [البقرة / ٤٠-٤٣] .

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وحفظ أمانته ، وأداء ودائعه ، وما استودعنا من شرائعه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ « أخرجہ مسلم ^(١) .

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق ، واحفظ ألسنتنا من الكذب ، واحفظ أعيننا من الخيانة ، واحفظ أعمالنا من الرياء ، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة ، واحفظ جوارحنا من المعاصي ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقالة ١١٦٩ . الكافي

قال الله تعالى: ﴿ اَلَيْسَ اَللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهٗٓ وَيُخَوِّفُوْنَكَ بِالذَّبِّ مِّنْ دُوْنِهٖۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ [الزمر/ ٣٦] .

الله ﷻ هو الكافي الحق ، القائم بالخلق كله ، القائم بالأمر كله ، القائم بالرزق كله ، القائم بالحفظ كله : ﴿ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَلِيًا وَكَفَى بِاللّٰهِ نَصِيْرًا ﴿٤٥﴾ [النساء / ٤٥] .

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجونه إليه ، فهو وحده حافظهم ورازقهم ، الذي يدبر أمورهم ، ويسر مصالحهم ، الذي يكفي عباده المهم ، ويدفع عنهم الملم ، الذي له خزائن السموات والأرض : ﴿ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاتِ بِآخَرِيْنَ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيْرًا ﴿١٣٣﴾ [النساء/ ١٣٢-١٣٣] .

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه ، الذي يدافع عنهم ، ويهلك أعداءهم : ﴿ اِنَّ اللّٰهَ يَدْفِعُ عَنِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوٰنٍ كٰفُوْرٍ ﴿٣٨﴾ [الحج/ ٣٨] . وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم .

فوقاهم في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة الأعمال السيئة ، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم النار ، وأدخلهم الجنة ، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح ، ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى : ﴿ فَوَقَّهْمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُوْرًا ﴿١١﴾ وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوْا جَنَّةً وَحَرِيْرًا ﴿١٢﴾ [الإنسان/ ١١-١٢] .

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واق : ﴿ فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوْبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ مِنْ وَّاقٍ ﴿١١﴾

(١) أخرجہ مسلم برقم (١٣٧٣) .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ [غافر/ ٢١-٢٢].

وكفاية الله لعباده نوعان :

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات من الإنس والجن ، وسائر الحيوان، فهو سبحانه الكافي لهم بكل ما يحتاجونه .

فهو الذي قام بخلقهم ، وإمدادهم ، وحفظهم ، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهياً لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين، فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه، العاملين بطاعته، فمن توكل على ربه حق التوكل كفاه ربه أمور دينه ودنياه، وسدده في أقواله وأعماله، وكفاه همه، وكشف غمه، وجمع له رزقه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به وتوكل عليه، القوي الذي يخذل كل من عاداه: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أوليائه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب / ٢٥].

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الكافي :

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه، فكن حسن الظن بالله، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه ، يكفيك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل / ٧٩].

وأفعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تسبطن كفاية الله إذا تأخرت، فإن الله بالغ أمره قطعاً ، في الوقت الذي قدره له: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق / ٣] .

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه كفاه الله مؤنة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤنة الناس: ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝١٢٩ ﴾ [التوبة/ ١٢٩] .

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه ، فخرس ديناه وآخرته ، ولم يأخذ إلا ما قدره الله له : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ ﴾ [المنافقون/ ٩] .

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكله إليهم فأذلوه ، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنياه غيره : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّي فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨ ﴾ [الإسراء/ ١٨] .

فتوكل على الكافي الحق وحده فيبده مقاليد الأمور كلها: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ ﴾ [الزمر/ ٣٦] .

واسأل الله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة.

واسأله أن يعينك بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وبفضله عن سواه .

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح للخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة / ٢] .

واشكر ربك على عطائه لك ، وكفايته لك ، وهدايتك لدينه .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَعَمَنَا

وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا ، فَكَمْ مَمَّنَّ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَّ « أخرجه مسلم ^(١) .

﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة/ ١٢٩] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(٢) .

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبيل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .
اللهم يا خالق الخلائق كلها ، ويا كافي المخلوقات كلها ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من يكفي عن كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، يا أحد من لا أحد له إلا أنت ، أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا رب العالمين .

المقطع ٠١ ، ٤٤ الكفيل

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل / ٩١] .

الله ﷻ هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم.

وهو سبحانه الكفيل الحق ، الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه حفظاً ورزقاً، وقوتاً ووقاية، وتعليماً وهداية ، وغير ذلك من أطفاه وإحسانه: ﴿ وَكُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [٥٢] وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

وهو سبحانه الملك الحق ، الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين ، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له، الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس ، والجن ، والحيوان ، والطير: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود/ ٦].

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وتربية جميع الخلائق ، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً، وإنما الرازق هو الله وحده ، الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان ، ومن مات منهم جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله، والله ﷻ لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه له، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وخطاها: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [المنافقون/ ١١].

وهو سبحانه الصادق في قوله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالته ، العظيم إحسانه ، الدائم بره : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكفيل :

انظر رحمك الله إلى مجاري الكرم والرحمة والإحسان في الملك والملكوت، تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يصلح عباده من أنواع النعم، وتيسير الأمور، ترى ذلك خلقاً مشهوداً، وبساطاً ممدوداً : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

فجميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه، وينعمون بإحسانه وخيره، فكن كذلك مع نفسك ، أعطها حقها، وخذ منها الحق الواجب عليها ، من الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعم عليها بما لا

يُحصى من النعم.

واسأل الله أن يعينك على نفسك، ويقيك شرها: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي^٤ إِنْ أَلْفَسَ لَأْمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي^٥ إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف / ٥٣].

وأد ما لله عليك من حقوق، وما للناس عليك من حقوق، واستغفر الله من كل تقصير، فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

واعلم أن الله تكفل بأرزاق الخلق كلهم، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله، فأد الأمانة لتريح وتنجو من الخسارة: ﴿وَالْعَصْرَ^١ إِنْ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ^٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ^٣﴾ [العصر / ١-٣].

واعلم أن من صدق مع الله، ورضي به كفيلاً، ساقه إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانته على أداء الأمانة، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^٤ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^٥ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^٦ إِنْ اللَّهُ بَلِّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^٧﴾ [الطلاق / ٢-٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ^٨﴾ [آل عمران / ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^{١٤٧}﴾ [آل عمران / ١٤٧].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

المقالة ١١٧٥ . الوكيل

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الله ﷻ هو الوكيل الحق ، الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق ، ومعاشهم ، ومصالحهم في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء / ١٣٢] .

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء ، الذي جميع المخلوقات تحت كفاله ووكالته ، وتديره وتصريفه : ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد / ٢] . وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه وحفظه ، وحفظ كتابه ، وحفظ المؤمنين من الفتن التي تزيل إيمانهم ودينهم ودولتهم .

فسبحان الملك الحق ، الذي كل الأمور موكولة إليه ، القادر على كل شيء ، الوفي بإتمامه ، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفائتهم ، وأمرهم جميعاً بيده ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورُ الْمَلِكِ مَنْ نَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ نَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن نَّشَاءُ وَتُذِلُّ مَن نَّشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

واعلم رحمك الله أن الوكيل له معنيان :

الأول : عام : فالله ﷻ هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم ، وتدير أمورهم ، ورعاية مصالحهم ، الوكيل على جميع مخلوقاته في السماء والأرض : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني : خاص : فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن التجأ إليه ، الحافظ لمن اعتصم به : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق / ٣] .

فتوكل على الله وحده ، واتخذة وكيلاً ، يكن لك نصيراً ، ولا تلتفت إلى ما سواه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

فسبحان الوكيل الحق ، القائم على خلقه بالتدبير والتصريف ، والأرزاق والأقوات ، والوقاية من الشرور والآفات ، والنصر والحفظ لأوليائه .

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر ، بل عليهم امثال الأمر ؛ لأنهم كلهم عبيد ، والأمر كله لله وحده : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف ، في العالم العلوي والسفلي ، من آثار اسمه الوكيل ، وهي مبثوثة في العالم كله كغيرها من صفات الحق التي أوجدها في العالم ، ليرى الخلق عظمة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فيعبده بمقتضاها : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفَعَى اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

فانظر في الملك والملكوت ، ترى جميع الخليقة في قبضة الخالق الحق ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإرادته ، وخاضعة لأمره ، وجارية على حكم تسخيره ، مصرفة بتدبيره ، على سنن قبضه وبسطه ، إن أذن بشيء كان ، وإن لم يأذن به لم يكن : ﴿إِنِّي رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

والعبد المتوكل حقاً ، لصحة توحيده ، وثبات يقينه ، لا يرى إلا الله رب كل شيء ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يرجو سواه ، حسبه الله وحده في جميع أموره : ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩] .

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف عرف ، ومن أبصر استبصر .

وقد يشهد اللسان ، والقلب غير مكذب ، لكنه غير مشاهد ولا حاضر : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق / ٣٧] .

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى ، وبها يتم مراد الله منهم ، ومرادهم من الله : ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَدِدْهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢] .

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه ، وصِدق التوكل عليه ، والعمل بشرعه ، حَرَم الجبار على أعدائه من شياطين الإنس والجن ، والبهائم والظالمين ، وجميع المؤذيات ، أذاه تحريماً كونياً ، كما حرم على المؤمنين أذى المسلم وغيره بأمره الشرعي: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٣] .

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا باري الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق ، وصفاتهم ، ومعاشيهم ، فتوكل عليه يعطيك ويكفيك : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٦] .

وحقيقة التوكل الاعتماد على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود / ١٢٣] .

فسبحان الوكيل الحق الذي كل العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ملكه وفي قبضته ، وكل ما فيهما مقهور بأمره ، مستجيب لمشيئته ، مسرع لإرادته .

• التوكل على الله ﷻ باسمه الوكيل :

التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء، ودفع الضراء، من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده .

والتوكل من أعظم أنواع العبادة ؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة ، والنصرة الظاهرة ، والثواب العظيم : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ [النمل / ٧٩] .

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن ، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد ، كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي :

التوحيد.. والزهد.. والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية .. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه، وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٢﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وعلامة المتوكل كتمان الحاجة، وإظهار الغنى للناس، وإخفاء المسكنة ، وإن مسه الضر، ودوام ذكر الله بكل جميل، وحمده وشكره في كل وقت وحال.

والتوكل على الله درجات، وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل والأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ .

فالداخل في الأسباب بالسنة ، الخارج عنها بالنية أفضل ؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة ، وحقيقة التوكل .

فخذ بالأسباب المشروعة ، وتوكل على الله وحده ، تنال أجرهما معاً : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال / ٦١] .

والتوكل الحق على الوكيل الحق أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله ، وأن كل شيء بيده ، وكل شيء تحت تدبيره، لم يشرك في حكمه أحداً: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾ [يوسف / ٦٧] .

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأماني، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيء كان ، أو شيء لم يكن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء / ٦٥] .

وبالإيمان تكون الهداية ، وبالتوكل تكون الكفاية ، وبصدق التوحيد يكون التوكل ، ومن سلم لله

أمره كله ، كفاه الله أمره كله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن لكل شيء وقت وتقدير ، والعمل للعالم وللدنيا والآخرة مشروع مطلوب ، فاعمل ، وتوكل ، ولا تستعجل ما تريد ، فالوكيل يرى ما لا ترى ، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وكل امرئ ميسر لما خلق له ، فاجتهد في طاعة مولاك ، معتمداً عليه وحده ، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه.

واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه نوعان :

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله وغيره ، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق التي يبغضها ، وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يحصيه إلا الله ، فمن توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومن توكل على الله في الأول دون الثاني ، كفاه أيضاً ، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه.

فاعمل بطاعة الله ، واستقم كما أمرت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب / ٤٨].

واعلم أن الله يحب من توكل عليه ، ويؤيده بتوقيفه وعونه ، فامض لما أمرك الله به ، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وكل إليه جميع أموره ، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى / ١٠].

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال/ ٢٩].

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعدته، تكون ثقتهم بضمانه، ورضاهم بكفالتة، فيُسَلِّمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأُنس، وروح الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب، فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن طاعة الله ورسوله فضل من الوكيل الحق عليك، فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من الطاعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة/ ٢].

فسبحان الوكيل الحق، وما أعظم إحسانه، يعطي الجزيل للمتوكل عليه، ويشني بالجميل على المفوض إليه، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرضاً.

بل يرزقه الوكيل ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله؛ لأنه الغني الكريم، الوكيل الحق الذي يعطيه من نعمه كثيراً، ويضاعف أجره كثيراً، وخزائنه كافية، وجنته وافية بكل ما يحب: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنی،

والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويفعل ما يشاء .. وهو الغفور الرحيم .

يطعم المخاليق .. ويكشف الغم .. ويزيل الهم .. ويفرج الكرب .. ويغني الفقير .. ويجبر الكسير .. ويحيي الميت .. ويميت الحي .. ويصلح الفاسد .. ويقبل التائب .. ويغفر الذنوب .. ويستر العيوب .. ويعدّل المائل .. ويشفي السقيم .. ويقضي الحاجة .. ويسد الفاقة .. ويهدي الضال ، ويؤمّن الخائف .

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فاستقم رحمك الله على دينه ، واستسلم لأمره ، وارض بقضائه ، وفوض أمرك إليه ، وسارع إلى طاعته ، وسابق إلى مغفرته ، واحتسب ما تكره عنده وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩] .

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك ، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه ، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بنشر الدين ، وتعليم سننه وآدابه وأحكامه ، فاعمل بها، وادع الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله ، تنال من الأجر جزيله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل / ١٢٥] .

﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة / ٤] .

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَبِحَنَاءٍ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

[يونس / ٨٥-٨٦] .

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ

إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ
يَمُوتُونَ « متفق عليه ^(١) .

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم ، واستهداك فهديتهم ، واسترحمك فرحمته ، واستنصرك
فنصرتهم ، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة
عين .

اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسئولين ، يا أرحم
الراحمين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك
حميد مجيد .

المقالة .. الفتح .. الفتح

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبا / ٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف / ٨٩] .

الله ﷻ هو الفتح الحق ، الذي يحكم بين عباده

بالحق ، ويقضي بينهم بالعدل .

وهو سبحانه الفتح القادر على كل شيء ، الذي يحكم ويقضي فيهم بما يريد ، ويمنّ على من شاء

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

منهم بما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح لعباده أبواب الخير، والرزق، والعلم، والرحمة، والعبادة، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، ويسر المتعسر عليهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم، ليصروا الحق والهدى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَظْلُمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام / ٥٩].

وهو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويفتح بينهم بالحق والعدل. فسبحان الفتاح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة في العالم كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

والله سبحانه هو الفتاح القادر على كل شيء، القوي الذي لا يعجزه شيء.

هو الفتاح الذي فتق السموات السبع، والأرضين السبع، وفتق السحاب بالغيث، وفتق الأرض بالنبات، وفتق الحبة عن الشجرة.

وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان، والعقول للعلم، وفتح العين بالبصر، وفتح الأذن بالسمع، وفتح اللسان بالكلام: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

والله ﷻ هو الملك الحق، الذي له ملك السموات والأرض، ويده مفاتيح خزائن السموات والأرض، ويده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة، يفتحها لمن أطاعه واتبع هداه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف / ٩٦].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أكرمه، وما أرحمه، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿وَمَا آتَاكُم مِّن كَلٍّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن نَّعَدُوا نِعْمَةً اللَّهُ لَا تَخْضَعُوهَا إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤].

والله وحده هو الفتح الذي يملك خزائن كل شيء، وييده مفاتيح كل شيء.

وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ نِوَعَانَ :

الأول: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الْقُدْرِي: بما يقدره على عباده من التدبير من خير وشر، وعطاء ومنع، وبسط وقبض، ونفع وضر: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ (١١) [الحجر / ٢١].

فهو الفتح العليم، الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والرزق، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [فاطر / ٢].

الثاني: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الشَّرْعِي: بما شرعه على ألسنة رسله، من الدين الحق الذي يستقيم به الناس على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢) [الفتح / ١-٢].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩) [الأعراف / ٨٩].

وتلك سنة ماضية لا تتبدل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠) [آل عمران / ١٦٠].

أما فتحه يوم القيامة، فحين يوفي كل عامل ما عمله، ثم يشب المؤمنين والمطيعين، ويعاقب الكافرين

والعاصين: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْسَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) [سبا / ٢٥-٢٦].

فسبحان الفتح العليم، الذي يفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أفعال القلوب، ويملؤها من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما تذوق به طعم الإيمان، وتستقيم به على الصراط

المستقيم : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا وَسَجَدُوا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وهو الفتح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية ، وأنواراً ساطعة.

يميزون بها بين الملك والعبيد ، وبين الغني والفقير ، وبين القادر والعاجز ، وبين الحق والباطل ، وبين الدنيا والآخرة : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٢٢] .

اللهم املاً قلوبنا بنور الإيمان ، ونور القرآن : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور / ٣٥] .

فسبحان الله ما أرحمه بعباده، لو فتح المطر على الناس أبداً فمن الذي يحبسه عنهم لثلا يغرقوا كما حصل لقوم نوح؟ : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْمَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر/ ١٠-١٢].

ولو حبس الله القطر والنبات لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتح سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاقُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ هُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا الْمَعْرُومُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق فمن ذا الذي يفتحه؟ ولو حبس الله الهواء الذي تنتفس منه فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟ فسبحانه ما أعظم رأفته ورحمته : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢] .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب فضلك ، وأبواب نصرك ، وأبواب هدايتك : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف / ٨٩].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق خلقه ، وفطرهم على ما أراد ، وفطر السموات والأرض ، وما فيهن ، وما عليهن ، وما فوقهن ، على التوحيد.

فكل أحد قانت لربه ، مستسلم له ، مسبح بحمده ، شاهد بوحدانيته : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس / ٣-٤].

واعلم أن الخالق ﷻ سمي دين الإسلام فطرة ؛ لأنه أول شيء لقيته الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم / ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها ، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها ، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء / ٨٥].

واعلم بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه ، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأن تصرفها عن مظان هلكتها إلى سبيل فطرتها، ولا تفارق ما عليه برأها من التوحيد : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب / ٧٢].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجسام هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف / ١٧٢].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [المائدة / ٧].

فلا إله إلا الله كم ظلمنا ! وكم غفلنا ! وكم خسرنا !

ربنا سمعنا وأطعنا ، فاغفر لنا وارحمنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

لك الحمد كله ، ومنك الخير كله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم أن الله هو الرب القادر على كل شيء ، هو فاطر السموات والأرض .

وهو فالق الإصباح: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٦].

وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقَ الْوُجُوهِ ۗ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار من الخير والشر والمحجوب والمكروه ، ما يُذكرنا بالدار الآخرة ، فأرانا الفتح العليم في هذه الدار النار الحاضرة ، وجعلها آية على النار الغائبة ، وعلى قدر تمكُّن نار الدنيا من الحطب ، يكون سعيرها وشدة لهيبها حتى يعظم شأنها .

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا يدانيها مطاول: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ۖ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكُرَةً وَرَمَعًا لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة / ٧١-٧٣].

وأرانا سبحانه في هذه الدار آية على الجنة بقلقه الحب والنوى ، بإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، وجعل جنات ما هاهنا آية على جنات ما هنالك في الآخرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقَ الْوُجُوهِ ۗ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٥].

وأرانا سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر ، من كون ذلك مخزوناً في غيبه ، ومكنوناً في سنته ، ثم أظهره ماشياً ، وطائراً ، وزاحفاً ، وسابحاً .

ألا ترى أن الحياة غيب في الماء .. والماء غيب في خزائن الله .. والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿

وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ [الحجر / ٢١].

وكذلك ما في الدنيا إشارة مؤقته لما في الآخرة من النعيم والعذاب.

والآخرة غيب في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾

[الشعراء / ٩٠-٩١].

فيأذن الملك الجبار ﷻ للجنة، فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش، إلى السموات، فتكون السموات كلها جناناً وأنهاراً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات / ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري ^(١).

وتسعى نار جهنم في الأرضين السبع والبحار، فيصير كل شيء أتت عليه ناراً، ويؤتى بجهنم

إلى المحشر، تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها، وتبرز للناس كلهم فيرونها كلهم: ﴿

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ

النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر / ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» أخرجه مسلم ^(٢).

فسبحان الله الفتاح العليم، والحمد لله فاطر السموات والأرض، وفالق الإصباح، وفالق الحب

والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد

بتوحيده: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الفتاح :

اعلم رحمك الله أن مفاتيح خزائن السموات والأرض بيد الفتاح العليم وحده لا شريك له.

فاسأل ربك الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته، وخزائن رزقه، وأبواب كرمه،

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

وموائد بره ، وواسع فضله ، وجزيل نعمه ، بحسن عبادته ، ودوام طاعته: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وإذا علمت أن الله وحده هو الفتح الذي يفتح بركات السموات والأرض، ويده ملكوت كل شيء ،

فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية ، وأبواب العلم ، وأبواب التقوى ، فإنه كريم : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام ، ويملاً قلبك بنور الإيمان ، لتعرف ربك ، وتعبده بما يحبه ويرضاه : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ [الزمر/ ٢٢].

واعلم أن هذا الفتح ، وهذا الشرح ، كله فضل من الله ، وليس له حد .

وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ ، حسب معرفته بالله وأسمائه وصفاته ، وخزائنه ودينه ، ووعدته ووعيده .

فلأنبياء بالذروة منه ، ثم الأولياء الصادقون ، ثم العلماء الربانيون ، ثم عوام المؤمنين ، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم أن رسل الله وأوليائه يتوجهون إلى ربهم ، ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].

فتوجه إلى ربك في كل صغيرة وكبيرة ، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي وقل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّلَاحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِّنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد ، وفتح صحائف الأعمال ، فيتين من يستحق الثواب ، ومن يستحق العقاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مَنظُورُونَ ﴿٣٠﴾ [السجدة / ٢٨ - ٣٠] .

والله ﷻ هو الرب المستحق للعبادة ، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين، واستقباح غيره : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلٌّ لِي إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾ (١٤) [الأنعام / ١٤] .

وقد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة ، وأشهدته على نفسك ، فأد الأمانة ، وأوف بالعهد ، تُكْرَم عند ربك: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُونَ ﴾ (٤٠) [البقرة/ ٤٠] .

وصدق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول ، وما أعطيته من عهد وميثاق ، بالاستقامة على الحق ، والدعوة إليه ، وتعليمه ، والصبر على الأذى فيه ، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٣٤) [الإسراء / ٣٤] .

وسبح بحمد ربك العظيم ، وكبر ربك الكبير ، الذي خلق المخلوقات كلها ، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه ﷻ ، فأقرها في خزائن الغيب ، ثم يذرو براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء والسحب ، والبحار ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والسماء ، والأرض ، والأرحام .

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والسفلي: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧) [المنافقون/ ٧] .

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام ، لم يزل ينقل البرايا من خزائن السموات والأرض ، إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلْنَا أَوَالِيَّ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴾ (٩٨) [الأنعام / ٩٨] .

واعلم أن الله ﷻ برأك فيمن برأ ، ثم عيَّبك في غيبه ، وخزَنك في خزائنه ، وقَلَّبك في غيابات ملكه ، ثم أخرجك بقدرته حتى بلَّغك سن التكليف ، ثم أكرمك بالدين القيم ، ليختبرك فيرى صدقك من كذبك ، وطاعتك من معصيتك ، ثم يجزيك يوم القيامة بما

قدمت يداك : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴿ [الإنسان / ١-٣].

فانظر رحمك الله ما أنت فيه ، وقدم ما عليه غداً تقدم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِّبُرُؤِهِمْ ﴾ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿ [الزلزلة / ٦-٨].

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ (٥٩) ﴿ [مريم / ٥٩].

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يرقبك ، وأطعه تسعد في دنياك وأخراك: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ [الأحزاب / ٧١].

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ [الحديد / ١٦].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله ولزوم تقواه: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدِ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ [الحديد / ١٧].

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ [الأعراف / ٨٩].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي لِسَانِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا ، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا ، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا ، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا

« أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وجوامعه ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وافتح لنا أبواب فضلك ،
وأعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن
معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة ❖ . الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨] .

الله ﷻ هو الغني الحق ، الذي له خزائن السموات والأرض ، الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من
خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا ، والأرزاق ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ،
والأموال ، والأولاد ، والصور ، والألوان: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا
تُحْصَوْنَهَا إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فهو الملك الذي وهب كل مُلك .. وهو الرزاق الذي وهب كل رزق .. وهو الكريم الذي
وهب كل كرم .. وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة .. وهو الهادي الذي وهب كل هداية ..
وهو القوي الذي وهب كل قوة .. وهو العليم الذي وهب كل علم .. وهو الجميل الذي
وهب كل جمال: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

هو الوهاب الحق ، الذي يهب ما يشاء ، لمن يشاء ، كيف شاء: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ بُرُوجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى / ٤٩-٥٠] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

والله سبحانه هو الوهاب الحق، الكثير الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَنْفُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنكُمْ إِذَا فَرِحُوا بِمَنكُورِهِمْ يُمْسِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل / ٥٢-٥٤].

فسبحان الملك العزيز الوهاب ، الذي بيده خزائن السموات والأرض، وبيده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وهو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم، ولكمال كرمه ورحمته هبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها .

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم ، وأجزل لهم الأجر فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلَائِفَ فِيهَا حَسَنَاتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان / ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة متنوعة ، متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون.

فسبحان الغني العزيز الوهاب ، ما أعظم شأنه، وما أوسع خزائنه ، وما أجزل عطياه، وما أكثر هباته.

هو الوهاب الذي لا تنقضي خزائنه ، مع جزيل عطياه ومواهبه ، على مدى القرون والدهور: ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَج�َكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَج�َكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيضُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ »
أخرجه مسلم ^(١).

والله ﷻ هو الملك الكريم الوهاب ، مالك الملك والملكوت ، الذي بسط فضله وإحسانه الديني والديني على جميع العباد ، يده بالعتاء ملأى ، سَحَاءَ الليل والنهار ، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدارار: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة / ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير ، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه ، حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩].

في كل آن : يفرج كرباً .. ويزيل غماً .. ويفك أسيراً .. ويغني فقيراً .. ويرحم مسكيناً .. ويجبر كسيراً .. ويغيث ملهوفاً .. ويجيب كل مضطر .. ويعطي كل سائل .. ويغفر لكل مستغفر .. ويستجيب لكل داع .. ويتوب على كل تائب .. وينعم على من سأله ومن لم يسأله .. ويعطي من أطاعه ومن عصاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة ، والملك ، والخلافة ، لمن شاء من خلقه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل / ٦٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ » متفق عليه ^(١).
واعلم أن الوهاب وهب لبعض خلقه عطاء فأعطى منه ، فصار واهباً مما وهبه الله له من الخير.

ولا يستحق أن يسمى واهباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت عطاياه وهباته

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٣).

ونوائله ودامت وهو الحق ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن ، وينفق كما شاء ، بأي قدر شاء ، ولا
تنقص خزائنه ولا تفنى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر
/ ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ،
أو ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ، ولا أمناً لخائف ، ولكن الله يملك ذلك كله : ﴿سُبْحَانَ هُوَ
الْعَنِيِّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب .

وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء بحكمته : ﴿
إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠].

وهبات الرب لخلقها ثلاث حالات :

إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء .

فالإكرام على حسن الطاعة لله : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص / ٣٠].

والعقوبة على الكفر والمعاصي : ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾
[الأنعام / ٤٤-٤٥].

والابتلاء ليتبين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس ، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق :
﴿وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء / ٣٥].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى ، الوهاب الذي
خيره وفضله يرتع فيه كل الخلق ، الإنسان والحيوان ، البر والفاجر ، والمطيع والعاصي ، لا نحصي
ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الوهاب :

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق ، هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في الدنيا والآخرة، وذلك من فضله وإحسانه إلى عباده.

فاعرف مولاك الكريم ، ثم اذكره ، ثم اشكره واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

ثم اعلم أن الوهاب ﷻ أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه ، وما نعلمه وما لا نعلمه .

ويوم القيامة يُظهر الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول ، وما لم تره العيون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « متفق عليه ^(١) .

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيك بها

خيراً: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والرزق ، جعله عوناً لك على طاعته ، فلا تستخدمه في غير ما يرضه ، ولا تستعين به على معاصيه .

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم ، خير لك من جميع ما في الدنيا: ﴿ هَلْ أُولِيْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٣٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

فلا تبع غائباً بشاهد، ولا آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦٤] ﴿ العنكبوت / ٦٤ . [

فهب رحمتك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك ، والقنوت له ، والسجود له .

وهب ما أعطاك من الخلق الحسن في القول الحسن ودوام الذكر والشكر له، وتأليف قلوب الناس على دينه ، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف ، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام دينهم تكن ربانياً: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينِىنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتابَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٩] ﴿ آل عمران / ٧٩ . [

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته ، كما سأله سليمان ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٣٥] ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [٣٦] ﴿ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ [٣٧] ﴿ وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [٣٨] ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٩] ﴿ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنِ مَتَابٍ ﴾ [٤٠] ﴿ [ص / ٣٥-٤٠] . [

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم ، فاحمد الوهاب على إحسانه كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٣٩] ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [٤٠] ﴿ [إبراهيم / ٣٩-٤٠] . [٤٠

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية ، وحسن الخلق ، وما أسداه إليك من النعم يزيدك خيراً ، ويُعظم لك أجراً : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [١٢] ﴿ [لقمان / ١٢] . [

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا ينتقطع ولا يبئد، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده ، على أسمائه الحسنی ، ونعمه التي لا تحصى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٣] ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٤] ﴿ [الفاتحة / ٢-٤] . [

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان / ٧٤].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمُجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »
أخرجه مسلم^(١).

اللهم إني أسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .
اللهم لك الحمد كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك ، إنك أنت الكريم الوهاب .

المقالة ١١٩٨ . الهادي

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [٣١]

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الله ﷻ هو الهادي الحق ، الذي هدى جميع خلقه إليه ، بما أظهره من أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس/ ٣].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى خلقه إلى معرفته ، وهداهم إلى جميع المنافع ، وأرشدهم إلى دفع المضار ، وعلمهم ما لا يعلمون ، الهادي إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الفرقان/ ٣١].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السموات والأرض ، وهداها إلى جلب مصالحها ، ودفع مضارها ، وعبادة ربها.

وكلها تشهد بتوحيده ، وتسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الخلاق العليم: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [طه/ ٥٠].

وهو سبحانه الهادي لكل مهتد من مخلوقاته.

هدى كل شيء إلى التسيح بحمده .. وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته .. وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه .. وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه .. وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها.

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقاً .. وفوق الأرض أغصاناً وأوراقاً ، وأزهاراً وثماراً.

وهدى الملائكة للتسيح .. وهدى السحب للمطر .. وهدى الأرض للإنبات.

وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة .. وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو إلى ما يصلحه وينفعه: ﴿إِنَّا عَلَّمْنَا الْهَدَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ [الليل/ ١٢-١٣].

وهدى الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ﴿٣﴾ [الإنسان/ ٣].

فسبحان الهادي الحق: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ﴿٣﴾ [الأعلى/ ٢-٣].

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان ، بما أرسل من الرسل ، وما أنزل من الكتب ، وما نصب من الآيات والدلائل في السموات والأرض : ﴿ ذَلِكُمْ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر/٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق ، الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله.

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه ، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو على كل شيء قدير ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَأْذِنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/٩٣].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدأته اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وآياته ومخلوقاته ، فاهتدوا بهدأته لهم : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج/٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [١] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء/٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١] [الصف/٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركاً وهدى للعالمين إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [١٦] [آل عمران/٩٦].

واعلم أن الهادي ﷺ هو الله وحده لا شريك له الذي يملك جميع خزائن الهداية ، وهو الهادي لكل مهتد وهاد، ومن يضل فلا هادي له سواه : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته ، وأسماءه وصفاته ، في تدبير ملكه ومماليكه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٤٩] [الأنعام/١٤٩].

فالحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أحسن كتبه ، وهدانا للإسلام : ﴿ ذَلِكْ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

واعلم أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية يسألون ربهم الهداية في كل وقت.

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة.

ولهذا أمرنا الهادي ﷺ أن نسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة، ليهدينا إليه ، وإلى الطريق الموصل إليه ، بأن نقول : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أرحمه بعباده ، وما أعظم نعمه على خلقه ، وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به.

فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴾ [١٥٥] ﴿ [الأعراف/ ١٥٥].

واعلم أن هداية الله لعباده أنواع:

الأولى: الهداية العامة: وهي هداية جميع المخلوقات في السموات والأرض إلى مصالحها، لتكون مهية لما خلقت من أجله كما قال سبحانه : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ ﴿ [الأعلى/ ١-٣].

الثانية: هداية التوفيق والإلهام ، وشرح الصدر لقبول الحق: وهي بيد الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٥١] ﴿

وهذه الهداية هي التي أمرنا الله أن نطلبها منه في كل صلاة.

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان: فالله هدى خلقه إليه، ودلهم عليه، وبيّن لهم سبل الهداية، وموجبات التوحيد والإيمان ، بما أظهر في الكون من المخلوقات والآيات، وبما أنزل من الكتب والبيانات.

وأكرم الرسل والأنبياء وأتباعهم بها ، وأثنى عليهم لما قاموا بها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢ ﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَصَدُّقًا لِمَا نَزَّلْنَا ٥٣ ﴾ [الشورى/٥٢-٥٣].

وهي حجة الله على خلقه ، التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه كما قال سبحانه : ﴿ مَن أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُقُ وَزَرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥ ﴾ [الإسراء/١٥].

فمن هداه الله للإيمان بفضله وله الحمد كما قال أهل الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ ﴾ [الأعراف/٤٣].

ومن أضله الله فبعد له ، فقد أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ومكّنه من أسباب الهداية بما أكرمه به من السمع والبصر والعقل ، ولكنه لا يصلح للهداية ، فلم يقبل الهدى، فكذب وتولى، وزاغ وانصرف، واختار الضلال، فله العذاب في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاحِقَةٌ أُخْرَىٰ ۗ فَلَمَّا كَانُوا هَٰؤُلَاءِ نَادَىٰ يَكْسِبُونَ ١٧ ﴾ [فصلت/١٧].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت .

وهو سبحانه الهادي البصير بعباده، العليم بما في نفوسهم، الذي يهدي إلى الحق ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به، ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ١٥ ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

أُظْلِمَتِ إِلَى التُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق ، ولا يرضى به ، ولا يصلح لمجاورته في الجنة ، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [فاطر/ ٨].

وهو سبحانه الهادي الحق ، الرحيم بعباده ، الذي بين لهم سبل الهداية ليسلكوها ، وبين لهم سبل الضلالة ليركبوها : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي بين للإنسان طريق الخير والشر ، وذكره بنفسه ونعمه عليه ؛ ليوحده ويطيعه ، ويعبده ويشكره : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية ، وأما متنهاها فلا نهاية له ، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ٦-٧]. فسبحان الهادي الحق ، الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه ، والذي بهدايته اهتدى الحيوان لما ينفعه ، واتقى ما يضره .

وسبحان الكريم الرحيم الذي ﴿ بَجْتَنِي إِلَيْهِ مِنْ يَشَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى/ ١٣]. واعلم أن الهادي ﷻ يهدي عباده إليه ، وإلى الطريق الموصل إليه ، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه .

فالله ﷻ هو الحق المبين ، الظاهر الباطن ، لا خفاء به ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام ، وقد أفرغه في قالب العالم ، وصوّره في صور الخليقة ، وفطر عليه كل شيء .

فكل مخلوق مستسلم لربه ، خاضع لعظمته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده .

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة ، وأبدى في سورة وآياته ما خبأه في العالم ، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات ، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات ، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ: ﴿وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت/٤١-٤٢].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة/٢].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب ، انشرح له الصدر ، وانشرح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله ، وانسأطها بأحكامها على أصدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٢﴾ [الزمر/٢٢].

فإذا أراد الله أن يبلغ بعبده إلى معالي الإيمان واليقين أنزل السكينة في قلبه ، فزاد إيمانه ، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه ، وسكنت مساوي طباعه ، وأذعنت سفال أخلاقه ، وانقادت الجوارح للقلوب ، وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/٤].

ومن يرد أن يضلّه يطفى نور قلبه ، فيضيق متسع أخلاقه ، ويسفل بمعالها ، ويمتلى بضدها ، فيثقل عليه كل عمل صالح ، ويحرج لذلك صدره لشدة ظلمته ، وضيق باطنه ، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والظلمة: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ [الأنعام/١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى مقصوده ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته ، ومعرفة دين القيمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه ، وصبر على بلائه ، فهو من المهتدين حقاً: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة/١٥٥-١٥٦-١٥٧].

والله عز وجل هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في دنياهم وأخراهم. وأرشدهم إليه بآياته الكونية ، وآياته الشرعية ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فلا مثل له يرشدهم إليه في الدنيا والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/٣٦-٣٧].

هو الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه ، وبصّرهم بسبل الفلاح والنجاة ، الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه ، وما يرشدون به فقال : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/١٥٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي ، الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده ، وفطّرهم على الإيمان به ، وأشهدهم على ربوبيته ، واستعملهم في عبوديته ، من جماد ونبات وحيوان ، ومن ملك وإنس وجان: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ [مريم/٩٣-٩٥].

كل عالم من المخلوقات يسقيه بكأسه .. وكل عالم يسبح بحمده .. وكل عالم يشهد بتوحيده .. وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِيبْ إِلَى اللَّهِ فَمَآلَهُ مِنْ مَكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨].

فاطلب العلم رحمك الله لتسلم من الجهل ، وارغب إلى مولاك أن يوفقك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه.

واعلم أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة ، ونور البصيرة ، ومركب النجاة ، وأصل الهداية : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/١٩].

فبالعلم يُشرف العبد على مطالع الدنيا والآخرة ، فيرى ما لا يُدرك بالحواس ، ويبصر ما لا

يُدْرِكُ بِالْأَبْصَارِ ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْجُزُ عَنْهُ الْفِكْرُ ، وَلَا يَتَوَهَّمُهُ الذَّهْنُ ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ قَائِمًا وَسَاجِدًا ، مَعَ الْإِنْكَسَارِ لَهُ ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبَتْ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى ، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن ، وانشرح قلبه بنور الإيمان الواصل إليه ، وامتلاً صدره من ذلك الضياء .

فشاهد الملك الحق يدبر ، والخالق يخلق ، والمصور يصور ، والرازق يرزق ، والكريم يعطي ، والرحيم يرحم ، والحاكم يحكم ، والعزيز يعز ، والجبار ينتقم ، والقوي يقهر ، والسلام يسلم : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فاعل رحمة الله بهمتك لمعرفة الملك والملكوت ، ومعرفة مالك الملك ؛ لترى العظمة والعظيم ، والقدرة والقدير ، والعزة والعزيز ، والرزق والرازق ، والحكمة والحكيم : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِيَهُمْ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفا له قلبه من كدر الأخلاق ، وامتلاً قلبه بشعب الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

ومن رضي بأول العلم ، وظاهر من الأمر ، حُجِبَ عَنِ الْإِصَابَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، وَبَقِيَ عَلَى كَدْرِهِ بَغِيرِ تَهْذِيبٍ ، فَخَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا بِآخِرٍ سَيِّئًا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٢].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حُجْبِ الْكِبَرِ وَالْغُرُورِ ، وَلَا تَبْصُرُ عِيُونَ الْغَيْبِ مَا دَامَتْ مَحْجُوبَةً بِالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، فَتَحْرُرُ مِنَ الْهَوَى ، وَتَبْرَأُ مِنْ حَوْلِكَ وَقَوْتِكَ ، وَابْسُ

لربك لباس الخشوع ، وأكثر إهمال الدموع ، لعله يعطيك ويهديك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها ، وسُجنت الأذهان في أهوائها ، عاقها عدم الصفو ، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها ، فقعدت على موائد شهواتها ، وأصمَّتْها المشاهدات ، وشغلها هوى المحبوب عن الرب المعبود ، فخرست مولاها ودينها وأخرها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَأْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد كما قال الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن/ ١-٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون ، وهم درجات ، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ، ثم الصديقون ، والشهداء ، والعلماء ، والصالحون .

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون ؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ ﴾ [الجن/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد ، والولاية والمقام ، والثواب وإجابة الدعاء ، بقدر إيمانه وطاعته وعبادته: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الهادي .

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة ، وآتاه علماً خرج به من الجهل ، وجب عليه ما لم يجب على غيره من حسن العبادة ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والنصح لعباده كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ يَتَّبِعْتَنِي فَإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ

صِرَاطَ سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ [مريم / ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية ، فكن هادياً إليه بلسانك وحالك وأخلاقك.

وكن عبداً سامعاً مطيعاً لمولايك ، ولا تتعد إلا متفكراً ، ولا تنظر إلا معتبراً ، ولا تنطق إلا ذاكراً ، أو حامداً ، أو مستغفراً ، أو معلماً ، أو داعياً ؛ لتكون ربانياً من أولي الأبواب ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿١١١﴾ [آل عمران / ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولايك ، ففي الظلم الداجية ، توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٧﴾ [السجدة/١٦-١٧].

وتطهر للوقوف بين يدي مولايك ، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفَهُ؛ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل / ١-٥].

وتجرد حين ووقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعلمه، وكل عمل كنت تحسنه، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿١١٤﴾ [طه/١١٤].

واعلم أن أبواب الهداية مفتوحة ، وسبلها ميسرة ، فتتبع آثار الخالق في مخلوقاته ، واستشهد شواهد في مصنوعاته، وانظر إلى حسن تصويره لمصوراته ، وتفكر في عظمة كبريائه وقدرته، وحسن تديره لملكوته ، ليتملى قلبك بتوحيده: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

وبذلك تزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس/١٠١].

وتعلم أسماء الله الحسنى ، فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة ، وبها تفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه ، ويُظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره ، وعجيب صنعه فيما خلق .

فما خلق ما خلق في السموات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى في مخلوقاته ، فلا تكن من الغافلين ، فربك ليس بغافل عنك: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد/١٩].

واطلب جميع حوائجك من ربك الصمد ، وارفع إليه كل شكوى ، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/١٨٠].

وكما هداك ربك إليه ، فاجتهد في القيام بين يديه ، وهداية الناس إليه ، وعرفهم بأسمائه وصفاته ؛ ليحبوه ويكبروه ، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/١٢٥].

واعلم أن ربك الهادي أرشدك إليه ، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه ، فاعمل بما أرشدك إليه ، واحذر مخالفته فإنك راجع إليه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣] ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء/١٣-١٤].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه من كافر تدعوه ، أو جاهل تعلمه ، أو مسترشد ترشده ، تكن من الراشدين : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله ، فتشقى في دنياك وأخراك : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [١١٥] ﴿ [

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»
أخرجه أبو داود والترمذي (١).

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
اللهم اهدنا واهدبنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، يا رب العالمين .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥) وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

المقال XX. الصادق

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ [الأنعام/١٤٦].

الله ﷻ هو الصادق الحق في كل ما يخبر به ، فهو الصادق في قوله الحق .. وهو الصادق في دينه الحق .. وهو الصادق في وعده ووعيده .. وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء/ ١٣٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم ، ومضاعفة الحسنات لهم ، وتكفير سيئاتهم: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف/ ١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ويجازي السيئة بمثلها ، ويحطها عن المسيء بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

وهو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠].

والصديق من الناس الكثير الصدق ، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق.

فمن صدق بآيات الله ، وأجال فكره في ملكوت السموات والأرض ، لا يكاد يمر بآية من آيات الله ، أو يرى عجائب مخلوقات الله ، إلا ازداد بها إيماناً و يقيناً وتصديقاً ، بأن ربه هو الإله الحق ، ودينه الحق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ووعده حق: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا لَا بُدَّ لَكُمْ إِنَّا لَنَكْتُبُنَّ لَكَ آيَاتٍ فَتَذَكَّرَ ﴿٢٠﴾ [الرعد/ ١٩-٢٠].

واعلم أن الصَّدِيقَ أفضلَ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ والرسلِ ، وثوابُ الصدقِ الرضوانِ والجنةُ يومَ القيامةِ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة/ ١١٩].

والصَّدِيقُ الذي صدَّقَ اللهُ في آياته وشواهدِهِ، وصدَّقَ باللهِ وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدِهِ ووعيدِهِ، وصدَّقَ برسله وملائكته وكتبه وأحكامه: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر/ ٣٣].

اللهم اكتبنا مع الصادقين، وارزقنا الصدق في القول والعمل.

والله ﷻ هو الصادق الحق الذي الصدق كله في معاهد كلماته الصادقة :

في دينه وشرعه.. وفي عهده وميثاقه.. وفي خلقه وأمره.. وفي بسطه وقبضه.. وفي عطائه ومنعه.. وفي نصره وخذلانه.. وفي وعده ووعيدِهِ.

خلق اللهُ ﷻ كلَّ شيءٍ ، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته ، وكمال أسمائه وصفاته نواطق على صدقه ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ ، وصدقت كلمته في ذريته في طباعهم ، وأخلاقهم ، وأجسامهم ، وصفاتهم وأعمالهم.

فآمن آدم وآمنت ذريته .. وأطاع فأطاعت ذريته .. وصدَّقَ فصَدَّقت ذريته .. وجحدت فجحدت ذريته .. ونسي فنسيت ذريته: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ٦ ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴾ ٧ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٨ [التين/ ٤-٨].

وخلق اللهُ ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض فيها السهل والحزن ، والأبيض والأسود ، واللين

والشديد ، والطيب والخبيث ، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ ذَلِكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٦-٧].

فانظر إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ [الذاريات/٢٠-٢١].

والأرض عالم كبير ، وخلق عظيم ، لها نسل وذرية من النباتات لا يحصيهم إلا الله العليم بكل شيء .

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته يأذن ربه طيباً كالزروع والزيتون ، والنخل والرمان ، والعنب والموز ، وغير ذلك من الثمار الطيبة ، كان من ذرية آدم الأنبياء والرسل ، والمسلم والمؤمن ، والمحسن والكريم ، والرحيم والشاكر ، والطيب والحليم .

ولما كان من الأرض ما لا يُنبِت كالسباح والبقاع الجذبة ، ورؤوس الجبال الحجرية ، كان من ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى ، كما لا ينتفع الحجر بالماء ، والمجرم والخبيث ، والظالم والفاسق ، والغليظ والكريه .

ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن ، وريحه طيب ، وقد يُطلع القبيح المنظر منها زهراً ، وينضج ثمرأً ، كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَأَرْيَبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/٥-٧].

وفي السماء آيات .. وفي الأرض آيات .. وفي الأنفس آيات .. وفي الآفاق آيات .

فانظر في ملك الله الواسع العظيم ؛ لتزداد إيماناً و يقيناً ومعرفة بربك العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٦-٨].

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته ، والأرض ونباتها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١٥) [الأنعام/١١٥].

فلا إله إلا الله كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحداية الله، وعظمة أسمائه وصفاته، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر مع أنها آيين وأظهر من نور الشمس: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج/٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليقته، وتدابير أمره في السموات والأرض مما لا تحيط به العقول، وتقتصر دونه الأعمار والقرون: ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان الصادق الحق الذي لا يكذب صادقاً، ولا يصدق كاذباً، الذي من صدق الله في طلبه، صدقه في وعده.

● التبع لله ﷻ باسمه الصادق.

اعلم رحمك الله، وجعلك من الصادقين، أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العليا التي لا تنفك عنه أبداً.

فهو الصادق حقاً في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه، صادقات من كل جهة.

ورسله صادقون.. وملائكته صادقون.. وكتابه صادق كما أنزله.. ورسوله صادق بما بيّنه: ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ [التغابن/٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله، في إيمانك وأعمالك، تكتب من الصادقين: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء/٨٠].

واعلم أن الصدق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك.

واعلم أن باب الصدق التقوى، فادخل منه تجد الصدق، وتكن من الصادقين: ﴿ يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة/١١٩].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها ، فافتح به ما تشاء من أبواب الخير ، يرضى الله عنك ، ويكتبك مع الصديقين : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٣] الزمر/٣٣.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » متفق عليه ^(١).

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح ، أو باطنة في القلب.

فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أدائه.

وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وصدق النية في التقوى ، والحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، مع الخوف والرجاء ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ [الكهف/١١٠].

وإياك والكذب ، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/٣٢].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة ، فالبسبه في جميع أحوالك ، وجاهد نفسك عليه ، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقي ربه ؛ ليعلو إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والطاعة لله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/٦٩-٧٠].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

واعلم أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل ، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة.

فالصديق يصحب النبي في نبوته .. والرسول في رسالته .. والصديق في صديقته .. والتقي في تقواه .. والرحيم في رحمته .. والمؤمن في إيمانه .. والكريم في إكرامه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره وإخلاصه ، وإيمانه و يقينه ، وحيائه وطمأنينته ، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه ، لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له .

وإذا دخلت العزيمة في القلب ، ارتحل منه حب الدنيا، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة ، وبذل كل شيء من أجل رضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق ، فهداهم إليه ، وإلى ما يحب ، وجعلهم من الصادقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق صار صديقاً ، فرأى بصره وبصيرته نور الهداية ، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق يخلق ويرزق ، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده ، وذاق طعم الأذكار ، وحلاوة الإيمان ، وصدق اليقين ، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

واعلم أن أول الصديقية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وتصديق رسل الله وكتبه ، والعمل بما جاء عن الله ورسوله ، وترك ما سوى ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد/١٩] .

ونقيض الصديقية الزندقة ، وهي كالشرك مع الإخلاص ، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/٣٢] .

وأول الزندقة الكفر بالله ، وجحد ما لله من الأسماء والصفات ، والطعن في النبوة ، ورد ما جاءت به الرسل ، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر ، وعقوبته أشد أنواع العذاب : ﴿ إِنَّ الْمُتَفِيفِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [١٤٥] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/١٤٦] .

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ ، ومعرفة دينه ، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ ، فهو زنديق عدو لله ، قد مكر الشيطان به ، وأضله عن سواء السبيل بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله ، وعلمه حجة عليه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء/١١٥] .

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنبد الشواغل ، وبذل المجهود في طلب المقصود ، على سبيل الحق المشروع ، ومن أسرع سبق ونجا ، ومن تأخر خسر وأسره عدوه ، ومن أخلص لله ما يحبه ، خلصه مما يضره .

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين ، تكن من المفلحين : ﴿ يَتَّخِذُهَا الذِّينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٧٧] وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج/٧٧-٧٨].

واعلم أن خشوع الجوارح من خشوع القلب، وسيُرى على الوجوه ما تضمره القلوب، وفضول اللسان من فضول القلب، وميزان ذلك الصدق.

ومع العزم يكون العون، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان.

والصدق أعلى الدرجات، والكذب أسفل الدرجات، وكلاهما مسئول عن حقيقته، وجزاء العبد بحسبه: ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب/٨].

فعليك بالصدق في المواطن كلها، واصبر على ما أصابك، تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر/٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأكملها صدقاً وبذلاً وتضحية: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب/٢٣].

فاسأل الله أن يرزقك الصدق؛ لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك تفوز بمرضاة ربك مع الصادقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف/١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء/٨٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ،

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم إنا نسألك نفوساً مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وتقنع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتصبر
على بلائك.

اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، و يقيناً صادقاً تملأ به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا
يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، يا أرحم
الراحمين.

المقالا. الوارث

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ مُّحْيِـۤءٌ وَنُمِيتُ وَمَنَّا لُورِثُونَ ﴾ [الحجر/٢٣].

الله ﷻ هو الوارث الحق ، الباقي بعد فناء الخلق ، الوارث الذي يستردهم ويسترد أملاكهم وأموالهم
بعد موتهم .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

وهو سبحانه خالق الخلق، ومالك الملك، الذي يتصرف في البقاع والأموال كيف شاء، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف/١٢٨].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت، وارث الخلق أجمعين، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم/٤٠].

فسبحان الوارث الباقي بعد فناء الخلائق، الحي الذي لا يموت، الذي له ميراث السموات والأرض، الوارث لكل مالك وما ملك: ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران/١٨٠].

واعلم أن الملك الحق ﷻ صادق الوعد، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/٥٥].

ووعد عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [٦١] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ [٦٢] تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا [٦٣]﴾ [مريم/٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الوارث الباقي بعد فناء الخلق، وكل ما سواه فان زائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [٦٦] وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [٦٧]﴾ [الرحمن/٢٦-٢٧].

إليه ﷻ المرجع والمنتهى، وإليه المآل والمصير، وإليه يُرجع الأمر كله، الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعبيد، والخلق أجمعين: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر/٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله ، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين ، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه وأعداء رسله وعباده المؤمنين ، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف/١٣٧].

فسبحان من يؤتي الملك هذا ، وينزعه من هذا ، بأمر واحد ، ووقت واحد: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/٢٦].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً ، يورث المؤمنين ديار الكافرين ؛ لأنه القادر على كل شيء ، الوارث لكل شيء.

هو القوي العزيز الذي يُمكن لأوليائه في الأرض ، ويكفيهم شر أعدائهم ، ويدافع عنهم ، ويورثهم مُلكهم ، بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب/٢٦-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم ، ودينه وكتابه كريم ، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح ، يورثه من اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر/٣٢-٣٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الوارث:

اعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي بيده مقاليد الأمور ، وله خزائن السموات والأرض ، يورث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه.

فاسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والعمل بطاعته ، والكف عن معصيته ، وأن يجعل ذلك في ذريتك كما سأله زكريا ﷺ فأجابته: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا

تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، بِحَيْثُ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا، وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/٨٩-٩٠].

واجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً مع الوارثين ، الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم ،
وحسن صفاتهم ، وعبادة ربهم ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والإحسان إلى خلقه :
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خِشَعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مُلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
﴿١١﴾ [المؤمنون/١-١١].

وإذا ورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله وصفاته ودينه ، فعلمه عباده تكن ربانياً من
ورثة الأنبياء ، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ
وافر يستفيد منه ويفيد غيره : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ
لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
﴿٧٩﴾ [آل عمران/٧٩].

واعلم أن جميع الأقوال والأعمال موروثه ومحاسب عليها ، فأحسن أقوالك وأعمالك
وأخلاقك ، وأخلصها لربك ، يسرك ما فعلته يوم تلقاه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا
أَعْمَالُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾
[الزلزلة/٦-٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/٨].

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة/١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي

أَخْرَجْتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ « أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا ذا العرش المجيد ، يا وارث كل وارث ، يا غافر الذنب ، يا قابل التوب ، لا إله إلا أنت .

أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .
اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا ، إنك أنت أرحم الراحمين .
وهذا آخر الأسماء الحسنی الواردة في القرآن ، ويليها الأسماء الواردة في السنة الصحيحة ، وأولها اسم الوتر .

المقطع ٠١ ، ٥٠ الوتر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَللَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتُرَّيْحُ الْوَتْرِ » متفق عليه ^(١) .

الله تعالى هو الوتر الحق ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله .

الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/٣] .

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الذي ليس كمثل له أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١)
اللَّهُ الصَّمَدُ ^(٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ^(٤) ﴿
[الإخلاص/١-٤] .

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك ، والخلق ، والأمر ، والتصريف ، والتدبير ، وحده لا شريك له ، وتفرد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الجميلة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، تفرد وحده بخلق المجتمعات
والمتفرقات ، والعلويات والسفليات ، الذي يُسِيلُ الجامدات ، ويُجمد السائلات ، ويحرك الساكنات
، وَيُسَكِّنُ المتحركات ، ويجمع بين المتضادات ، ويؤلف بين المختلفات ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر / ٤].

وهو سبحانه الوتر الملك الحق ، الذي وسم جميع المخلوقات بسمه الحدث والصنع ،
والعجز والفقر ، وانفرد عنها ﴿اللَّهُ الَّذِي بَصُرَ بِهَا﴾ بصفات السلام والكمال ، والجمال والجلال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

انفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك.. وبالربوبية دون المربوب..
وبالألوهية دون الواله : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾
[مريم / ٦٥].

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه.. وأفرد الكافرين بإهانته.. وأفرد كل ذي شكل بشكله..
وكل ذي صورة بصورته.. وكل ذي لون بلونه.. وكل ذي طعم بطعمه.. وكل ذي سمع
بسمعه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر ، وخلق كل شفع ، ومخلوقاته كلها شفع ووتر .

السماء والأرض.. والليل والنهار.. والشمس والقمر.. والذكر والأنثى.. واليابس
والرطب.. والخير والشر.. والنور والظلام : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يس / ٣٦].

وهو سبحانه الوتر الذي يحب الوتر ، ويأمر به في كثير من الأقوال والأعمال والطاعات
التي شرعها ، في الأذكار ، والصلوات الخمس ، ووتر الليل ، والطهارة وغير ذلك .

عن علي ؑ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْثِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ » أخرجه أبو داود

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثيل له ، ولا شريك في أسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات ، وتدبير جميع الكائنات : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

● التبعّد لله ﷻ باسمه الوتر :

اعلم رحمك الله أن الله وحده هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی ، والذي تفرد بالخلق والأمر، والعطاء والمنع، والبسط والقبض: ﴿إِذْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكما خلقك الله ورزقك ، وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد ، وأفردك بذلك كله ، ولم يشرك معك أحداً ، فأفرد بالتوحيد والعبادة ، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة، وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

وكما تفرد ﷻ بالعظمة والخلق ، والعزة والكبرياء ، والجلال والجبروت ، فأفرد وحده بالذلة والخضوع ، والحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة ، وسائر أنواع العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً ، سليماً من أي عيب أو نقص ، خالصاً من كل كدرٍ ونكد ، فصل لك بعضه ، وأجمل لك جُلّه ؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه ، ولا تبلغ آمالههم إلى بعضه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٥٣).

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان والطاعات بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤَاهُ مُمْتَسِكِينَ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ مُطَهَّرَةً وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وأفرد ﷻ لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً، عارياً من أقل راحة، مسلوباً من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد، ولا يقوم لأذناه صبر أحد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء أفرد لك زوجين: نعيم وعذاب، لزوجين: طاعة ومعصية، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها، فأفرد له الطاعة، يفرد لك النعيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح/ ١٧].

وأفرد لك سبحانه الحق من الباطل، والخير من الشر، فأفرد به فعل الحق والخير، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر، فافهم واعمل، تفوز وتسلم: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].

فلا توجه عملك لسواه فتخسر. نفسك وعملك، وديارك وأخراك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

واختم أعمالك بالوتر حسب الشرع؛ لما علمته من بركة الوتر، وحب الله له: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

وإذا أحب الله عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه، وأحب العامل به، فاطلبه واعمل

به : ﴿ وَأَقِرِّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له ، أو لم يشرعه الله ورسوله ، فيرده عليك : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

﴿ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ أَمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

اللهم أنت الملك لا إله غيرك ، ولا رب سواك ، أنت الواحد لا شريك له ، الأحد لا شبيه لك ، الوتر لا مثل لك ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تُعصى إلا بعلمك ، تُطاع فتشكر ، وتُعصى فتغفر ، فلا إله إلا أنت .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

المقالة . السبوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ « أخرجه مسلم ^(١) .

الله ﷻ هو السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء ، البريء من النقائص والآفات والعيوب ، المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه ، وكل ما لا يليق بجلاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات ، الذي سبحانه الوجود كله ؛ لما له من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وسبَّحه خلقه بمحامده وثنائه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فسبحان الملك القدوس ، الذي يقدهه ويسبح بحمده كل من في العالم العلوي ، وكل من في العالم السفلي ، في جميع الأوقات ، بمختلف اللغات ، وأنواع الأصوات : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفْتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

وسبحان من له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، السبوح القدوس الذي ليس له مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الموصوف بجميع المحامد ، المنزه عن جميع العيوب والنقائص ، الملك الحق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١] .

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه ، وبحمده أسبَّحه وأزهره عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر ، وآفات المحدث ، وكل ما يستحيل عليه ولا يليق بجلاله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤] .

وأسبَّحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة / ١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧) .

فما أعظم تسبيح الرب ﷻ ، وما أيسر أداءه ، وما أعظم ثوابه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه ^(١) .

• التبعّد لله ﷻ باسمه السبوح :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله ، والتحميد كله ، والتسبيح كله ، والتعظيم كله ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته فسبحه بها ، وادعه بها ، ونزهه عن أضدادها .
سبح بحمد ربك العظيم ، الذي له العزة والعظمة والكبرياء والجبروت ، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

وسبح ربك الأعلى بالقول والفعل ، واملأ الكون بتسبيحه وحمده ، كما ملأه لك بفضله ورزقه : ﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ [الأعلى / ١-٥] .

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن الأوصاف الذميمة ، فينزه نفسه عن الشهوات المحرمة ، ومطعمه من الحرام ، وأعماله من الرياء ، ولسانه عن القبيح ، وقلبه عن النفاق والرياء ، وسيء الأخلاق .

وَإِذَا صَفَتَ نَفْسَكَ وَأَعْمَالَكَ مِنْ كُلِّ سِيءٍ وَمَذْمُومٍ فَقَدْ وَصَلْتَ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [٩٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩] .

فأرسل التحميد والتمجيد ، والتكبير والتسبيح ، لربك العظيم في كل حين ، فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد ، الذي شهدت الكائنات بعظمته ، واملأ الكون بنعمه ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢) ، ومسلم برقم (٢٦٩٤) .

وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

أرسل لربك التحميد مرة مفرداً ، ومرة مقروناً بالتسبيح.

فالمفرد مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] ﴿تَبٰرَكَ الَّذِي يَدْبُرُ الْوَعْدَ﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ أَرْبَعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر/ ١].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [١] ﴿فِيمَا يَنْذِرُ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [٢] [الكهف/ ١-٢].

و«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءُ السَّمَوَاتِ وَمِلءُ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» متفق عليه^(١).

والمقرون بالتسبيح مثل: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ) أخرجه مسلم^(٢).

و«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم ، وما أجزل ثواب ذلك ، وما أنفعه للعبد : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر/ ٣].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّؤُا الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ تَمَلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أخرجه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩٦) ومسلم برقم (٤٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥) والترمذي برقم (٢٤٣).

مسلم^(١).

وتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينه الإيمان حسن ، لكنه ليس كتسبيح صادر عن قلب
سابع في بحار عوالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران / ١٩٠-١٩١].

فسبحان الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، وتسبح بحمده
السموات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في
ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾
[غافر / ٧].

واعلم أن الناس في معرفة تسبيح المخلوقات من الجمادات والنباتات والحيوانات درجات
:

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن.

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد
لبارئها، وهذه يعلمها أولو الأبواب.

وللكائنات تسبيح باطن يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿سُبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

وقد يُسمع الجبار ﷺ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ تَسْبِيحَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَمَا أَسْمَعَ دَاوُدَ ﷺ
تَسْبِيحَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾
[الأنبياء / ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطق الطير والنمل، وكما أسمع محمداً ﷺ حنين الجذع في المسجد،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

وشكوى الجمل، وتكليم ذراع الشاة له، وسلام الحجر عليه بمكة وغير ذلك.

فسبحان الرب المعبود بكل مكان، الذي يسبح بحمده كل لسان، سبحانه وبحمده لا نحصي. ثناء عليه، إليه نسعى ونحفد، وله نصلي ونسجد.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وحزبك المفلحين، مع الملائكة المقربين المسبحين الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) ﴿[الأنبياء/ ٢٠].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير، المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب، هو الحي القيوم المنزه عن السنّة والنوم والموت، القائم على كل نفس، هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم.

هو الرحمن المنزه عن الظلم والقسوة.. وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿[الشورى/ ١١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) ﴿[

الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿[الأنبياء/ ٨٧].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه (١).

اللهم لك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الحكم كله، وإليك يرجع الأمر كله،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

علايته وسره ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، وأنت القوي ونحن الضعفاء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

الطيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» أخرجه مسلم (١).

الله جل جلاله هو الطيب ، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب ، من الاعتقاد والقول والعمل والخلق ، فأطيه كلمة التوحيد والإخلاص ، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة التي يطيب بها العبد: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج/ ٢٤]. وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء .. وصفاته أطيب الصفات .. وأفعاله أطيب الأفعال .. وكلامه أطيب الكلام .. ودينه أطيب الأديان .

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيباً ، وطيبه أن يكون خالصاً لله وحده ، على ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب ، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤُكُمُ هُوَ يُبَوَّرُ﴾ [فاطر/ ١٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

ودينه الحق كله طيب في عقائده ، وأحكامه ، وآدابه ، وسننه ، وشرائعه .

فعقائده هي الإيمان وأركانه التي تَطِيبُ بها النفوس وتركوا ، وتطمئن بها القلوب: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب ، قلبه ولسانه وجوارحه ، بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان، وبما ظهر على لسانه من الذكر والحمد والتسبيح والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .

ولما طاب المؤمن في هذه الدار ، أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه ، وطاب لسانه بذكره ، وطابت جوارحه بالعمل الصالح ، أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة ؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا ، والجنة في الآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم أن الدور يوم القيامة اثنان :

دار الطَّيِّبِ المحض وهي الجنة: وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث ، وهم المؤمنون الكُمَّل ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ودار الخبث المحض وهي النار: وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه وهم الكفار والمشركون والمنافقون ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده .

ومن معه طيب وخبث وهم عصاة المسلمين ، فهؤلاء من دخلها منهم عُدب بقدر ذنوبه ثم أُخرج إلى الجنة.

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً ، وأهلهما مخلدون فيهما أبداً.

الجنة دار الطيب المحض .. والنار دار الخبث المحض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه، وهو ما سلم من الخبث كله، وجمع الطيب كله.

والطيب قريب من معنى الطهارة ، وفي الطيب معنى زائد على الطهارة ، فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيء زائد على الطهارة، وهو في الشم طيباً، وفي الأفعال جودة وحسناً.

فلأعمال الصالحة متى ألفت بفاعلها رجساً طهرته، وإن لم تجد ما منه تطهره طيبته ؛ ليلقى ربه طاهراً طيباً: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٣٢].

و ضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خُبثٌ كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ الشيطان من أحدنا ، يطهر بالإيمان ، ويطيب ويزكو بالتقوى ، كما يطهر خبث الحديد بالنار ، فطهر نفسك منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

واعلم أن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده ، ليزداد الإنسان خبثاً بعد خبث ، ورجساً بعد رجس بالشرك والكفر ، والكذب والكبر ، والحسد والحقد، والبخل والطمع وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر/٦].

وعن صفة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج معها ، فلقية رجلان من الأنصار فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمْ شَيْئًا » متفق عليه^(١).

واعلم أن من أَرَادَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَسِّرْ - له أسباب الهداية ، وفتح له أبواب المعرفة ، ونقله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشر- إلى الخير ، ومن المعاصي إلى الطاعات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات/١٧].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه :

فيجعل كبره على أعداء الدين .. وحرصه على طاعة ربه .. وإيأاه عن معاصيه .. وبطشه بمن أصر على الكفر .. وحسده على الخير والحكمة وبذل النفس والمال في ذات الله.

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات، ليحييه بذلك حياة طيبة، ويزيل عنه خبث باطنه، ورجس أعماله الظاهرة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأحزاب/٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ [النور/٢١].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته ، الطَّيِّبُ القدوس في جميع أسمائه وصفاته ، الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُحٍّ فَلَنَونٌ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم/٢٦-٢٧].

فسبحان الملك القدوس ، الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٥).

الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه ، كمن هو مجبور لا غناء به ! ومن هو كبير لم يزل ، كمن هو حقير لم يكن ! أيستوي الملك والمملوك ! والخالق والمخلوق ! والرازق والمرزوق ! : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/١٧-١٨].

الكل أبان بجبروته ﷻ ، وأخبر بدوام ملكوته ، وشهد بوحدانيته .

والكل يسبح بحمده لطهارة قدسه ، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة/١].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الطيب :

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنى ، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى ، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم ، وموجب تلك الصفة ، بما يرضى ربه عنه .

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته ، فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له ، والتعبّد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/١٨٠].

فاجهد نفسك أيها المؤمن في العلم بأسماء الله وصفاته ، واستعمل نفسك بمقتضاها .

فإذا ذكرت الرحمن ، فتذكر ماذا عندك من الرحمة؟ وكم رحمت من الخلق؟ وتعبّد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض ، يرحمك من في السماء .

وإذا ذكرت العليم ، فتذكر ماذا عندك من العلم ، وكم علّمت من الخلق من شريعة الله ، وتعبّد لله بصفة العلم يورثك التقوى والخشوع له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر/٢٨].

ونزّه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكّها بكل عمل صالح وخلق حسن.

ومن أعظم التزكي العمل بطاعة مولاك الحق، لتزكى بذلك عنده، وتقرب منه: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر/١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودة وحسنا، والنهوض إلى الخيرات صعوداً بكل عمل طيب زكي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/١٤-١٥].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خير ورحمة وإحسان، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه.

فاجتهد على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب، من ذكرٍ وشكر، وحسن عبادة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق.

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسنى إلا ببذل كل طيب، من الأوقات والأموال، والأقوال والأعمال، في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران/٩٢].

واعلم أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء.

فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل/٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خُلق في القرآن محمود يفعله، وكل خُلق في القرآن مذموم يحذره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

واعلم أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب ؛ لأنه تركيب في الخلقة ، فاسأل الله أن يطهر قلبك منه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داء إلا جعل له دواء، ولا أغلق غَلْقًا إلا وجعل له مفتاحًا.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم ^(١).

ومفتاح هذا العَلْق ، ودواء هذا الداء ، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله ويبدله بخير منه، والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

وَقُطِبَ ذَلِكَ كَلِمَةً مَعْرِفَةَ الرَّبِّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَةَ مَا يَجِبُ لَهُ، وَمَعْرِفَةَ النَّفْسِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهَا، وَمُخَالَفَةَ الْهَوَى، وَلِزُومِ الطَّاعَاتِ، وَالْفِرَارِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْبَعْدِ عَنِ مَوَاضِعِ الْأَثَامِ وَالْفَوَاحِشِ: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحيين وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقف بين يديه بجلال الاضطرار: ﴿وَرَكِبْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ إِتْمَمَ كَانُوا يُسَدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [٩٠].

[الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

وابك على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

نُنَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم/٥٨].

واعتذر إليه من عجزك، فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج، مع لزوم الدعاء .

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته ، ولا حرمننا كريم إجابته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/١٨٦].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ [نوح/٢٨].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء/٨٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم^(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

اللهم أحيينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، يا رب العالمين .

المقالة ■ الجميل

عن عبدالله بن مسعود^(١) عن النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ »

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالْكَبِيرُ بِطَرِّ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» أخرجه مسلم^(١).

الله ﷻ هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته ﷻ أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء.

عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ» أخرجه مسلم^(٢).

وهو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله، الجميل الذي لا أجمل منه، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ [٧] [السجدة/ ٦-٧].

جَمَّلَ الْأَرْضَ بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنَ الْمِيَاهِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَزْهَارِ، وَالثَّمَارِ، وَالْجِبَالِ، وَالشَّجَرِ وَالِدَوَابِّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [٧] [الكهف/ ٧].

وَجَمَّلَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ وَالْمَصَابِيحِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ [الملك/ ٥].

وَجَمَّلَ القلوب بالتوحيد والإيمان، وجمَّلَ الأجساد بالطاعات والأخلاق: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم جمَّله بالدين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤-٦].

وهو سبحانه الجميل الذي يستحق أن يُعبد لذاته، ويُحَبَّ لذاته، ويُحمد لذاته: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].
فكيف إذا انضاف إلى ذلك حسن أسمائه، وعلو صفاته، وجمال أفعاله، وإحسانه وإنعامه، وعفوه وبره، ورحمته وحلمه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الجميل المحمود على حسن أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].
فكل جمال ظاهر أو باطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعه وجماله .

واعلم أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة، وأعظمها شأنًا: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجمال كله، وله الإحسان كله، وله الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السنيّ البهيّ يراه المؤمنون في الجنة ، فيرون حسناً لا يتوهم وصفه ، وجمالاً لا يُقدر قدره ، ينسون معه كل جميل ونعيم: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَيْبِهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون به جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه ، وعلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى .

فيكشف قلوبهم مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله ، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب فتخضع وتخضع ، وتخر وتبكي ، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم ، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية ، وآياته الشرعية ﴿يَحْزَنُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَحْزَنُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

اتصف ﷻ بأحسن الأسماء والصفات والأفعال ، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة .
أوجد الخير كله .. وتنزه عن الشر كله .. وتجميل بالحسن كله .

أوجد الشر. كله لا لنفسه، بل لعله الابتلاء: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه ؛ لأن ذلك كله منه ، وهو يحبه ويرضاه ، سواء كان في الذوات أو الأفعال ؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل ، ويأمر بكل جميل ، ويثيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه/ ٧٥].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضداً من القبيح ، ليس لكماله وجماله ، بل ليميز به الحسن من القبيح ، والمحمود من المذموم ، وليدل به على قدرته ﷻ في خلق المتضادات كالخير والشر. ، والحسن والقبيح ، والجنة والنار ، والأبرار والفجار: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

واعلم أن ما خلقه الله من الجمال ، وما وهب لعباده منه قسمان:

جمال ظاهر.. وجمال باطن.

فالباطن منه: أعظمه التوحيد والإيمان والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وحسن الخلق، ومعرفة الحق، وما يدل عليه ويشهد له.

والظاهر: الطاعات لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها من صلاة وزكاة ونحوهما.

فما صرفه العبد فيها على وجهه الشرعي فهو جمال وحسن وزينة عند الله عز وجل، يقبله ويشيب عليه بأحسن منه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [يونس/٢٦].

ومن ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الدنيا: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ ﴿١٤﴾ [آل عمران/١٤].

فسبحان جميل الأفعال بعباده، يطعمهم ويسقيهم، ويرزقهم ويعافئهم، ويكلفهم باليسير من العمل ويعين عليه، ويشيب عليه بأفضل منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة/٢٤٥].

وقد خلق الله البشر متفاوتين في الحسن، والجمال، والأعمال، والأخلاق.

فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن، فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بأحكامه، ويدعو إلى فضائله، ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/٤].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر.

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات من آثار جماله .

جَمَلُ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ .. وَجَمَلُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ .. وَجَمَلُ الْجَوِّ بِالْهَوَاءِ .. وَجَمَلُ الشَّمْسِ
بِالضِّيَاءِ .. وَجَمَلُ الْقَمَرِ بِالنُّورِ .. وَجَمَلُ الْمَلَائِكَةِ بِالطَّاعَاتِ .

وَجَمَلُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ .. وَجَمَلُ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .. وَجَمَلُ الدُّنْيَا بِالذِّينِ ..
وَجَمَلُ الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ .. وَجَمَلُ الْجَنَّةِ بِكُلِّ جَمِيلٍ وَنَعِيمٍ .

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فسبحان الجميل الذي جَمَلُ الْجَنَّةِ بِرُؤْيَا وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي إِلَيْهِ مَتَّهَى الْكَمَالُ وَالْجَلَالُ
وَالْجَمَالُ: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » متفق عليه^(١).

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ :

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجمال والحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق هو ما رضىه
الله وحسنه لا غير.

فاعمل عليه، وخذ نفسك باجتنب ضده: ﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَحَدُّهُ وَمَاتَهُكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر/ ٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ،
وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ » متفق عليه^(٢).

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهراً وباطناً.
فتزين لربك بالإيمان والطاعات ، وحسن اللباس والطيب .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥١).

والناس في التجمل الظاهر ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ حَسَّنْ ثوبه ، وَرَجَّلْ شعره ، وَطَيَّبْ ريحه ، ونظف بدنه ، وتجمل بذلك باقتصاد لربه الجميل ﷻ .

وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم .

وعليها درج الكثير من الصحابة والتابعين .

ومنهم من لزم البذاذة والشعث ، واحتمل التفت في الهيئة إلا ما أقام به السنة ولو وجد حلالاً ؛ زهداً في التمتع ، وإيثاراً لشطف العيش ، حتى لا يشغله التمتع عن ربه .

وهذه طريقة الخائفين الذين قَدَّمُوا كل شيء إلى الآخرة .

وعلى ذلك دَرَج الخلفاء الراشدون ، وكثير من الصحابة والتابعين .

ومنهم من يتقلب بين هذا وهذا ، إذا وجد تنعم ، وإذا فقد احتمل .

وهذه كانت سنة إمام المتقين ، وطريقة سيد المرسلين .

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة.. ويلبس الرداء الغليظ تارة .

وكان يأكل اللحم تارة.. ويأكل العصيد تارة.. ويجوع مرة.. ويشبع مرة.. لا يتكلف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له .

وقد آتاه الله من التقى ، وحُسن الخلق ، وحُسن السمعة ، ما لا تبطره به النعمة ، ولا يقعه الفقر عن العمل لربه .

فَسَنَّ لَنَا ﷺ بفعله الطرق الثلاث ، والفوز والنجاة بالاقتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربه ، وفيما بينه وبين خلقه ، وتلك حقيقة الزينة والحُسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

وَرِضْوَاتٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
 بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران/ ١٥-١٧].

فجمل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك ، تجد ثوابه يوم القيامة حُسن الوجوه ، وحسن
 النعيم ، وغاية الجمال ، فالمؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم
 وأعمالهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ رُؤْمَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً» متفق عليه^(١).

والكفار يصورهم ربهم على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ
 بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال ، فتجمل له بما يحبه ويرضاه.

واعرف جماله بأسمائه وصفاته الذي لا يماثله أحد ، وكن كريماً يحبك الكريم ، جميلاً
 يحبك الجميل ، عفواً يحبك العفو ، وتعبد لربك بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی: ﴿وَاللَّهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

جَمِّلْ لسانك بالصدق ، وجمِّل قلبك بالإيمان والإخلاص والمحبة والتوكل والإنابة ،
 وجمِّل جوارحك بطاعة الله ورسوله ، وجمِّل بدنك بالنظافة وحسن اللباس ، وتجمل لمن
 خلقك في أحسن تقويم ، بإظهار نعمة الله عليك : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » أخرجه مسلم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه ، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه ، وذلك من شكره على نعمه ، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به .

واعلم أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالزينة والطيب واللباس ، والجمال الباطن بالإيمان ، وشكر المنعم ، والتقوى ، فتجمل بذلك كله : ﴿ يَنْبِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَ لِبَاسَ التَّقْوَى ذَ لِكَ خَيْرٌ ذَ لِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف/٢٦] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/٥٣] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر/١٠] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١) .

اللهم يا من يملك الجمال كله ، ويده الأمر كله ، زين قلوبنا بالإيمان واليقين ، وجمل ألسنتنا بذكرك وشكرك ، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك ، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح .

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة ، يا واسع المغفرة ، يا واسع العلم ، يا سامع كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا واسع الفضل ، أسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أكرم الأكرمين .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

النور

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٣٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» أخرجه مسلم ^(١).

الله صلى الله عليه وسلم هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهرًا وباطنًا، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ^(١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(١٦)﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي بَصَّرَ الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ؛ لعظمة نوره وكبريائه وعظمته .

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تَبَدَّى لها : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فسبحان النور الذي نُور السموات العلى كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض من نوره، بل نور العرش والكرسي وجميع الجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس والقمر والكواكب، بل « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم^(١).

وهو سبحانه النور الحق الذي نُور قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته بأنوار معرفته بأسمائه وصفاته ، وأنوار محبته، حتى امتلأت قلوبهم بالأنوار المتنوعة ، والعلوم النافعة ، وخرت خاشعة لعظمة ربها ، ونور جلاله وجماله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحان من تعرّف إلى عباده بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تحصى .، ليعبدوه وحده ، ويعرضوا عما سواه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فمعاني العظمة والجبروت والجلال والكبرياء ، والقوة والقهر ، تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الهيبة والتعظيم والإجلال للجبار عز وجل .

ومعاني الجمال والبر والإحسان والإكرام ، تملأ قلوبهم بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى .

ومعاني اللطف والرأفة والرحمة ، تملأ قلوبهم بأنوار الحب والحمد والشكر والثناء

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

للمولى ﷺ .

ومعاني العلم والإحاطة والشهادة والمراقبة والقرب ، تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم وطاعته ، وتوصلهم إلى مقام الإحسان .

وجميع أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، تملأ القلوب بأنوار التعظيم ، والحب ، وحسن التبعد لله ، والتعلق التام بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَالُ / ٢-٤] .

واعلم أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور التوحيد والإيمان واليقين ، فاض على الوجه فاستنار الوجه ، واطمأن القلب ، وانقادت الجوارح لطاعة الله ، وقيدها هذا النور عن معصية الله : ﴿ فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [التغابن / ٨-٩] .

فسبحان النور الحق ، الذي أسماؤه وصفاته كلها نور ، وكتبه كلها نور ، ورسله كلهم نور ، ودينه نور ، ودار كرامته نور : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) [الحديد / ١٢] .

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار ، كذلك يتفاضلون في الآخرة في رؤيتهم ربهم ﷻ بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ » متفق عليه^(١) .

واعلم أن النور قسمان :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦٣٣) .

نور ظاهر.. ونور باطن.

فالباطن إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح ، واتسع فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات.

وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور.

فالله ﷻ نور.. والقرآن نور.. ورسوله نور.. وآيات الله الكونية والشرعية كلها نور: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حلَّ نوره ﷻ بمكان طرد عنه كل الظلمات ، وأبعد عنه الكُدرة ، فإن كان الجسم صقيلاً أشرق وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧].

واعلم أن الحكيم ﷻ لما أنزل الحق جعل ضده الباطل ، ولما أوجد النور أوجد الظلام، فإذا جاء الحق زهق الباطل ، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ فِقُرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرِيمٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وقد خلق الله ﷻ الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب.

فخلق سبحانه الجان من نار السموم ، وخلق آدم من تراب: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦١﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « خَلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخَلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخَلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » أخرجه مسلم^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

وإبليس من الجان ، أضله الله من بينهم ولعنه حين استكبر وكفر بالله ، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما ألطفه في تدبيره.

مَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنْ خَالِصِ النُّورِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ جَعَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا كُلَّهُ ، يَعْمَلُ بِالْخَيْرِ ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَعِينُ عَلَى الْخَيْرِ: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٢٠) [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ النَّارِ وَهُمْ الْجَانُ جَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ عِقَابٌ مِنْ كُفْرٍ وَكَذَبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ وَأَتْبَاعَهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) [فاطر/ ٦].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الْمَمْتَزَجِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ مِنْ مَاءٍ وَتَرَابٍ جَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَمْزُوجَةً إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ .

فمنهم المؤمن والكافر .. والبر والفاجر .. والكريم والبخيل .. والسعيد والشقي .

وَأَعْمَالَهُمْ مَمْزُوجَةٌ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، وَمَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧) [الشورى/ ٧].

ولو شاء الله لهداهم أجمعين ، وجعلهم أمة واحدة ، لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام ، ليبين للمعتبرين عظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته ، وأصناف مخلوقاته ، وَحَكَمَ الْأَحْكَامَ وَفَضَّلَهَا عَلَى الْإِضَاعَةِ وَالْفَوْضَى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩) [الأنعام/ ١٤٩].

فسبحان الملك الحق ، الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو:

من ليل ونهار .. ونور وظلام .. وحر وبرد .. وحياة وموت .. وأمن وخوف .. وذكر وأنثى ..

وخير وشر.. وشقي وسعيد: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات/ ٤٩].

أما النور الظاهر فما جعله الله في الشمس والقمر والنجوم والنار والأبصار: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس/ ٥].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نور ساطع ، يزداد على التدرج في العلو ، وما تحتنا ظلام مُعْتَمٍ يزداد على التدرج في الأسفل .

فما فوقنا كله نور، يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق ﷻ الذي كل نور في العالم من نوره: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٣٥].

فمَنْ عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

ومن عمل بمعصية الله سجنه الله في الظلام في طبقات النار في الأرض ، في أسفل سافلين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿ ٥ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ ٦ ﴾ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿ ٧ ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿ ٨ ﴾ [التين/ ٤-٨].

واعلم أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير ، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضدًا من رحمته يقاومه .

فمَنْ عبَد هذه النار في الدنيا يريد النور ، ساقه الله إلى ظلمات النار يوم القيامة: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا بُكُورًا فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فنار جهنم أعادنا الله وإياكم منها أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلِّمة في هذه الدار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : رب أكل بعصي بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » متفق عليه ^(١).

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم يُذكر الله بها عباده ليتقوه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾]
الواقعة / (٧١-٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَا فَيَهَّ يَأْرَسُوْلَ اللّٰهِ ، قَالَ : « فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » متفق عليه ^(٢).

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته ، وملاً العالم نوره ، وأحاط بكل شيء علمه ، ووسع كرسيه السموات والأرض ، وأحاط بجميع مخلوقاته بعرشه العظيم ، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

سبحانه لا تُعد مخلوقاته ، ولا تُحصى نعمه ، ولا يُحاط بجنوده : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، والعالم كله دليل على وجوده ، قائم كله بأمره ، مقهور بإرادته ، مستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى طاعته : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَئَىٰ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود / ٥٦].

هذا نور ساطع لأبصار العقول، وضياء واضح لبصائر الفهوم : ﴿ أَفَىٰ لِلَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له .

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٠﴾ [إبراهيم/١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله المشرق فيه ظاهراً وباطناً كالبيت مليء سرجاً ومصابيح فأشرق بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/٣٥].

فاصعد بفكرك لمعرفة جلال أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، تبصر- الهدى بنور الحق المبين: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثَاقًا فَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ كُفِّرِينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/١٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق ﷻ سطع نوره في قلبك ، وغلب كل نور ، فأبصرت ملكاً عظيماً ملاً الكون نوراً .

كلامه نور ، وأسماءه وصفاته وأفعاله كلها نور ، وكتبه نور ، ورسله نور ، ودينه نور: ﴿ذَلِكَ نُورُ اللَّهِ رَبُّكُمْ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصُرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهتدي بنوره من في السموات ومن في الأرض ، الذي بنوره يبصر- ذو العماية ، وبهدايته يرشد ذو الغواية ، الذي نور السموات والأرض من نور وجهه ﷻ .

وهو سبحانه النور الذي ملاً الدنيا بنوره ، وملاً الآخرة بنوره ، وملاً الجنة بنور وجهه ، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتِّيَعْنَ وَالشَّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر/٦٩].

ويمنع نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعنة، نعوذ بالله من سخط الجبار ، وعذاب النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب/٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة/ ١٧٥].

اللهم لا طاقة لنا بنار جهنم ، فارحمنا وأنت خير الراحمين .

• التبعّد لله ﷻ باسمه النور :

أحرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار ، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق ﷻ ، وتنعّم بالنور في الدنيا والآخرة .

واعلم أن مَنْ تعرّف النور الظاهر من الباطن ، ومواضعه ومسالكه في العالم ، يجد أن الله هو النور الحق الذي لا إله إلا هو ، ملاً الكون كله بنوره .

نور السموات والأرض ، ونور الظواهر والبواطن ، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم ، ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی .

ونور سبحانه قلوب المؤمنین وصدورهم بالإيمان والإخلاص والتوحيد ، ونور العقول بأصناف العلوم ، وأنواع الدلائل والبيّنات ، ونور الأبدان بأنواع العبادات وأصناف الطاعات ، ونور الأسرار بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات .

ونور ﷻ العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢] إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس/ 3-4].

ويرى ذلك مَنْ صدق في الطلب ، ونقى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل بالعلم والمعرفة ، ونقاها من الذنوب بالتوبة النصوح ، والعمل بما يرضي الله ﷻ : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

فاجتهد في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن ؛ لترى الحق حقاً وتتبعه، وترى الباطل باطلاً وتجتنبه : ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج / ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيماناً و يقيناً وعلماً: ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك ، يشرق النور في قلبك وجوارحك ، ويحتوشك نور الإيمان ظاهراً وباطناً ، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك.

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يكتسب ، بل هو من قبيل العطايا والمواهب الربانية ، وهو ميراث حُسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

وذلك أن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا تُنال إلا بها .

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله عز وجل ، وتقوى الله ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ءَيُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ ءَوَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَوَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَوَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد / ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمناً للإيمان والتقوى .

وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى ، وعلى قدر تقوى الله يكون حُسن الطاعات ، والتطهر من الأدناس والمعاصي ، والطاعات كلها نور ، والمعاصي كلها ظلام : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [١٧٤] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء / ١٧٤-١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور، فيمتلئ قلبه نوراً ، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام.

فتصبر بالنور.. وتسمع بالنور.. وتفكر بالنور.. وتتكلم بالنور.. وتعمل بالنور.. وتدعو

بالنور.. وتتعلم وتُعلم بالنور.. وتعيش بالنور.. وتمشي- بالنور: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي
بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
بِالنَّوْافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ.»

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ
الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ
تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري ^(١).

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تتفرغ للنظر والتدبر والتفكير في
معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، والنظر في ملكوت الله، لم يتم لك هذا الأمر،
ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين، إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت ملك
المملوك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثُوبَكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد/١٩].

وإذا أراد الله بك خيراً فتح لك أبواب التعرف عليه، والقرب منه، فوصلت التقوى بالنظر والفكر،
ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به، وجمعت بين علم
الجوارح، وعلم القلوب، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك، وتجنب ما يسخط الله،
وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك: ﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ
شَجَرًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
عَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/٢٧-٢٨].

وإذا علمت هذا، فحينئذ اتصل بك الحبل، واستبان لك السبيل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه ، وحِدَّة بصره وعقله بقدر تفرغه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله بقدر التفكير والتدبر: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة ، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤنة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت بنوره الحق الذي خلق به السموات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله ، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين ﷻ يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿يَدْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونَا لَهُ، وَالدُّنْيَا لَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ لِدَاوُدَ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

واستغفر ربك في كل وقت ، وسبح بحمده ما بقيت ، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أن أشد الناس حباً لله، وأكثرهم ذكراً له، وأصدقهم مناجاة له، وأحسنهم عبادة له، هم أعرف الناس بالله، وأعلمهم بأسمائه وصفاته وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَمَلُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن من أراد الله عز وجل عصمته عاد عليه برحمته ، فأعانه على طاعته ، وحماه من معصيته ، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه ، وأشغل أوقاته فيما يقرب إليه مما يحبه ويرضاه .
فتراه ذاكرًا لربه .. مسبحاً بحمده .. مكبراً له .. مستحياً منه .. مُجِلاً له .. مطيعاً له .

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء .. وأذهلته هيبه الجلال والجبروت .. وملكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه شَغَفًا به ، وكَلَفًا بقربه: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته بالتعظيم والإجلال لربه ، وحمده وشكره على نعمه ، وخشيته والافتقار إليه ، وكثرة التسييح والتحميد له ، ولزوم الاستغفار ، واتباع السنة ، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته ، فاستقم كما أمرت ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٩﴾ [يونس/ ١٩].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل ، ثم أتباعهم من المؤمنين ، والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بَلَغَ البلاغ المبين ، فأزال الله به الشرك والجهل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم أن من قعد على كرسى الجهل والهوى والكبر فلن يبصر الحق أبداً ، ولن يقوم من كرسية إلا إلى نار جهنم : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢) [الإسراء/ ٧٢].

وأولئك أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٩) [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَاتَّبَعْنَا رُسُلَكَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨) [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمٌ لِي نُورًا » أخرجه مسلم (١).

اللهم يا نور السموات والأرض ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين ، ونبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريب ، فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

المقالة ■■■ الرفيق

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الرفيق الكثير الرفق، الذي يسهل الأمور، ويسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاَصْبٰٓءُ اَغْيَرِ اللّٰهِ نُنْقَوْنَ ۝٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَاِلَيْهِ تَجُرُّوْنَ ﴿٥٢﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْتِى النَّاسَ لِرءُوفٍ رَّحِيْمٌ ۝٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة؛ ليتوب من سبقت له العناية، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ اَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا اِنْ اَمْسَكَهُمَا مِنْ اَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهٖ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ۝٤١﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الرفيق بعباده، الذي ليس بعجول على من عصاه، وإنما يعجل من يخاف الموت أو الفوات.

أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء فليس من شأنه العجلة: ﴿سُبْحٰنَكَ هُوَ اللّٰهُ اَلْوَحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر / ٤].

وهو سبحانه الرفيق في أفعاله، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً، مع أنه قادر على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

خلق جميع المخلوقات دفعة واحدة ، بأمر واحد ، في لحظة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه.. اللطيف في تدبيره.. الحليم في فعله.

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدرج .

يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف ، ويأتي بالحر بعد البرد ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويُجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك : ﴿ وَعَايَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس / ٣٧-٤٠].

ويصرف الرياح في الجو، ويصرف المياه بين السماء والأرض: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِيَلْدُرِ مَيْتًا فَنَنْزِلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف / ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يُخرج الموالب من الأرحام، ويُخرج الثمار من الأشجار، ويُخرج الحب من النبات : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَهَا وَعَيْرٌ مُّثْنَبِيَّةٌ أَنْظَرُوا إِلَىٰ ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم ؛ ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرِّفه ، ويحكمه بأمره ، وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم / ٥٠].

وهو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم بما لا يطيقون ، ولم يحملهم ما لا يستطيعون، الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة، وأسقط

عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيراً من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكْرَبُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٥).

كل ذلك رخصة لهم ، ورحمة بهم ، ورفقاً بهم ؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده .

هو الكريم الذي اجتنبى هذه الأمة لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ أَحَبُّنَا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلًا أَيْبِكُمْ أَنْ تَرْهِيْمَهُ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج / ٧٨).

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعة واحدة ، بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس ، وتلين الطباع ، ويتم الانقياد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر / ٢٢).

ومن رفته سبحانه إمهال ركب الخطيئة ، ومقترف الذنب، وعدم معالجته بالعقوبة ، لعله ينب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه: ﴿وَرُبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ (الكهف / ٥٨).

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ؛ لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه الحليم الرفيق الذي لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَلَا يَكُنُ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر / ٤٥).

ومن رفته سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدى وشفاء ، ورحمة وسماحة ، وتذكير وموعظة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران / ١٣٨).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » متفق

عليه^(١).

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق ، وخص أوليائه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّفْقَ الَّذِي رَفَقَ اللَّهُ بِكُمْ وَلِيُجْزِيَ الَّذِينَ هُمْ أَغْنَىٰ عَنْ رَفْقِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَغْنَىٰ عَنْ رَفْقِ اللَّهِ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ فَخْرًا لَئِن أُوتُوا سُلْطَانًا مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ لَيُنْفَرْنَ سِرًّا وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ فَخْرًا لَيَرْجِعَنَّهُمْ إِلَىٰ ظُهُورِهِمْ ذُوًّا عَلَىٰ ذُوٍّ يُسْرِعُ فِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء/ ٢٦].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرفيق :

اعلم أن الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ومظاهر رفقته ظاهرة في العالم كله.

ورسوله محمد ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقته في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه بحسن خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: « دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُسَرِّينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » أخرجه البخاري^(١).

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق، ورسولنا إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق ويسر.

فعليك بالرفق في جميع أمورك ، في عبادتك ، ومعاملتك ، ومعاشرتك وجميع أعمالك ، يحبك الله ورسوله وخلقته : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن الرفق زينة الإنسان ، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ « أخرجه مسلم (٢) .

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق ، فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير.

فاحرص رحمك الله أن تكون رقيقاً في أمورك كلها، بعيداً عن العجلة والسريعة، والتهور والاندفاع ، والغضب والتكلف ، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن ، وحلية أهل الإيمان: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) [النساء/ ٢٧].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » أخرجه مسلم (٣) .

ارفق بنفسك ولا تحمّلها ما لا تطيق ، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله ، ولا تزيد في عمل زيادة تقعدك عن غيره ، ولا تخرج عن السنة إلى الشدة والتكلف : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) [النساء/ ٢٨].

وارفق بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلق حسن ، تلقى أحسن منه .

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٩) [يونس/ ٢٦].

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣٠) [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣١) [البقرة/ ٢٨٦].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢).

المقالة LIV. « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطَايَا وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .
 المقالة LV. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).
 اللهم يا عظيم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا حلماً على من عصاه ، يا سمياً لمن دعاه ، يا رقيقاً بمولاه ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.
 اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين .

المقالة LV. الشافي

المقالة ٥٥٥٥. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء / ٨٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى مناً إنسان مسحه بيمينه ثم قال: « أَذْهَبَ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفَى أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الشافي الحق لجميع الأقسام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [آل عمران / ١٠٩].

فهو سبحانه الشافي الكافي الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأقسام والآفات والأمراض وحده لا شريك له، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له .

والشراب: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق ، الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك ، والشبه والشكوك ، والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب ، ويعافئها بالهداية إلى الدين القيم ، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) [الجمعة / ٢].

فسبحان الشافي من كل داء ظاهر أو باطن ، الشافي الذي لا يدعى بهذا الاسم سواه ، الشافي الذي يشفي بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣٠) [المائدة / ١٢٠].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء ، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً ، علمه مَنْ جَهِلَهُ ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ .

وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها ، بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) [الزمر / ٦٢].

وقد أنزل الله القرآن الكريم شفاء من كل داء ، يستشفى به المؤمنون من الجهل والضلالة ، ويبصرون به من العمى ، ويعرفون به الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والخير من الشر ، ويعملون بأحكامه ، فيسعدهم ربهم في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وينجيهم من النار: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس / ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خساراً ؛ لأنهم لا يؤمنون به ، ولا يعملون به ، فخسروا دنياهم وأخراهم: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء / ٨٢].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له ، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له ، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة ، وتناول الأدوية المفيدة.

والتداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله، فنأخذ بالأسباب المشروعة، ولا نتوكل إلا على الله الذي جعل فيها الشفاء، وهو الشافي الذي يشفي بها، وبدونها، وبضدها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » أخرجه البخاري (١).

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء .

فكما أن دَفْعَ الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (٧٩) [الشعراء/ ٧٩]، فكذلك دَفْعَ المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٨٠) [الشعراء/ ٨٠].

فيجب علينا فقه أحكام الله، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدرأ وشرعاً. فللصحة أسباب، ولدفع المرض أسباب، ولكسب الحسنات أسباب .

ولدفع السيئات أسباب، ولدخول الجنة أسباب، وللنجاة من النار أسباب .

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، ونحن في دار الأسباب: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) [الكهف/ ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار جل جلاله، لا خروج لها عن أمره، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببها، وإن شاء أبطلها كما أبطل إحراق النار عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٦١) [الأنبياء/ ٦٩].

يفعل ذلك جل جلاله ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته، ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله.

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته وأخفى قدرته، ابتلاء لعباده، وجعل الأسباب تعمل مرة، وتقف مرة، ليظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، والذي خلق فسوى ، وقدر فهدى وأطعم وأسقى ، وأمات وأحيا ، وابتلى وشفى ، وتجاوز وعفى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشافي :

اعلم وفقك الله أن الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبيده الخلق والأمر ، هو الله وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

فتوسل إلى ربك بأسمائه وصفاته ، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان ، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٧﴾ [يونس/ ١٠٧].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم^(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام ، فاعلم أن أعظم داء انتشر بين الناس هو داء الكفر والشرك والمعاصي ، فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من الشفاء ، وبلغ دين ربك في كل مكان وزمان ، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ . وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

ولن يقوم بهذا إلا أنت ، فقم به كما قام به نبيك ﷺ ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَّا لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده ، يكتب الله لك أجرهم ، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [٢٥] وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهَبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(٢).

اللهم يسر-أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونور قلوبنا ، واستعمل جوارحنا بطاعتك ، يا أرحم الراحمين.

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين.

اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا أنت ، ولا يعين على الحق غيرك ، ولا يؤتي الخير إلا أنت ، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك ، إنك على كل شيء قدير.

المقالة ٧. الحي

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَبِيْبٌ سِتِيْرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ » أخرجه أبو

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٩١) .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا » أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).

الله ﷻ هو الحيي الكثير الحياء، الذي يترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياؤه ﷻ على ما يليق بجلاله، فالعبد يجاهر ربه بالمعصية، مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معاصيه، ورببه مع كمال غناه، وتمام مقدرته عليه، يستحي من هتك ستره وفضيخته.

فسبحان الحيي السّير الذي يستر من عصاه بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر له: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » متفق عليه^(٣).

واعلم أن حياء الرب ﷻ من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، فهو حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر/ ٦١].

فهو سبحانه حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صِفْرًا، ويستحي أن يعذب ذا

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

شبية شاب في الإسلام، ومن استحي من الله استحي الله أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً ، حيث لا تنفع المعذرة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنی ، ويثني على نفسه بها ، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو كريم يحب أهل الكرم.. حليم يحب أهل الحلم.. شكور يحب الشاكرين.. تواب يحب التوابين.. حيي يحب أهل الحياء: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها لعباده ، وأمرهم بالتعبد له بموجها ومقتضاها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

• التعبد لله ﷻ باسمه الحيي:

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم الصفات التي يحبها الله ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم^(١).

والحياء خير كله ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه^(١).

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجه الحياء من الله تعالى، ثم الحياء من الملائكة الكرام، ثم الحياء من الناس، ثم الحياء من النفس.

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له، والخوف منه، والتضرع والافتقار إليه في جميع الأحوال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ بَدَائِعِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

وأشد الناس حياء من الله هم الأنبياء والرسل؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، ثم أتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [٥٩] وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ [٦٠] أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [٦١] وَلَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [٦٢] [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

وأشد الخلق حياء من الله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفته بنعمه وإحسانه، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، شاكرًا لربه، مستغفرًا من ذنبه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه^(٢).

واعلم أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات، فاحفظ السمع والبصر- والفؤاد واللسان من جميع المحرمات.

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦].

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) ومسلم برقم (٣٧).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

ومن علم أن السميع البصير مطلع عليه استحي أن يراه على معصيته .

فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك وهو يراك : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء ومن به على من شاء من خلقه، فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَدْنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِيقَادٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

واعلم أن الحياء من الملائكة يكون بالافتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات ؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

أما الحياء من الناس فيكون باجتنب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ حياء من الله والملائكة والناس .

فَمَنْ رَزَقَ ذَلِكَ فَهُوَ الْحَيِيُّ الَّذِي يَحِبُّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ حَرَّمَ ذَلِكَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أخرجه البخاري^(١).

والحياء من النفس أن تحملها على طاعة الله ، بعدم استعمال نعم الله في معصية الله ، فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح ؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال/ ٢٢].

واعلم أن من استحي من الله استحي الله منه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، فاعبد ربك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤).

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ فأما احدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ » متفق عليه^(١).

اللهم إني في هذا المقام استحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي ، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم ، وأنت الحكيم الذي بعثت المهمة لكتابته ، وسقت اليد لتحريره . فلك الحمد على ما قدّرت ، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت ، فلست أشد إلا رضاك فاغفر لي ولوالدي والمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي

دُرَيْبِي ۖ إِنِّي ثَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ [الأحزاب/ ١٥].

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه^(٢).

اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وبيدك الأمر كله ، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلننا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

المقطع ٠١ ، ٥٨ الستير

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل حيي ستر ، يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر » أخرجه أبو داود والنسائي ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » أخرجه مسلم ^(٢) .

الله تعالى هو الستير الحق الذي يستر الكثير من عورات عباده، ولا يفضحهم في المشاهد.

وهو سبحانه الحيي الستير ، الذي يستر على عباده كثيراً من العيوب والقبايح ، ولا يفضحهم وهو قادر ؛ لعلمهم يتوبون إليه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها ، ودعا أهلها للاستغفار منها فقال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠] .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

وهو سبحانه الستير العليم بكل شيء ، الذي يستر سوات عباده ، ولا يفضحهم ولا يخزيهم، ولا يظهر للناس ما يشينهم ؛ لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته، وإنزال عقوبته به، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده، ويحب من عباده الستر على أنفسهم، وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أخرجه مسلم ^(١).

وقد رغب الله عباده في الستر ، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي ، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصياً لله والله يستره ، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ ، وَإِنْ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » متفق عليه ^(٢).

● التبعّد لله تعالى باسمه الستير :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدنيا عبادته بموجب أسمائه وصفاته : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٩٩٠) .

وإذا علمت أن الله حلِيمٌ سِتِيرٌ يحب الستر ، ويأمر بالستر ، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربّه ، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة .

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية ؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله وصالحى المؤمنين ، وفيه ضَرْبٌ من العناد ، والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه ، وبين خلقه : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة ، والذلة بين الناس ، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير عليه ، وامتنال أمر الذي يعلم السر - وأخفى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربّه فهو أكرم الأكرمين ، ورحمته سبقت غضبه ، والعفو أحب إليه من العقوبة ، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ لَلَّهِ نَفْسُهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ﴿٣٠﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم ، واستغفر ربك يغفر لك ، فإنه ما سترك إلا ليغفر لك .

فبادر بالتوبة إليه ، فإنه غفور يغفر الذنوب جميعاً ، شكور يبذل السيئات بالحسنات ، ثم يضاعفها : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً

حَسَنَاتِهِ « متفق عليه^(١) .

واجتنب الذنوب كلها ، ما ظهر منها وما بطن ، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله ، وتب إلى الله منها : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٩] المائدة / ٣٩ .

وتجنب جميع أبواب الرذائل ، واحذر دروب الفساد والضلال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦٨] .

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك ، ويصون عرضك ، ويؤمّن روعتك ، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة .

واستر على عباد الله ، وتجنب هتك أستارهم ، ولا تتبع عوراتهم ، فإن من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته ، ومن يتبّع الله عورته يفضحه في بيته .

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله ، ويستر عليك في الدنيا والآخرة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه^(٢) .

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب ومفارقتها ، وإذا ألممت بشيء منها فاستر نفسك ، وبادر إلى التوبة منها ، وأتبعها بالحسنة تمحها .

عن ابن مسعود ؓ قال : إن رجلاً أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ، فقال الرجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ألي هذا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق عليه^(٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٥٧] آل

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٥) ، ومسلم برقم (٢٧٦٨) واللفظ له .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٦٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤١] [إبراهيم/ ٤١].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [٨٠] [الإسراء

/ ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم يا خبيراً بفقري وفاقتي، يا عليماً بضري ومسكنتي، يا من بيده ناصيتي، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل ذنب تغفره، ومن كل خطأ تستره، يا أرحم الراحمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا ذا الجلال والإكرام.

المقدم .. المؤخر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء: « رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه ^(١) .

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت .. يفعل ما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورِيُّ الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه المقدم الذي يرفع أوليائه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنزل ، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه عن تلك الرتب والمنزل .

وهو العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة/ ١١].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي يملك التقديم والتأخير وحده لا شريك له، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته، وكمال مشيئته، وكمال حكمته، وكمال علمه، وكمال عدله .

فسبحان المقدم الذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في مواضعها، وكل ذلك بعلمه وإرادته وحكمته : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلائق ، وقدّم من أحب من أوليائه بفضلته، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه ؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وآخر من شاء من عباده بعدله ، لا مقدم لما آخر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦]. وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني وأمره الشرعي .

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، والمواليد والثمار، والتصريف والتدبير في الكون : ﴿ إِنَّا نَبِّئُكُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكل مخلوق له وقت ، وله مكان ، وله حجم ، وله مسار لا يتعداه فيسبق غيره ، ولا يزامه فيعطل حكمته : ﴿ وَعَايَةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [الروم/ ٤٠].

وتقديمه وتأخيره الشرعي كما فضّل الأنبياء والرسل على الخلق ، وفضّل بعض الأنبياء على

بعض ، وفضّل بعض العباد على بعض ، وفضّل بعض المؤمنين على بعض ، وقدمهم في العلم ، والإيمان ، والأعمال ، والأخلاق بفضله ، وأخر من آخر منهم بحكمته وعدله : ﴿ أَفَمِنَ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُوْتِيَ جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ الْمَصِيرَ ۝١١٣﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

فسبحان من يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله ، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

وكما فضّل سبحانه بعض العبادات على بعض كتقديم الفرض على النفل ، وتقديم حق الله على حق غيره ، وتقديم الوضوء على التيمم .

وكما فضّل بعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأوقات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض .

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان والمكان والرتبة ، والقرب والبعد ، والحب والبغض ، والقوة والضعف : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيتته وحكمته ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المقدم والمؤخر :

اعلم ختم الله لنا ولك بخير أن الله اصطفى آدم ﷺ وذريته على من سواهم .

فقد خلق آدم ﷻ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وفضّل هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرة وعبرة لهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقدّمهم في المقام والثواب، وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا، السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله خص هذه الأمة بأحسن دين وأكملها فقال: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٣].

ورغّبهم وشرّفهم بأحسن عمل، وأشرف وظيفة، وهي الدعوة إلى الله، ووظيفة الأنبياء والرسل فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وجزاهم على الدعوة إلى التوحيد والعمل بالتوحيد بأحسن الجزاء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

فله الحمد والمنة أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا إلى الإيمان، ووقفنا لطاعته وعبادته: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر، والأمور كلها بيده.

فمن كتب الله له عزاً ورفعة وتقدماً فلن يستطيع أحد حرمانه من ذلك: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/ ٢].

ومن كتب الله له ذلاً وخذلاناً وتأخيراً لم يستطيع أحد عونه للخلاص من ذلك: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [الكهف/ ١٧].

فالأمر كله لله من قبل ومن بعد، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، أو خفضه أو رفعه، أو تقدمه أو تأخره، أو نصره أو خذلانه: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

إن اهتدى الإنسان فبهداية الله إياه، وإن ضل فبصرفه عن الهدى لَمَا انصرف عنه: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس/ ٢٥].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُودُونَني وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف/ ٥].

فالقلوب كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله، ومن شاء أزاعه بعدله، وهو أعلم بمن يصلح لهذا أو هذا؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال كتبه، وإرسال رسله، وبيان الحق من الباطل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق، ووفقه إليه بفضله، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٩٦-٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك

مما يكون به تقدّمه ، ونيل محابّته ورضاه ، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره ،
والوقوع في سخط الله: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

وقد بيّن الله ﷻ سبل رضاه ، وبيّن سبل سخطه ، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه ،
ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه ، ثم قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ ﴿٣٧﴾
[المدثر/ ٣٧].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ، وهو الكريم الذي بيّن الحق من الباطل ، ورغب
في الحق ، وحذر من الباطل: ﴿ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾
﴿[الإنسان/ ٢٩ - ٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده ، المقدم من أطاعه ، المؤخر من عصاه : « أَنْتَ الْمُقَدَّمُ
وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(١).

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها : السر- والعلانية ، والخطأ والعمد ، والمتقدم
والتأخر : ﴿ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾
[المائدة/ ٣٩].

فالذنوب توبق العبد وتؤخره ، وغفران الله له يرفعه ويقدمه: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
﴿[طه/ ٧٤ - ٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له ، وكمال الذل بين يديه ، والطمع فيما عنده ،
وحسن اللجوء إليه ، وصدق التوكل عليه ، وعدم اليأس من رَوْحه ، وعدم الأمن من مكره :
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَىٰ اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وقدّم ما قدّم الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق ، وأخّر ما أخّر الله ورسوله ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

وَأَحِبَّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَأَبْغَضَ مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥) ﴿[الأنفال/ ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه ، ويراك حين تتأخر عنه ، فقدّم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٢٤) ﴿[الحجر/ ٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح أبوابه للراغبين والتائبين أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما قدمت ومما أخرت، فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) ﴿[البقرة/ ١٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) ﴿[آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) ﴿[آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) ﴿[البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿[الأحقاف/ ١٥].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري رقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (٢) .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (٣) .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (٤) .

المستعان

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١١٢) [الأنبياء/١١٢] .

الله ﷻ هو الملك القادر ، المستعان الذي يُعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين والظهير والشريك والوزير وكل أحد: ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس/٦٨] .

وهو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فله الحمد على نعمه وفضله ورحمته بعباده: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٢ ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ٤ ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ ٥ ﴾ [الفاتحة/٢-٥] .

وهو سبحانه الحي القيوم ، المستعان الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به، بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود لهم إلا به: ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له، والخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وعونه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم رحمك الله أن المستعان هو الله وحده لا شريك له.

فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات، وترك المعاصي، فدأبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاحة/ ٥].

أما أهل المعصية، فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعته إلى معصيته، أعانه على معصيته، فتوجه إليها بعونه، وحرمه سبحانه العون على الطاعة فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف/ ٥].
فالخلق كلهم مُصَرَّفُونَ في حركاتهم وسكناتهم بقدره الله وعونه ومشيئته.

والإنس والجن مُصَرَّفُونَ في طاعاتهم ومعاصيهم بقدره الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية، أو بجنود الشياطين المضلة، فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له.

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، واجتناب معصيتك، والفقه في دينك: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم أن الاستعانة بالله تقوم على أصليين:

أحدهما: الثقة بالله وحده.. الثاني: الاعتماد عليه وحده.

فالإنسان قد يثق بغيره، ولكنه لا يعتمد عليه في أموره؛ لاستغناؤه عنه، وقد يعتمد عليه مع

عدم ثقته به ؛ لحاجته إليه .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، بيده كل شيء ، وهو المستعان في كل شيء ، والعبد ليس بيده شيء ، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي ليس له شريك في الملك ، ولا في الخلق ، ولا في الأمر ، ولا في الأسماء ، ولا في الصفات : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المستعان :

اعلم وفقك الله لِمَا يحبه ويرضاه أن الله هو المستعان وحده لا شريك له ، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله ، والإنسان ضعيف عاجز ، محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات ، وترك المحظورات ، والصبر على الابتلاءات : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل / ١٢٧] .

فمن استعان بالله أعانه الله ، ومن ترك الاستعانة بالله ، واستعان بغيره وكله إلى من استعان به ، فصار مخذولاً من جهة من استعان به .

واعلم أن من استعان بالله فهو المحمود المنصور ، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو المذموم المخذول : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء / ٢٢] .

والله سبحانه هو المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل / ٧٩] .

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها ؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله وأعماله وعباداته إلى الاستعانة بالله الرحمن المستعان كما قال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة / ٥] .

وقلب الإنسان يَعرُض له مرضان عظيمان هما : الرياء والكبر ، وإذا لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ، فدواء مرض الرياء بـ (إياك نعبد) .. ودواء مرض الكبر بـ (إياك نستعين) .

وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء بـ (إياك نعبد) ، وعوفي من مرض الكبر والعجب بـ (إياك نستعين)، وعوفي من مرض الجهل والضلال بـ (اهدنا الصراط المستقيم) فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة.

وكان من المنعم عليهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، غير المغضوب عليهم الذين هم أهل فساد القصد كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه.

وغير الضالين الذين هم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

والاستعانة جزء من العبادة ، والعبادة حق الله الذي أوجبه على عباده.

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج / ٤٠-٤١].

والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل.

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله، وهؤلاء هم شر البرية.

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة ، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله.

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنعف والضرر، وأن ما شاء كان ، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا مع ما يحبه الله ويرضاه ، ومع ذلك توكلوا عليه واستعانوا به على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أعطوه من جنس الملك والمال لا يدل على الإسلام ، فضلاً عن
الولاية والقرب من الله ﷻ .

فاستعن بالله في جميع أمورك يعينك ، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه ، وعلم الجاهل ،
واهتد الضال ، وارحم المسكين تكن ربانياً: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٥٠] .

« اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود^(١) .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم لا يهدي إلى الحق إلا أنت ، ولا يعين على الحق سواك ، وأنت المستعان ، وعليك
التكلان ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، أعنا على فعل الخيرات كلها ، وترك المنكرات كلها ، يا
أرحم الراحمين .

التواب

قال الله تعالى: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/ ٣٧] .

الله ﷻ هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده ، ويقبل توبته ، الكريم الذي كلما
تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٤] .

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من
آياته ، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب ، استشعروا الخوف من الجبار ، فرجعوا إليه بالتوبة ، فرجع
إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٩] .

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين ، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف

(١) صحيح / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٧١) وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) .

من ذنبه.

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته مَنْ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَحَبِيبًا إِلَيْهِ ، وَقَبِلَهَا مِنْهُ ، وَتَابَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة / ١١٨] .

فسبحان الرب التواب الرحيم ، الذي يسر لعباده أسباب التوبة ، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا ، فضلاً منه ورحمة : ﴿ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ٣٧] .

واعلم أن الله سمى نفسه تواباً ؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده ، والذي يسّر لهم أسبابها ، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه ، إلى الطريق الذي يرضيه .
ولما كانت المعاصي متكررة من العباد جاء بصيغة تَوَّابٍ ليقابل الخطايا الكثيرة ، والذنوب العظيمة ، بالتوبة الواسعة الدائمة .

فسبحان من وصف نفسه بالتَوَّابِ مبالغة ؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغاربها ، ولتكرر ذلك من الشخص الواحد ، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها : ﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور / ١٠] .

وهو سبحانه التواب الذي تفرد بقبول توبة التائبين من عباده ، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له ، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو ، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران / ١٣٥] .

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة ، بل يمهلهم ليتوبوا

إليه، الحكيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً ، بل يسترهم ليكون ذلك عوناً لهم على التوبة ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته، وأن الله توابٌ حكيم ﴿١٠﴾ [النور/ ١٠].

فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن كريم ما أجوده، ومن عظيم ما أرحمه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام / ٥٤].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبدٍ من جميع الذنوب ، وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها ، وتكراراً لها، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالماً.

فالناس رجلان : تائب وظالم ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات / ١١].
 والتوبة هي رجوع العبد إلى ربه بفضل مولاه، حيث أرجعه ربه إلى الإسلام الذي ضل عنه.
 وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمدته وخطئته، وكبر ذنبه وصغره ، وإصراره عليه ، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات / ١١].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة ، فإذا تاب العبد المذنب قبل توبته ، وعفى عن سيئاته : ﴿ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾ [المائدة / ٣٩].

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه ، وعفى عن سيئاته ، وبَدَّلَ سيئاته حسنات ، ثم ضاعفها له : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ﴿١٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠].

واعلم زادك الله معرفة بأسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته ، وطرقات سنته ، فكما يُرْجِعُ الليل بعد النهار، والنهار بعد الليل، ويُرْجِعُ الحياة بعد

الموت، والموت بعد الحياة، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه، فإن عاد تاب عليه، فإن عاد تاب عليه؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه، غافر الذنب، وقابل التوب، واسع الرحمة، واسع المغفرة: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر/ ٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرَبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، وَرَبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ، فَاعْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي.

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ، فَاعْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرَبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ رَبِّ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ: فَاعْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» (متفق عليه^(١)).

واعلم أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يراجعهم التواب الرحيم بالتوبة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه/ ٨).

فالعُود والبدء سنته في خلقه العظيم، وتدبيره الحكيم: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر/ ٤٣).

فسبحان التواب الرحيم بعباده، الذي رحمته على قدر شأنه ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» (أخرجه مسلم^(١)).

● التبعيد لله ﷻ باسمه التواب:

اعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه، ويتطهر له: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٥٨).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧).

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح ؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَيَّ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاحَةَ فَأَنْفَلْتُ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَيْتُ شَجْرَةً فَأَضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِي فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطْمِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه ^(٢).

والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الخلق عبودية، وأكثرهم توبة واستغفاراً ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له، خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(٣).

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق ، وأكرمهم على الله ، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات ، كان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ » أخرجه أبو داود والترمذي ^(١).

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله ، وأفضل المتوكلين عليه ، وأفضل العابدين له ، وأفضل التائبين إليه ، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح / ١-٢].

وبهذه العبودية التامة أعطاه ربه الوسيلة ، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة .

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم ، واستغفره في كل وقت ، وبعد كل عمل لا يحبه الله ، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها .

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب ، وفعل المحرم والمكروه ،

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦١٥) ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه .

فذكر وتذكر : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته، والإخلاص عزيز ، والرياء معترض قاطع للشواب ، والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد ، من عبادة ومعاملة، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق ، فأكثر من التوبة والإستغفار .

فالذنوب تراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه ، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والاستغفار المستمر فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام ، كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب ، ولهذا قرن الله بينهما بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

فعليك بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أحكمت التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت، فقابل ذنوبك بما يطابقها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هداك للتوبة منها، وقبلها منك: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُومِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩].

فإذا تبت إلى الله ، وأنست بقربه ، ولذت بعبادته ، فاذا كثرة المذنبين والغافلين والعصاة ، وادع الله أن يغفر لهم، ويتوب عليهم ، وذكرهم بالله وما يجب له: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات / ٥٥].

وادع إلى الله في جميع الأوقات ، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه ؛ لعل الله يتوب على الكافر فيسلم، وعلى العاصي فيطبع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين ، وهو أشد حبا لمن يكون سببا لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

واعلم أن للتوبة وقتاً لا تقبل إلا فيه، فبادر إلى التوبة النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت مقيم على الذنب: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ١٧].

وإياك أن تؤخر التوبة ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت ، فإن الله لا يقبلها إلا بشروطها في وقتها: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّاءٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء / ١٨].

فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله توبة نصوحاً من جميع الذنوب، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله ورسوله، ونتجنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله ؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا آتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم / ٨].

والله تواب رحيم، من تاب إليه تاب عليه، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه ويغفر له.

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته وإحسانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٧٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران / ١٤٧].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ،

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبِوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبِوؤُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١).

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ،
وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من
عاديت ، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب و نتوب إليك .
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الرقيب

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء / ١] .

الله ﷻ هو الرقيب الحق ، المطلع على جميع ما في ملكه العظيم ، الذي يراقب جميع خلقه في
جميع أحوالهم فلا يسترهم منه شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء:
﴿وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء ، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم ، ومما لا يحبه
ولا يرضاه .

وهو سبحانه الرقيب الباقي ، ذو البقاء الدائم ، والشهود الأعلى ، والحفاظة المحيطة بكل
شيء : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود / ٥٧] .

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء ، المطلع على ما أكتته الصدور ، القائم على كل نفس بما

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ، ولا يغيب عما يحفظه، الذي حفظ جميع المخلوقات، وأجراها على أحسن نظام ، وأكمل تدبير: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء ، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، الرقيب على المبصرات كلها بصره ، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه ، الرقيب الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

فسبحان الملك الحق ، والإله الحق ، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم، الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت.

العليم الذي يستوي عنده الصغير والكبير .. والقريب والبعيد .. والظاهر والباطن .. والكليات والجزئيات .. والأسرار والخفيات: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦] .

وجميع الخلائق في الملك العظيم ، والملكوت الكبير ، كلهم قائمون بأمر الله ، قانتون له ، خاضعون لهيبته ، خاشعون لعظمته .

والكل يشهد بوحدانيته، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وكل مخلوق من مخلوقاته مراقب له، قانت له، يسبح بحمده، ويتنظر متى ينزل عليه الأمر من رقيه ﷻ فيمثله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤١] يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠] .

فالإنس والجن يمثلون أوامر ربهم الكونية والشرعية.

وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٥٤]

فسبحان الرقيب الشهيد الحق، الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها في آن واحد، الحفيظ لجميع أجزائها، العليم بحركاتها وسكناتها، الشهيد للظواهر والبواطن:

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد / ٨-٩].

والله ﷻ هو الملك القوي القادر على الخلق والتأليف، والتجميع والتخطيط، والتصوير والتشكيل، وتقسيم جميع الهبات والأرزاق، والأخلاق والأعمال.

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويهدي ويضل .. ويقدم ويؤخر .. ويسيطر ويقبض .. ويفعل ما يشاء: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبْدِكُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

وهو الرقيب على ذلك كله، يدبره بأحكام ملكوتية، نازلة إلى قوى ملكية، بأوامر جبروتية، صادرة من ربك الملك القدوس السلام، المؤمن المهيمن العزيز الجبار، لخلق ما أراد، ورزق ما أراد، ونصر من أراد، وتثبيت ما أراد تشييته، ومحو ما أراد محوه: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

والكل في ملكه.. والكل يجري بأمره.. والكل تحت قبضته وقهره: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء، استوى في حقه القريب والبعيد، والساكن والمتحرك، والحي والميت، والظاهر والباطن، والكبير والصغير.

الكل معلوم له.. والكل مشهود له.. والكل مرقوب له: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه / ١١٠].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع علمه ، وما أعظم قدرته : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق/ ١٢].

أفقر كل مخلوق إليه ، وسبح بحمده بين يديه ، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه .

فما من ذرة ولا جماد ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان إلا والله رقيب عليه ، وهو مراقب لرقبه الحق ، يسبح بحمده ، ويشهده بوحدانيته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدَعِلِمَ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [٤١] [النور/ ٤١] .

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه، ولهذا خلقه الله بيده من بين المخلوقات، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له جميع ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأكرمه وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٧٠] [الإسراء/ ٧٠] .

وقد فضل الله الآدمي على غيره بالعقل، فلما أوجد الرب فيه العقل ، واجهه بالشرع، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي، وجعله خليفة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] [البقرة/ ٣٠] .

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل ، كما كان ينزل عليه وعلى غيره من المخلوقات الأمر الكوني .

وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض ، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء ، والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [١١] يعاؤون ما تفعلون [١٢] [الانفطار/ ١٠-١٢] .

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه تحفظه ، وتسجل أعماله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقْوَمُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمٍ سَوْءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [١١] [الرعد/ ١١] .

وسره وجهره وظاهره وباطنه ، كل ذلك مكشوف لربه الشهيد : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٠] .

والرقيب الحق يرقبه في جميع أحواله ، ويعلم أعماله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق / ١٦] .

فعظمت المحنة ، واشتد البلاء ، وبدأ الامتحان ، وفاز من فاز ، وخسر من خسر : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣] .

• التبعيد لله عَجَلًا باسمه الرقيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق ، الذي يراقب جميع مخلوقاته ، وهو مستو على عرشه ، لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه .

والمراقبون هم جميع المخلوقات في السموات والأرض ، والدنيا والآخرة .

والمراقبة فعل المراقب ، فالمخلوق يتربح متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمثله ، أو نهى فيجتنبه ، أو قدر لا حيلة له في رده .

ومن راقب الله وعلم أن الله مطلع عليه أطاعه ولم يعصه .

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب عَجَلًا ، قد أحاط العليم بعلمها ، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله ، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله ، وعبَدَ الله بمقام الإحسان كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [١٢] وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٤] ﴿

[الملك / ١٢-١٤] .

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه، ناظر إليه، مطلع عليه في كل لحظة.

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره ليفعله على أحسن حال ، ومراقبته عند نهيه ليجتنبه ، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب ، وماله من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُؤْتِنَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله ، ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١] .

والنظر في الآيات الكونية والشرعية يثمر التوحيد والإيمان، والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله، وأهلها في معيته: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَاتَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

وهذا يثمر للعبد سرور القلب، وانسراح الصدر، وقررة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجل للمؤمن ، يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(١).

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته، وإحسان العمل والإكثار منه ؛ ابتغاء مرضاته: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

وتيقن أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها، فليتهم إيمانه وأعماله، ويتفقد حاله، ويجدد إيمانه، لعله يصفو ويزكو: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣).

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَالُ / ٢-٤].

فالإيمان له طعم ، وحلاوة ، وحقيقة ، مَنْ لم يجدها ولم يذوقها فليرجع وليقتبس نوراً يمشي به بين الناس ، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام / ١٢٢].

وَعَنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم ^(١).

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه ، فمن لم يجدها في إيمانه وعمله مدخول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [التغابن / ١٦-١٨].

واعلم أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله ، ولزوم طاعته ؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه، أسبق من نظره هو إلى المعصية: ﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [آل عمران / ٢٩].

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ [العلق / ٩-١٤].

وَمَنْ صَحَّ عِلْمُهُ ، وَعَرَفَ أَنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ ، أَطَاعَ رَبَّهُ وَاتَّقَاهُ ، وَلَمْ يُفْنِ عَمْرَهُ فِي الْبَطَالَاتِ ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَوْقَاتَهُ بِالْغَفَلَاتِ .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره ، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، مستحياً من اطلاع ربه المنعم عليه ، محتشماً من مشاهدته له ، وجلاً من عظيم رقابته له: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل ، أوصله بإذن الله إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان، وتثمر كمال التقوى ، التي تثمر كمال القرب والمشاهدة والأنس بالله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

ومن عمي عليه أمره ، وضل عن طريقه ، فليرجع إلى مقام المراقبة ، يكن من المهتمدين: ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى / ١٣].

وارغب إلى الله ﷻ في إصلاح قلبك ، واطلب الأدوية لذلك ، وتفتن لمكائد عدوك ؛ لتلا يصيدك ويأسرك.

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب ، وسبب كل شفاء تُشفى به الصدور ، كما أن الغفلة أصل كل داء ، وسبب كل بلاء ، فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف / ٢٨].

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة، واجتلاب اليقظة، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وآلائه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده.

وإذا أردت ذلك فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه ، فارم بنفسك إليه ، واسجد بقلبك بين يديه ، وتخل عن نفسك إليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقل: ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله ﷻ هي الجهل به ، فاقطعها بمعرفته المقربة إليه: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه / ١١٤].

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك ، زالت عنه الغفلة ، ونالته بركة قرب الله ﷻ ، واستبان له الهدى ، وأبصر بعد العمى ، ونزل بمنازل المقربين ، وأحسن الظن بالله ، وفاز بمعيته ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَيْقِلٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٣٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال النبي ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه ^(١).

واسأل ربك أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته ، ولا تبالي بما فاتك دونه : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ (٤٢) [النجم/ ٤٢].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخمال ذكرك ، وإنقاص قدرك بين يديه ، معذراً إليه بقولك : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص/ ١٦].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ، ونسيان ذكرك ، فأكثر من ذكره وشكره ، يذكرك ويشكرك : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (١٥٢) [البقرة/ ١٥٢].

ومن رزق دوام المراقبة لربه نعت من قلبه وجوارحه أصناف الخير ، واضمحلت عنه أصناف الشر ، واستأنس بربه ، واستوحش من غيره : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٥) [الطلاق/ ٤-٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، لا تثبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية.

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح ، ليفتح لك الباب ، وتشرق في قلبك الأنوار : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢) [النصر/ ٣].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك فأحبه لغيرك، وكل شيء تكرهه لنفسك فاكره لغيرك، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

عَنْ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » متفق عليه ^(١).

ولا يزال بك طول المراقبة حتى يكون لك من نفسك عليك رقيقاً وواعظاً، وأمراً وناهياً، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور / ٥٢] .

واعلم زادنا الله وإياك إيماناً وتقوى أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [١٤] و﴿ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [١٥] [الأعلى / ١٤-١٥] .

وإذا لزمنا باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة.

فاحمد الله كثيراً أن بلغك ذروة السنام من المراقبة، ثم الحقك بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥] نتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [١٦] فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٧] [السجدة / ١٥-١٧] .

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن الإحسان قال: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » أخرجه مسلم ^(١).

وهذا وذاك كله تاج من الخير، ونور من المعرفة، يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله، وعلم الله أنه يزكو به: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور / ٣٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) .

وعلاوة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩]. واضرع إليه في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة.

واعلم أن من راقب الله في سره وجهره ، واتقاه في أمره ونهيه ، أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

وإذا عرفت عظمة ريبك الجبار ﷻ ، ودوام مراقبته لك ، وكمال مشاهدته لك ، فاعرف كذلك قدر نفسك ، واخضع لمن خلقها وصورها ، وكرمها وعلمها ، ورزقها وسلّمها ، وانظر أي عبد تكون له .

فهو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خيرٍ وشرٍ لك أو عليك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت / ٤٦] .

واعلم أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته ، ويطهره مما سواه ، ويزيده من الإيمان والتقوى حتى يصل إليه ، ثم يرفعه فيظهر فيه معاني أسمائه وصفاته ﷻ ، فيومئذ يسمع به ، ويبصر به ، وينال كرامة ربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري (١) .

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه ، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه ، وهو الإيمان والتقوى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ ﴿٧٥﴾ [طه / ٧٥] .

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذلة لمولاك ، أزال عنك حُلَّتَه التي حَلَّكَ بها ، وسلبك نعمته التي وهبها ، وسد دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ ﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ [الصف / ٥].

ثم استدرجك بذنبك بمعارف تبعدك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخرائك، فتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل، وأنت ضال خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفتنة، وما أراه من الآيات ومعاني الأسماء والصفات، ويستكبر عن ربه بما أنعم عليه به، حيث خيل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته عليه، فحجب إليه نفسه، وعظم عنده ما لديه، وأعلى عنده قدر نفسه، وحجب عنه النور المبين، فلم ير غير نفسه الخسيسة، فاقصر عليها، وظن أنه على الحق.

فورثه ذلك العجب والكبر والإعراض، والاستغناء بالعلم عن العمل، وهذا من الضلال والظلم المبين: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصر / ٥٠].

اللهم اعصمنا من الزلل، واحفظنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام، وهذا النور، إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك، ثم يظهر على جوارحك، فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك، فأصلح حالك، قبل أن يشد ملك الموت رحالك، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ حَجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر: ﴿فَدَجَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام / ١٠٤].

اللهم اجعل كتابنا في عليين، وألبس وجوهنا نضرة النعيم: ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْآبْرَارَ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كُنْتُ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْآبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْبَابِ يُظْطَرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقُونَ مِنْ رَحِيْقٍ مَّخْتُوْرٍ ﴿٢٥﴾ حِتْمُهُمْ مِْسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُنَافِسُوْنَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْجَاهُمْ مِنْ تَسْنِيْمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُوْنَ ﴿٢٨﴾ [المطففين/ ١٨-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا ، يا واسع المغفرة ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء : ﴿أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأنتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [المائدة/ ١١٧].

﴿رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَآتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا آتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم / ٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ،
وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، يا أرحم الراحمين .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ،
علايته وسره .

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥) .

المقطع ٠٢، ٥٨ الشهيد

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [٢٨ / الفتح].

الله ﷻ هو الشهيد المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم، الذي يسمع الأصوات كلها، خفيها وجليها، ويصر المخلوقات كلها، صغيرها وكبيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] له، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٢] [الشورى / ١١-١٢].

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد، وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم: ﴿وَأَمَّا نُرُوبِكُمْ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُنْفِقْتُمْ فَإِنَّا مُرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [٤٦ / يونس].

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم، الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٦١ / يونس].

وهو سبحانه الشهيد الحق، الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ [المجادلة / ٦] .

وهو سبحانه الشهيد الحق ، الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات ، وهي شهادة التوحيد فقال:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

[آل عمران / ١٨] .

فسبحان الرقيب الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته في السموات والأرض .

يرى مكانها.. ويسمع تسيحها.. ويعلم أحوالها: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج / ٧٠] .

وسبحان الشهيد الذي يرى الكون كله ، وهو مستو على عرشه العظيم .

يرى الهباء الطائفة.. والجبال الشاهقة.. ويرى البهائم السائمة.. والأشجار النابتة.. ويرى

الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود .

ويرى سبحانه كل ذرة ، وكل نبتة ، وكل حشرة في العالم ، في ظلمة الليل الأسود: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد / ٨-٩] .

ويرى الذرة السوداء، ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة

الظلماء: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك / ١٤] .

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه ، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى

الكفار وهم يسبونهم ، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره ، ويرى المنافقين وهم يستهزؤون به

ويؤذون أوليائه ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ،

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [التوبة / ١٥] .

فسبحان ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج / ٩] .

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فإنَّ اللهَ ﷻ شهيدٌ على كلِّ شيءٍ في ملكه العظيم ، وكونه الكبير ، وملكوته الكريم .

واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع والبصر والعقل والشم والذوق ، إنما تؤدي كلها معلومات إلى القلب ، وتشهد عنده بما علمت به ، ثم يحفظها القلب .

وعند الحاجة لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب ، فيشهد لربه بالوحدانية .

وتلك أعظم الشهادات ، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل ، فشهدوا لله بالوحدانية ، وصدقوها بالعبودية : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

واعلم أن شهادة الله ﷻ أصل الشهادات كلها .

فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبما هو أهله من الجلال والجمال ، والعزة والكبرياء .

وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه ، وشهد لجميع خلقه بما لهم وما عليهم : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرَ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ آيَاتِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ ءَ الْهِيَ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام / ١٩] .

ثم أفاض الكريم من مصداق شهادته على الشاهدين سواه ، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه ، فشهدت له بما هو أهله ، وشهدت على أنفسها بما كسبت وبما يلزمها ، فكل شيء شاهد لله ، والله على كل شيء شهيد ، وكل يشهد شهادة حق ، بألسنة صدق ، كل بحسبه وحاله ومقاله .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ جَنُّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه البخاري (١) .

وكل الخلق شهداء :

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩) .

فالأنبيا والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بمالهم وما عليهم .

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على الخلق بما عملوا .

والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم .

والذرات ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، وكل مخلوق ، الكل يشهد لربه بالوحدانية،

ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كُذْبًا أَوْ لَدَيْكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ

عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود / ١٨] .

وجوارح الإنسان تشهد يوم القيامة بما عمل من خير أو شر : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

[النور / ٢٤-٢٥] .

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك

له: ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

[النساء / ١٦٦] .

واعلم أن أعظم شهادات العباد الشهادة لله بالتوحيد .

فالعالم كله أعلاه وأسفله ، وظاهره وباطنه ، يفرح ويهتز لشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد

لهذا المؤمن بالحق والصدق حين يقول : أشهد أن « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملكُ

وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » متفق عليه^(١) .

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرِك بالجور والظلم والكذب : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كُذْبًا أَوْ لَدَيْكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود / ١٨] .

وأشنع الشهادات الكذب على الله ، وتنفُّصه ، وتشبيهه بخلقه ، ونسبة الولد له ، وهو الغني

عن كل ما سواه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣) .

يَنْفَطِرَنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا الرَّحْمَنَ وَوَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴿ [مريم / ٨٨ - ٩٣] .

والمؤمنون كلهم شهداء ، لشهادتهم بالحق في قلوبهم ، وألستهم ، وجوارحهم .

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله ﷻ ، العالم بأسمائه وصفاته، الذاكر له، المؤمن به، العامل بشرعه، هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه .

والموت قَطْع لهذه الشهادة الكبرى، فإن الله كتب الموت على كل حي سواه، إبانةً لصفة الحياة الباقية، وتذكيراً بالملك الحي الذي لا يموت: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

ثم يحيي الخلق ويحاسبهم ، ثم لا يموتون أبداً: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس / ١٢] .

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم ، والعلماء شهداء على قرونهم ، وأهل زمانهم، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٦] .

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي تشهد لخالقها بالتوحيد والجلال والجمال، والأسماء الحسنى والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها العظيم، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها، وتلك شهادة له بالتوحيد: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فسبحان الملك الحق ، الذي خلق كل شاهد ومشهود.

وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه ، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد،
والشاهد الحق أعظم الشهود: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝١٣١﴾ [النساء / ١٦٦].

وسبحان الملك القريب الشهيد لخلقه كلهم ، الحي القيوم الذي لا يوارى منه ليل ساج،
ولا سماء ذات أبراج، ولا أرض ذات فجاج ، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحر ما في قعره،
ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣﴾ [النساء / ٣٣].

اللهم إني في هذا المقام أشهدك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن
محمدًا عبدك ورسولك ، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين ، يا خير الشاهدين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

● التبعيد لله ﷻ باسمه الشهيد :

اعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لمحمد ﷺ
بالرسالة.

والصلوات التي هي صلة بين العبد وربّه تشتمل على الشهادة في البداية والنهاية ، يؤديها العبد
كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له ، ويطرضاه بالتحيات والصلوات.

فانظر كيف تشهد بين يدي ربك بحسن العبادة والطاعة، وتؤديها له كأنك تراه: ﴿وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق / ٢-٣].

والملك الحق يدعوك أيها الإنسان للإيمان به ، ومعرفة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، لتشهد له
بالوحدانية.

ولأداء هذه الشهادة العظيمة ، يجب أن تكون من أهل العدالة ، لتقبل شهادتك عند الملك
الحق ، وذلك بالاستقامة على دينه ، والعمل بما يحبه الله ويطرضاه ، واجتناب ما يسخطه
ويبغضه: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة / ٢٧].

وهؤلاء العدول هم الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة ، جزاء على شهادتهم بالحق وأعمالهم الصالحة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ [المعارج / ٣٢-٣٥] .

فسابق إلى الخيرات ، وسارع إلى فعل الطاعات ، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة، ولا تَمَلَّ ، فإن الله لا يمل حتى تمل أنت ، ولا يضيق صدرك بمن سخر بك أو أساء إليك ، فإن ربك شهيد له: ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (١٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩] .

وعليك بالتفكير والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة ، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز والذلة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢] .

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها، ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ فلا تميد بأهلها ، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قطعها الأنهار المنفجورة ، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد/ ٣] .

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة، والرياح المرسله، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم ، جارية بأمره ، على نسق محكم ، وترتيب مطرد ، يكون عنه الليل والنهار، والصيف والشتاء، والحر والبرد.

كل ذلك لإظهار قدرة التقدير في أنواع العبيد، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا.

فأظهر الرب ﷻ بذلك العجائب خلقاً وأمرأً بأحسن تدبير ، وأكمل ترتيب: ﴿ وَعَايَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠] .

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم ، وجعل فيه السحب الثقال ، والرعد الذي يسبح بحمده ، والبرق الذي يلقي السحاب ، والماء الذي يحيي به الأرض بعد موتها : ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ يُرْسِي سَعَابًا ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور / ٤٣] .

ثم زاد الله ﷻ هذا الإحكام إحكاماً بأن بين خضوع جميع المخلوقات لربها، وسجودها بين يدي مالكتها ؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلها، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال ، في مشارق الأرض ومغاربها، بتدبير محكم من العزيز الحكيم : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْإِيلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وخلق ربنا ﷻ السماء وجعلها سبعاً شداداً، وبنائها ورفعها ، وزينها بالكواكب والنجوم ، وأمسكها بقدرته : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح / ١٥-١٦] .

وجعل ﷻ تلك السموات السبع مسكناً للمقربين من عباده، والمصطفين من أوليائه، فتقهن الجبار سبع سموات ، أعلاهن أعظمن خلقاً ، وأوسعهن حجماً ، وكل واحدة محيطة بالأخرى ، وملاهن بالملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتدبر أمره : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ الْإِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

فسبحان الملك القوي القادر ، الذي خلق السموات بإحكام وإتقان لا خلل فيه : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾﴾ [الملك / ٣] .
وهذه السموات السبع العظيمة تُقَلِّها قدرة الجبار ﷻ ، ويحملها أمره ، وتمسكها مشيئته ، وتحكمها إرادته ، دون دعائم من تحتها تُقَلِّها ، أو علائق من فوقها تمسكها .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي خلق كل شيء بإرادته، وقهر كل شيء بقدرته ،

وَمَلَكَ كُلِّ شَيْءٍ بِجَبَرُوتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم ، الذي أمسك السموات العظام أبداً وسرمداً بقدرته وقوته ، على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال ، لا تميد مثقال ذرة ، ولا تنقص مثقال ذرة : ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ بِسَخَرِ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

واعلم أن كل تنقل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب، كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله ، وحصول البعث بعد الموت: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج / ٥-٧].

فلا إله إلا الله كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها.

فمجيء نهار بعد ليل كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة ، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت: ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٤﴾ [النور / ٤٤].

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١٩٠].

وسبحان العزيز الحكيم الذي خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار ، وخلق الدنيا والآخرة.

وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده .

نصبها آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وآية على البدء والإعادة ، وآية على الحياة بعد الموت ، وآية على فقر المخلوقات وذلكها ، وآية تشهد بعظمة خالقها: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يَدِيرُ الْأَمْرَ يُفْصَلُ الْأَيْتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد / ٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وأخرج منه هذا النسل العظيم .

من ذكر وأنثى ، وصغير وكبير ، وحسن وقبيح ، ومؤمن وكافر ، وصادق وكاذب ، وطيب وخبيث: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الذاريات / ٢١] .

وسبحان الحكيم الخبير ، الذي سقى الأرض بالماء فأنبتت من كل زوج بهيج : من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وحر وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَانْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق / ٦-١١] .

الكل يشهد بوحدانية ربه، والكل يسبح بحمده، والكل يعمل بأمر ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفْقَتِ كُلِّ قَدِّعٍ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

فهل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الله بالشمس والقمر ، والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله ، وتسبح بحمده: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح / ١٣-١٦] .

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج، خلقها الله بقدرته لتسبح هي وأولادها بحمده، وتقنت لعظمته ، وتشهد بوحدانيته .

وسخرها لخلقها بشر يون من مائها، ويأكلون من ثمارها، ويتعمون بخيراتها، ويسكنون فوقها، ويتقبلون في بقاعها: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل / ١٠-١١] .

فسبحان من ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤] .

كم في الأرض من آية وعبرة؟ وكم يخرج منها من أشجار وثمار؟ ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات / ٢٠-٢١] .

تعطي الحبة منها سبعمائة حبة بأمر الله ﷻ .

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا ما أعظمه وما أحسنه .

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة ، من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفة ، ولا تستطيع الألسن أن تصفه ، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « قال الله عز وجل : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١﴾ متفق عليه .»

فسبحان الله ما أجهل الإنسان بربه .. وما أجهله بأسمائه وصفاته .. وما أجهله بآياته ومخلوقاته .. وما أجهله بدينه وشرعه .. وما أجهله بوعده ووعيده: ﴿ فَأَعْلَمَنَّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَدُنْكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩] .

ومن آيات الله العظيمة خلق الإنسان وتقلبه من حال إلى حال، من تراب ، إلى نطفة ، إلى علقة ، إلى مضغة ، ثم جسماً بلحم وعظام ، ثم حياً ذا روح ، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه ، وفي تبدله من حال الطفولة إلى الشباب ، إلى الاستواء ، إلى الكهولة ، إلى الشيخوخة .

فسبحان الذي خلقه وصوره ، وأحسن خلقه: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِۦٓ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة / ٩-٦].

وسبحان الملك القدير الذي خلق ما شاء، وما يزال يخلق ما شاء، الذي بيدؤ الخلق ثم يعيده، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [الروم / ١٩].

وسبحان الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ﴿١٨﴾ [نوح / ١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السموات والأرض ترى عجائب قدرة الله ، وعظيم ملكه وسلطانه ، وتشاهد التدبير والتصريف ، والتحرك والتسكين ، والحياة والموت ، في كل لحظة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت / ٢٠].

واعلم أن الله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية، وأسكن فيها الأرواح، فصارت حية بأمر الله عز وجل.

والروح سر باطن موصوف بصفاته ، معلوم بأفعاله ، لا يحيط به العلم ، ولا يكيّفه العقل .

اختص الله ﷻ بمعرفته وحده، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه ، وطريقاً إلى الوصول بالمعرفة إليه والإيمان به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ [الإسراء / ٨٥].

والروح أمر رباني ، وعبد روحاني ، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محنته ، فواقع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً ، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض لَمَّا عصاه في الجنة: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ﴿١٢٢﴾ [طه / ١٢١-١٢٢].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء ، فإن آمن العبد بربه صار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه صار الجسم والروح إلى النار: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ

رَبِّهِ، مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ ﴿طه / ٧٤-٧٦﴾.

والموت هو مفارقة الروح للجسد ، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خلق منه ، وخرجت الروح الحية منه ، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء .

فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى تصعد به إلى ربه ﷻ ، فيؤمر بالسجود لربه فيسجد له ، ثم يعود إلى جسده في قبره وينعم فيه ، ويبقى فيه إلى أن يُبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل الجنة : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة / ٨٨ - ٨٩] .

وإن كان كافراً لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء ، ورُمي من علو إلى الأرض ، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين ، ثم يبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل النار : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُلَاقِيَ أُولَئِكَ فِي سَعِيرٍ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف / ٤٠ - ٤١] .

فما أعظم الله في خلقه وأمره ، وحكمه وتدبيره ، وأسمائه وصفاته : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان / ١٠-١١] .

أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها .

وخلق سبحانه الجنة وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يرغبهم فيها ، من المياه والثمار وسائر النعم ، وخلق النار وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يخوفهم منها من النار ، والسموم ، والآلام ، وسائر المكروه .

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين ، نفس في الصيف وهو أشد الحر ، ونفس في الشتاء وهو الزمهرير أشد البرد ، فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى ، ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبُرْدِ » .

الرَّهْرِيرِ) متفق عليه^(١).

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك ، وجعل ذلك تذكرة وعبرة ، ودفع هذا بهذا ، وكسر هذا بهذا ، وتم أمره في الدنيا والآخرة ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فلا إله إلا الله الحكيم العليم ، كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات والعيون ، والأنهار والأشجار ، والأزهار ، والنبات ، والثمار: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل / ١٠-١١].

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر.

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم ، والملك الكبير ، والتدبير العجيب: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَوْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء / ٣٠].

وإذا نظر الإنسان إلى عظمة هذه المخلوقات فليُعدَّ النظر إلى هذه النطفة المتكررة.

كيف خلقها الله من ماء مهين، فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود ، والطويل والقصير ، والكريم والبخيل ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم / ٢٠-٢١].

فسبحان من شرف الإنسان من بين المخلوقات فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وكرمه بالسمع والبصر والعقل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل / ٧٨].

ثم زاده تكريماً بأن شرفه بالدين الذي يعبد به ربه ، ويهتدي به في حياته ، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧).

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض ، وعبداً لمولاه ، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه:
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

ونوع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوع له بالدين أنواع الطاعات والعبادات ؛
ليزداد معرفة بربه العظيم، ويزداد شكره وحمده ؛ ليعظم أجره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسَخَّعَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا
هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

ويوم القيامة يكرم من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب،
جزاء وفاقاً: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجل من هذا التكريم ، وأحسن من هذه الأحكام :
﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان أكثر الخلق ، وكم صرفهم عن التفكير في أسماء الله
الحسنى ، وصفاته العلى ، ومخلوقاته العظيمة ، وآياته الحكيمة : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ/ ٢٠].

واعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره ، وأشهدهم
على ربوبيته، فأقروا بذلك ، ثم جمع الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي ،
وقال : هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى : هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم ،
ليخرجوا منه على مر القرون.

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب ، لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست
بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين ، فأوجد لهم الصُّور الذي جمع الله فيه
الأرواح كلها.

ثم ينفخ فيه إسرافيل ، فتطير كل روح إلى جسدها، ثم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد البعث
يكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ سَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسَّاعِةِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿الزمر/ ٦٨-٧٠﴾.

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الأرواح ، واليوم الآخر ، والقدر ، كله من الغيب الذي شاهدته العقول ببصيرة الإيمان ، حتى صار يقيناً كالمشهود بالأبصار : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ فِيهِ هُدًى لِلتَّقِيينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢-٣].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة ، والله وحده عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].
فالصُّورُ مِنْ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ، والأرواح مِنْ أَمْرِهِ ، فأعاد الأرواح بالصُّورِ إلى الأجساد ، ثم أعاد الكل ليوم الفصل ، ثم ساق المؤمنين إلى الجنة ، وساق الكافرين إلى النار .

حكمة بالغة ، وحُكْمٌ عدل ، وأمرٌ حَتَمَ رجوع كل شيء إلى حيث كان ، حسب عمله ، وقيامهم بين يدي الجبار ليحكم بينهم : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٣].

فإن لم تدرك هذا الحق المبين ، فاعلم أنك محجوب عن ربك ، قد أسرك الشيطان ، وزين لك اتباع الهوى وترك الهدى ، فارجع إلى ربك ، وانظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية ، لعلك تبصر مع المبصرين : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْدِ وَاللِّقُولَ لِمَا نَشَاءُ وَلِنَبِّئَنَّهُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤-١٠٥].

اللهم إني أشهدك في هذا المقام ، أنني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتبني مع الشاهدين يا مولاي .

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ صعق كل روح في السموات والأرض إلا من شاء الله، وفرع إلى الصور داخراً صاغراً: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل / ٨٧].

ثم يميت الله إسرافيل وملك الموت ، وتحق كلمة الله بموت كل نفس ، ويبقى الملك الحق الحي القيوم ﷻ .

فينادي : لمن الملك اليوم ؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لَا يُنْفَعُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله ﷻ إعادة الخلق بعد الصعق ، أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر كل شيء أخذ من شيء أن يعود إليه ، ثم يُنبت الله أجسام الخليقة كاملة كما ينبت النبات بالماء: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح / ١٧ - ١٨] .

ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل ﷻ ، ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث ، فينفخ فيه ، فتخرج كل روح إلى جسدها: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَظُرُونَ ﴾ [الزمر / ٦٨] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يُخرج النبات الحي من الأرض الميتة ، ويعيد الروح الحي إلى الجسد الميت ، فيحي الميت بالحي، ثم يخرج من القبر للبعث والحساب: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم / ١٩] .

فسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء: ﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر / ٧ - ٨] .

فلا إله إلا الله متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاه، ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد / ١٦] .

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها ، فإنه غفور رحيم: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/ ١٧].

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها بعد انقضاء الآجال، وتمام الآماد كلها:
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّبَاءٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾
[الحجر / ٨٥].

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام، والقرن بعد القرن، كذلك
ينقضي يوم الدنيا، ويخلفه اليوم الآخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون/ ١٥-١٦].

واعلم أن الحكيم ﷻ جعل النوم بين اليقظتين آية على الموت بين الحياتين.

ومن كان في يقظته على شيء، فالغالب أن يكون على مثله في نومه، ومن عاش على شيء،
فالغالب أن يموت عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقة حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَحَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ
كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق / ٢١-٢٢].

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا كريم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق،
فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أظهر الله دينه: ﴿هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف / ٩].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إليه،
والصبر على الأذى في سبيله؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

والله ﷻ هو الملك الحق، الذي خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل على عباده الحق،
وأرسل رسوله بالحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ [لقمان / ٣٠].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل ، والملك والعظمة ، والجلال والكبرياء:

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

وتشهد للإله الحق بالتوحيد ، والعبودية له ، والافتقار إليه .

فكل ما سواه من المخلوقات يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقر ، والعجز والتناهي ، في الأقطار والحدود ، والآجال والصفات .

ويشهد لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له ، ويخضع لعبوديته ، ويسبح بحمده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨] .

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

هو القادر على كل شيء ، الذي خلق القدرة في كل قادر ، وله وحده القدرة المطلقة ، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له .

وهو سبحانه العليم بكل شيء ، الذي يملك خزائن العلم كلها ، الذي خلق العلم في كل عالم ، وله وحده العلم المحيط بكل شيء ، وعلم ما سواه ناقص طارئ محدود: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدين الحق ، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به ، من الإخبار بالغيوب ، وخرق العادات ، وتأيدهم بالآيات والمعجزات ، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم ، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد / ٢٥] .

وصفات النبوة ، وأعمال النبوة ، وآيات النبوة ، ماثورة في العالم كله إلى يوم القيامة ، تظهر في المسلم ، ثم تتجلى في المؤمن ، ثم تشرق في الموقن ، ثم تستعلن في الصديق وهو

المحسن .

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون صلوات الله وسلامه عليهم .

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة، يربط الله بالحق على قلوب أهلها، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، ويكرمهم بضروب الكفايات، وحصول الكرامات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات .

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم ، وإذعانهم للأنبياء وتوقيرهم ، مع حسن الاقتداء بهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥] .

وكثيراً ما يكون في هذا الصنف المنتخب محادثة السر، والنفث في الرُّوع، وحسن السمات، والصدق في الرؤيا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ » أخرجه البخاري ^(١) .

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق ، ويخرج مخرج الصدق ، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء / ٦٩ - ٧٠] .

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴾ [القمر / ٥٤ - ٥٥] .

فاجتهد في طلبه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٨٠] .

ولعظمة هذا المقام ، وعلو درجته ، سيسأل الله أهله عن هذا الصدق: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٩) .

مِيثَقَهُمْ وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ [الأحزاب / ٧-٨].

فعليك بالتسليم الكامل لربك ، مع الإحسان في القول والعمل ، تُرضي ربك ، وتنال كرامته : ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧].

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه ، وصعد في المدارج العالية ، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل ، فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم ، فيكون كل شيء يراه أو يسمعه أو يعلمه دليل من الحق يدل على ربه الحق المبين ، فإذا حقق هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق / ٦-٨].

فسبحان من أكرم آدم وذريته ، وعلمه الأسماء كلها ، وباهى به ملائكته ، وأسجد له جميع الملائكة ، وجعله خليفة في الأرض ، وأكرمه بمعرفة أسماء ربه الحسنی ، وصفاته العلى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكراً ، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة ، وأشهدهم على ذلك شهادة حقاً ، ثم استخرجهم من الأصلاب ، جيلاً بعد جيل ، على هذه الفطرة الربانية الإيمانية : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم / ٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل ، ويؤمن بما جاؤا به من الهدى والفرقان ، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان ، ويزيدها بالفكر ، ويغذيها بالذكر والعبادة ، فتفتح له أبواب العلم والهداية.

فلا يزال يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض ، ثم يخترق السبع الطباق ، ثم يبلغ الكرسي الكريم ، ثم ينتهي إلى العرش العظيم ، فيشاهد الملكوت الأعلى ، والمقام الأسنى ، فيرى

قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد:

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويرفع ويخفض .. ويسبط ويقبض .. ويأمر وينهى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧] .

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم ، بل يتذكر ما هو مركز في فطرته من تلك المعرفة ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل/ ٤٣] .

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم ، بحسب الحُجُب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة.

فتجده يكذب بآيات الله ، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملاً الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض فساداً، ويملاً ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يونس/ ١٧] .

فيحتبس المطر من أجله ، وتقحط الأرض بسببه ، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضره : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم / ٤١] .

فاستقم كما أمرت ، ولا تكن من الممترين ، فتكون من الضالين : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عبده عبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبَّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس / ٣٥].

وآيات هدايته إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهدتوا بها إلى مقاصدهم ، وإنزله الكتب ، وإرساله الرسل إلى الخلق ليهدتوا إلى ربهم : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥] وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٥-١٨].

واعلم أن السبل كثيرة ، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه ، وهو الصراط المستقيم ، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] ﴿[الأنعام / ١٥٣].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة.

فالسؤال : هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٩٢] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٣] ﴿[الحجر / ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه : خذ هذا عن هذا : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٥١] ﴿[إبراهيم / ٥١].

واعلم أن من حوسب عذب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه، إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٦١] ﴿[النور / ٢١].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » قالوا : وَلَا أَنْتَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ فَسَدُّدُوا وَقَارِبُوا» متفق عليه^(١).

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل.

فالعاجل للحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل ما أخر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بين لهم الصراط المستقيم في الدنيا، ليسيروا عليه إليه، ودعاهم لسلكه ليصلوا إليه.

ثم نصب لهم يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم، وهو الصراط الأكبر المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين والمنافقين، الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهو لاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّانَتْ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف / ١٠٥-١٠٦].

ثم تتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله فيقعون في النار: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدْرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم / ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون نُصب لهم الصراط، ثقلهم وخفيفهم، فإذا خُلص من خُلص من هذا الصراط وهم المؤمنون، حُبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار، فإذا هُدبوا ونُقوا من المظالم التي بينهم دخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا « أخرج البخاري (١) .

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا ، تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٥١) ﴿ آل عمران / ٥١ .

واعلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴾ (٧٢) ﴿ مريم / ٧١ - ٧٢ .

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : .. قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيَاءٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا » متفق عليه (٢) .

فلا إله إلا الله ، إن قلباً لا تهزه هذه الأهوال والكروب لقلب ميت : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ [الحديد/ ١٦-١٧] .

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة ، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْفَى بِنَا حَسِينًا ﴾ (٤٧) ﴿ [الأنبياء / ٤٧] .

(١) أخرج البخاري برقم (٦٥٣٥) .

(٢) متفق عليه ، أخرج البخاري برقم (٧٤٣٩) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣) .

والميزان يوم القيامة حق : له كفتان ، كل كفة تَسَعُ طباق السموات والأرض ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الأخرى: ﴿يَوْمَ يَظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا كَفَرُوا﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿الزلزلة/٦-٨﴾.

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴿القارعة/٦-١١﴾.

فسبحان الرب العظيم ، الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿الأنعام / ١٠٢﴾ .
فكل شيء بميزان مقدر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر .

الخلق والتدبير .. وإنزال الماء .. وتقسيم الأرزاق .. والنمو والتكاثر .. والجبال والبحار .. والسحب والرياح .. وكل شيء في خزائن الله: ﴿وَلَا يَمُنُّ بِآيَاتِنَا إِلَّا جُنُودٌ مِّنْ دُونِ النَّاسِ يَمُنُّونَ بِالْأَغْوَابِ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿الحجر / ٢١﴾.

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمدّه ميزابان من الكوثر ، الذي أعطاه إياه ربه في الجنة ، فيشرب منه كل من آمن به : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ ﴿الكوثر/١﴾.

وهذا الحوض عظيم واسع كما بين مكة وبصرى ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وآنيته كعدد نجوم السماء ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا ، يشرب منه المؤمنون ، ويُذاد عنه كل من بدّل دينه .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا » متفق عليه (١) .
واعلم وفقنا الله وإياك للفقه في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة ، مزج الله فيها الخير بالشر ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٩٢) .

والحق بالباطل، امتحاناً وابتلاءً للعباد في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٥].

أما الآخرة فإن الله ﷻ خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيره في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيره في النار: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت / ٦٤].

فسبحان الملك الحق، الحكيم الخبير، الذي خلق الدنيا والآخرة، ثم أظهر لنا الدنيا، وأخفى الآخرة، وقدم الدنيا، وأخر الآخرة، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة.

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

ومن كفر به أدخله النار، وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَلَّبْتُمْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ٥٦].
واعلم رحمك الله أن الناس يحشرون كلهم للحساب يوم القيامة.

والحشر حشران سوى الحشر الأول:

حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا» متفق عليه^(١).

ثم الحشر الأول بعد نفخة البعث والنشور حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الأنبياء / ١٠٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٦١).

جُتْمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ [الكهف/ ٤٧-٤٨].

وأما الحشر الثاني فهو حشر الكفار إلى جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال / ٣٦].

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِي مَا جَحْتَبُوا ﴿٧٢﴾ [مريم / ٧١-٧٢].

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور لا يراه أحد في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه ، ولا يحيطون به ؛ لكمال عظمته وكبريائه : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين ، ثم يحتجب عنهم كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم أن من آمن بالله في الدنيا ، وراه ببصيرته ، أكرمه الله برؤيته يوم القيامة ببصره ، ودخول جنته ، والفوز برضوانه ، ومن كفر بالله في الدنيا ، وعمي عنه ببصيرته ، حرّمه الله يوم القيامة من رؤيته ، ودخول جنته ، وأدخله ناره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة / ١٨-٢٠].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

واعلم رحمك الله أن الشهادة بأن الله هو الحق المبين هي أمّ الشهادات وأصلها، فهي شهادة

بأن الله هو الحق .. وأسماؤه كلها هو حق .. وصفاته كلها حق .. وأفعاله كلها حق ..
وأحكامه كلها حق .. وأقداره كلها حق .. وخلقها كلها حق .. وأمره كله حق .. ووعدته كله
حق .. ووعيدته كله حق .. وكتبه كلها حق .. ورسله كلهم حق : ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا
تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٤].

فسبحان الملك الحق لا إله إلا هو : ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
تُصْرَفُونَ﴾ [يونس/ ٣٢].

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْما رَتْقًا
فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٠] وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ
وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ [٣١] وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠-٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك ، لتزداد علماً وتوحيداً ، وإيماناً و يقيناً : ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٨٥]
[الأعراف / ١٨٥].

إذا فهمت هذا فاعلم رحمتنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور، وأربعة
مواطن ، وخمسة أحوال .

فأمن بهن وما فيهن من خلق وأمر ، و حياة وموت ، وتقدير وتدبير ، ومشهود ومستور : ﴿رَبَّنَا
آءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

أما الدور الثلاث :

فدار الدنيا .. ودار البرزخ في القبر .. والدار الآخرة .

وأما المواطن الأربعة :

فأولها الدنيا .. ثم البرزخ .. ثم عرصة القيامة .. ثم الجنة أو النار .

وأما الخمسة الأحوال :

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النظفة الأمشاج .

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع: حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار، وهي دار القرار الأبدي في النعيم أو الشقاء.

فاعلم رحمك الله ذلك كله؛ لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته سوف تراه، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَذَا بَلَدٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۖ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَسَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم / ٤١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).

اللهم اني أشهدك، وكفى بك شهيداً، اني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أنك الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، ومحمد ﷺ حق، والنبيون حق، ودينك حق، وقولك حق، لا إله غيرك، ولا رب سواك.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

المقالة IX. الواسع

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الله ﷻ هو الواسع الحق، ذو الطول والاقترار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم، الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده، الرازق الذي وسع رزقه جميع خلقه، ويده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ نَفْسٍ بِدَّ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ شَاءِهِ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ [آل عمران/ ٧٣].

وهو سبحانه الواسع العليم، الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه/ ٩٨].

وهو سبحانه واسع المغفرة، الذي يغفر لكل من تاب وأتاب مهما بلغت ذنوبه وخطايا: ﴿إِنْ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى﴾ [النجم/ ٣٢].

وهو ﷻ واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان الواسع العظيم، الذي وسع كل شيء رحمة ومغفرة، وفضلاً وعلماً، وحكماً وسلطاناً.

وسعت أسماؤه كل شيء.. ووسعت صفاته كل شيء.. ووسعت كلماته كل شيء.. ووسعت أفعاله كل شيء.. ووسعت خزائنه كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

جمع جَمَعًا إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُونَ﴾ (٣٦) وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهو الواسع الذي جمع علمه وقدرته ومشيئته وإرادته كل كائن في السموات والأرض ، وكل كائن في الدنيا والآخرة ، وكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، من كبير وصغير ، وظاهر وباطن ، وحي وميت ، وناطق وصامت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) [البقرة/ ١١٥]. الكل ملكه ، والكل في قبضته ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل يسبح بحمده .

فسبحان من جمع ذلك كله كتاباً في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢) [يس/ ١٢].

ثم جمع جَمَعًا الخليقة البشرية كلها في واحد جامع ، جعله عبداً له ، متذللاً لعزته ، خاشعاً لعظمته ، قانتاً له ، متصاعراً لكبريائه .

جمع في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه ، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود وكلام ، وأعمال وأخلاق .

ثم أظهر سبحانه ذلك كله ، كل على نوبته وأوليته من الدهر: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢) ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ (٥٣) [القمر / ٥٢ - ٥٣] .

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والسفلي على ذكره وتوحيده ، وتسييحه وتوحيده : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء/ ٤٤] .

ثم هو جَمَعًا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ؛ لتوفى كل نفس ما كسبت: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (٩) [آل عمران / ٩] .

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِينِ﴾ [التغابن / ٩] .

هو الحق ﷻ جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة / ١٧) .

وهو جامع الشر كله بحذافيره لأعدائه في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء / ١٤٠) .

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، وقدرة ومشية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُقِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس / ٦١) .

هو الواسع الحكيم، رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود / ١٢٣) .

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذرات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له، ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤) ﴿الحشر / ٢٣-٢٤﴾ .

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسع على عباده في أرزاقهم ومسكنهم، ووسع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وسعهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة / ٢٨٦) .

وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة / ٢٦١) .

وهو سبحانه واسع الملك الذي يؤتیه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة / ٢٤٧) .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الواسع :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الواسع الحق ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وله المثل الأعلى ، وله المحامد كلها ، وله الثناء الحسن كله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨] .

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم ، فاحمل نفسك على أحسن الصفات وأوسعها خيراً ، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته يؤتتك أضعافه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٥] .

واعلم أنك لن تستطيع أن تسع الناس بمالك ، فسعهم بأخلاقك الحسنة ، يحبك الله ، ويحبك أهل السماء والأرض : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» متفق عليه ^(١) .

ومن أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس ، والرفق بهم ، وإكرام أشرفهم ، والإحسان إلى فقرائهم ، والحلم على سفيههم ، ودعوتهم إلى الخير ، والنصح لهم ، وحب المؤمنين منهم: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران / ١١٠] .

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأحسن الأديان، وأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال، فاتبعه في دينه

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢١) .

وأخلاقه ، وأقواله وأفعاله ، تحمّل صفاته التي وصفه بها ربه بقوله: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤] .

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه ، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، يكرمك بجميع أنواع الثواب يوم القيامة .

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما يرضيه عنك ، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه ، فخرائن كل شيء عنده : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] .

وأكثر من التدبر والتفكير في آيات ربك العظيمة ، وملكه الواسع ، ثم اتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه ، من الذكر والعبادة ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

واجمع بين العلم والعمل ، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، وثمره العلم الحق العمل الحق مع الخشية والقتوت : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩] .

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى : ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الم / ١٥] .

واعلم أن شأن الله عظيم ، وأسمائه وصفاته الحسنی لا تحيط بها العقول ، وجلاله وجبروته وعظمته وكبرياؤه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام ، والآؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى .

فسبحه كثيراً .. واحمده كثيراً .. واستغفره كثيراً .. واذكره كثيراً : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] ﴿يَحْيِيَّتْهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [٤٤] [الأحزاب / ٤١-٤٤] .

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل / ١٩] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ
 وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣ - ٨٥] .

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ،
 فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»
 متفق عليه ^(١) .

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ،
 والدرجات العلى من الجنة يا واسع الرحمة والمغفرة والعطاء ، اللهم يا من رحمته وسعت
 كل شيء ، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة ، وخير الفلاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ،
 وخير الحياة ، وخير الممات ، وخير المقام ، يا واسع الفضل والمغفرة.

المحيط

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (١١٦)

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

الله ﷻ هو المَلِكُ الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي.

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١١٦ ﴾ [النساء / ١٢٦] .

وهو سبحانه العلي العظيم ، الذي أحاط بكل شيء خلقا، وأحاط بكل شيء أمرا، وأحاط بكل شيء قدرة ، وأحاط بكل شيء علما: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١١٢ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وهو سبحانه العلي الكبير ، الذي أحاط بالعالم كله، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعله وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد / ٣] .

وهو ﷻ المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والسفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤ ﴾ [فصلت / ٥٤] .

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط بجميع خلقه بالنعم والعافية، وأحاطهم بالأمن والدين، فلا أحد أكرم منه ، ولا أحد أقوى منه ، ولا أحد أعظم منه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر / ٦٥] .

فسبحان الملك الحق ، المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد ، المحيط بالمكان والزمان ، المحيط بالأوائل والأواخر ، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال، والجهر والسر: ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ ﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ [الملك / ١٣-١٤] .

وسبحان الرب العظيم الذي خلق المَلِكُ والملكوت ، وأحاط بعالم الغيب والشهادة.

خلق السموات والأرض، وملاً السموات بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره، وملاً الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والذرات، والإنس، والجن.

ثم أحاط الجبار كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الأولى الدنيا، وأحاط السماء الأولى بالثانية.. وهكذا إلى السماء السابعة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء / ٣٠].

ثم أحاط سبحانه السموات والأرض بالكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم، الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل / ٦٦].

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكل في يد الجبار ﷻ أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

فسبحان الكبير المتعال، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحاط بكل شيء محيط، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

والله ﷻ ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات وهي الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه / ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم، وأحاط بكل محيط.. يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. يخلق ويرزق.. ويأمر وينهى.. ويعز ويذل.. ويحيي ويميت.. لا راد لقضائه.. ولا معقب لحكمه.. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم علمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة ، والتدبيرات العجيبة في السماء والأرض ،
لكل واحد منها يومه وساعته ودقائقه ، ولكل مخلوق أيامه وأسابيعه وشهوره وأعوامه وقرونه، يقع
فيها حوادث لا يحصيها إلا الله ، من الأعمال، والتسييح ، والتحميد ، والحياة ، والموت ، منها ما
نبره ، وأكثرها لا نبره .

والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل أحاط به المحيط سبحانه ، الذي
أحاط بكل شيء : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ ﴿١١٦﴾
[النساء / ١٢٦] .

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة ، وأوسعها وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم
السموات العلى ، وحملة العرش المقربين، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبداً: ﴿ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥-١٧] .

والله ﷻ هو الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتديبرهم وأرزاقهم:
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربه ، وتسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده ، ومن شذ
من البشر عن عبادته فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته: ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٨] .

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو، وأكرمنا بالدين الحق الذي
يرضى به عنا، وفرض علينا أولاً خمسين صلاة في اليوم واللييلة ، ثم خفف الكريم الرحيم
عددهن من خمسين إلى خمس صلوات، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله: ﴿ قُلْ
إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .

وجعل كل حسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو ، والسيئة بمثلها ويمحوها بالتوبة أو بعفوه: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَالَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١١٠] ﴿ [الأنعام / ١٦٠] .

واعلم أن مَنْ عَلَتْ مَنَاهِمُهُ ، سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض ، وتكثير النوافل من جميع الطاعات ، واجتناب المنهيات : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [١١] ﴿ [الحديد/ ٢١] .

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات ، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِنَاسٍ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [١١٨] ﴿ [يونس / ١٠٨] .

فسبحان الكريم الرحيم بعباده ، الذي خلق المسبحين وعرفنا بهم ، وأرانا إياهم ، وأخبرنا بدوام تسييحهم ، لنقتدي بهم ، ونسبح بحمده معهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُرِي اللَّهَ فَمَالَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [١٨] ﴿ [الحج / ١٨] .

هو الله ﷻ المحيط الذي أحاط بكل شيء ، وأحصى كل شيء من الذرات ، والذوات ، والأعداد ، والأحوال ، والآجال ، والأرزاق ، والأنفاس ، والحركات ، والأقوال ، والأفعال ، وما في القلوب ، وما في الغيوب : ﴿ سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥٣] ﴿ [الأنعام / ١٠٣] ﴿ [فضلت / ٥٣-٥٤] .

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً ، عدداً وقدرًا ، علماً وعملاً .

يعلم مثاقيل الجبال .. ومكاييل البحار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد الطير والحيوان .. وعدد الإنس والجان والملائكة .. وأحصى تسييحها وأنفاسها وما خرج منها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّحِيطٍ ﴾ [٥٤] ﴿ [الأنعام / ١٠٤] ﴿ [فضلت / ٥٣-٥٤] .

أوجد سبحانه العدد وجوداً لا منتهى له ولا آخر ، وجعله في الدنيا آية على بقاء ما له أول ولا آخر له ، وهي الدار الآخرة.

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد ، ويحسبها بحساب واحد ، ويعلم كل شيء بعلم واحد ، وأحصى جميع المخلوقات جملة وتفصيلاً : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾ [الأنعام/٦١-٦٢].

والله سبحانه أسماءه لا تحصى ، وصفاته لا تحصى ، ونعمه لا تحصى .

وَمَنْ أَحْصَىٰ مِنْ أَسْمَائِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وإحصاؤها هو معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرُّ يَحِبُّ الْوَتْرَ » متفق عليه^(١).

فيجب علينا تعلم أسماء الله الحسنى ، لندعوه بها ، ونتعبد لله بها بالانصاف بما يليق بالعبد منها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/١٨٠].

واعلم أنك إن كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق ، ويحصي كلامك وأفعالك وأنفاسك ، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك ، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك ، فلماذا لا تُجِل نظره إليك ؟ ولا تهاب رقابته عليك ؟ ولا تستحي من مشاهدته لك ؟ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج/٧٠].

واعلم أن أنفاس العباد معدودة ، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت ، فاذكره واعبده بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧).

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ تَجَلُّدًا بِاسْمِهِ الْمَحِيْطِ :

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

هو الملك المحيط بكل ملك .. القوي المحيط بكل قوي .. الكبير المحيط بكل كبير .. العزيز المحيط بكل عزيز .. العليم المحيط بكل عليم .. الغني المحيط بكل غني .

فسبحان الرب المحيط بجميع أكناف العالم ، وجميع ذرات العالم ، المحيط بجميع أنفاس ونيات وحركات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكير ، وزيادة التدبر ؛ لتعرف الكبير حقاً ، والعظيم حقاً ، والملك حقاً ، والمحيط حقاً ، الذي أحاط بالملكوت كله حولاً وقوة ، وعلماً ومشيةً ، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة ، كبيرة أو صغيرة : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام / ١٠٤].

ومن هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا ملكه ، وتلك خزائنه ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فعليك بالاستسلام له .. والحياء منه .. والتبرؤ من الحول والقوة له .. والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة .

فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [النور / ٢١].

واحرص أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن ، واجتنب

المعاصي والبدع ، وعليك بالصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر لله على النعماء ؛
لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/٩٧].

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ
يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء ، ولا تتبرم من أي مكروه
قدَّره ، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد/٢٢-٢٣].

وإذا وقع مكروه فقل: قدَّر الله وما شاء فعل، وإذا لم يقع ما تحب ، فاعلم أنه لم يقدره
العليم الخبير، ولو كان خيراً لقدره: ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، أَحْرَصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ
فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلْتُ » أخرجه مسلم ^(١).

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأعمالك، ومصاحبة
الأيام والشهور والأعوام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/١٦٢-١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته كما كان العبد لربه بعد بعثته من نومه.

فإن كنت في الدنيا لربك عبداً، ولحرماته معظماً، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً، كان الله في الآخرة
لوجهك مكرماً، ولشأنك معظماً، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعاً: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا
الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/٦٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

ومن أحسن أحسن الله إليه وزاده: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلاً عن آحادها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاَصْبًا اَفْغَيْرَ اَللّٰهُ نُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْرُؤُنَّ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك، واستغفر عن التقصير في كل عمل صالح: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر، والعمل الصالح، ومدافعة الغفلة مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وإياك وإضاعة الأوقات، والتسوية، والتمني، والتراخي، والانتظار.

فهذه كلها جنود إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ أَنبِيُّ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ [سبا/ ٢٠].

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار، كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب، ففكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأعراف/ ٢٥].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر ، يا عليماً بالظواهر والبواطن ، يا سميعاً للمنادي
والمناجي ، يا بصيراً بالشاهد والغائب .
أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ،
والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرجته ، ولا كرباً إلا نفسه ، ولا ضرراً إلا كشفته ،
ولا ضاللاً إلا هديته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقالة ٨٦ . الحبيب .. الحاسب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٨٦)
[النساء / ٨٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

حَبْكَةً مِّنْ خَرْدَلٍ أَيْنَابَهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

الله ﷻ هو الحسيب الحق، ذو الشرف والمجد، والعزة والجبروت، والعظمة والسؤدد، والجلال والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثلها شيء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الحسيب الحق، العالم بمقادير الحسنات والسيئات، وأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال والأعمال والأرزاق، وأعدادها وأنواعها وأجناسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء / ٨٦].

وهو سبحانه الحاسب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم، ورازقهم، وكافهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر / ٣٦].

وهو سبحانه الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم.

فكلها محسوبة عنده، لا يضيع منها شيء، ولا يزداد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً، بلا ظلم ولا بخص ولا نقص: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَيْنَابَهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء / ٤٧].

والله ﷻ سريع الحساب؛ بل هو أسرع الحاسبين، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة حاسبهم في أسرع وقت، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد، كما يرزقهم جميعاً في الدنيا في وقت واحد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْخِطْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام / ٦١-٦٢].

فسبحان الملك الحق، الذي خلق جميع الخلق، وأحصى أعدادهم، وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه ، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة ، فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان/ ٢٨].

واعلم أنه لن يُفْلِتَ أحدٌ من الموت ، كما أنه لن يُفْلِتَ أحدٌ من الحساب ، كما أنه لن يفلت أحد من العقاب ، أو يُحْرَمَ من الثواب : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فاختر لنفسك ما تسعد به : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء/ ١٣١].

واعلم أن الحساب يوم القيامة من الرب الكريم لعباده مبني على العدل والرحمة والإحسان، ومن نوقش الحساب هلك : ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [٦] فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلِي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ [الانشقاق/ ٦-١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٦﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرُضُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ » متفق عليه (١).

● التبعّد لله ﷻ باسمه الحسيب :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الحسيب الحق، الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٧٦) .

واعلم أيها المؤمن أن الله شَرَّفَكَ بعبادته ، وخصك بهدأيته، وأكرمك بطاعته ، فالزم طاعته في جميع أحوالك ، وأكثر من ذكره في جميع أوقاتك: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعام / ١٦٢ - ١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له ، فهو لجلاله وجماله ، وكمال أسمائه وصفاته ، أحق من عبد، وأحق من ذكرك، وأحق من شكر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

ولا تُعدد حسناتك ، فإنها مكتوبة محفوظة مضاعفة لك عند ربك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء / ٤٠].

وعدّد سيئاتك ، وتذكرها ، لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩].

واحسب الساعات والأيام ، واملأها بالأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وانظر ما قدمت وما أخرت: ﴿ وَأَنْ أَمِرٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس / ١٠٥ - ١٠٦].

فالكل محسوب ستره يوم القيامة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِّيرَوُاْ أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦ - ٨].

فسبحان الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما عملوه من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، وميز لهم صالح العمل من فاسده، وحسنه من قبيحه.

وعلم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب، ثم يوفيههم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّلِحَاتِ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
 . [الحج / ٥٦ - ٥٧] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا
 وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر / ٧ - ٨] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
 سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران / ١٩٣] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ
 بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم^(١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من
 قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة ، برحمتك يا أرحم
 الراحمين .

المقيت

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ
 مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء / ٨٥] .

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق
 ما يقتات به، وأرسل إلى المخلوقات أرزاقها: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
 مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود / ٦] .

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف ، المقيت الذي يعطي

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

كل مخلوق من نبات ، وحيوان ، وطيور ، وإنسان ، قوته على مر الأوقات والدهور: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠].

فسبحان من يمد هذه الخلائق في كل وقت بما جعله قواماً لها، فإذا أراد موت شيء منها حبس عنه ما جعله مادة لبقائه من القوت ، فمات بإذن الله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم / ٤٠].

والله ﷻ هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له.

هو المقيت الذي يقوت الأجساد بالطعام والشراب.. ويقوت العقول بالعلوم.. ويقوت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم.. ويقوت الأرواح بدوام المشاهدة ولذيد المؤانسة.. ويقوت الأبدان بحسن العبادة.

فسبحان الملك الحق الذي قدّر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم ، وقدّر أقوات أهل الأرض وما يصلح لمعايشهم من النبات والأشجار والثمار والمنافع: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤١] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ ﴾ [٥٠] ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴾ [٥١] ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [٥٢] ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴾ [٥٣] [القمر / ٤٩-٥٣].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والمكاسب ما لم يجعله في الأخرى؛ ليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد: ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُم فِي الْأَرْضِ مَخْلِفًا لَّوْنَهُ إِلَّا فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [١٣] ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ مَوْخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ١٣-١٤].

فيحصل بسبب ذلك من المنافع والمصالح الدنيوية والدينية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعَادٍ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف / ١٠].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه يأكل منها حيث يشاء: ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١].

وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّسَائِلِينَ ﴿١٠﴾ [فصلت/ ٩ - ١٠] .

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر / ٢١] .

وسبحان الغني الذي له خزائن السموات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِلَّهِ لَهُ الْغِنَى الْحَمِيدُ ﴾ ﴿١٤﴾ [الحج/ ٦٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَيَبِيْدُهُ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ » متفق عليه ^(١) .

● التبعّد لله تعالى باسمه المقيت :

اعلم أن ربك الكريم هو المقيت الحق الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم / ٧] .

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولائك ، وخالق الناس بخلق حسن ، وادعهم إلى الله ، وأكرمهم بالقول والفعل يحبك الله ، ويحبك الناس: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت/ ٣٣ - ٣٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه ^(١) .
واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٢) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له .

وَالْفَوَادِ كُلُّ أَوْلِيَّتِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء / ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب ، فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده ، وأنواع عبادته ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، تكن من المفلحين : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وإذا كان الله هو الحي المقيت وحده فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم / ٤٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(٢).

اللهم يا مقيت الخلائق كلها ، يا واسع الرحمة ، يا باسط اليدين بالعطايا ، أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً حلالاً طيباً ، يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا حسن التجاوز ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين .

الحفيظ .. الحافظ

قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ / ٢١].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر / ٩].

الله ﷻ هو الحفيظ الحق ، الذي حفظ جميع ما خلقه ، وأحاط علمه بما أوجده ، وحفظ على العباد أعمالهم وجزأها ، وحفظ أوليائه من الوقوع في المهالك .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما ، وما عليهما ، وما بينهما ، لتبقى إلى ما شاء الله ، فلا تزول ولا تميد ، ولا يسقط منها شيء على شيء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

يَسْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥].

فسبحان القوي العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿الْمَرَّتْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتغيير مع كثرة المحرفين والمبدلين : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر / ٩].

فسبحان الحافظ العظيم ، الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم .

الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم، ويعلم نياتهم وما تكين صدورهم : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ [هود / ٥٧].

هو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ، وعلم بمقاديرها ، ومقادير جزائها، وحفظ ذلك كله وكتبه في اللوح المحفوظ : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣].

وللحفيظ ﷻ حَفَظَةٌ من الملائكة يحفظون العباد ، ويكتبون أعمالهم : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنِينِ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

وللرب ﷻ حَفَظَةٌ من الملائكة يحفظون المخلوق مما لا يريد الحفيظ الحق كونه ، وهو من أمر الله : ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۗ يَحْفَظُونَهُ ۗ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلا مَرَدًّا ۗ فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ ۗ مِنْ وَّالٍ ﴿١١﴾ [الرعد/ ١١].

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم : ﴿قُلْ مَنْ يَكْلؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ۗ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنبياء / ٤٤].

واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان :

الأول: حفظ عام لجميع الخلق ، يشترك فيه المؤمن والكافر ، وسائر النبات والحيوان ، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله بتيسير الطعام والشراب والهواء ، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة، ودفع المكاره والمضار عنهم كما قال سبحانه: ﴿وَرَبِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٢١﴾ . [سبأ/ ٢١] .

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به ، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضلة ، والفتن المهلكة ، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وألستهم من الكبائر والفواحش والمحرمات .. وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن والنفس الأمارة بالسوء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

واعلم أنه مَنْ حَفِظَ اللهُ بامْتِثَالِ أَمْرِهِ ، واجتناب نواهيه ، حفظه الله في الدنيا والآخرة ، فاحفظ الله يحفظك: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [يوسف/ ٦٤] .

ومن حفظ حدود الله ، وأدى حقوقه ، فهو المؤمن الذي خشى ربه بالغيب ، فأطاعه ، فرضي الله عنه ، وأدخله الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بِعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [ق/ ٣١-٣٥] .

واعلم أن أعظم حفظٍ مَنْ اللهُ به عليك حفظ قلبك ، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر ، والشرك ، والنفاق ، والفتن ، والأهواء ، والبدع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣] .

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الملك العظيم وتكفل بحفظه ، وأنزل القرآن العظيم ، وتكفل بحفظه ، وهدى من يحب للإيمان ، وتكفل بحفظه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْأَبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأَنْعَامُ / ١٠٢-١٠٣].

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ تَعْبُدًا حَقًّا بِاسْمِهِ الْحَفِيفِ :

اعلم رحمك الله أن الحفيظ عَلَّمَهُ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم ، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكة حَفَظَةَ تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأَنْعَامُ / ٦١].

وأنت غفر الله لك ، عبد الله الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة ، وكريم كلاءته ، ومنيع حفظه وحراسته في دينك واستقامتك ، وفي نفسك وروحك ، وفي سمعك وبصرك ، وفي فكرك وعقلك ، وفي قلبك وجسمك ، وفي جميع حواسك الظاهرة ، وجميع حوائجك الباطنة ، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد، فاشكره وأحسب عبادته: ﴿أَمَرْتُمْ أَنْ اللَّهُ سَحَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

ولا تحسبنَّ الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة ، فذلك فضل عظيم من ربك ، ولكن الحفظ الأكبر حفظ القلب والدين من الكفر، والشرك ، والنفاق ، والبدع ، والشك ، والشبه ، والأهواء ، والفتن : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ [النور / ٢١].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وأحسب عبادته بما جاء به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخلص العمل كله له ، فهو أهل أن يُعبد ، وأهل أن يُحمد : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

فهو سبحانه الذي شرح صدرك للإسلام ، وحفظ في قلبك الإيمان ، وأعانك على طاعته ، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه ، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق ، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَاءٍ نُّمُوءٌ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك، وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَذُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا يُرَوُّا أَعْمَلَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت ، واعبد ربك ، واصطر لعبادته ، وداوم على شكره ، واصبر على بلائه ، واحفظ حقوقه وحدوده ، واجتنب محارمه وما يسخطه ، فبذلك تستدرّ نعمه ، وتستصحب حفظه ، وتنال ثوابه ، وتسلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۗ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله هو توحيدِه بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَٰهِي إِلَٰهُهُمْ وَإِلَٰهِيَ ادْعُوا وَإِلَٰهِي مَعَابٍ ۗ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد / ٣٦].

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات الصلاة، فمن حافظ عليها حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۗ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة / ٢٣٨].
ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۗ ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦].

واعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ ، كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۗ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا بِأَنفُسِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۗ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَٰرٍ رَّحِيمٍ ۗ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: « يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظَ اللَّهُ يَحْفَظُكَ ، أَحْفَظَ اللَّهُ تَجِدَهُ تَجَاهَكَ ، وَإِذَا سِيَأَلُكَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ ۚ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ ۚ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رَفَعْتَ الْأَقْلَامَ ، وَجَعَلْتَ الصُّحُفَ » أخرجه أحمد والترمذي ^(١).

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

فاحفظ سمعك فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه.. واحفظ بصرك فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه.. واحفظ قلبك أن يتعلق به غيره.. واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضبه.. واحفظ جميع جوارحك فلا تتحرك إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أقرب كلما تقربت منه: ﴿ وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه (٢).

واعلم أن من حفظه الله في أمور دينه ودينه فإنه لا يضيع أبداً ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف/ ٦٤].

فاستودع الحفيظ ﷻ نفسك وأمانتك وأقوالك وأعمالك ، وجميع ما تملك ، وخواتيم أعمالك ، فما استودع شيئاً قط إلا حفظه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْرَبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة/ ١١١].

وأكمل لربك ما يحب ، يُكمل لك يوم القيامة ما تحب ، واجتنب ما يكره ، يحفظك مما تكره ، فهو القائل : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأْرَهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَإِنِّي فَأْتَقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُهُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

وَأَزْكُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴿٤٣﴾ [البقرة/ ٤٠-٤٣].

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وحفظ أمانته ، وأداء ودائعه ، وما استودعنا من شرائعه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٥٨﴾ [النساء / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران / ٨] .

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » « أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق ، واحفظ ألسنتنا من الكذب ، واحفظ أعيننا من الخيانة ، واحفظ أعمالنا من الرياء ، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة ، واحفظ جوارحنا من المعاصي ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المقالة ❖ الكافي

قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ [الزمر/ ٣٦] .

الله ﷻ هو الكافي الحق ، القائم بالخلق كله ، القائم بالأمر كله ، القائم بالرزق كله ، القائم بالحفظ كله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾ [النساء / ٤٥] .

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجونه إليه ، فهو وحده حافظهم ورازقهم ، الذي يدبر أمورهم ، ويسر مصالحهم ، الذي يكفي عباده المهم ، ويدفع عنهم الملم ، الذي له خزائن السموات والأرض : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿١٣٢﴾ « إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ ﴿١٣٣﴾ [النساء / ١٣٢-١٣٣] .

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه ، الذي يدافع عنهم ، ويهلك

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) .

أعداءهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٢٨﴾ [الحج/ ٣٨].
وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم .

فوقاهم في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة الأعمال السيئة ، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم النار، وأدخلهم الجنة، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح ، ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ [الإنسان/ ١١-١٢].

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واق: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٢﴾ [غافر/ ٢١-٢٢].

وكفاية الله لعباده نوعان :

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات من الإنس والجن ، وسائر الحيوان، فهو سبحانه الكافي لهم بكل ما يحتاجونه .

فهو الذي قام بخلقهم ، وإمدادهم ، وحفظهم ، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهياً لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود/ ٦] .

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين، فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه، العاملين بطاعته، فمن توكل على ربه حق التوكل كفاه ربه أمور دينه ودنياه، وسدده في أقواله وأعماله، وكفاه همه، وكشف غمه، وجمع له رزقه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٢﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به وتوكل عليه، القوي الذي يخذل كل من عاداه: ﴿فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أوليائه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْأَخْيَارِ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب / ٢٥].

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الكافي :

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه، فكن حسن الظن بالله، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه، يكفيك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل / ٧٩].

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تسبغى كفاية الله إذا تأخرت، فإن الله بالغ أمره قطعاً، في الوقت الذي قدره له: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٣].

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه كفاه الله مؤنة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤنة الناس: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩].

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه، فخسر دينه وآخرته، ولم يأخذ إلا ما قدره الله له: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون / ٩].

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكله إليهم فأذلوه، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنيا غيره: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء / ١٨].

فتوكل على الكافي الحق وحده فيده مقاليد الأمور كلها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر / ٣٦].

واسأل الله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة.

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عن سواه.

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح للخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [التوبة / ٢].

واشكر ربك على عطائه لك ، وكفايته لك ، وهدايتك لدينه .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا ، فَكَمْ مَمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَّ » أخرجه مسلم ^(١).

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(٢).

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

اللهم يا خالق الخلائق كلها ، ويا كافي المخلوقات كلها ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من يكفي عن كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، يا أحد من لا أحد له إلا أنت ، أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا رب العالمين .

المقطع ٠١ ، ٦١

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

المقطع ٠٢, ٦١ الكفيل

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل / ٩١].

الله ﷻ هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم.

وهو سبحانه الكفيل الحق ، الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه حفظاً ورزقاً، وقوتاً ووقاية، وتعليماً وهداية ، وغير ذلك من ألطافه وإحسانه: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفُونَ ﴾ [٥٢] وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل / ٥٢-٥٤].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧].

وهو سبحانه الملك الحق ، الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وخلق الحاجات والمحتاجين ، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له ، الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس ، والجن ، والحيوان ، والطير: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وتربية جميع الخلائق ، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً ، وإنما الرازق هو الله وحده ، الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر ، والإنسان والحيوان ، ومن مات منهم جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله ، والله ﷻ لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه له ، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وخطاها: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ يُمَاتِعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون / ١١] .

وهو سبحانه الصادق في قوله ، الوفي بعهده ، الأمين في ضمانه ، الحفيظ في كفالاته ، العظيم إحسانه ، الدائم بره : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكفيل :

انظر رحمك الله إلى مجاري الكرم والرحمة والإحسان في الملك والملكوت ، تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يصلح عباده من أنواع النعم ، وتيسير الأمور ، ترى ذلك خلقاً مشهوداً ، وبساطة ممدوداً : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

فجميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه ، وينعمون بإحسانه وخيره ، فكن كذلك مع نفسك ، أعطها حقها ، وخذ منها الحق الواجب عليها ، من الاستقامة على أوامر الله ، وشكر المنعم عليها بما لا يُحصى من النعم .

واسأل الله أن يعينك على نفسك ، ويقيك شرها : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتَنِي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف / ٥٣] .

وَأدّ ما لله عليك من حقوق ، وما للناس عليك من حقوق ، واستغفر الله من كل تقصير ، فإن

ربك غفور رحيم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء / ١١٠].

واعلم أن الله تكفل بأرزاق الخلق كلهم، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله ، فأدِّ الأمانة لتربح وتنجو من الخسارة: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر / ١-٣].

واعلم أن مَنْ صدق مع الله ، ورضي به كفيلاً ، ساقه إلى ما يحبه ويرضاه ، وأعانه على أداء الأمانة ، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق / ٢-٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران / ١٤٧].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِعِمَّتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (١).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

المقالة . الوكيل

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الله ﷻ هو الوكيل الحق، الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق ومعاشهم ومصالحهم، في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء / ١٣٢] .

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء، الذي جميع المخلوقات تحت كفاله ووكالته ، وتدبيره وتصريفه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد / ٢] . وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه وحفظه وحفظ كتابه، وحفظ المؤمنين من الفتن التي تزيل إيمانهم ودينهم ودولتهم .

فسبحان الملك الحق ، الذي كل الأمور موكولة إليه ، القادر على كل شيء ، الوفي بإتمامه ، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفائتهم ، وأمرهم جميعاً بيده ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبَدِّدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

واعلم رحمك الله أن الوكيل له معنيان :

الأول: عام: فالله ﷻ هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم، وتدبير أمورهم ، ورعاية مصالحهم ، الوكيل على جميع مخلوقاته في السماء والأرض : ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني: خاص: فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن التجأ إليه ، الحافظ لمن اعتصم به : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٣] .

فتوكل على الله وحده ، واتخذة وكيلاً ، يكن لك نصيراً ، ولا تلتفت إلى ما سواه : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان / ٥٨] .

فسبحان الوكيل الحق ، القائم على خلقه بالتدبير والتصريف ، والأرزاق والأقوات ، والوقاية من الشرور والآفات ، والنصر والحفظ لأوليائه .

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امثال الأمر؛ لأنهم كلهم عبيد ، والأمر كله لله وحده : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف ، في العالم العلوي والسفلي ، من آثار اسمه الوكيل ، وهي مبثوثة في العالم كله كغيرها من صفات الحق التي أوجدها في العالم ، ليرى الخلق عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، فيعبده بمقتضاها : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢] .

فانظر في الملك والملكوت، ترى جميع الخليفة في قبضة الخالق الحق ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإرادته ، وخاضعة لأمره ، وجارية على حكم تسخيره ، مصرفة بتدبيره ، على سنن قبضه وبسطه ، إن أذن بشيء كان، وإن لم يأذن به لم يكن : ﴿إِن يَأْمُرُكُمْ اللَّهُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

والعبد المتوكل حقاً لصحة توحيده وثبات يقينه لا يرى إلا الله رب كل شيء، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه ، حسبه الله وحده في جميع أمورهِ : ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٩﴾ [التوبة / ١٢٩].

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة ،
ومن ذاق عرف ، ومن عرف عرف ، ومن أبصر استبصر .

وقد يشهد اللسان ، والقلب غير مكذب ، لكنه غير مشاهد ولا حاضر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى
لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق / ٣٧].

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، يعمر الله بها قلوب
أهل الإيمان والتقوى ، وبها يتم مراد الله منهم ، ومرادهم من الله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة / ٢٢].

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضه بالتفويض إليه ، وصِدق التوكل
عليه ، والعمل بشرعه ، حَرَم الجبار على أعدائه من شياطين الإنس والجن ، والبهائم
والظالمين ، وجميع المؤذيات ، أذاه تحريماً كونياً ، كما حرم على المؤمنين أذى المسلم
وغيره بأمره الشرعي: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٣].

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا باري الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق ،
وصفاتهم ، ومعاشيهم ، فتوكل عليه يعطيك ويكفيك: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود / ٥٦].

وحقيقة التوكل الاعتماد على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة:
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود / ١٢٣].

فسبحان الوكيل الحق الذي كل العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ملكه وفي قبضته ، وكل ما
فيهما مقهور بأمره ، مستجيب لمشيئته ، مسرع لإرادته.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الوكيل :

التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء، ودفع الضراء، من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده.

والتوكل من أعظم أنواع العبادة؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، والنصرة الظاهرة، والثواب العظيم: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ﴿٧٨﴾ [النمل/٧٩].

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد، كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ﴿١﴾ [المزمل/٩].

والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي:

التوحيد.. والزهد.. والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية.. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه، وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرٍ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٢﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وعلامة المتوكل كتمان الحاجة، وإظهار الغنى للناس، وإخفاء المسكنة، وإن مسه الضر، ودوام ذكر الله بكل جميل، وحمده وشكره في كل وقت وحال.

والتوكل على الله درجات، وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل والأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ.

فالداخل في الأسباب بالسنة، الخارج عنها بالنية أفضل؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة، وحقيقة التوكل.

فخذ بالأسباب المشروعة، وتوكل على الله وحده، تنال أجرهما معاً: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنفال / ٦١].

والتوكل الحق على الوكيل الحق أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله ، وأن كل شيء بيده ، وكل شيء تحت تدبيره، لم يشرك في حكمه أحداً : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف/ ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأمانى، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيء كان ، أو شيء لم يكن: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء/ ٦٥].

وبالإيمان تكون الهداية ، وبالتوكل تكون الكفاية ، وبصدق التوحيد يكون التوكل ، ومن سلم لله أمره كله كفاه الله أمره كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن لكل شيء وقت وتقدير ، والعمل للعالم والآخرة مشروع مطلوب ، فاعمل ، وتوكل ، ولا تستعجل ما تريد ، فالوكيل يرى ما لا ترى ، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وكل امرئ ميسر لما خلق له ، فاجتهد في طاعة مولاك ، معتمداً عليه وحده ، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه.

واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه نوعان :

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله وغيره، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق التي ييغضها، وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يحصيه إلا الله ، فمن توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومن توكل على الله في الأول دون الثاني ، كفاه أيضاً ، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه.

فاعمل بطاعة الله ، واستقم كما أمرت: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٤٨﴾ . [الأحزاب / ٤٨] .

واعلم أن الله يحب من توكل عليه ، ويؤيده بتوفيقه وعونه، فامض لما أمرك الله به، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وكل إليه جميع أموره ، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿١٠﴾ [الشورى / ١٠] .

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٢٩﴾ [الأنفال / ٢٩] .

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته ، وأفعاله وخزائنه ، ووعدته ووعدته ، تكون ثقتهم بضمانه، ورضاهم بكفالتة، فيسلمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم ، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأنس، وروح الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب ، فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ آيَلٍ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن طاعة الله ورسوله فضل من الوكيل الحق عليك ، فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من الطاعة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢﴾ وءَاخِرِينَ مِّنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤-٢] .

فسبحان الوكيل الحق، وما أعظم إحسانه، يعطي الجزيل للمتوكل عليه، ويشني بالجميل على المفوض إليه، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرضاً.

بل يرزقه الوكيل ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله ؛ لأنه الغني الكريم ، الوكيل الحق

الذي يعطيه من نعمه كثيراً، ويضاعف أجره كثيراً، وخزائنه كافية، وجنته وافية بكل ما يحب: ﴿وَبَيَّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءُ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى.

يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويفعل ما يشاء .. وهو الغفور الرحيم.

يطعم المخاليق .. ويكشف الغم .. ويزيل الهم .. ويفرج الكرب .. ويغني الفقير .. ويجبر الكسير .. ويحيي الميت .. ويميت الحي .. ويصلح الفاسد .. ويقبل التائب .. ويغفر الذنوب .. ويستر العيوب .. ويعدّل المائل .. ويشفي السقيم .. ويقضي الحاجة .. ويسد الفاقة .. ويهدي الضال، ويؤمّن الخائف.

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فاستقم رحمك الله على دينه، واستسلم لأمره، وارض بقضائه، وفوض أمرك إليه، وسارع إلى طاعته، وسابق إلى مغفرته، واحتسب ما تكره عنده وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩].

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦].

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بنشر الدين، وتعليم سننه وآدابه وأحكامه، فاعمل بها، وادع الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله، تنال من الأجر جزيله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل / ١٢٥].

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [المتنحة / ٤].

﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس / ٨٥-٨٦].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه (١).

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم ، واستهداك فهديتهم ، واسترحمك فرحمته ، واستنصرك فنصرتهم ، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسئولين ، يا أرحم الراحمين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

المقالة . الفتح .. الفتح

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبا/ ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف / ٨٩].

الله ﷻ هو الفتح الحق ، الذي يحكم بين عباده بالحق ، ويقضي بينهم بالعدل.

وهو سبحانه الفتح القادر على كل شيء ، الذي يحكم ويقضي فيهم بما يريد ، ويمنّ على من شاء منهم بما يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢].

وهو سبحانه الفتح الذي يفتح لعباده أبواب الخير ، والرزق ، والعلم ، والرحمة ، والعبادة ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم ، ويسر المتعسر عليهم ، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ، ليصروا الحق والهدى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩].

وهو سبحانه الفتح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة ، ويفتح بينهم بالحق والعدل.

فسبحان الفتح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة في العالم كله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِنْ نَشَاءٍ وَتُعْزِزُ مَنْ نَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ

تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

والله سبحانه هو الفتح القادر على كل شيء ، القوي الذي لا يعجزه شيء .

هو الفتح الذي فتق السموات السبع ، والأرضين السبع ، وفتق السحاب بالغيث، وفتق الأرض بالنبات ، وفلق الحبة عن الشجرة .

وهو سبحانه الذي فتح القلوب للإيمان، والعقول للعلم، وفتح العين بالبصر، وفتح الأذن بالسمع، وفتح اللسان بالكلام : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨].

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له ملك السموات والأرض، وبيده مفاتيح خزائن السموات والأرض، وبيده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق ، والنعم الظاهرة والباطنة، يفتحها لمن أطاعه واتبع هداه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أكرمه، وما أرحمه ، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله وحده هو الفتح الذي يملك خزائن كل شيء ، وبيده مفاتيح كل شيء .

وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ نِوَعَانِ :

الأول: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الْقَدْرِيِّ: بما يقدره على عباده من التدبير من خير وشر، وعطاء ومنع ، وبسط وقبض، ونفع وضر: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

فهو الفتح العليم ، الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والرزق ، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/ ٢].

الثاني: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ: بما شرعه على السنة رسله ، من الدين الحق الذي يستقيم به

الناس على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُتِمَّرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢﴾ [الفتح / ١-٢].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه:
﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].

وتلك سنة ماضية لا تتبدل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخَذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي
يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ١٦٠﴾ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران / ١٦٠].

أما فتحه يوم القيامة، فحين يوفِّي كل عامل ما عمله، ثم يشب المؤمن والمطيعين، ويعاقب
الكافرين والعاصين: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا
ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ / ٢٥-٢٦].

فسبحان الفتاح العليم، الذي يفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أفعال القلوب، ويملؤها من
المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما تذوق به طعم الإيمان، وتستقيم به على الصراط
المستقيم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧].
وهو الفتاح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية، وأنواراً ساطعة.

يميزون بها بين الملك والعبيد، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الحق
والباطل، وبين الدنيا والآخرة: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام / ١٢٢].

اللهم املاً قلوبنا بنور الإيمان ونور القرآن: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣٥﴾ [النور / ٣٥].

فسبحان الله ما أرحمه بعباده، لو فتح المطر على الناس أبداً فمن الذي يحبسه عنهم لثلا
يغرقوا كما حصل لقوم نوح؟ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصُرْ ١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
مُنْهَمِرٍ ١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ١٢﴾ [القمر / ١٠-١٢].

ولو حبس الله القطر والنبات لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتح سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَسْمُرُ زُرْعُوهُمْ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَا فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق فمن ذا الذي يفتحه؟ ولو حبس الله الهواء الذي تنتفس منه فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟ فسبحانه ما أعظم رأفته ورحمته: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [فاطر / ٢].

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب فضلك ، وأبواب نصرك ، وأبواب هدايتك: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩) [الأعراف / ٨٩].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق خلقه ، وفطرهم على ما أراد ، وفطر السموات والأرض ، وما فيهن ، وما عليهن ، وما فوقهن ، على التوحيد.

فكل أحد قانت لربه ، مستسلم له ، مسبح بحمده ، شاهد بوحدانيته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَافِعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس/ ٣-٤].

واعلم أن الخالق ﷻ سمي دين الإسلام فطرة ؛ لأنه أول شيء لقيته الذوات بعد برئها ، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِلْخَلْقِ لِلَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الروم / ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها ، الظاهر فيها أعمالها ، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها ، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء/ ٨٥].

واعلم بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه ، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها ، وأن تصرفها عن مظان

هَلَكْتَهَا إِلَى سَبِيلِ فِطْرَتِهَا، وَلَا تَفَارِقُ مَا عَلَيْهِ بَرَأُهَا مِنَ التَّوْحِيدِ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ [الأحزاب / ٧٢].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجسام هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف / ١٧٢].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ [المائدة / ٧].

فلا إله إلا الله كم ظلمنا ! وكم غفلنا ! وكم خسرنا !

ربنا سمعنا وأطعنا ، فاغفر لنا وارحمنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

لك الحمد كله ، ومنك الخير كله : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم أن الله هو الرب القادر على كل شيء ، هو فاطر السموات والأرض .

وهو فالق الإصباح : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأنعام / ٩٦].

وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ [الأنعام / ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار من الخير والشر والمحجوب والمكروه ، ما يُدَكِّرُنَا بالدار الآخرة ، فأرانا الفتاح العليم في هذه الدار النار الحاضرة ، وجعلها آية على النار الغائبة، وعلى قدر تمكُّن نار الدنيا من الحطب ، يكون سعيرها وشدة لهيبها حتى يعظم شأنها.

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا يدانيها مطاول : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

وأرانا سبحانه في هذه الدار آية على الجنة بقلقه الحب والنوى ، بإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، وجعل جنات ما هاهنا آية على جنات ما هنالك في الآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ نُوْفُكُونَ﴾ [الأنعام / ٩٥].

وأرانا سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر ، من كون ذلك مخزوناً في غيبه ، ومكنوناً في سنته ، ثم أظهره ماشياً ، وطائراً ، وزاحفاً ، وسابحاً .

ألا ترى أن الحياة غيب في الماء .. والماء غيب في خزائن الله .. والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿وَلِإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا لِيُقَدَّرَ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر / ٢١].

وكذلك ما في الدنيا إشارة مؤقته لما في الآخرة من النعيم والعذاب .

والآخرة غيب في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِنِينَ﴾ [٩٠] ﴿وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [٩١] [الشعراء / ٩٠-٩١].

فيأذن الملك الجبار ﷻ للجنة ، فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش ، إلى السموات ، فتكون السموات كلها جناناً وأنهاًراً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [٢٢] [الذاريات / ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفُرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري ^(١).

وتسعى نار جهنم في الأرضين السبع والبحار ، فيصير كل شيء أتت عليه ناراً ، ويؤتى بجهنم إلى المحشر ، تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها ، وتبرز للناس كلهم فيرونها كلهم : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [٥] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [٦] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [٧] ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [٨] [التكاثر / ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» أخرجه مسلم ^(٢).

فسبحان الله الفتاح العليم ، والحمد لله فاطر السموات والأرض ، وفالق الإصباح ، وفالق الحب

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده ، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف / ١٠٢-١٠٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الفتح :

اعلم رحمك الله أن مفاتيح خزائن السموات والأرض بيد الفتح العليم وحده لا شريك له . فاسأل ربك الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته ، وخزائن رزقه ، وأبواب كرمه ، وموائد بره، وواسع فضله، وجزيل نعمه ، بحسن عبادته ، ودوام طاعته: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف / ٩٦].

وإذا علمت أن الله وحده هو الفتح الذي يفتح بركات السموات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء ، فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية ، وأبواب العلم ، وأبواب التقوى ، فإنه كريم : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة / ٢٦٩].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام ، ويملاً قلبك بنور الإيمان ، لتعرف ربك ، وتعبده بما يحبه ويرضاه : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر/ ٢٢].

واعلم أن هذا الفتح ، وهذا الشرح ، كله فضل من الله ، وليس له حد .

وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ ، حسب معرفته بالله وأسمائه وصفاته ، وخزائنه ودينه ، ووعده ووعيده، فالأنبياء بالذروة منه ، ثم الأولياء الصادقون ، ثم العلماء الربانيون ، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤].

واعلم أن رسل الله وأولياءه يتوجهون إلى ربهم ، ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية فيقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف / ٨٩].

فتوجه إلى ربك في كل صغيرة وكبيرة ، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه

القدري والشرعي وقل: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد ، وفتح صحائف الأعمال ، فيتين من يستحق الثواب ، ومن يستحق العقاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢٨] قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ [السجدة / ٢٨-٣٠].

والله ﷻ هو الرب المستحق للعبادة ، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين، واستباح غيره: ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبُهُمْ إِنَّهُمْ قُلُوبُ كُفْرٍ أُولَئِكَ أَكُوفٌ أُولَئِكَ مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٤] [الأنعام / ١٤].

وقد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة ، وأشهدته على نفسك ، فأد الأمانة ، وأوف بالعهد ، تُكْرَم عند ربك: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴾ [البقرة / ٤٠].

وصدق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول ، وما أعطيته من عهد وميثاق ، بالاستقامة على الحق ، والدعوة إليه ، وتعليمه ، والصبر على الأذى فيه ، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [٣٤] [الإسراء / ٣٤].

وسبح بحمد ربك العظيم ، وكبر ربك الكبير ، الذي خلق المخلوقات كلها ، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه ﷻ ، فأقرها في خزائن الغيب ، ثم يذرو براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء والسحب ، والبحار ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والسماء ، والأرض ، والأرحام.

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والسفلي: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٧] [المنافقون / ٧].

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام ، لم يزل ينقل البرايا من خزائن السموات والأرض ، إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [٩٨] [الأنعام / ٩٨].

واعلم أن الله ﷻ برأك فيمن برأ ، ثم غيَّبك في غيبه ، وخزَّنك في خزائنه ، وقلَّبك في غيابات ملكه ، ثم أخرجك بقدرته حتى بلغك سن التكليف ، ثم أكرمك بالدين القيم،

ليختبرك فيرى صدقك من كذبك، وطاعتك من معصيتك، ثم يجزيك يوم القيامة بما قدمت يداك: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ [الإنسان / ١-٣].

فانظر رحمك الله ما أنت فيه ، وقدم ما عليه غداً تقدم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨] .

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٥٩ ﴾ [مريم / ٥٩] .

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يرقبك ، وأطعه تسعد في دنياك وأخراك: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب / ٧١] .

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝١٦ ﴾ [الحديد/١٦].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله ولزوم تقواه: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِيطُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧ ﴾ [الحديد / ١٧] .

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝٨٩ ﴾ [الأعراف / ٨٩] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي لِسَانِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا ، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا ، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا ، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا ، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا ، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا »

أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وجوامعه ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وافتح لنا أبواب فضلك ، وأعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين.

المقالة ١٧. الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾
[آل عمران/ ٨].

الله ﷻ هو الغني الحق ، الذي له خزائن السموات والأرض ، الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا ، والأرزاق ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والأموال ، والأولاد ، والصور ، والألوان: ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

فهو الملك الذي وهب كل مُلك .. وهو الرزاق الذي وهب كل رزق .. وهو الكريم الذي وهب كل كرم .. وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة .. وهو الهادي الذي وهب كل هداية .. وهو القوي الذي وهب كل قوة .. وهو العليم الذي وهب كل علم .. وهو الجميل الذي وهب كل جمال: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الوهاب الحق ، الذي يهب ما يشاء ، لمن يشاء ، كيف شاء: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ إِنَّ شَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

والله سبحانه هو الوهاب الحق ، الكثير الهبات والمنن والعطايا ، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم ، ويوالي عليهم النعم ، ويجزل لهم العطايا: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

وَاصْبَأْ أَفْغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُومُ مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل / ٥٢-٥٤].

فسبحان الملك العزيز الوهاب ، الذي بيده خزائن السموات والأرض ، ويده مقاليد الأمور كلها ، يعطي من يشاء ما يشاء ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع : ﴿ اللَّهُ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وهو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم ، ولكمال كرمه ورحمته هبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها .

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم ، وأجزل لهم الأجر فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلَدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان / ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة متنوعة ، متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون .

فسبحان الغني العزيز الوهاب ، ما أعظم شأنه ، وما أوسع خزائنه ، وما أجزل عطاياه ، وما أكثر هباته .

هو الوهاب الذي لاتنقصي خزائنه ، مع جزيل عطاياه ومواهبه ، على مدى القرون والدهور : ﴿ إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص / ٥٤].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيَمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ »

أخرجه مسلم^(١).

والله ﷻ هو الملك الكريم الوهاب ، مالك الملك والملكوت ، الذي بسط فضله وإحسانه الديني والديني على جميع العباد ، يده بالعطاء ملاً ، سَحَاءَ الليل والنهار ، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدارار: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة / ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى ، الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير ، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه ، حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

في كل آن : يفرج كرباً .. ويزيل غماً .. ويفك أسيراً .. ويغني فقيراً .. ويرحم مسكيناً .. ويجبر كسيراً .. ويغيث ملهوفاً .. ويجيب كل مضطر .. ويعطي كل سائل .. ويغفر لكل مستغفر .. ويستجيب لكل داع .. ويتوب على كل تائب .. وينعم على من سأله ومن لم يسأله .. ويعطي من أطاعه ومن عصاه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِعْلَهُمْ يَرْشُدُوا﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة ، والملك ، والخلافة ، لمن شاء من خلقه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل/ ٦٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «يُدُّ اللهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ» متفق عليه^(١).

واعلم أن الوهاب وهب لبعض خلقه عطاء فأعطى منه، فصاروا هباً مما وهبه الله له من الخير. ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت عطاياه وهباته ونوائله ودامت وهو الحق ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٣).

فسبحان العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن ، وينفق كما شاء ، بأي قدر شاء ، ولا تنقص خزائنه ولا تفنى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ، أو ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ، ولا أمناً لخائف ، ولكن الله يملك ذلك كله : ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب.

وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء بحكمته: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠].

وهبات الرب لخلقه لها ثلاث حالات :

إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام على حسن الطاعة لله : ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص / ٣٠].

والعقوبة على الكفر والمعاصي : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [٤٤] فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام / ٤٤ - ٤٥].

والابتلاء ليتبين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس ، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق : ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٣٥] [الأنبياء / ٣٥].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى ، الوهاب الذي خيره وفضله يرتع فيه كل الخلق ، الإنسان والحيوان ، البر والفاجر ، والمطيع والعاصي ، لا نحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه.

• **التعبد لله ﷻ باسمه الوهاب :**

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق ، هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في الدنيا والآخرة ، وذلك من فضله وإحسانه إلى عباده.

فاعرف مولاك الكريم ، ثم اذكره ، ثم اشكره واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢] [الطلاق / ١٢] .

ثم اعلم أن الوهاب ﷻ أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه، وما نعلمه وما لانعلمه.

ويوم القيامة يُظهر الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول ، وما لم تره العيون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٧] [السجدة/١٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ متفق عليه ^(١) .

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيدك بها خيراً : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٧] [إبراهيم / ٧] .

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والرزق ، جعله عوناً لك على طاعته ، فلا تستخدمه في غير ما يرضه ، ولا تستعين به على معاصيه .

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم ، خير لك من جميع ما في الدنيا : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٣٦] [الشورى / ٣٦] .

فلا تبع غائباً بشاهد، ولا آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦٤] [العنكبوت/ ٦٤] .

فهب رحمك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك ، والقنوت له ، والسجود له .

وهب ما أعطاك من الخلق الحسن في القول الحسن ودوام الذكر والشكر له، وتأليف قلوب

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

الناس على دينه ، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف ، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام دينهم تكن ربانياً: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته ، كما سأله سليمان ﷺ : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ٣٥ ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ٣٦ ﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ ٣٧ ﴿وَآخِرِينَ مُفْرَجِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ٣٨ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ امْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٩ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسْنَ مَتَابٍ﴾ ٤٠ ﴿[ص / ٣٥-٤٠].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم ، فاحمد الوهاب على إحسانه كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ٣٩ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ٤٠ ﴿[إبراهيم / ٣٩-٤٠].

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية، وحسن الخلق، وما أسداه إليك من النعم يزدك خيراً، ويُعظم لك أجراً: ﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ١٢ ﴿[لقمان / ١٢].

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا يقطع ولا يبئد، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده ، على أسمائه الحسنى ، ونعمه التي لا تحصى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣ ﴿مَلِكٍ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ ﴿[الفاتحة / ٢-٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ٨ ﴿[آل عمران / ٨].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ٧٤ ﴿[الفرقان / ٧٤].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءُ السَّمَوَاتِ وَمِلءُ الْأَرْضِ ، وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»
أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

اللهم إني أسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .
 اللهم لك الحمد كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك ، إنك أنت الكريم الوهاب .

المقالة ١٤٠١ . الهادي

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [٣١] ﴿٣١﴾
 [الفرقان/٣١] .

الله ﷻ هو الهادي الحق ، الذي هدى جميع خلقه إليه ، بما أظهره من أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وإحسانه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] ﴿٣﴾ [يونس/٣] .

وهو سبحانه الهادي الذي هدى خلقه إلى معرفته ، وهداهم إلى جميع المنافع ، وأرشدهم إلى دفع المضار ، وعلمهم ما لا يعلمون ، الهادي إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [٣١] ﴿٣١﴾ [الفرقان/٣١] .

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السموات والأرض ، وهداها إلى جلب مصالحها ، ودفع مضارها ، وعبادة ربها .

وكلها تشهد بتوحيده ، وتسبح بحمده: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٤٤] ﴿٤٤﴾ [الإسراء/٤٤] .

فسبحان الخلاق العليم: ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [٥٠] ﴿٥٠﴾ [طه/٥٠] .

وهو سبحانه الهادي لكل مهتد من مخلوقاته .

هدى كل شيء إلى التسييح بحمده .. وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته .. وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه .. وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه .. وهدى

النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها.

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقاً .. وفوق الأرض أغصاناً وأوراقاً ، وأزهاراً وثماراً .
وهدى الملائكة للتسبيح .. وهدى السحب للمطر .. وهدى الأرض للإنبات .

وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة .. وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر
والجو إلى ما يصلحه وينفعه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۙ وَإِن لَّنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۗ ﴾ [الليل / ١٢-١٣] .
وهدى الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۗ ﴾ [الإنسان / ٣] .

فسبحان الهادي الحق : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَىٰ ۙ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۙ ﴾ [الأعلى / ٢-٣] .

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان ، بما أرسل من الرسل ، وما أنزل
من الكتب ، وما نصب من الآيات والدلائل في السموات والأرض : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۙ ﴾ [الزمر / ٢٣] .

وهو سبحانه الهادي الحق ، الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله .

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه ، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد
إقامة الحجة عليه ، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله ، وهو على كل شيء
قدير ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلَتُسْأَلُنَّ
عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ [النحل / ٩٣] .

وهو سبحانه الهادي الذي بهدأته اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم من أسمائه الحسنى ،
وصفاته العلى ، وآياته ومخلوقاته ، فاهتدوا بهدأته لهم : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ ﴾ [الحج / ٥٤] .

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۗ ﴾ [١] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء / ٩-١٠] .

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف/٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركاً وهدى للعالمين إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ
بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران/٩٦].

واعلم أن الهادي ﷺ هو الله وحده لا شريك له الذي يملك جميع خزائن الهداية ، وهو الهادي لكل
مهتد وهاد، ومن يضل فلا هادي له سواه : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىُّ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته ، وأسماءه وصفاته ، في تدبير ملكه ومماليكه : ﴿ قُلْ فِىلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام/١٤٩].

فالحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أحسن كتبه ، وهدانا للإسلام : ﴿ ذٰلِكَ
هُدًى اللّٰه يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِّ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ [الزمر/٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطُّغُوٓتَ أَنْ يَعْبُدُوْهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللّٰهِ هُمُ الْبَشِرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر/١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَتْلُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/١٧-١٨].

واعلم أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية يسألون ربهم الهداية في
كل وقت.

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر
هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة.

ولهذا أمرنا الهادي ﷺ أن نسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة ، ليهدينا إليه ، وإلى الطريق الموصل
إليه ، بأن نقول : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة/٦-٧].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أرحمه بعباده ، وما أعظم نعمه على خلقه ، وما أعظم

حلمه على من عصاه وكفر به.

فَاللَّهُمَّ لَا تُوَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مَنَا ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ۗ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف/١٥٥].

واعلم أن هداية الله لعباده أنواع:

الأولى: الهداية العامة: وهي هداية جميع المخلوقات في السموات والأرض إلى مصالحها، لتكون مهية لما خلقت من أجله كما قال سبحانه: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ [الأعلى/١-٣].

الثانية: هداية التوفيق والإلهام ، وشرح الصدر لقبول الحق: وهي بيد الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [الفصص/٥٦].

وهذه الهداية هي التي أمرنا الله أن نطلبها منه في كل صلاة.

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان: فالله هدى خلقه إليه، ودلهم عليه، وبين لهم سبل الهداية، وموجبات التوحيد والإيمان ، بما أظهر في الكون من المخلوقات والآيات، وبما أنزل من الكتب والبينات.

وأكرم الرسل والأنبياء وأتباعهم بها ، وأثنى عليهم لما قاموا بها كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَصِيرٌ ﴿٥٣﴾ [الشورى/٥٢-٥٣].

وهي حجة الله على خلقه ، التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه كما قال سبحانه: ﴿ مَن آهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ وَاِخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء/١٥].

فمن هداه الله للإيمان بفضله وله الحمد كما قال أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

ومن أضله الله فبعده له ، فقد أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ومكّنه من أسباب الهداية بما أكرمه به من السمع والبصر والعقل ، ولكنه لا يصلح للهداية ، فلم يقبل الهدى ، فكذب وتولى ، وزاغ وانصرف ، واختار الضلال ، فله العذاب في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت/١٧].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت .

وهو سبحانه الهادي البصير بعباده ، العليم بما في نفوسهم ، الذي يهدي إلى الحق ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به ، ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/١٥-١٦].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق ، ولا يرضى به ، ولا يصلح لمجاورته في الجنة ، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّو يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا نُذِيبُ نَفْسًا عَلَيْهَا حَسْرَتٍ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/٨].

وهو سبحانه الهادي الحق ، الرحيم بعباده ، الذي بين لهم سبل الهداية لیسلكوها ، وبين لهم سبل الضلالة لیتركوها: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/٢-٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي بين للإنسان طريق الخير والشر ، وذكره بنفسه ونعمه عليه ؛ ليوحده ويطيعه ، ويعبده ويشكره: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد/٨-١٠].

فهذا أول الهداية ، وأما متنهاها فلا نهاية له ، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

فسبحان الهادي الحق ، الذي بهدأته اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه ، والذي بهدأته اهتدى الحيوان لما ينفعه ، واتقى ما يضره .

وسبحان الكريم الرحيم الذي ﴿بَجْتِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى/١٣].

واعلم أن الهادي ﷺ يهدي عباده إليه، وإلى الطريق الموصل إليه، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه.

فالله ﷻ هو الحق الممين، الظاهر الباطن، لا خفاء به ، لا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/٨].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام ، وقد أفرغه في قالب العالم ، وصوّره في صور الخليقة، وفطر عليه كل شيء.

فكل مخلوق مستسلم لربه ، خاضع لعظمته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده.

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة ، وأبدى في سورة وآياته ما خبأه في العالم ، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات ، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات ، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ [٤١] لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت/٤١-٤٢].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/٢].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب ، انشرح له الصدر ، وانشرح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله، وانبساطها بأحكامها على أضدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ ۖ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر/٢٢].

فإذا أراد الله أن يبلغ عبده إلى معالي الإيمان واليقين أنزل السكينة في قلبه ، فزاد إيمانه ، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه ، وسكنت مساوي طباعه ، وأذعنت سفال أخلاقه ، وانقادت الجوارح للقلوب ،

وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/٤].

ومن يرد أن يضلّه يطفئ نور قلبه ، فيضيق متسع أخلاقه ، ويسفل بمعالها ، ويمتلئ بضدها ، فيثقل عليه كل عمل صالح ، ويحرج لذلك صدره لشدة ظلمته ، وضيق باطنه ، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والظلمة: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ [الأنعام/١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى مقصوده ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته ، ومعرفة دين القيمة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ۗ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُنُونَكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه ، وصبر على بلائه ، فهو من المهتدين حقاً: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة/١٥٥-١٥٧].

والله عز وجل هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في دنياهم وأخراهم . وأرشدهم إليه بآياته الكونية ، وآياته الشرعية ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فلا مثل له يرشدهم إليه في الدنيا والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الحجّية/٣٦-٣٧].

هو الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه ، وبصّرهم بسبل الفلاح والنجاة ، الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه ، وما يرشدون به فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام/١٥٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي ، الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده ، وفطّرهم على الإيمان به ، وأشهدهم على ربوبيته ، واستعملهم في عبوديته ، من جماد ونبات

وحیوان ، ومن ملك وإنس وجان: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ [مريم/٩٣-٩٥].

كل عالم من المخلوقات يسقيه بكأسه.. وكل عالم يسبح بحمده.. وكل عالم يشهد بتوحيده..
 وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه: ﴿الْمُرْتَاتُ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ
 وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨].

فاطلب العلم رحمك الله لتسلم من الجهل ، وارغب إلى مولاك أن يوفقك إلى أحسن ما يحبه
 ويرضاه.

واعلم أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة ، ونور البصيرة ، ومركب النجاة ، وأصل
 الهداية : ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنِكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/١٩].

فبالعلم يُشرف العبد على مطالع الدنيا والآخرة ، فيرى ما لا يُدرك بالحواس ، ويبصر ما لا
 يُدرك بالأبصار ، ويعلم ما يعجز عنه الفكر ، ولا يتوهمه الذهن ، فيقف بين يدي ربه العلي
 العظيم قائماً وساجداً ، مع الانكسار له ، وشده الحياء منه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا
 وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/٩].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى ، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه
 الخالق الرحمن ، وانشرح قلبه بنور الإيمان الواصل إليه ، وامتلاً صدره من ذلك الضياء .

فشاهد الملك الحق يدبر ، والخالق يخلق ، والمصور يصور ، والرازق يرزق ، والكريم يعطي ،
 والرحيم يرحم ، والحاكم يحكم ، والعزيز يعز ، والجبار ينتقم ، والقوي يقهر ، والسلام يسلم : ﴿هُوَ
 اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

فاعلُ رحمك الله بهمتك لمعرفة المُلْك والملكوت ، ومعرفة مالك الملك ؛ لترى العظمة والعظيم ، والقدرة والقدير ، والعزة والعزير ، والرزق والرزاق ، والحكمة والحكيم : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا حَقَّقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفا له قلبه من كدر الأخلاق، وامتنأ قلبه بشعب الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

ومن رضي بأول العلم ، وظاهر من الأمر ، حُجِبَ عن الإصابة في كثير من أموره ، وبقي على كدره بغير تهذيب ، فخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً يحاسب عليه : ﴿ وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة/ ١٠٢].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حُجْبِ الكبر والغرور ، ولا تبصر عيون الغيب ما دامت محجوبة بالجهل والغفلة ، فتحرر من الهوى ، وتبرأ من حولك وقوتك ، والبس لربك لباس الخشوع ، وأكثر إهمال الدموع ، لعله يعطيك ويهديك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها ، وسُجنت الأذهان في أهوائها ، عاقها عدم الصفو ، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها ، فقعدت على موائد شهواتها ، وأصممتها المشاهدات ، وشغلها هوى المحبوب عن الرب المعبود، فخسرت مولاها وديناها وأخراها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَأْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد كما قال الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۚ ﴾ [الجن/ ١-٢].

والراشدون من البشرهم المؤمنون، وهم درجات، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء، ثم الصديقون،

والشهداء، والعلماء، والصالحون .

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشده، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد، والولاية والمقام، والثواب وإجابة الدعاء، بقدر إيمانه وطاعته وعبادته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الهادي.

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة، وآتاه علماً خرج به من الجهل، وجب عليه ما لم يجب على غيره من حسن العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والنصح لعباده كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم/ ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية، فكن هادياً إليه بلسانك وحالك وأخلاقك.

وكن عبداً سامعاً مطيعاً لمولاك، ولا تقعد إلا متفكراً، ولا تنظر إلا معتبراً، ولا تنطق إلا ذاكراً، أو حامداً، أو مستغفراً، أو معلماً، أو داعياً؛ لتكون ربانياً من أولي الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولاك، ففي الظلم الداجية، توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُدْرَةِ أَعْيُنِ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٦-١٧].

وتطهر للوقوف بين يدي مولاك، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿يَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْأَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ

وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ [المزمل/ ١- ٥].

وتجرد حين وقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعلمه، وكل عمل كنت تحسنه، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

واعلم أن أبواب الهداية مفتوحة ، وسبلها ميسرة ، فتتبع آثار الخالق في مخلوقاته ، واستشهد شواهد في مصنوعاته، وانظر إلى حسن تصويره لمصوّراته ، وتفكر في عظمة كبريائه وقدرته، وحسن تدبيره لملكوته ، ليمتلئ قلبك بتوحيده : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

وبذلك تزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

وتعلم أسماء الله الحسنى ، فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة، وبها تُفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه ، ويُظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره، وعجيب صنعه فيما خلق .

فما خَلَقَ ما خَلَقَ في السموات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى في مخلوقاته ، فلا تكن من الغافلين ، فربك ليس بغافل عنك : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واطلب جميع حوائجك من ربك الصمد ، وارفع إليه كل شكوى ، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وكما هداك ربك إليه، فاجتهد في القيام بين يديه ، وهداية الناس إليه ، وعرفهم بأسمائه وصفاته ؛ ليحبوه ويكبروه ، ويطيعوه ويعبدوه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٣٥﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن ربك الهادي أرشدك إليه ، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه ، فاعمل بما أرشدك إليه ، واحذر مخالفته فإنك راجع إليه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٦﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣٧﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه من كافر تدعوه ، أو جاهل تعلمه ، أو مسترشد ترشده ، تكن من الراشدين : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله، فشق في دنياك وأحراك : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»
أخرجه أبو داود والترمذي (١).

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥) وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
اللهم اهدنا واهدبنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، يا رب العالمين .

المقالة ❖ الصادق

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَةِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام/١٤٦].

الله ﷻ هو الصادق الحق في كل ما يخبر به ، فهو الصادق في قوله الحق .. وهو الصادق في دينه الحق .. وهو الصادق في وعده ووعيده .. وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء/١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم ، ومضاعفة الحسنات لهم ، وتكفير سيئاتهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ويجازي السيئة بمثلها ، ويحطها عن المسيء بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/١١٠].

وهو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً

يُضَعِفُهَا وَيُوتِّمُ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء/٤٠].

والصديق من الناس الكثير الصدق ، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق .

فمن صدق بآيات الله ، وأجال فكره في ملكوت السموات والأرض ، لا يكاد يمر بآية من آيات الله ، أو يرى عجائب مخلوقات الله ، إلا ازداد بها إيماناً ويقيناً وتصديقاً ، بأن ربه هو الإله الحق ، ودينه الحق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ووعدته حق : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد/١٩-٢٠].

واعلم أن الصديق أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ، وثواب الصدق الرضوان والجنة يوم القيامة : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة/١١٩].

والصديق الذي صدق الله في آياته وشواهدة ، وصدق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده ، وصدق برسله وملائكته وكتبه وأحكامه : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر/٣٣].

اللهم اكتبنا مع الصادقين ، وارزقنا الصدق في القول والعمل .

والله ﷻ هو الصادق الحق الذي الصدق كله في معاهد كلماته الصادقة :

في دينه وشرعه .. وفي عهده وميثاقه .. وفي خلقه وأمره .. وفي بسطه وقبضه .. وفي عطائه ومنعه .. وفي نصره وخذلانه .. وفي وعده ووعيده .

خلق الله ﷻ كل شيء ، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته ، وكمال أسمائه وصفاته نواطق على صدقه ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه ، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها ، والذي خلق الصدق في كل صادق ، وأظهر صدقه في جميع ملكوته .

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ ، وصدقت كلمته في ذريته في طبايعهم ، وأخلاقهم ، وأجسامهم ، وصفاتهم وأعمالهم.

فآمن آدم وآمنت ذريته .. وأطاع فأطاعت ذريته .. وصدق فصدق ذريته .. ووجدت ذريته .. ونسي فسيت ذريته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

وخلق الله ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض فيها السهل والحزن ، والأبيض والأسود ، واللين والشديد ، والطيب والخبيث ، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧]. فانظر إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ءَآفَآلٌ بَيِّنَاتٌ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢١].

والأرض عالم كبير ، وخلق عظيم ، لها نسل وذرية من النباتات لا يحصيهم إلا الله العليم بكل شيء.

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته بإذن ربه طيباً كالزروع والزيتون ، والنخل والرمان ، والعنب والموز ، وغير ذلك من الثمار الطيبة ، كان من ذرية آدم الأنبياء والرسل ، والمسلم والمؤمن ، والمحسن والكريم ، والرحيم والشاكر ، والطيب والحليم .

ولما كان من الأرض ما لا يُنبت كالسباح والباقع الجذبة ، ورؤوس الجبال الحجرية ، كان من ذريته ﷻ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى ، كما لا ينتفع الحجر بالماء ، والمجرم والخبيث ، والظالم والفاسق ، والغليظ والكريه .

ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن وريحه طيب، وقد يُطلع القبيح المنظر منها زهراً، وينضج ثمراً، كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى

وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿الحج/٥-٧﴾.

وفي السماء آيات .. وفي الأرض آيات .. وفي الأنفس آيات .. وفي الآفاق آيات.

فانظر في ملك الله الواسع العظيم ؛ لتزداد إيماناً و يقيناً ومعرفة بربك العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴿ق/٦-٨﴾.

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته ، والأرض ونباتها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴿الأنعام/١١٥﴾.

فلا إله إلا الله كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحدانية الله، وعظمة أسمائه وصفاته، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر مع أنها أبين وأظهر من نور الشمس : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴿الحج/٤٦﴾.

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليقته ، وتدابير أمره في السموات والأرض مما لا تحيط به العقول ، وتقتصر دونه الأعمار والقرون: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴿الأنعام/١٠٢-١٠٣﴾.

فسبحان الصادق الحق الذي لا يُكذَّب صادقاً ، ولا يصدق كاذباً، الذي من صدق الله في طلبه ، صدقه في وعده.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الصادق.

اعلم رحمك الله ، وجعلك من الصادقين ، أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العليا التي لا تنفك عنه أبداً.

فهو الصادق حقاً في خبره وأمره ، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه ، صادقات من كل جهة.

ورسله صادقون .. وملائكته صادقون .. وكتابه صادق كما أنزله .. ورسوله صادق بما بينه :
﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن/٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله ، في إيمانك وأعمالك ، تكتب من
الصادقين : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا﴾ [الإسراء/٨٠].

واعلم أن الصدق من الصفات العليا الرفيعة ، والحلي الثمينة الغالية ، والألبسة الجميلة
الفاخرة ، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك .

واعلم أن باب الصدق التقوى ، فادخل منه تجد الصدق ، وتكن من الصادقين : ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/١١٩].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها ، فافتح به ما تشاء من أبواب الخير ، يرضى الله عنك ،
ويكتبك مع الصديقين : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر/٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» متفق عليه ^(١).

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح ، أو باطنة في
القلب ، فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ، ومتابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم في أدائه ، وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ،
وصدق النية في التقوى ، والحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، مع الخوف والرجاء ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ أَحَدًا﴾ [الكهف/١١٠].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

وإياك والكذب ، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/ ٣٢].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة ، فالبسبه في جميع أحوالك ، وجاهد نفسك عليه ، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقي ربه ؛ ليعلو إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والطاعة لله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء/ ٦٩] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل ، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة .

فالصديق يصحب النبي في نبوته .. والرسول في رسالته .. والصديق في صديقته .. والتقي في تقواه .. والرحيم في رحمته .. والمؤمن في إيمانه .. والكريم في إكرامه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يوصله إلى اليقين ، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله ، وصدق التوكل يورثه الغنى عما سوى الله ، والرضا عن ربه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره وإخلاصه ، وإيمانه ويقينه ، وحيائه وطمأنينته ، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه ، لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له .

وإذا دخلت العزيمة في القلب ، ارتحل منه حب الدنيا ، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة ، وبذل كل شيء من أجل رضاه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق ، فهداهم إليه ، وإلى ما يحب ، وجعلهم من الصادقين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق صار صديقاً ، فرأى بصره وبصيرته نور الهداية ، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق ، وبدت له فتوحات الحق ، ورأى الخالق يخلق ويرزق ، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده ، وذاق طعم الأذكار ، وحلاوة الإيمان ، وصدق اليقين ، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/٣٥].

واعلم أن أول الصديقية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وتصديق رسل الله وكتبه ، والعمل بما جاء عن الله ورسوله ، وترك ما سوى ذلك: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد/١٩].

ونقيض الصديقية الزندقة ، وهي كالشرك مع الإخلاص ، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/٣٢].

وأول الزندقة الكفر بالله ، وجحد ما لله من الأسماء والصفات ، والطعن في النبوة ، ورد ما جاءت به الرسل ، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر ، وعقوبته أشد أنواع العذاب: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [١٤٥] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/١٤٥-١٤٦].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ ، ومعرفة دينه ، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ ، فهو زنديق عدو لله ، قد مكر الشيطان به ، وأضله عن سواء السبيل بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله ، وعلمه حجة عليه: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُورِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصِّلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء/١١٥].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنيد الشواغل ، وبذل المجهود في طلب المقصود ، على سبيل الحق المشروع ، ومن أسرع سبق ونجا ، ومن تأخر خسر وأسره عدوه ، ومن أخلص لله ما يحبه ، خلصه مما يضره .

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين ، تكن من المفلحين : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج/٧٧-٧٨].

واعلم أن خشوع الجوارح من خشوع القلب ، وسيرى على الوجوه ما تضره القلوب ، وفضول اللسان من فضول القلب ، وميزان ذلك الصدق .

ومع العزم يكون العون ، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان .

والصدق أعلى الدرجات ، والكذب أسفل الدرجات ، وكلاهما مسئول عن حقيقته ، وجزاء العبد بحسبه : ﴿ لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿٨﴾ [الأحزاب/٨].

فعليك بالصدق في المواطن كلها ، واصبر على ما أصابك ، تسلم وتغنم وتؤجر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [الحشر/٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ ، أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأكملها صدقاً وبذلاً وتضحية : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأحزاب/٢٣].

فاسأل الله أن يرزقك الصدق ؛ لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم ، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك تفوز بمرضاة ربك مع الصادقين : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ

عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَجَّوْا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
[الأحقاف/١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾
[الإسراء/٨٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم إنا نسألك نفوساً مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وتقنع بعبائك ، وترضى بقضائك ، وتصبر على بلائك.

اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، ويقيناً صادقاً تملأ به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

المقالة ١٧٧ . الوارث

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر/٢٣].

الله ﷻ هو الوارث الحق ، الباقي بعد فناء الخلق ، الوارث الذي يستردهم ويسترد أملاكهم وأموالهم بعد موتهم .

وهو سبحانه خالق الخلق، ومالك الملك، الذي يتصرف في البقاع والأموال كيف شاء، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿ إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف/١٢٨].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت، وارث الخلق أجمعين، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم/٤٠].

فسبحان الوارث الباقي بعد فناء الخلائق ، الحي الذي لا يموت ، الذي له ميراث السموات والأرض ، الوارث لكل مالك وما ملك : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران/١٨٠].

واعلم أن الملك الحق ﷻ صادق الوعد ، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٥].

ووعده عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۝٦١ لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ ﴾ [مريم/ ٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الوارث الباقي بعد فناء الخلق، وكل ما سواه فان زائل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٦٤ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٦٥ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

إليه ﷻ المرجع والمنتهى ، وإليه المال والمصير ، وإليه يُرجع الأمر كله ، الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعبيد ، والخلق أجمعين ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝٢٣ ﴾ [الحجر/ ٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله ، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين ، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه وأعداء رسله وعباده المؤمنين ، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضَعِفُونَ مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَنَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝١٣٧ ﴾ [الأعراف/ ١٣٧].

فسبحان من يؤتي الملك هذا ، وينزعه من هذا ، بأمر واحد ، ووقت واحد: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦٦ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً ، يورث المؤمنين ديار الكافرين ؛ لأنه القادر على كل شيء ، الوارث لكل شيء.

هو القوي العزيز الذي يُمكن لأوليائه في الأرض، ويكفيهم شر أعدائهم ، ويدافع عنهم، ويورثهم ملكهم ، بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا

تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦١﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴿الأحزاب/ ٢٦-٢٧﴾.

واعلم أن الله كريم رحيم، ودينه وكتابه كريم، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح، يورثه من اصطفاهم لعبادته، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر/ ٢٢-٢٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الوارث:

اعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو الملك الحق، الذي بيده مقاليد الأمور، وله خزائن السموات والأرض، يورث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه.

فأسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والعمل بطاعته، والكف عن معصيته، وأن يجعل ذلك في ذريتك كما سأله زكريا ﷺ فأجابه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً مع الوارثين، الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم، وحسن صفاتهم، وعبادة ربهم، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى خلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

وإذا ورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله وصفاته ودينه، فعلمه عباده تكن ربانياً من

ورثة الأنبياء، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ
 وافر يستفيد منه ويفيد غيره: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ
 لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
 تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) [آل عمران/٧٩].

واعلم أن جميع الأقوال والأعمال موروثه ومحاسب عليها، فأحسن أقوالك وأعمالك
 وأخلاقك ، وأخلصها لربك ، يسرك ما فعلته يوم تلقاه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
 لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٦) ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٨) [الزلزلة/٦-٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران/٨].

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ
 وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) [البقرة/١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي
 آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ
 شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا ذا العرش المجيد ، يا وارث كل وارث ، يا غافر
 الذنب ، يا قابل التوب ، لا إله إلا أنت .

أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، واختم بالصالحات
 أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا ، إنك أنت أرحم الراحمين .

وهذا آخر الأسماء الحسنی الواردة في القرآن ، يليه الأسماء الواردة في السنة الصحيحة ، وأولها
 اسم الوتر .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

المقطع ٠١ ، ٦٧ الوتر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر» متفق عليه^(١).

الله جل جلاله هو الوتر الحق، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا أحد مثله.

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/٣].

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الذي ليس كمثل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١
اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/١-٤].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك، والخلق، والأمر، والتصريف، والتدبير، وحده لا شريك له، وتفرد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، تفرد وحده بخلق المجتمعات والمتفرقات، والعلويات والسفليات، الذي يُسِيلُ الجامدات، ويُجمد السائلات، ويحرك الساكنات، وَيُسَكِّنُ المتحركات ، ويجمع بين المتضادات ، ويؤلف بين المختلفات ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الوتر الملك الحق ، الذي وسم جميع المخلوقات بسمة الحدث والصنع ، والعجز والفقر، وانفرد عنها ﴿بِصِفَاتِ السَّلَامِ وَالْكَمَالِ ، وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

انفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك.. وبالربوبية دون المربوب.. وبالألوهية دون الواله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه.. وأفرد الكافرين بإهانتة .. وأفرد كل ذي شكل بشكله.. وكل ذي صورة بصورته.. وكل ذي لون بلونه.. وكل ذي طعم بطعمه.. وكل ذي سمع بسمعه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر، وخلق كل شفع، ومخلوقاته كلها شفع ووتر.

السماء والأرض.. والليل والنهار.. والشمس والقمر.. والذكر والأنثى .. واليابس والرطب .. والخير والشر .. والنور والظلام: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَبَتَّ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يس/ ٣٦].

وهو سبحانه الوتر الذي يحب الوتر ، ويأمر به في كثير من الأقوال والأعمال والطاعات التي شرعها ، في الأذكار، والصلوات الخمس ، ووتر الليل ، والطهارة وغير ذلك.

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْثِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَثِرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ » أخرجه أبو داود والترمذي ^(١).

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثل له ، ولا شريك في أسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات ، وتدبير جميع الكائنات : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

● التبعيد لله عز وجل باسمه الوتر :

اعلم رحمك الله أن الله وحده هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی ، والذي تفرد بالخلق والأمر ، والعطاء والمنع ، والبسط والقبض : ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ أَلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكما خلقك الله ورزقك ، وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد ، وأفردك بذلك كله ، ولم يشرك معك أحداً ، فأفرد به بالتوحيد والعبادة ، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة ، وأخلاق كريمة ، وأشكره على نعمه التي أنعم بها عليك : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

وكما تفرد عز وجل بالعظمة والخلق ، والعزة والكبرياء ، والجلال والجبروت ، فأفرد به وحده بالذلة والخضوع ، والحب والتعظيم ، والخوف والرجاء ، والتوكل والاستعانة ، وسائر أنواع العبادة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٢١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً ، سليماً من أي

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٥٣).

عيب أو نقص ، خالصاً من كل كدرٍ ونكد ، فصل لك بعضه ، وأجمل لك جُلّه ؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه ، ولا تبلغ آمالهم إلى بعضه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان والطاعات بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهَاتٍ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥].

وأفرد ﷻ لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً ، عارياً من أقل راحة ، مسلوباً من أي نعمة ، لا يحيط به علم أحد ، ولا يقوم لأدناه صبر أحد: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء أفرد لك زوجين : نعيم وعذاب ، لزوجين : طاعة ومعصية ، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها ، فأفرد له الطاعة ، يفرد لك النعيم: ﴿ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَعدِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح/ ١٧].

وأفرد لك سبحانه الحق من الباطل ، والخير من الشر ، فأفرده بفعل الحق والخير ، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر ، فافهم واعمل ، تفوز وتسلم: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ الْقَيِّمَةُ ﴾ [البينة/ ٥].

فلا تُوجه عملك لسواه فتخسر نفسك وعملك ، ودينك وأخراك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة/ ٧٢].

واختم أعمالك بالوتر حسب الشرع ؛ لما علمته من بركة الوتر ، وحب الله له : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود/ ١١٢].

وإذا أحب الله عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه ، وأحب العامل به ، فاطلبه واعمل به : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [١١٥] [هود/ ١١٤-١١٥].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له ، أو لم يشرعه الله ورسوله ، فيرده عليك : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [١١٠] [الكهف/ ١١٠].

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [١١٩] [التوبة/ ١٢٩].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] [الأنبياء/ ٨٧].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». متفق عليه (١).

اللهم أنت الملك لا إله غيرك ، ولا رب سواك ، أنت الواحد لا شريك له ، الأحد لا شبيه لك ، الوتر لا مثيل لك ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تُعصى إلا بعلمك ، تُطاع فتشكر ، وتُعصى فتغفر ، فلا إله إلا أنت .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

المقالة ١١١ . السبوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ » أخرجه مسلم (١).

الله ﷻ هو السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء ، البريء من النقائص والآفات والعيوب، المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه ، وكل ما لا يليق بجلاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات ، الذي سبحانه الوجود كله ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وسبَّحه خلقه بمحامده وثنائه : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان الملك القدوس ، الذي يقدهه ويسبح بحمده كل من في العالم العلوي ، وكل من في العالم السفلي ، في جميع الأوقات ، بمختلف اللغات ، وأنواع الأصوات : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧) .

وسبحان من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، السبوح القدوس الذي ليس له مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص ، الملك الحق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى/١١].

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه ، وبحمده أسبحة وأنزهه عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر ، وآفات المحدث ، وكل ما يستحيل عليه ولا يليق بجلاله : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/٢٣-٢٤].

وأسبحة بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة/١].

فما أعظم تسييح الرب ﷻ ، وما أيسر أداءه ، وما أعظم ثوابه.

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه^(١).

• التبعيد لله ﷻ باسمه السبوح :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله ، والتحميد كله ، والتسييح كله ، والتعظيم كله ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته فسبحه بها ، وادعه بها ، ونزهه عن أضدادها. سبح بحمد ربك العظيم ، الذي له العزة والعظمة والكبرياء والجبروت ، وله الخلق والأمر

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢)، ومسلم برقم (٢٦٩٤).

في الملك والملكوت: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/٨٢-٨٣].

وسبح ربك الأعلى بالقول والفعل ، واملأ الكون بتسبيحه وحمده ، كما ملأه لك بفضلته ورزقه :
﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ
غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ [الأعلى/١-٥].

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسيح حقيقة التسييح حتى يتنزّه عن الأوصاف الذميمة ،
فينزه نفسه عن الشهوات المحرمة ، ومطعمه من الحرام، وأعماله من الرياء، ولسانه عن
القيح، وقلبه عن النفاق والرياء ، وسيء الأخلاق.

وإذا صفت نفسك وأعمالك من كل سيء ومذموم فقد وصلت: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ
السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/٩٨-٩٩].

فأرسل التحميد والتمجيد ، والتكبير والتسبيح ، لربك العظيم في كل حين، فإنه لا
يستحق ذلك إلا الواحد الأحد، الذي شهدت الكائنات بعظمته، وملأ الكون بنعمه،
وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/٤٤].
أرسل لربك التحميد مرة مفرداً ، ومرة مقروناً بالتسبيح.

فالمفرد مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
[الفاتحة/٢-٤].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ
فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [فاطر/١].

و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
مَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ [الكهف/١-٢].

و«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ، أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ». متفق عليه^(١).

والمقرون بالتسبيح مثل: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ) أخرجه مسلم^(٢).

و«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم، وما أجزل ثواب ذلك، وما أنفعه للعبد:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر/٣].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أخرجه مسلم^(٤).

وتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينه الإيمان حسن، لكنه ليس كتسبيح صادر عن قلب سابع في بحار عوالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١١٠] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فسبحان الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، وتسبح بحمده السموات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩٦) ومسلم برقم (٤٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥) والترمذي برقم (٢٤٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

واعلم أن الناس في معرفة تسييح المخلوقات من الجمادات والنباتات والحيوانات درجات:

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن.

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد لبارئها، وهذه يعلمها أولو الأبواب.

وللكائنات تسييح باطن يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وقد يُسمع الجبار ﷺ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ تَسْبِيحَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَمَا أَسْمَعَ دَاوُدَ ﷺ تَسْبِيحَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء/ ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطلق الطير والنمل، وكما أسمع محمداً ﷺ حنين الجذع في المسجد، وشكوى الجمل، وتكليم ذراع الشاة له، وسلام الحجر عليه بمكة وغير ذلك.

فسبحان الرب المعبود بكل مكان، الذي يسبح بحمده كل لسان، سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه، إليه نسعى ونحفد، وله نصلي ونسجد.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وحزبك المفلحين، مع الملائكة المقربين المسبحين الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٠].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير، المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب، هو الحي القيوم المنزه عن السنّة والنوم والموت، القائم على كل نفس، هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم.

هو الرحمن المنزه عن الظلم والقسوة.. وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى/ ١١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) [الأنبياء/ ٨٧].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فِيمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه^(١).

اللهم لك الملك كله ، ولك الخلق كله ، ولك الحكم كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، وأنت القوي ونحن الضعفاء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

الطيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» أخرجه مسلم^(١).

الله صلى الله عليه وسلم هو الطيب ، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب ، من الاعتقاد والقول والعمل والخلق ، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص ، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة التي يطيب بها العبد: ﴿وَهُدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج/ ٢٤].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء .. وصفاته أطيب الصفات .. وأفعاله أطيب الأفعال .. وكلامه أطيب الكلام .. ودينه أطيب الأديان .

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيباً، وطيبه أن يكون خالصاً لله وحده، على ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَجِدْ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب ، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ
بُور ﴿١٠﴾ [فاطر/ ١٠].

ودينه الحق كله طيب في عقائده ، وأحكامه ، وآدابه ، وسننه ، وشرائعه .

فعقائده هي الإيمان وأركانها التي تطيب بها النفوس وتزكوا ، وتطمئن بها القلوب: ﴿ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا
والآخرة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ
اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب ، قلبه ولسانه وجوارحه ، بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان، وبما
ظهر على لسانه من الذكر والحمد والتسبيح والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من
الطهارة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .

ولما طاب المؤمن في هذه الدار ، أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ
الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه ، وطاب لسانه بذكره ، وطابت
جوارحه بالعمل الصالح ، أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة ؛ لأنها الدار الطيبة
التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى
إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [٧٣]
[الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا ، والجنة في
الآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان :

دار الطيب المحض وهي الجنة: وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث ، وهم المؤمنون الكمل ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ودار الخبث المحض وهي النار: وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه وهم الكفار والمشركون والمنافقون ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده .

ومن معه طيب وخبث وهم عصاة المسلمين ، فهؤلاء من دخلها منهم عذب بقدر ذنوبه ثم أخرج إلى الجنة .

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً ، وأهلها مخلدون فيهما أبداً .

الجنة دار الطيب المحض .. والنار دار الخبث المحض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١٤) [النساء/ ١٣-١٤] .

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه، وهو ما سلم من الخبث كله، وجمع الطيب كله .

والطيب قريب من معنى الطهارة ، وفي الطيب معنى زائد على الطهارة ، فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيء زائد على الطهارة، وهو في الشم طيباً، وفي الأفعال جودة وحسناً .

فالأعمال الصالحة متى ألفت بفاعلها رجساً طهرته، وإن لم تجد ما منه تطهره طيبته ؛ ليلقى ربه طاهراً طيباً : ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢) [النحل/ ٣٢] .

و ضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خبث كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ الشيطان من أحدنا ، يطهر بالإيمان ، ويطيب ويزكو بالتقوى ، كما يطهر خبث الحديد بالنار ، فطهر نفسك منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣٣) [البقرة/ ٢٢٢] .

واعلم أن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزيه ويزيده ، ليزداد الإنسان خبثاً بعد خبث ، ورجساً بعد رجس بالشرك والكفر ، والكذب والكبر ، والحسد والحقد، والبخل والطمع وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر/ ٦].

وعن صفة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج معها ، فلقية رجلان من الأنصار فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمْ شَيْئًا ». متفق عليه^(١).
واعلم أن من أَرَادَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَسِّرُ لَهُ أَسْبَابَ الْهُدَايَةِ ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الْمَعْرِفَةِ ، وَنَقَلَ مِنَ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَمِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ ، وَمِنَ الْمَعَاصِي إِلَى الطَّاعَاتِ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه :

فيجعل كبره على أعداء الدين .. وحرصه على طاعة ربه .. وإيائه عن معاصيه .. ويطشه بمن أصر على الكفر .. وحسده على الخير والحكمة وبذل النفس والمال في ذات الله.

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات ، ليحييه بذلك حياة طيبة ، ويزيل عنه خبث باطنه ، ورجس أعماله الظاهرة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٢١].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته ، الطيب القدوس في جميع أسمائه وصفاته ، الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَانُونٌ ﴾ [٣١] وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٥).

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الملك القدوس، الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه ، كمن هو مجبور لا غناء به ! ومن هو كبير لم يزل ، كمن هو حقير لم يكن ! أيستوي الملك والمملوك ! والخالق والمخلوق ! والرازق والمرزوق ! : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

الكل أبان بجبروته ﷻ ، وأخبر بدوام ملكوته، وشهد بوحدانيته.

والكل يسبح بحمده لطهارة قدسه ، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة/ ١].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الطيب :

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنى، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى ، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم ، وموجب تلك الصفة ، بما يرضي ربه عنه .

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته ، فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له ، والتعبّد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاجهد نفسك أيها المؤمن في العلم بأسماء الله وصفاته ، واستعمل نفسك بمقتضاها.

فإذا ذكرت الرحمن ، فتذكر ماذا عندك من الرحمة؟ وكم رحمت من الخلق؟ وتعبّد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض ، يرحمك من في السماء.

وإذا ذكرت العليم ، فتذكر ماذا عندك من العلم ، وكم علّمت من الخلق من شريعة الله ، وتعبّد لله بصفة العلم يورثك التقوى والخشوع له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

ونزّه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكّها بكل عمل صالح وخلق حسن.

ومن أعظم التزكي العمل بطاعة مولاك الحق، لتزكى بذلك عنده، وتقرب منه: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر/١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودة وحسنا، والنهوض إلى الخيرات صعوداً بكل عمل طيب زكي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/١٤-١٥].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خير ورحمة وإحسان، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه.

فاجتهد على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب، من ذكرٍ وشكر، وحسن عبادة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق.

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسنى إلا ببذل كل طيب، من الأوقات والأموال، والأقوال والأعمال، في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ ۗ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/٩٢].

واعلم أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء.

فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرك رؤيته: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل/٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خُلُق في القرآن محمود يفعله، وكل خُلُق في القرآن مذموم

يحذره: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل/ ٨٩].

واعلم أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب ؛ لأنه تركيب في الخلقة ، فاسأل الله أن يطهر قلبك منه: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأَنْعَامُ/ ١٢٥].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داء إلا جعل له دواء، ولا أغلق غَلَقًا إلا وجعل له مفتاحًا.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم ^(١).

ومفتاح هذا الغَلَق ، ودواء هذا الداء ، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله ويبدله بخير منه، والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليستوكل المؤمنون ﴾ [التغابن/ ١٣].

وقُطِبَ ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس وما يجب عليها، ومخالفة الهوى ، ولزوم الطاعات ، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع الآثام والفواحش: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحيّن وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقف بين يديه بجلال الاضطرار: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

وابك على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم/٥٨].

واعتذر إليه من عجزك، فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج، مع لزوم الدعاء.

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته، ولا حرما كريم إجابهته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/١٨٦].

﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح/٢٨].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء/٨٠].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَحْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْعُرُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم^(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

اللهم أحيينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين، يا رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

المقال . الجميل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم ^(١).

الله تعالى هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة:
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته تعالى أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره ، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء .

عن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتَهُ » أخرجه مسلم ^(٢).

وهو سبحانه الجميل الحق الذي لا ينتهى لجماله ، الجميل الذي لا أجمل منه ، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه ، الجميل المحسن إلى عباده

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

بكل جميل ، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ ذَلِكْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

جَمَلُ الأَرْضِ بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنَ المِيَاهِ ، وَالنَّبَاتِ ، وَالأَزْهَارِ ، وَالثَّمَارِ ، وَالجِبَالِ ، وَالشَّجَرِ وَالدُّوَابِ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف/ ٧].

وَجَمَلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ وَالمَصَابِيحِ ، وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ٥].

وَجَمَلُ القُلُوبِ بِالتَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ ، وَجَمَلُ الأَجْسَادِ بِالطَّاعَاتِ وَالأَخْلَاقِ: ﴿ وَعَلَّمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِذِ ابْتَدَأَ بِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فَسَبْحَانِ مِنَ خَلْقِ الإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ جَمَلَهُ بِالدِّينِ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤-٦].

وَهُوَ سَبْحَانَهُ الْجَمِيلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ لِدَاتِهِ ، وَيُحَبُّ لِدَاتِهِ ، وَيُحْمَدُ لِدَاتِهِ: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ حَسَنَ أَسْمَائِهِ ، وَعَلُو صِفَاتِهِ ، وَجَمَالَ أَعْمَالِهِ ، وَإِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَعَفْوَهُ وَبِرَّهُ ، وَرَحْمَتَهُ وَحِلْمَهُ: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وَهُوَ سَبْحَانَهُ الْجَمِيلِ المَحْمُودِ عَلَى حَسَنِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَحْمَادُ فِي الأُولَى وَالأَآخِرَةِ وَهُوَ الأَحْكَمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفصص/ ٧٠].

فَكُلُّ جَمَالٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَةِ فَمِنْ آثَارِ صِنْعِهِ وَجَمَالِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ بِالجَلالِ وَالجَمالِ مِنَ أَعزِّ أنواعِ المَعْرِفَةِ ، وَأَعْظَمِهَا شَأْنًا: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجمال كله، وله الإحسان كله، وله الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السنيّ البهيّ يراه المؤمنون في الجنة، فيرون حسناً لا يتوهم وصفه، وجمالاً لا يقدر قدره، ينسون معه كل جميل ونعيم: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون به جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه، وعلى أسمائه الحسنی، وصفاته العلی.

فيكشف قلوبهم مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب فتخضع وتخضع، وتخر وتبكي، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية، وآياته الشرعية ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعَدْرُنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

اتصف ﷺ بأحسن الأسماء والصفات والأفعال، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة.

أوجد الخير كله.. وتنزه عن الشر كله.. وتجميل بالحسن كله.

أوجد الشر كله لا لنفسه، بل لعله الابتلاء: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه؛ لأن ذلك كله منه، وهو يحبه ويرضاه، سواء كان في الذوات أو الأفعال؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل، ويأمر بكل جميل، ويشيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه/ ٧٥].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضدًا من القبيح، ليس لكماله وجماله، بل لتمييز به الحسن من القبيح، والمحمود من المذموم، وليدل به على قدرته ﷻ في خلق المتضادات

كالخير والشر ، والحسن والقيبح ، والجنة والنار ، والأبرار والفجار : ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٥﴾ [النور/ ٤٥].

واعلم أن ما خلقه الله من الجمال ، وما وهب لعباده منه قسما:

جمال ظاهر.. وجمال باطن.

فالباطن منه: أعظمه التوحيد والإيمان والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، وحسن الخلق ، ومعرفة الحق ، وما يدل عليه ويشهد له.

والظاهر: الطاعات لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها من صلاة وزكاة ونحوهما.

فما صرفه العبد فيها على وجهه الشرعي فهو جمال وحسن وزينة عند الله عز وجل، يقبله ويشيب عليه بأحسن منه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [يونس/ ٢٦].

ومن ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الدنيا: ﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ ﴿١٤﴾ [آل عمران/ ١٤].

فسبحان جميل الأفعال بعباده ، يطعمهم ويستقيهم ، ويرزقهم ويعافهم ، ويكلفهم باليسير من العمل ويعين عليه ، ويشيب عليه بأفضل منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقد خلق الله البشر متفاوتين في الحسن ، والجمال ، والأعمال ، والأخلاق.

فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن ، فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وكان خلقه القرآن ، يتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه ، ويدعو إلى

فضائله، ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/٤].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مَخِيلَة، ولا بطر ولا كبر. فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات من آثار جماله.

جَمَل السماء بالنجوم .. وجمَل الأرض بالنبات .. وجمَل الجو بالهواء .. وجمَل الشمس بالضياء .. وجمَل القمر بالنور .. وجمَل الملائكة بالطاعات.

وجمَل القلوب بالإيمان .. وجمَل الجوارح بالأعمال الصالحة .. وجمَل الدنيا بالدين .. وجمَل الآخرة بالجنة .. وجمَل الجنة بكل جميل ونعيم.

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/١٧].

فسبحان الجميل الذي جمَل الجنة برؤية وجهه الكريم ، الذي إليه منتهى الكمال والجلال والجمال: ﴿وَجُوهٌ يُّومِئِدٍ تَأْخِذُهَا نَارٌ وَإِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة/٢٢-٢٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» متفق عليه^(١).

• التبعيد لله تعالى باسمه الجميل:

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجمال والحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق هو ما رضيه الله وحسنه لا غير.

فاعمل عليه، وخذ نفسك باجتنب ضده: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ» متفق عليه^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥١).

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهراً وباطناً.
فتزين لربك بالإيمان والطاعات ، وحسن اللباس والطيب.

والناس في التجميل الظاهر ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ حَسَّن ثوبه ، وَرَجَّل شعره ، وَطَيَّب ريحه ، وَنَظَّف بدنه ، وَتَجَمَّل بذلك باقتصاد لربه الجميل ﷺ ، وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم ، وعليها درج الكثير من الصحابة والتابعين.

ومنهم من لزم البذاذة والشعث ، واحتمل التفت في الهيئة إلا ما أقام به السنة ولو وجد حلالاً ؛ زهداً في التنعم ، وإيثاراً لشطف العيش ، حتى لا يشغله التنعم عن ربه، وهذه طريقة الخائفين الذين قَدَّموا كل شيء إلى الآخرة ، وعلى ذلك دَرَج الخلفاء الراشدون ، وكثير من الصحابة والتابعين.

ومنهم من يتقلب بين هذا وهذا ، إذا وجد تنعم ، وإذا فقد احتمل ، وهذه كانت سنة إمام المتقين ، وطريقة سيد المرسلين.

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة.. ويلبس الرداء الغليظ تارة.

وكان يأكل اللحم تارة.. ويأكل العصيدة تارة.. ويجوع مرة.. ويشبع مرة.. لا يتكلف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له.

وقد آتاه الله من التقى ، وحسن الخلق ، وحسن السمة ، ما لا تبطره به النعمة ، ولا يقعه الفقر عن العمل لربه .

فَسَنَّ لَنَا ﷺ بفعله الطرق الثلاث ، والفوز والنجاة بالاعتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربه ، وفيما بينه وبين خلقه ، وتلك حقيقة الزينة والحسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

وَرِضْوَاتٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
 بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران/ ١٥-١٧].

فجمل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك ، تجد ثوابه يوم القيامة حُسن الوجوه ، وحسن
 النعيم ، وغاية الجمال ، فالمؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم
 وأعمالهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً» متفق عليه ^(١).

والكفار يصورهم ربهم على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ
 سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيُرْتَهُمُ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [يونس/ ٢٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال ، فتجمل له بما يحبه ويرضاه.

واعرف جماله بأسمائه وصفاته الذي لا يماثله أحد ، وكن كريماً يحبك الكريم ، جميلاً
 يحبك الجميل ، عفواً يحبك العفو ، وتعبد لربك بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی: ﴿وَلِلَّهِ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

جَمِّلْ لِسَانَكَ بِالصِّدْقِ ، وَجَمِّلْ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ ،
 وَجَمِّلْ جَوَارِحَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَمِّلْ بَدَنَكَ بِالنِّظَافَةِ وَحَسَنِ اللَّبَاسِ ، وَتَجَمَّلْ لِمَنْ
 خَلَقَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، بِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أخرجه مسلم ^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه ، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه ، وذلك من شكره على نعمه ، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به .

واعلم أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالزينة والطيب واللباس ، والجمال الباطن بالإيمان ، وشكر المنعم ، والتقوى ، فتجمل بذلك كله : ﴿ يَبْتِئِ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر/ ١٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا من يملك الجمال كله ، وييده الأمر كله ، زين قلوبنا بالإيمان واليقين ، وجمل ألسنتنا بذكرك وشكرك ، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك ، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح .

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة ، يا واسع المغفرة ، يا واسع العلم ، يا سامع كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا واسع الفضل ، أسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أكرم الأكرمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

النور

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

وعن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أتى أراه» أخرجه مسلم^(١).
الله ﷻ هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهراً وباطناً، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة:
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي بَصَّرَ الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].
وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه؛ لعظمة نوره وكبريائه وعظمته.

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تَبَدَّى لها: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

تَرَنِّيَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف/١٤٣].

فسبحان النور الذي نُور السموات العلى كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض من نوره، بل نور العرش والكرسي وجميع الجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس والقمر والكواكب، بل « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم^(١).

وهو سبحانه النور الحق الذي نُور قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته بأنوار معرفته بأسمائه وصفاته ، وأنوار محبته، حتى امتلأت قلوبهم بالأنوار المتنوعة ، والعلوم النافعة ، وخرت خاشعة لعظمة ربها ، ونور جلاله وجماله: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/١].

فسبحان من تعرّف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تحصى ، ليعبده وحده ، ويعرضوا عما سواه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/١٠٢].

فمعاني العظمة والجبروت والجلال والكبرياء ، والقوة والقهر ، تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الهيبة والتعظيم والإجلال للجبار عز وجل.

ومعاني الجمال والبر والإحسان والإكرام تملأ قلوبهم بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى.

ومعاني اللطف والرفقة والرحمة تملأ قلوبهم بأنوار الحب والحمد والشكر للمولى عز وجل.

ومعاني العلم والإحاطة والشهادة والمراقبة والقرب تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم وطاعته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان .

وجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى تملأ القلوب بأنوار التعظيم والحب ، وحسن التعبد

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

الله ، والتعلق التام بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
 اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واعلم أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور التوحيد والإيمان واليقين فاض على الوجه فاستنار الوجه ،
 واطمأن القلب ، وانقادت الجوارح لطاعة الله ، وقيدها هذا النور عن معصية الله : ﴿ فَتَامِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِينَ وَمَنْ
 يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن / ٨-٩].

فسبحان النور الحق ، الذي أسماؤه وصفاته كلها نور ، وكتبه كلها نور ، ورسله كلهم نور ،
 ودينه نور ، ودار كرامته نور : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ
 الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد / ١٢].

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار ، كذلك يتفاضلون في
 الآخرة في رؤيتهم ربهم ﷻ بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : « إِنَّكُمْ
 سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن النور قسمان :

نور ظاهر.. ونور باطن.

فالباطن إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح ، واتسع فاتسع العلم ، وحصل اليقين ، وزاد
 الإشراق ، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات.

وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

فالله ﷻ نور.. والقرآن نور.. ورسوله نور.. وآيات الله الكونية والشرعية كلها نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حلَّ نوره ﷻ بمكان طرد عنه كل الظلمات ، وأبعد عنه الكُدرة ، فإن كان الجسم صقيلاً أشرق وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧].

واعلم أن الحكيم ﷻ لما أنزل الحق جعل ضده الباطل ، ولما أوجد النور أوجد الظلام ، فإذا جاء الحق زهق الباطل ، وإذا جاء النور طرد الظلام : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وقد خلق الله ﷻ الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب.

فخلق سبحانه الجان من نار السموم ، وخلق آدم من تراب : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُورِ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَّارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » أخرجه مسلم^(١).

وإبليس من الجان ، أضله الله من بينهم ولعنه حين استكبر وكفر بالله ، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته : ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما أطفه في تدبيره.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

مَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنْ خَالصِ النُّورِ وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ جَعَلَهُ اللهُ خَيْرًا كُلَّهُ ، يَعْمَلُ بِالْخَيْرِ ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَعِينُ عَلَى الْخَيْرِ: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [١٩]

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/١٩-٢٠].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ النَّارِ وَهَمَّ الْجَانُ جَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ عِقَابٌ مِنْ كُفْرٍ وَكَذِبِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إبليس وذريته وأتباعه يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [٦] [فاطر/٦].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الْمَمْتَزَجِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ مِنْ مَاءٍ وَتَرَابٍ جَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَمزُوجَةً إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ.

فمنهم المؤمن والكافر.. والبر والفاجر.. والكريم والبخيل.. والسعيد والشقي.

وأعمالهم ممزوجة بالخير والشر، والحسنات والسيئات، وما لهم يوم القيامة بحسب أعمالهم: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [٧] [الشورى/٧].

ولو شاء الله لهداهم أجمعين ، وجعلهم أمة واحدة ، لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام ، ليبين للمعتبرين عظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته ، وأصناف مخلوقاته ، وحكم الأحكام وفضلها على الإضاعة والفوضى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٤٩] [الأنعام/١٤٩].

فسبحان الملك الحق ، الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو:

من ليل ونهار.. ونور وظلام.. وحر وبرد.. وحياة وموت.. وأمن وخوف.. وذكر وأنثى.. وخير وشر.. وشقي وسعيد: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤٩] [الذاريات/٤٩].

أما النور الظاهر فما جعله الله في الشمس والقمر والنجوم والنار والأبصار: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] [يونس/٥].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نور ساطع ، يزداد على التدرج في العلو ، وما تحتنا ظلام مُعْتَمٍ يزداد على التدرج في الأسفل .

فما فوقنا كله نور، يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق ﷻ الذي كل نور في العالم من نوره : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فمَنْ عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

ومن عمل بمعصية الله سجنه الله في الظلام في طبقات النار في الأرض ، في أسفل سافلين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

واعلم أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير ، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضدًا من رحمته يقاومه .

فَمَنْ عَبَدَ هَذِهِ النَّارَ فِي الدُّنْيَا يَرِيدُ النَّورَ، سَاقَهُ اللَّهُ إِلَى ظِلْمَاتِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فإن جهنم أعادنا الله وإياكم منها أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلمة في هذه الدار .

عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ : نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ

الرَّهْبِيرِ) متفق عليه^(١).

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم يُذَكَّرُ اللهُ بها عباده ليقوه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾﴾

[الواقعة/ ٧١-٧٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه^(٢).

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته، وملا العالم نوره، وأحاط بكل شيء علمه، ووسع كرسية السموات والأرض، وأحاط بجميع مخلوقاته بعرشه العظيم، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا تُعد مخلوقاته، ولا تُحصى نعمه، ولا يُحاط بجنوده: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء، وبيده كل شيء، والعالم كله دليل على وجوده، قائم كله بأمره، مقهور بإرادته، مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى طاعته: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هذا نور ساطع لأبصار العقول، وضيء واضح لبصائر الفهوم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم/ ١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله المشرق فيه ظاهراً وباطناً كالبيت مليء سروجاً ومصايح

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

فأشرق بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور/٣٥].

فاصعد بفكرك لمعرفة جلال أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، تبصر الهدى بنور الحق المبين: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/١٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق ﷻ سطع نوره في قلبك ، وغلب كل نور ، فأبصرت ملكاً عظيماً ملاً الكون نوراً .

كلامه نور ، وأسماءه وصفاته وأفعاله كلها نور ، وكتبه نور ، ورسله نور ، ودينه نور: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَلَّهِ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهدي بنوره من في السموات ومن في الأرض ، الذي بنوره يبصر ذو العماية ، وبهدايته يرشد ذو الغواية ، الذي نور السموات والأرض من نور وجهه ﷻ .

وهو سبحانه النور الذي ملاً الدنيا بنوره ، وملاً الآخرة بنوره ، وملاً الجنة بنور وجهه ، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ [الزمر/٦٩].

ويمنع نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعة، نعوذ بالله من سخط الجبار ، وعذاب النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب/٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ [البقرة/١٧٥].

اللهم لا طاقة لنا بنار جهنم ، فارحمنا وأنت خير الراحمين .

• التَعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ النُّورِ :

أحرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار ، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق ﷻ ،
وتنعم بالنور في الدنيا والآخرة .

واعلم أن مَنْ تعرّف النور الظاهر من الباطن ، ومواضعه ومسالكه في العالم ، يجد أن الله
هو النور الحق الذي لا إله إلا هو ، ملاً الكون كله بنوره .

نور السموات والأرض ، ونور الظواهر والبواطن ، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم ،
ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی .

ونور سبحانه قلوب المؤمنين وصدورهم بالإيمان والإخلاص والتوحيد ، ونور العقول
بأصناف العلوم ، وأنواع الدلائل والبيّنات ، ونور الأبدان بأنواع العبادات وأصناف الطاعات ،
ونور الأسرار بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات .

ونور ﷻ العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته ،
وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس/ 3-4] .

ويرى ذلك مَنْ صدق في الطلب ، ونقى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل
بالعلم والمعرفة ، ونقاها من الذنوب بالتوبة النصوح ، والعمل بما يرضي الله ﷻ : ﴿ هَذَا
بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران/ ١٣٨] .

فاجتهد في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان ، ونور القرآن ؛ لترى الحق حقاً وتتبعه ،
وترى الباطل باطلاً وتجتنبه : ﴿ ذَلِكِ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿١١٢﴾ [الحج/ ٦٢] .

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيماناً و يقيناً و علماً: ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ﷻ

وَاللَّهُ يَكْفُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿٣٨٢﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك ، يشرق النور في قلبك وجوارحك ، ويحتوشك نور الإيمان ظاهراً وباطناً ، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك.

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يُكتسب ، بل هو من قبيل العطايا والمواهب الربانية ، وهو ميراث حُسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ [المنكوت/ ٦٩].

وذلك أن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا تُنال إلا بها .

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله عز وجل ، وتقوى الله ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَّجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ [الحديد/ ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمناً للإيمان والتقوى .

وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى ، وعلى قدر تقوى الله يكون حُسن الطاعات ، والتطهر من الأدناس والمعاصي ، والطاعات كلها نور ، والمعاصي كلها ظلام: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ ﴿١٧٥﴾ [النساء/ ١٧٤-١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور، فيمتلئ قلبه نوراً ، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام.

فتصبر بالنور.. وتسمع بالنور.. وتفكر بالنور.. وتتكلم بالنور.. وتعمل بالنور.. وتدعو بالنور.. وتتعلم وتعلم بالنور.. وتعيش بالنور.. وتمشي بالنور: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .

فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري ^(١) .

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تتفرغ للنظر والتدبر والتفكير في معاني أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى، والنظر في ملكوت الله، لم يتم لك هذا الأمر، ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين ، إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت ملك الملوك: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وإذا أراد الله بك خيراً فتح لك أبواب التعرف عليه ، والقرب منه، فوصلت التقوى بالنظر والفكر ، ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه ، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به ، وجمعت بين علم الجوارح ، وعلم القلوب ، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك ، وتجنبت ما يسخط الله ، وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيدٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر/ ٢٧-٢٨] .

وإذا علمت هذا ، فحينئذ اتصل بك الحبل ، واستبان لك السبيل: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤] .

وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه ، وحِدَّة بصره وعقله بقدر تفرغه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله بقدر التفكير والتدبر: ﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثَ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة ، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤنة: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت بنوره الحق الذي خلق به السموات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله ، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين ﷻ يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَنِي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].
وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ لَدَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١١].

واستغفر ربك في كل وقت ، وسبح بحمده ما بقيت ، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أن أشد الناس حبا لله، وأكثرهم ذكرا له، وأصدقهم مناجاة له، وأحسنهم عبادة له، هم أعرف الناس بالله، وأعلمهم بأسمائه وصفاته وإحسانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن من أراد الله عز وجل عصمته عاد عليه برحمته ، فأعانه على طاعته ، وحماه من معصيته ، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه ، وأشغل أوقاته فيما يقرب إليه مما يحبه ويرضاه .

فتراه ذاكراً لربه .. مسبحاً بحمده .. مكبراً له .. مستحياً منه .. مُجِلاً له .. مطيعاً له .

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء .. وأذهلته هيئة الجلال والجبروت .. وملكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسْلَمَ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه شغفاً به ، وكلفاً بقربه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالُونَ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته بالتعظيم والإجلال لربه ، وحمده وشكره على نعمه ، وخشيته والافتقار إليه ، وكثرة التسبيح والتحميد له ، ولزوم الاستغفار ، واتباع السنة ، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته ، فاستقم كما أمرت ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس/ ١٠٩].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من المؤمنين ، والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين ، فأزال الله به الشرك والجهل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم أن من قعد على كرسي الجهل والهوى والكبر فلن يبصر الحق أبداً ، ولن يقوم من كرسية إلا إلى نار جهنم : ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء/ ٧٢].

وأولئك أضل من الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعِينٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمٌ لِي نُورًا ». أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا نور السموات والأرض ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين ، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريب ، فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣) .

المقال . الرفيق

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفِيقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الرفيق الكثير الرفق ، الذي يسهل الأمور، ويسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْيَتِيمُ وَأُصْبًا أَغْيَرَ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/٥٢-٥٣].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/٦٥].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة ؛ ليتوب من سبقت له العناية ، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الرفيق بعباده ، الذي ليس بعجول على من عصاه ، وإنما يعجل من يخاف الموت أو الفوات .

أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء فليس من شأنه العجلة: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/٤].

وهو سبحانه الرفيق في أفعاله ، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً، مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعة واحدة ، بأمر واحد ، في لحظة واحدة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴿القمر/ ٤٩-٥٠﴾.

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه.. اللطيف في تدييره.. الحليم في فعله.
هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدرج .

يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف ، ويأتي بالحر بعد البرد ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويُجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

ويصرف الرياح في الجو، ويصرف المياه بين السماء والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يُخرج المواليد من الأرحام، ويُخرج الثمار من الأشجار، ويُخرج الحب من النبات : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَّتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمْرِهِ إِذَا أَنْمَرَهُ وَيَنْعِهِ إِنِّي فِي ذَٰلِكُمْ لَأَبْتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام/ ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم ؛ ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرفه ، ويحكمه بأمره ، وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة : ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم/ ٥٠].

وهو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم بما لا يطيقون ، ولم يحملهم ما لا يستطيعون، الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيراً من الأحكام في حال المشقة

والحاجة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

كل ذلك رخصة لهم ، ورحمة بهم ، ورفقاً بهم ؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده .

هو الكريم الذي اجتبى هذه الأمة لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ أَحَبُّنَا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج / ٧٨].

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعة واحدة ، بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس ، وتلين الطباع ، ويتم الانقياد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

ومن رفقه سبحانه إمهال ركب الخطيئة ، ومقترف الذنب ، وعدم معالجته بالعقوبة ، لعله ينب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف / ٥٨].

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ؛ لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه الحليم الرفيق الذي لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر / ٤٥].

ومن رفقه سبحانه أن دينه كله رفق ويسر ، وهدي وشفاء ، ورحمة وسماحة ، وتذكير وموعظة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ »

متفق عليه^(١).

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق ، وخص أوليائه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء/ ٢٦].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرفيق :

اعلم أن الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ومظاهر رفقّه ظاهرة في العالم كله.

ورسوله محمد ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقّه في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه بحسن خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: « دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُسَيَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ » أخرجه البخاري^(١).

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق، ورسولنا إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق ويسر.

فعليك بالرفق في جميع أمورك ، في عبادتك ، ومعاملتك ، ومعاشرتك وجميع أعمالك ، يحبك الله ورسوله وخلقه : ﴿ فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ فَرَقًا عَلَيَّ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن الرفق زينة الإنسان ، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم^(١).

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق ، فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير.

فاحرص رحمك الله أن تكون رقيقاً في أمورك كلها، بعيداً عن العجلة والسرعة، والتهور والاندفاع ، والغضب والتكلف ، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن ، وحلية أهل الإيمان: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٢٧].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ يُحْرَم الرِّفْق يُحْرَم الخَيْرِ» أخرجه مسلم^(١).

ارفق بنفسك ولا تُحْمَلها ما لا تطيق ، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله ، ولا تزد في عمل زيادة تقعدك عن غيره ، ولا تخرج عن السنة إلى الشدة والتكلف : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء/ ٢٨].

وارفق بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلق حسن ، تلقى أحسن منه.

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٦].

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا كَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ كَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ ۗ وَعَافُ عَنَّا وَعَافِرُنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢).

المقالة LXXI. « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطْئِي وَعَمْدِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي .
المقالة ❸. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(٢).
اللهم يا عظيم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا حلماً على من عصاه ، يا سميعاً لمن دعاه ، يا رفيقاً بمولاه ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.
اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين.

المقالة ❸. الشافي

المقالة ❦❦❦. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء / ٨٠].
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى مناً إنسان مسح بيمينه ثم قال: « أَذْهَبَ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفَى أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الشافي الحق لجميع الأقسام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [آل عمران / ١٠٩].
فهو سبحانه الشافي الكافي الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأقسام والآفات والأمراض وحده لا شريك له، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام والشراب: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٧٧] الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿ ٧٨ ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿ ٧٩ ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ ٨٠ ﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق ، الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك ، والشبه والشكوك ، والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب ، ويعافيه بالهداية إلى الدين القيم ، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة / ٢].

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له .

فسبحان الشافي من كل داء ظاهر أو باطن ، الشافي الذي لا يُدعى بهذا الاسم سواه ، الشافي الذي يشفي بالأَسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً ، عَلِمَهُ مَنْ جَهِلَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ .

وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها، بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وقد أنزل الله القرآن الكريم شفاء من كل داء ، يستشفي به المؤمنون من الجهل والضلالة ، ويصرون به من العمى ، ويعرفون به الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والخير من الشر ، ويعملون بأحكامه ، فيسعدهم ربهم في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وينجيهم من النار : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس/ ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خساراً ؛ لأنهم لا يؤمنون به ، ولا يعملون به ، ففسروا دينهم وأخراهم : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء/ ٨٢].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له ، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له ، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة ، وتناول الأدوية المفيدة .

والتداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله ، فنأخذ بالأسباب المشروعة ، ولا نتوكل إلا على الله الذي جعل فيها الشفاء ، وهو الشافي الذي يشفي بها ، وبدونها ، وبضدها : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ سَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » أخرجه البخاري (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء .

فكما أنّ دَفْعَ الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء/ ٧٩] ، فكذلك دَفْعُ المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

فيجب علينا فقه أحكام الله ، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً .
فللصحة أسباب ، ولدفع المرض أسباب ، ولكسب الحسنات أسباب .

ولدفع السيئات أسباب، ولدخول الجنة أسباب ، وللنجاة من النار أسباب .

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، ونحن في دار الأسباب : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار ﷻ ، لا خروج لها عن أمره ، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببها ، وإن شاء أبطلها كما أبطل إحراق النار عن خليله إبراهيم ﷺ :
﴿ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

يفعل ذلك ﷻ ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته، ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله .

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته وأخفى قدرته ابتلاء لعباده ، وجعل الأسباب تعمل مرة ، وتقف مرة ليظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، والذي خلق فسوى ، وقدر فهدى وأطعم وأسقى ، وأمات وأحيا ، وابتلى وشفى ، وتجاوز وعفى ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ] ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ [٧٩] وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [٨١] وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشافي :

اعلم وفقك الله أن الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وبيده الخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/٨].

فتوسل إلى ربك بأسمائه وصفاته ، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان ، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/١٣].

واعلم أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس/١٠٧].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم^(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام ، فاعلم أن أعظم داء انتشر بين الناس هو داء الكفر والشرك والمعاصي ، فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من الشفاء، وبلغ دين ربك في كل مكان وزمان، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ . وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أَنُؤُلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/٥٢].

ولن يقوم بهذا إلا أنت ، فقم به كما قام به نبيك ﷺ ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/١٠٨].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده ، يكتب الله لك أجرهم ، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّصُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسَيِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه / ٢٥-٢٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهَبِ الْبَاسَ أَشْفِيهِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(٢).

اللهم يسر أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونور قلوبنا ، واستعمل جوارحنا بطاعتك ، يا أرحم الراحمين ، اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين ، اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا أنت ، ولا يعين على الحق غيرك ، ولا يؤتي الخير إلا أنت ، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك ، إنك على كل شيء قدير .

المقالة ❖ الحيي

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ » . أخرجه أبو داود والنسائي^(١).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا » أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).

الله تعالى هو الحيي الكثير الحياء ، الذي يترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته ، وكمال جوده وكرمه ، وعظيم عفوه وحلمه : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون / ١١٦].

وحياؤه تعالى على ما يليق بجلاله ، فالعبد يجاهر ربه بالمعصية ، مع أنه أفقر شيء إليه ، وأضعفه لديه ، ويستعين بنعمه على معاصيه ، وربيه مع كمال غناه ، وتمام مقدرته عليه ، يستحي من هتك

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٩١) .

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢) ، وهذا لفظه ، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦) .

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨) ، وهذا لفظه ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٦) .

ستره وفضيحته.

فسبحان الحيي السَّيِّر الذي يستر من عصاه بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا فَرَّهْ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ» متفق عليه^(١).

واعلم أن حياء الرب ﷻ من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، فهو حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [غافر/ ٦١].

فهو سبحانه حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صِفْراً، ويستحي أن يعذب ذا شبيبة شاب في الإسلام، ومن استحي من الله استحي الله أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً، حيث لا تنفع المعذرة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنی، ويثني على نفسه بها، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو كريم يحب أهل الكرم.. حليم يحب أهل الحلم.. شكور يحب الشاكرين.. تواب يحب التوابين.. حيي يحب أهل الحياء: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود/ ١١٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها لعباده ، وأمرهم بالتعبد له بموجبها ومقتضاها:
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) [طه/٨].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي
يبغضها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف/١٨٠].

• التعبد لله ﷻ باسمه الحيي:

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم
الصفات التي يحبها الله ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبةً،
فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»
أخرجه مسلم^(١).

والحياء خير كله ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه^(٢).

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجه الحياء من الله تعالى، ثم الحياء من الملائكة الكرام،
ثم الحياء من الناس، ثم الحياء من النفس.

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له،
والخوف منه، والتضرع والافتقار إليه في جميع الأحوال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣) [يونس/٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) ومسلم برقم (٣٧).

وأشد الناس حياء من الله هم الأنبياء والرسل ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، ثم أتباعهم من المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

وأشد الخلق حياء من الله هو نبينا محمد ﷺ ؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفته بنعمه وإحسانه ، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، شاكرًا لربه ، مستغفرًا من ذنبه .
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ . متفق عليه (١).

واعلم أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات ، فاحفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان من جميع المحرمات .

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك ، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

ومن علم أن السميع البصير مطلع عليه استحي أن يراه على معصيته .

فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك وهو يراك : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء ومن به على من شاء من خلقه، فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

خَزَائِنُهُ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

واعلم أن الحياء من الملائكة يكون بالافتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح، وعدم إيدائهم بالمعاصي والمنكرات ؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا نَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

أما الحياء من الناس فيكون باجتنب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ حياء من الله والملائكة والناس.

فَمَنْ رُزِقَ ذَلِكَ فَهُوَ الْحَيِيُّ الَّذِي يَحِبُّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ حُرِّمَ ذَلِكَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أخرجه البخاري^(١).

والحياء من النفس أن تحملها على طاعة الله ، بعدم استعمال نعم الله في معصية الله ، فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح ؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ لِلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٢].

واعلم أن من استحى من الله استحى الله منه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، فاعبد ربك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً .

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤).

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ » متفق عليه^(١).

اللهم إني في هذا المقام استحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي ، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم ، وأنت الحكيم الذي بعثت الهمة لكتابتته ، وسقت اليد لتحريره . فلك الحمد على ما قدّرت ، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت ، فلست أنشد إلا رضاك فاغفر لي ولوالدي والمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/٢٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف/١٥].

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه^(٢).

اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وبيدك الأمر كله ، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلننا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك . اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبغفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٧٦) .
(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦) .

المقطع ٠١, ٧٥ الستير

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّيُّ سِتِّيْرٌ، يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُسْتِرْ » أخرجه أبو داود والنسائي (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه مسلم (٢).

الله تعالى هو الستير الحق الذي يستر الكثير من عورات عباده، ولا يفضحهم في المشاهد.

وهو سبحانه الحيي الستير، الذي يستر على عباده كثيراً من العيوب والقبائح، ولا يفضحهم وهو قادر لعلهم يتوبون إليه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها، ودعا أهلها للاستغفار منها فقال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

وهو سبحانه الستير العليم بكل شيء، الذي يستر سوات عباده، ولا يفضحهم ولا يخزيهم، ولا يظهر للناس ما يشينهم؛ لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

والأعمال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحتة، وإنزال عقوبته به، ويقبض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلُوا﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده، ويحب من عباده الستر على أنفسهم، وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أخرجه مسلم^(١).

وقد رغب الله عباده في الستر، وحثهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصياً لله والله يستره، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» متفق عليه^(٢).

• التبعيد لله تعالى باسمه الستير:

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدنيا عبادته بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

وإذا علمت أن الله حلِيمٌ سِتِيرٌ يحب الستر ، ويأمر بالستر ، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربّه ، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة .

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية ؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله وصالحي المؤمنين ، وفيه صَرْبٌ من العناد ، والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه ، وبين خلقه: ﴿ أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة، والذلة بين الناس، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير عليه، وامثال أمر الذي يعلم السر وأخفى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُونَاهُ. بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً ﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربّه فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من العقوبة ، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم ، واستغفر ربك يغفر لك ، فإنه ما سترك إلا ليغفر لك .

فبادر بالتوبة إليه، فإنه غفور يغفر الذنوب جميعاً ، شكور يبدل السيئات بالحسنات ، ثم يضاعفها: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَرَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً

حَسَنَاتِهِ « متفق عليه^(١) .

واجتنب الذنوب كلها ، ما ظهر منها وما بطن ، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله ، وتب إلى الله منها: ﴿ فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾ .
[المائدة / ٣٩] .

وتجنب جميع أبواب الرذائل ، واحذر دروب الفساد والضلال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي عَائِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأنعام / ٦٨] .

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك ، ويصون عرضك ، ويؤمّن روعتك ، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة .

واستر على عباد الله ، وتجنب هتك أستارهم ، ولا تتبع عوراتهم ، فَإِنَّ مَنْ تَبَعَ عوراتهم تَبَعَ الله عورته ، ومن يَتَّبِعِ الله عورته يفضحه في بيته .

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله ، ويستر عليك في الدنيا والآخرة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه^(٢) .

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب ومفارقتها ، وإذا ألممت بشيء منها فاستر نفسك ، وبادر إلى التوبة منها ، وأتبعها بالحسنة تمحها .

عن ابن مسعود ؓ قال : إن رجلاً أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكُوعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٥) ، ومسلم برقم (٢٧٦٨) واللفظ له .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .

رَسُولَ اللَّهِ ، أَلِي هَذَا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق عليه^(١) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ١٤٧ ﴿

[آل عمران / ١٤٧] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ ٤١ ﴿ [إبراهيم / ٤١] .

﴿ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ٨٠ ﴿

[الإسراء / ٨٠] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(٢) .

اللهم يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا عليماً بضري ومسكنتي ، يا من بيده ناصيتي ، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل ذنب تغفره ، ومن كل خطأ تستره ، يا أرحم الراحمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، يا ذا الجلال والإكرام .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

المقدم .. المؤخر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ ، وَعَمْدِي ، وَجَهْلِي ، وَهَزْلِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجّد قال : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه^(٢) .

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت .. يفعل ما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

وهو سبحانه المقدم الذي يرفع أوليائه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنازل ، المؤخر الذي

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧١٩) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

يؤخر من كفر به وعصاه عن تلك الرتب والمنازل .

وهو العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي يملك التقديم والتأخير وحده لا شريك له، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته، وكمال مشيئته، وكمال حكمته، وكمال علمه، وكمال عدله .

فسبحان المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في مواضعها، وكل ذلك بعلمه وإرادته وحكمته: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

قدم المقادير قبل أن يخلق الخلائق، وقدم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه ؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وأخر من شاء من عباده بعدله ، لا مقدم لما أخطر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني وأمره الشرعي .

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، والمواليد والثمار، والتصريف والتدبير في الكون: ﴿إِنِّي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ الْحِكْمَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فكل مخلوق له وقت ، وله مكان ، وله حجم ، وله مسار لا يتعداه فيسبق غيره ، ولا يزاحمه فيعطل حكمته : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

[يس/٣٧-٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠) [الروم/٤٠].

وتقديمه وتأخيره الشرعي كما فَضَّلَ الأنبياء والرسل على الخلق ، وَفَضَّلَ بعض الأنبياء على بعض ، وَفَضَّلَ بعض العباد على بعض ، وَفَضَّلَ بعض المؤمنين على بعض ، وَقَدَّمَهُم فِي الْعِلْمِ ، وَالْإِيمَانَ ، وَالْأَعْمَالَ ، وَالْأَخْلَاقَ بِفَضْلِهِ ، وَأَخَّرَ مِنْ آخِرِ مَنْهُمْ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ : ﴿ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ [آل عمران/١٦٢-١٦٣].

فسبحان من يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله ، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) [الحشر/٢٢].

وكما فَضَّلَ سبحانه بعض العبادات على بعض كتقديم الفرض على النفل ، وتقديم حق الله على حق غيره ، وتقديم الوضوء على التيمم .

وكما فَضَّلَ بعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأوقات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض .

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان والمكان والرتبة ، والقرب والبعد ، والحب والبغض ، والقوة والضعف : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (١٠) هَذَا خَلْقٌ

اللَّهُ فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيتته وحكمته ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المقدّم والمؤخر:

اعلم ختم الله لنا ولك بخير أن الله اصطفى آدم ﷺ وذريته على من سواهم .

فقد خلق آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله وذريته خلفاء الأرض: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وفضّل هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرة وعبرة لهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقدّمهم في المقام والثواب، وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا ، السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله خص هذه الأمة بأحسن دين وأكمله فقال: ﴿ الْيَوْمَ بَيَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٣﴾ [المائدة/ ٣].

ورعّبهم وشرفهم بأحسن عمل ، وأشرف وظيفة ، وهي الدعوة إلى الله ، وظيفة الأنبياء

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

والرسل فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وجزاهم على الدعوة إلى التوحيد والعمل بالتوحيد بأحسن الجزاء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [يونس/ ٢٦].

فله الحمد والمنة أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا إلى الإيمان، ووفقنا لطاعته وعبادته: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّا يَتَّبِعُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا السُّبُحَةُ الَّتِي تَقْرَأُونَ فِي الصَّلَاةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].
واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر، والأمور كلها بيده.

فمن كتب الله له عزاً ورفعةً وتقديماً فلن يستطيع أحد حرمانه من ذلك: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].
ومن كتب الله له ذلاً وخذلاناً وتأخيراً لم يستطيع أحد عونته للخلاص من ذلك: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجْدَلَهِ وَيَأْمُرْ بِشِدَّةٍ﴾ ﴿١٧﴾ [الكهف/ ١٧].

فلأمر كله لله من قبل ومن بعد، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، أو خفضه أو رفعه، أو تقدمه أو تأخره، أو نصره أو خذلانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

إن اهتدى الإنسان فبهداية الله إياه، وإن ضل فبصرفه عن الهدى كما انصرف عنه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ [يونس/ ٢٥].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِغُلَامِكُمْ الَّذِي بَدَأَهُمُ اللَّهُ مَا لِلَّهِ مِنَ الشَّيْءِ مِنْ شَيْءٍ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ ﴿٥٠﴾ [الصف/ ٥٠].
فالقلوب كلها بيد الله يصرها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله،

ومن شاء أزاغه بعدله، وهو أعلم بمن يصلح لهذا أو هذا ؛ لأنه الملك الحق الذي أقام
الحجة بإنزال كتبه ، وإرسال رسله ، وبيان الحق من الباطل : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ
الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلٰكِن
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق ، ووقفه إليه بفضلته ، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة
عليه بعدله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ
حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس/ ٩٦-٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من
النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك
مما يكون به تقدمه ، ونيل محابه ورضاه ، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره ،
والوقوع في سخط الله : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

وقد بين الله ﷻ سبل رضاه ، وبيّن سبل سخطه ، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه،
ونهاهم عن التأخر عنها بسلك سبل سخطه ، ثم قال : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقَ أَوْ يَخْشَ ﴾ ﴿٣٧﴾
[المدثر/ ٣٧].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ، وهو الكريم الذي بين الحق من الباطل، ورغب
في الحق ، وحذر من الباطل : ﴿ إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٩﴾ وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده ، المقدم من أطاعه ، المؤخر من عصاه : « أنت المقدم
وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » أخرجه مسلم^(١).

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها : السر والعلانية ، والخطأ والعمد ، والمتقدم

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

والمُتَأَخِّرُ : ﴿ فَمَنْ تَأَبَّ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣٩﴾

[المائدة/٣٩].

فالذنوب تُتُوبُ العبد وتؤخره ، وغفران الله له يرفعه ويقدمه : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ [طه/٧٤ - ٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له ، وكمال الذل بين يديه ، والطمع فيما عنده ، وحسن اللجوء إليه ، وصدق التوكل عليه ، وعدم اليأس من رَوْحِهِ ، وعدم الأمن من مكره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/١٣].

وقدم ما قدم الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق ، وأخر ما أخر الله ورسوله ، وأحب ما أحب الله ورسوله ، وأبغض ما أبغض الله ورسوله : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ [الأنفال/٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه ، ويراك حين تتأخر عنه ، فقدم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحجر/٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه ، واطلب ممن فتح أبوابه للراغبين والتائبين أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يتوب عليك مما قدمت ومما أخرت ، فإنه حي قيوم يجب من دعاه ، ولا يخيب من رجاءه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/١٨٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/٨].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٥٧﴾

[آل عمران/١٤٧].

﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه^(١).

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم^(٢).

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(٣).

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات / ٧].

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به، مرضياً عنه: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف / ١٠١].

والولاية درجات، تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق، فأمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في درج المقربين، فصاروا أعلاماً للهدى، يستضاء بنور علمهم: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزمر / ٣٣-٣٤].

فسبحان من كشف لهم الحجاب، حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون به، ويأخذون به، ويعطون به: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك / ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقبلون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم.. إن نطقوا نطقوا خائفين.. وإن سكتوا سكتوا وجلين.. وإن عملوا عملوا وجلين خائفين مشفقين من خشية ربهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْزٌ يَبْقَىٰ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المؤمنون / ٥٧-٦٢].

فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿ أَلَا إِنَّ رَبَّكَ أَوْلِيَٰءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ

الباب الخامس

جزاء أهل التوحيد

ويشتمل على ما يلي :

١- واجبات أهل التوحيد

٢- جزاء أهل التوحيد

٣- جزاء أهل الشرك

٤- دار القرار : وتشمل :

١- صفة الجنة

٢- صفة النار

٥- دعاء أهل التوحيد

قال الله تعالى أجزاء أهل التوحيد

• واجبات أهل التوحيدين قالوا ربنا الله ثم استقموا تنزل عليهم

شرف الله ﷻ أهل التوحيد بأعمالهم، وزينهم بصفاتهم، وفوض إليهم واجباتهم، وأكرمهم بكرامات في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم واجبات أهل التوحيد ما يلي ﴿٣٠﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا

١- الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

١- قال الله تعالى وفي ﴿٣١﴾ والذين آمنوا واتبعتهم اهلهن ومالهن مما اكتسبت هؤلاء يكنن ولهن كنز جليل

والكتب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضللاً بعيداً ﴿٣٢﴾ فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلاً من عفور رحيم ﴿٣٢﴾

٢- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لجريل رضي الله عنه حين سأله عن الإيمان: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »، قال صدقت، قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » متفق عليه ^(١).

٢- إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

١- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

[البقرة/ ٢١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].

٣- طاعة الله ورسوله في كل شيء، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله.

١- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

[النساء/ ٥٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨)، واللفظ له.

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » متفق عليه (١).

٤- تعلم العلم الشرعي وتعليمه.

١- قال الله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد/١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٨] ﴿ [آل عمران/٧٩].

٥- الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

١- قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [١٢٥] ﴿ [النحل/١٢٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٤] ﴿ [آل عمران/١٠٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أُنْمَأَهُوا إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٥٢] ﴿ [إبراهيم/٥٢].

٦- الجهاد في سبيل الله مع الإمام أو نائبه ، إذا دعت الحاجة إليه .

١- قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [١٩٠] ﴿ [البقرة/١٩٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ [التوبة/٣٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣٩] ﴿ [الأنفال/٣٩-٤٠].

٧- المحافظة على اجتماع النفوس والقلوب في أمور الدين كلها.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم برقم (١٨٣٩)، واللفظ له .

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣-١٠٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٢].

٨- الاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً .

١- قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْمِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت/ ٦-٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۗ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا مَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۗ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۗ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

٩- حسن الخلق مع جميع الخلق .

١- قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ۗ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

١٠- الاستغفار والتوبة من الخطأ والتقصير في كل عمل في كل وقت .

١- قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ ﴾ ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [النصر/ ١-٣].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١ ﴾ [النور/ ٣١].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » أخرجه البخاري (١) .

وقد جمع الله ﷻ هذه الواجبات كلها أصولها وفروعها في سورة واحدة من كتابه الكريم بقوله : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أنه لا تحصل النجاة والفلاح إلا بامتثال جميع أوامر الله ورسوله حسب الاستطاعة ، واجتناب جميع ما نهى الله ورسوله عنه .

١- قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا ءَأَنَّتْكُمْ الرُّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر/ ٧].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ أَفْتَوُمُنُونَ بَعْضُ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ [البقرة/ ٨٥].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله .

بتوحيد كامل .. وإيمان كامل .. وطاعة كاملة .. وأخلاق كاملة .. واستقامة كاملة .

وقد أكمل الله لنا الدين .. وأتم علينا النعمة .. فلنكمل له الطاعة والاستقامة ؛ لنعيش في الدنيا في أمن كامل .. ونخلد في الجنة في نعيم كامل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾ نحن

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧) .

أُولَآئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

جزاء أهل التوحيد

جزاء أهل التوحيد السعادة في الدنيا والآخرة ، ورضوان الرب ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار .

ويجازي الملك الحق ﷻ أهل التوحيد والإيمان والعمل الصالح بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ، وأعدَّ لهم في الآخرة من النعيم المقيم، والملك الكبير، ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٧].

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد في الدنيا والآخرة ما يلي :
الأولى : الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧] .
الثانية : دخول الجنة .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٤﴾ [الحج / ١٤] .

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة .

قال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥] .

الرابعة : رضوان الرب .

قال الله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢] .
الخامسة : رؤية الرب ﷻ في الجنة .

قال الله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢ - ٢٣] .

السادسة : القرب من الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .
السابعة : سماع كلام الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِيهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس / ٥٥ - ٥٨] .
الثامنة : النجاة من النار .

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَادَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم / ٧١ - ٧٢] .

جزاء أهل الشرك

جزاء أهل الشرك العذاب في الدنيا والآخرة ، وسخط الرب ، والخلود في النار ، والحرمان من الجنة .

ويجازي الجبار ﷻ أهل الكفر والشرك والمعاصي بأعظم العقوبات في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ آخِرَ أَشَقُّ وَمَأْتُهُم مِّنَ اللَّهِ مِن بَاطِنٍ ﴾ [الرعد / ٣٤] .

ومن أعظم عقوبات أهل الشرك في الدنيا والآخرة ما يلي :

الأولى : العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] .
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَذَلِكَ فَانصُرْنَا فَنَنْصُرُكَ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَرُونَ ﴿١٢٦﴾ .

[طه / ١٢٤-١٢٦] .

الثانية : دخول النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فإِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر / ٧١-٧٢] .

الثالثة : الخلود في عذاب السعير .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب / ٦٤-٦٦] .

الرابعة : سخط الجبار على أهل النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة / ٦٨] .

الخامسة : الحرمان من رؤية الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [١٥] ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ [المطففين / ١٥-١٧] .

السادسة : الحرمان من الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [٧٢] [المائدة/٧٢] .

السابعة : الصغار والذلة .

قال الله تعالى : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [١٢٤] [الأنعام/١٢٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [١١٣] رَبَّنَا إِنَّتَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران/١٩٢-١٩٤] .

دار القرار

الدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب .

والإنسان لابد أن ينتقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم يُخلد حسب العمل في دار القرار ، في الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم / ١٤-١٦] .

وإذا حكم الله بين العباد يوم القيامة حسب إيمانهم وأعمالهم ، يساق أهل التوحيد والإيمان إلى الجنة وفداً مكرمين ، ويساق أهل الكفر والشرك إلى النار أذلاء مهانين كما قال سبحانه : ﴿ الْمَلَائِكُ يُومِذُ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الحج / ٥٦-٥٧] .

فأهل التوحيد في الفوز العظيم ، وأهل الشرك في الخسران المبين ، فهل يستويان مثلاً وعملاً وجزاءً : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر / ٢٠] .

فللمؤمنين يوم القيامة دار تليق بإيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم ، وللكافرين دار تليق بكفرهم وأعمالهم وأخلاقهم : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِء تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة / ١٨-٢٠] .

والخلق كلهم راجعون إلى ربهم ، ومحاسبون على أعمالهم : ﴿ يَوْمَ يُؤْمِذُ بَصَدْرُ النَّاسِ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨] .

وإذا كانت معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أركان الإيمان ، وأكبر أبواب التوحيد ، فإن معرفة أحوال اليوم الآخر ، وما فيه من البعث والحساب ، والصراف والميزان ، والجنة والنار ، أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ [الشورى / ٧-٨] .

فالإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان ، وعليهما مع بقية أركان الإيمان مدار استقامة الإنسان وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ [النساء / ٨٧] .

وإذا كنا بفضل الله قد عرفنا الله بأعظم أسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا دينه وشرعه ، فيجب أن نعرف الدار التي سوف نصير إليها ، ونعرف اليوم الآخر ، وما فيه من البعث والحساب ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب؛ ليزيد إيماننا ، ويكمل توحيدنا ، ونسارع إلى مرضاة ربنا ، بحسن عبادته ، وبتعد عن الشرك والمعاصي التي توجب سخطه وعقوبته : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ بُفِخَ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُورَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَأَابًا ﴿٢٢﴾ [النبأ / ١٧-٢٢] .

لهذا أحببنا الكشف بالتفصيل عن مكان الثواب والعقاب في الجنة والنار ؛ ليعلم الإنسان ما أعدّه الله لأهل التوحيد ، وما أعدّه الله لأهل الشرك ، ويزداد المؤمن إيماناً و يقيناً ، ويزداد علماً وعملاً وتقوى ، ويزداد عطاءً وبذلاً ، ويزداد صبراً وحمداً وشكراً ، ويزداد تعظيماً لربه ، ويزداد حباً و ذلاً لمولاه العزيز الكريم سبحانه : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥] .

وإليك ذلك كله مجموعاً ميسراً في ضوء القرآن والسنة .

فأصدق الحديث وأحسنه وأكمله عن الجنة دار الثواب ، وعن النار دار العقاب ، نأخذه من كتاب الرب الذي خلقهما ، وخلق ما فيهما من النعيم والعذاب ، والقصور والسجون : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

ونأخذه من سنة من دخل الجنة ، ووطئت أقدامه أرضها ، فأحسن وصفها ، ومن رأى النار وما فيها من الأهوال وألوان العذاب وأصناف المعذنين ، نبينا محمد ﷺ .

وليس للعبد بعد هذه المعارف إلا صدق الإيمان ، وإخلاص التوحيد ، وكمال التسليم ، والانقياد والطاعة : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٦٨﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ ۚ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ [البقرة / ٢٨٥-٢٨٦] .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم والمسلمين منهم : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء / ٦٩-٧٠] .

وإذا اكتملت للعبد هذه المعارف الإلهية فقد ملك الدرر السنيّة، وبلغ له النصاب ، واجتمعت له الحكمة وفصل الخطاب ، وجنى أحسن الأرباح من أعظم الأسواق : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤] .

أسأل الله ﷻ أن يفتح لنا ولكم وللمؤمنين أبواب الجنة ، وأن ينجيننا جميعاً من النار ، إنه رؤوف رحيم .

صفة الجنة

- الجنة: هي دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة.
- سيكون الحديث عن الجنة إن شاء الله تعالى من كتاب من خلقها، وخلق نعيمها، وخلق أهلها وهو الله سبحانه، ومن أخبار من دخلها ووطئت أقدامه أرضها، وهو محمد ﷺ كما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.
- أشهر أسماء الجنة:

الجنة واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

- ١- الجنة: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء/ ١٣].
- ٢- جنات الفردوس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف/ ١٠٧].
- ٣- جنة عدن: قال الله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [٤٩] جَنَّاتٍ مَعْدِنٍ مَفْحَحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].
- ٤- جنة الخلد: قال الله تعالى: ﴿قُلْ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [١٥] ﴿الفرقان/ ١٥﴾.
- ٥- جنات النعيم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [٨] ﴿لقمان/ ٨﴾.
- ٦- جنة المأوى: قال الله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ [السجدة/ ١٩].

٧- دار السلام: قال الله تعالى: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾
[الأنعام/ ١٢٧].

● مكان الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾
[النجم/ ١٣-١٥].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». أخرجه البخاري^(١).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ فِي حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ..» أخرجه الحاكم وابن حبان^(٢).

● أسماء أبواب الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّبَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم؛ وأزجو أن تكون منهم» متفق عليه^(١).

● سعة أبواب الجنة:

١- عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الزَّحَامِ. أخرجه مسلم^(٢).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم... وفي آخره قال:- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» متفق عليه^(٣).

● عدد أبواب الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر/٧٣].

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» متفق عليه^(٤).

● أبواب الجنة مفتحة لأهلها:

قال الله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَكَابٍ﴾ [٤٩] جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ [ص/٤٩-٥٠].

● الأوقات التي تفتح فيها أبواب الجنة في الدنيا:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا - ثلاثاً -» أخرجه مسلم^(٥).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» متفق عليه^(١).

٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ (أَوْ فَيُسْبِغُ) الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» أخرجه مسلم^(٢).

● أول من يدخل الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لَأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم^(٣).

● أول أمة تدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». متفق عليه^(٤).

● أول زمرة يدخلون الجنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَفَّلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَثْوَى، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(٥).

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ أَخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، لَا يَدْخُلُ أَوْلَاهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» متفق عليه^(٦).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٧٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥)، واللفظ له.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩)، واللفظ له.

٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَعْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيْفًا» أخرجه مسلم^(١).

• سن أهل الجنة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً» أخرجه أحمد والترمذي^(٢).

• صفة وجوه أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعِيمِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية/ ٨-١٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس/ ٣٨-٣٩].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمُ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان/ ١١].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ» متفق عليه^(٣).

• صفة استقبال أهل الجنة:

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٩).

(٢) حسن / أخرجه أحمد برقم (٧٩٢٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٥)، وهذا اللفظ.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

١- قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر/٧٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [٢٣] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد/٢٣-٢٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [١٠٣] [الأنبياء/١٠٣].

• مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْحَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ، هُوَ لَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ. قَالَ: هُوَ لَاءِ أُمَّتِكَ، وَهُوَ لَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه^(١).

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَيَاتٍ مِنْ حَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٢).

• صِفَةُ أَرْضِ الْجَنَّةِ وَبَنَائِهَا:

١- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «... ثُمَّ أَنْطَلَقَ حَتَّىٰ أَتَىٰ بِي السُّدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أُدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ». متفق عليه^(٣).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله... الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةٌ مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٦)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٣).

فَصِيَّةٌ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاطُهَا الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْزُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّرْعَفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيُحَلِّدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى سَبَابُهُمْ»
أخرجه الترمذي والدارمي (١).

٣- وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «دَرَمَكَةٌ بِيضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ» أخرجه مسلم (٢).

• صفة خيام أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٢) [الرحمن/ ٧٢].

٢- وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحِيمَةً مِنْ لَوْزَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مَيْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» متفق عليه (٣).

• سوق الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» أخرجه مسلم (٤).

• قصور الجنة:

خلق الله عز وجل داخل مساكن وقصور الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) [التوبة/ ٧٢].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٦)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧١٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٢٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٣٨)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٣).

• تفاضل أهل الجنة في القصور:

- ١- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَأَكِيزًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠].
- ٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجُلٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». متفق عليه^(١).

• صفة غرف أهل الجنة:

- ١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت/ ٥٨].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِيبَهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر/ ٢٠].
- ٣- وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». أخرجه أحمد والترمذي^(٢).

• صفة فرش أهل الجنة:

- ١- قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن/ ٥٤].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة/ ٣٤].

• صفة البسط والنمازق:

- ١- قال الله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية/ ١٥-١٦].
 - ٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَقَرِفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن/ ٧٦].
- «النمازق» الوسائد، «الزرابي» البسط.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

(٢) حسن / أخرجه أحمد برقم (١٣٣٨)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٨٤).

• أرائك الجنة:

وهي الأسرة عليها الكلال، أو الكراسي ذات الوسائد.

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين / ٢٢-٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان / ١٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس / ٥٥-٥٦].

• صفة سُرر أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر / ٤٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور / ٢٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلَبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة / ١٥-١٦].

٤- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الغاشية / ١٣].

• صفة أواني أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة / ١٧-١٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف / ٧١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان / ١٥-١٦].

٤- وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» متفق عليه^(١).

• صفة حلي أهل الجنة ولباسهم:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

يُحَاكُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ [الحج/ ٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسَنَتَ مَرْتَفَعًا ﴿٣١﴾ [الكهف/ ٣١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمُومٍ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ [الإنسان/ ٢١].

• أول من يُكسى في الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «... وإنَّ أوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ». أخرجه البخاري^(١).

• صفة خدم أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة/ ١٧-١٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴿١٩﴾ [الإنسان/ ١٩].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ [الطور/ ٢٤].

• أول طعام يأكله أهل الجنة:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: «زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ» أخرجه البخاري^(٢).

٢- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود... وفيه -: فقال اليهودي.. فَمَنْ أولُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قال: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زِيَادَةُ كَبِدِ النَّوْنِ» فقال فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا» أخرجه مسلم^(٣).

• صفة طعام أهل الجنة:

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣١٥).

- ١ - قال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف/ ٧٠-٧١].
- ٢ - وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴿الرعد/ ٣٥﴾﴾

- ٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ مِمَّا يَتَخَبَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِحَرْطِيمٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة/ ٢٠-٢١].
- ٤ - وقال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة/ ٢٤].

٥ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدَكُمْ حُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ». - وفيه - فأتى رجل من اليهود... فقال: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَتُونٌ، قالوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: تُونٌ وَتُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا» متفق عليه^(١).

٦ - وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلَّحُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ». أخرجه مسلم^(٢).

٧ - وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا شجرة أكثر شوكا منها - يعني الطلح -، فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصِيَّةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ - يعني المخصي - فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ لَا يُشْبِهُ لَوْنَهُ لَوْنُ الْآخِرِ». أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين^(٣).

• صفة شراب أهل الجنة:

- ١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرْاجِحًا كَأُفُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان/ ٥].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

(٣) صحيح / أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٣٠) وفي مسند الشاميين (١/ ٢٨٢)، انظر الصحيحة رقم (٢٧٣٤).

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧) [الإنسان/١٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ﴾ (٢٥) خْتَمُهُ، مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ، مِنْ تَسْبِيعٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ [المطففين/٢٥-٢٨].

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (١).

● صفة أشجار الجنة وثمارها:

١- قال الله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ (١٤) [الإنسان/١٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا الْمَتِّقِينَ فِي ظِلِّهِ وَعِيُونَ﴾ (٤١) وَفَوْكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ [المرسلات/٤١-٤٢].

٣- وقال الله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (٥١) [ص/٥١].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد/١٥].

٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ [النبا/٣١-٣٢].

٦- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ رَوْحَانٍ﴾ (٥٢) ، ﴿فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٦٨) [الرحمن/٥٢، ٦٨].

٧- وقال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (٥٥) [الدخان/٥٥].

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ [الواقعة/٢٧-٣٣].

٩- وقال الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ [الحاقة/٢٢-٢٤].

١٠- وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما في قصة المعراج - وفيه: - أن النبي ﷺ قال: «وَرَفَعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبَقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجْرٌ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفَيْوَلِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٣٦١)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٣٤).

النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» متفق عليه^(١).

١١- وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِطُ الْجَوَادُ أَوْ الْمَضْمَرُ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا» متفق عليه^(٢).

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ». أخرجه الترمذي^(٣).

● صفة أنهار الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج/ ١١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طَيْبُهُ، أَوْ طَيْبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» أخرجه البخاري^(٤).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّحَانٌ وَجَيْحَانٌ، وَالْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». أخرجه مسلم^(٥).

● صفة عيون الجنة:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٨).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٥٨١).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٩).

- ١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر/٤٥].
- ٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [٥] ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [٦] [الإنسان/٥-٦].
- ٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ﴾ [٢٧] ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [٢٨] [المطففين/٢٧-٢٨].
- ٤ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [٦٦] [الرحمن/٥٠، ٦٦].
- ٥ - وقال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [١٧] ﴿عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ [١٨] [الإنسان/١٧-١٨].

• صفة نساء أهل الجنة:

- ١ - قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [١٥] [آل عمران/١٥].
- ٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [٣٥] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَجْحَارًا﴾ [٣٦] ﴿عُرْبًا آثَرَابًا﴾ [٣٧] ﴿لَأَصْحَابِ الْعِيْنِ﴾ [٣٨] ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [٣٩] ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [٤٠] [الواقعة/٣٥-٤٠].
- ٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ﴾ [٤٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [٤٩] [الصافات/٤٨-٤٩].
- ٤ - وقال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [٢٢] ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [٢٣] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٤] [الواقعة/٢٢-٢٤].
- ٥ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [٥١] ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ [٥٧] ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٥٨] [الرحمن/٥٦-٥٨].
- ٦ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [٧٠] ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ [٧١] ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [٧٢] [الرحمن/٧٠-٧٢].
- ٧ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعٌ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا،

وَلَمَّا تَهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». متفق عليه^(١).

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبِ دُرِّيِّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ». متفق عليه^(٢).

● عطور وروائح الجنة:

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم ودرجاتهم.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبِ دُرِّيِّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَنْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ - الْأَلَنْجُوجُ، عُوْدُ الطَّيِّبِ - وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(٣).

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه البخاري^(٤).

٣- وفي لفظ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٥).

● غناء أزواج أهل الجنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ خَيْرِ الْحَسَانِ، أَزْوَاجُ قَوْمِ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ».

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦)، ومسلم برقم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٥) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٤٠٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٨٧).

وَأَنَّ مِمَّا يُعْنَيْنَ بِهِ: نَحْنُ الْحَالِدَاتُ فَلَا يَمْتَنَهُ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخْفَنَهُ، نَحْنُ الْمَقِيمَاتُ فَلَا يَطْعَنَهُ» أخرجه الطبراني في الأوسط^(١).

• جماع أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/٥٥-٥٦].

٢- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ»، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ صَمِرَ» أخرجه الطبراني والدارمي^(٢).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل نصل إلى نساءنا في الجنة؟ فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَدْرَاءٍ» أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في صفة الجنة^(٣).

• الولد في الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسَنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» أخرجه أحمد والترمذي^(٤).

• دوام نعيم أهل الجنة:

إذا دخل أهل الجنة الجنة تلقتهم الملائكة، وبشرتهم بما في الجنة من النعيم والخلود بشرى لم يسمعوا بمثلها قط.

١- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد/٣٥].

(١) صحيح / أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩١٧)، انظر صحيح الجامع رقم (١٥٦١).

(٢) صحيح / أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٥)، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧٢١)، انظر صحيح الجامع رقم (١٦٢٧).

(٣) صحيح / أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٢٦٣)، وأخرجه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٧٣)، انظر الصحيحة رقم (٣٦٧).

(٤) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١١٠٧٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٦٣).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَوَدُّوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِشْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أخرجه مسلم^(١).

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل ينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت» أخرجه البزار^(٢).

• درجات الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٢١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾ [طه/ ٧٥-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فقالوا يا رسول الله: أفلا نبشر الناس؟

قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَزْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»، أراه قال: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري^(٣).

• رفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

(٢) صحيح / أخرجه البزار - كشف الأستار - برقم (٣٥١٧)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٠٨٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

كُلُّ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٦١﴾ [الطور/ ٢١].

• صفة ظل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء/ ٥٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَاصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ [الإنسان/ ١٣-١٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد/ ٣٥].

• علو الجنة وسعتها:

١- قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ [الغاشية/ ٨-١١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد/ ٢١].

• أعلى منزلة في الجنة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنَزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْعِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِّنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ

الشَّفَاعَةُ» أخرجه مسلم^(١).

• أعلى أهل الجنة منزلة، وأدناهم منزلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبًّا، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا.

قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قال: ومصادقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أخرجه مسلم^(٢).

وفي لفظ في بيان أدنى أهل الجنة: «فإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا» متفق عليه^(٣).

• أعظم نعيم أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَأَتَكُمُ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» متفق عليه^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧١)، ومسلم برقم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

٤- وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم^(١).

وصف نعيم الجنة

● هذه صور من أوصاف الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، جعلنا الله وإياكم والمسلمين من أهلها، إنه جواد كريم.

١- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَايِينَا وَكَانُوا مَسْلَمِينَ ﴿٦١﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف/ ٦٩-٧٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ وَعْدًا لَا يُخْفَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان/ ٥١-٥٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٣﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٤﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَايِينَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَنُسِقْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أُسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴿الإنسان/ ١٢-٢٢﴾.

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بَاكِرَاتٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْفَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴿الواقعة/ ١٠-٢٦﴾.

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْفَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّمْنَهُمْ آبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عَرَبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴿الواقعة/ ٢٧-٤٠﴾.

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». مصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. متفق عليه^(١).

• ذِكْرُ وَكَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿الزمر/ ٧٤﴾.

٢- وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ ﴿يونس/ ١٠﴾.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة/ ٢٥-٢٦].

٤- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَقَلَّبُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَغَوِّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ» أخرجه مسلم^(١).

• سلام الرب على أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿نَحِيَّتَهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَلَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿سَلَمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس/ ٥٨].

• لقاء الرضوان:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». متفق عليه^(٢).

اللهم ارض عنا وعن والدينا وأهلينا والمسلمين أجمعين، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم.

• مقدار أمة محمد ﷺ في الجنة:

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعلها شطر أهل الجنة، ثم تفضل عليهم بالزيادة إلى الثلثين.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قبّة فقال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا نعم قال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩)، واللفظ له.

الثَّورِ الْأَحْمَرِ» متفق عليه^(١).

• صفوف أهل الجنة:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٢).

• أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٨٢].

٢- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدِقٌ مُؤَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ..» أخرجه مسلم^(٣).

٣- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَّضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ...» متفق عليه^(٤).

• أكثر أهل الجنة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه^(٥).

• آخر من يدخل الجنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ، الْجَنَّةَ مَلَأَى، فَيَقُولُ لَهُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٣)، واللفظ له.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلَّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةُ مَلَأَى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَارٍ متفق عليه^(١).

صفة النار

- النار: هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة.
- ستحدث هنا إن شاء الله تعالى عن النار دار البوار وما فيها من ألوان العذاب؛ ليكون ذلك باعثاً على الرهبة والفرار من النار.
- وإنما يحصل الفوز بالجنة والنجاة من النار بالإيمان والأعمال الصالحة ، واجتناب الشرك والمعاصي، نسأل الله الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وسيكون الحديث عن النار على ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
- أشهر أسماء النار:

النار واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ - النار: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء/ ١٤].

٢ - جهنم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء/ ١٤٠].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٦).

٣- الجحيم: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١٠).
[المائدة/ ١٠].

٤- السعير: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤). [الأحزاب/ ٦٤].

٥- سقر: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨). [القمر/ ٤٨].

٦- الحطمة: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (٤) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦). [الهمزة/ ٤-٦].

٧- لظى: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَىٰ﴾ (١٥) ﴿نَزَاعَةَ لَشَوَىٰ﴾ (١٦) ﴿تَدْعُوا مَن أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧). [المعارج/ ١٥-١٧].

٨- دار البوار: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسِكُ الْقَرَارُ﴾ (٢٩). [إبراهيم/ ٢٨-٢٩].

● مكان النار:

١- قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِنَبَ الْفُجَّارِ لِنِي سَجِينٍ﴾ (٧). [المطففين/ ٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَىٰ بَابِ الْأَرْضِ يَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ، فَيَبْلُغُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ»
أخرجه الحاكم وابن حبان^(١).

● خلود أهل النار:

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم.

١- قال الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنٰفِقِينَ وَالْمُنٰفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨). [التوبة/ ٦٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

يَاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء / ٤٨].

• صفة وجوه أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر / ٦٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُم يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس / ٤٠-٤٢].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُم يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَطَّانُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة / ٢٤-٢٥].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُم يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلُّونَ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية / ٢-٤].

٥- وقال الله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون / ١٠٤].

• عدد أبواب النار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر / ٤٣-٤٤].

• أبواب النار مغلقة على أهلها:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة / ٤-٩].

• مجيء النار في عرصات القيامة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء / ٩١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٢﴾ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبْنَذُ كَرًّا لِّالنَّسْنَنِ وَأُنْفِيَ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر / ٢١-٢٣].

٣- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» أخرجه مسلم^(١).

• ورود النار:

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

١ - قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جَحِيمًا ﴿٧٢﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة...
- وفيه - فقال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق عليه^(١).
● قعر النار:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» أخرجه مسلم^(٢).

٢- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ» أخرجه مسلم^(٣).

● عظمة خلق أهل النار:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضَرَسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلَطُ جِلْدِهِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثٌ» أخرجه مسلم^(٤).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ» متفق عليه^(٥).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ضَرَسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرَضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَضُّدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَفَخْدُهُ مِثْلُ وِرْقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ» أخرجه أحمد والحاكم^(٦).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٥).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥١).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥١)، ومسلم برقم (٥٢)، واللفظ له.

(٦) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٣٢٧) وأخرجه الحاكم برقم (٨٧٥٩) وهذا اللفظ، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١١٠٥).

● قوة حرارة النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَنَهُم جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أءَا ذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أءَا نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء/ ٩٧-٩٨].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا فَضَلَّتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه^(١).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ» متفق عليه^(٢).

● وقود النار:

١- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم/ ٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٨].

● دركات النار:

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم، وتمكنهم من أذى المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

• صفة ظل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ٤١﴾ ﴿فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ٤٢﴾ ﴿وَضِلٌّ مِّنْ يَّحْمُورٍ ٤٣﴾ [الواقعة/ ٤١-٤٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَلْعَبُدُ فَأَتَقُونَ ١٦﴾ [الزمر/ ١٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿أَنْظِلِفُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ٣٠﴾ ﴿لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهِ ٣١﴾ [المرسلات/ ٣٠-٣١].

• خزانة النار:

١- قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٤٦﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ٤٧﴾ ﴿لَا يُبْقَى وَلَا نَذْرٌ ٤٨﴾ ﴿لَوْ آهَةٌ لِلْبَشَرِ ٤٩﴾ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٥٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٥١﴾ [المدثر/ ٢٦-٣١].

٢- ومالك خازن النار، كما قال سبحانه: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ٧٧﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

• بعث النار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَرَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبَشِّرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ» متفق عليه^(١).

• كيفية دخول أهل النار النار:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٢).

١- قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ [الرحمن/ ٤١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ [الفرقان/ ١١-١٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ [الطور/ ١٣-١٤].

٦- وقال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤١﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّن فَطْرَانٍ وَنَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ» أخرجه أحمد والترمذي^(١).

• أول من تُسعر بهم النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤) وهذا اللفظ.

فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». أخرجه مسلم^(١).

• أهل النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ [البقرة/ ٣٩].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

٣ - وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «..وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالا، والحائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل أو الكذب «والشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ» أخرجه مسلم^(٢).

• أكثر أهل النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «أُرِيْتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيْ كَفُرْنَ بِاللَّهِ؟، قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» متفق عليه^(١).

• أشد أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ كُلِّ كَفَّارٍ عِنْدِ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق/ ٢٤-٢٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِكُلِّ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر/ ٤٥-٤٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل/ ٨٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].

٥- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِينًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِينًَا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٠].

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ بُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِدِ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمَصْورِينَ» أخرجه أحمد والترمذي^(٢).

٧- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصْورُونَ» متفق عليه^(٣).

٨- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩)، واللفظ له.

الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَّالَةٌ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ» أخرجه أحمد والطبراني^(١).

• أهون أهل النار عذاباً:

١- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ بِالْمُقَمِّمِ» متفق عليه^(٢).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» أخرجه مسلم^(٣).

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ - وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ - : «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي صَحْضَاحِ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمَّ دِمَاعِهِ» متفق عليه^(٤).

• ما يقال لأهون أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٦﴾ [المائدة / ٣٦].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي» متفق عليه^(٥).

• سلاسل جهنم وأغلالها:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ ﴿٤﴾ [الإنسان / ٤].

(١) جيد / أخرجه أحمد برقم (٣٨٦٨) وهذا لفظه، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ٢٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

٢- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
 إِذِ الْأَعْلَالُ فِي آعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾
 [غافر/ ٧٠-٧٢].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غِصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل/ ١٢-١٣].
 ٤- وقال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجَّجِمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة/ ٣٠-٣٤].

• صفة طعام أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾
 كغلي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان/ ٤٣-٤٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا
 شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا
 الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصفوات/ ٦٢-٦٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية/ ٦-٧].

٤- وقال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾
 [الحاقة/ ٣٥-٣٧].

• صفة شراب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ
 صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٌ
 وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم/ ١٥-١٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ

يَشْوِي أَلْوَجُوهُ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف/ ٢٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ هَذَا وَإِلَى اللَّطِغِينَ لَشَرِّ مَاءٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمِنَّسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَجُ ﴿٥٨﴾ [ص/ ٥٥-٥٨].

• صفة ثياب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ [الحج/ ١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

• فرش أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف/ ٤١].

• حسرة أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة/ ١٦٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا أَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ سُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً» أخرجه البخاري^(١).

٣- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَقَدْ سَأَلْتِكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ» متفق عليه^(٢).

• كلام أهل النار:

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

١- قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ لِأَوْلِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَيْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ [الأعراف/٣٨-٣٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ [العنكبوت/٢٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ [الفرقان/١٤].

صور من أصناف المعذبين في النار

١- الكفار والمنافقون:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة/٦٨].

٢- قاتل النفس المعصومة عمدا:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ [النساء/٩٣].

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه البخاري (١).

٣- الزناة والزواني:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» - وفيه - أنه قال ذات غداة: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ... فَأَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هُوَ لَآءٌ؟ - وفيه - فَقَالَا: وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ فَهُمْ الزَّانَةُ وَالزَّوَانِي...» أخرجه البخاري (٢).

٤- أكلو الربا:

في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ: «فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى آتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا؟... قَالَ وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ آكِلُو الرِّبَا» أخرجه البخاري (٣).

٥- المصورون:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» أخرجه مسلم (٤).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد سَتَرَتْ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ» قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. متفق عليه (٥).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢١١٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧)، واللفظ له.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» متفق عليه^(١).

٦- أكل مال اليتيم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء/ ١٠].

٧- أهل الكذب والغيبة والنميمة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [٩٢] ﴿فَزُلْزِلْ مِنْ حِمِيرٍ﴾ [٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [٩٤] [الواقعة/ ٩٢-٩٤].

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر - وفيه - فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٢).

٨- الذين يكتمون ما أنزل الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٧٤].

• تخاصم أهل النار:

حينما يرى الكفار ما أعد الله لهم من العذاب، ويعانون تلك الأهوال، يمتقون أنفسهم، ويمقتون أحبابهم وخالانهم في الدنيا، وتنقلب كل محبة بينهم إلى عداوة، وعند ذلك يخاصم أهل النار بعضهم بعضاً، ويحاج بعضهم بعضاً على اختلاف طبقاتهم، ولكن لا تنفع تلك الخصومة، وهذه صور من تلك الخصومات والحسرات:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٢)، ومسلم برقم (٢١١٠)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٧٣).

١ - مخاصمة العابدين لمعبوديههم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ دُسِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأُمُجِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء/ ٩٦-٩٩].

٢ - مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر/ ٤٧-٤٨].

٣ - تخاصم الأتباع مع قادة الضلال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْتُمْ كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَتَاهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الصفوات/ ٢٧-٣٣].

٤ - تخاصم الكافر وقربنه الشيطان: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق/ ٢٧-٢٩].

٥ - ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضائه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت/ ١٩-٢١].

• طلب أهل النار من ربهم رؤية مَنْ أضلّوهم وتضعيف العذاب عليهم:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت/ ٢٩].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرَا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٦-٦٨].

• خطبة إبليس في أهل النار:

إذا قضى الله الأمر، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

● طلب النار المزيد:

١- قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ن/ ٣٠].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» متفق عليه^(١).

صور من أحوال أهل النار

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف/ ٧٤-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يُخَدُّونَ وَلَا يَنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٤٨)، واللفظ له.

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُهَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر/٣٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/١٠٦-١٠٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم/٦٨-٧٠].

٧- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِيَبْثَنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا بَرْدٌ وَلَا شَرَابٌ ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبا/٢١-٢٦].

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك/٦-٩].

٩- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر/٤٧-٤٨].

١٠- وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة/٤-٩].

١١- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ» متفق عليه^(١).

• بكاء أهل النار وصراخهم:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة/٨١-٨٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر/٣٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء/١٠٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان/١٣-١٤].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان/٢٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة/١٦٧].

• دعاء أهل النار:

إذا دخل أهل النار فيها وأصابهم العذاب الشديد استغاثوا ونادوا لعلهم يجدون من يغيبهم ويحببهم فينادون أهل الجنة، وخزنة النار، ومالك خازن النار، وينادون ربهم، فلا يجابون إلا بما يزيد حسرتهم، ثم يفقدون الأمل ويأخذون في الزفير والشهيق.

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَأْتِكُمْ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف/٥٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَئِن لَّمْ نَدْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر/٤٩-٥٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف/٧٧-٧٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون/١٠٦-١٠٨].

٥- فإذا فقد أهل النار الأمل في الخروج من النار ويئسوا من أي خير أخذوا في الزفير

والشهيق كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَقُوتُوا فِي النَّارِ لَمْ يَفِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) خَلِيدٌ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧) [هود/١٠٦-١٠٧].

عياداً بالله من غضب الله وسخطه وعقوبته، اللهم ارزقنا الجنة.. وأجرنا من النار.. أنت مولانا.. فنعم المولى.. ونعم النصير.

• ميراث أهل الجنة منازل أهل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) أخرجه ابن ماجه (١).

• خروج عصاة الموحدين من النار:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ وَيَطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» قال: «فَيُرْسُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغَثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» أخرجه أحمد والترمذي (٢).

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً» متفق عليه (٣).

• أشد عذاب أهل النار:

١- أفضل نعيم في الجنة فرح المؤمنين وسرورهم برؤية ربهم جل وعلا، ورضاه عنهم كما قال سبحانه: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) [القيامة/٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٥٢٦٨)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧)، وهذا اللفظ.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤)، ومسلم برقم (١٩٣)، واللفظ له.

وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾
[التوبة/ ٧٢].

٢- وأشد عذاب في النار حجاب أهل النار عن رؤية ربهم جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

● خلود أهل الجنة والنار:

١- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [هود/ ١٥-١٠٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة/ ٣٦-٣٧].

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنَ إِلَى حُزْنِهِمْ» متفق عليه^(١).

● أكثر أهل الجنة والنار:

الرجال في الجنة أكثر من النساء، والنساء في النار أكثر من الرجال، والحوار أكثر من الرجال في الجنة.

١- عن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» متفق عليه^(١).

٣- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَقْلَ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ». أخرجه مسلم^(٢).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَنْفُلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَلَنْجُوجُ عُودُ الطَّيِّبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِي رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(٣).

• حجاب الجنة والنار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفق عليه^(٤).

• قرب الجنة والنار:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» أخرجه البخاري^(٥).

• احتجاج الجنة والنار وحكم الله بينهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمْتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٣).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٨).

عَذَابِي، أَعَذَّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلُؤَهَا» متفق عليه^(١).

● اتقاء النار وطلب الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣١-١٣٢].

٢- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» متفق عليه^(٢).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» متفق عليه^(٣).

● اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

دعاء أهل التوحيد

● ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

● ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

● ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

● ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣٥).

• ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [الممتحنة/ ٤-٥].

• ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

• ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون/ ١٠٩].

• ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة/ ٨٣].

• ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ [آل عمران/ ١٦].

• ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].

• ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر/ ١٠].

• ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾
[آل عمران/ ١٤٧].

• ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾
[يونس/ ٨٥-٨٦].

• ﴿رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً
لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

• ﴿رَبَّنَا آئِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ [الكهف/ ١٠].

• ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فِرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾
[الفرقان/ ٧٤].

• ﴿رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ [الدخان/ ١٢].

• ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾
[الفرقان/ ٦٥-٦٦].

• ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

• ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ

لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾ [آل عمران/ ٨-٩].

• ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران/ ١٩٣-١٩٤].

• ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ [النمل/ ١٩].

• ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١].

• ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ [الأحقاف/ ١٥].

• ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

• ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴿١٦﴾ [الفصص/ ١٦].

• ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [هود/ ٤٧].

• ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِّنَ وِرثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

• ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ [نوح/ ٢٨].

• ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ [آل عمران/ ٣٨].

• ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنبياء/ ٨٩].

• ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ [الصافات/ ١٠٠].

• ﴿ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون/ ١١٨].

• ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (١٨) [المؤمنون / ٩٧ - ٩٨].

• ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) [طه / ١١٤].

• ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨٠)

[الإسراء / ٨٠].

• ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢٩) [المؤمنون / ٢٩].

• ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧) [القصص / ١٧].

• ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣٠) [العنكبوت / ٣٠].

• «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه^(١).

• «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» متفق عليه^(٢).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» متفق عليه^(٣).

• «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَعْرَمِ، وَالْمَأْتَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» متفق عليه^(١).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(٢).

• «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه^(٣).

• «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ» أخرجه البخاري^(٥).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ» أخرجه البخاري^(٦).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٤).

أخرجه مسلم^(١).

- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم^(٢).
- «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم^(٣).

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنْيَ» أخرجه مسلم^(٤).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.» أخرجه مسلم^(٥).

- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم^(٦).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم^(٧).
- «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.» أخرجه مسلم^(٨).
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدَّنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَتَةً مَعَ بَرَكَتِهِ.» أخرجه مسلم^(٩).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

(٩) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).

- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم^(١).
- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِنِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُفْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٢).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقَ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَعًا قَلْبِي، وَنُورًا صَدْرِي، وَجَلَاءً حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد^(٣).
- «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد والترمذي^(٤).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِّي» أخرجه الترمذي والنسائي^(٥).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٦).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ» أخرجه الترمذي^(٧).
- «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّي، وَانصُرْنِي وَلَا تُنصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَاهًا مُنِيبًا.
- رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٧) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي^(١).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا». أخرجه أحمد وابن ماجه^(٢).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْغًا». أخرجه أبو داود والنسائي^(٣).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٤).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي^(٥).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي^(٦).

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٧).

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٥٤٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٧) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

- «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(١).
- «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّيَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى.
- وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَرِينَةً الْإِيمَانَ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي^(٢).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي^(٣).
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِي لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنُهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحِينَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(٤).

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠).

- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». أخرجه أحمد وابن ماجه^(١).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِنَسِ الضَّحِيجِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِنَسِ الْبِطَانَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٢).
- «اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِئَارِي». أخرجه الترمذي^(٣).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ العُدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». أخرجه أحمد والنسائي^(٤).
- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوتِنَا، مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». أخرجه الترمذي^(٥).
- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء .
- الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، الآخر بلا آخر يكون بعده .
- الحمد لله الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداءً ، واخترعهم بمشيئته اختراعاً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً، وجعل لكل روح منهم قُوتاً معلوماً ، ورزقاً مقسوماً ، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً ، ونصب له أمداً معلوماً ، يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه ، من عظيم ثوابه ، أو شديد عقابه : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم/ ٣١] ، عدلاً منه وإحساناً .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

(٢) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧) ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨).

(٣) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٤) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨) ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥) ، وهذا لفظه.

(٥) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

- والحمد لله الذي عَرَّفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه ، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته وألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره ، وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعَصَمنا من الإلحاد والشك في أمره .
- والحمد لله الذي اختارَ لنا محاسن الخلق ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، وسخرَ لنا ما في السموات والأرض ، فكلُّ المخلوقات منقادَةٌ لنا بقدرته ، وصائرةٌ إلى طاعتنا بعزته .
- والحمد لله الذي أغلقَ عنا باب الحاجة إلا إليه ، وركَّبَ فينا أعضاء البسط والقبض ، وخلقَ فينا جوارح الأعمال ، وغَدَّانا بطيبات الرزق ، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا ، ثم خالَفنا أمره ، وركَّبنا مُتُون زَجْره ، فلم يعاجلنا بعقوبته ، بل أكرمنا بوسع رحمته ، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورجعتنا برأفته .
- والحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله ، ودكَّننا على أبواب التوبة بفضله .
- والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضعَ عنا ما لا طاقة لنا به ، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها .
- والحمد لله بكل ما حمدهُ به خلقه ، وأقرب ملائكته إليه ، وأكرم خليقته عليه ، وأرضى حامديه لديه ، حمداً يُفضَّل سائر الحمد .
- والحمد لله حمداً يوافي نِعَمه ، ويكافي مزيده ، عدد ما أحاط به علمه ، حمداً لا ينتهي لحدِّه ، ولا حساب لعدده ، ولا بلوغ لغايته ، ولا انقطاع لأمدِه .
- والحمد لله الذي منَّ علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية ، فأدَّى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه .
- اللهم يا من لا تنقضي عجائبُ عظمتِه ، ولا تفتنى خزائنُ رحمته ، ولا تنتهي مدة ملكه ، صلِّ وسلم على محمد وآل محمد ، وأصحاب محمد ، وأتباع محمد ﷺ .
- الحمد لله الذي خلقَ السموات والأرض ، وأمسكها بقدرته ، ورفع السماء بقوته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وملا الكون برحمته .
- والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميَّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحدٍ منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً .

- والحمد لله عددَ ما خلقتَ في الأرضِ والسماءِ ، وعدد ما علا في الهواء ، وعدد ما كنَّ تحت الثرى ، ليس لنا من الأمرِ إلا ما قضيتَ ، ولا من الخيرِ إلا ما أعطيتَ .
- اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً ، وأشهد ملائكتك وحملةَ عرشك ، وجميع سكان أرضك وسماواتك ، وكل ذرةٍ في ملكك ، أني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبداً ورسولك .
- اللهم أنت المنانُ بالجزيل ، الغافرُ للعظيم ، الشاكرُ للقليل ، الجابرُ للكسير ، ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .
- يا مَنْ تُحَلُّ به عُقْدُ المكاره ، ولا يستغاثُ إلا به عند الشدائد .
- يا مَنْ ذَلَّتْ لقدرته الصعاب ، وخضعت لجبروته الشدائد الصلاب ، واستجابت لمشيئته جميع المخلوقات ، وأسرعت إلى إرادته جميع الكائنات .
- لا إله إلا أنت ، أنت المَفْزَعُ في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دَفَعْتَ ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشَفْتَ ، اكشف ما بنا من الضر والبلاء ، يا أرحم الراحمين .
- لا إله إلا أنت ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مقدم لما أخرت ، ولا مؤخر لما قدمت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا قابض لما بسطت .
- اللهم إني أعوذ بك من شدة الحرص ، وسَوْرَةِ الغضب ، وغَلْبَةِ الحسد ، وقلة الصبر ، وسوء الخُلُق ، ومخالفة الهدى ، ومتابعة الهوى ، وحرمان الثواب ، وحُلُول العقاب .
- اللهم إنا نعوذ بك من سوء السريرة ، واحتقارِ الصغيرة ، ومقارفةِ الكبيرة ، ومن معيشةٍ في شدة ، وميتةٍ على غير عُدَّة .
- اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اهدنا لما يرضيك عنا ، ووقفنا لما تحبه وترضاه من موجباتِ ثوابك ، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها ثوابك ، ولا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عقابك .
- اللهم لك الخلقُ والأمرُ كله ، إن عفوتَ عنا بفضلك ، وإن عذبتنا فبعذك ، ولا نجاة لأحد منا إلا بعفوك ، فاعف عنا واغفر لنا وأنت خير الغافرين .

• يا غني الأغنياء ، نحن عبيدك أفقر الفقراء إليك ، فاجبر فاقتنا من فضلك ، ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقك .

• اللهم ارحم تضرُّعنا إليك ، وانظر إلى ذلنا بين يديك ، يا عزيزَ الملكِ والسلطانِ أغننا إذ طرَحنا أنفسنا بين يديك ، فإنك رحيم بمن دعاك ، ومستجيبٌ لمن ناداك .

• اللهم يا من طاعته نجاة للمطيعين ، وذِكْرُه شرفٌ للذاكرين ، أشغِلْ قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ، وأشغِلْ ألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، واستعمل جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الذليلُ الواقفُ بباب عزك فلا تطردني من جنابك ، فإن طردتني فلا حول لي ولا قوة إلا بك .

• سبحانك ما أرحمك ، لا أيأسُ منك وقد فتحت لي أبوابَ التوبةِ إليك ، وغفرت لي ما يسوؤني بين يديك ؛ لأنك أنت الرؤوف الرحيم .

• اللهم ارحم عبدك الذي تلقاك بالإنابة ، وأخلص لك التوبة ، وطأطأ رأسه لعظمتك ، وخشع قلبه لجلالك ، وذرفت عيونه من خشيتك .

• يا من رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته أوسع من عقوبته ، وعفوه أكثر من نقمته ، ورضاه أوفر من سخطه ، وإحسانه أعظم من عدله .

• يا عظيمَ الصفح ، يا جزيلَ العطاء ، يا حسنَ التجاوز ، يا فعَّالاً لما تشاء ، يا سريعَ الرضا ، يا باسطَ اليدين بالعطاء .

• اللهم يا من خزائنه ملاءى بكل شيء ، يا من عنده نيلُ الطلبات .

• يا من لا يبيعُ نعمه بالأثمان ، ولا يكدرُ عطاياه بالامتنان .

• يا من يُستغنى به ولا يُستغنى عنه ، ويُرغَبُ إليه ولا يُرغَبُ عنه ، يا من لا تُفني خزائنه المسائل .

• اللهم إن تعذبني فبعدلك وأنا لذلك أهل ، وإن تعف عني فبفضلك وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• اللهم اني أسألك بأسمائك الحسنی ، وصفاتك العلی ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وما أظهرته منها وما أخفيته ، أن ترحم هذا المخلوقَ الجزوع ، وهذا الإنسانَ الهلوع ، وهذا المملوكَ الضعيف ، وهذا العبدَ الفقير ، فإنه لا يستطيع حرَّ شمسك ، فكيف يطيق حرَّ نارك ، ولا يستطيع احتمال

صوت رعدك ، فكيف يستطيع سماع صوت غضبك ، وهبه صبراً على بلائك وعذابك ، فكيف يصبر على فراقك ، فارحمه يا أرحم الراحمين .

• اللهم أنت ربي الغني ، وأنا عبدك الفقير ، وعذابي لا يزيد في ملكك مثقال ذرة ، أنت ذو الملك والملكوت ، وذو العزة والجبروت ، وذو الجلال والإكرام ، لا تزيد في ملكك طاعة الطائعين ، ولا تنقصه معصية العاصين ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله .

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، وأنت الربُّ الرؤوف الرحيم .

لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما فوقها ، وملء ما شئت من شيء بعد .

لك الحمد الذي لا نهاية لعدده ، ولا انقطاع لأمده ، على عظمتك وعظمة أسمائك وصفاتك ، وعظيم إحسانك ، وجزيل عطائك .

• إلهي خلقتني في أحسن تقويم ، وهديتني إلى الصراط المستقيم ، وابتدأتني بالإحسان ، ووفرت حظي من كل خير ، وصرفت عني كل شر ، وأقررت عيني بما يسرني .

• إلهي أنت الذي هديتني ، وأنت الذي رزقتني ، وأنت الذي أجبت عند الاضطراب دعوتي ، وأنت الذي سترت زلتي ، ودفعت عني ما يضرني .

• إلهي أستغفرك وأتوب إليك ، وأسألك أن تعفو عني وتغفر لي ، فلست بريئاً فأعتذر ، ولا قوياً فأنتصر ، ولا مفرّلي فأفرّ ، لا ملجأ ولا منجالي منك إلا إليك .

• إلهي أستقبلك عثراتي ، وأعتذر إليك من هفواتي ، وأفرّ إليك من ذنوبي التي أوبقتني ، وسيئاتي التي أحاطت بي فأهلكتنني ، فاغفر لي وارحمي وتب عليّ .

• إلهي جئتك مستجيراً فلا تخذلني ، وسائلاً فلا تحرمني ، ومعتمداً فلا تُسلمني ، وداعياً فلا تردني .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الضعيفُ العاجزُ الفقيرُ المحتاج ، أسألك أن تغنيني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

• إلهي أشكو إليك ضعف نفسي عن المسارعة إلى الخيرات ، وجراتها على الموبقات ، فإن تعذبني فأنا الظالم المفرط ، وإن تغفر لي فأنت أرحم الراحمين .

- إلهي أنت الذي تسمع من شكائك إليك ، وتنصر من توكل عليك ، وتخلص من الشدة من اعتصم بك ، وتفرج كربته من لاذبك ، وتجيب دعاء من دعاك .
- إلهي أنت الملك الحق القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .
- إلهي كيف يخفى عليك ما أنت خلقتة ، وكيف يغيب عنك ما أنت تدبره ، وكيف لا تحصي ما أنت صنعته ، وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ، وكيف ينجو منك من لا مذهب له في غير ملكك ، سبحانك لا إله إلا أنت .
- لا إله إلا أنت سبحانك ، أخشى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ ، وأخضعهم لك أحسنهم طاعةً لك ، وأهونهم عليك من أنت ترزقه وهو يعبد غيرك .
- سبحانك ما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك .
- لا ينقص سلطانك من أشرك بك وكذب رسلك ، ولا يستطيع من كره قضاءك أن يرد أمرك ، ولا يفوتك من عبد غيرك ، ولا يعمر في الدنيا من كره لقاءك ، والكل صائر إليك ، وموقوف بين يديك ، لا إله إلا أنت ، آمنت بك ، وكفرت بكل معبود سواك .
- إلهي ومولاي أنا عبدك المقر بذنبي ، هذه يدي المذنبه مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنت الرب الرؤوف الرحيم ، أفلني عثرتي ، وزلة قدمي ، وارحم شيبتي وضعفي ومسكتي ، وقلة حيلتي ، ونفاذ أيامي ، واقتراب أجلي .
- مولاي وارحمي إذا خرّجت روعي من بدني ، وانقطع من الدنيا أثرِي ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيّرت حالي وصورتي .
- اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسالك سؤال من اشتدت فاقته ، وعظمت كربته ، وضعفت قوته ، وكثرت ذنوبه ، أن ترزقني يقيناً ينفع من استيقن به ، وعملاً تحب من عبدك به ، وخُلُقاً ترحم من اتّصف به .
- اللهم إني أسألك خشية العالمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك .
- سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .
- سبحانك العزُّ إزارك ، والكبرياء رداؤك ، والخلق خلقك ، والأمر أمرك .

- سبحان الله وبحمده ، عددَ خَلقه ، ورضا نفسه ، وزينة عرشه ، ومدادَ كلماته .
- سبحانَ العلي الأعلى الذي يسمع ويرى ما تحت الثرى ، الشاهدُ لكل نجوى ، العليمُ بكل شكوى ، الكاشف كل بلوى .
- الحمد لله الذي تجلَّى للقلوب بالعظمة ، واحتجبَ عن الأبصار بالعزة ، واقتدرَ على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .
- أنت الرب الذي تمجَّد بالعظمة والجلال ، وبالعز والكبرياء ، وتقدَّس بالحُسن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .
- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذكَّره ، ولا يُنقص مَنْ شكَّره ، ولا يخيِّب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رجاه ، أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .
- اللهم ثبتَّ قلبي على دينك ما أحييتني ، ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب .
- بسم الله الذي لا أرجو إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أعتد الا قوله ، ولا أطمئن إلا إليه .
- أعودُ بك رب من همزاتِ الشياطين ، وأحترزُ بسطانك من جورِ السلاطين .
- اللهم إني أسألك يا مَنْ يملك الحاجات كلها وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومناقدة لأمره ، أن تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاءٍ عافية ، وأن تغفر لي وترحمني ، يا مَنْ هو الإلهُ ، ولا يغفر الذنوب سواه .
- الحمد لله رب العالمين ، وأعودُ به من شر نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم .
- وأعودُ بالله من الشيطانِ الرجيم ، وأعتصمُ بالله من كل شيطانٍ مارِدٍ ، ومن كل جبَّارٍ فاجرٍ ، ومن كل سلطانٍ قاهرٍ ، ومن كل عدوٍ ظالمٍ .
- اللهم اجعلني من جنديك ، فإن جنديك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائك ، فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

- اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمةٌ أمري ، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مقرِّي ، وإليك وإليها من مجاورة اللثام مقرِّي .
- الحمد لله رب السموات والأرض ، الحمد لله خالق السموات والأرض .
- بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفعُ كلَّ مكروه ، واستجلبُ كلَّ محبوب .
- اللهم لك الحمد حمداً كثيراً لا ينقطعُ أبداً ، ولا يُحصي له الخلائقُ عدداً .
- اللهم يا رؤوفاً بالعباد اجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، وورغبتي في ثوابك ، وزهدي فيما يوجبُ لي أليم عقابك .
- اللهم يا أكرم الأكرمين أسألك توحيداً خالصاً ، ويقيناً صادقاً ، وسلاماً أقوى بها على طاعتك ، وعبادةً أستحقق بها جزيلَ ثوابك ، وسعةً في الحال من الرزق الحلال ، ولساناً على الدوام لك ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً .
- اللهم يا واهب الفضل العظيم ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا غافر الذنب الكبير أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، وأن تغفر لي ذنوبي ، وتستر عيوبِي ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم يا كاشف الضر ، يا مجيب المضرّ ، يا عظيم البر ، يا واسع المغفرة ، يا جميل السّتر ، يا كريم الصفح ، يا حسن التجاوز ، لا ملجأ لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .
- إلهي بيّض وجوهنا يوم تبيّض وجوه وتسودّ وجوه ، ولا تسودّ وجوهاً خرّت لعظمتك ساجدةً يا مولاي .
- اللهم ارحم قلوباً انطوت على محبتك ، وألسنةً نطقت بذكرك وحمدك ، والثناء عليك ، وآذاناً تلذذت بسماع ذكرك وكتابك ، وأكفّاً رُفِعَتْ رجاء رحمتك ، وأرجلاً سَعَتْ مجاهدةً في سبيلك ، وأبداناً عملت بطاعتك ابتغاء مرضاتك .
- اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى وجهك الكريم .

• إلهي ومولاي مَنْ الذي نزل بك ملتمساً قِرَاكَ فما قَرَيْتَهُ ، ومن الذي أناخ ببابك راجياً فضلكَ فما أَوْلَيْتَهُ .

• يا من بيده الخير كله ، وإليه يُرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعتَ ، نَجِّنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

• إلهي ومولاي ، يا خير مرجو ، ويا أكرم مدعو ، يا من بآبُه مفتوحٌ لداعيه ، وحبابُه مرفوعٌ لراجيه ، يا مجيبَ السائلين ، ويا أكرم المعطين ، أَخْلِصْ لِي تَوْحِيدَكَ ، واجعلني من صفوة عبيدك ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

• إلهي إِنْ كَانَ قَلَّ زَادِي فِي الْمَسِيرِ إِلَيْكَ ، فَلَقَدْ حَسَّنَ ظَنِي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ عَرَّضَنِي لِعِقَابِكَ ، فَقَدْ آمَنَنِي حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوَابِكَ .

• أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحَسَنَى ، وبأنوار قُدْسِكَ ، وبِلَطَائِفِ بَرِّكَ ، أَنْ تَرْضَى عَنِّي ، وَلَا تَشْوِي وَجْهِي بِالنَّارِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

• اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مَا بَدَأْتَ بِهِ مِنْ فَضْلِكَ عَلَيَّ فَتَمِّمَّهُ ، وَمَا وَهَبْتَ لِي مِنْ كَرَمِكَ فَلَا تَسْلُبْهُ ، وَمَا عَلَّمْتَهُ مِنْ قَبِيحٍ فَعَلِي فَاغْفِرْهُ ، وَمَا سَتَرْتَهُ عَلَيَّ بِحِلْمِكَ فَلَا تَهْتِكْهُ ، يَا وَلِيَّ الْإِنْعَامِ ، يَا مَعْرُوفاً بِالْإِحْسَانِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

• إلهي يَا مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، وَجَهَّتْ إِلَيْكَ وَجْهِي ، وَرَفَعْتَ إِلَيْكَ يَدِي ، طَامِعاً فِي إِحْسَانِكَ ، رَاغِباً فِي غَفْرَانِكَ ، طَالِباً لِمَرْضَاتِكَ ، خَاشِعاً لِعَظَمَتِكَ ، مَرِيداً وَجْهَكَ ، طَارِقاً بِبَابِكَ ، فَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَلَا تَفْعَلْ بِي مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّقْمَةِ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

• إلهي يَا سَابِغَ النِّعَمِ ، يَا دَافِعَ النِّقَمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، خَلَقْتَ فَسَوَّيْتَ ، وَصَوَّرْتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَأَنْعَمْتَ وَأَعْطَيْتَ ، وَهَدَيْتَ وَأَكْرَمْتَ ، وَأَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ، الْبَرُّ الْكَرِيمُ ، بِسَاحَتِكَ تُحَطُّ رِحَالُ الرَّاجِينَ ، يَا مَنْ لَا يَخِيَّبُ قَاصِدِيهِ ، وَلَا يَطْرُدُ عَنْ بَابِهِ مَوْئِلِيهِ ، ارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ .

• يَا رَبَّ تَصَاغِرْ عِنْدَ عَظِيمِ نِعْمِكَ شُكْرِي ، وَتَضَاعَلْ أَمَامَ إِكْرَامِكَ إِيَائِي ثَنَائِي .

• هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمْتَنِي السَّنَةَ وَالْقُرْآنَ ، وَأَحْطَطَنِي بِلَطَائِفِ بَرِّكَ ، وَجَمِيلِ إِحْسَانِكَ ، جَلَّلْتَنِي بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ ، وَقَلَّدْتَنِي قَلَائِدَ الْإِنْعَامِ ، وَطَوَّقْتَنِي بِأَطْوَاقِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ .

• فلك الحمد حمداً كثيراً يوافي نعمك ، ويكافئُ مزيدك ، على عظيم جلالك ، وجزيل عطائك، وسبوغ نعمائك ، وحُسن بلائك ، حمداً يوافق رضاك ، ويجلب لي العظيم من برك وتقواك .

• اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمان وزَيْنَهُ في قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وألهمنا طاعتك ، وجنبنا معصيتك ، وأذِقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطَفَيْنِ الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات الصالحات ، إنك على كل شيء قدير .

• سبحانك ما أعز سلطانك ، وما أعظم إحسانك ، وما أوسع غفرانك .
• سبحانك ما أظلم الطرق على مَنْ لم تكن دليله ، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله ، أسألك أن تدلني على ما يرضيك عني ، وأن تغفر زلتي ، وتقبل توبتي ، إنك أنت التواب الرحيم .
• اللهم اجعلنا ممن اصطفيته بِقُرْبِكَ ، وأخلصته لمحبتك ، وكتبته من أوليائك ، وَخَصَّصْتَهُ بمعرفتك ، ووهبت له من علمك ، وأهلَّته لعبادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وفرَّغْتَ فؤاده لحبك ، وشغَلْتَ جوارحه بطاعتك ، وأوزعته دوام شكرك ، وحفظته من معصيتك ، وقَطَعْتَ عنه كل شيء يشغله عنك ، إنك أنت العزيز الكريم .

• اللهم اجعلنا من أولي الألباب ، المقربين الأخيار ، الذين جباههم ساجدة لعظمتك ، وعيونهم ساهرة في عبادتك ، وقلوبهم ممتلئة بمحبتك ، وأفتدتهم وَجِلَّةً من مهابتك، ودموعهم سائلة من خشيتك .

• اللهم اجعل حبي لك قائداً إلى رضوانك ، وشوقي إليك مانعاً لي من عصيانك ، وامنُنْ عليّ بالنظر إلى وجهك الكريم ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه .
• يا خير من خلا به العبيد ، يا أرحم من أوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددتُ يدي ، وإلى عظيم كرمك نصبتُ ناصيتي ، فأعطني ولا تحرمني ، وأكرمني ولا تهني ، يا أرحم الراحمين .
• إلهي يا ولي الصالحين ، ويا أمان الخائفين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

أنا عبدك الذليل ، ذو اللسان الكليل ، والعمل القليل ، واقف بباب كرمك ، طارق لباب رحمتك ، متعرض لنفحات برّك ، معتصم بحبلك الشديد ، امنن عليّ بطوّلك الجزيل ، ورضوانك الجميل ، يا كريم يا جميل ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، وجزيل إحسانك .
• سبحانك قصّرت الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر الى سُبحات وجهك ، وخشعت جميع الخلائق لهيبتك ، ودلّ الأقوياء لقوتك ، وسبّحت جميع الكائنات بحمدك ، اجعلنا من أخصّ عارفيك ، وأصلح عابديك ، وأصدق طائعيك ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر .

لا تظمئنُ القلوبُ إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكاره إلا بأمرك ، ولا تزولُ المحن إلا بإذنك .

• إلهي أنت المدعو بكل لسان ، وأنت المعظّم في كل جنان ، وأنت المسبّح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، وأستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .

• إلهي بقدرتك عليّ تُب عليّ ، وبحلمك عليّ اعف عني ، وبعلمك بضعفي ارفق بي ، يا ولي المؤمنين .

• إلهي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه ، وهل يجيره من سخطه أحد سواه ، أنت الكريم الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمّيته باب التوبة ، فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم .

• إلهي إن قُبِحَ الذنب من عبدك ، فليحسُن العفو من عندك ، يا كاشف الضر ، ويا مجيب المضطر ، لست بأول من عصاك فتبت عليه ، وتعرّض بمعروفك فجدت عليه ، يا عظيم البر ، يا جميل الستر .

• اللهم لك الحمد على ما لا أزال فيه من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علة في جسدي ، فاغفر لي ما تعلمه مني .

- إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك ، أَوْفَتِ الصَّحَّةَ الَّتِي هَنَّا تُنِي فِيهَا بِطِيبَاتِ رِزْقِكَ ، وَقَوَّيْتَنِي فِيهَا عَلَيَّ مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ ، وَأَعَنْتَنِي بِهَا عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحَسْنَ عِبَادَتِكَ ، أَمْ وَقْتَ الْعَلَّةِ الَّتِي مَحَّضْتَنِي بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ ، وَطَهَّرْتَنِي بِهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَرَفَعْتَ لِي بِهَا الدَّرَجَاتِ ، وَنَبَّهْتَنِي بِهَا إِلَى التَّوْبَةِ ، وَذَكَّرْتَنِي بِهَا بِالنِّعْمَةِ .
- إلهي يَا أُنَيْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ ، يَا فَرْجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ ، يَا عَضْدَ كُلِّ مُحْتَاجٍ . أَنْتَ الَّذِي وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، وَأَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعْمِكَ سَهْمًا ، وَأَنْتَ الَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبُهُ ، وَعَفْوُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عِقَابِهِ ، وَأَنْتَ الَّذِي عَطَاؤُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَنَعِهِ .
- إلهي لَا تَعْرِضْ عَنِّي وَقَدْ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ ، وَلَا تَحْرَمْنِي وَقَدْ رَغِبْتَ إِلَيْكَ ، وَلَا تَخْذَلْنِي وَقَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ .
- إلهي أَنَا عَبْدُكَ الْفَقِيرُ الَّذِي فَاضَ دَمْعُهُ مِنْ خَيْفَتِكَ ، وَوَجَلَ قَلْبُهُ مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَانْتَفَضَتْ جَوَارِحُهُ مِنْ هَيْبَتِكَ .
- إلهي لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، كَمْ مِنْ عَيْبٍ سَتَرْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي ، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَهُ
- عَلَيَّ فَلَمْ تُشْهِرْنِي ، اللَّهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي أَرْقَتْهَا الذُّنُوبُ فَأَعْتَقْتَهَا ، وَهَذَا ظَهْرِي قَدْ أَنْقَلْتَهُ الْخَطَايَا فَاغْفِرْهَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
- اللَّهُمَّ ارْحَمْ شِدَّةَ مَسْكَتِي ، وَذَلَّ افْتِقَارِي ، وَطُولَ تَضَرُّعِي .
- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدًا ، وَعَلَيَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَيَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَيَّ مُحَمَّدًا ، وَعَلَيَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَيَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .
- اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَاغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ اتِّبَاعِ خَطَوَاتِهِ ، وَكَيْدِهِ وَمَكَايِدِهِ ، وَمَصَائِدِهِ وَمَوَاعِيدِهِ ، وَغُرُورِهِ وَأَمَانِيهِ .
- اللَّهُمَّ اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ سِتْرًا لَا يَهْتِكُهُ ، وَبَابًا لَا يَفْتَحُهُ ، وَأَشْغَلْهُ عَنَّا بِأَعْدَائِكَ ، وَاكْفِنَا شَرَّهُ ، وَاسْلُكْ بِنَا مِنَ التَّقْوَى خِلَافَ سَبِيلِهِ مِنَ الرَّدَى .
- اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلًا ، وَلَا تَسْكُنْهُ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْزَلًا .

- اللهم أشربْ قلوبنا إنكارَ عمله ، وحوّل سلطانه عنا ، واقطع رجاءه منا .
- اللهم اهزم جنده ، وأبطل كيده ، اللهم إنا نستعين بك عليه ، حتى لا نطيع له أمراً إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .
- اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، وأسقنا غيثاً نافعاً ، تحيي به ما قد مات ، وتردّ به ما قد فات ، وتُخرج به ما هو آت ، وتُثبت لنا به الزرع ، وتُدبّر به الضرع ، وتكمل لنا به طيبات الرزق ، إنك على كل شيء قدير .
- اللهم هب لنا من لَدُنكَ رحمة إنك أنت الوهاب ، وزوّدنا من الإيمان ، ووفّقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .
- اللهم استعمل لساني بذكرك ، وجوارحي بطاعتك ، وأوقاتي بحسن عبادتك ، إنك جواد كريم .
- اللهم هب لنا معالي الأخلاق ، ولا تجعل أعمارنا مرتعاً للشيطان ، ولا تدع خصلة تُعاب منا إلا أصلحتها ، إنك جواد كريم .
- اللهم أبدلني من بغض أعدائي المحبة ، ومن حسد أهل البغي المودة ، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرّة ، إنك أنت البر الرحيم .
- اللهم وفقني لحُسن السيرة ، والسّبق إلى الفضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفیه ، وكظم الغيظ ، وحسن الصّفح ، وأكمل ذلك بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، والعمل بالسنّة ، ورَفْض البدعة ، مقروناً بالحكمة والرحمة ، يا خبيراً بضعفي وفقري وعجزِي .
- اللهم صُنْ وجهي باليسار ، حتى لا أسأل أحداً سواك ، ولا أفتن بحمد مَنْ أعطاني من دونك ، وأنت وليُّ الإِطاء والمنع ، وارزقني صحّةً أستعملها في طاعتك ، وعلماً أستعمله في عبادتك ، ومالاً أنفقّه في سبيلك .
- اللهم لا تُصرف عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك ، ولا تحظّر عليّ رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت .

أنا عبدك الضعيف، ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك،
لا أمرَ لي معَ أمرِك ، ولا ملجأً ولا منجالي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• اللهم خذ بنفسِي إلى ما يرضيك عني، واحجبها عما يسخطك علي، واملاً قلبي بالإيمان،
حتى أعبدك كأنِّي أراك ، وأتقرب إليك بالطاعات شوقاً ، وأبتعد عن معاصيك فرَقاً ، يا ذا
الجلال والإكرام .

• اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان الرجيم ، ومن شر كل شيطان مريد ، ومن شر كل
جبار عنيد ، ومن شر كل سلطان مستكبر ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب
وبعيد ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم .

• اللهم اغفر لي ولوالدي ، وارزقني برهما ، والإحسان إليهما ، واجعلني أهابهما هيبة
السلطان العظيم ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، يا غفور يا رحيم يا رؤوف .

• اللهم يا مؤنس كل وحيد ، يا صاحب كل فريد ، يا مغني كل فقير ، يا شافي كل
مريض ، يا شاهداً غير غائب ، يا قريباً غير بعيد .

• يا صريح المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا ناصر المستنصرين .

• يا من أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح ، يا واسعَ الرحمة ، يا جزيل العطاء ، يا عظيمَ الصفح ،
يا حسنَ التجاوز ، يا سريعَ الإجابة ، يا با سَطَ اليدين بالرحمة .

• يا محيطاً بكل محيط ، يا عالم الخفياآت ، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر ، يا
سامع جميع الأصوات ، يا بصيراً بكل الذرات .

• يا إله الأولين والآخرين ، يا رب السموات والأراضين ، يا جابر الكسير ، ومطلق الأسير ، ومطعم
المسكين .

• يا قاهر كل قاهر ، يا عالماً بكل عالم ، يا قادراً على كل قادر ، يا مجيبَ كلِّ سائل ، يا
كريمَ العطاء ، يا سريعَ الرضا .

• يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيِّره الحوادث ،
ولا يخشى الدوائر .

• يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ،
وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وعدد ما أشرق عليه النهار .

• يا من لا توارى منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعْرِهِ ، ولا بحرٌ ما في قعره .

• اللهم اجعل خير أعمارنا وأواخرها، وخير أعمالنا وخواتمها ، وخير أيامنا يوم أن نلتقك فيه .
• اللهم فقهننا في الدين ، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان ، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، وفق سنة نبيك الرؤوف الرحيم .

• اللهم رب العرش الكريم ، ورب الكرسي الواسع ، ورب النور العظيم ، ورب السقف المرفوع ، ورب البحر المسجور ، ورب الملائكة والروح ، ورب السموات والأرض ، ومُنزل القرآن العظيم والتوراة والإنجيل والزابور .

• أسألك بوجهك الكريم ، وباسمك الأعظم الذي أشرقت به السموات والأرض أن تغفرَ لنا ما قدّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلّنا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

• سبحان ذي العزِّ والكبرياء ، سبحان ذي المجد والجبروت ، سبحان ذي الحِلم والطَّول ، سبحان ذي الجمال والجلال والإكرام .

• سبحان من يرى أثر النمل على الصفا ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصّماء ، في الليلة الظلماء .

• يا من ليس غيره ربُّ يدعى ، وليس غيره إله يُخشى .

• يا من لا يزداد على كثرة الأسئلة إلا كراماً ، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً .

• أسألك أن تغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ، ولا يعطي الكبير إلا الكبير ، يا قوياً يا عزيز ، لا إله إلا أنت .

• اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، صل وسلم على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

• سبحان من لا ينبغي التسييحُ إلاَّ له ، سبحان من أحصى كل شيء عدداً ، سبحان من أحاط بكل شيء علماً .

• اللهم أنزل علينا من بركاتك ، وأسبغ علينا نعمائك ، ووقفنا لسبيل الهدى والعفاف والغنى ، واستعملنا فيها بما تحب وترضى .

- اللهم يا شاهدَ كلِّ ملاء ، ويا عالمَ كلِّ خفيّة ، ويا سامعَ كلِّ نجوى ، ويا كاشفَ كلِّ بلوى ، اكشف عنا كلِّ بلاء ، ووقفنا لما تحب وترضى ، يا قريب يا مجيب .
- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .
- اللهم يا ذا العزة والعظمة ، يا دائمَ السلطان والقدرة ، يا شديدَ البطش والقوة ، يا نافذَ الأمر والإرادة ، يا واسعَ الرحمة والمغفرة ، يا رب الدنيا والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملكَ الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال .
- كم أنعمت عليّ بالنعم ، وكم دفعت عني من النقم ، كنت ضالاً فهديتني ، وعائلاً فأغنيتني ، وجاهلاً فعلمتني ، ومعدوماً فأوجدتني .
- أحمدك حمداً يبلغ رضاك ، وأشكرك شكراً يكافئ مزيدك ، يا دائمَ المعروف والإحسان ، يا لطيف البر والإكرام .
- لا إله إلا أنت خلقت السموات السبع ، وملأتها ملائكةً تسبح بحمديك وتقدّسك ، وتمجّدك وتعظّمك ، وتأمّر بأمرك .
- ألبستهم لباسَ التقوى ، وجعلتهم أقرب خلقك إليك ، وأعظم معرفةً بجلالك وجمالك وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة وعبادةً وخشوعاً .
- اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك ، وأبوابَ نعمك ، وأبوابَ مغفرتك ، وأبوابَ رضاك ، وخزائنَ علمك ، وسبلَ معرفتك .
- اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .
- اللهم أنت المستعانُ في الأمور كلّها ، والصاحبُ في الأحوال كلّها ، والمنعمُ بالنعم كلّها ، والواقِي من الشرور كلّها ، لك الحمد على حسن قضائك ، ولك الشكر على جزيل عطائك .
- لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

• لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

• اللهم يا كريم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا عظيم المنّ ، يا منقذ الغرقى ، يا منجّي الهلكى ، يا عماد من لا عماد له ، يا سند من لا سند له ، يا غياث من لا غياث له ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

• إلهي أنت العزيز الجبار ، ذلّت لقدرتك الصعاب ، وأسرت إلى إرادتك الأشياء ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المفزع في الملمات ، لا يندفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت ، لا إله إلا أنت .

• اللهم لا فاتح لما أغلقت ، ولا مُغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا ناصر لمن خذلت ، أسألك أن تفتح لي أبواب الرحمة والفرج ، فأنت وحدك القادر على كشف ما أنا فيه ، ودفع ما وقعت فيه .

• اللهم أكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملاً قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهر قلوبنا من النفاق والرياء ، وكفّ أيدينا عن الظلم والسرقه ، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة ، وعصّ أبصارنا عن الفجور والخيانة ، واحفظ أسماعنا من اللغو والغيبة ، يا سميع الدعاء .

• اللهم يا عظيم العفو والرحمة والإحسان ، تفضّل على علمائنا بالزهد والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة ، وعلى كبارنا بالوقار والسكينة ، وعلى شبابنا بالإنابة والتوبة ، وعلى نساءنا بالحياء والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر والقناعة .

وتفضّل على الغزاة بالنصر والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص والحرية ، وعلى المرضى بالشفاء والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعية بالطاعة وحسن السيرة ، يارب العالمين .

• اللهم يا عليمًا بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك لا بيد غيرك حياتي وموتي ، ونفعي وضري .

إن حرمتني فمن يعطيني ، وإن خذلتني فمن ينصرني ، وإن طردتني فمن يؤويني ، أنت مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

• إلهي ما أعظم برك بي في حياتي ، فلا تقطع عني برك في مماتي ، إنك أنت البرُّ الرؤوف الرحيم .

• إلهي أنت السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر .

أسألك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأسألك الأمان يوم لا تملكُ نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

وأسألك الأمان يوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .

وأسألك الأمان يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وأسألك الأمان يوم يعرض الظالم على يديه ، يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .

وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار .

وأسألك الأمان يوم يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .

• اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك عليّ تب عليّ ، ويعلمك بي ارفق بي .

يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليمًا بما في السر ، اقبل توبتي ، واغفر لي زلتي .

• إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة ، طويلة الأمل ، كثيرة العُمل ، إن مَسَّها الشر تجزع ، وإن مَسَّها الخير تمنع ، ميّالة إلى اللعب واللهو ، مملوءة بالغفلة والسهو .

• إلهي أشكو إليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأً بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسه بقلبي ، يدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزين لي حب الدنيا ، ويحول بيني وبين طاعتك ، أعودُ بك منه ومن شروره ومكايده .

• إلهي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك ، ونفاد مشيئتك ، أن توفقني لما تحبه وترضاه ، وأن تحول بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي .

• اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، واجعل دمعي غزيراً في طاعتك ، واسكب عبرتي من خشيتك ، واصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبّب إليّ الحلال ، وافتح لي أبوابه ،

ولا تسلبني ما مننت به عليّ ، ولا تنزع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلط عليّ أيدي الجبابرة ، يا إلهي ومولاي .

• اللهم يا عزيز يا كريم وفرّ حظي من كل خير أنزلته ، ومن كل برّ نشرته ، ومن كل رزق بسطته ، ومن كل بلاء رفعته ، ومن كل عيب سترته .

يا من بيده ناصيتي ، يا عالماً بضري ومسكنتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا من عليه مُعَوّلي ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأقلّني عثرتي ، واغفر لي زلتي .

• إلهي ومولاي إليك نصبتُ وجهي ، وإليك يا رب مددت يدي ، فبعزتكَ استجب لي دعائي ، ولا تقطع رجائي ، واكفني شر أعدائي .

يا واسع الرحمة ، يا سريع الرضا ، اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، ورأس ماله الرجاء ، وسلاحه البكاء .

يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا مجيب دعوة المضطر ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

• إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، ونحن عبيدك الفقراء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم إنا نسألك باسمك العظيم الذي إذا سئلت به أعطيت ، وإذا دُعيت به أجبت ، وإذا استُرحمتَ به رحمتَ به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دُعيت به على كشف البلاء انكشف .

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجلت له القلوب .

ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خلقتَ بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبعزتكَ التي خضع لها كل شيء ، أن تعز الإسلام والمسلمين ، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين ، يا رب العالمين .

• اللهم من أرادنا بسوء أو مكروه من شيطان مريد ، أو سلطان عنيد ، أو حاسد على نعمة ، أو ظالم أو باغ ، فاقبض عنا يده ، واصرف عنا شره ، وأشغله عنا بنفسه ، واجعل كيده في نحره ، وتدميره في تدبيره ، إنك أنت القوي العزيز .

• اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا ، وفرِّق بينهم وبين أسلحتهم ، وحيرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم بالرعب ، وانصرنا على من عادانا ، أنت مولانا ، فنعم المولى ونعم النصير .

• اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وأمددهم بالملائكة المسؤمين ، واملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في طاعتك ، وأشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد ، لك وحدانية العدد ، ومَلَكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزة الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والإنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات .

وكل ما سواك فقير إليك ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، موسوم بسمة الضعفاء والفقراء والعييد .

• اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطَمَعْنَا في آمالنا في أعمار المعمرين .

نسألك اللهم أن تهَبَ لنا يقيناً صادقاً تكفيننا به مؤونة الطلب ، وتقطع طلبه ممن سواك ، فإنك أنت الذي قَسَمْتَ الأرزاق ، وتكفَّلْتَ بإيصالها إلى كل مخلوق .

• اللهم أجر من أسباب الحلال أرزاقِي ، ووجَّه في أبواب البر إنفاقي ، وازو عني من الأموال والأشياء ما يشغلني عنك ، واجعل ما أعطيتني عوناً لي على طاعتك ، وما منعتني سبباً لتفرغي لعبادتك ، يا أرحم الراحمين .

• مولاي هذا مقام العائذ بك من كل سوء ، يرجو رحمتك ، ويخشى عذابك ، تَلَقَّأَ بنفسٍ خاشعة ، ورقبة خاضعة ، وظهر مُثْقَل بالذنوب والخطايا ، واقف بين يديك بالرغبة إليك ، والرهبه منك ، وأنت أولى من رجاءه ، وأحق من خَشْيَتِهِ واتقاه ، فاغفر له وارحمه ، يا ولي المتقين .

- أشهد أنك قَسَمْتَ معاش العباد بالعدل ، وأحسنت إلى جميع خلقك بالفضل ، وأشهد أن الشريف من شَرَّفْتَهُ طاعتك ، والعزیز من أَعَزَّتَهُ عبادتك .
- مولاي اجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خَوَّلْتَنِي ، ولا تشغلني عنك بغيرك ، فإن الغني من أغنيت ، والسالم من وَقَّيت .
- لا إله إلا أنت ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت على من أردت ، فلك الحمد على ما وقَّيتنا من البلاء ، ولك الشكر على ما خَوَّلْتَنَا من النعماء .
- سبحانك أنت المنعم بكل نعمة ، وأنت الذي تدفع كل نقمة ، أشكركُ عبادك عاجز عن شكرك ، وأَعْبَدَهُم مقصر في عبادتك ، لا يستحق أحد أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى عنه باستيجابه ، فمن غفرت له فبطُولُك ، ومن رضيت عنه فبفضلُك .
- سنتك الإنعام والإفضال ، وعادتك الإكرام والإحسان ، وسبيلك العفو والرحمة .
- لا إله إلا أنت ، كل البرية تشهد لك بالفضل على من عافيت ، وأنت غير ظالم لمن عاقبت ، وكلُّ مقر بالتقصير على أداء ما يجب لك ، ولولا أن الشيطان خدع الخلق عن طاعتك ما عصاك عاص ، ولولا أنه صَوَّرَ لهم الباطل في صورة الحق ما ضل عن طريقك ضال .
- سبحانك ما أعظم كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت أنعمت به عليه ، وتحلم على العاصي فيما تملك معاجلته فيه .
- تطاع فَتَشْكُر ، وتُعصَى فَتَغْفِر ، وتفَضَّلْتَ على كلِّ منهما بما يَقْصُر عمله عنه .
- يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين في جوارك .
- إلهي يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، تباركت أن توصف إلا بالإحسان ، وكَرُمْتَ أن يُخَافَ منك إلا العدل ، لا يُخشى جورك على من عصاك ، ولا يُخاف نقصك ثواب من أَرْضَاكَ .
- اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظَلِمَ بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أُسْدي إليّ فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ، ومن فقير سألتني فلم أعطه ، ومن عيبٍ مؤمنٍ ظهر لي فلم أستره ، ومن كلِّ إثمٍ عرض لي فلم أهجره .
- اللهم اجعل رغبتني في طاعتك ، وأخلص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل محرم ، يا من بيده مقاليد الأمور .

- اللهم كل عبدٍ نال مني ما حرَّمتَ عليه ، وانتَهك مني ما حَجرتَ عليه ، فاغفر له ما أَلَمَّ به مني ، وعوَّضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعائي له رحمتك لي ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم وكل عبد ناله مني أذى ، أو لحقه بسببي ظلم ، فأرضه عني بما تشاء ، وأوفه حقه من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم .
- اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا يَنْقصك بذله ، أن تهب لي نفسي ، وتعتقها من النار يا ربي ، فكم عمَّ عفوك الظالمين ، وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين .
- أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحداً فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .
- اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت باباً من أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك .
- أحياناً مسلمين ، وأمَّتنا مهتدين غير ضالين ، تائبين غير عاصين .
- اللهم شرف درجتي برضوانك ، وأكمل كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين ، ومن حزبك المفلحين ، واعمر بي مجالس الصالحين ، وأدخلني في زمرة الفائزين ، يا رب العالمين .
- اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا ملك الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق .
- اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك ضيق ملاحدنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض ذل مقامنا ، وثبت به على الصراط أقدامنا ، وأتم به نورنا .
- اللهم صل وسلم على محمد وآله ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وأحياناً على سنته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه ، يا أكرم الأكرمين .
- سبحان من خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر .
- آمنت بمن خلق هذا الخلق المطيع ، فهو دائب سريع ، يدور في فلك التدبير ، وإلى إرادة ربه سريع ، جعله ربه آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه .
- اللهم اجعلنا من أرضى من طلع عليه ، وأزكى من نظر إليه ، وأسعد من تعبد لك فيه ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيماناً صادقاً نكفّ به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم يا بصيراً بالعباد ، يالطيف يا خبير ، استعمل أبداننا في عبادتك ، وزين أوقاتنا بطاعتك ، وإن ملنا فعدّلنا ، وإن زغنا فقومنا ، وإن أسرنا الشيطان فاستتقنا ، وإن تسلط علينا العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين .

• اللهم يا من لا يندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان ، وقضاؤك كله خير .

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافيء مَنْ حَمِدَكَ وأنت علّمته حَمْدَكَ ، وتستر على من لو شئت لفضحته ، وتجود على من لو شئت لمنعته ، وكلُّ منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .

• إلهي أنت الكريم الذي فتحت لعبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .

• اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها ، يا رؤوف يا رحيم .

• اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام ، وسهّلت لنا سبل الإحسان ، ووفقتنا لحسن عبادتك ، وهديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنّبنا ما يسخطك علينا .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى ترضى وإذا رضيت ، إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة .

• لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ، ومن قلوبنا بصدق الندم ، فأجّرنا على ما حمدنا ، واغفر لنا ما قصّرنا ، يا من لا يغفر الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .

- اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه ، ونشكرك على كل رزق أعطيتناه .
- يا أكرم مَنْ رغب خلقه إليه ، وأكفى من توكل عباده عليه ، يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد .
- يا من يشكر اليسير من العمل ، ويجازي بالعظيم من الأجر ، يا من لا يغيّر النعمة ، ولا يبادر بالنقمة ، يا من يضاعف الحسنات ، ويعفو عن السيئات .
- يا من يذكر مَنْ ذكّره ، ويتقرب إلى من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه .
- أنت رب العزة والجلال ، وأنت ذو الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة .
- أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة امتلأت بفيض جودك جميع أوعية الطلبات ، فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانتك .
- بابك مفتوح للوافدين ، وجودك مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .
- حلّمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلته من ناواك ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلت به .
- سبحانه ما أعدلك وما أرحمك ، هديتنا إلى الدين ، وأظهرت بينات ، وأقمت الحجج ، وتلطّفت في الترغيب ، وتقدّمت بالوعيد ، وضربت الأمثال ، وأطلت الإمهال ، وأخرت العقوبة ، وأنت مستطيع للمعاجلة لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، وإحسانك أوفى ، ونعمتك أتم .
- لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك ، أنت الأول قبل كل أحد ، والآخر بعد كل عدد ، أنت المحيط الذي أحطت بكل شيء علماً ، وأحصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً .
- لا إله إلا أنت ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت مَلِكِ السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصوّر الذي صوّر جميع المصوّرات .

- لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمتَ فكان عدلاً ما حكمتَ ، وخلقتَ فكان حسناً ما خلقتَ ، وقدّرتَ فكان حقاً ما قدّرتَ ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .
- لا إله إلا أنت ، ما أجلّ شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك وغفرانك .
- لا إله إلا أنت ، سبحانك بسطت بالخير يدك ، وهديت للإسلام خلقك .
- سبحانك خضع لك مَنْ جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك ، لا راد لقضائك ، ولا مُعقّب لحكمك .
- اللهم لك الحمد حمداً يليق بعظمتك ، ويكافي إحسانك ، ويليق بعز جلالك .
- إلهي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين ، ويمهل المخطئين ، ويقبل عثرات المذنبين .
- أنا المسيء الخاطيء ، أنا الظالم العاثر ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتَهَن بذنبه ، أنا القليل الحياء .
- أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترم بي رمي مَنْ سقط من عينك ، ولا تطوّفني طَوْقاً يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وانزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك .
- اللهم زيّن لي التفرد بمناجاتك ، وهب لي نوراً يملأ قلبي بعظمتك ، وبقيناً يدفعني إلى خشيتك ، وعلماً أعرف به عظمتك ، وتمنعني به من ركوب محارمك ، وتعينني به على طاعتك .
- اللهم ما أنزلت من خير وصحة وسلامة وسعة رزق ، فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب ، وما أنزل من شر وفتنة ، فاصرفه عنا وعن المسلمين وارزقنا اللهم غنى لا يطغينا ، وصحة لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، إنك أنت العزيز الكريم .
- إلهي لم أصب خيراً قط إلا منك ، ولم يصرف عني سوءاً قط غيرك ، أنت رجائي وملاذي ، فأغني بفضلك عن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك .

• اللهم إني أسألك يا مولاي بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، وبقدرتك التي خلقت بها السموات والأرض وما فيهما وما فوقهما ، وحرّكت بها كل متحرك ، وسكّنت بها كل ساكن ، وأحييت بها أموات العباد ، ونشرت بها أقوات البلاد ، ورحمت بها من تشاء ، وعاقبت بها من تشاء ، وأعطيت بها من تشاء ، ومنعت بها من تشاء ، أن ترضى عنا ، وتدخلنا دار السلام ، إنك أنت السلام ، ومنك السلام ، لا إله إلا أنت .

• اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبعظمتك التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء ، أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العِصم ، وتُنزل النقم ، وتغيّر النعم ، وتُنزل البلاء والفتن .

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك .
أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعظمت فيما عندك رغبته .

• اللهم يا قوي أسألك بعزتك أن لا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عصيتك في خلواتي ، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفاً رحيماً ، لا إله لي غيرك ، أسألك كشف ضري ، ومغفرة ذنبي ، يا غفور يا رحيم .

• اللهم ارحم قلوباً امتلأت بتوحيديك ، وألسنة نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهاً خرّت لعظمتك ساجدة ، وجوارحاً في عبادتك خاشعة .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
الباب الأول: كتاب التوحيد ، ويشتمل على ما يلي :	
١- فقه التوحيد.....	١٦
٢- أقسام التوحيد.....	١٦
٣- دلائل التوحيد.....	١٩
٤- حقيقة التوحيد.....	٢٤
٥- فضائل التوحيد.....	٢٥
٦- شروط كلمة التوحيد.....	٢٦
٧- أركان التوحيد.....	٢٧
٨- كمال التوحيد.....	٢٨
٩- لوازم التوحيد.....	٢٨
١٠- مكان التوحيد.....	٢٨
١١- قيمة التوحيد.....	٢٩
١٢- أصل التوحيد.....	٣٠
١٣- أهل التوحيد.....	٣١
١٤- إيمان أهل التوحيد.....	٣٢
١٥- ثواب أهل التوحيد.....	٣٢

١٦ - نواقض التوحيد ٣٤

الباب الثاني : توحيد الله بأسمائه وصفاته ، ويشتمل على ما يلي :

- ١ - أسماء الله وصفاته كلها حسنى ٣٩
- ٢ - عدد أسماء الله الحسنى ٣٩
- ٣ - إثبات أسماء الله الحسنى ٤١
- ٤ - أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته ٤٢
- ٥ - دلالة أسماء الله الحسنى ٤٢
- ٦ - أقسام أسماء الله الحسنى ٤٣
- ٧ - حكم التسمى بأسماء الله الحسنى ٤٥
- ٨ - أسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام ٤٥
- ٩ - أسماء الله وصفاته من حيث وصف الله بها أربعة أقسام ٤٦
- ١٠ - حكم العلم بأسماء الله الحسنى ٤٧

الباب الثالث : فقه التعبد بأسماء الله الحسنى ، ويشتمل على ما يلي :

- ١ - حكمة خلق الإنسان ٥١
- ٢ - فقه أعمال القلوب ٥٦
- ٣ - التعبد بأسماء الله الحسنى : ويشمل : ٥٨
 - أركان التعبد بأسماء الله وصفاته ٥٨
 - طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته ٥٩
 - مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته ٦٠
 - آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته ٦٢
- ٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى ٦٥

الباب الرابع : أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد
لله بها ، ودعاء الله بها ، وتشتمل على ما يلي :

- ١- الله .. الإله..... ٨١
- ٢- الرب..... ٩١
- ٣- الرحمن .. الرحيم..... ١٠٣
- ٤- الملك .. المليك .. المالك..... ١١٣
- ٥- الواحد .. الأحد..... ١٣٥
- ٦- الصمد..... ١٤٥
- ٧- الأول .. والآخر..... ١٥٠
- ٨- الظاهر .. والباطن..... ١٥٣
- ٩- الحق..... ١٥٦
- ١٠- المبين..... ١٦٦
- ١١- الحي..... ١٧٠
- ١٢- القيوم..... ١٧٥
- ١٣- السميع..... ١٨١
- ١٤- البصير..... ١٨٥
- ١٥- العلي .. الأعلى .. المتعال..... ١٨٩
- ١٦- الكبير .. المتكبر..... ١٩٥
- ١٧- العظيم..... ٢٠١

- ٢٠٩..... ١٨ - القوي
- ٢١٤..... ١٩ - المتين
- ٢١٧..... ٢٠ - القاهر .. القهار
- ٢٢٢..... ٢١ - العليم .. العالم .. العلام
- ٢٤٠..... ٢٢ - القدوس
- ٢٤٤..... ٢٣ - السلام
- ٢٥٣..... ٢٤ - المؤمن
- ٢٥٧..... ٢٥ - المهيمن
- ٢٦٢..... ٢٦ - العزيز
- ٢٦٩..... ٢٧ - الجبار
- ٢٧٥..... ٢٨ - الخالق .. الخلاق
- ٢٨٥..... ٢٩ - البارئ
- ٢٨٨..... ٣٠ - المصور
- ٢٩٤..... ٣١ - الغني
- ٣٠٠..... ٣٢ - الرزاق .. الرازق
- ٣١١..... ٣٣ - الكريم .. الأكرم
- ٣٢٧..... ٣٤ - الحميد
- ٣٤٤..... ٣٥ - المجيد
- ٣٥٤..... ٣٦ - الولي .. المولى

- ٣٦٠.....الناصر .. النصير.....٣٧
- ٣٦٨.....القادر .. القدير .. المقتدر.....٣٨
- ٣٧٥.....اللطيف.....٣٩
- ٣٨٥.....الخبير.....٤٠
- ٣٩٠.....الحكيم .. الحاكم .. الحكم.....٤١
- ٤١١.....الشكور .. الشاكر.....٤٢
- ٤١٩.....الحليم.....٤٣
- ٤٢٩.....العفو.....٤٤
- ٤٣٤.....الغفور .. الغفار .. الغافر.....٤٥
- ٤٤٠.....الودود.....٤٦
- ٤٥٢.....البر.....٤٧
- ٤٦٠.....الرؤوف.....٤٨
- ٤٦٥.....القريب.....٤٩
- ٤٧١.....المجيب.....٥٠
- ٤٧٩.....المستعان.....٥١
- ٤٨٣.....التواب.....٥٢
- ٤٩٠.....الرقيب.....٥٣
- ٥٠٣.....الشهيد.....٥٤
- ٥٣٣.....الواسع.....٥٥

٥٣٩.....	٥٦- المحيط
٥٤٨.....	٥٧- الحسيب.. الحاسب
٥٥٢.....	٥٨- المقيت
٥٥٥.....	٥٩- الحفيظ.. الحافظ
٥٦١.....	٦٠- الكافي
٥٦٥.....	٦١- الكفيل
٥٦٨.....	٦٢- الوكيل
٥٧٦.....	٦٣- الفتاح.. الفاتح
٥٨٥.....	٦٤- الوهاب
٥٩١.....	٦٥- الهادي
٦٠٣.....	٦٦- الصادق
٦١٢.....	٦٧- الوارث
٦١٦.....	٦٨- الوتر
٦٢١.....	٦٩- السبوح
٦٢٧.....	٧٠- الطيب
٦٣٥.....	٧١- الجميل
٦٤٣.....	٧٢- النور
٦٥٧.....	٧٣- الرفيق
٦٦٢.....	٧٤- الشافي

٦٦٦.....٧٥- الحبيبي

٦٧٢.....٧٦- الستير

٦٧٧.....٧٧- المقدم .. والمؤخر

الباب الخامس : جزاء أهل التوحيد ، ويشتمل على ما يلي :

٦٨٧.....١- واجبات أهل التوحيد

٦٩١.....٢- جزاء أهل التوحيد

٦٩٣.....٣- جزاء أهل الشرك

٦٩٥.....٤- دار القرار : وتشتمل :

٦٩٨.....١- صفة الجنة

٧٢١.....٢- صفة النار

٧٤٣.....٥- دعاء أهل التوحيد

٧٧٩..... • الفهرس